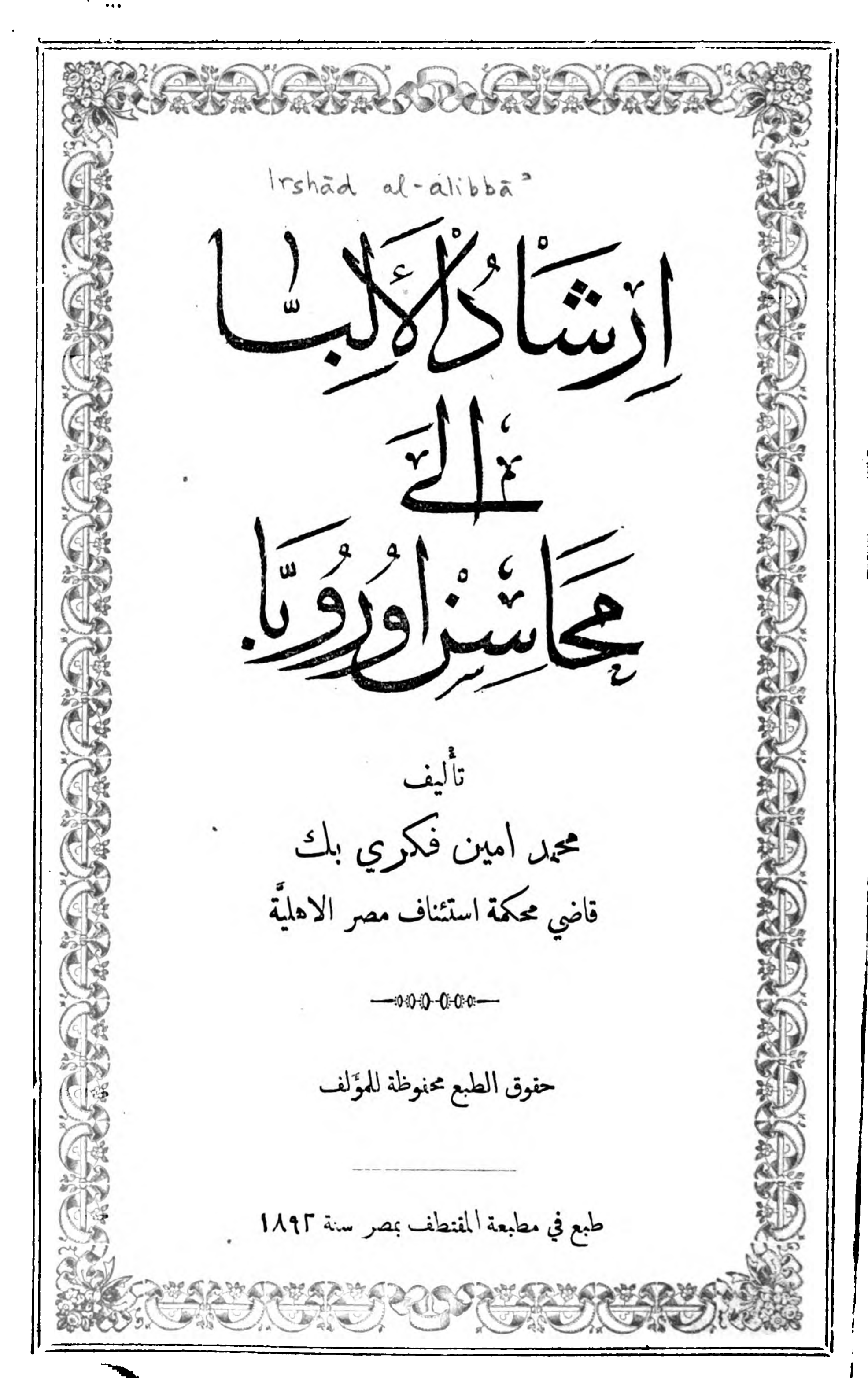


ارشاد الالبا الى محاسن اوروبا

تأليف

محمد امين فكري بك

قاضي محكمة استئناف مصر الاهلية

طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩٢



لسدّة صاحب المقام الاسمى والجناب الفخيم الاسنى
افندينا خديو مصر عباس الثاني المعظم
ايّدهُ الله

مولاي

اعلى الله قدرك وخلّد بين العظماء ذكرك واعز مصر باحكامك واقر عينها بطول ايامك اني كنت من اعضاء الوفد المصري المنتدب من قبل الحكومة الخديويّة للحضور في مؤتمر المستشرقين الثامن الذي تقرَّر انعقادهُ باستكهلم وكرستيانيا عاصمتي السويد والنرويج في سنة ١٨٨٩

وبمناسبة السفر الى هذا المؤتمر والعودة منهُ وفي اثنائهِ مررتُ بعواصم اوربا الشهيرة وكان مروري بباريس اوان المعرض الذي أُقيم بها في تلك السنة

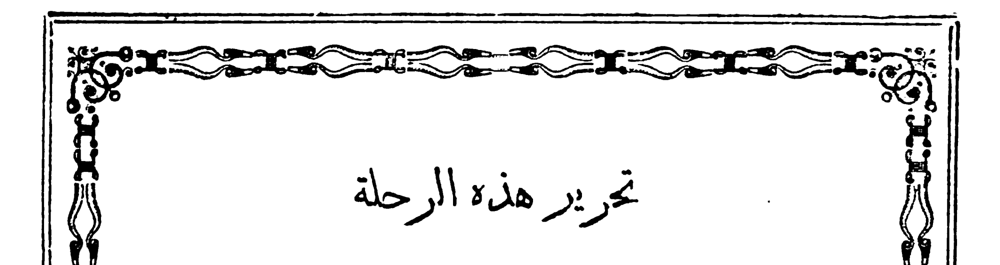
فكتبت بعض ما رأيت بالبلاد الّتي شاهدتها قاصدًا بذلك وقوف ابناء وطني على ما يستوقف النظر من محاسنها وعلى ما صرفهُ اهلها من الهمة والاعتناء بشؤونها حتى وصلت من الثروة والرفاهية الى ما وصلت

اليهِ فان معرفة احوال الامم وما هم عليهِ من الحضارة والتقدم والعمران والتمدن ادعى الى اقتفاء آثارهم طلباً للاصلاح ورغبةً في النجاح

وها هو يا مولاي كتاب رحلتي مفتتحاً باسمك محلّى بحلى وصفك فامنحهُ نظرة يعلو بها قدرهُ ويعظم بها فخرهُ وأَنلْهُ من لدنك قبولاً يكسوهُ هو ومؤلّفهُ حلل البهاء والمجد ويجعل التأليف لخدمة الوطن والمعارف وسيلة الى كسب رضائك وطريقاً يتسابق فيهِ اولو الهمم والغيرة تحت ظل لوائك

تحريراً بمحروسة مصر في ١٦ مارث سنة ١٨٩٢

عبدكم
امين فكري



تحرير هذه الرحلة

كان العزم ان يكتب سيدي الوالد هذه الرحلة بعد العودة من سفرهِ كما عقد النيّة على ذلك في اثنائهِ والمع اليهِ في كتابٍ حرَّرهُ من لُوسِرْنْ الى عزيزهِ صاحب السعادة علي مبارك باشا وكنت اخذت اثناء السفر معهُ لاعانتهِ على هذا الغرض في تحرير بعض مذكّرات مختصرة فيما رأيناهُ يستحق الذكر اثناء هذه المأموريّة لتكون شبيهة بفهرست كتاب تبوَّب بواسطتهِ الابواب وتوسَّع مطالبهُ للطلاَّب ويسهل عليهِ فيما بعد بواسطتها مراجعة الكتب الّتي يرومها في المواضيع المراد ذكرها والتنقير عنها في مظناتها

وبمجرَّد العودة الى هنا اخذ سيدي العزيز مع جمع المواد في ترتيب كتبهِ في المكتبة الّتي هي فيها الآن ليسهل عليهِ مراجعتها ثم اراد ان يكمل نظام ارضنا بتل حوين وان يتم امر ادارتها لزيادة التفرُّغ لهذا العمل ولغيرهِ من الاعمال التأليفيَّة فتوجه اليها وبقي بها مدة اعتراهُ في اثنائها اول نوبة من نوبات المرض الاَّ انها لم يطل امرها بل انصرفت عنه في يوم واحد او اقل منهُ بدون استعمال معالجة تذكر

وحضر لمصر بعد هذه المرة واستشار طبيبهُ فنصحهُ بعدم اتعاب الفكر وترك الاكثار من المطالعة فامتثل امرهُ ووقف سير الاشتغال بالرحلة وبغيرها لهذا السبب

واخذت صحتهُ تحسن وتتقوى مستمرًّا على تقليل المطالعة آخذًا في اسباب العود الى تمام العافية الى ان طرأ طارئ لبعض اخصائهِ استوجب زيادة اشتغال

فكرهِ واستلزم شدة تأثرهِ فعاودهُ المرض بشدة اكثر من الاوَّل ولكن الله سلم في هذه النوبة ايضاً باستعمال الوسائط القويَّة والاستمرار على العلاجات اللازمة وكان ذلك في شهر رجب سنة ١٣٠٧

فبقي مستريح الجسم من ذلك الشهر الى اواسط شهر القعدة وقد اشارت عليهِ الاطباء بتبديل الهواء لتتم راحتهُ وتكمل صحتهُ فتوجه الى تل حوين واخذ يتسلى فيها بملاحظة اشغالها الزراعيَّة وكانت تتوارد مكاتباتهُ اليَّ كل تلك المدة منبئة عن حسن صحتهِ مشعرة بمزيد سلامتهِ حتى قرب العيد الأكبر واراد الحضور لمصر وكتب لي بذلك طالباً مني ان انتظرهُ بمحطتها مؤكداً عليَّ بذلك كل التأكيد في آخر مكاتبة منهُ اليَّ بتاريخ ٣ الحجة سنة ١٣٠٧ كأن الله اطلعهُ على ان ذلك ضروري كما ستراهُ

فلما كان يوم الخميس ٧ ذي الحجة سنة ١٣٠٧ (٢٤ يوليو سنة ١٨٩٠) ذهبت لانتظرهُ بالمحطة في ميعاد الوابور المعتاد (الساعة ٥ و ٢٠ دقيقة بعد الظهر) واذا بهِ لم يعرفني بل كان يسأل عني مني اللهمَّ الاَّ انهُ بعد كثرة الالحاح عليهِ في تعريفي نفسي عرفني آخر مرة قال فيها " الحمد لله الذي جمع شملنا "

فلما وصلنا البيت اخذنا في المعالجة وفي الوسائط الَّتي بها يكون صرف المرض واستعملنا كلما وصلت اليهِ اليد واستحضرنا من لزم من الاطباء الاَّ ان المرض كان اقوى والاجل كان ادنى فاحتُضِر وناداهُ مولاهُ فلبَّاهُ وفارق دنياهُ بعد ساعة عربيَّة ونصف من يوم الاحد (يوم الاضحية) عاشر ذي الحجة سنة ١٣٠٧ (٢٧ يوليو سنة ١٨٩٠)

كان الذي خِفت ان يكونا   انَّا الى اللهِ راجعونا

وقامت نوادب الادب وانثلم حد القلم وفقدت عين الفضل قرتها وجبهة الدهر غرتها ورثتهُ الافاضل بالفضائل والفواضل وبكتهُ الاكارم بالمكارم واني وان فقدت بفقدهِ ابًا مجيدًا وسندًا وحيدًا سليت نفسي بانهُ ما مات من لم يمت ذكرهُ وخلدَ من بقي على جبهة الايام نظمهُ ونثرهُ

ورأيت ان استعين على الصبر بجمع بعض اقوالهِ مما يخلد ذكرهُ ويقدرهُ قدرهُ ولم يثنِ عزيمتي عن هذا انهُ لم يجمعها هو نفسهُ بل اخذت في الجد والسعي فعثرت على بعض مكاتبات لهُ استنسخها لاجلي مذ كنت صغيرًا من بعض اصحابهِ الذين كاتبهم بها وبعض مكاتبات كان اسعدني الحظ بان اطلعني عليها قبل ارسالها للمرسلة اليهِ فاخذت صورها

وصرت اجمع تلك المكاتبات واضفت اليها ما وجدتهُ من بعض المسودات وكاتبت اصحابهُ الذين كان يكاتبهم فاعطاني بعضهم ما وصلت اليهِ يدهُ من مكاتباتهِ لهُ ووعد الباقون بالبحث وسأضيف ان شاء الله الى ذلك عند طبعهِ ما يتيسر لي من منظومهِ ومنثورهِ

وكثيرًا ما كنت في تحرير هذه الرحلة بين اقدام واحجام وتفكر وتحير وتأمل وتدبر وكلما هممت بتحريرها وترصيفها وتحبيرها يشتد بي الضجر والتأسف على عدم تمكن سيدي الوالد العزيز من تأليفها فانها كانت تكون غرة في جبهة الدهر وحسنة من حسنات العصر لطول باعهِ وكثرة اطلاعهِ

ولكن قوّى عزمي على الشروع في العمل وهداني الى السير فيهِ وشدّ ساعدي في استقرائهِ مع مشقاتهِ واتعابهِ ما كنت اعهدهُ في سيدي العزيز من شديد الرغبة الى القيام بهِ وعظيم الميل الى اتمامهِ معتبرًا ان قيامي بهذا العمل تنفيذ رغبتهِ وتأييد أمنيتهِ

فاستخرت الله في تعليق بعض ما رأيناهُ وحصلنا عليهِ من العجائب وشاهدناهُ واعدت النظر على معلَّقاتي الَّتي سبق لك ذكرها وبسطتها حسب ما يلزم مستعيناً بكتب الدلائل الَّتي استدللنا بها في سياحتنا وبما استحضرتهُ من التآليف الخصوصيَّة وبما جلبتهُ من الرسومات والاوراق والمطبوعات وصحف الاخبار المنتشرة في الاقطار وبما بقي منطبعاً في الخاطر من احاسن المناظر وغرائب المفاخر الَّتي لا يكاد يمحوها الزمان

وتركت في الوصف الاختصار المخل والتطويل الممل لاني لو اردت الاستيعاب وقصدت الاستيفاء بالاسهاب وتوسعت في وصف كلما مررت بهِ او مرَّ بي للزمني ان أُوفّي كل شيء حقهُ واقدُرهُ قدرهُ واصف كل ما اشتملت عليهِ هاتيك البلاد من العجائب والغرائب ودون ذلك خرط القتاد

فيا دارها بالخَيف ان مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك اهوالُ

فيكفيك الآن ان تطلع على ما كتبتُ فتجعلهُ وسيلةً وتتخذهُ ذريعةً لان تُعمِل جهدك وتعاني وَكدك وَكَدّك وتصرف عنان عزمك الى السياحة فتجعل لها نصيباً من زمنك وحظاً من مالك وانت ان سلكتَ هذا المسلك ونحوتَ هذا النحو افدتَ نفسك وبني جنسك واكتسبتَ معرفة اشياء تخفى على امثالك وعرفتَ عادات معاصريك مؤتلفة ومختلفة وطبائعهم متشابهة ومتباينة وربما ان رأيتَ طرق تقدمهم اخذتَ لنفسك ولبلدك ولابناء وطنك ما رأيتَ اخذهُ ونقلتَ من ذلك ما قدرتَ عليهِ وافدتَ غيرك ولو بكتابة ما استحسنتَ مما رأيت

واني لآملُ انك توفي هذا المرام حقهُ ان اخذتَ في العمل مع التفرُّغ لهُ واخترتَ الوقت الذي يناسبهُ واطلتَ البحث فيهِ مدة يستلزمها اتمامهُ وكتبت

ما رأيتَ ان تكتبهُ في شأن ما تستحسنهُ من البلاد وما فيها وانت حينئذٍ منشرح الخاطر قرير العين خالٍ من الشواغل والمتاعب فاذا رأيتَ ثمرة ارشادي من اعجاب الناس بما كتبتَ واقبالهم على ماصنعتَ فاني اظنك لا تنسى كاتب هذه العجالة اذ هو الذي حثك على هذا العزم واستنهضك لهذا الحزم فتطلب من الله ان يصلح شانهُ ويذهب اشجانهُ

﴿ الاصل ﴾

في تعيين الوفد المصري للتوجه الى بلاد السويد والنرويج وحضور المؤتمر الدولي العلمي الذي تقرَّر انعقادهُ بها في سنة ١٨٨٩

في سنة ١٨٨٩ حضر جناب الكونت كارلو ده لاندبرج الى محروسة مصر بصفة قنصل عام من طرف سموّ الملك اسكار الثاني ملك السويد والنرويج المُعَظَّم لدى سموّ الخديوي الاكرم افندينا (المغفور لهُ) محمَّد توفيق الاول خديو مصر الافخم وبعد ابلاغهِ المأموريَّة واستقرارهِ في وظيفتهِ بلَّغ الحكومة الخديويَّة بصفة رسميَّة عن حكومتهِ ما قد تقرَّر من ان المؤتمر الدولي العلمي للمستشرقين في هذه المرَّة وهي المرة الثامنة سيكون انعقادهُ في استكهلم وكريستيانيا عاصمتي بلاد السويد والنرويج المذكورة تحت حماية مليكها المشار اليهِ وان حكومتهُ تريد ارسال وفد من علماء مصر وفضلائها للحضور في المؤتمر المذكور

فجاء ذلك على وفق مراد الجناب العالي الخديوي محبةً في العلم وتأييدًا لأمرهِ وقيامًا بنصرهِ وشد أزرهِ وتنويهاً بقدرهِ فحصلت الموافقة على هذا الأَرب ولم تتأخر الاجابة عن الطلب

وفي اثناء ذلك زار سيدي الوالد جناب القنصل الموما اليهِ حسب الامر ثم زارهُ هو ايضاً وتقايضا الزيارة مراراً كرَّر جناب القنصل فيها القول على سيدي الوالد يدعوهُ لقبول رياسة هذا الوفد والتوجه بهِ لحضور المؤتمر ولم يكن ذلك مما مرَّ لسيدي بخاطر ولا تعلَّقت لهُ بهِ رغبة فكان يتنصل من ذلك ويعتذر لا سيَّما بما كان يخشاهُ من برد تلك البلاد مع تقدم السن وضعف البدن وكان حضرة الكونت يُسهِّل لهُ الوعر ويحسّن لهُ السفر ويهوّن الامر عليهِ ويزيّنهُ لديهِ ويفهمهُ ان القبول لهذه المأموريّة مما يسر الحضرة الخديويّة وما زال بهِ وانا اساعدهُ على ذلك واحسّن رأيهُ رغبة مني في اطّلاع سيدي الوالد على تلك البلاد وما فيها من المحاسن والمنافع وتقدم العلوم والصنائع لتحقيق الخبر برأى العين حتى اجاب وتوكل على الله واظهر القبول وعوّل على المسير

وحينئذٍ اظهر الجناب الخديوي الافخم لسيدي الوالد استحسانهُ ولم يكن من قبل اشار اليهِ بشيء من ذلك فاخبرهُ مشافهةً انهُ لم يخاطبهُ بشيء من هذا الامر خشية المبادرة الى الموافقة ولو يكون كارهاً لذلك في نفسهِ فيتضرَّر وهو لا يودُّ انهُ يتضرر قال الجناب العالي مخاطباً لهُ " فجعلت الكلام اليك من غيري وقلت في نفسي ان قبِل حصل المراد وقلنا ذلك ما كنّا نبغي وان امتنع لم نحملهُ على ما يكره " هكذا اخبرهُ بعد ذلك بحضوري في اول مرَّة مثلنا فيها بين يديهِ بعد قبول سيدي رياسة ذلك الوفد فللّه ما الطف هذه الشمائل واشرف هذه الفضائل واكرم هذه الاخلاق

وبعد ذلك جرى الكلام في تعيين باقي الوفد والمذاكرة في لجنة الماليَّة بخصوص المصاريف اللازمة للسفر والمداولة في مجلس النظار وكتب من رياسة

المجلس المشار اليهِ في ٢٧ شعبان سنة ١٣٠٦ الموافق ٢٨ ابريل سنة ١٨٨٩ بنمرة ٣٢ الى نظارة المعارف ما نسختهُ

"بالجلسة المنعقدة يوم الخميس ٢٤ شعبان سنة ١٣٠٦ (٢٥ ابريل سنة ١٨٨٩) تحت رياسة الحضرة الخديويّة صار تلاوة المذكرة المقدمة من اللجنة الماليّة بتاريخ ١٨ ابريل المذكور نمرة ٣٢ الّتي رأَت فيها قبول احتساب المصاريف اللازمة للوفد العلمي المنتخب للحضور في الجمعيّة العلميّة الشرقيّة المزمع انعقادها في استكهلم عاصمة دولة السويد والنرويج في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٩ المركب من سعادة عبد الله باشا فكري وحضرات امين بك فكري والشيخ حمزة فتح الله ومحمود افندي عمر البالغ قدرها ٠٠٠٠٠٠ جنيهاً تقريباً من المصاريف الغير المنظورة وبالمداولة في ذلك تقرَّر الموافقة على ما رأَتهُ اللجنة الماليّة بالصفة البادية الذكر وان يُعلّى على المبلغ المذكور ٠٠٠٠ جنيهاً تعطى خاصة لسعادة عبد الله باشا فكري رئيس الوفد المذكور وبناءً عليهِ قد كتب في تاريخهِ لنظارة الماليّة بما لزم واقتضى تحريرهُ لسعادتكم لاجراء مقتضى ما تقرر"

وقد ارسلت نظارة المعارف هذه الافادة لسيدي الوالد بمكاتبة اخبرتهُ فيها باستعدادها لصرف المبلغ اليهِ متى شاءَ

واخذنا في استعدادات السفر والتفكر في طريقهِ الذي نتبعهُ بعد ان استلمنا المبالغ الّتي تعينت

استعدادات السفر

ان الوقت المعين لانعقاد المؤتمر قد صادف فصل الصيف الّا ان صيف أوروبا ليس كصيف بلادنا في امر الحرّ بل هو بارد لا سيما في العاصمتين اللتين هما مقرّا المأموريّة اذ هما واقعتان على نحو درجة ستين من العرض الشمالي ومصر واقعة على نحو درجة ثلاثين منهُ فمهما كان الصيف في تلك الجهات فانهُ لا اقل من انهُ يشابه الشتاء عندنا فناسب الاستعداد على ملابس توافق هذا الغرض فأخذنا معنا ما نستعملهُ هنا في الشتاء لاستعمالهِ هناك متى مسّت الحاجة اليهِ

واخذنا ملابس التشريف مع ما يتبعها من السيوف المتمّمة للهيئة لما علمناهُ من ترتيب المؤتمر فأنّ فيهِ لزوم التزيي بها في كثير من احتفالاتهِ الرسميّة الّا ان وضع السيوف مع الملابس الزمَنا ان نجعل لهما صندوقاً طويلاً لعدم التقيّد بحمل السيوف في تنقلاتنا على كثرتها ولخفّة امر الحمل علينا اذ صارت بهذه الواسطة تنتقل مع المتاع حيث ما انتقل بدون ان نتكبّد ادنى مشقّة بخصوصها

ولم نأخذ فرشاً ولا غطاء ولا أدوات وضوء ولا مأكل لعلمنا انَ الفنادق بها من ذلك ما يلزم وزيادة خلافاً لما رآهُ البعض فانهُ اخذ منها ومن غيرها مما لا لزوم لهُ من غِطاء وطسوت وعلب كعك وغيره حمّلتهُ مصاريف كثيرة خصوصاً الكعك فانهُ صرف عليهِ في كمارك البلاد الّتي مررنا عليها اضعاف ثمنهِ في كل كمرك حتى اضطرَّ اخيرًا لارجاع تلك الاشياء من باريس بمصاريف كما سيرد عليك ايضاحهُ عند ذكر مقامنا بباريس

اما كيفيّة المأكَل والمشربَ والمبيت فلم نجد حاجة لزيادة الفكر فيها فان الفنادق متكفّلة بذلك

اما المبيت فالامر فيهِ ظاهر فانك ترى في الفنادق الكبيرة المستحدثة عندنا (اللوكاندات) من النظافة وحسن الاتقان وشدة الاعتناء ما يغنيك عن ان اطيل شرح نظافة الفنادق هنالك واتقانها ومزيد الاعتناء بأمرها

واما الاكل فالامر فيهِ اسهل مما يرى بادئ بدء وذلك لان المشكوك فيهِ منهُ اللحوم سواء كانت من طير او حيوان غيره وهذه يجوز لنا اكلها فان الذين قصدنا بلادهم هم من اهل الكتاب فيجوز لنا اكل ذبائحهم وليس للشك تأثير في طهارة ما يؤكل في تلك الفنادق غاية ما يقال انهم يستعملون لحم الخنزير فيها ولكن ذلك مدفوع بان قوائم الاكل مبيَّن فيها الاصناف كلها فنستدل بواسطتها على الاطعمة المعمولة من هذا النوع وعلى التي دخل شيء منهُ في تركيبها فنبتعد عنهُ

وامَّا اواني الاكل والشرب فلا وجه لاعتقاد عدم طهارتها لانهم لا شك يغسلونها بالماء الطهور القراح ولان الاصل في امثال ذلك الطهارة ولا نُنجّس بالشك ولا ينبغي التعمق في ذلك ولا البحث فيهِ اذ ليس فيهِ فائدة دينيَّة وليس هذا بورع بل هو وسوسة ربما كبرت بالانسان فأدَّت بهِ الى ما لا يحمد وقد اجاز لنا الشرع الشريف أن نأكل من مآكلهم ونستعمل ملابسهم ونصلي في ثيابهم بدون تطهير لها فقد اكل النبي صلى الله عليهِ وسلم من الجبن المجلوب من بلاد الروم ولا شك انهُ كان في آنية من اوانيهم ولم يثبت غسلهُ قبل اكلهِ وتوضأ امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ من جرَّة نصرانيَّة واعطى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجههُ ثياباً أُهديت اليهِ صلى الله عليهِ وسلم من بعض ملوك المسيحيين فلبسها عليّ وصلى فيها وما ثبت انهُ غسلها قبل

ذلك ومعلوم ان المقوقس عزيز مصر اهدى النبي صلى الله عليهِ وسلم ثيابًا وأواني زجاج وعسلاً وثبت اكلهُ منهُ صلى الله عليهِ وسلم واستعمالهُ للثياب ولو امرنا بغير ذلك لضاق المتسع وقد قال صلى الله عليهِ وسلم (بعثت بالحنيفيَّة السمحاء) اي الشريعة السهلة والتعمّق في ذلك حرج في الدين منافٍ للسهُولة

واما الطهارة للصلاة فانها اسهل شيءٍ لان كل غرفة من غرف الفندق بها طستٌ وابريق من الصيني فلنا ان نصبَّ الماءَ في الطست ونغترف منهُ لاي عضو مع تلقي الماء المتساقط من العضو فيهِ مقلدين مذهب الامام مالك فالتقليد جائز ودين الله يسر واستعمال الانسان ذلك بنفسهِ بدون استعانة باحد فضلاً عن كونهِ الشرع سهل جدًا والاستعانة في الصب خلاف الاولى

واما استقبال القبلة فقد اخذنا معنا بوصلة وجدولاً نتعرَّف بواسطتهما القبلة اينما كنا

واما حلول اوقات الصلاة فنعلمهُ بواسطة الساعة وجدول اوقات الليل والنهار

هذا ما رأيناهُ ولم نلتفت الى ما رآهُ بعض السادة اصحابنا واشار بهِ على بعض الرفقاء من استصحاب فرَّاش وطبَّاخ فان ذلك ربما جرَّ الى فسطاط وأواني للاكل والشرب فكيف تكون الحال مع طول المسافة وكثرة التنقلات والاقامة في البلاد الكثيرة الَّتي عزمنا على الاقامة فيها اياماً معلومة والَّتي يضطرنا حال السفر للاقامة فيها ساعات ولم اذكر هذا الرأي الا على سبيل الفكاهة اذ يكفي لتزييفهِ مجرَّد ذكرهِ

ولم نلتفت لمن اشار بالاقتصار في الاكل من الفنادق على البيض والجبن

والمخللات فان هذه فضلاً عما فيها من اضعاف الصحة وازهاق النفس وعدم التعوُّد عليها وقلة كفاية تغذيتها في تحمل مشقَّات السفر الطويل مع شدَّة برد البلاد واحتياجها الى الاغذية المقوية من اللحوم لا يمكن الجزم بطهارتها دون غيرها لو فتحنا باب الشك

اما من اشار علينا بتهيئة اطعمتنا بانفسنا فهذا يجهل اننا لا يمكننا القيام بهذا العمل لعدم معرفتنا بهِ ويجهل حال الفنادق الَّتي عزمنا على النزول بها ويجهل انها يجب ان تكون من الدرجة الاولى رعاية لراحتنا ولصفتنا الرسميَّة ويجهل انها على طراز غير طراز الخانات والوكائل المعروفة في القديم بمصر ويجهل انهُ يجهل الحقيقة في هذا المعنى فهذا لا نذكر رأيهُ باكثر ممَّا قلناهُ

هذا وقد اجمعنا على ان النزول يكون في الفنادق وعلى انتقاء احسنها واعلاها لكن من ذا الذي يدلنا عليها في كل البلاد الَّتي ننزل فيها ومن ذا الذي يضمن لنا اننا لا يطلب منا فيها الاَّ الواجب دفعهُ فقط مع الزي الشرقي الذي يُطمع في المتزيي بهِ فان كان بالسؤَال عنها من كل بلدة فهذا امر يطول شرحهُ وربما تعذَّر احياناً وتعسر غالباً فاخذنا في امعان النظر واجهاد الفكر فلم نجد أوفق لغرضنا من السفر بواسطة شركة كوك واولادهِ فان طريقتها هي الَّتي توافقنا وقد اتبعناها كما سترى

وذلك ان هذه الشركة لها اتفاق مع كثير من الشركات الَّتي باطراف الدنيا بريَّة او بحريَّة فما على المسافر الاَّ ان ينتخب الطريق الَّتي تناسبهُ ويبيّنها ويعيّن الدرجة الَّتي يرغب النزول فيها ويدفع المبالغ اللازمة الى بيت كوك في البلدة الَّتي يريد السفر منها فيأخذ منهُ كراسة اوراقها بقدر عدد البلاد

الّتي يرغب السفر اليها او المرور عليها تكون كل ورقة منها تذكرة توصلهُ من بلدةٍ الى أُخرى من البلاد الّتي يقصدها في البر وفي البحر بدون استصحاب دراهم لانتقالاتهِ برًّا وبحرًا فيستغني عن مشاق اخذ التذاكر من كل بلدةٍ الى غيرها وهذه التذاكر تعطى اليهِ من طرف بيت كوك بغير زيادة على اثمانها الّتي تصرف بها من محلاتها لو أَخذها من هذه المحال بغير واسطة كوك

وربح كوك يعود اليهِ من نفس الشركات البريّة او البحريّة فيما تتركهُ لهُ عند المحاسبة ممَّا نقدهُ المسافر اياهُ في مقابلة ما يجلبهُ لها من المسافرين فكما ان الشركات تنتفع منهُ بذلك فهو ايضاً ينتفع منها ولا ضرر على المسافر ماليًّا بل ربما انتفع هذا المسافر في سفرهِ بواسطة كوك احياناً فانهُ قد توجد اتفاقات خصوصيّة بين كوك وبعض الشركات من مقتضاها تنزيل شيءٍ عن المعتاد في كل مائة للمسافرين بواسطتهِ فهم يدفعون اليهِ في هذه الحالة اقل ممَّا كانوا يدفعونهُ لو اخذوا تذاكرهم بدون واسطتهِ

ولهذا البيت اتفاق مع كثير من الفنادق المعدودة من الدرجة الاولى بجميع المدن الّتي يسافر اليها في انحاء الدنيا واقسام المعمورة شرقيها وغربيها وتعرف بالاطلاع على قائمة مطبوعة تعطى منهُ الى المسافر بحيث يجد فيها تحت اسم كل بلد فنادق متعددة فينزل في اي واحد اراد منها ولا يدفع فيها نقدًا بل يُعطى اليهِ بيت كوك من مبدإِ سفرهِ كراسة — غير كراسة التذاكر السابق ذكرها — تشتمل على اوراق متعددة كل واحدة منها تعطى لهُ الحق في النوم واكل الصبح والظهر والعشاء فهي مقسمة الى اربعة اقسام مفصولة عن بعضها بمثل الفواصل الّتي تفصل طوابع البوستة فاذا نام اعطى ورقة النوم واذا افطر اعطى ورقة الافطار واذا اكل

وقت الظهر اعطي ورقة الظهر واذا اكل في وقت الغروب اعطي ورقة العشاء وكل ورقة مُبيِّنٌ فيها انواع المآكل الَّتي لهُ الحق في طلبها في كل مرَّة من هذه المرَّات ثم يحاسب صاحب الفندق بهذه الاوراق بيت كوك

فاذا اتى المسافر اي بلد فما عليهِ الَّا ان يخبر قائد العربة عن اسم الفندق الذي يقصدهُ وكثيرًا ما يجد رجالًا من تلك الفنادق في انتظار الوابورات واحيانًا في المدن الكثيرة الزحام يجد مخصوصين من بيت كوك نفسهِ يعرفهم باسم المحل المكتوب على برنيطة كلٍّ منهم فيعطيهم تذكرة امتعتهِ وهم يوصلونها اليهِ وهو يركب في عربة الفندق او في اي عربة شاء فيصل بغاية الراحة اليهِ وهؤلاء الرجال يجدهم ايضًا في وقت الارتحال فيساعدونهُ في توصيل امتعتهِ الى المحطة وفي التأشير على التذاكر الَّتي بيدهِ

واذا اتى الفندق أعلن ان معهُ اوراق كوك فيعطى غرفة تناسبهُ ويدفع اجرة الفندق في كل المدة الَّتي يقيمها بهِ اوراقًا من الاوراق الَّتي ذكرناها فيما مرَّ

فاذا اكل الانسان جميع اكل النهار (ثلاث مرات على ما مرَّ) ونام بهاتهِ الفنادق الَّتي هي من الدرجة الاولى كما سبق لا يعطي اكثر من ورقة يوم باربعة اقسامها وهي قد دفع قيمتها لبيت كوك في مبدإ سفرهِ نصف ليرة انجليزيَّة عن قارة اوربا و ١٣ فرنكًا ونصفًا وربعًا الى ١٥ فرنكًا عن بلاد انكلترا و ١٥ فرنكًا وستين سنتيمًا عن مدن اميركا والصين واليابان و ٩ فرنكات وخمسين سنتيمًا عن مدن الهند ونحو نصف ليرة عن باقي بلاد العالم في الغالب

مع انهُ قد يدفع المسافر اكثر من هاتهِ المبالغ في مبيت ليلة واحدة بفندق اقل درجة لو لم تكن معهُ هذه الاوراق خصوصًا للمتزيي بملابسنا الشرقيَّة

فاذا رأى المسافر ان الفندق الذي نزل بهِ بعيد عن المركز الذي يقصدهُ امكنهُ في اليوم التالي انتخاب فندق غيرهُ من الفنادق المرتبطة بشركة كوك في البلدة نفسها يوافق غرضهُ اكثر من الاوَّل والحصول على هذا اهون شيء بسؤَال احد المسافرين معهُ او غيرهم

فاذا صادف في اثناء الاقامة فندقاً من هذه الفنادق غير الذي هو فيهِ واراد الطعام امكنهُ ان يدخلهُ ويتعاطى الطعام بهِ ويدفع في هذا الفندق ورقة ذلك الطعام من الاوراق الَّتي معهُ ولا يعطيها في الفندق الذي هو نازل بهِ عن هذه الاكلة فإن كل اكلة اكلها خارجهُ لا تحسب عليهِ فيهِ

وسنذكر لك اننا تغدينا بورقة من تلك الاوراق في فندق على جبل بقرب لُوسِرْن من اعمال سويسره يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٨٠٠ متر مع اننا كنا نازلين بأَحد فنادق لوسرن

واذا اتفق ان المسافر لم يستعمل بعض تلك الاوراق فلهُ ان يعيدها لبيت كوك وهو ينقدهُ قيمتها الَّتي دفعها لهُ فيها بنقص عشر ما دفعهُ اليهِ فقط ويمكنهُ التفادي من هذا النقص بأَن يأْخذ من هاتهِ الاوراق بقدر ما يلزمهُ فاذا احتاج لشيء منها بعد ذلك اخذ ما يحتاج اليهِ من نوعها من اي بيت من بيوت كوك الموجودة بكل بلدةٍ من البلدان المشهورة المعلومة لهُ في الجدول المبين فيهِ اسماء الفنادق السابق ذكرهُ

واذا احتاج الى استفهامات او مكاتبات او اشخاص يدلونهُ على جهات يريد زيارتها فبيت كوك في كل بلد مستعد لان يعطيه كل ذلك بمجرد طلبهِ بدون نقد وليس عليهِ الَّا اجر الدلاء فقط وبيت كوك مع ذلك يبيِّنها لهُ

ويجد في هذه البيوت كثيرًا من كتب الدلائل والخرائط وتذاكر الوابورات لجميع الجهات وكثيرًا ما يوجد في الفنادق الّتي بالبلاد الكبيرة مثل باريس وغيرها مكاتب مخصوصة اقامها كوك لهذا الغرض فيكون المسافر ودليلهُ في محل واحد وما كأنهُ الاّ ارسلهُ من قبل بالخصوص لخدمتهِ ولتلقي أوامرهِ فاذا اراد ان يستعلم عن قيام وابور او عن اي جهة او ان يكتب تلغرافًا لناحية او يحجز مكان برسمهِ في فندق او في وابور بحر تكفل البيت بذلك وليس على المسافر غير دفع اجرة التلغراف ليس الاّ

فاذًا ينبغي للمسافر ان يوسط هذا البيت في امر سفرهِ نظرًا لراحتهِ وعدم تشويش ذهنهِ بامور السفن وخلوّ بالهِ من التفكر في متاعبهِ فأخذنا منهُ ما رأينا لزومهُ لنا من تذاكر الفنادق وما يلزمنا من تذاكر السفر في البر والبحر للطريق الذي انتخبناهُ

وقد فاتنا ان نسلم فرع بيت كوك بمصر ما معنا من النقود الّتي لا نريد حملها ونرغب الاخذ منها تدريجًا في اثناء السفر حسب اللزوم فاننا سلمناها الى بنك الكريدي ليونيه واخذنا بها تحويلاً محررًا منهُ لسائر عملائهِ في الجهات الّتي قصدناها بان يدفعوا لنا المبلغ المبين بهِ كلهِ او بعضه تحت رغبتنا اما لو كنا اخذنا هاتهِ المكاتبة من بيت كوك بمصر لعملائهِ في الجهات لكنا ارحنا انفسنا من مؤنة الذهاب الى عملاء البنك المذكور كلما احتجنا الى نقود واكتفينا ببيت كوك فقط في كل بلد نزلنا بها واخذنا منهُ ما نحتاج اليهِ من النقود مع ما يلزم من الاستفهامات وعلى كل حال فقد اصبنا في ايداع مبالغنا بالبنك اذ ارحنا انفسنا من ثِقَل حملها والمحافظة عليها طول السفر واشتغال البال بها وتعريضها لخطر

الضياع والسرقة

فاذا عرفتَ بيت كوك وكيفيَّة اعمالهِ وانتشارهُ في انحاء العالم ومساعداتهِ للمسافرين وادركتَ ما في ذلك من الترغيب في السفر وتعميم استعمالهِ وما في هذا التعميم من النفع العظيم لما يترتب عليهِ من اختلاط الشعوب المختلفة الجنس والمذهب وائتلافهم بواسطة التعارف بعد اختلافهم وتصورتَ ما يلزم لمثل هذا العمل المهم من الاشخاص وما يستلزمهُ من المصرف وما يستوجبهُ من حسن الادارة وكمال الانتظام واضفتَ الى هذا ان الترتيب والاحكام بلغا بهِ الى حد انهُ عيَّن دلّلاء مخصوصين لمن يريد ان يدور حول الارض مرة في كل سنة في اشهر معلومة فيمرون باميركا وولاياتها المتحدة ثم باليابان والصين ومدنها العامرة والهند وبلادها الفاخرة ومصر وآثارها الظاهرة والشام وامكنتها الزاهرة ثم اثينا والقسطنطينيَّة وايطاليا حتى يعودوا بهم الى حيث خرجوا اولاً ويتعهد هؤلاء الدلّلاء من طرفهِ للمسافرين بمصاريف السفر في البر والبحر ومصاريف الفنادق والركائب ورسوم المنتزهات ومواضع التفرج حتى ما يعطى للخدم من الاحسانات بحيث ان السائح من هؤلاء متى دفع المبلغ المحدود وهو ١١٣٦٢ فرنكاً ونصفاً وحضر في الوقت المعهود استلم دفتر اسفارهِ وسار بهداية دليلهِ مع باقي الرفقاء متفرجاً على الآثار بواسطة هذا الدليل عالماً حقائقها بترجمتهِ واقفاً على اسرار البلاد التي يجول بها بدلالتهِ مطلعاً على اخلاقها وطبائع اهلها وعاداتها مستعيناً في ذلك بمعلوماتهِ مستغنياً بمعرفة هذا الدليل عن السن هاتهِ الامم المختلفة في درجات المدنية والحضارة المتباينة في العوائد والاخلاق حتى اذا اقام المدة المعينة في كل بلد وفرغ من الوقوف على آثارها ومعرفة نظامها انتقل الى غيرها في البر او البحر لا تلويهِ عن قصده الجبال

والبحار ولا تثنيهِ عن عزمهِ الفيافي والقفار فيصل الى حيث ابتدأ من غير ان يلوي عنان السير عن الامام في الوقت المعين بالضبط والتمام وعلمت ان هذا البيت المنتشرة فروعهُ وهذا الاصل الممتدة افنانهُ وغصونهُ في انحاء المعمورة قام بتأسيسهِ رجل واحد وهو توماس كوك اجتهد فوصل وجد فوجد رغبت من غير شك في معرفة هذا الرجل و بعض من تاريخهِ فان كان هذا فاليك البيان

ولد توماس كوك المذكور مؤسس هذا البيت في سنة ١٨٠٨ من ابوين فقيرين ويتم من ابيهِ وهو ابن اربع سنوات فخرج من المكتب بعد تعلم القراءة والكتابة وخدم في اول امرهِ عند احد البستانيين باجرة صولديين في اليوم ثم تعلم صناعة خراطة الخشب من خالٍ لهُ وعمل فيها بضع سنين ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر نهض بعض ابناء مذهبهِ ينادون ضد شرب المسكرات فانضمَّ اليهم وانتخب كاتباً لمجمعهم وكان اعضاء هذا المجمع يذهبون من مكان الى آخر لعقد اجتماعاتهم فخطر لهُ ان يسهل لهم الانتقال بسكة الحديد وكانت سكة الحديد في بدء نشأتها فاجاب مديرها طلبهُ وهو لا يعرفهُ

وفي ٥ يوليوسنة ١٨٤١ اخذ ٥٧٠ راكباً وذهب بهم الى بلد بينها و بين البلد الذي قام منها اثنا عشر ميلاً باجرة قدرها خمسة قروش عن كل نفس ذهاباً واياباً وكانت الاجرة قبل ذلك كثيرة جداً فتلقاهُ اهل المدينة التي قصدها هو وركابهُ بآلات الطرب ومزيد الاحتفال

ولما ذاق ثمرة الظفر تنبهت عواطفهُ كلها نحو هذا العمل فاستمرَّ فيهِ حتى ذاع صيتهُ وصارت كل جماعة تألفت وارادت الذهاب من مكان الى آخر للتنزُّه تقصدهُ ويتولى تسفيرها وينجح في ذلك نجاحاً عظيماً

فساعدهُ هذا النجاح على استمرار العمل واتباع هذه الخُطة فاتفق مع مديري السكك الحديديّة على تخفيض الاجر بالنسبة لركابهِ حتى كان يأْخذ الرجل مسافة مائة ميل بخمسة قروش والصبي بنصف هذا القدر ولم يقتصر على مجرد تنزيهم بل زاد عليهِ ان يطلعهم على الامكنة الشهيرة والقصور المشيدة والآثار القديمة

وصار يمد دائرة اعمالهِ من بلد الى بلد ومن مدينة الى اخرى حتى تمدت بلاد انجلتره وعمت سكتلندا وايرلاندا وتخطَّت الى باريس ومنها الى باقي اوروبا فمدن اسيا وافريُقية واميركا والاوقيانوسيَّة

وقد احتفل ابنهُ واولاد ابنهِ في لونديره في شهر يوليو الماضي سنة ١٨٩١ بعيد الخمسين (اي خمسين سنة مرت عليهِ منذ شرع في عملهِ وقد تقدم ان ذلك كان في يوليو سنة ١٨٤١) فحضر هذا الاحتفال أمراء المملكة وعظماء الحكومة واعيان الجند واكابر الكتَّاب تشييداً لمجد هذا الرجل الذي كان السبب في تعارف الامم والواسطة في تحابيهم ومعرفتهم قدر بعض

وقد وصل بجدهِ وكدهِ الى هذا النجاح العظيم وبعد ان كان بيتهُ في اول امرهِ يدير اعمالهُ ثلاثة اشخاص فقط صار الآن يتبعهُ ٢٧٠٠ مستخدم من جميع الاجناس والملل منتشرين على سطح الكرة الارضيَّة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وبعد ان كان بيتهُ واحداً في البلد الذي ابتدأ اعمالهُ فيهِ ليس لهُ خلافهُ في غيرهِ صار الآن بيت اعمالهِ العمومي بلندره ولهُ فيها غيرهُ ١٢ فرعاً وفي بلاد الانجليز ١٦ فرعاً وفي باريس ٣ فروع وفي باقي انحاء العالم اكثر من ١٠٠ فرع وبعد ان كانت علائقهُ في اول الامر مع بعض شركات قليلة وفنادق

يسيرة صار الآن لهُ حساب جارٍ مع ٥٠٠ شركة سكك حديديّة ووابورات بحريّة و ٨٠٠ فندق من الفنادق الشهيرة وبعد ان كانت اعمالهُ قاصرة على نقل الركاب من مكان الى آخر شملت توصيل نقودهم اليهم في اي محل يريدون والقيام بامور اكلهم وشربهم وركوبهم ثم بعد ان كان واسطة بين ركابهِ والشركات الحديديّة او البحريّة صار هو ايضاً زيادة على ذلك مالكاً لبعض الخطوط الحديديّة كالخط الصاعد بالمتفرج الى جبل (بركان) ڤيزوف ولبعض الخطوط النهريّة كخط النيل من مصر القاهرة الى الشلال الاقصى للسائحين ومن اسيوط الى الشلال للبوستة وسائر المسافرين فلهُ فيهِ عدة وابورات فضلاً عن الذهبيات العديدة وبعد ان كانت اعمالهُ قاصرةً على الآحاد شملت العساكر واللوازم الحربيّة فقد تعهد للجيش الانجليزي بنقل عساكرهِ ومهماتها وما يلزمها من الآلات والأدوات في أجل محدود ايام حملة اغاثة غوردون باشا سنة ١٨٨٤ فنقل ١١٠٠٠ عسكري انجليزي و ٧٠٠٠ عسكري مصري و ١٣٠٠٠٠ طونولاطه من لوازم الحرب و ٦٥٠٠٠ طونولاطه فحم حجري من الاوقيانوس الاطلانتيقي ومصر الى الشلالات فالسودان حيث كانت الثورة منتشرة سائدة فأوصلهم كما تعهد في الأجل المعهود للمكان الموعود وبعد ان كانت اسفارهُ قاصرةً على السياحة واستطلاع احوال البلاد عمت زيارة المحلات المقدسة تأديةً للواجبات الدينيّة فكأنهُ وقد سهل جميع الطرق لمريدي السفر بواسطتهِ في الدنيا حيث ساعدهم على الوصول الى جميع جهاتها بغاية ما يتصور من السهولة والراحة وما يمكن من المهاودة في الاجرة اراد ان يساعدهم في تسهيل طريق الآخرة لهم على حسب اعتقاد كل فيما يذهب اليهِ بعين التسهيلات التي عودهم عليها فهو ينقل الالوف المؤلفة من مسلمي الهند (٤٠٠٠٠ في السنة)

الى الاقطار الحجازيّة لاداء فريضة الحج ويعيدهم الى حيث اتى بهم كما ينقل طوائف المسيحيين من انحاء العالم الى الاماكن المقدسة لاداء واجباتهم الدينيّة وبعد ان كان المسافرون الّذين ينقلون بواسطتهِ في اول الامر يحسبون في السنة بالمئات صاروا الآن يحسبون بالملايين ينتقلون آكلين بائتين آمنين في اماكن تحت اسمهِ بكل جهات المعمورة وبعد ان كان ايرادهُ السنوي في اول عملهِ شيئاً لا يذكر صار ايراد يومهِ الآن اضعافَ ايراد سنة في اول نشأتهِ

فهذا الرجل الذي كان في اول امرهِ خادم بستاني كما قلناهُ وترقى الى خرّاط قد بلغ الى هذه الدرجة العليا من الثروة والسيادة بكدهِ وجدهِ وقد استمرّ سنين طويلة يشتغل مع اولادهِ في اعمالهِ هذه ١٨ ساعة في كل ٢٤ ساعة

وهذا الذي حضر الاحتفال بعيدهِ الخمسيني الامراء والكبراء والشعراء والوزراء واعتذر لهُ بالتلغراف من منعتهُ منهم اعذار ضروريّة عن الحضور مثل المستر غلادستون والجنرال ولسلي وهذا الذي ارسلت الحكومات الاجنبيّة مندوبين من قبلها لحضور احتفالهِ منهم مندوب مولانا الخديوي الفخيم تهنئةً لهُ وتشجيعاً لاعمالهِ الّتي قام بها في نفع النوع البشري طالما قاسى شدائد المعيشة وعانى صعائب الاهوال في طريقهِ فاحتمل مزح المازحين وسُخط الساخطين وذم الشعراء والقائلين فيهِ وفي مسافريهِ المتعددين حتى اشاع بعض معاكسيهِ عنهُ انهُ اجير من طرف الحكومة الانجليزيّة لتخليص بلادها من اشرار المفسدين وكبار المجرمين وتشتيتهم عنها في اربع جهات المسكونة ولم يلوِ عنان عزمهِ شيءٌ من هذا بل استمرَّ في طريقهِ غير مبالٍ بشقشقة الحاسدين مستعيناً بما ينفقهُ من الاموال الطائلة في سبيل اشهار عملهِ واذاعتهِ واستجلاب الناس اليهِ بواسطة

جرائد خصوصيّة تصدر باسمهِ في لوندرة وباريس ونيويورك وبومباي وملبورن فضلاً عن غيرها من الاعلانات والمطبوعات ككتب الدلائل عن سائر الجهات حتى بلغ ما خصصهُ بهذا الشان في السنة الواحدة نصف مليون من الفرنكات فتعودت الناس معهُ على الاسفار ورغبت بواسطتهِ في السياحة وارتاحت لطريقتهِ في استطلاع احوال الأمم وآثارها قريبة وبعيدة وكان في مقدمتهم ابناء جنسهِ ومواطنيه بعد ان كان الكل في غاية التخوف من الاسفار حتى كان يوصي بعضهم في اول الامر على اهلهِ وعيالهِ ومالهِ قبل ان يركب الوابور ولو بعض ساعات فصارت الأسفار بهمة هذا الرجل وتسهيلاتهِ من الاشياء المعتادة يرغب فيها الفقراء والاغنياء ومن الامور السهلة مهما بعدت البلاد المقصودة واتسعت بواسطتهِ السكك الحديديّة وامتدت وانشئت الخطوط البحريّة وتعددت وعرف الناس اخلاق معاصريهم وعاداتهم وتجولوا في بلادهم واختلطوا بهم فارتبطوا بروابط الالفة واتحدوا بجواذب التعارف واتفقت قلوبهم بواسطة التوادد حتى صار الناس اخواناً او كادوا وعلم كل منهم ما كان يفتريه لهُ المفترون وينمّ لهُ بهِ النامّون رغبةً في استمرار تفرقهم وطلباً لعدم اتحادهم وتآلفهم وصار اسم هذا الرجل المهمل في اول عمرهِ من الاسماء المشهورة في كل اقطار المسكونة من شرقها الى غربها وجنوبها وشمالها وعُرف حيث لا تعرف اسماء كثير من الملوك وكبار الساسة وانتفع الناس منهُ بزيادة اطلاعهم على اقاصي الجهات واكتسبت البلاد منهُ ما يصرفهُ السائحون فيها من المبالغ الوافرة واكتسب هو ايضاً حسن الذكر وشهرة الاسم والمال الكثير وانقلب سخريّة معانديهِ وقدح معاصريه ثناءً وحمداً حتى كان من الاحتفال بعيدهِ ما نحن بصددهِ الآن

وتوماس كوك عمره ٨٣ سنة الآن واعماله يديرها ابنه جون كوك واولاد ابنهِ هذا مشتركين جميعاً في اجتناء الثمرات بدل ما لاقوه في السابق من الاتعاب والصعوبات

وحيث انتهى بنا الكلام عن بيت كوك واستعداده وقد اتممنا معدات السفر كما مرّ فهلمّ بنا نتحدث عن طريقهِ في الفصل التالي

وانما نذكر لك هنا بمناسبة معدات السفر ما كان اشار بهِ البعض من استصحاب خادم معنا مع انهُ لا حاجة لنا بهِ فانا لو اخذنا هذا الخادم من خدامنا الموجودين للزمنا مساعدته والترجمة لهُ في كل اعمالهِ فيكون في ذلك من عكس المقصود وقلب الموضوع ما لا يخفى وان اخذناه ممن يعرف اللغات فهذا لا لزوم لهُ فأن فينا من يعرف الفرنساوية ويتكلم بها وهي تمكن العارف بها من السياحة في كل انحاء الدنيا فاهماً مطلوبهُ مفهماً مقصوده كما جربنا ذلك في هذه الرحلة هذا فضلاً عن ما نتحملهُ من مصاريف هذا الخادم مع عدم الحاجة الى خدمتهِ فان الفنادق ومحلات السفر ملآى بالخدم وبمن يساعد في نقل الأمتعة ويسهل امرها وقد سبق القول بالتخفيف منها والاقتصار فيها على الضروري اللازم واذا دعت الضرورة الى شيء منها امكن تداركهُ في المكان الذي ينزل فيهِ باحسن واوفر واسهل من تداركهِ قبل السفر

طريق السفر

قد صادف وقت المؤتمر زمن المعرض العمومي بباريس وهذا مماّ تتعلق بهِ الآمال وتصرف فيهِ الاموال ويهرع اليهِ من جميع الاقطار وتتساءل عنهُ السفار والحضار وتعتني الناس على اختلاف أصنافها واغراضها بزيارتهِ فرأينا ان لابد ان نزورهُ واخذنا نتداول في وقت هذه الزيارة هل تكون بعد اتمام المأمورية والعودة من السويد او قبلها واستحسنا الثاني فانحط الراي عليهِ لانهُ كلما تأخر الوقت قرب الشتاء واشتدَّ البرد فاذا نحن عجّلنا بزيارة المعرض لم يكن علينا بعد المؤتمر الاَّ العودة الى مصر بخلاف ما لو اخّرناها فاننا نصادف فيها وقت حلول البرد ولا نتمكن من الاطلاع على المعرض كما نحب

وحيث تقرر ذلك بقي علينا انتخاب الطريق الذي نسلكهُ من الاسكندرية الى باريس ومنها الى استكهلم هل نتخذ الطريق الأقرب او نتخذ الطريق الذي نمرُّ فيهِ على مدن شهيرة وعواصم كبيرة اكثر من غيرهِ فتكون السياحة اوفى وافضل واكمل واوسع واشمل فيتميز على الاول بهذه الصفة فرأينا ان نتخذ الطريق الثاني دون الاول فاننا لو قصدنا باريس من الطريق القريب لكان السير بطريق مرسيليا بحراً ومنها الى باريس برّاً ولم نتمتع برؤية بلاد كثيرة بخلاف الطريق الذي اخترناهُ فاننا عزمنا فيهِ على زيارة ثغر تريستْه والانعطاف منها على وِينيسيَا بلد البنادِقَةِ ومنها على مِيلاَنُو من اعمال ايطاليا ثم نمرُّ بممرسَانْ جُوتَارْ ونجتاز منهُ الى السويسرة للتمتع بمناظرها الزاهية الزاهرة ومواقعها الناضرة الباهرة وبحيراتها العجيبة وأوديتها الغريبة ورؤية احسن مدنها وهي لُوسِرْنْ ثم نذهب من السويسره الى فرانسا بطريق بَالْ ثم باريس

واخذنا نفتكر بعد ذلك هل نسير من باريس الى استكهلم باقرب الطرق او نُعَرِّج على انجلتره ومنها نقصد هولنده فنزور مدينة ليدْنْ الشهيرة بمؤتمر العلوم المشرقيَّة السادس ونرى مكتبتها المشهورة بالكتب المشرقيَّة ونخص بالزيارة مطبعتها المختصة بالمطبوعات العربيَّة ثم نقصد الدانيمارك بعد المرور على لاَهي وزيارة أَمْسْتِرْدَامْ فنبيت ليلة بكولونْيَا من المانيا ونزور كوبِنْهاجْ عاصمة الدانيمارك فبعد تبادل الآراء واختلاف الاهواء والتأمل الكثير والتعسير والتيسير واعتبار ان هذه الفرصة لا يتمكن منها الانسان في كل زمان انحط الراي على هذه الطريق الاخيرة وانعقدت النيَّة على التوجه بعد ذلك من كوبنهاج الى مَالمو ثغر السويد من جهة الجنوب ومنها الى استكهلم عاصمة البلاد السويديَّة ومقر المأموريَّة وعزمنا على تغيير الطريق في العودة للتمكن من مشاهدة عاصمة المانيا ثم التمتع بعاصمة النمسا فنصل بعدها ثغر تريسته حيث ابتدأنا ومنهُ الى الاسكندريَّة .

ولو اردت ايها القارئ العزيز معرفة هذه المسافة متأملاً في خريطة من خرائط اوروبا موجهاً نظرك نحو مصر في افريقية جائزًا بالبحر الابيض المتوسط مارًّا بكريد فبرندزي فتريسته سائرًا منها على الطريق الذي سبق ايضاحهُ حتى تصل استكهلم صاعدًا فوقها الى أُبْسَالاَ معرجاً نحو اليسار الى كرستيانيا ثم منها جنوباً الى جوتَنْبورج فهلسنبورج فهلْسنجور فكوبنهاج ثم منها الى سْتِتّين ومنها الى برلين فويانه فتريسته فاسكندريَّة لَتَصورت المسافة الَّتي قطعناها ولم تستكثر تسعة وستين يوماً قضينا نحو عشرين منها في باريس وخمسة عشر في السويد والنرويج من يوم بارحنا مصر حتى عدنا الى الاسكندريَّة بل ربما استغربت وتعجبت من قطع تلك المسافات في قليل من الاوقات

في السفر الى الاسكندرية (١)

في يوم الجمعة ٢١ من ذي القَعدة سنة ١٣٠٦ من الهجرة النبويّة الموافق ١٩ من يوليو الافرنكي سنة ١٨٨٩ من الميلاد توجهت الى موقف سكة (٢) الحديد خارج القاهرة عند محل باب الحديد (٣) لاجل المسير الى الاسكندريّة بقصد السفر الى اوربا لحضور المؤتمر ومعي من الوفد ولدي امين بك فكري وكان هناك في انتظارنا رفيقنا محمود افندي عمر واما رفيقنا الآخر حضرة الشيخ حمزة فتح الله فكان قد سبقنا الى الاسكندريّة قبل ايام قلائل ليوطن بها أهلهُ عند انسبائهِ الى حين العودة من السفر وحضر لوداعنا جماعة من أَصدق اصدقائنا واجلاء اخلائنا جزاهم الله فضلاً ولا شتت لهم شملاً وجماعة كرام افاضل من

(١) هذا الفصل والذي بعدهُ الى محل مخصوص منهُ هما اللذان علّقهما سيدي الوالد العزيز في هذه الرحلة لا غير وقد كتبهما في صحف من الورق بصفة مسودة فنقلتهما كما هما

(٢) في لسان العرب السكة الطريق المستوى وبهِ سميت سكك البريد قال الشماخ

حنّت على سكة الساري فجاوبها حمامة من حمام ذات اطواقِ

اي على طريق الساري وقال العجّاج نضر بهم اذ اخذوا السكائكا

والسكة الزقاق وقيل إنما سميت الازقة سككاً لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل والسكة السطر المصطف من الشجر والنخيل وفي الحديث المأثور خير المال سكة مأبورة ومُهرة مأمورة المأبورة المُصلَحَةُ المُلقحةُ من النخل والمأمورة الكثيرة النّتاج والنسل وقال ابو حنيفة كان الأصمعيُّ يذهب في السكة المأبورة الى الزرع و يجعل السكة هنا سكة الحرّاث كأنهُ كنّى بالسكة عن الارض المحروثة ومعنى هذا الكلام خير المال نِتاج او زرع واضافة سكة الى الحديد من اضافة المكان للمكين كقولك دار الكتب و بيت المال

(٣) كان بقرب الموقف المذكور عند زاوية اولاد عنان باب من ابواب مدينة القاهرة يعرف بباب الحديد و بوابة الحديد خرِب واندثر وازيل فلم يبق لهُ عين ولا اثر

المعارف والمحاكم ومن المتشرعين وغيرهم جزا الله الجميع احسن جزائه وزادهم من عطائه

ثم سار بنا وابور الاكسبريس في اوائل الساعة الخامسة بعد الظهر واخذنا بأهداب المذاكرة في امر ما نحن بصدده من المأمورية وغير ذلك من شجون الحديث في مختلف من الشؤون حتى وصلنا الى الاسكندرية في نحو اربع ساعات مضت ولم نشعر كانها لمح بالبصر فتذكرت ما كنا نعانيه من الشدة ونقاسيه من طول المدة اثناء السفر الى اسكندرية و بالعكس وكذا الى طنطا وغيرها على الركائب في البر او المراكب في النهر قبل حدوث الوابورات وسكك الحديد اذ في مثل هذه المسافة التي قطعناها في ساعات قلائل كنا نسير مراحل نجهد فيها الرواحل ونضطر في قطعها الى أيام وليال وآجال طوال وأهوال وأوجال وربما حصل عائق في المسير ادى الى التأخير واقبل الليل فاظلنا الخوف والويل وكم مرة ادت الضرورة الى وقوف السفينة في جهة غير مأمونة وغير متيسر فيها وجود المعونة وتدارك المؤنة فنقاسي من البلاء وجهد الشقاء وحر الصيف او برد الشتاء وصعوبة الحال وجهل المآل والخوف على النفس والمال ما يضيق عنه نطاق المقال ويكاد يشيب من هوله الاطفال

فلما نشأت سكك الحديد هانت الاسفار وزالت الاخطار وتدانت الاوطان والاوطار وصارت الدنيا كانها دار

واول نشأة سكة الحديد بمصر والسفر فيها بالآلات البخارية كان في زمن عباس باشا المرحوم سنة ١٢٦٩ من الهجرة

وكان الانجليز قبل ذلك تكلموا في هذا الامر مع نزيل دار الرحمة

والرضوان الحاج محمَّد علي باشا جد العائلة الخديويَّة الحالية تغمده الله بغفرانهِ فطلبوا منهُ في سنة ١٨٣٧ للميلاد وهي سنة ١٢٥٣ هجريَّة بعد اتمام سكة حديد ليفربول[1] من بلادهم ان يعمل خط سكة حديد في مصر يمتد من القاهرة الى السويس لتسهيل نقل البضائع بين الهند وبلادهم فأَجابهم الى ذلك واتفق مع بعض بيوت التجارة بانجلتره على جلب ما يلزم لذلك من القضب والآلات والادوات وحضر بعضها بالفعل ولكن طرأَت في اثناء ذلك موانع حالت دون اتمام هذا الامر كان منها تعرض دولة فرانسا للمعارضة في ذلك وبقيت القضبان الَّتي جلبت لهذا الغرض الى ان استعملت في سكة حديد انشئت عند ناحية طره بين النيل والجبل لنقل الحجارة والدبش الى ناحية القناطر الخيريَّة بغير آلات بخاريَّة ثم تخلى عن حكومة مصر بعد ذلك صاحبها الحاج محمَّد علي باشا المشار اليهِ سنة ١٢٦٤ وخلفهُ في تلك السنة نجلهُ الاكبر ابراهيم باشا المشهور بسر عسكر وتوفي بتلك السنة وتولاها بعدهُ الحاج عباس باشا ابن اخيهِ تولى الله الجميع باحسانهِ وذلك سنة ١٢٦٥ وتوفي بتلك السنة جده محمَّد علي اعلى الله في دار المقامة محلهُ ولم يكن قضي في سكة الحديد امر ولا خرجت من القوة الى الفعل

ولبثت رجال الانجليز تنتهز الفرص وتكرر السعي في طلب انشاء سكة حديد الى ان أُجيب طلبها في مدة عباس باشا المرحوم قبيل وفاتهِ واستصدرت

---

(١) ليفربول مدينة شهيرة من بلاد الانجليز في الشمال والغرب من لوندرة على نحو ٢٨٠ كيلومترمنها وهي في الجانب الايمن من نهر مرسى بقرب مصبهِ في بحر ارلنده اهلها نحو اربعمائة الف نفس وبها دار آثار عتيقة خاصة بمصر ولها تجارة متسعة وبها صنائع كثيرة وفيها معامل للسكر والصابون والفخار ومصانع زجاج شهيرة

الامر من الباب العالي بالترخيص في هذا العمل وشرع فيهِ بالفعل في تاريخ (١٢٦٩) كما تقدم وكان اصل طلبها قاصرًا على مد السكة المذكورة من القاهرة الى السويس فتكون على ذلك قاصرة على المرور في الصحراء الشرقيَّة فلم يوافق ذلك رأي عباس باشا المرحوم بل رغب في ان تمد في وسط البلاد اولاً من الاسكندريَّة الى القاهرة ثم من القاهرة الى السويس ليكون نفع البلاد بها اكبر والفائدة فيها اكثر فحصل التراضي على ذلك وعقدت شروط مع استفانسون المهندس المشهور على تعيين مهندسين انجليز من طرفهِ لعمل الجسر وتركيب القضبان في نظير خمسين الف جنيه تدفع من الحكومة المصريَّة فحضروا وانضم اليهم جملة من المهندسين المصريين وجرى العمل الى ان توفي عباس باشا المرحوم سنة ١٢٧٠ وكان الذي تم منها ٧٠ ميلاً واهتم من تداولوا الحكومة بعدهُ بأمر السكك الحديديَّة لما رأَوا من عظيم فائدتها ومنفعتها فنمت وازدادت وتفرَّعت وامتدت في البلاد المصريَّة قبليها وبحريها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن وتزيد ان شاء الله بعد الآن حتى تنتشر في كل مكان

مدة الاقامة بالاسكندرية (١)

فلما وصلنا الى الاسكندريَّة وجدنا بها في انتظارنا على موقف سكة الحديد رفيقنا الشيخ حمزة فتح الله ومعهُ من لباب الاحباب الكرام وعظماء العلماء الاعلام صديقنا المولى الهمام الشيخ علي الليثي ادام الله علاءهُ والفقيه النبيه السري الشيخ

(١) هذا الفصل الى المحل الذي سيبيَّن منهُ علَّقهُ سيدي الوالد العزيز كما علَّق الفصل الذي قبلهُ في صحف من الورق فكتبتهُ كما هو

عبد الرحمن الرافعي مفتي الثغر الاسكندري حرس الله رفعتهُ وسواهما ممن تفضلوا علينا بنقل الاقدام الى ذلك المَقام[٢] وتَلَقَّوْنا بالاكرام وطلبوا ان ننزل بهم مدة المُقام[٣] وكان اتفاقنا مع رفاقنا من السابق ان ننزل ايام مُقامنا بالاسكندريَّة في احد الفنادق[٤]

(٢) – (٣) المَقام بفتح الميم من قام والمُقام بضمها من اقام

(٤) الفنادق جمع فُندق (قال الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل) بضم الفاء وسكون النون وضم الدال وبعدها قاف معناهُ بلغة الشام الخان قالهُ ياقوت في معجم البلدان وبعضهم يغلط فيهِ فيقول فنتق بالتاء انتهى . وقال صاحبنا الشيخ نصر الهوريني تغمدهُ الله برحمتهِ لعلهُ من الإبدال الجائز لقرب المخارج انتهى . و يرد على الشهاب في تغليط من يقول الفُنْتُق بالتاء صنيع المجد في القاموس فانهُ ذكرهُ بالتاء والدال قال الفنتق كقنفذ خان السبيل ثم قال الفندق كقنفذ حمل شجرة وهو البندق وتقدم الخان السبيل انتهى . وفي الاقيانوس ترجمة القاموس للسيد عاصم قال الشارح يعني السيد المرتضي الزبيدي أنهُ الخان الذي يبنى على الطريق ينزلهُ الغرباء وابناء السبيل بلا اجرة وفي لسان العرب قال الفرَّاء سمعتُ أعرابيًّا من قضاعة يقول فنتق للفندق وهو الخان وهذا كما تراهُ يعارض تغليط الشهاب لمن يقول بالتاء وفيهِ ايضًا عن التهذيب الفندق بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات الذي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن انتهت عبارة اللسان ونقلها السيد مرتضي في تاج العروس وعنهُ نقل السيد عاصم الاَّ ان قولهُ (بلا اجرة) يحتاج الى نظر فانهُ ليس في عبارة الشارح الذي ينقل عنهُ ولا في عبارة اللسان الذي هو مأخذ الشارح ولا في عبارة الصاغاني في التكملة والذيل والصلة المتقدم عليها وهو من مآخذ صاحب القاموس ولَعلَّهُ استنبطها (في نقلهِ كلام الشارح) من قول المجد في تفسير الفندق (الخان السبيل) فان الشارح مزجها بعبارتهِ فربما يكون المترجم فهم ان المراد من الخان السبيل الخان الذي جعل في سبيل الله اي للثواب يعني مجانًا والذي يفهم من عبارات المؤلفين قديمًا وحديثًا في استعمال لفظ الفندق عدم اختصاصهِ بما كان من غير اجرة انظر خطط المقريزي في ذكر الخانات والفنادق قال فيها اثناء الكلام على خان مسرور (وكان يعني

والفندق عبارة عن دار ذات حجرات وغرف منتظمة فيها ما يحتاج اليهِ نازلها من الفرش والأدوات ينزلها المسافر في مقابلة مقدار معين من المال يدفعهُ لاجل السكنى مع الطعام او بدونهِ في اليوم او الشهر وتختلف هذه المحلات في التنظيم والزخرفة وحسن الآلات والادوات اختلافاً كثيرًا يترتب عليهِ اختلاف الاجرة قلةً وكثرةً وبالجملة يجد الانسان في هذه المحلات راحتهُ في المُقام والطعام والمنام على نحو الكيفيات والاوضاع المعروفة في اوروبا ولم يكن ذلك

مسرورًا صاحب الخان قد اوصى ان تعمل دارهُ مدرسة و يوقف الفندق الصغير عليها) انتهى . وانت خبير بانهُ لا معنى لوقف الفندق على المدرسة الاَّ استغلالهُ وصرف غلتهِ في مصالح المدرسة فلا يكون مجانًا وقد اورد المقريزي في الخانات التي ذكرها خانًا عُرِف بخان السبيل وهو خان معين كان خارج باب الفتوح بمحروسة مصر القاهرة نقل عن ابن عبد الظاهر انهُ بناهُ الامير بهاء الدين قراقوش لابناء السبيل والمسافرين بغير اجرة وتكرر في الخطط وغيرها ذكر الخان ومفاد كلامهم انهُ مثل الفندق في انهُ من المواضع التي ينزلها المسافرون وفي فقهِ اللغة للثعالبي الخان مكان مبيت المسافرين والحانوت مكان الشراء والبيع وفي القاموس الخان الحانوت او صاحبهُ وخان التجار معروف ونحوهُ في اللسان وفيهِ انهُ معرب من الفارسيَّة وقد اوردهُ السيد عاصم في تبيان نافع ترجمة برهان قاطع لجملة معانٍ منها ما هنا وهو محل نزول المسافر قال و يقال لهُ بالتركية ايضًا خان وما يستعمَل في معنى الخانات والفنادق حديثًا وقديمًا الوكائل انظر الكلام على وكالة قوصون في خطط المقريزي قال وقد ذكرها في الخانات والفنادق (هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق) الى آخر ما قال ولم يزل الاستعمال على ذلك الى يومنا هذا . ولم اعثر بالوكالة بهذا المعنى في لسان العرب ولا في شيء من كتب اللغة والظاهر انهُ مولد طارىء وقد اعتيد الآن في مدن بلادنا لاقامة المسافرين وابناء السبيل ما تعورف في التخاطب بيننا باسم (أُوتيل) او (لوكندة) وكلاهما لفظ اعجمي اخذناهُ عن اهل اوربا معنًى ومبنًى وقد يعبّر عنهُ الادباء في زماننا بالخان والفندق كما كان عما هو من قبيلهِ من جهة انهُ معد للمسافرين وان لم يكن مثلهُ . انتهى منهُ

معروفاً ولا مألوفاً لدينا من قبل وكان من يحتاج الى لُبْثِ يوم او ايام في بلد غير مستوطِن لهُ اذا لم يجد بهِ من احبابهِ ومعارفهِ من يؤْويهِ نزل في بعض المواضع المعدة للمسافرين والاغراب مماً يعبر عنهُ بالوكائل والخانات والفنادق فلا يجد فيها من الفرش والأَثاث والأَدوات ما يحتاج اليهِ الاَّ ان يستجدهُ بقدر ضرورة الحاجة وكثيرًا ما تكون هذه المواضع لاسيما في غير القاهرة وما يقرب من مضاهاتها غيرَ جيدة البناء ولا حسنة النظام ولا مناسبة للسكني ولا موافقة للصحة ولا متوفرة فيها وسائل الاستراحة ويراها قذرة وخمة كثيرة القمل والبرغوث والبق وغيرها من الحشرات المؤْذية والضارة فتمنعهُ النوم والراحة والقرار فما يمرُّ بجفنهِ غُمْضٌ ولا تستقر بهِ ارض وزد على ما ذكر ان هذه المواضع قد يزدحم في داخلها وخارجها ركائب من ينزلها من المسافرين وغيرهم ودوابهم فتشوّش الخاطر بأَصواتها وحركاتها وتمازج الهواء باقذارها وهلمَّ جرًّا ومن رأَى عرف ان الواصف مهما اطال قصر وما ترك اكثر وهاك حكاية انسان من القاهرة سافر الى بعض بلاد الريف فاضطرهُ الليل الى النزول في بلدة كبيرة على طريقهِ فلجأَ الى موضع من هذا القبيل بات بهِ ليلة اسوق حديثها اليك وان لم يخلُ عن طول لتعرف بعض حال هذه المحال ان لم تكن عرفت وتتذكر ان كنت نسيت على شريطة الاَّ تسأَلني عنهُ من هو اذ ليس ذاك مماَّ يُهِمك

وذلك انهُ نزل حجرة بوكالة في البلد اختارها لهُ بوابها وجاءهُ بعد ان أَنس منهُ الكرم وعرف من هيئتهِ انهُ من ذوي النعم بسَحَق حصير طالما اكل الزمان منهُ وشرب وسراج زيت ليس لهُ على دفع الظلام سلطة ولا بينهما مانعة جمع وابريق ماء ما زال يغني وان لم يطرب وعرَّفهُ انهُ يدَّخر امثال هذه لامثالهِ من خيار

الناس ممن يدهمهُ في وقت مثل وقتهِ لا لكل احد فانهُ ممن يعرف مقادير الرجال الى امثال هذا المقال وتركهُ يستوفي ما كتب لهُ ومضى لسبيلهِ فلم يكد يستقر في الغرفة الاَّ وقد اقبلت عليهِ حشراتها واخذت تدب اليهِ من جميع جهاتها وتناوشتهُ من كل نواحيهِ وانتشرت في بدنهِ تفعل افاعيلها وتفتك فتكاتها وهو يتقلب على مثل حرّ الجمر ويتجرَّع من الصبر ما هو اشد مرارة من الصبر ونظر الى ما حوله من ارض الغرفة فاذا هي تموج بما فيها من الحشرات ولم يكن اعتاد امثال هذه الاحوال فكاد يجنُّ جزعاً وهلعاً ورأى في الغرفة طاقة كبيرة عليها شباك من الخشب المخروط ذو فتحات مربعة كالذي نراهُ في بعض الدور العتيقة من القاهرة فأدَّاهُ فرط الضجر من أذى هذه الحشرات ان صعد على الشباك فوضع قدميهِ في مربعين من فتحاتهِ قريبين من اسفلهِ واستمسك بيديهِ في آخرين من نحو اعلاهُ بعد ان نزع ما عليهِ من الثياب واخرج لهُ كسوة غيرها من الصندوق لبسها ووقف متشبثاً بالشباك كالمصلوب فوجد في نفسهِ راحة من ألم البق وغيرهِ سوى الناموس فلف ما بدا من بدنهِ بما اتقى بهِ أذاهُ فوجد في نفسهِ لذَّة عظيمة من الراحة صار بها النوم يخالسهُ ببعض غفوات خفيفة الاَّ انهُ لما تمادى بهِ الوقوف وطال عليهِ الليل كلَّ ساعداهُ وتألمت راحتاهُ وقدماهُ فلما اعياهُ التجلد صار ينزل عن الشباك الى الارض فيستقر عليها مستريحاً الى ان يجهدهُ البق واخوانه فيعود الى التعلق بالشباك حتى تكل قواهُ وبعد ان كرر ذلك مراراً حتى سئم بدا لهُ ان ينزل الى اسفل الدار لعلهُ يرى فرجاً ومخرجاً فخرج واستصحب المصباح واغلق الباب واخذ المفتاح ومشى يريد سلم الدار لينزل وبعد مسافة طفئ سراجهُ باصابة الهواء فمضى يخبط الظلماء وتخبطهُ الجدران حتى اصاب السلم بعد اللتيا والتي فنزل

درجات وخانتهُ قدمهُ فسقط الى اسفل ولم تكن درجات السلم ولا الارض محجرة ولا مبلطة فلم يصبهُ عظيم اثر ولا كبير ضرر وأَصاب زيت السراج بدنهُ وثيابهُ فلم يبالِ بذلك وخرج الى صحن الدار فوجدهُ مزدحماً بالدواب ليس فيهِ موضع خالٍ فنادى البوَّاب حتى ايقظهُ بعد جهد وطلب منهُ ان يفتح لهُ باب الوكالة ليخرج واخبرهُ بما جرى لهُ فقال واين تريد ان تذهب قال امشي في الازقة حتى اصبح فقال هذا ما لا يحسن لان الخفير اذا رآك ولم تخبرهُ بمحل معين تريدهُ لم يشك في انك تريد سرقة او موبقة فتقع في مشكل ثم سكت عنهُ ونام ولم يستطع صاحبنا ان يصعد ثانيةً الى حيث كان على ما فيهِ لان مصباحهُ لم يبقَ بهِ دهن ولا صلاحيةٌ للاستصباح ولم يجد موضعاً يجلس فيهِ فعنَّ لهُ بعدان اجهدهُ الوقوف مع الدواب ان يركب احداها ريثما يستريح فعلا ظهر واحدة واستقرَّ عليها برهة حتى ارادت ان ترقد فتعجل النزول وزلقت رجلهُ فوقع فيما هناك من الاقذار وقام يلعن الاسفار ومفارقة الديار واذا بصوت الخفير مارًّا على الباب فتوسل اليهِ ان يستصحبهُ معهُ في مسيرهِ ووعدهُ ان يواسيه واعطى لبواب الوكالة ايضاً ما ارضى خاطرهُ فقام وفتح لهُ فخرج ومشى مع الخفير شوطاً او شوطين واثقلهُ النوم والتعب ورأى مصطبة عند دار فقال لهُ دعني اجلس هنا برهة لاستريح وامضِ انت لشانك حتى اذاعدت قمت انا معك او قعدت انت معي قال شأنك وتركهُ فجلس الى الحائط يهنئ نفسهُ بالخلاص مما كان فيهِ ويراوغهُ النوم الى ان مرَّ بهِ كلب من كلاب الناحية رأى عليهِ هيئة الغريب فوقف ينبحهُ ويستنبح الكلاب معهُ حتى اتاهُ جماعة منها فوقفت تساعد الاول وتنبح الرجل وتحاول الهجوم عليهِ مرة وتتأَخر تارةً والحاصل انهُ لم يذق غُمضاً ولم يلامس جنبهُ ارضاً حتى طلع النهار

فكانت ليلةً نكداء سوداء بغضت اليهِ السفر مهما دعت اليهِ حاجة وتعلقت بهِ منفعة وهكذا حال من ينزل هذه المواضع وانما يختلف امرهم بالتعوُّد والتجلد ولهذا كان اواسط الناس والمستورون منهم فضلاً عن الاغنياء والنبلاء يستنكفون النزول في هذه المواضع ويرفعون انفسهم عنها فاذا كانوا في بلد غير بلدهم نزلوا عند من يتأتى لهم النزول عندهُ من اهلها ولا يُعرجون على النزول في الفنادق الاَّ لضرورة قاهرة قاهرة واستمرَّ ذلك باقياً في نفوس الناس مستشعرين الكراهة لتلك المحلات والتضرُّر منها حتى بعد ان تجددت الفنادق على الاوضاع الجديدة (اللوكندات) واستكملت فيها اسباب النعيم والراحة والرفاهية ثم لما اشتهر امرها في كل جهة وعُرِف نزول عظماء الناس واكابرهم وامرائهم بل ملوكهم بها اعتادها الناس وصاروا يرجحون النزول بها على النزول ببيوت المعارف والاصدقاء بل بعض الاقارب فان النازل بهذه الفنادق يجد بها من راحتهِ واطلاق خاطرهِ ما لا يجدهُ في غيرها اذ لا يتحاشى من طلب اي شيء تريدهُ نفسهُ مماَّ قد يتحاشى من طلبهِ عند صديقهِ خيفة انهُ ربما يثقل عليهِ او لا يوجد عندهُ لدي الطلب فيخجل من ذلك وربما يكون عند صديقهِ فيطرُق صاحب الدار ضيوف آخرون قد لا يتسع لاستراحة جميعهم محلهُ وأثاثهُ فيضيق بهم ذرعاً ثم نازل الفندق يجد من حريتهِ في النوم والسفر كغيرهما ما لا يجدهُ اذا كان ضيفاً عند احد فانك اذا كنت ضيفاً ربما اردت ان تسهر وصاحب البيت يريد ان ينام الاَّ انهُ يضطر الى السهر معك لمؤانستك وتضطر ان تنام انت لئلاَّ تشق عليهِ وهكذا في الصباح ربما كان يريد ان يذهب الى دكانهِ او ديوانهِ مبكرًا وانت تُحِب ان تتأخر حيث لا يكون عندك داعٍ للتبكير فيضطر الى ان يتأخر لينظر في امر طعامك وسائر

ما يلزم لك في الصباح فيتعطل او تبكر انت لئلا تعطله وفي كلا الحالين يكون احدكما على غير ما يُحب وليس الشان في الفندق كذلك فان صاحبهُ سواءٌ عليهِ أنِمتَ في اول الليل او آخره وقمت في اول النهار او آخرهِ فهو بمن معهُ على كمال الاستعداد كل وقت لاكرام مسافرهِ ليس لهُ شغل غير ذلك ولهذه الوجوه وما شاكلها ترى كثيرًا من الناس اذا كانوا في غير بلادهم يرجحون النزول في هذه الفنادق (اللوكندات) على غيرها متى وجدت ولم يبقَ من الناس الاَّ عدد قليل لم يزالوا على الحالة الاولى ذهاباً مع ما بقي في انفسهم مماَّ سمعوهُ او عاينوهُ مماَّ كان من حال الفنادق في السابق واكثر الناس تحاشياً من هذه الفنادق الجديدة زمرة العلماء لا لظنهم فيها ما كان في القديمة من التعب والمشقة ولكن لظنهم انهُ لا يتأَتى فيها اقامة شعائر الدين من صلاة ونحوها او مخافتهم ان يظن بهم انهم ممن يتهاون بالامور الدينيَّة بناءً على توهم عدم التمكن منها في هذه الاماكن والحال ان من يريد المحافظة على عبادتهِ وامور ديانتهِ لا يمتنع عليهِ ذلك في شيءٍ من هذه الامكنة خلافاً لما يزعمهُ كثير ممن لا يلتزم ان يقول عن تحقيق ودراية وانما يرمى بالقول على عواهنهِ لا يبالي اصاب ام اخطأَ المرمى [1] فانَّا لم نجد قط في شيءٍ من الفنادق مماَّ نزلناهُ في بلاد المشرق مصرها وشامها وعربها واعاجمها ولا في بلاد اوروبا فرنسيسها وانكليزها وطليانها والمانها وغيرهم ما تعذر فيهِ علينا اقامة صلواتنا وعباداتنا وقد كنا في هذه الرحلة جماعة جلنا في كثير من ممالك اوربا غير تاركين لصلاتنا ولا نابذين لأُمور ديننا والحمد لله على توفيقهِ والهداية لطريقهِ نعم رب طامع في

(١) قولهُ لا يبالي اصاب الخ بيان لما قبلهُ قال في القاموس رمى الكلام على عواهنهِ اي لم يبالِ اصاب ام اخطأَ اه منهُ

ان يثبطك عن امر دينك و يلفتك عنهُ لتصير مثلهُ او في الاقل تلتمس العذر لهُ ممن ينتسب الى دينك وهو في الحقيقة نابذ لهُ بعيد منهُ اضر عليهِ من الاجنبي عنهُ يقول لك انك اذا نزلت في فندق من الفنادق ذات الاثاث النفيس والفرش الفاخرة والادوات الثمينة واردت ان تتوضأ في غرفتك وهي مفروشة بالبساط الفاخر تناثر رشاش الماء من اثر وضوئك على وجه البساط فاصابهُ البلل فاذا جاء الخادم او الخادمة لتعهد الغرفة بالنظافة او لغير ذلك ورأى هذه الحال تسخَّطَ وربما شكى الى صاحب المحل فسمعت منهُ ما تكره او رأيت ما لا تحب وهذا كلام من ليس لهُ بصيرة وحسن تصرف في الامور ولا يقع الاتلاف الا من مثلهِ اما من كان على بصيرة تهديهِ الى الصواب وحسن تصرف يدخل بهِ الامر من بابهِ فهيهات منهُ ذلك فانهُ اذا نزل في محل من مثل ما ذكر واراد ان يتوضأ و يصلي وجد عندهُ في الغرفة طستًا من الفخار الصيني وابريقًا من هذا النوع وآخر من التوتيا واناءً لماء الشرب صغيرًا ووجد مناشف متعددة فينزل الطست الى الارض بعد ان يضع تحتهُ احدى هذه المناشف ويقعد على طرفها و يتوضأ الا انهُ اذا اراد ان يتوضأ من الابريق الصيني او الآخر ربما وجدهُ ثقيلاً على يدهِ او غير مساعد على تدبير الماء من غير اسراف ولهذا يحسن بهِ ويسهل عليهِ عملهُ ان يتوضأ من اناء الشرب او زجاجة من زجاجات الشراب يتخذها لهذا الغرض بعد ان يطهرها بالغسل فيملأها و يتوضأ منها فان كان حازمًا محكِم الامر متجافيًا عن تبذير الماء المنهى عنهُ في الشرع لم يقع بلل خارج الطست وان اسرف في الماء بالفرض والتقدير و بذر وتهاون في الاحتراس مهما تهاون وقصر مهما قصر فانما يقع الرشاش والبلل على المنشفة فيرفعها بعد ان يتوضأ و ينشرها على ما اعد لذلك فلا

يظهر في البساط ادنى أثر ولا يعرف موضع وضوئهِ بل لو عرفهُ او عاينهُ جميع اصحاب الشان في الفندق وهو يتوضأ على تلك الحالة لما عارضهُ ولا اعترضهُ احد ويمكنهُ ان يصحب معهُ في صندوق ثيابهِ منشفة ذات وبر او منشفتين او اكثر فيتخذها لهذا الغرض ويضع منها تحت الطست ما يشاء على اننا لم نرَ ادنى حاجة لذلك بل وجدنا المناشف المعتادة التي كنا نراها في الفنادق كافية وافية بهذا الغرض وانما اردنا لقطع عرق الشبهة من اصلهِ ان نذكر ما لا يتأتى معهُ ظن انتشار البلل ولا توهمهُ ولم يبقَ للمعارض مع هذا من سبب يتمسك بهِ وعلة يعتل بها والامر ظاهر والتجربة شاهدة بل قد نزلنا مرات بفندق في الاسكندرية لبعض المسيحيين فوجدناهم قد اعدوا لمن ينزل بهم من المسلمين سجاجيد للصلاة وطسوتاً وأباريق من النحاس ومناشف للوضوء مثل المستعمل لدى المسلمين وكنا صائمين في رمضان وكان توجهنا لانتظار العيد للتعييد على الجناب الخديوي السعيد فعرفونا ان السحور عندهم مرتب وانهم مستعدون لايقاظنا في الوقت الذي نريدهُ وان ما يلزم للافطار نجدهُ حاضراً قبيل المغرب ثم وجدناهم اتبعوا ذلك القول بالفعل ورأينا في بعض الفنادق المشرقية مما يتولى امرها اوربيون كثيراً من لوازم المسلمين وبودي لو عمم ذلك بالمحلات العمومية في بلادنا الشرقية ولو كان بعض الفنادق يتولى ادارتهُ اهل البلاد لكانوا أدرى من غيرهم بعاداتها واحوالها ووسائل الراحة بها ولكننا لا نجد اهل بلادنا يرغبون كل ذلك وقد رأينا في سورية كلما رأيناهُ من هذا القبيل في ادارة البلديين وتصرفهم وغالب الحرف والصنائع كذلك

وقد طال بنا الكلام في هذا المقام وجرّنا اليهِ النظر في المقارنة بين الفنادق

الموجودة على الطريقة الاوروبيَّة والَّتي على الطريقة الَّتي كانت مستعملة والفرق ظاهر بل النسبة منقطعة"

الى هنا انتهى ايها القارئ الصاحب ما علقهُ سيدي العزيز في هذا الموضوع ولا شك في انهُ لو اتمَّ هذه التعليقات بذكر المقارنة بين الفنادق الموجودة عندنا على الطراز الاوربي والفنادق العظيمة المعدودة من الطبقة الاولى الَّتي نزلنا بها في البلاد الَّتي سافرنا اليها لجاءَ بأَحسن وارقى وأَرقّ وانقى لكن حال دون ذلك ريب المنون لأَن الفنادق عندنا وان تحسنت الآن تحسناً بيناً نظراً لكثرة وجود السياحين وزيادة تواردهم في كل سنة زيادة عما قبلها فإِنها لا يتسنى لها ان تعادل الفنادق الَّتي باوروبا لأَنها ينفق عليها من المال ما يتعسر ايجادهُ لهذا الغرض عندنا فهذا فندق استكهلم الذي نزلنا بهِ وسيأتي عليك وصفهُ في محلهِ صرف صاحبهُ في سبيل انشائهِ واستعدادهِ خمسة ملايين من الفرنكات مع ان عدد سكان العاصمة المبني بها لا يضاهي عدد سكان عاصمة بلادنا

ولذلك ترى أَن مثل هذه الأَبنية باوروبا غاية في الاتساع والاستعداد فقد يسع بعضها نحو الالف مسافر فاكثر ولا يرى فيها مع ذلك ازدحام يُعطّلكَ عن قضاء مصالحكَ او يؤَخر من فيها عن القيام بالواجب لكَ فترى الخدم في غاية الاستعداد مسرعين لتلبية طلبكَ بمجرد لمس الجرس الذي تجد اولهُ في غرفتك واذا اردتَ ان تنزلَ من غرفتكَ او ترقى اليها لا تلتزم ان تتعب نفسكَ وتضيعَ وقتك في الصعود الى الطبقة الرابعة والخامسة حيث مُقامكَ بل تجد مرْقياً يصعد بك بقوة البخار او بضغط الماء الى حيث تريد وذلك المرْقي كغرفة من خشب مفروشة الجوانب بأَحسن الفرش تسع نحو عشرة اشخاص وترتفع بك بغير اهتزاز

وانت لا تشعر حتى تصلَ الى الطبقة الَّتي فيها غرفتكَ فيوقفها الخادم الذي معك فيها ويفتح لك بابها فتجد نفسك في الطبقة الَّتي تريد ان تصل اليها بدون تعب فاذا انت قضيت مصلحتك من غرفتك وأَردت النزول ذهبت الى حيث وقف بك المُرْقي ونبهت خادمهُ الى الصعود بمجرد لمس الجرس فتجدهُ ينهض اليك مسرعاً مع المُرْقي فتدخلهُ وننزل او يصعد بك الى حيث تريد

وتَجِدُ في هذه الفنادق سائر معدات الراحة ففيها مكان معد لاجتماع المسافرين وحديثهم مفروش باحسن الفرش منور بأَجلى الانوار وازهاها واضواها وابهاها تجد فيهِ من الجرائد كلما تريدهُ من اي البلاد رغبتَ فأن احتجتَ الى مخابرة بالتلغراف او بطريق البوستة وجدتَ بنفس الفندق مكتباً للتلغراف ومكتباً للبوستة وان اردت الحلق او الاستحمام وجدت الحلّاق والحمَّام بالفندق وان اردت شراء اي شيء تريد امكنك ذلك بواسطة بواب الفندق فانهُ يدلك على كل ما تريد او يحضرهُ لك بواسطة الخدم بل يوجد في بعض هذه الفنادق مكتب للسكة الحديديَّة يمكنك ان تستحصل منهُ على تذكرة السفر وتأْخذ قسيمة الأَمتعة الَّتي معك بحيث لا يبقى عليك بعد ذلك الَّا ان تذهب الى المحطة في الميعاد المحدد للسفر وتركب الوابور فتسير الى حيث تريد

هذا ولنعد الى اتمام تفاصيل مُقامنا بالاسكندريَّة كان من نيتنا النزول في الفندق كما مرَّ الَّا ان الشيخ المفتي حفظهُ الله صمم على ان يكون نزولنا عندهُ ووافقهُ من حضر من الأَحبة فوافقناهُ وقابلنا بما اقتضاهُ كرم شيمهِ من الترحيب وحسن الاستقبال والاحتفاء والاحتفال وبعد تناول العشاء عندهُ سرنا الى سرايے رأس التين مع بقيَّة الوفد للحصول على المثول لدى الجناب العالي الخديوي اذ كان

من المهم لدينا والواجب علينا ان نحظى بالمثول بين يديهِ قبل السفر فحظينا بذلك واستقبلنا بما اقتضاهُ كرم طبعهِ الفخيم من الرعاية والتكريم واحسن على سيدي الوالد العزيز بالنيشان المجيدي العلي الشان فناولهُ اياهُ مع براءتهِ السلطانية بيدهِ الكريمة اتماماً للمنة ومضاعفة للنعمة وخصَّ سيدي الوالد بعد انصرافنا بكلمة خصوصيةً لبث فيها برهة يشنّف السمع من لفظهِ النظيم ويتلقى الاوامر السنية من جنابهِ الفخيم

ثم لحِقَنا وانصرفنا على ان يعود السيد الوالد في اليوم التالي لاستلام المحرر السامي الصادر من لدن الجناب الكريم الى سموّ ملك السويد والنرويج

وقد انشدنا السيد الوالد اثناء انصرافنا من عند الجناب الخديوي متوجهين الى مستقرنا بالبلد ما خطر ببالهِ في معنى الشكر على ما تعطف بهِ عليهِ الجناب العالي من الاحسان وهو

مولايَ قد أَوْلَيْتَني منّـةً	ولم يكن لي امرها في حساب
شكرتُ مولايَ على فضلها	شكر نبات الروض فعل السحاب
منطقهُ اعجم في شكرهِ	ومنطق الحال فصيح الخطاب
متّعك الله بما تَبْتَغي	وسَرّ بالأَنجال ذاك الجناب

وما لبثنا ان وصلنا الى مكان مبيتنا واستأذنَّا من لقيناهُ هنالك في انتظارنا واخذنا في اسباب النوم لتوفر دواعيهِ ونمنا حتى الصباح

فلما كان صباح اليوم التالي (يوم السبت) توجه سيدي الوالد الى المعيةً السنيّة لاستلام المحرر الخديوي فتسلم اليهِ في مظروف برسم سموّ الملك اسكار الثاني المُعَظَّم مختوم عليهِ بالشمع الاحمر وتسلمت اليهِ حسب العادة صورة حرفيةً

منهُ القصد منها ان يعرف الرسول نص المكاتبة المرسلة معهُ وان يطلع المرسل اليهِ عليها لو اقتضى الحال قبل توصيلها اليهِ بالطريقة الرسميَّة ليستعد للمجاوبة عليها وهذه ترجمتها بعد الديباجة

"بمناسبة المؤتمر الدولي الثامن الذي سينعقد في هذه السنة من المشتغلين بالمعلومات المشرقيَّة تحت عالي حماية سموكم ابدي لسموكم ان عنايتكم بالعلوم والآداب الخاصة بالمشرق واعتنائكم بها قد قدَرَها علماؤنا حق قدرها

"واني رغبة في وقوف بعضهم بالذات على أهمية اعمال المشتغلين بالعلوم المشرقيَّة من علماء اوروبا واطلاعهم على النتائج المهمة التي انتجتها المساعي الحميدة التي الزم هؤلاء الافاضلَ انفسهم بها في هذا الشان قد عينت سعادة عبد الله باشا فكري العالم الشهير بسعة معارفهِ وارفقت معهُ وفداً من العلماء المصريين للاشتراك في هذا المؤتمر الذي سينعقد تحت رعاية سموكم وقد كلفتهُ بأن يفصح لسموكم عن حاسياتي بالنسبة لعظمتكم وعن افكاري بالنسبة للنتائج الحسنة التي أراها تُنتَجُ من هذا الفعل العظيم الذي سيتم تحت ظل عنايتكم بالنسبة لبلاد المشرق وبالنسبة لبلاد المغرب من جهة احقاق الحقائق التاريخيَّة وانتشار المعلومات النافعة للجنس البشري

واني ارجو سموكم الخ

تحريراً بسراي عابدين في ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩

الامضا

محمَّد توفيق"

وقضينا اليوم بعد ذلك في اداء زيارة بعض الاخوان وقضاء بعض ما يلزم الانسان والاستعراف بواسطة بيت كوك بالاسكندريَّة على الغرفة التي ستخصص بنا في وابور البحر بحيث لا نكون مع أجانب لأَن وجود الانسان مع من لا يعرفهُ

في محلات سفر البحر قد يكون من موجبات الضيق فحصل الاطمئنان على ان سيكون كل اثنين منا في غرفة خاصة بهما وحصل الاتفاق بيننا على ان اكون وسيدي الوالد في غرفة وعلى ان يكون الرفيقان الآخران في غرفة اخرى

هذا وقد ظهر لنا من تفقد احوال الاسكندريّة انها اخذت في العود الى حالتها الاولى قبل الحوادث الأخيرة فانهُ شُرع في بناء كثير من الجهات الّتي تخربت فيها الاَّ انها لم تستكمل ذات ساحة المنشيَّة وان تمَّ بجوانبها بعض عمارات بغاية البهجة والزخرفة والاتقان كعمارة مُونفِرَاتو وعمارة المحاكم المختلطة والعمارتين المجاورتين لهذه من اليمين واليسار لكنها مع ذلك لا تزال بعض الجهات فيها على حالتها من الدمار والخراب مما يستلزم الحث على الاهتمام في اصلاحهِ وعودهِ الى ما كان

اما جهات الرملة فهي في غاية الارتقاء والبهجة وطيب الهواء وهي من احسن أماكن الاسكندريّة لا يشاركها في الرونق والبهاء والجمال والازدهاء الاَّ جهة محرم بك فان الرملة وان تَميَّزت بحسن منظر البحر فهذه تتميز عن تلك بانتظام شوارعها واتساع طرقاتها وتتساويان في قلة الرطوبة فيهما عن غيرهما من باقي الجهات سوي سراي رأس التين لارتفاعها ونقاء هوائها

وارسلنا ما معنا من المتاع الى الوابور الاَّ القليل منهُ وبتنا على عزم القيام في اول النهار للذهاب اليهِ حيث تقرر ان يكون قيامه من المينا والساعة ٨ قبل الظهر من صباح اليوم التالي فما وصلناهُ مع الفجر الاَّ وقد لحقنا اليهِ كثير من الاصحاب والاحباب اتوا لوداعنا حفظهم الله

من اسكندرية الى برنديزي

سار بنا الوابور في ميعاده المعتاد كل مرة اعني في غاية الساعه الثامنة قبل الظهر من يوم الاحد ٢١ يوليو سنة ١٨٨٩ واخذنا نبتعد تدريجاً عن الارض المصريَّة وكنا نرى في انفسنا التأثر من مفارقة الديار وان كانت لنا شدَّة رغبة فيما نقصدهُ من البلاد

وحين كنا في الميناء اذا الهواء خفيف والموج غير عنيف وسير الوابور هيّن والبحر ليّن فلما خرجنا من الميناء ومخرت السفينة في الماء كبر انتفاخ الموج واشتد نفخ الهواء وان لم يكن مفرطاً وتوالي اضطراب الباخرة وان كان متوسطاً لكن لوقوع ذلك فجأةً بدهت الركاب بادئَ بدءٍ من غير تراخٍ برهة ريثما يتعودون على البحر ويتدرجون في الامر بل كانت حالة الانتقال بسرعة اقتضاب وارتجال من سكينة الارض وسكون البر الي حركة السفينة وارتجاج البحر اشتد ذلك على الركاب ووقعوا فيما لم يكن في الحساب

وسمع مرة بعض المجان صائحاً يصيح يالندامة قد قامت القيامة فقال ما هذه القيامة على الريق وما هذا التخريف والتلفيق وما هذه الحال اين العلامات والأهوال واين المهدي والدجال فهكذا كانت هذه الحالة جاءت على الريق من اول وهلة فهالهم امرها واشتد عليهم أثرها واخذت السفينة تتكفأُ في سيرها فتميل الى الأمام مرة والى الخلف كرَّة وترتج طوراً وتتمايل يمنة و يسرة ويختلف عليهم في غضون ذلك حركات ارتجاف وارتفاع وانخفاض واعتساف فكانت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فضجت النفوس ودارت الرؤوس كأنما دارت

عليها الكؤوس وصرت ترى النائم اكثر من القاعد والقائم وانقضى اليوم ومعظم الليل على ذلك وهدأَت الحركة وَهناً من الليل ثم عاد الحال الى ما كان عليهِ من الويل

واستمرَّ الهول في اليوم التالي (يوم الاثنين) بل زاد على ما كان عليهِ بعد ان مررنا على جزيرة كريد في الساعة ٦ بعد الظهر منهُ فاستكنَّ اكثر الركاب في مخادعهم لما اعتراهم من الدوار فما كنت تجد على سطح السفينة الاَّ اشخاصاً قلائل وما كان يحضر في هذه المدة وقت الاكل على المائدة في المحل المعد لهُ الاَّ ثمانية اشخاص من نحو ٣٢ مسافرًا على انهم لا يحضرون جميعاً في كل مرة

اما حال كاتب هذه الاحرف في البحر فانهُ لم يكن من اشد المسافرين في التأَثر ولا من اقلهم فيهِ وذلك لان من المسافرين من يعتريهِ المرض بمجرد نزولهِ البحر ووجودهِ فيهِ واستنشاق روائحهِ هادئاً كان او مضطرباً ساكناً او متحركاً ويلازمهُ المرض الى مرسى السفينة وهؤلاء هم العدد الاكبر ومنهم من لا يعتريهِ المرض الاَّ اذا هاج البحر وارتجت السفينة واهتزت وكنت من هؤلاء ومنهم من لا يعتريهِ المرض اصلاً مهما اشتد حال البحر وقويت وطأَتهُ ولم يكن من هذا النوع الاخير معنا الاَّ واحد منهم استمر طول السفر مستديماً على الاكل في اوقاتهِ آخذاً في مطالعة كتبهِ وجرائدهِ التي معهُ متمشياً على سطح السفينة كلما امكنهُ ذلك متحدثاً مع باقي المسافرين مسلياً خاطرهم آخذاً في اطمئنانهم كلما مكنهم حال الجوّ من الاجتماع بهِ وكنت مع باقي رفاقي المشاكلين لي نداوم على الاكل والتفسح كلما كان البحر يمكن تحمل حركاتهِ غير متوسع في اضطراباتهِ على اننا لم نستوِ في الحال بل كان البعض منا مع هذا اشدَّ تاثراً من الباقي وسواه في هذا

التاثر القوي والضعيف والصحيح والعليل لان ذلك التأثر تابع لدرجة تأثر الاعصاب فكلما كانت اشدّ تأثرًا كان تأثر باقي الجسم اكثر ولا علاج لهذا المرض الاَّ زوال سببهِ كما اجمع على ذلك الاطباء

ثم في صبح يوم الثلاثاء صار البحر ساكنًا والريح ليّنًا فظهر من الركاب من كان استكنَّ في خبايا الزوايا وغصَّ بالناس سطح الوابور كأنهم في يوم النشور فتراهم فرحين مستبشرين يهنئ بعضهم بعضًا ودارت بينهم كؤوس الحديث في القديم والحديث وسرى التعارف واخذ الكل في التآلف وما احوج كل انسان الى ذلك في البحر وما اميلَ النفسَ فيهِ الى هذا الامر ليتسلى بهِ على ما هو فيهِ من ضجر النفس وشدة اليأس وجاء وقت الغداء فحضر من كان استتر ولم يبقَ احد الاَّ ظهر وبرزت النساء من خدورهنَّ متبرجات واقبلنَ متبخترات لابسات من الحلل أبهاها ومن انواع الحلى أزهاها وجلسنَ على الموائد كالغصون الموائد وتعاطى كلٌّ من الرجال والنساء الطعام مجتمعين بأسنى احتشام واحترام وكان الفرح كاملاً والسرور شاملاً الاَّ لمتعهد الطعام فانهُ يفرح بحال الشدة اذ يتوفر لهُ ما كان ياكلهُ المسافرون فكان يحب لهذا الغرض ان تبقى هذه الشدة مع انهُ قد توفر لهُ مآكل اليومين السابقين اذ أن حسابهُ على كل مسافر باليوم اكل او لم ياكل فهو مع المسافرين على طرفي نقيض يحب الشدة وهم يحبون عدمها

واستمرَّ البحر على ذلك الصفاء والناس على هذا الهناء ملازمين سطح الوابور مشمولين بالسرور يتمتعون باطلاق النظر وتسريح الطرف في لجج هذه البحار حتى أقبل الليل وهم على ذلك الحال لا يكون القيام الاَّ لتناول الطعام مع كثرة كرَّاتهِ وتعدد مراتهِ فان طيب الهواء فوق سطح الماء يشهي الى الطعام ولهذا

كانت مرات الاكل اربعةً اولاها مرة الافطار في بكرة النهار وهذه يعطى فيها الحليب والشاي والزبد والثانية قبل الظهر بساعتين وهذه تعطي فيها المآكل المستوفاة والثالثة بعد الظهر باربع او خمس ساعات وهي كالتي قبلها في الاستيفاء ان لم تكن أوفى منها والرابعة قبل النوم ويعطى فيها ما يعطى في الصباح وترى مع ذلك الانسان يتطلب الاكل في خلال هذه الاوقات فيجد عند خدمة الوابور ما يطلب مقابل ما ينقد من المال وثمنهُ محدود بقوائم مطبوعة معلقة في الصالة وغيرها من المحلات حتى لا يكون محل لاستبداد متعهد الاكل وليكون المسافر على بيّنة من ثمن ما يطلبهُ

ثم مررنا بجزيرة زانط يوم الثلاثاء وبجزيرة كورفو ليلة الاربعاء وفي صباح اليوم التالي (يوم الاربعاء ٢٤ يوليو سنة ١٨٨٩) وصلنا برنديزي قبل الظهر بست ساعات فكانت مسافة السير من اسكندريّة الى فرضة برنديزي وهي اول فرضة من اوروبا يصلها المسافر من اسكندرية ثلاثة ايام بلياليها الّا ساعتين فتلخّصَ من ذلك ان المسافة بين اوروبا وبين الديار المصريّة بحرًا لا تزيد عن ثلاثة ايام فمن برنديزي يمكنك ان تصل بالسكك الحديديّة الى اي جهة اردت من اوروبا وتتخلص من شدائد البحر واهوالهِ

من برنديزي الى تريسته

واذ وصلنا برنديزي فالحمد لله الذي نجّانا من البحر واحوالهِ وسلمنا من شرورهِ واهوالهِ واخذنا نسرح النظر في نواحيها ونتمتع بمشيداتها ومبانيها مطمئنين بسكون قارتها منعمي البال بهدوها وسكينتها وقد كاد ما رأيناهُ في البحر من التعب

ان يثني عزمنا عن المسير بحرًا الى تريسته ومنها الى ڤينيسيا كما كنا عقدنا النية عليهِ لولا أن بعض من كان معنا من الركاب الذين سبق لهم السفر بهذه الجهات اخذ يسهل علينا الأمر و يحسن لنا ركوب البحر مبرهنًا على ذلك بان ما بقي من الطريق ليس فيهِ تعب لانهُ غير متسع كالطريق الاول وهو محصور بين بلاد النمسا و بلاد ايطاليا

فانتهزنا الفرصة بوقوف الوابور بمينا برنديزي وصرنا نجول في نواحيها ونتعرف اقاصيها وادانيها وهي مدينة آخذة في الازدياد من يوم اتخذتها السفن الآتية من الشرق الاقصى مرسى لها لأنها اقرب طريق بين اوروبا الغربية وجهات المشرق فانتهت اليها الطرق الحديدية الممتدة على الساحل الشرقي من ايطاليا الشمالية واتحدت بذلك مع جميع سكك القارة وصار الوصول من الأسكندرية الى باريس ممكنًا في خمسة ايام منها يومان في البر وثلاثة في البحر كما تقدم وعدد سكانها ١٤٠٠٠ نسمة

وليس بها امور تستحق الذكر اكثر من ميناها فان رصيفهُ سهَّل الوصول لكل السفن مهما كان حجمها فتجد اكبر السفن ترسو عليهِ بدون واسطة هذا ظاهرها

واما داخلها فهي بلدة قديمة ضيقة الشوارع الأَّ قليلاً منها و يظهر انهُ حديث الإيجاد من زمن صيرورتها ممرًّا بين الشرق و باقي اوروبا واهلوها يظهر على رعاعهم الفقر الشديد اذ كنا نراهم يترامون متشاجرين على فضلات السجائر التي كنا نرميها في الطريق وكنا نراهم حفاة تنحصر تجارة كثير منهم في بيع بعض الجبن الناتج من تلك البلاد على اشكال غريبة يشبه بعضها شكل القال حتى ظنناهُ كذلك اول ما نظرناهُ

وبالمدينة كنيسة خربة بدء بنائها القرن الحادي عشر للميلاد قد تساقط بعض جدرانها بالزلازل وبالقرب منها عمود رخام قديم ارتفاعهُ نحو ٥٠ قدماً وربما كان في الأصل جزءًا من هيكل وهو على مرتفع يُرى من المينا

وتوجهنا نحو البوستة لرغبة بعض من معنا من المسافرين في السؤال على مكاتيب لهُ فوجدناها بمحل متسع جداً ولا غرابة في ذلك لأنها جعلت لاستلام بوستة الشرق وتوزيعها على اوروبا وايصال بوستة اوروبا اليهِ

ونظرنا المحطة الحديديَّة وهي في اواخر البلد بمحل مرتفع قليلاً فاستودعنا من سافر فيها من رفقائنا

ثم عدنا الى الوابور مستوحشين لمن ودَّعناهم فسار بنا بعد مكثهِ اربع ساعات ببرنديزي وكان الوقت معتدلاً والهواء ممتثلاً والجو صافياً والانشراح ضافياً كأَننا نسير في عربة البر او تجري بنا الفلك في نهر فتارةً كنَّا ننزه ابصارنا وننعش ارواحنا بما نراهُ من ارض بلاد المجر وظلالها وأَوديتها وجبالها وتارةً نتسلى بلعب الشطرنج وطوْرًا نتجاذب مع المسافرين اطراف الحديث والحديث ذو شجون وكنا نتلذذ بمحاسن البحر ونتذاكر لطف السفر فيهِ والتمتع بهوائهِ وكأَن تلك الحادثات الَّتي مرت علينا بهِ لم تكن وطورًا نأْخذ في المقارنة بين المراكب الشراعيَّة الَّتي كانت تسافر في البحر وبين البخاريَّة الآن فيقول كلٌّ منا ما يخطر ببالهِ من أَوجه التفضيل وما يرُّ عليهِ من التفصيل وكلٌّ منا صار يحمدُ مسعى الشركات الَّتي تألفت لانشاء هذه المدن الجارية وتسفيرها في مواعيدها المعلومة لا تنتظر تكامل الركاب ولا تتأخر دقيقة عن ميعادها المحدود لها وفيها جميع ما يلزم من آلات الراحة ومعدات الانتظام فضلاً عما اشتملت عليهِ من التحسينات فانك تجد فيها

كل ما يستلزمهُ سفرك من المآكل والمشرب المستحضر في اوقات تجهيزهِ لك ففيها الضأن والبقر وانواع الدجاج والطيور حيَّة يؤخذ منها كلما لزم وفيهـا الأَبقار يؤخذ منها اللبن كل يوم وفيها الخبز يعمل كل يوم بل لكل اكلة من النهار وفيها المشروبات بأَسرها وفواكه الفصل بجميع انواعها وبها من الآلات والادوات ما يتمكن بهِ مهندسوها من تعويض ما يتلف فيها من الآلات اوما يُمكّن من استعمالهِ لغاية الوصول الى اقرب ميناء

واخذنا نذكر انهُ بواسطة هذه السفن يتسنى للفقير مع فقرهِ ان يسافر فيها راحلاً عن بلاد لم تكفهِ الحاجة طالباً لبلاد يؤَمل فيها الخير والسعادة باجر لا تذكر بالنسبة للمسافات الّتي يقطعها في الدرجة الثالثة واخذ بعضنا يقول ان ركاب الدرجة الثالثة يتيسر لهم مأْكلهم في هذه السفن بكل سهولة اما بأَخذهم ما يلزم لقوتهم معهم من محل سفرهم واما بأَخذهم المآكل الّتي تلزمهم من مطبخ ركاب الدرجة الاولى والثانية بنفقات معتدلة مبينة بقوائم مطبوعة كما سبق ذكرهُ هذا فضلاً عن تقسيم سطح الوابور الي ثلاثة اقسام احدها لركاب السطح (الدرجة الثالثة) وهؤلاء ليس لهم مجاوزة ما أُعدَّ لهم وثانيهـا لرياضة ركاب الدرجة الثانية وهؤلاء ليس لهم ان يذهبوا الى المخصص بأَرباب الدرجة الاولى انما لهم الحق في التخطّي الى الدرجة الثالثة وثالثها لرياضة ركاب الدرجة الاولى ولهم الحق في التخطّي لما خصص بالثانية والثالثة اي لجميع سطح الوابور

واخذ واحد منا يتضرر من ضيق محلات النوم لان كل سرير فوقهُ آخر بمسافة لا تزيد عن ثلاثة ارباع متر بل نقل فاجابهُ مجيب بان السبب في ذلك ضرورة عدم امكان الاتساع في اماكن سفن البحر على ان المحل على ضيقهِ مستوفٍ

جميع المطلوبات ففيهِ مقعد للجلوس وفيهِ النور وفيهِ محل لغسل الوجه واليدين الى غير ذلك من اللوازم

واستدمنا على هذا الحال حتى آن وقت النوم وانصرف كلٌ لمحلهِ فاجتمعنا في صباح اليوم التالي (الخميس) ورجعنا الى ما كنا عليهِ من المنادمة والمحادثة بين تلك المناظر الباهية والنضرة الزاهية حتى وصلنا تريسته في الساعة ٢ بعد ظهر يوم الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٩ اي بعد مسيرنا من برنديزي بمسافة ست عشرة ساعة وكنت استدللت من كتاب الدليل الذي معي على ان الوابور الذي يقوم من تريسته الى ڤينيسيا يبارحها قبل نصف الليل بساعة فيصل البندقيةً في الصباح فعزمنا على المسير فيهِ لما رأيناهُ من انهُ يكفينا التفرُّج على البلد من ساعة وصولنا الى الميعاد المذكور سيما انهُ ليس علينا بتلك البلدة الاَّ التفسح في شوارعها والتفرج عليها و زيارة قصر ميرامار وزيارة ترسانة وابورات اللويد الشهيرة التي حضرنا بوابور من وابوراتها وقد رأينا تأخير هذه الزيارة الأَخيرة الى ما بعد العودة الى هنا ثانيةً من السياحة

فأول شيء عملناهُ ان اخذنا تذاكر من تريسته الى البندقيةً كنا محوَّلين من بيت كوك بأخذها هنا ثم اجتهدنا في نقل ما معنا من الأَمتعة الى الوابور الذي سيسافر بنا الى تلك الجهة لعدم الاشتغال بهِ مدة مقامنا بهذه البلد من جهة ولعدم تفتيشهِ بمعرفة الكمرك من جهة ثانية فانهُ لا يدخل البلد حتى يكون خاضعاً لتفاتيشها الكمركيَّة

وان اول محل رسا عليهِ الوابور بتريسته ونزلنا بهِ هو الميدان الكبير (بِيَاتْسَاجْرَانْدِه) وعلى يمينهِ عمارة شركة اللويد وهي من اكبر عمارات تلك المدينة

بها محل ادارة هذه الشركة ومساكن مديريها صرف في بنائها ثلاثة ملايين فلورينو[1] على ما سمعناهُ وفي جهة ثانية من الميدان محل البلديَّة اي محل ادارة المدينة وفي وسط ذلك الميدان فسقيَّة معروفة بفسقيَّة مَاريَه تِيرِيزَه وتمثال للإمبراطور كارلُوس السادس

وفي الجهة البحريَّة من هذا الميدان رحبة أُخرى تعرف بميدان البورصة ويوجد بها دار مجلس التجارة الَّتي كانت قبل محلاً للبورصة اما البورصة الحاليَّة فلها محل آخر في الميدان المذكور يعرف ب (تِرجستِيُوم) وهو عبارة عن بناء عالٍ كبير تحتاط بهِ دكاكين وفي وسطهِ ممشيان مغطيان بالزجاج هما محل اجتماع التجار كل يوم للبيع والشراء في اعمال التجارة

ويمر بهذين الميدانين شارع كُورْسُو الشهير وهو الفاصل بين البلد الجديد والبلد القديم اما القديم فضيق الطرقات على مرتفع عالٍ لا تسلك فيهِ العربات بخلاف الجديد فهو في غاية التنظيم والاتقان متسع الشوارع تتخللها الميادين الكبار

وتريسته هذه اعظم مواني اوستريا هنكاريا تبلغ سكانها مع سكان ضوحيها ١٦٥٠٠٠ نسمة فهي للنمسا اشبه بمدينة هامبورغ لالمانيا وبها قناصل لجميع الدول الاوربيَّة وحركة تجارتها في غاية الأَهمية اذ يتردد على ميناها في السنة ١٤٠٠٠ سفينة منها ٥٠٠٠ بخاريَّة تبلغ حمولتها مليونين وربع مليون طونولاته وتجارتها قدرت بمبلغ ٢٦٢ مليون فلورينو منها الصادرات بمبلغ ١١٧ مليون والواردات بالباقي

---

(١) الفلورينو عملة النمسا ويساوي ثلاث بارات و ٨ غروش بالعملة الصاغ

جميع المطلوبات ففيهِ مقعد للجلوس وفيهِ النور وفيهِ محل لغسل الوجه واليدين الى غير ذلك من اللوازم

واستدمنا على هذا الحال حتى آن وقت النوم وانصرف كلٌّ لمحلهِ فاجتمعنا في صباح اليوم التالي (الخميس) ورجعنا الى ما كنا عليهِ من المنادمة والمحادثة بين تلك المناظر الباهية والنضرة الزاهية حتى وصلنا تريسته في الساعة ٢ بعد ظهر يوم الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٩ اي بعد مسيرنا من برنديزي بمسافة ست عشرة ساعة وكنت استدللت من كتاب الدليل الذي معي على ان الوابور الذي يقوم من تريسته الى ڤينيسيا يبارحها قبل نصف الليل بساعة فيصل البندقيةَ في الصباح فعزمنا على المسير فيهِ لما رأيناهُ من انهُ يكفينا التفرُّج على البلد من ساعة وصولنا الى الميعاد المذكور سيما انهُ ليس علينا بتلك البلدة الاَّ التفسح في شوارعها والتفرج عليها و زيارة قصر ميرامار و زيارة ترسانة وابورات اللويد الشهيرة الَّتي حضرنا بوابور من وابوراتها وقد رأينا تأخير هذه الزيارة الأخيرة الى ما بعد العودة الى هنا ثانيةً من السياحة

فأول شيء عملناهُ ان اخذنا تذاكر من تريسته الى البندقيَّة كنا مُحوَّلين من بيت كوك بأخذها هنا ثم اجتهدنا في نقل ما معنا من الأمتعة الى الوابور الذي سيسافر بنا الى تلك الجهة لعدم الاشتغال بهِ مدة مُقامنا بهذه البلد من جهة ولعدم تفتيشهِ بمعرفة الكمرك من جهة ثانية فانهُ لا يدخل البلد حتى يكون خاضعاً لتفاتيشها الكمركيَّة

وان اول محل رسا عليهِ الوابور بتريسته ونزلنا بهِ هو الميدان الكبير (بِيَاتْسَاجْرَانْدِه) وعلى يمينهِ عمارة شركة اللويد وهي من اكبر عمارات تلك المدينة

بها محل ادارة هذه الشركة ومساكن مديريها صرف في بنائها ثلاثة ملايين فلورينو[1] على ما سمعناهُ وفي جهة ثانية من الميدان محل البلديَّة اي محل ادارة المدينة وفي وسط ذلك الميدان فسقيَّة معروفة بفسقيَّة مَاريه تِيرِيزَهْ وتمثال للإمبراطور كارلوس السادس

وفي الجهة البحريَّة من هذا الميدان رحبة أُخرى تعرف بميدان البورصة ويوجد بها دار مجلس التجارة الَّتي كانت قبل محلاً للبورصة اما البورصة الحاليَّة فلها محل آخر في الميدان المذكور يعرف ب (ترجستِيُوم) وهو عبارة عن بناء عالٍ كبير تحتاط بهِ دكاكين وفي وسطهِ ممْشيان مغطيان بالزجاج هما محل اجتماع التجار كل يوم للبيع والشراء في اعمال التجارة

ويمر بهذين الميدانين شارع كُورْسُو الشهير وهو الفاصل بين البلد الجديد والبلد القديم اما القديم فضيق الطرقات على مرتفع عالٍ لا تسلك فيهِ العربات بخلاف الجديد فهو في غاية التنظيم والانقان متسع الشوارع تتخللها الميادين الكبار

وتريسته هذه اعظم مواني اوستريا هنكاريا تبلغ سكانها مع سكان ضوحيها ١٦٥٠٠٠ نسمة فهي للنمسا اشبه بمدينة هامبورغ لالمانيا وبها قناصل لجميع الدول الاوربيَّة وحركة تجارتها في غاية الأَهمية اذ يتردد على ميناها في السنة ١٤٠٠٠ سفينة منها ٥٠٠٠ بخاريَّة تبلغ حمولتها مليونين وربع مليون طونولاته وتجارتها قدرت بمبلغ ٢٦٢ مليون فلورينو منها الصادرات بمبلغ ١١٧ مليون والواردات بالباقي

(١) الفلورينو عملة النمسا ويساوي ثلاث بارات و٨ غروش بالعملة الصاغ

والمينا هي اهم البلدة حركة وقد صُرفت مصاريف جسيمة في اصلاحها وتحسينها فصرف فيها في مدة العشر سنين الاخيرة نحو ١٦ مليون فلورينو وبالقسم الجديد من البلدة ترعة مستمدة من البحر تدخل المدينة على مسافة ٤٠٠ متر فهي تساعد كل المساعدة في نقل البضائع والأرزاق من البلد واليهِ

فمتعنا نظرنا بجهات هذه المدينة ورأينا بعض الآثار بها راكبين احدى عربات الكراء متأملين في محاسن تلك الانحاء ومنها اتجهنا نحو الشمال سالكين طريقاً غاية في الجمال هو احد منتزهات البلد يسار في كثير من جهاتها بمحاذاة البحر قدر ساعة بل اكثر ثم انتهى بنا المسير الى منتزه نضير فيهِ قصر ميرامارْ

وهو قصر بناهُ مكْسِيملِيان اخو امبراطور النمسا الحالي قبل قبولهِ امبراطورية المكسيك ابدع فيهِ كل الابداع حتى شاع ذكرهُ وذاع واودعهُ من الإحكام والاتقان ما يمكن ايجادهُ للانسان فجاء عديم المثال لم ينسج لهُ على منوال وهو على البحر ذو منظر عجيب ومرأى غريب تحدق بهِ حدائق مونقة ذات انهار واشجار مورقة بديعة الترتيب مزينة بالأعاجيب وهو على الحالة التي كان عليها ايام كان يسكنهُ بانيهِ بما كان لهُ فيهِ من الفرش والأثاث معتنًى بخدمتهِ ونظافتهِ كل الاعتناء فتفقدنا غرفهُ ودخلنا محل النوم ومحل الاكل ومحلات الجلوس والاستقبال وبالاخص محل مكتبة مكسيميان فانها معمولة على شبه محلات المراكب البحرية اذ كان صاحبهُ رئيس الدونمة النمسوية واشرفنا من احد مطلاتهِ (بالكون) على البحر فكان المنظر الذي رأيناهُ من اتساع البحر واعتدال الهواء وصفو الماء احسن ما يراهُ الانسان

وعدنا من هذا التنزه فتعاطينا طعام العشاء في احد الفنادق ثم رجعنا الى

الميدان الكبير لسماع الموسيقى لانهُ علم لنا من مطالعة الدليل انها تعزف في هذا الميدان ثلاث مرات في الاسبوع منها يوم الخميس

ونعم ما فعلنا في هذه الرياضة فقد رأينا في ذلك المحل من اجتماع الناس واحتشادهم لسماع الموسيقى مع منظر الأنوار البديع وهواء البحر واتساع المكان ما ما يدهش الالباب ولكن ادركنا التعب لكثرة المشي وان كان فيهِ رجالٌ ونساء بالغةٌ حدّ الجمال والرشاقة والاعتدال فجلسنا على احدى قهاوي الميدان ننزّه الطرف في ما نراهُ ونُشنّفُ الآذان بسماع النغمات الحسان وننعش الارواح برائي تلك الملاح مع ما يمتدّ أمامنا من نضرة الخضرة ولطافة البحر وطيب هوائهِ واتساعهِ وصفاء مائهِ ومشاهدة الازهار واجتلاء الانوار وبينما كنّا نجتني ثمرات هذه اللذات ونجتلي مناظر هاتيك المتبرِّجات اذ وقعَ نظري على بناء شركة ليولد الذي عرَّفتكَ بهِ في اوائل الوصول الى هذا البلد فجال في خاطري في الحال ما قرأتهُ بخصوص هذه الشركة في الدليل هذا النهار (١) واخذت احدِّثُ بهِ رفاقي ونتبادل الاسف على عدم الاعتناء في بلادنا بأمر الشركات واهمالها مع انها السبب في الخير والاصل في الثروة والوسيلة الوحيدة في الغنى والتقدم والتمدن والعمران ومع انها هي التي اوصلت اوروبا واهلها الى الدرجة السامية والمعارف النامية مما نراهُ وقت حديثنا وسيزداد الاختبار كلما تقدمنا الى الامام فيا حبذا

(١) وهي انشئت سنة ١٨٣٣ ومركزها تريسته وبابوراتها زادت عن السبعين من مدة سنين وبواسطتها تتصل تريسته مواصلة منتظمة بمواني بحر الادرياتيك التابعة للنمسا وبالمواني اليونانية وبالمواني العثمانية مثل سلانيك والقسطنطينية وكريد ورودس وازمير وبيروت واسكندرية وبورسعيد وصمصون وغيرها من مواني البحر الاسود وتنقل سفن هذه الشركة في السنة الواحدة ٣٠٠٠٠٠ مسافر ومليون خطابات ومليون وربع مليون طرود وصرر

ثم يا حبذا لو اجتهد اهل بلادنا في اجتماعهم على شركات تورثهم الغني والتقدم ويتمكّنون بواسطتها من القيام بالاعمال المهمة الّتي لا تقوم بها الآحاد ولا يقدر عليها الافراد لاحتياجها الى جمع كثير من المال يسهل بمعونة الاجتماع ايجادهُ ويتعذر او يتعسر الحصول عليهِ بالانفراد فيقدِرُ ان يفعل اصغر الجمعيات ما يستحيل على ذي ثروة بانفرادهِ من كبار الأغنياء

ويترتب على ذلك من المصالح ما لا يُحصى ومن المنافع ما لا يُستقصى فانهُ لاشتراك الناس في فوائدها يساعد بعضهم بعضاً على تسهيل امرها وحسن تسيير عملها مع المراقبة والمحافظة ولأنَّ هاتهِ الشركات فضلاً عما تقوم بهِ من الاعمال الجسيمة تكون سبباً لتعيُّش كثير من الآحاد الّذين يُستخدمون فيها وباب خير عظيم لمن تشغلهم من العمال في اعمالها وعلى فرض الخسارة فانها لتفرُّقها في عدة اشخاص يبلغون المئات والالوف لا يكاد ان يوجد لذلك اثر بخلاف ما اذا كان العمل كلهُ لواحد ولو كان من الثروة والغنى بمكان عظيم فربما اوجب ذلك فقرهُ واضمحلالهُ وذهاب ما بيدهِ بالكليّة

هذا وقد اخذ سيدي الوالد يستأنس لذلك بالآيات والاحاديث حيث ذكر قولهُ تعالى (وتعاونوا على البرّ والتقوى) فان الاجتماع على القيام بمصالح الناس ومنافعهم لاشك انهُ من البرّ وقد بينّا فيما تقدم ما في اجتماع الناس على الشركات من المصالح والمنافع العامة وقولهُ صلى الله عليهِ وسلم (يد الله مع الجماعة) وقولهُ ايضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضهُ بعضاً) فان في ذلك حثاً على تعاون الناس بعضهم بعضاً وتعاضدهم الى غير ذلك مما ورد في السنّة وجاء بهِ الشرع الشريف من الحث على الاجتماع والتعاضد ودار الكلام في ذلك الى ان قرب

ميعاد السفر فتركنا المحل ونزلنا الوابور وسار بنا قبل نصف الليل بساعة على بركة الله

﴿ وِينِيسْيَهْ (البندقية) ﴾

كما يتيسر السفر من تريسته الى البندقية بطريق البحر كذلك يتيسر بطريق السكك الحديدية في مسافات تختلف بين عشر ساعات واقل وأكثر باختلاف سرعة الوابورات ويسير الوابور اربع مرات في كل يوم بين هذين البلدين وانما اخترنا طريق البحر ورجحنا السفر فيهِ للتفرج على مدخل البندقية من جهة البحر فإنهُ لا يتيسر لو قصدناها من جهة البر

فركبنا ذلك الوابور الذي اشرنا اليهِ في آخر الفصل السابق وهو من منشآت شركة ليولد النمساوية السالف ذكرها انشأتهُ مع كثير من امثالهِ للمواصلة بين البلدين بحراً او بين تريسته وكثير من الثغور المجاورة لها فتسير على مقربة من البر فاستغنى لذلك عن ان تكون من الوابورات الكبيرة واكتفى بان تكون بقدر وابورات النيل او اكبر منها بقليل الاّ انها تفوقها بما لا يوصف من الرونق والزينة وهي يشابه بعضها بعضاً في الكبر والصغر والهيئة حتى في ألوانها ويشتمل الواحد منها على صالة كبيرة تحت الكوبرته (سطح الوابور) للاكل والاستراحة والقراءة فيجد الانسان فيها من المآكل ما يشتهيهِ باثمان معلومة محدودة غاية في المناسبة ويجد بها الجرائد المشهورة وبعض دلائل الشركات والسياحين فيستفيد منها ما تهمهُ معرفتهُ ويشتمل ايضاً على غرف عديدة معدة للنوم بجانب تلك الصالة وتحتها تضاهيها في الرونق والبهجة

فاذا اصبح الصباح وجد المسافر في تلك الصالة من الحليب والزبد والشاي ونظيف الخبز ما يكفيهِ موءُنة الاشتغال بامر الاكل زمناً من النهار

ولحرصنا على التمتع بمدخل وينيسيه بادرنا الى القيام من النوم والاستعداد للصعود فوق سطح الوابور قبل وصولهِ اليها بنحو نصف ساعة فوصلناها في الساعة السابعة صباحاً من يوم الجمعه ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٩ بعد مسير ثمان ساعات من مبارحتنا تريسته

ولا بد انك تعلم من كتب الجغرافية ان هذه المدينة واقعة كالتي مرت عليك قبلها على بحر الأدرياتيك بالخليج المنسوب اليها وانها قاعدة ولاية البندقيَّة من ولايات ايطاليا المسماة باسمها وان عددسكانها يزيد على ١٢٥ ألف نسمة

ولا بد انك تتذكر ما حكتهُ التواريخ عن مجد هذه المدينة وعِظَم شأنها في القديم وان اهلها بعد ان التجأوا الى مكانها الذي لم يكن معموراً من قبل وكانوا متفرقين اخذوا في الاتحاد والانضمام والتعاون والتعاضد حتى شيدوا ملكاً بعد ان شادوا المدينة وكان من شأنهم ان تغلبوا على كثير من البلاد وقهروا كثيراً من العباد وصارت بلدهم مدة قرون عديدة واحقاب مديدة مركزاً للتجارة بين اسيا واوروبا حتى تحولت عنها باكتشاف اميركا ورأس الرجا الصالح في الازمان الاخيرة واخذت البندقيَّة في الانحطاط وتوالت على اهلها الحروب الى ان دخلها الفرنسويون مدة نابوليون الأول وكان لم يدخلها قط قبل ذلك عسكر عدو فالغيت حكومتها الجمهوريَّة وخسرت استقلالها من ذلك الحين وبقيت تحت سلطتهم مدة الى ان انتقلت الى حكم النمساويين وعادت بعدهُ لنابليون الثالث فأقيمت فيها حكومة محلية ولكنها ما لبثت ان انضمت برغبة شعبها الى الايطاليين وهي لا تزال تحت

حكمهم الى الآن

ومدينة البندقيّة هذه قائمة في وسط بحيرات منسوبة الى اسمها (بحيرات البندقيّة) منفصلة عن البحر بلسان من اليابسة يمنع عنها شروره ممتد على بعد نحو اربعة اميال عن الشاطىء يتخلله فتحات خمسة تدخل منها السفن الى البحيرات والمدينة ولا يزيد عرض هذا اللسان عن مائة متر وقد صارت تقويته بمصاريف طائلة وباعمال استغرقت قروناً حتى صارت المدينة في مأمن من صدمات البحر وهجماتهِ كما صار تقوية شاطىء البحيرات المتصل بالقارة بأخشاب دُكّت بالارض لمنع تسلط الانهر مما استغرق عمله نحو اربعة قرون

والمدينة في وسط البحيرات كما تقدم مبنية على ثلاث جزر كبيرة يتخللها نحو ١٥٠ خليجاً فتقسمها الى ١١٧ جزيرة متصل بعضها ببعض بنحو ٤٠٠ قنطرة ويتيسر المشي في اي جهة منها برًّا بواسطة ارصفة اتخذت بجانب المنازل بحذاء الخلجان وبواسطة تلك القناطر كما يتيسر السير فيها بزوارق صغيرة تعرف بـ(الجندول)

وهيئتها العموميّة اشبه بمثلث يقسمهُ كنال يعرف بـ(كَنَالِي جرَانْدِي) اي الكنال الكبير الى قسمين غير متساويين من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي وتظهر للناظر من كل جهة كأنها سابحة على الماء وذلك يكسبها منظراً غاية في البهاء وأجمل مسالكها وازهاها والطفها وابهاها ذلك الكنال الكبير السالف ذكره حيث يبلغ طوله ٣٧٠٠ متر وعلى ضفتيه السرايات البديعة الشكل التامة النظام

وقد ركبنا جندولاً من تلك الجناديل بمجرد وصولنا الى المدينة فأوصلنا الى الفندق المسمى (جرَانْ أُوتيل فِكتوريا) وبعد ان تركنا امتعتنا استبقينا ذلك الجندول معنا وقصدنا بهِ (الكنال الكبير) فاذا هو من احسن المناظر واحلاها

وابهجها واعلاها تحف بهِ السرايات الفاخرة من الجانبين سرايات الاشراف والاغنياء ومساكن الحكام القدماء

وهذا الكنال يمكن عبورهُ للمار بواسطة خمس قناطر في مواضع متفرقة منهُ أغلبها من الآثار المشهورة بحسن صنعها واتقانها وبزوارق جعلت في مواقف مخصوصة فيهِ عددها سبعة عشر موقفاً

وعلى جانبي الكنال سوى السرايات السالف بيانها كثير من معامل الزجاج والفُسَيفِسَاء والمرايا وغيرها من المصنوعات الزجاجيَّة فتفرجنا على كثير منها ادهشنا اتقان مصنوعاتها ولا غرو في ذلك فلهذه المدينة اليد الطولى في عمل الزجاج من قديم الأزمان ولا زالت الى الآن محافظة على المنهج القديم وقد وصلت مهارتهم في اصطناعهِ الى درجة ايجادهِ (الزجاج) على شكل خيوط رفيعة مَرِنة يعمل فيها الصانع ما اراد من الأواني على اشكال متنوعة بالطريقة المعروفة بالجدل ولا يكاد يصدِق الانسان انها من الزجاج نظرًا لمرونتها ودقة خيوطها الَّا اذا عثر على طرف من اطراف تلك الخيوط فانهُ يعرفهُ بكونهِ محددًا ربما يجرح

وعادة الصناع في تلك المعامل ان يهدُوا للمتفرج شيئًا من الزجاج يُعمل أمامهُ ويُنقش عليهِ اسمهُ بحروف ذهبيَّة ليبقي تذكارًا عندهُ من آثار سياحتهِ والقصد من ذلك الأهداء اجتذاب رغبة الزائر في الشراء ولا اقل من ان ينالوا منهُ بعض نقد مكافأةً على اهدائهم فأخذنا من تلك المصنوعات أُكَرًا صغيرة صُنعت أمامنا من المادة الاصليَّة حتى صارت زجاجًا وكتب عليها اول حرف من اسمائنا لتعلَّق في السلسلة التي تعلق بها الساعة وكان ذلك سببًا في شرائنا بعض اشياء دفعنا ثمنها مع مكافأة العمال على ما اهدونا كالمعتاد هناك وقد ألحوا علينا في الشراء وحاولنا

التخلص من ذلك فلم يتيسر فانا كل ما اعتذرنا عن ذلك بعذر ردوهُ بألطف رد حتى لما اعتذرنا باننا مسافرون لجهات بعيدة ولا يسعنا ان ننقل ما نشتريهِ في هذه الاسفار اجاب من كان يُسايرنا في جهات المعمل اننا لا نشغل افكارنا بهذا الشان فأن لأرباب هذه المعامل عملاء بالاسكندرية ومصر يرسلون اليهم ما نُحب من الاشياء بحيث نجدها حاضرة بمجرد وصولنا فنستلمها وندفع الثمن هناك

ثم بعد ذلك اخذنا نجول في المدينة برًّا وبحرًا ورأينا معظم امكنتها وأعظمها مبتدئين في ذلك بميدان (سَانْ مَاركو) وهو الطف انحاء المدينة واكثرها حركة ويتصل بالميدان الصغير (بِيَاتْسِتًّا) المشرف على البحر بقرب مدخل كنالي جراندي من جهة الشرق وتفرجنا في الميدان الكبير المذكور على كنيسة سَانْ مَاركو وهي اقدم كنائس تلك المدينة واشهرها واحسنها صنعةً واتقانًا وقد بهرنا حسن مبانيها العظيمة واعجبنا التمثال الموضوع على بابها وهو عبارة عن حصان من النحاس ورأينا بالميدان الصغير في جهتهِ الشرقيَّة الكتبخانة القديمة من الخارج وهي ذات ابنية مشيدة واعمدة كبيرة موجودة من القرن الخامس عشر للمسيح وفي جهتهِ الغربيَّة سراي (الدُّوجْ)[1] البديعة الصنع فراقنا حسنها واعجبنا صنعها واحكامها واتقانها وهي مركز حكام تلك الديار في السابق ومن آثار القرن الرابع عشر للمسيح محدقة من جهتها الجنوبيَّة والغربيَّة بأعمدة تعلوها سقف وهي ذات طبقتين مزينتين بأحجار من المرمر الاحمر والابيض وكنا نرغب ان ندخلها ولكن عاقنا عن ذلك مضي الوقت المحدد في يومنا هذا وعدم امكان التأخُّر في اليوم التالي عن السفر واكتفينا عن الدخول في هذه السراي بمطالعة الدليل

(١) الدوج بمعنى الدوك وهو لقب حاكم هذه البلاد القديم

على ما بها واذا بهِ ذكر انها من اشهر آثار البندقيَّة وان بها من الداخل رحبةً كبيرة يتهافت الزائرون على التمتع برؤْية جهتها الشرقيَّة ومنها يدخل الى سلم عديم المثال فيهِ من التماثيل الهائلة ما يحير الالباب فيتوصل بهِ الى صالات السراي حيث يجد الزائر من الآثار التاريخية واعمال المصورين والنقاشين البندقيين القدماء ما خلد مجد هذه البلدة وابقى ذكر اسمها مقدماً في فن الرسم والتصوير على غيرها من البلاد ويجد الزائر في (قاعة المجلس الاكبر) رسم (الجنَّة) المعدود من اكبر الرسومات الموجودة الى الآن في العالم ويجد في قاعة (الاقتراع) رسم (يوم الحشر والحساب) ويجد كذلك في قاعة الكتبخانة وفي قاعة الانتكخانة وفي غيرها في هذه السراي ابدع الآثار المتعلقة بالتاريخ دالة على علو شأن النوع الانساني من قديم الازمان

واخذنا بعد ذلك اي (بعد ان تعاطينا طعام الظهر في الفندق الذي نزلنا بهِ) نجول في البلدة مرجحين الكنال والخلجان على السكك لضيقها وعدم تمام انتظامها وعدم اتصال بعضها ببعض في كثير من الاحيان فمررنا بميادين كثيرة وان كانت صغيرة (بها ١٢٧ ميدان) وبكنائس جمَّة (بها ١٠٠ كنيسة)

والحاصل ان هذه المدينة لم يحرمها وجودها في وسط الماء متخللاً في سائر جهاتها من ان تجمع الى حسن المنظر وطيب الهواء ما يحتوي عليهِ غيرها من المدن الارضيَّة من الزينة والبهاء اذ بها جميع معدات الراحة حتى الجنائن العموميَّة (انشأها نابليون الاول منذ استيلائهِ عليها) والتياترات

وقد مررنا قبل المساء بالسوق المعد لبيع الأسماك وحيوانات البحر فوجدناهُ على ضفَّة الماء مفتوح الجوانب مغطًّى جميعهُ بسقف من الحديد منقسمة ارضهُ الى عدة

اقسام مصطفة فيها الطاولات خص كل قسم منها بنوع من حيوانات الماء ورأينا من اختلاف الأصناف والاشكال والالوان والاثمان ما لم يكن داخلاً عندنا في حساب

وقد صادف وجودنا بالمدينة احتفالٌ اعدَّهُ الاهلون في تلك الليلة اجلالاً لحضور الملكة لذلك الثغر فجمع من العالم على الكنال الكبير ما يفوق الحصر وظهرت فيهِ المنازل المجاررة للماء بديع الانوار والاضواء وترنمت فيهِ الموسيقات بأحاسن الاناشيد والنغمات ولم يكدر ذلك الصفو غير المطر الذي كثر وقوعهُ تلك الليلة من السماء

وبعد ان أخذنا من التفرج حظنا عدنا لمحلنا فنمنا فيهِ بغاية الراحة على نيَّة السفر من هنا غداً الى ميلانو

من البندقية الى مِيلاَنُو

قد اخترنا القيام من البندقيَّة بوابور الصباح في السكة الحديديَّة تقديماً لهُ على غيرهِ اذ يقوم منها خمسة وابورات بالاقل في اليوم والليلة لنصل الى ميلانو في اثناء النهار فنتمكن من رؤْيتها والاستراحة بها حتى اليوم التالي فقمنا بوابور الساعة تسعة وربع من صباح يوم السبت ٢٧ يوليوسنة ١٨٨٩ وسرنا بين اودية لطيفة ومناظر ظريفة وانهار وبحيرات واشجار وغابات ومررنا على محطات كثيرة يشابه بعضها بعضاً وان اختلفت وضعاً واتساعاً وانخفاضاً وارتفاعاً حسب اهمية المدن والبلدان ولا نخص واحدة منها بالذكر غير ان محطة (بَسكِييرَا) الواقعة على بحيرة (جوَارْدُو) بقربها تمثال (سُولفِيرِينُو) ينظرهُ من ورد تلك المحطة وهو تمثال شهير

موضوع بالقرية التي تسمى بذلك الاسم بين بسكيرا السالف ذكرها (ومانتو) وجعل في ذلك الموقع تذكرة للواقعة الحربية الشهيرة التي حصلت هنالك في سنة ١٨٥٩ وانتصر فيها الفرنساويون على النمساويين انتصارًا عظيماً وهو اشبه شيء بعمود السواري عندنا وفوقهُ شبه تاج من الحجر

وما زال الوابور ينتقل بنا ونحن نتناقل الحديث مع من ساقتهُ لنا الصدفة من السائحين فكان فيهم احد محرري (غازيتة ميلانو) وآخرُ طالبُ علم في بولونيا فأخذ الاول بعد تعرُّفهِ بنا ومعرفة جهة قصدنا واستيفائهِ منا جميع الاستعلامات واستفهامهِ عما يهمهُ من الاستفهامات ينصحنا في امر الفنادق في ميلانو والتفرج على ما يجب التفرج عليهِ فيها بتقديم الأهم على المهم واخذنا نستفهم منهُ ما يهمنا الوقوف عليهِ من العوائد والاخلاق كما اخذ هو يناقشنا في عادات الشرق واخلاق ساكنيه الى ان انتهى بنا الحديث على تحجُّب النساء فيهِ وصار كل فريق يورد مزايا الطريقة التي ينتصر لها ويؤيدها بالادلة والبراهين فكنا نعتمد في دفاعنا على ان التحجب من موجبات العفاف وكان يحتجُّ علينا بما في عدمهِ من امكان التعاون وتيسر المساعدة بأن قال إن من عوائدكم حجب النساء عن الرجال وذلك امرٌ فيهِ من الصعوبة ما لا يخفى فان المنع من مقتضاهُ عدم المعاونة والاختلاط فيهِ التعاون على المعاش واظنكم لا تنكرون ذلك فاجبناهُ أن الحجب عندنا ليس على اطلاقهِ بل الممنوع اختلاء الاجنبي بالاجنبيَّة من غير ان يكون معهما ثالث مميز اما الاختلاط الذي فيهِ التعاون في امر المعاش لم يمنعهُ عندنا شرع ولا عادة بل للمرأة ان تبيع وتشتري وترهن وتشارك الى غير ذلك من انواع المعاملات نعم اختلاط النساء بالرجال الذي يكون كاختلاط اهل اوروبا في المجتمعات العموميَّة

والخصوصيَّة ممنوع عندنا وهو لا فائدة لهُ في امر المعاش مع انهُ ربما يكون داعية لما هو ممنوع عندنا وعندكم

ثم انتقلنا من ذلك بعد كلام طويل فيهِ الى امر تعليم النساء فكان يظهر ان صاحبنا يظن منع تعليمهنَّ عندنا فأفدناهُ ان تعليمهنَّ عندنا ليس بممنوع بل منهُ واجب كتعليمهنَّ امر دينهنَّ ومنهُ مباح كتعليمهنَّ الصنائع واللغات على اختلاف انواعها من غير تقييد فيها حتى الطب والهندسة وقد ورد في الشرع الشريف ارشادات كثيرة في تعليمهنَّ وانشئت لهنَّ المدارس فيما مضى من الزمان فنبغ منها عالمات فاضلات تولينَ امر تعليم غيرهنَّ حتى الرجال وروينَ الحديث ونبغنَ في جميع العلوم والفنون واشتهرنَ بالتأليف والتصنيف والاشعار البديعة وذكرنا لهُ منهنَّ السيدة كريمة راوية البخاري والسيدة عائشة الباعونيَّة صاحبة البديعيَّة المشهورة وشرحها ولها ديوان شعر مشهور وولَّادة الشهيرة وغيرهنَّ وعرفناهُ ان امر تعليمهنَّ لا يزال معتنًى بهِ الى الآن عندنا كل الاعتناء وها هي مدارس البنات بمصر وغيرها مشهورة معلومة فسرَّ صاحبنا لذلك

وانساق بنا الحديث من تعليم البنات الى تعليم البنين وعند ذلك اخذ الطالب البولوني في البحث والمناقشة معنا في امر التعليم فدل كلامهُ على ان امر ذلك في بلادهم قائم على مبادئ صحيحة واصول منتظمة فأخذ سيدي الوالد يبيّنُ حال التعليم في بلادنا الآن وانتشارهِ واتقانهِ في هذه الازمان

وما انقطع هذا الكلام الاَّ عند تعاطي الطعام وعدنا بعدهُ اليهِ حتى وصلنا ميلانو وكانت المسافة من البندقيَّة اليها ست ساعات ونصف ساعة

فركبنا عربة ووصلنا الى فندق (جراند أُوتيل دِي مِيلانُو) وبهِ تركنا

ما معنا من الأَمتعة وغيّرنا من الثياب ما غيرتهُ السكة الحديديّة وركبنا العربة نفسها واخذنا نجوب البلدة للتفرج عليها

ورب معترض يعترض على التغيير فانهُ على الظن لا يكون الاَّ في البلاد الَّتي يكثر فيها الغبار والتراب كمصر وما يماثلها اما تلك الجهات فلا يكون فيها ذلك لصلابة ارضها واكتسائها بالنبات من جميع الجهات فيجاب بان التغيير الذي ذكرناهُ لم يكن منشأَهُ غبارُ الارض بل غبار دخان فحم الوابور وهو اشد تأْثيرًا على الثياب ممَّا عندنا من الغبار فاذا اصاب العين شيءٌ منهُ آلمها اشد الايلام وان قال قائل كيف بعد سفر ست ساعات ونصف نخرج للتفسح بدون استراحة اجبناهُ بان الاسفار في هذه الجهات والمعيشة فيها لا تشابه اسفار بلادنا ولا معيشتنا فيها فكأَن وجود الانسان في هذه البلاد يكسبهُ النشاط وسرعة الحركة والحرص على الوقت وحسن استعمالهِ وعدم ضياعهِ بمجرد استنشاقهِ هواءها الذي جعل اهلها يجدون و يجتهدون و يهتمون في مصالحهم فيتحصلون على ما يوجب لهم التقدم ورغد العيش فهم اعرف الناس بقيمة الوقت وعدم صرفهِ في البطالة والكسل وما لا يغني واعلمهم بكيفيَّة استعمالهِ واجتناء ثمرات اشتغالهم فيهِ واذا اعتبر هذا القائل حالنا في هذه الاسفار وتقدمنا وهمتنا ونشاطنا ومتابعتنا فيها الليل بالنهار مستديمين التفرج على المدن وغيرها واستطلاع احوالها اتضح لهُ ما ذكرناهُ وعرَف الفرق بين حال الانسان في هذه البلاد وحالهُ في بلادنا فان الانسان في بلادنا اذا أَراد السفر من مصر الى طنطا مثلاً فانهُ يستعد لأَخذ اهبة السفر و يتردد في تجهيز ما يؤْخذ وما لا يؤْخذ من الثياب والمتاع وذلك يستغرق زمنًا طويلاً وعند ارادتهِ ركوب الوابور يذهب الى المحطة قبل الميعاد المحدد لقيامهِ بمسافة طويلة كان يمكنهُ ان

يعمل فيها اعمالاً كثيرة واذا وصل الى مقصده فلا بدَّ ان يستريح يومهِ هذا او بعضهُ من غير ان يشتغل بشيء مما قصدهُ فاذا اراد العود كان منهُ ما كان اولاً فاذا وصل بالسلامة الى مقره استراح وامتنع عن مقابلة الناس بعلة الاستراحة من السفر بل قد تمتنع عنهُ اصحابهُ من انفسهم طلباً لراحتهِ وكنا نرجو اننا عند عودتنا الى مصر لا نعود الى هذه الحال من التكاسل والاهمال

فان قيل ان السبب فيهِ عندنا حر البلاد وهواؤها واقليمها وماؤها اجبنا بوجود ذلك في بعض الاقاليم الجنوبية من اوروبا وان من يقيم في بلادنا من اهل اوروبا مع وجود هذه الاسباب لا يكون حالهُ كحالنا بل محافظ على الجد والاجتهاد والحرص على عدم ضياع الاوقات فعلم ان الحر والماء والهواء ليست اسباباً لهذا الداء بل ذلك تطبع اعتدناه يمكن زوالهُ ان نحن حاولناهُ

ولنرجع الى ذكر ميلانو فنقول انها مدينة من مدن ايطاليا في وسط سهل ارضهُ خصبة ذات تقدم في الزراعة و يبلغ سكانها نحو ٢٦٢ ألف نفس

وهي منقسمة الى قسمين احدهما المدينة القديمة يكتنفها خليج نافيليو جرانديِ وثانيهما المدينة المستحدثة وقد اقيمت مكان الضواحي القديمة بين الخليج المار ذكرهُ والسور المحيط بالبلدة

فاخذنا نسير في طرقاتها فوجدنا اكثر طرقات القسم القديم غير منتظمة في الاعتدال والتبليط والقسم الجديد طرقاتهُ على الضد من ذلك فان الكثير منها غاية في التنظيم والسعة والاحكام خصوصاً الطريق المسمَّى (كُورْسُو ڤِكْتُورْ إيمَانُويلْ) فان بجانبهِ احسن الدكاكين كبيرة وصغيرة وطريق (كُورْسُو دِي بُورْتَا وينيسيا) وهو قسم من الطريق الذي قبلهُ

ثم رأينا الميدان (بِلاَنْسُودِلْ دُومُو) وهو في وسط المدينة وعلى احد جوانبهِ الكنيسة الكاتدرائيَّة الشهيرة وهي اكبر كنائس اوروبا بعد كنيسة القديس بطرس بروما وبعد كنيسة اشبيلية عاصمة الاندلس باسبانيا .

فدخلنا هذه الكنيسة وهي معدودة من عجائب العمارات بالنسبة لجودة المواد المستعملة في بنائها وحسنها واتقانها وما فيها من التصاوير والتماثيل المحكمة الصنع العجيبة الوضع وهي وان ابتدئ في بنائها سنة ١٣٨٦ لكن لم تتم الى الآن ويفوق داخلها خارجها في كثرة التماثيل وحسن النقوش وكثرة الاعمدة وارتفاع السقف واتقان تبليط ارضها بانواع المرمر المختلفة الالوان والاشكال التي هي الغاية القصوى في الابداع

وفي الجهة الشماليَّة من (بلانْسُودِلْ دُومو) المار ذكرهُ العمارة الهائلة المعروفة بـ(جاليِرْيا فكتور إيمانويلْ) وهي بناء عظيم غاية في الاحكام والزينة والزخرفة وفيهِ عدة طبقات يتخللها طرقات واسعة معطاة جميعها من الاعلى بالزجاج ولهُ ابواب من سائر جهاتهِ اهمها ما يدخل بهِ من هذا الميدان وبهِ من البضائع والحرائر وغرائب المنسوجات وبدائع المصنوعات ما لا يدخل تحت حد الاستيعاب مكتوب بأعلى مدخلهِ بالخط الجلي (من الميلانيين الى فكتور إيمانويل)

ثم بعد ذلك تفرجنا ولكن من الخارج على سراي (برِيرَا) وهي اشهر امكنة ميلانو بعد الكنيسة السابقة وتحتوي على متحف رسومات من صنع أشهر الرسامين وعلى متحف فيهِ مجموعة من النقود القديمة فريدة في بابها

ولم يساعدنا الحظ بالنسبة لضيق الوقت وقرب الليل على زيارة الكتبخانة التي هي من اعظم ما يزار بميلانو نظرًا لما تحتوي عليهِ من الكتب اذ يبلغ عددها

١٤٠ ألف مجلد منها عشرون ألفاً بخط اليد كثير منها نادر الوجود لا تدخل قيمتهُ تحت حد التقدير

وقد دلّتنا هيئة العمارات بميلانو وزخرفتها على غنى اهلها ولا غرو في ذلك فان بها كثيراً من فاوريقات الحرير والقطن ولها تجارة عظيمة ساعد عليها سهولة اتصال هذه المدينة بواسطة الخلجان الصناعيّة الى انهر لومبارديا وبحيراتها بحيث صارت من اغنى مدن ايطاليا وأوسعها ثروة

وبسبب سعة تجارتها تتردد عليها الأجانب من كل جانب فاستلزم ذلك اعتناء اهلها بالفنادق فهي فيها من الدرجة الاولى فهذا الفندق الذي نزلنا بهِ من احسن ما رأينا من الفنادق انقاناً فجميع غرفهِ يستصبح فيها بالكهرباء وبهِ محل للتلغراف وآخر للبوستة وآخر للسكة الحديد وبهِ الحمامات وغير ذلك من المستلزمات حتى ان القائمة التي تعمل فيهِ كل ليلة عن اصناف الاكل الذي اعد لطعام المساء تطبع ببيان اليوم وساعة ابتداء الاكل فتجد هذه القائمة مطبوعة في صحيفة من اربع صحف مملوءة الثلاثة الباقية منها باعلانات عن الدكاكين التي يجد المسافر فيها ما يحتاجهُ عادة من الاشياء مع بيان مواضعها

ومع تردد الاجانب على هذه البلد كما ذكرناهُ فانها مع ذلك يظهر ان اهلها غير متعودين على تردد المشرقيين بملابسهم المشرقيّة فاننا رأينا منهم غاية الاستغراب لهيئة الطرابيش وبالاكثر لهيئة الجبة والقفطان اللذين كانا يلبسهما احد رفقائنا ولكننا مع ذلك لم نرَ ولم نسمع منهم قط ما يؤخذ منهُ الاستهزاء والصحيح ان سكان هذه البلد وسكان مدينة البندقيّة التي قبلها غاية في اللطف ورقة الطباع

وبعد ان اكلنا طعام المساء واسترحنا في الصالون حيث اطلعنا على الغازيتات

والاخبار تمشينا بشوارع البلد لرؤية هيئتها في الليل فاذا جميعها منوَّرة بالنور الكهربائي فجعلها في الليل كالنهار

وحيث كان بلغ منا طلب النوم حدهُ لاسيما مع سفر اليوم والمشي في الليل وفي النهار فقد نمنا نوماً طيباً الى الصباح

من ميلانو الى لُوسِرْنْ بطريق سَانْ جُوتَارْ

الطريق الذي سلكناهُ من ميلانو الى لوسرن من اعظم الطرق الّتي سلكناها في سياحتنا من اولها الى آخرها فجزى الله من دلّنا عليها احسن الجزاء فاننا رأينا فيها من بدائع الخلقة وعجائبها ومدهشاتها وغرائبها ومن لطائف عمل الانسان ما لم يكن في الحُسبان

اما عجائب الخلقة فلأن ارض السويسرة من اخصب الارض وابهاها واجملها رونقاً وازهاها من حيث الخضرة والنضرة والمناظر الحسان في السهول والبحيرات والأودية والغدران

واما عجائب عمل الانسان فلاقتدار اقوام هذه الجهات على تسيير السكك الحديديّة بجبالها الجسيمة الشاهقة وأوديتها الغائرة والمتسعة حتى يسهل الوصول من جهة الى اخرى

وطرق المواصلات في هذه البلاد ثلاثة طريق السكك الحديديّه الّتي سلكناها وطريق البحيرات بوابورات البحر وطريق البر بالركائب واحياناً بالعربات

وقد اخترنا الطريق الحديديّة لسهولتها عن غيرها ولاستمرارها كل المسافة بدون انقطاع لا كما يكون في حال السفر في البحيرات فأنها غير متصلة ببعضها

ولا كما يكون في السفر بالركائب فان فيهِ من الطول والمشقة ما ليس في الاخريين

واخترنا من بين الوابورات الَّتي تقوم من ميلانو الى لوسرن البالغ عددها سبعة في كل اربعة وعشرين ساعة الوابور الذي يقوم صباحاً لنتمكن من رؤية ما يستحسن في الطريق على ضوء النهار ونمر بمنفذ سان جوتار

فركبنا الوابور من ميلانو الساعة ٩ و ٥٥ دقيقة من صباح يوم الاحد ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٩ وسار بنا حتى وصل الى لوسرن والساعة ٥ و ٣٥ دقيقة بعد الظهر اي قطع ما بين هاتين المدينتين في مسافة ثمان ساعات الاَّ ثلث ساعة

وكان طريقنا المذكور جميعهُ متجهاً من الجنوب الى الشمال مائلاً الى الغرب قليلاً فاجتزنا اولاً ما بقي من ارض ايطاليا مارّين على بحيرة كُومُو حيث وقفنا بجوارها ثلاث دقائق فوصلنا بعدها الى كِيَاسُّو وهي اول حدود السويسره بعد مسافة ساعة وثلث من ميلانو وقد مررنا في الاثناء على اودية لطيفة وسهول في غاية الخصوبة

ثم سرنا من كِيَاسُّو حتى وصلنا بحيرة لُوجَانُو فسرنا على جانبها الشرقي مسافة ثم اجتزناها وسرنا على جانبها الغربي بمحاذاتهِ حتى وصلنا مدينة لوجانو الواقعة عليهِ في منتهاهُ فوقفنا ثلاث دقائق

ومدينة لوجانو هذه اهم مدن اقليم تيسّان من اعمال سويسره وهو الاقليم الذي حصلت فيهِ اضطرابات سياسيَّة في سنة ١٨٩٠ اضطرّت حكومة السويسرة العمومية لأن تتداخل فيها بالقوة العسكريَّة وطنطنت بها الجرائد مدة من الزمن

ومنظر هذه البلدة وبلدة كومو الَّتي قبلها غاية في اللطف لانتشار مساكنها

ذات اللون الأبيض المحيطة بها الحدائق على شطوط البحيرة وتزيدها اشعة الشمس وانعكاساتها فيها رونقًا و بهاء

ثم استمرَّ بنا المسير نجتاز الاودية والغابات والانهار ونصعد المرتفعات كل ذلك بين مناظر متغيرة وابصار متحيرة فكنا نمر من أعلى الوادي على قناطر من خشب بحيث يهولنا النظر الى قرارهِ لبعدهِ وعدم التمكن من التحقق منهُ ثم نصعد الجبل فتخف سرعة الوابور من نفسها وان كانت حركتهُ هي هي لم تتغير قوتها وانما ذلك لصعوبة الصعود وكثيرًا ما تحايل القوم المكلفون بأعمال هذه السكك الحديديَّة على ارتقاء المرتفعات العالية بتقاويس يتخذونها في الطريق واعوجاجات يعملونها فيهِ فلعسر صعود الوابور بما فيهِ الى المرتفع العظيم على خط مستقيم من نقطة الذهاب الى نقطة الوصول او من الجنوب الى الشمال مثلاً ينثني المرار المديدة لوصولهِ الى ذلك المرتفع فيذهب الى جهة الشرق مسافة كبيرة يكون فيها مع ذلك متجهًا ما امكن لجهة الشمال حتى اذا بَعد عاد الى جهة الغرب بحَسَب مرتقياتهِ وهو مع ذلك يَستمر في سيرهِ من الغرب الى الشرق او من الشرق الى الغرب متجهًا ما أمكن نحو الشمال فيصل أخيرًا الى النقطة المرغوبة فيرى الانسان في صعودهِ الى هذه المرتفعات اذا تأمل للطرق الحديديَّة الّتي تحتهُ انهُ مرَّ بطرق كثيرة فوق بعضها وانهُ في وقت النظر في الطريق الثالث او الخامس وتلك تحتهُ وهو فوق القناطر المعمولة فوقها لا يزال يصعد ولا تزال تلك الطرقات تختفي عنهُ تارةً وتبتعد أخرى حتى يشغل نظرهُ منظر أهم وأبهى او يَصل بالسَّلامَة الى المحل المقصود

وما زال بنا السير على هذا الحال نصعد جبلاً ونعبر واديًا ونجتاز نهرًا ومنفذ

سَانْ جُوتَارْ يقرب منا والشوق الى مرآهُ بلغ منتهاهُ مارّين على مدينة بِياسكا وفيدو حتى وصلنا الى إيرُولُو وهي المحطة الواقعة في أول المنفذ

وما أدراك ما هو منفذ سَانْ جُوتَارْ طريق صار حفرهُ في جبل شاهق يبلغ ارتفاعهُ في بعض مواضع اكثر من ألفي متر لمرور الوابورات منهُ بالبضائع والمسافرين لسهولة المواصلات بين جنوبهِ وشمالهِ وتقريبها عما كانت عليهِ قبلهُ بمسافات عظيمة بين ايطاليا والمانيا و بينها و بين فرنسا وغيرها من الممالك وقد كان قبل ذلك طريق سان جوتار المعروف بهذا الاسم كلهُ على سطح الجبل لا يتيسر عبورهُ بالعربات حتى تعاونت بعض الأقاليم السويسريّة على اصلاحهِ وجعلهِ صالحًا لمسيرها فابتدأت فيهِ سنة ١٨٢٠ وانتهى سنة ١٨٣٢ وعرضهُ في الغالب ثمانية امتار

واستمرّ الحال على ذلك الى ان هزت الغيرة وحب التسهيل ورواج التجارة بعض الماليين لعمل الطريق الحديدي الحالي تحت الجبل المذكور فتحصلوا بعد جهد جهيد على اقناع الحكومة السويسريّة بالدخول فيهِ وهذه رأت من الصواب ان تشترك في مصاريفهِ الدول اللاتي تنتفع من المرور بهِ وتقدرت نفقاتهُ بمبلغ ١٦٥ مليونًا من الفرنكات تعهدت الحكومة السويسريّة بأن تعطي منها تبرعًا عشرين مليونًا وايطاليا ٤٥ مليونًا والمانيا ٢٠ مليونًا وتألفت شركة ماليّة في ٦ دسمبر سنة ١٨٧١ سميت باسم (شركة سان جوتار) ذات اسهم تعهدت بالثمانين مليونًا الباقية

وتعهد بالعمل الموسيو لويس فابرْ احد اهالي السويسرة واشترط عليهِ ان يتمهُ في ٨ سنوات باعتبار ٢٨٠٠ فرنك عن كل متر في مقابل اعمال الحفر

دون البنا

وابتدئ في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٢ بالعمل في هذا المنفذ من جهة الجنوب وفي ٩ اكطوبر سنة ١٨٧٢ من جهة الشمال

وبقي العمل مستمرًّا بعض سنين الى ان ظهر من صعوبات طرأت في الطريق ان المبالغ التي تقدرت للعمل بادئ بدء غير كافية لاتمامهِ

فاضطربت الافكار وخيف من عدم اتمام العمل وكثر الجدال واشتدَّ القيل والقال وكاد ان يفوز معارضو هذا العمل العظيم لولا ان تداركت الحكومة الامر فاتحدت مع من لهم صالح فيهِ وعينت قومسيونًا دوليًّا بحث في المسألة وفيما يلزمها من المصاريف واقتصر في الخطوط التي كان التصميم على اجرائها اولاً على اللازم الضروري منها دون سواهُ حتى امكن حصر المبالغ التي يلزم زيادتها على المبلغ الذي صار تقديرهُ اولاً في مبلغ اربعين مليونًا فقط صار توزيعها باتفاق اولي الشان جميعاً بينهم فقبلت ايطاليا عشرة منها والمانيا عشرة وسويسرة ثمانية والشركة قامت بالاثني عشر الباقية

وعلى ذلك بقي العمل مستمرًّا بلا انقطاع بل ازداد الجد فيهِ الى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٠ الساعة ٧ صباحاً حيث تقابل عمال الحفر من جهة الجنوب بعمال الحفر من جهة الشمال لان الاعمال كانت جارية من الطرفين في آن واحد طول المسافة كما تقدم

وابتدئ سير الوابورات فيهِ في اول يناير سنة ١٨٨٢ وطول هذا المنفذ من محطة إيرُولُو الواقعة عند مدخلهِ الجنوبي الى محطة جُوشْنْ الواقعة عند مدخلهِ الشمالي ١٤٩١٢ مترًا

وارتفاع مدخليهِ المذكورين عن سطح البحر من جهة الشمال ١١٠٦ امتار ومن جهة الجنوب ١١٧٩ متراً

وقد صُنعت جميع اعمالهِ الحفرية بواسطة الهواء وضغط الماء وتجتازهُ الوابورات في مسافة تختلف باختلاف سيرها في السرعة بين ٢٠ دقيقة وخمسة وعشرين دقيقة فان نظرت كم عمل فيهِ من العمال وكم صرف عليهِ من المال حكمت بنهاية تقدم الصنائع في هذه البلاد وبنهاية اعتناء اهلها بكل ما يوجب لها الخير والاسعاد

فاجتزنا هذا المنفذ من اولهِ الى آخرهِ في مسافة ٢٠ دقيقة كانت العربات فيها مضاءة بالانوار والذهن في غاية الدهشة والحيرة من هذا الصنع البديع

ولم يكن السبب في الدهشة والحيرة غرابة الممر فكثيراً ما مررنا من منافذ في الجبل استغرق بعضها بعض دقائق وهذا مثلها في النوع والحالة وانما الاستغراب من طول مسافة المنفذ ومثابرة العمال على العمل حتى امكن المرور بقوة البخار هذه المسافة في هذا الجبل البالغ ارتفاعهُ في بعض مواضعهِ اكثر من الفي متر كما مرَّ

ولما وصلنا المحطة الاخيرة وهي محطة جُوشْنْ كما سبق وقف الوابور بها نحو ثلاث دقائق تمكنا في خلالها من شراء بعض الاشياء التي تبيعها هناك بعض الباعة من مصنوعات هذه الجهة ومن احجار هذا الجبل لتكون للسائحين تذكاراً لمرورهم واجتيازهم ودليلاً لهم يحاجُّون بهِ من انكر عليهم ذلك واني اتذكر انني اشتريت فيما ابتعت ميزان حرارة فوجدت درجة الحرارة فيهِ ذلك اليوم (٢٨ يوليو سنة ١٨٨٩) بعد الظهر في الشمس عشرة فوق الصفر فتأمل وقارن بين درجة الحرارة في ذلك المرتفع وبين درجتها بمصر في مثل هذا التاريخ تعرف الفرق

ثم استمرَّ بنا المسير في طريقنا بعد ذلك نجتاز الانهر ونعبر البحيرات ونمر

بالأودية والغابات بين جبال شاهقة وانهار دافقة و بحيرات رائقة ومناظر غاية في البهجة حتى وصلنا الى بلدة فلُويلنْ وهي اول بحيرة لوسرن من جهة الجنوب وسرنا بشاطئها مدة وهي على يسارنا حتى وصلنا محطة بَرونن ثم اتجهنا الى الشرق فمررنا ببحيرة لوفِرتسْ وكانت على يسارنا ايضاً ثم الى بحيرة زُوجْ وكانت على يميننا فاستمرت كذلكَ الى محطة أَمانسْ فتركنا بحيرة زوج المذكورة وعدنا الى بحيرة لُوسِرْنْ فمررنا بحذاء شاطئها من الشرق الى الغرب حتى وصلنا الى لوسرن والساعة ٥ و ٣٥ دقيقة بعد الظهر كما قدمنا

لُوسِرْنْ

بمجرد وصولنا اليها وجدنا بالمحطة اشخاصاً لا تحصى من رجال الفنادق المرسلين لاستقبال الزوار يُعرَف كل منهم عن اسم الفندق الذي هو من قبلهِ فسلمنا في الحال تذكرة الأَمتعة الى رجل (أُوتيل صوَانِنْ) الذي نحن عازمون على النزول بهِ وتركناها لهُ وركبنا عربة الفندق المذكور حتى وصلنا اليهِ واذا بهِ مملوءٌ بالعالم لم يبق فيهِ من غير سكني الاّ ثلاث غرف فقط احداها بها سريران اختصصتُ بها وسيدي الوالد والأُخريان كل واحدة بها سرير اختص بكل واحدة واحد من رفيقينا وما لبثنا ان حضرت الأَمتعة فأُرْقِيَتْ الى غرفنا وتفرجنا على ذلك الفندق واستعدادهِ وموقعهِ واذا بهِ من احسن الاماكن مطلٌّ على البحيرة غاية في اللطافة

وخرجنا بعد ذلك نمشي بشاطئ بحيرتها فاذا هي متسعة الأَنحاء غزيرة الماء نقيّة الهواء تحف بها تيجان انوار الكهرباء فتراها عند انعكاسها في الماء كأَنها النجوم في السماء او دراهم نثرت على بساط أَخضر او قطعُ الماس بتاج ملك مُظفرٍ فكان

النور شاملاً والضياء كاملاً كأنما الشمس في رابعة النهار نشأت عنها هذه الانوار واذا هبت الريح على سطح تلك البحيرة الفسيح ترى كأن نجوم تلك الأنوار في الماء عدة مرايا في أكفّ شلاء فللهِ هذا المنظر ما أحسنَهُ واعلاهُ واغلاهُ واتقنهُ

وما زلنا نسير على شواطيء هذه البحيرة نمتع النظر بأنوار تلك الفنادق العظيمة المطلة عليها وبما نراهُ حولها من اجتماع الناس لسماع الموسيقات التي احضرها البعض من ارباب هذه الفنادق تسليةً للمسافرين فتُنشِد الأناشيد البديعة كل يوم أمام ابوابها على شاطيء البحيرة ويكثر لذلك احتشاد الناس لا سيما في يوم الأحد وقت البطالة من الأعمال وترى الرجال والنساء في حال الاجتماع للاستماع وفي حال التفرق للتنزه حول تلك البحيرة مستصبحين بأنوارها الساطعة وهؤلاء النساء كاملات الجمال كأنهنَّ البدور السافرة تدهش الألباب وتنعش الأرواح وتأخذ بمجامع القلوب

ولُوسِرِنْ هي رأس الأقليم المسمى بها من اقاليم السويسرة ويبلغ عدد سكانها ١٧٠٠٠ نسمة وهي واقعة بمنتهى بحيرة لوسرن من جهة الغرب على نهر رُوسْ من جهة مأخذه من البحيرة المذكورة وهي موضوعة في موضع عجيب بين جبل رِيجِي من جهة وجبل بِيلَاتْ من جهة ثانية

واعظم أثر رأيناهُ فيها هو تمثال سبع منقور في جبل ملاصق للبلد على عين ماء ولقد اتخذ هذا التمثال تذكارًا للضباط والعساكر السويسريين الذين ماتوا في ليلة ٢ اغسطس سنة ١٧٩٢ وهم يدافعون عن سراي تُويلِري مقر لويس السادس عشر ملك فرانسا الذي قتل في الاختلال الفرساوي الحاصل في تلك المدة وكان اتخذ حرسهُ منهم اقتداءً باسلافهِ فلما ثار عليهِ الاهلون استمر هؤلاء الحرس

السويسريون على المدافعة عنهُ حتى قتلوا فلم يتيسر للاهالي الاستيلاء على السراي الملوكية الاَّ بعد فناء هؤلاء وهذا الأَثر عبارة عن اسد مات قابضاً على ارمة (شِعار) ملك البربون وجنبهِ مجروح بطعنة بليغة بحيث يظهر على سيماه شعار الضجر والتأَلم يشيرون بذلك الى شجاعة السويسريين وصدق وفائهم حيث انهم لم يبالوا بالموت في جانب صدق العهد وحسن الوفاء

وبجوار محل هذا الأَثر محل تصاوير مصور فيهِ تلك الواقعة واقعة موت السويسريين على قماش طولهُ ١٦ مترًا ممثل فيهِ قتال الضباط والعسكر على سلم السراي يتناوشون مع الاهلين للذود عن السراي فتراهم ما بين مشتغلٍ بالقتال ومطروح على الأَرض وعلى دَرَج السلّم وجريح دمهُ يَسيل

وفيها غير ذلك مما يتفرج عليهِ وهو بعض الكنائس ومحل الأَسلحة القديمة وبالأَخص القناطر الممدودة على نهر رُوس واخصها القنطرة القديمة لما تشتمل عليهِ من الرسوم والنقوش العتيقة الّتي تمثّل بعض تواريخ سويسره وبجانب هذه القنطرة البرج القديم المتخذ من سالف العهد دفترخانة تحفظ فيها اوراق المدينة ودفاترها وهو في وسط النهر

ومياه هذا النهر غاية في الصفاء ذات لونٍ اخضر وهو يَقسم المدينة الى قسمين متصلين باربعة كوبريات

وقد بقيت المدينة على هيئتها القديمة من حيث طرقاتها والسور المحيط بها وهو مشتمل على بروج سبعة

والقسم الواقع على شاطئ البحيرة قد توسعوا في عمارتهِ واقاموا فيهِ فنادق كبيرة من أحسن الاشكال

ولم تكن هذه الفنادق البالغة حد النهاية في الزينة والرونق هي السبب في جلب من يقصد التنزه من الاجانب الى لُوسِرْنْ وان كانت لا تنكر لديهم مزاياها وانما السبب في ذلك حسن وضع المدينة وما جاورها من المرتفعات الزاهية الزاهرة الباهية الباهرة وما انتشر على تلك المرتفعات من القصور الجميلة الصنع المحكمة الوضع ثم ما ينضم الى ذلك كلهِ من اللطائف الخلقيّة من ازهارٍ واشجار وأنهار مما يدهش الناظر ولا يقدُرُ قَدْرَهُ الواصف وما ينبت بجبلَيْ رِيجِي وپيلاَت المجاورين للمدينة من انواع النبات البهيج والشمس حين تغرب فتترك بعدها الأُفُق مستنيرًا بسبب انعكاس اشعتها برهة من الزمان وهو مرأى لطيف بديع المثال والمطر اذا حصل صيفًا فيترك بعدهُ قوس قُزَح كأنهُ يُشير بهِ الى صفاء الوقت وانتشار السِّلم وهو على هيئة يَعْجِزُ عن وصفها لسان الشاعر ويد الرسام

والمتنزهات حول لوسرن كثيرة تزيد في حسنها وبهائها الخلقي على غيرها اخصها مُرْتَقَى جُوتْشْ ومَصْعَد رِيجِي ومَصعد پِيلاَت

وقد تفرجنا على الأولين واستغنينا بثانيهما عن الثالث اذ لا فرق بينهما الاَّ في الارتفاع

اما مُرْتقَى جوتْشْ فمصعدهُ على مقربة من قشلاق لوسرن ويصعد اليهِ بالقدم في مسافة ٢٠ دقيقة وبالعربة المخصوصة بهِ في مدة ثلاث دقائق في منحدر طولهُ ١٨٠ مترًا ومقدار انحدارهِ $\frac{٥٣}{١٠٠}$

ويكون الصعود اليهِ في عربة مدرجة على حسب ارتفاع الأرض تسير على خطين متوازيين من الحديد على كلٍّ منهما عجلة للعربة على وضع سكة الحديد المعتاد في بلادنا وتزيد هذه للمساعدة على صعود هذا الانحدار بعجلة ثالثة مضرّسة

بأضراس ناتئة بين كل اثنين منها تجويف بقدر احدها فتعشّق هذه الاضراس بمثلها في الارض من شريط حديدي على مثالها تسير فيهِ صاعدة وهابطة يجرها حبل مرتبط بهِ عربة قرينة لها تنزل من الأعلى الى الأسفل فتجر التي في اسفل بواسطة الحبل فبمقدار ما تنزل احداها تصعد الأخرى ويلتقيان في منتصف الطريق فمتى وصلت السافلة الى آخر المنحدر من الأسفل تكون قد صعدت الأخرى الى آخرهِ من الأعلى وبعد ذلك ببرهة تبتدئ التي صعدت في النزول فترجع التي كانت نازلة الى الصعود للأعلى وذلك بواسطة الحبل المرتبط طرفاهُ بكلٍ منها وهو دائر على محور في أعلى المنحدر فاذا نزلت احدى العربتين جذبت الأخرى المقابلة لها بثقلها الى أعلى ويمر هذا الحبل في اثناء سير العربتين الصاعدة والهابطة على بكرات من الحديد تسهّل مرورهُ وتحول بينهُ وبين مفارقتهِ موضعهُ وهكذا تستمر العربتان في صعود وهبوط وفي جانب كلٍ منها على طولها وفي اسفلها حوض على شكل اسطوانة يملأُ بالماء النازل من الجبل في المجاري المعدة لهُ بمحابس منتظمة فمتى امتلأَ حُبِسَ عنهُ الماء واخذت العربة المملوء حوضها في النزول فترفعُ بقوة نزولها العربة الثانية الواقفة بأسفل الموقف وفي اثناء نزولها ينصب منها الماء تدريجياً حتى اذا وصلت الى الأسفل يطلق منها ما بقي بها من الماء ليسهل على العربة التي صعدت وقد امتلأت بالماء بعد صعودها ان تجذبها من الأسفل الى الأعلى بقوة نزولها وهكذا وقد جعل الى جانب عجلة كلٍ من العربتين قطعة من الحديد مستديرة قد أُعدت للأمن من الخطر لو انقطع الحبل وهي مرتكزة على قائمة من الحديد رافعة لها مشدودة بهذا الحبل فاذا انقطع الحبل سقطت الرافعة لها فتسقط القطعة فتحول بين العربة وبين سقوطها راجعة فيأمن

بذلك راكب العربة

وهذه الطريق بما بها من العربات والأدوات في ملك رجل يسمى بُورِنجز مقيم في داره بأعلى الجبل قد اتخذ فيها فندقاً يقصِدهُ السائحون المتفرجون هناك ومحل قهوة وكلاهما مطل على مدينة لوسرن وعلى مواضع من جبال الألب وجوانب البحيرة وفروعها ذات مناظر بديعة حسنة تعجب الناظر وتسر الخاطر ويُصعَدُ الى سطح هذا الفندق بمُزْنٍ يسع ستة اشخاص يرتفع بواسطة ضغط الماء فيجدُ الصاعد على السطح شبه منارة ذات ثلاثة ادوار يرى من ادوارها هذه كل ما حولها من الجبال والآكام والبحائر والأغوار فلما جئنا الى هذه الجهة ورآنا صاحبها الموما اليهِ عرف بواسطة الطربوش والملابس ومكالمتي مع سيدي الوالد العزيز أننا من مصر وسأَلنا عن ذلك فصدقنا توسمهُ وعند ذلك اخبرَنا انهُ سبقَ لهُ الوفادة الى مصر للسياحة وذكر لنا بعض المواضع الّتي رآها من بور سعيد والاسماعيليّة والصعيد الأقصى واخذ في الترحيب بنا والاحتفال بأمرنا وارْقانا الى سطح الفندق والى أعلى المنارة وعرّفنا بأهلهِ وولدهِ كأَنَّ لهُ بنا معرفةً سابقة والفة قديمة وتقدم اختلاط ومعاشرة

واما مَصْعَد رِيجي فيتوصل اليهِ بباخرة بحريّة تسير في بحيرة لوسرن من موضع بقرب الفندق الذي نزلنا بهِ فتستمر نحو ساعة الى ان تصل الى قرية بشاطىء البحيرة تسمى وِتسْنَوْ على مرائي ومناظر لطيفة طول المسافة ونقف في عدة مواقف اثناء الطريق الى ان ترسو بالقرية المذكورة ومنها يُنتقل الى سكة الحديد فيسار في عربات خاصة بها يجرها وابور مخصوص الى اعلى الجبل مارّةً على مواقف متعددة يأتي بيانها فيقطع من ابتداء الطريق حيث المحطة الاولى بواسطة

انحرافات واعوجاجات الى آخر محطة مسافة ٧٠٥٨ مترًا في مسافة ساعة وربع مع ان ارتفاع القِمَّة الَّتي فوق هذه المحطة الاخيرة عن سطح البحر لا يصل الى هذا القدر بل هو ١٨٠٠ متر

وهذه الطريق عملت بمعرفة شركة تألفت في الأصل من ثلاثة اشخاص جمعوا بواسطه اصحاب لهم نصف المصاريف وهو ٦٢٥٠٠٠ فرنك واما النصف الثاني فقد حصلوا عليهِ باكتتاب عمومي في بعض ساعات بمجرد تصديق المجالس النيابيَّة على هذا المشروع وكان ذلك في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٩ وانتهى الخط المذكور وتم عملهُ وافتتح بالطريقة الرسميَّة في ٢١ مايو سنة ١٨٧١

وفي هذا الخط عدة وابورات مصنوعة بطريقة مخصوصة قوة الواحد منها ١٢٠ حصانًا بخاريًّا وسرعة سيرهِ واحدة في الصعود والهبوط على ان الحركة في الصعود بالبخار وفي الهبوط بواسطة ثقل الوابور في الانحدار اما العربات فهي مكشوفة من سائر الجهات ما عدا جهة السقف ليتمكن المسافرون من رؤْية المناظر وكل قطار يتركب من عربة واحدة ووابور والعربة بها ٩ صفوف كل صَف ستة اشخاص وبها آلة تُمَكِّنُ من ايقافها في حالة حصول خطر في مسافة لا تتجاوز خمسين مترًا

وتسير هذه الوابورات بين محطة وِتْسنَوْ وبين محطة ريجي كُولْمْ وهي آخر محطة خمس مرات في اليوم ذهابًا وخمس مرات ايابًا كما ان وابورات البحر تسير من لوسرن الى وِتْسنَو وتعود من هذه الى لوسرن بعدد تلك المرات

وبعد ان بارح بنا الوابور وِتْسنَوْ امتد الخط معوجًا بارتفاع $\frac{٢٥}{١٠٠}$ الى اول مجازة تحت الجبل واستمر بعدها في الارتفاع وصار كلما صَعِد اشتَدَّ استغراب

المسافر ورأى ما اوجب تأمُّلهُ واستلفات نظرهِ الى ان اجتاز غابة صغيرة ثم عقبها مجازة طولها ٧٥ مترًا وبعد مفارقتها كان يُخَيَّلُ للناظر ان الأَرض تهوي بهِ حيث قد اجتاز الوابور بعد تلك المجازة قنطرة منصوبة على فراغ هائل دل على شدة مهارة صانعها ومزيد جراءَتهِ في اقدامهِ على ذلك فهال منظرهُ جميع السائحين لاسيما النساء فانهنَّ صحنَ عند روءْيتهِ لرعبهنَّ ومزيد ارتياعهنَّ ويقال انهُ قلما تجاوزت امرأَة هذه القنطرة بدون ان يحصل منها مثل ما حصل من النساء اللآتي رأَيناهنَّ واستمرَّ السير الى ان وصلنا الى اول محطة على ارتفاع ١٠١٦ مترًا

فانتهزنا فرصة الوقوف فيها للتمتع بالمناظر البهجة وإجالة الطرف في الجبال التي حولنا وكانت قممها لم تزل مغطاةً بالثلوج في فصل الصيف الذي كنا فيهِ والنظر في البحيرات التي تحتها وكنا نراها تصغر في اعيننا كلما ارتفعنا عنها

ثم بعد مفارقة هذه المحطة الأُولى استمر سير الصعود فرأَينا من جهة اليمين مناظر أَبهج وأَبهى من الأُولى وكانت المنخفضات تتعاقب في الروءْية كالمرتفعات فلا نفارق هُوِيًّا الَّا وقد صادفنا مرتفعًا ولا نكاد نتأَملهُ حتى نصادف هُوِيًّا آخر ولا تزال لوسرن مع ذلك كلهِ تبدو للناظر في وَسَط خليجها وإن صَغُرَ حجمها عندهُ واستمر السير هكذا حتى وصلنا الى ارتفاع جبال الأَلْبْ السفلى فَقَلَّ وجود الأَشجار ورأَينا الحشائش اقل ارتفاعًا من التي كنا نراها قبل واذا بنا وصلنا الى ثاني محطة وهي على بعد ١١٨٦ مترًا عن سطح البحر

ثم استمرَّ بنا الصعود بعد مبارحتها في وسط اشجار صَنَوْبر بين مناظر عجيبة حتى وصلنا الى ريجي كَتْبَاذ وهي ثالث محطة على ارتفاع ١٤٣٣ مترًا ومنها ينفرع خط حديدي ثانٍ يتجه لجهة اخرى وبها فندق كبير يمكن ان يسع خمسمائة نفس

محدق بغابات وبساتين ولهُ موسيقى خاصةٌ بهِ وبيستانهِ كنيسة مبنيةٌ في وسط الصخور يتعبد فيها الكاثوليك كل يوم ما عدا يوم الاحد فانهُ اختص بهِ فيها البروتستانت

ويتيسر للاجانب التنزه في الغابة المختصة بهذا الفندق بمجرد الاستئذان من صاحبهِ ويُعطى الزائرُ رسمَ هذه الغابة خشيةً ان يَضل عن الطريق فيها ويوجد بقرب الكنيسة السالفة الذكر يَنبوع ماءٍ يُعتقد فيهِ الشفاء من امراض الفالج والروماتزم والحميات المتقطعة

وبعد المسير من هذه المحطة بمسافة غير كبيرة وصلنا المحطة الرابعة محطة ستافِلهوه على بعد ١٥٥١ مترًا واذ نظرنا ما تحتنا من الجبال الكثيرة رأينا في آخرها اربعةَ اقاليم من اقاليم السويسرة وهي التي لاجلها تسمت بحيرة لوسرن ببحيرة الاربعة الاقاليم

ثم بعد قليل وصل الوابور الى محطة ستافِلْ ومنها ترى محطة ريجي كُلمْ وهي المحطة الاخيرة كانها قريبة ولكن قد استغرق الوابور في قطع المسافة التي بين هاتين المحطتين زمنًا اكثر مما كان يظن حتى وصل الى محطة ريجي كُلمْ وهي على بعد ١٧٥٠ مترًا عن سطح البحر الملح ثم مشينا على الاقدام بعد ذلك مسافة (٥٠) مترًا فوصلنا الى قمةِ ريجي كُلمْ حيث كانت مرتفعة عن سطح البحر بألف وثمانمائة متر

وهذه القِمة على مر الازمان مطمحُ آمال السائحين في هذه الجهات فانها لانكشافها من سائر الاطراف يُشرِف الناظر منها على جهات يتعسر تحديدها من جهة الاتساع والامتداد

ووجدنا هناك منظارات ترى البعيد أعدَّها بعضُ الناس للايجار كما اعدوا

بعض مرتفعات متخذة من الخشب يُصعد فوقها بدرج يجد فيها الانسان زجاجاً ملوَّناً بعضهُ و بعضهُ مسوَّداً بدخان الشمع مثل الذي يتخذ عندنا لنظر الشمس يوم كسوفها فصعدت مع سيدي العزيز لاحدى هذه المرتفعات واخذنا ما يلزم من المنظارات ورأينا ما يجعل الناظر في غاية الاندهاش

ومن المتعسر تحديد ما يراهُ الانسان حال كونهِ في هذه القِمة من المبدإ الى الآخر فان ذلك يختلف باختلاف قوة بصر الناظر وضعفهِ وكثرة حدتهِ وقلتها والجبال التي تنظر منها كثيرة جداً حتى حكى لنا بعض من لقيناهُ بهذا المرتفع من اهل تلك الجهات انها ٣٣٤ جبلاً منها ستون مغطاة قممها بالثلوج في الصيف والشتاء والبحيرات التي تنظر منها في اوقات الصحو اربع عشرة بحيرة بين صغيرة وكبيرة وكثيرٌ من افرادها يرى انهُ متعدد فان الجبال قد تكون حاجبة للنظر في بعضها دون الباقي فتَنفصِل البحيرة الواحدة في نظر الناظر الى بحيرات متعددة و يمتد النظر بعد ذلك كلهِ الى مئات من الفراسخ بحسب ما يستطيع الناظر الوصول اليهِ

ومن هذا المرتفع يرى الرائي منظرين عجيبين منظرَ شروق الشمس ومنظر غروبها

اما شروقها فان جميع من يبيت هناكَ تتشوق نفسهُ لان ينظر ذلك فيسمع قبل شروقها بمسافةٍ نفخَ بوق لايقاظ النيام فيذهب كل منهم مبادراً ليجد لهُ مكاناً يقف فيهِ لرؤية ذلك فبقرب الشروق يأخذ النور في الازدياد و يرتسم خط ذهبي فوق جبل سَانْ جالْ و يأخذ هذا الخط في الانتشار والاتساع فتتلوَّن القِمم المثلجة وتتذهَّب وتلبس ثوباً وردياً كانما كوكب النهار اودع قُبلتهُ خدود تلك القِمم المغطاة ببياض الثلوج وحين ذاك ترى السكوت تاماً والنظر عاماً واذا

شبهُ بريق اضاء واستنار وما هو الاَّ طلوعُ النهار فترتفع الاصوات اظهارًا للفرح والسرور ويعود كلٌّ الى حيث كان

واما الغروب فليس اقل من ذلك في البهجة والبهاء والمبادرة اليهِ بشدة الاعتناء فان هذا الكوكب بعد دورانهِ طول النهار يميل الى الغرب فينزل عن الجبال التي هناك حتى يصل الى سطح البحيرة تدريجًا وعلى حسب نزولهِ كذلك يرى انتشار الظلام شيئًا فشيئًا حتى تختفي الشمس ويُقبل الليل زاحفًا بعسكرهِ ضاربًا بخيلهِ ورَجِلهِ ناشر اجنحتهُ مُقيمًا ألويتهُ ولو ساعدنا الحظ لتمتعنا برؤية هذين المنظرين

هذا وبعد ان اطالنا النظر والتمتع بهذا المرتفع وبلغنا الأَرَبَ من التأمل والتفرج واشترينا بعض اشياء بقصد ان نتذكر بها ذلك المكان مما يباع بهِ ابتعنا تذكرة من تذاكر البوستة تبيعها امرأة هناك فكتبنا بها ما اردناهُ مما يدل على صحتنا وسرورنا بما قصدناهُ وذكرنا فيها انها كتبت على قِمة ريجي كلم المرتفعة عن سطح البحر ١٨٠٠ متر وجعلنا عنوانها باسم صهري العزيز الامير الجليل صاحب السعادة احمد باشا السيوفي بمصر ووضعتها بيدي بصندوق البوستة الموضوع بهذه القِمة

وقد بلغ منّا اذ ذاك التفرج حدَّهُ والجوع أشدَّهُ فنزلنا من القِمة مسافة الخمسين مترًا حتى وصلنا المحطة ودخلنا الفندق الموجود بها فاذا هو غاية في السعة والحسن والانتظام مملوء بالعالم فجلسنا بمحل خالٍ في صالة الطعام وطلبنا من الخادم ان يأتي لنا بالغداء فأحضر لنا ما لزم من الاكل والفاكهة والقهوة واعطيناهُ ثمن ما اكلناهُ

ولعلك تتصور أيها الصاحب أننا في نظير هذه الأكلة العظيمة بهذا

المكان البعيد عن المدينة مع تنوُّع الأَطعمة والفاكهة واتقان القهوة أُعطينا عنا نحن الأثنين بعض ليرات لا بل اعطيناهُ وَرَقَتَيْ غداء من اوراق كوك الَّتي اخذناها بمصر البالغ ثمن الواحدة منها ١٠ قروش صاغ واستفدنا مع ذلك التفرج على اماكن هذا الفندق وقاعات اجتماعهِ الفاخرة المحتوية على أصناف العالم يتكلمون بسائر اللغات .

وبعد مفارقتنا الفندق لم نُرِد النزول الى البحيرة دفعة واحدة من غير ان ننزل في محطة بل قصدنا النزول في ما استحسناهُ من المحطات الَّتي تقابلنا في الطريق وقد كان ذلك والوابور يهبط بنا في انحدارهِ بغاية الهدو فانهُ يهبط بمجرد الانحدار لا بقوة البخار كما سبق حتى وصلنا البحيرة ومنها الى المدينة

وقد تلاقينا ونحن بالباخرة في البحيرة مع مواطننا صاحب الهمَّة وقوة العَزْمَة المُسْيُو فيلكس سوارس أحد اصحاب سكة حديد حلوان فتآنسنا وتحادثنا في الشوق الى الأَوطان بعد المذاكرة في عجائب تلك الديار الى ان افترقنا وقد رآنا في هذه الطريق احد من سبق لهُ السكنى ببلاد الدولة العليَّة من الاوربيين فعرفنا بملابسنا الشرقيَّة وجاء الينا بمجرد ذلك مستفسرًا عن حالنا وعَرَضَ نفسهُ لخدمتنا اكرامًا منهُ وملاطفةً لنا كأَنهُ يعدُّ نفسهُ بسبب المدة الَّتي اقامها ببلاد الدولة العليَّة بلديًا لنا والحق ان بقاءَنا بملابسنا الوطنيَّة كان سببًا لتعظيمنا ومراعاة خاطرنا والاحتفاء بنا في سائر الجهات الَّتي مررنا بها فكان كل من ذهب الى بلاد الشرق ولو مرة وكل من عرَف من لغاتهم ولو كلمة وكل من سمع منها ولو لفظة يعدُّ من الواجبات ان يُعرِّف نفسهُ لنا ويكرمنا بما يمكنهُ من انواع الاكرام ونحن وان كنَّا والحمد لله في عدم احتياج الى خدمة احدٍ لوجود كتب الدلائل معنا ولمعرفتنا اللغة الَّتي

تسهل للانسان السفر في كل البلاد لكن كنا نُسَرّ كثيرًا من هؤلاء الأجانب الذين كانوا يتعهدوننا باللطف والمؤانسة على غير سابقة تعارف بيننا بل لمجرد نظرهم ملابسنا الوطنية فليبقَ الوطن مؤيدًا بعز مليكهِ السعيد

هذا وحيث قد أخذنا راحتنا بالأقامة في هذه البلد اللطيفة وقضينا بها مدة ثلاثة ايام كنا حددناها لمقامنا فيها بجدول السياحة قمنا منها قاصدين باريس في يوم الخميس اول اغسطس سنة ١٨٨٩ في الصباح

وكنا سمعنا بالإشاعة ضيق المحلات بباريس لوجود المعرض بها وأن بعض الناس فيها صار يبحث طول الليل على محل يأويهِ فلم يجده كتبنا بواسطة بيت كوك في لوسرن الى مدير الفندق المسمى أُتيل سَان بطرسبورغ في باريس بان يحجز لنا اربع غرف ليوم اول اغسطس سنة ١٨٨٩ فافاد صاحب الاوتيل بالتلغراف انهُ سيعمل الجهد في الوصول الى المرغوب

وقبل مبارحتنا لوسرن وضع سيدي الوالد بصندوق بوستة محطتها كتابًا حررهُ الى عزيزهِ صاحب السعادة علي مبارك باشا ذكر لهُ فيهِ بعض ما يستحق الذكر من مبدإ سياحتنا الى الآن وهذه صورتهُ

﴿ كتاب سيدي الوالد ﴾

الى صاحب السعادة علي مبارك باشا

"سعادتلو افندم حضرتلري

"بعد ان اطرز ديباجة هذا الرقيم برقوم التحيَّة والتسليم مُوَشَّعة برسوم التبجيل والتعظيم اسأل عن المِزاج الكريم سؤال المستقصي عن احوالهِ الداعي بدوام

اعتدالهِ واحمد مولى الآلاء على ما اسبغ من النَّعماءِ ضافية الرِّداء صافية الماء غير مشوبة بالاقذاء شاملة لجميع الرفقاء وما منهم الاَّ شاكر للأفضال ناشر لمحاسن تلك الخِلال داعٍ بدوام الاقبال والله المسئول في نعمة القبول

" ركبنا الباخرة من الاسكندريَّة يوم الاحد ٢١ يوليه سنة ١٨٨٩ بعد التيمن بتقبيل اليمين الخديويَّة الطاهرة واستدرار غيوث القبول والاقبال من فيض بركاتها الظاهرة فرأينا من البشر والايناس ما جبلت عليهِ السجايا الخديويَّة الباهرة واقتضتهُ مكارمها الزاهرة وشملتني عواطف ذلك الجناب من الاحسان بالنيشان الثاني المجيدي بما لم يكن في الحساب وضاعف المنَّة بهِ عليَّ أن جاء على غير سابقة وعد انتظرهُ في اليوم والغد واني تسلمتهُ من الجناب العالي الخديوي ادامهُ الله تعالى يداً بيد وانصرفت من لدنهُ شاكرًا داعياً سامعاً لما تلقيت من الأوامر الكريمة واعياً وكان الشكر بلسان الحال أوفر منهُ بلسان المقال وحضرني أبيات في هذه الحالة اثناء انصرافنا الى البلد مناسبة للصدد وان كانت قليلة العدد فأودعتها الرحلة على قصد تخليدها الى الابد وها هي

مولايَ قد أَوْلَيْتَني مِنَّةً ولم يكن لي أمرها في حسابْ
شكرتُ مولاي على فضلها شكرَ نبات الروضِ فعلَ السحابْ
مَنْطِقهُ أعجمُ في شكرها ومنطِق الحال فصيح الخطابْ
متَّعكَ اللهُ بما تَبْتَغي وسرَّ بالأنجالِ ذاك الجنابْ

ثم سار بنا الوابور في اليوم المذكور ونحن نرى الجو صحوًا والهواء رخوا والبحر رهوًا والحال زهوًا فما هو الاَّ ان خرجنا من فم الميناء الى صدر سعة الفضاء حتى رأينا البحر يموج والسفينة بين هبوط وعروج وفي الجملة رَقَصَت

بنا فصلاً لا نقول خفيفاً ان لم نسمهِ مخيفاً ولا ندعوهُ لعباً ان لم نقل تعباً فلا جرم صبَرْنا على الأَسْواء من اخلاق تلك الجارية السوداء وهي تظهر انها وليّة تمشي على الماء وتطير بأَجنحة الهواء وعلى ذلك اتصل مسيرها واستمر مريرها الى ان مررنا بين جزائر كريد وجورها يزيد على فعل يزيد فلما تجاوزنا حدود تلك الجزائر وغابت عن النواظر هدأَت السفينة بقدرة المليك القادر وسرنا حتى رأَينا برنديزي فوصلناها ثم تريستا فدخلناها ولبثنا بها برهة تفرجنا فيها على قصر مكسيميليان وما بهِ من المناظر الحسان والمظاهر البديعة الشان ثم سرنا بباخرة أُخرى الى ڤينيسيا من بلاد ايطاليا وكانت بها ملكة البلاد فصادفنا زينة اتخذت لها احتفالاً وزادتها مناظر الماء المتخلل ديار البلدة جمالاً ثم سرنا بوابور البر الى (ميلانو) من ايطاليا ايضاً فبتنا بها ليلة كما اننا بتنا قبلها في ڤينيسيا ثم سرنا الى (لوسرن) من بلاد السويسره قبل يومين ونحن بها الآن وقد رأَينا اثناء طريقنا من المناظر البديعة وجمال الصنعة والطبيعة لا سيما في جبل (سان جوتار) وما في بلاد السويسره من الأَنجاد والأَغوار والبحائر الكبار والقرى والديار ما يُدْهش الناظر ويستغرق الخاطر مما تطول بشرحهِ اذيال المقال واخاف منهُ على شريف خاطركم الملال لا سيما مع ما عندكم من الاشغال وسأُودِعهُ ان شاء الله تعالى كتاب الرحلة مفصلاً مفرّعاً موصلاً ليكون تذكرة لمن يتذكر وتبصرة لمن يتبصر وقد اتخذت الأُهبة لذلك والعُدّة بمفكرات أُقيد بها الأَوابد وارتبط بها الشوارد ورسوم اجمعها لأَستوضح بها الخفيّ وأُقرّب القصيّ وأُذلّل العصيّ وكتب أَدخرها لتكميل البيان وسؤال من ذوي الخبرة اؤكدهُ بالعيان حتى اذا يسر الله سبحانهُ سلامة المعاد الى البلاد وهو ولي الرشاد والسداد القادر على ما اراد

اكرّ عليها بالبيان واستعمال الفكر والبنان وهو المسئول من فضله ان يَصرِف الصوارف ويمنع الموانع ويُصحبنا كرامة التوفيق في جميع المواضع لا رب غيره ولا خير الّا خيره

بعد ان وصلت الى هذا الموضع من الخطاب في اثناء تحرير هذا الكتاب على نية الاقتصار والاختصار والتسويف ببيان ما رأيناه في هذه الامصار الى ما بعد الوصول لمستقر الديار رأيت ان استميح شريف خاطرك في الالماع بشيء مما رأيناه وسمعناه في فسحة هذا النهار التي فرغنا منها الآن حين لم يتقادم عليها الزمان لتكون كالثمرة القريبة العهد من القِطاف والخروج من القشر والغِلاف لم يدنسها عبث العابث ولم يذبلها طول مكث الماكث فان أبيتَها فألقِها ناحية هناك وان رَغِبْتَ في الاطلاع عليها فهاك

خرجنا من مَثوانا بمحل مأوانا في موقع من أحسن المواقع على بحيرة (لوسرن) من اشهر بحيرات هذه المواضع وهي حرية بذلك في الواقع فخطونا خطوات من محلنا قلائل الى الباخرة المتهيئة للمسير على الساحل فأقلعت بنا

يَشُقّ حَبابَ الماءِ حَيزُومُها بها كما قسم التُربَ المُفايِلُ باليدِ

ونحن نرمي بالأبصار الى ما حولنا من الديار المنتظمة بلبَّات ذلك الماء انتظام فرائد القلائد على الغادة الجيداء والمنتشرة في المروج كالكواكب في البروج بينها المشرف على تلك القلال إشراف الهلال والمشرق اشراق الشموس في هامات تلك الذرى والرؤوس تختلف بها المناظر بين أخضر ناضر وازرق زاهر الى ابيض ناصع واحمر يانع واصفر فاقع هرمية السقوف بين شتى وصفوف لم يلابسها الغبار ولم تدنسها الاقذار نقول لم يفارقها قبل هذه الساعة المعمار وحولها انواع

النبات والاشجار زاهية الاخضرار متلونة النوّار متنوعة الاشكال والثمار متولية غسل أبدانها وأردانها الأمطار فهي تتألّق تألّق الانوار وتأخذ بمجامع البصائر والابصار وتذهب بالافكار ذهاب التيار بموج البحار قد عرف اهلها بمقدار نعمة المنعم الكريم فأدّوها حقها اعتناءً واحتفاءً واعتنَوْا بمعرفة اسرار حكمة الصانع الحكيم فاهتدَوْا اليها بقدرتهِ اهتداءً ولا جرمَ فالحق جلّت نعمتهُ وعلَتْ عظمتهُ يعطي على السؤال بلسان الحال والاشتغال بالسبب ما ليس يعطيهِ على السؤال بلسان المقال الذي يعتريه الكذب في الرغبِ والرَّهَب بخلاف اللسان الاول فهو مميز بالعصمة من هذه الوَصْمة فالزارع منا اذا غرسَ شجرة او القى في الارض الحرة بذرة ثم تولّاها من السقي والخدمة بكل ما في وُسْعِه من الهمة قد سأل الله سبحانهُ بلسان حالهِ فأعطاهُ ما استحق وفوق ما استحق من نوالهِ فقد اجرى عادتهُ وهو اكرم مسؤل ان لا يقابل سؤال لسان الحال الّا بالقبول بخلاف ما لو زرع في غير مزرَع او أعرض عن واجب الخدمة وامتنع وقعد يسأل الحق بلسان المقال اناء الليل واطراف النهار ان يرزقهُ منها أطايب الثمار و يستزيدهُ الاكثار فقد أساء الأدب ولم يحُسِن الطلب فطالبَ الحق جات قدرتهُ بما يخالف ما جرت بهِ سنتهُ فلا يجد لذلك سبيلا ولن تجد لسنة الله تبديلا فاستحق ان يحرمهُ ابدا ولا يظلم ربك احدا

ألم ترَ أنَّ الله قال لمريمٍ	وهزّي اليك الجذع يَسَّاقط الرطبْ
ولو شاء أنْ تجنيهِ من غير هزّها	جنَتْهُ ولكن كلُّ شيءٍ لهُ سببْ

فسبحان من ابدع وابدى واعطى كل شيءٍ خلقهُ ثم هدى وهذه هي الهداية العامة لكل ناطق وصامت وحيوان ومعدنٍ ونابت قد عمّ كلاً بهذه الهداية لما يليق

بحاله ويبلغهُ الترقي في معارج كماله

أراني ايها الامير قد طوّحت بي الفكرة من توالي النظرة بعد النظرة حتى خرجتُ من الوصف الى التصوف وان شئت فقل الى التفلسف ولسنا في شيء من قبيل هذه الانواع ولكنهُ من طغيان اليراع والحديث ذو شجون والكلام يجر الكلام وفي الجملة يلزمنا ان نرجع الى المقام

ثم سارت بنا الباخرة ماخرة في تلك البحيرة الفاخرة ووقفت بنا في مواقف ذوات عدد نزل في كل منها من نزَل وصَعِد من صعِد الى ان وصلَت بنا محطة (وِتْسنَوْ) وهي آخر موقف فيما نحن بسبيلهِ من الصدد فخرجنا من باخرة البحر الى باخرة البر نبتغي الصعود في تلك الجبال والآكام الى آخر ما يرام فوجدنا من كثرة الزحام واختلاف الاقوام والتفاف الاقدام بالأقدام ما عاقنا عن الإقدام الى ان فاتنا ثلاثة وابورات وركبنا مع الرابع اذ تصدينا لمدافعة من يدافع وممانعة من يمانع

وتمتاز الوابورات والعربات المختصة بمثل هذه الجهة عن المعتادة عندنا في الديار المصريَّة بامور منها اختلاف الشكل والهيئة بالكليَّة ومنها ان لكلٍّ منها سوى العجلات الجانبيَّة عجلتين في المقدَّم والمؤخر كلتاهما ذات تضاريس في دائرها يتخللها تجاويفُ بحسبها معمولةٌ على نِسَبِها تتعشق اثناء المسير مع امثالها في خط ممدود على الارض بحسب حالها ذاتِ تضاريس وتجاويف على مثالها مشاكلة لأشكالها وهذا الخط سوى القضيبين المعتادين الموضوعين في الجانبين متوسط بين الطرفين فيسير الوابور بهذه العجلات في ذهابهِ وايابهِ وصعودهِ وانصبابهِ وهو مسرع في المسير لا يظهر فيهِ لهذه التضاريس والتجاويف تأخير كأن امرئ القيس

كان ينظر الى حال عجلتهِ حين يقول في جاهليتهِ وبدويتهِ

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابعُ كفيهِ بخيطٍ مُوصَّلِ

والخذروف معروف الجسم وان كان الآن غير مألوف الاسم وهو قطعة مستديرة مثقبة يلعب بها الصبي فيدخل في ثقوبها خيطاً يجعلهُ في اصابع يديهِ فيديرها بهِ في غاية السرعة بشد الخيط وارخائهِ بالمقاربة بين اليدين والمباعدة كلّنا رآهُ ايام صباهُ لا اتذكر الآن ما كنا نسميهِ بهِ وانما اعرف مسماهُ وما علينا فلندع لامرئ القيس خذروفهُ بين يديهِ ونرجع ثانياً الى ما كنا نتكلم عليهِ فنقول

لمصلحة هذه الطريق جملة من العربات والوابورات وقد استحدثت بمعرفة شركة تركبت في الاول من ثلاثة اشخاص جمعوا من مالهم الخاص وبعض اصدقائهم الخواص نصف مبلغ المصروف وهو ٦٢٥٠٠٠ فرنك ثم حصلوا على النصف الآخر بواسطة اكتتاب عمومي تكامل في ساعات من الزمن بمجرد تصديق المجالس النيابية على هذا المشروع وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٨٦٩ من الميلاد وانتهى عمل الطريق وافتتاحهِ بالطريقة الرسمية في مايو سنة ١٨٧١ بمحضر من رجال الحكومة والمساهمين

وهكذا تفعل الشركات امثال هذه الأفعال من عظائم الأعمال باتحاد الأيدي والأفكار من عظماء الرجال ومساعدة المال بالمال والحال بالحال وكمال العدل والاعتدال فينشأ عنها من المنافع العمومية والخصوصية والنوعية والشخصية ما لا يتأتى بالانفراد وتفرق الآحاد

و (يد الله مع الجماعة) قضية لا تتخلف نتيجتها الى قيام الساعة والله تعالى يقول في محكم كتابهِ العظيم الشان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعُدْوان) وقد جاءَ في الحديث الشريف ايضاً (المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضهُ بعضاً) ولندع الآن هذا البحث فهو طويل الاذيال ولنعد لاكمال ما كنا فيهِ من المقال

كل وابور من وابورات هذه الشركة قوتهُ ١٢٠ حصاناً بخارياً وسرعة سيره ٤٨٠٠ متر في الساعة الواحدة لا يختلف سيرها في ذلك صعودًا وهبوطاً على أَنَّ الحركة في الصعود بقوة البخار وفي الهبوط بمجرد قوة الانحدار

ويختلف الميل في هذا الطريق من $\frac{٥}{١٠٠}$ الى $\frac{٢٥}{١٠٠}$

والميل في مرتقى آخر لناحية (كُوتْشْ) بغير هذه الجهة رأيناهُ بالامس $\frac{٥٢}{١٠٠}$ في جميع جهاتهِ وندع الكلام في صفاتهِ وصفات عرباتهِ وسيرها بغير حيوان ولا بخار ونتركهُ للرحلة رغبة في الاختصار . والعربات في الطريق الذي كنا نتكلم عليهِ مغطاةٌ من اعلاها للتوقي من الشمس مكشوفة من سائر الجوانب ليتمكن المسافر من رؤْية كل ما يمر بهِ من المناظر

ويتركب كل ذيل (قطرٍ) من عربة واحدة يسوقها وابور واحد وليست العربة مرتبطةً بالوابور وانما يدفعها من خلفها في الصعود وينزل أَمامها فتسير خلفهُ في الهبوط وذلك للتفادي من ان يصيبها ما اصاب الوابور لو اصابهُ شيءٌ من الاخطار والعياذ بالله تعالى وفي كل عربة آلة للأَمن من الخطر يتيسر بها ايقاف العربة في مسافة لا تتجاوز ٥٠ مترًا وبعد مفارقة اول الخط يخترق الوابور قبل اول موقف من مواقفهِ منفذين قد نقبا لهُ في صلب الجبل ثم يجتاز بعدهما على جسر من الحديد متقن الصنع ممدود فوق قوائم من الحديد على ارتفاع هائل قد يروع الناظر ويهول امرهُ السائر ثم يصل الى الموقف المذكور وهو على ارتفاع ١٠١٦

مترًا عن سطح البحر وبعد الوقوف بهِ بعض دقائق يستمر في صعودهِ ويقف في مواقف عديدة على ارتفاعات متفاوتة بين مناظر مختلفة ومحاسن مؤتلفة فيرى المنخفضات تتتابع بقدر المرتفعات ولا يكاد يفارق منخفضاً الاَّ ويصادف مرتفعاً وهكذا يستمر بين حدائق ونباتات واشجار وغابات ومناظر بحيرات وجبال مغطاة بالثلج وغير مغطاة مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وكلما أخذ في الارتفاع صغر في نظر الناظر حجم ما خلفهُ من البحائر وغيرها من المناظر وهكذا حتى يصل الى محطة (ريجي كُلْمْ) وهي المحطة الاخيرة وترتفع عن سطح البحر بقدر ١٧٥٠ مترًا

ويوجد بالمحطة الاخيرة المذكورة وما قبلها من المحطات كثير من اللوكندات بديعة البهجة والاتقان تسع نحو الفي نسمة يبيتون على جيد السُرُر ومستحسن الفرش ويأكلون طيّبات المآكل ويجدون غاية الراحة ويسمع النازل بها كثيرًا من الالسن الّتي يتكلم بها في العالم وما ذاك الاَّ لتوافد الزوار عليها من سائر الجهات

والمحطة العلياء منحطة عن أعلى قِمة الجبل حيث يبلغ الارتفاع عن سطح البحر مسافة ١٨٠٠ متر فالفرق بين المحطة العليا واعلى الذروة نحو ٥٠ مترًا .

وقد بنيت المحطة منحطة عن القِمة بهذا القدر للاتقاء بالجبل من ريح الشمال وهي هنا غير مطلوبة ورأيناها كذلك في جهة بيروت وغيرها في سوريَّة غير مرغوبة

ويرى الانسان وهو في اعلى الذروة من الجبال والمرتفعات المحيطة بتلك الجهات ما يتعاصى على الحصر والعد ويتقاصى عن الضبط والحد وان امكن ذلك فهو موكول الى قوة النظر وحدتهِ وطول التأمل واتساع مدتهِ وقد ابلغها بعض من لقيناهُ هناك من اهل تلك الجهة الى ٣٣٤ جبلاً بين صغير وكبير منها ٦٤ مغطاة بالثلج الدائم على قول ذلك الرجل والباقي عارٍ عن الثلج في هذا الوقت

اما البحيرات التي ترى من تلك الذروة في اوقات الصحو فتبلغ ١٤ عدداً ويمتد النظر في هذا الموضع الى مئات من الفراسخ بعيدة الانحاء مختلفة السموت لما من غرائب المناظر وعجائب المظاهر ما تنقطع دونهُ الاوصاف والنعوت لاسيما الجبال المكتسية بديباج من الثلج ابيض المتحصنة بدروع من الزرد البديع النسج مفضض

واذا تأمل الواقف بهذه الذروة العالية فيما يراهُ تحت قدميهِ من المواقع السافلة والأغوار النازلة يتخيل ان ليس بها نسمة مخلوقة ونفس منفوسة لانقطاع الصوت واتصال الصمت وغاية تصاغر المنظر لبعد السمت وحول هذه الذروة من المنازه والمنازل والخضرة والنضرة والارواح والادواح ومواطن الانس والانشراح والراحة والارتياح والمباحثة والمناظرة والمسامرة والمسايرة ما لم يكن يخطر ببال او يتصور بحال

وكم رأينا في تلك البطاح من صباح الملاح كل خودٍ رداح شاكية السلاح من الحاظ كالصفاح مراض صحاح وقدودٍ كالرماح دامية الجراح فاتكة في الارواح وليس عليها لدى القانون فيما جرحت جناح وكل ما اجترحت مباح

فليس للجوزِ في ايامهم اثرٌ الاّ الذي في عيون الغيدِ من حوَرِ

وهنَّ منتشرات في تلك الجهات كعقد خانهُ السمط فانتثرت دررهُ وروض الحت عليهِ الريح فتبدد زهرهُ بين وحدان وزرافات وشتى وجماعات فهنَّ ظباء في هذه المراتع روائع واقمار من هذه المطالع طوالع وانوار في تلك المواضع سواطع قد ربينَ في مهاد الدلالِ رواضع وغذتهنَّ بلبان الجمال لا الجمال المراضع فبرزنَ

كالحُور في غلائل نور او وردٍ جور في زجاج بلور تراهنَّ خِلال الاشجار فتخالهُنَّ بعض الازهار وتنظرهنّ على الماء فتقول قد تمثل فيهِ السماء وهذه كواكب الجوزاء ولقد انسينني المشيب حتى خلت انني عدت الى الصبا وكدت أمدُّ لداعي اللهو والخلاعة يدًا فأقول مرحبًا مرحبا واكون فيمن صبا الى ان رأيت مرآة ببعض مفارش الباعة بديعة الصناعة فاذا الشيب فيها يخاطبني بلسان الحال من بين الجماعة

هيهاتَ ما عَهْدُ الشبابِ براجعٍ يومًا ولا هذا المشيبُ براحلِ

سيدي

كنت أُريدُ شيئًا كثيرًا ولكن غلبني الوقت فاقتصرت واختصرت وما تركت مما اردت اكثر مما ذكرت ونحن على جناحِ السفر الى باريس داعون لولي النعم الخديو الاعظم دعاء الابتهال مترنمون بأحاسن الثناء في كل محل وكل حال والله المسئول في ان يتقبل من عبدهِ ويمنَّ بالمزيد من عندهِ فهو غاية المسئول ونهاية المأمول ف‍ك في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٩

عبد الله فكري

من لُوسِرْنْ الى باريس

قمنا من لوسرن والساعة ٥ و ٣٠ دقيقة من صباح يوم الخميس اول اغسطس سنة ١٨٨٩ كما سبق وان كان يقوم منها الى باريس عدة وابورات في النهار لكن اخترنا هذا الوقت لنتمكن من رؤْية ما بقي من مناظر سويسره ونصل الى باريس قبل الليل لنجد ما نأوِي اليهِ من الامكنة فصرنا نمر بأنهار وأَودية ومناظر حسنة

وأَرض مخضرة ناضرة يتخيل للناظر انها بساتين خُطّت فيها السكك والطرق وما زلنا سائرين نقطع ما نمر بهِ من المجازات والمنافذ ونقف في بعض المحطات حتى وصلنا الى أُولتن ومنها الى بَال من أَعمال سويسره بعد مسيرنا من لُوسِرْن بساعتين وربع ساعة فمكثنا بها نحو ثلاثة ارباع ساعة فأَكلنا واسترحنا

وبَال هذه مدينة واقعة على ملتقى ثلاث ممالك من جهة الحدود المانيا وفرانسا وسويسره قائمة على نهر رِين ذات ثروة اكتسبتها من توسطها بين هذه الدول حتى اتسع نطاقها وازداد عُمرانها وتقدمت فيها الصنائع فصارت تزيد سكانها عن ٤٥ الفاً

ثم سرنا منها متجهين الى الغرب على باقي أَرض السويسره نحو ساعتين حتى وصلنا الى دِيل من اعمال سويسره ايضاً وهي بلدة الحدود بين المملكتين وبها الكمرك لكن لم تفتش امتعتنا بهِ لاننا عند نزولنا من لُوسِرْن سجّلناها على ان نستلمها في باريس فصار التفتيش يحصل هناك

ثم بارحنا دِيل المذكورة بعد وقوف ربع ساعة فيها وسرنا بأَرض فرانسا قاصدين باريس من شرق فرانسا الى الغرب متجهين لجهة الشمال مارين على بِلفور وفِيزُول وشُومُون وترُوَا نتفرج على المزارع الفسيحة والمراعي المتسعة والمباني المتنظمة وغير المنتظمة حتى قرُبنا الى باريس فأَرانا بعض من معنا بالوابور قبل ان نميّز مباني المدينة على بعد بناءً اسطوانياً مرتفعاً اشبه بمدخنة الوابورات الثوابت فأَخذنا نتأَمل فيهِ وصرنا كلما قربنا منهُ يتميز لنا حتى علمنا انهُ برج ايفل المشهور واذا بنا قد وصلنا باريس والساعة ٦ بعد الظهر فكانت المسافة من قيامنا من لوسرن الى وصولنا لباريس اثنتي عشرة ساعة ونصفاً

الوصول الى باريس

بوصولنا الى المحطة خرجنا الى قاعة الانتظار حتى يصير اخراج الأَمتعة من عربات السكة الى القاعة المخصصة بالتفتيش من طرف الكمرك اذ انهُ لم يسبق تفتيشهُ بمحطة دِيل كما أسلفناهُ بل رجَّحنا ان يفتش في پاريس وسلمناهُ على ذلك الى ادارة السكة على ان لا نستلمهُ الاَّ فيها

فانتظرنا بعض دقائق واذا بباب مكان غاية في الاتساع انفتح ودُعينا الى الدخول فيهِ فوجدنا بوسطهِ طاولات من الخشب على شكل دائرة عليها جميع أَمتعة المسافرين اللازم فحص ما بها بمعرفة رجال الكمرك ومن داخل تلك الطاولات رجال الكمرك ومن خارجها الحمَّالون فصار كلٌّ يبحث على أَمتعتهِ ومتى وجد شيئاً منها طلب من احد رجال الكمرك تفتيشهُ فيحضر لجهة المتاع بلا توانٍ ويأمر احد الحمَّالين بفك ما يكون مربوطاً بهِ من الحبال ويسأَل بغاية اللطف هل عندك ياسيِّدي ما يجب التعريف عنهُ من الدخان اوغيرهِ فاذا اخبرتهُ بالحاصل ربما اكتفي باخبارك وقد يفتش المتاع او بعض مواضعهِ للتحقق بنفسهِ من صحة ماقررهُ المسافر كل ذلك بغاية اللطف ومراعاة الأَدب ولمَّا لم يجد شيئاً مما يدفع عنهُ رسم للكمرك يضع على الصندوق علامة بالطباشير يَستَدِل بهِ خدم المحطة على انتهاء مأمورية التفتيش فيصرحون للمتاع بالخروج

والسبب في سؤَال رجال الكمرك المسافرَ عما اذا كان عندهُ ما يجب التعريف عنهُ تخفيف موؤنة التفتيش عن رجال هذه الادارة لاستدلالهم بهذا التعريف على ما تدفع العوائد عليهِ مما يصحبهُ المسافر

اما اذا لم يُعرَف المسافر الحقيقة فانهُ يضاعف الكمرك الذي كان يدفعهُ لو صرَّح بالصدق وربما أدَّى الحال الى مصادرة بعض المتاع المسكوت عنهُ بحسب الأحوال

واهم شيء يسألون عنهُ الدخان لأَنهُ محتكر من الحكومة ولأَنَّ ترويج سوق هذا الاحتكار متوقف على قلة دخولهِ من الخارج ولذلك قد جعلت عوائد دخولهِ عالية فقد يُدفع على الكيلوجرام (الف جرام) من ٣٦ فرنكاً على السجاير المصنوعة و ٢٥ فرنكاً على الدخان المجلوب من بلاد المشرق و ١٥ فرنكاً على المجلوب من غيرها

ولم يكن معنا عند دخولنا باريس شيءٌ من الدخان الآما في علب السجاير فاننا لم نستصحب منهُ معنا شيئاً غير نحو الف سجارة لسيدي الوالد ومثلها او أقل لرفيقنا الشيخ حمزه على قصد ارسالها من ڤينيسيا للسويد مباشرة لنجدها هنالك بوصولنا لاننا لو ابقيناها معنا لوجب علينا الاشتغال بها ودفع الكمرك عنها مرات بقدر الممالك التي يكون العبور منها والوقوف فيها قبل الوصول الى محل المأمورية وذلك مما لا ضرورة لهُ على ان الدخان المشرقي المعروف عندنا بالاسلامبولي يوجد من سائر انواعهِ باثمان مناسبة في المدن الكبيرة

ويوجد في سائر البلاد ما يقاربهُ في الذوق واللون من دخان البلاد الاجنبيَّة ما يمكن الاستغناء بهِ عنهُ تفادياً من ضياع الوقت في معاناة التخليص في كل الكمارك على ما نجلبهُ معنا من دخان مصر فضلاً عما يستلزمهُ ذلك من المصاريف الباهظة

وقد كنا ارسلنا السجاير التي كانت معنا من ڤينيسيا الى السويد بطريق

البوستة بدون ادخالها المدينة من نفس ادارة الكمرك بها وان استلزم ذلك عناء لأننا توجهنا لهذا الغرض اكثر من مرتين لمحل الكمرك وهو واقع على البحر وانتظرنا في كلٍّ منها مسافة من الزمن ولاخفاء فيما يستلزمهُ ذلك الانتظار من المضايقة لانهُ فضلاً عن صعوبتهِ من حيث هو انتظار فانهُ يترتب عليهِ تعطيل واضاعة وقت كان يمكن الانتفاع بهِ في غيرهِ من التنزه والتفرج على المدينة

هذا ولم يكن معنا مما تُدفع عليهِ العوائد غير الدخان الأَعلبَة احد رفقائنا وما ادراك ما هي علبة مصنوعة من الصفيح اسطوانيةَّ الشكل بها نحو الاقتين من كعك الدقيق المعروف بالغريبَّة استحضرها معهُ من مصر فاعتبر كمرك ڤينيسيا السالف بيانهُ ان ما بها من نوع الحلواء ودفع صاحبنا عنها قيمة نحو خمس فرنكات وكان يظن ان ما بها ينفذ في المسافة بين ڤينيسيا و پاريس ولكن بقي فيها نحو ثلثيها فانها ثقيلة الهضم ولم يحِبَّ الرفاق لاجل ذلك الاشتراك معهُ فيها تخليصهِ منها ولم يقبل هو تركها بما بها على ان ما دفعهُ عنها من الكمرك في ڤينيسيا وحدهُ كافٍ لشراء أَحسن منها من اي مدينة وعلى ان اكل الصبح متيسر بطريقة أَلطف وبكيفية أَخفّ من هذه المُثقلات في كل الجهات

فاراد كمرك پاريس ان يدفع صاحبنا عنها رسم الحلواء وذلك بعد ان طالت ابحاث رجالهِ في تحقيق ماهيتها اذ من قائل منهم انها من العقاقير وآخر يدَّعي المعرفة اكثر من الاول يقول انها من المجهزات الكيماويَّة وثالث يتفرَّس في هيئتنا المشرقية ويقول من جهلهِ بما فيها انهُ لا بد وان يكون من نوع الحشيش فبعد الجهد الجهيد واقامة الحجة على اثبات انها من الحلواء عدّوها منها وتحيَّر الرفيق مع هذا بين تركها وقد دفع عنها قبل ذلك ما دفع وشغلت من صناديقهِ محلاً مهمًّا ومدة الاقامة

المنوي عليها في باريس عشرون يوماً ربما احتاج فيها الى ما بها و بين اخذها مع دفع الكمرك عنها ثانية فبعد اخذ ورد وحلٍّ وعقد دفع رفيقنا عنها خمس فرنكات ثانية ورافقتهُ الى باريس

ولكنهُ لم يتخلص بذلك من أذاها على ما علمتُ منهُ بعدُ وذلك انهُ اثناء مُقامنا في باريس وقرب قيامنا منها اراد رفيقنا المومأ اليهِ ان يتخلص مما كان استصحبهُ معهُ رغماً عن اشارتي عليهِ عند السفر بعدم لزوم ذلك في سفرنا هذا لوجود ما يماثلهُ في كل محل نزلنا بهِ مثل الغطاء فانهُ يوجد منهُ بجميع الفنادق ومثل طست الوضوء فانهُ يوجد بكل محل طسوت من الصيني تقوم مقامهُ وكان قد تضرَّر من أُجَر السكك الحديديَّة على هذه الاشياء وما يماثلها مما يمكن الاستغناء عنهُ فاشترينا لهُ من دكان كبيرة تعرف بمخازن اللوفر بباريس شنطتين صغيرتين وضع فيهما اللازم من الثياب ووضع في الصندوق الكبير الذي معهُ الغطاء والطست وغير ذلك من الثياب والاشياء المستغنى عنها ووضع معها العلبة المعهودة وارسلنا هذا الطرد لمصر مع طرد مثلهِ لنا وضعنا فيهِ ما اشتريناهُ من باريس ومن غيرها من الاشياء تخفيفاً للحمل وقد اخبرني الرفيق بعد العودة عن امر تلك العلبة المشؤُمة أنها قبل وصولها الى الاسكندريَّة انفتحت في الطريق من اهتزاز الوابورات ورفع الصندوق ووضعهِ في البر والبحر فنزل الكعك الذي بها الى ما تحتها من الكتب والملابس الجوخ وغير الجوخ فانبسَّ وصار هباءً منبثاً وشربت دُهْنهُ وسمنهُ حتى لم يبقَ منهُ الاَّ آثار بالملابس والكتب للدلالة عليهِ وصار لسان حالهِ يقول

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

ولكن هذا الانبساس نفع في عدم اخذ الكمرك عليها ثالثةً

وربما صحت الأَجسام بالعللِ

ولنرجع الى الكمرك الذي كنا فيهِ فنقول اننا بعد ان استخلصنا أَمتعتنا بالوسم عليها من رجال الكمرك وكانوا لم يفتشوا الاَّ صندوقًا واحدًا منها ودفعنا كمرك العلبة المذكورة نقل الحمَّالون امتعتنا الى احدى العربات المغطاة المخصوصة فوضعت فوق ظهر العربة يحجزها عن الوقوع حاجز خفيف من الحديد بدائر سطحها وجلسنا نحن الاربعة في داخل العربة وامرنا السائق بالتوجه الى فندق سَانْ بطرسبورغ وهو الذي حررنا لصاحبهِ من لوسرن بحجز غرف لنا فيهِ وافاد أَنَّهُ سيعمل الجهد في ذلك فقابلنا صاحب الدار بغاية الايناس واَرانا أَسَفَهُ الزائد على عدم خلو محل عندهُ من يوم التلغراف الى الآن وقال انهُ حجز لنا غرفًا لائقة بفندق دُومِينِيسي بشارع كَسْتِجْلِيُون نمرة ٧ ونمرة ٩ وأَعطانا ورقة برسم صاحب ذلك الفندق فقصدناهُ في الحال فاذا هو في نقطة احسن من نقطة الاول بأَبهج موقع بالمدينة على خطوات عن حديقة تُويلرِي الشهيرة على مقربة من البلوارات (الشوارع) المشهورة ومن تياترو الاوپرا ومن نهر السِّين وبجوار فندق كُونْتِنَنْتَال الشهير فلا شك ان الله سبحانهُ اراد لنا بهذا المحل خيرًا فانهُ احسنُ مما اخترناهُ

فقابلتنا صاحبة ذلك الفندق بكل اعتبارٍ واحترام واوصلتنا الى المحلات الَّتي أُعِدَّت لنا واذا هي بالطبقة المتوسطة بين الاولى والارضيَّة وغير مطلة على الشارع بل تطل على صحن الدار فتكلمنا معها بعدم استحساننا لهذه المحلات ورغبتنا في احسن منها يكون الهواء فيها مطلقًا والنظر ممتدًا فأَرتنا صعوبة وجود المحلات للغاية في باريس زمن المعرض خصوصًا في النقط المهمة منها ووعدتنا مع ذلك بأَن ستخصص بنا غرفًا أَحسن من هذه جامعة لما نرغبهُ من المزايا في اليوم التالي فانها

ستخلو في الصباح وبعد ان تفرجنا عليها واعجبتنا للغاية قبلنا الغرف الّتي أعدّت لنا بهذا المساء

هذا وبعد ان غيّرنا ما رأينا لزوم تغييره من الملابس وتعاطينا طعام العشاء في الفندق فوجدناهُ بالغاً حد النهاية في الحسن والنظافة والانقان خرجت مع سيدي الوالد نمشي الهوينا للإعانة على الهضم ولكي أريهُ اول بلوار (شارع) من بلوارات باريس الشهيرة حيث اعهد من قبل انهُ يبعد بعض خطوات عن المحل الذي نحن بهِ فنأخذ قهوة الطعام في كافيه دهْلاَّبي (قهوة السِلْم) الواقعة عليهِ فسرنا لجهة ميدان وَانْدُومْ فسكة السِلْم حيث وصلنا الى ميدان الاوبرا فكان امامنا التياترو المذكور وعلى اليمين شارع الطليان وعلى اليسار شارع الراهبات فجلسنا بالقهوة الواقعة بين الشارع المذكور وبين ميدان الاوبرا تحت جراند اوتيل (الأوتيل الكبير) وهي قهوة السِلْم السابق ذكرها وطلبنا قهوة في الخارج حيث أسعدنا الحظ بأن وجدنا محلاً خالياً هناك مما لا يتيسر في غالب الاوقات

وصرنا ننظر الى المارّين الذاهبين والآيبين وعددهم لا يحصيهِ الاَّ الله منهم الذاهب الى محل معهود او القاصد لميعاد محدود فهذا يذهب مسرعاً ومنهم من يمشي لمجرد التنزه وقصد التفرج وهذا يمشي الهُوَينا ومنهم الراكب عربة وهذا يمشي دائماً يمنةً فاخذ منا العجب والاستغراب كل مأخذ من كثرة المارين أمامنا من أصناف المخلوقات فكانما جميع سكان باريس قامت من اماكنها وتعمدت المرور بهذا الطريق والاَّ فما هذا الازدحام وما هذه الاقوام ذلك منظر لا ينسى ومرأى وصفهُ لا يستقصى وكم بين هؤلاء الأشباح من ذوات ملاح وكم بين هذه المشاة والركبان من احاسن الغزلان ولم يكن الازدحام قاصراً على رصيف دون رصيف

بل كان عاماً للجهتين شاملاً وسط الشارع ايضاً حيث لا تنقطع منهُ العربات حتى جعل في وسطهِ ارصفة ضيقة بينها وبين بعضها فواصل ليتمكن من يريد العبور من الالتجاء اليها قبل ان يصل الرصيف الذي يقصد اذا خاف وصول العربات اليهِ والاَّ وطئتهُ لا محالة قبل الوصول

وكنا كلما امتدَّ منا النظر الى جهة من جهات الشارع نجد الحركة متوالية ويُتَخَيَّلُ لنا من كثرة الاضواء وقوتها وانتشارها وشدتها ان الليلة ليلة زينة واحتفال فان النور لم يكن قاصرًا على نور الغاز المعتاد بالبلوار بل ان كل حانوت من حوانيت الشارع افرغ صاحبهُ جهدهُ وبذل ما عندهُ في انارة داخلهِ وخارجهِ بما يأخذ بالعقول ويبهر الألباب فضلاً عن الإجادة في وضع الاشياء المعرضة للبيع وجعلها بهيئة تسر الناظرين وتبهرهم حتى يرغبوا في الشراء ولو لغير داعٍ ضروري

وقد اخذنا في الكلام على هذه الخلائق وكثرتهم وما نراهُ من نشاطهم وهمتهم وانتقلنا الى الكلام في كيفيَّة السير الذي نسيرهُ للتفرج على باريس وجرَّنا ذلك الى التكلم في السير للتفرج على المعرض ايضاً واخذنا نتروَّى في اي السيرين نقدمهُ على الآخر هل نبدأُ بالمدينة او بالمعرض الى ان تقوَّى عندنا جانب التفرج على المعرض والبدء بهِ في اليوم التالي لمعرفة حالتهِ بصفة اجماليَّة ورجح ذلك عندنا أنهُ ربما وجدنا بهِ مكاتبات وردت لنا من أَهلنا بمصر فانا كنا قبل التوجه الى اوروبا اوصينا ان ترسل الينا المكاتبات باسم صاحبنا السيد مصطفى الديب في شارع القاهرة بالمعرض لظننا أَنَّنا لا نطيل مكثاً قبل باريس بجهة يمكن وصول المكاتبة الينا بها ومنذ توجهنا لم تصلنا مكاتبة الى الآن فزاد بنا التشوق الى استطلاع

اخبار الاهل والوطن وفضلاً عن ذلك أننا اطلعنا بالقهوة في احدى الجرائد ان المعرض ستقام فيهِ في الليلة التالية زينة حافلة احتفالاً بقدوم شاه العجم فيهِ فعقدنا النيّة على مشارفة المعرض في اليوم التالي والبقاء بهِ حتى الليل وعلى إرجاء اول تفرج في باريس الى اليوم الذي بعدهُ ثم على تقسيم الزمن الذي صممنا على بقائهِ بهذا البلد بين زيارات المدينة وضواحيها والمعرض ومحاسنهِ وبعض اوقات من الليل نشتغل فيها باتمام ما لم يتمّ من الاعمال العلميّة الّتي عزمنا على تقديمها في المؤتمر وقمنا على ذلك قاصدين الفندق حتى وصلناهُ وبقينا بهِ الى الصباح

﴿ بعض اجماليات على باريس ﴾

ليس من قصدنا هنا التعرض الى ذكر تاريخ هذه العاصمة فانهُ عبارة عن تاريخ فرانسا نفسها وقد جمعتهُ مطولات كتب التاريخ بكمال الاستيفاء والاستيعاب وانما نريد ذكر بعض اجماليات تجعل القارئَ يتمكن من السير معنا في التفرج على هذه المدينة الشهيرة ويفهم بها هذه البلدة الّتي ربما توهمها الرائي لاول وهلة غاية في الصعوبة

والقارئ يعلم ولا شك انها عاصمة فرانسا وأنها واقعة على ضفتي نهر السّين يدخلها من طرفها الجنوبي الشرقي فيجري الى الشمال الغربي بعد ان يرسم قوساً نحو الشمال وانها قائمة في وسط سهل مستوٍ تقريباً يتخللهُ بعض آكام تبعد عن النهر اتصلت بها المدينة وعلت بيناتها عليها ولا يزيد ارتفاع هذه الآكام على ١٠٠ مترعن سطح النهر و ١٢٨ متراً عن سطح البحر ومن هذه الاكمات شارُون ومِيلِيمُونتَانْ وبِيلفيل ومُونمَارتْرْ على الشاطئ الشرقي وميزُونْ بلانشْ وغيرها بالشاطئ الغربي

وبنهر السين المذكور جزيرتان في وسط مجراهُ بداخل المدينة جزيرة سَان لُوِي وجزيرة لاسِيتِيه تكوَّنَ كلٌّ منهما من عدة جزر صغيرة متقاربة عُدت بها واحدة

والمدينة منقسمة الى قسمين اصليين يفصلهما النهر وهما جهة الشاطىء اليميني وجهة الشاطئ اليساري ويتبعهُ الجزيرتان المقدمان ولم يبقَ ما يميز البلدة القديمة مما استجد عليها ومن الضواحي الَّتي انضمت اليها بسبب الاصلاحات الكثيرة والطرق المنتظمة العديدة والتحسينات المتكررة الَّتي تمت فيها غاية ما هنالك ان ان وَسط المدينة يتميز عما سواهُ بكثرة مبانيهِ وانضمامها لبعضها اكثر منهُ في غيرها وبزيادة الحركة فيهِ ويتميز محل استحكاماتها العتيقة وقد أُبطلت بالشوارع المتسعة الَّتي جعلت في محلها

على ان الزيادات الَّتي حصلَت في المدينة والتحسينات الَّتي جُدّدَت فيها لا يمكن تخصيص نسبتها الى عهد من التاريخ دون سواهُ فانها عمَل جميع الحكومات الَّتي استولت على العاصمة واشترك في اجرائها جميع الأَجيال الَّتي سكنوها جيلاً بعد جيل فهذه الآثار الجليلة الَّتي سيأْتي عليك بيانها وهذه المباني العظيمة الَّتي تُرى اثناء التفرُّج وهذه الأَعمال النافعة الَّتي أُحيَت المدينة اشترك في إيجادها جميع الفرنساويين وآخر عملهم فيها معرضِ سنة ١٨٨٩ ويمكن ان يأْتي بعدهُ ما يزيد عليهِ كما زاد هو على ما قبلهُ ومن يعش يره

وتنقسم باريس انقسيماً ادارياً الى عشرين قسماً تفصلها عن بعضها شوارعُ وطرق

وتحاط المدينة باستحكامات بُنيت في مسافة ثلاث سنين بمقتضى قانون

صدر في سنة ١٨٤٠ وبلغ ما صرف عليها ١٤٠ مليوناً من الفرنكات وهي عبارة عن سور محيط طوله ٤٣ كيلو متر وارتفاعهُ عشرة امتار يحيط بهِ خندق اتساعهُ خمسة عشر متراً ثم يتبع هذه التحصينات الداخلية ١٧ قلعة خارجية كأنها سور ثانٍ للمدينة وهذه اغلبها تهدم في حرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ ولكن جرى اصلاحهُ بعد ذلك ثم استحدثت تسع عشرة قلعة على بعدٍ من هذه الاستحكامات كأنها سور ثالث

هذا وان انتظام طرقات هذه البلدة واتساع شوارعها وإحكام نظامها على كثرتها وتعددها وسهولة تواصلها ببعضها لجدير بأن يستلفت نظر السائح ومزيد تعجبهِ لاسيما إن قارنَ هذا بما كانت عليهِ الطرقات القديمة في هذه المدينة من الضيق والاعوجاج وعدم الانتظام مما قد يوجد بعضهُ الى الآن وتفكر فيما صُرف على هذه الشوارع المستحدثة خصوصاً في وسط المدينة من النفقات الطائلة وتعويض اصحاب المنازل التي لزم هدمها وتعويض ساكنيها فهو لا يستغرب حينئذٍ كون المدينة مديونة من جرَّاء هذه الاعمال لمدة أجيال

اما لو لاحظ السائح أن تحت جميع هذه الشوارع التي يراها شوارعَ ليست أقلَّ احكاماً منها خاصة بسيلان المستعملات من المياه فيها ورأى مجاريها لزاد في الاستغراب

فاذا مشى في البلد ورأى تسلطن حركات العالم في جميع انحاء المدينة وسمع اختلاط اصوات السوقة ودبدبة العربات ودوابها ونداء الباعة وعلو اصواتهم بقصد اشهار ما يبيعونهُ على اختلافهم في النداء والاصوات وعلى اختلاف ما يبيعونهُ من جميع المصنوعات والأصناف من مأكول ومشروب وملبوس وانضم الى ذلك

صفافير سائقي العربات وابواق عربات الأُجرة من ترامواي وأمنيبوس وصادف من ينادي بالجرائد وأسعدهُ الطالع بأن كان فيها الإعلام بخبر مهم أو حادث ملم أو ظهور جريدة جديدة في عالم الوجود ورأى اقبال الناس عليها وتخاطفهم إياها لقضى من ذلك كلهِ العجب العجاب وزاد في الاستغراب

وقد جمعت هذه المدينة من اسباب الجد والتمدن والعمران والتقدم كالمدارس العالية والمجتمعات العلميَّة ودور العلوم والفنون والصنائع وغير ذلك من موجبات ازدياد المعارف البشريَّة ما يغبطها عليهِ سائر المدن ويجعلها مدينة العلم والعرفان وعاصمة الآداب كما انها جمعت من اسباب الهناء والدَّعة والراحة من المنتزهات والبساتين والساحات وباقي امكنة الانس العموميَّة ما جعلها تدعى مدينة الحظوظ

وفيها من الفنادق ما يصلح لسائر درجات الناس للغني مهما بلغ غناهُ وللفقير مهما انحطت بهِ دنياهُ وفيها من مواضع القهوة وتعاطي الطعام ما لا يدخل تحت حصر في سائر الجهات وفيها من دكاكين الحلوائيين ما تشتهيهِ الانفس وتلذ الاعين وفيها من التياترات الكبيرة ما يبلغ العشرين فضلاً عن غيرها من محلات الملاهي الخاصة بالخيل والرقص ونظر صور الوقائع والاشخاص من المشاهير وفيها من الكنائس وامكنة العبادة لليهود والبر وتستانت ما يفوق الوصف من حيث التشييد وحسن البناء

ويوصلها بسائر بلدان المملكة من كل جهة خطوط حديديَّة كثيرة هي مركزها حتى بلغت المحطات بها تسع محطات

ويوصلها بسائر بلاد المعمورة خطوط التلغراف ومراسلات البوستة ويعضها

خطوط التليفون وجميعها بالغة حد الانتظام والكثرة فان فيها من مكاتب البوستة وحدها ٨٧ مكتباً منتشرة في سائر انحائها فضلاً عن مكاتب التليفونات ومكاتب التلغراف التي بعضها منفتح على الدوام في سائر اوقات الليل والنهار

وبها من المطبوعات كثير جداً أهمها صحف الاخبار اقدمها المسماة جازيت ده فرانس تأسست سنة ١٦٣١ ولم يكن بها من المطبوعات الدورية سوى ١٥٠ في سنة ١٧٨٩ و١٤٠ في سنة ١٧٩٠ و٨٥ في سنة ١٧٩١ ثم تناقص عددها بعد ذلك الى ان بلغ في مدة نابليون الاول ١٣ ثم تزايد بعد مدته فكان يطبع منها في زمن الحكومة التي بعده ١٥٠ منها ثمان جرائد سياسية واستمرت في الازدياد زمن الحكومات التي تعاقبت بعد ذلك حتى بلغت المطبوعات الدورية بباريس وقت رحلتنا ١٥٥٠ منها سبعون جريدة سياسية اكثرها يباع في الطرقات العمومية بالمناداة عليها وفي امكنة معمولة من الخشب بالشوارع الكبيرة لبيع ذلك

وباريس هذه محور لمالية فرنسا وتجارتها واشهر بنوكها (لابنك ده فرانس) وله فروع في سائر الولايات والملحقات الفرنساوية وله وحده الحق في اصدار اوراق مالية تقوم مقام النقود في البلاد

وصنائعها في غاية الرواج والانتشار يشتغل فيها اكثر من خمسمائة الف صانع وقد اشتهرت بالصياغة والحلى على اختلاف انواعه وعمل الساعات والكشمير واشغال الابنوس والمراوح والشماسي والعاب الصبيان وغيرها من اللطائف المسماة (أرتكل ده پاري) وقد فاق الپاريسيون فيها غيرهم من جهة الظرافة وبحسن اشغال الانسجة واقمشة الملبوسات بانواعها على اختلاف اصنافها واوصافها وبعمل الآلات الموسيقية على اختلاف اشكالها من پيانو وغيره

وباصطناع المواد الكيماويّة وبصنعة الخراطة والحفر والنقش بالأَخشاب والعاج وباشغال الصوف والحرير والقطن والتيل بديعها ودقيقها وبعمل الأَوراق جميعها للكتابة ولزينة الجدران وبصناعة الصابون والطيبِ وبعمل الأَزهار الصناعيّة وباتقان ملابس الرجال والنساء تفصيلاً وخياطة وزخرفة وبعمل الاسلحة بسائر انواعها وآلات الحرب بجميع اصنافها والآلات الميكانيكيّة وغيرها من سائر الآلات فقد اشتهرت آلاتها الرياضيّة والمنظاريّة والجراحيّة وغيرها بالجمال والاتقان

وبها معامل لتكرير السكر وصناعة البارود وتجهيز الجلود وبها مطابع لطبع الأَقمشة حريرها وقطنها وصوفها عاليها ودانيها وبها مصانع تخص الحكومة منها معمل جُوبْلانْ يصنع فيهِ من الطنافس والبُسُطِ ما لا يدخل المتجر لغلو اثمانهِ بل خصت الحكومة مصنوعاتهِ بزينة أَماكنها العموميّة وزخرفتها وباهداء بعضها لكبار بعض الدول توددًا وتحببًا

والشوارع الكبيرة تسمى عندهم (بُلْوار) وتنقسم الى أَربعة أَقسام البلوارات الداخليّة او القديمة والبلوارات الخارجيّة والبلوارات المستحدثة والبلوارات المحيطة

واهم هذه البلوارات واكثرها حركة البلوارات الداخليّة وسميت بالقديمة ايضاً لأَنها في مكان اسوار المدينة القديمة الّتي هُدِمت في عهد لويس الرابع عشر

لكن لفظ البلوار او البلوارات الكبيرة عند الاطلاق لا ينصرف عندهم الاَّ على جزء البلوارات الداخليّة الواقع على شمال نهر السين وهو اهم اقسام البلوارات الثلاثة على العموم وباقي البلوارات الداخليّة على الخصوص فهو اهم الأَهم ويمتد على شكل نصف دائرة تقريباً وتختلف اسماؤُهُ في هذه المسافة باضافتهِ الى اسماء أُخر حتى تبلغ احد عشر فيقال بلوار كذا وبلوار كذا الى آخرهِ

وحقيقة هذه الشوارع لا تكاد تُتصوَّر بمجرد الاخبار بدون مشاهدتها فانها اذا شوهدت يُجْزَمُ بانها احسن شوارع العالم اجمع من حيث اتساعها واتقانها والمبالغةُ في زخرفتها واتساعُ دكاكينها المشتملة على اثمن الحرائر وانفس الحلى والجواهر والمغالاة في تنظيمها ومن حيث كثرة العالم فيها واستمرار الحركة بها

و بعض هذه البلوارات مبلط بالحجر وبعضها مغطًّى بالخشب وبجميعها ارصفة متسعة مبلطة بالاسفلت و بجانبيها اشجار كبيرة مرتفعة وبتلك الارصفة على مسافات متقاربة اماكن صغيرة (كشك) معمولة من الخشب بعضها معدٌّ لبيع الجرائد و بعضها لاقامة بعض رجال البوليس و بعضها معد لحاجة بعض المارّين من الرجال يتخلل مسافتها الّتي في البين عُمُدٌ تلصق فيها اعلانات التياترات لاعلام العموم بها

ومن أعجب أسواق پاريس السوق المركزيّة (هَالْ سَانْتْرَالْ) وهي مؤلفة من عشر دوائر — مزمع جعلها اثنتي عشرة دائرة — مبنيّة بالحديد مسقفة بالزنك يتخللها طرقات مسقوفة عرض كلٍّ منها وارتفاعها ١٥ مترًا يقطعها شارع عرضهُ ٣٢ مترًا متجه الى شارع رِيفُولِي وتشغل جميعها قطعة ارض مساحتها ٨٨ الف متر مكعب وهذه الدوائر تشتمل الواحدة منها على ٢٥٠ دكانًا مساحة كل منها اربعة امتار مكعبة اجرة المتر منها عشرون سنتيماً في اليوم الواحد وتحتها مخازن ارضيّة ارتفاع الواحد منها ثلاثة امتار وثمانون سنتمترًا ومساحتها كمساحة ما فوقها لخزن البضائع لا يقل عددها عن الف ومائتى مخزن ومن أراد ان يعرف قدر ما يصرف في المآكل بمدينة پاريس فعليهِ ان يقصد هذه الاسواق في الصباح ولا ينبغي ان ينسى ان بالمدينة مع ذلك اسواقًا أُخَر من نوع هذه

خلا الحوانيت المنتشرة في المدينة ومحلات بيع الخبز والنبيذ فانهما لا يباعان بالاسواق المركزيّة وقد دلت الاحصاءات الاخيرة على انهُ يخص الواحد من سكان باريس على المتوسط في السنة ١٤٨ كيلوجرام خبز و٢١٢ ليتر مشروبات و١٨٨ ليتر نبيذ و٨٥ كيلوجرام لحم و١٠ ونصف كيلوجرام سمك فيكون ما يخص سكان المدينة علي ذلك في السنة بدون حُسبان الاجانب الغير المتوطنين ٣٤٧٠٦٠٠٠٠ كيلوجرام خبز و٤٩٧١٤٠٠٠٠ ليتر مشروبات و١٩٩٣٢٥٠٠٠ كيلوجرام لحم و٢٤٦٢٢٥٠٠٠ كيلوجرام سمك ومجموع اثمان هذه الاصناف مليار من الفرنكات في السنة ونحو ثلاثة ملايين فرنك في اليوم الواحد ويبلغ عدد عربات النقل الّتي تنقل المأكولات لهذا السوق في اليوم والليلة نحو خمسة عشر الف عربة

وتجلب لهذه السوق جميع اصناف المأكولات والفواكه من جميع المدن الفرنساويّة ومن سائر بلاد العالم

وهذه المدينة فضلاً عن كونها مقر الحكومة الفرنساويّة ودواوينها ومجالسها النيابيّة وسائر مصالحها العموميّة ومركزًا لمحاكمها العليا القضائيّة والاداريّة هي محط رحال وكعبة آمال تقصدها الاجانب من سائر الاقطار

وهي كما تقدم مقر العلم والعرفان ومحل انتشار المعارف والآداب فقد اشتهرت بالمكاتب العالية والمدارس الخصوصيّة السامية الّتي يقصدها الطالبون من سائر الجهات فيوجد فيها من محلات التعليم العام والمجتمعات العلميّة ما سارت بذكرهِ الانباء في جميع الانحاء

فالعلوم العالية يخصها من ذلك مدرسة العلوم ومدرسة الآداب ومدرسة

اللاهوت ومدرسة الحقوق ومدرسة الطب وكُوليجْ دُه فرَانْسْ اي (مدرسة فرانسا) ومُوزِيُومْ (محل تدريس) التاريخ الطبيعي ومدرسة المهندسخانة ومدرسة المعلمين ومدرسة القناطر والجسور ومدرسة المعادن ومدرسة اركان الحرب ومدرسة الصيدليَّة (الأَجزائيَّة) ومدرسة الفنون المستظرفة ومدرسة التجارة ومدرسة اللغات المشرقيَّة ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة العلوم السياسيَّة والمدرسة المركزيَّة (إيكُولْ سَانْترَالْ) ومدرسة الموسيقي والغِناء والمرصَد الفلكي الذي قيل فيهِ إِنهُ مركز العلوم الفلكيَّة

هذا والتعليم الثانوي يختص بهِ مكاتب عدة

اما مكاتب التعليم الابتدائي فلا يعلم عددها الَّا من أحصى سكان باريس أجمع فانهُ يعلم حينئذٍ ما يلزم من المكاتب لتعليم البنين والبنات لان أمر التعليم اجباري فيها وفي سائر البلاد الفرنساويَّة الآن

واشهر جمعياتها العلميَّة ال (أَنْستِيتُو) وهي جمعيَّة مؤلفة من كبار العلماء اقيمت لاصلاح العلوم والآداب والفنون وتنقسم الى اقسام خمسة اشهرها الاكاديمية (محفل العلماء) الفرنساويَّة وهي أعلى ما يتمنى الانتظام في سلكها رجال القوم وكبار علمائهم ثم يليها اكاديمية النقش والتصوير والفنون المستظرفة واكاديمية الكتابات القديمة واكاديمية العلوم والفنون واكاديمية العلوم السياسيَّة والادبيَّة ومن جمعياتها العلميَّة سوى ما ذكر اكاديمية الطب وجمعيَّة تاريخ فرنسا والجمعيَّة الجغرافيَّة والجمعيَّة الاسياويَّة والجمعيَّة الجيولوجيَّة الى غير ذلك

وبها متاحف علميَّة وفنيَّة عديدة من اشهرها متحف علم المواليد ويتصل ببستان النباتات ومتحف كُلُونِي للاثاث والسلاح ومتحف الفنون والصنائع وهو

يشتمل على اشكال الآلات والادوات المخترعة قديماً وحديثاً ومتحف متعلقات فن الطوبجية وبهِ مجموعٌ عظيم من الآلات التي اخترعتها يد البشر لإبادة بعضهم بعضاً ويدخل تحت ذلك جميع انواعِ الآلات من الفاس الحجرية الى المدافع الجديدة المصنوعة على الطراز الأخير ومتحف معادن فرانسا في مدرسة المعادن ومتحف للمسكوكات في دار الضرب يشتمل على جميع اصناف المسكوكات التي ضربت في فرانسا من عهد شارلمان الى هذه الأيام وفي المطبعة الوطنية متحف للمطبوعات الحديثة والقديمة يتبيّن منهُ ما كانت عليهِ صناعة الطبع في بدايتها وما وصلت اليهِ من الكمال ثم متحف اللُّوفْرْ وينقسم الى دوائر متعددة سيمرُّ عليك بيانها

وبها من مال الكتب الكتبخانة الأهلية وهي من اعظم كتبخانات العالم لما بها من الكتب المكتوبة بخط اليد والمطبوعة وغيرها من الآثار لا يناظرها الاَّ الكتبخانة الانجليزية ثم يلي هذه الكتبخانة الاهلية كتبخانات الأَرْسنالْ والقديسة جَنْفِياف والسُّورْبُونْ ومازَارِينْ والأَنسِتِيتُو والمدينة واللُّوفْرْ والدفترخانة الملوكية هذا غير الكتبخانات المخصوصة ببعض المصالح والجمعيات (ويسهل الانتفاع بما في هذه من الكتب بالاستئذان) وغير الكتبخانات العمومية التي احدثت اخيراً في كثير من اقسام باريس لتكون على مقربةٍ من الاهالي مفتوحة في ساعات توافق وقت فراغهم من الأشغال لانتفاعهم بكتبها والاستعانة بها على صنائعهم المعاشية واعمالهم اليومية

هذا ولم يُهمَل في باريس على اتساعها وكثرة سكانها امر الضعيف ولم يترك في يوم من الايام بين سكانها مواساة المُعوِز والفقير فتألفت لذلك الجمعيات الخيرية من رجال ونساء في سائر الانحاء يجمعون الصدقات ويطلبون التبرعات

فيحصرونها في ادارة مركزيَّة تعدفرعاً من فروع نظارة الداخليَّة تسمى بدائرة المساعدة العموميَّة لها مدير وديوان لتدبير عموم مصالحها ولهُ دوائر فرعيَّة ومأمورون متعددون لتوزيع الصدقات واعطاء المساعدات في داخل البيوت وخارجها وفي المستشفيات الكثيرة القائمة على نفقة هذه الادارة الخيريَّة وذلك فضلاً عن المستشفيات العموميَّة لسائر الامراض والخصوصيَّة لامراض مخصوصة القائمة بمساعدة الحكومة او من طرف بعض الشركات او من احسانات بعض اغنياء الآحاد حتى زاد عدد الأَسِرَّة في المستشفيات برسم الفقراء عن عشرين الف سرير

وعدد سكان پاريس آخذ في الازدياد فانهُ بعد ان كان في سنة ١٨٧٢ ١،٨٥١،٧٩٢ نسمة صار في الاحصاء الذي حصل في سنة ١٨٨٦ (٢،٣٤٤،٥٥٠ نسمة)

هذا والسائح لا يسأم من اتساع هذه المدينة ولا يتعب فانهُ كلما سار فيها وقف على أمر جديد لم يعلمهُ قبلُ ولأَنَّ المشي بها سهل للغاية لانتظام الشوارع واتصالها ببعضها كما ان وسائل الانتقال متوفرة فيها جداً اذ بها من عربات الكراء المعتادة للركوب ما يزيد عن ١٥ الف عربة وبها غير ذلك من عربات التَّرامْواي والأُمنِيبُوس ما يتخلل طرقاتها طول النهار وجزءًا كبيرًا من الليل بلا انقطاع حتى لا تكاد تمر بالانسان خمس دقائق في طريق من الطرق الَّا ويرى منها صاعداً او نازلاً وتبلغ خطوطها ٣٦ خطاً للأُمنيبوس واربعين خطاً للتراموای وبپاريس ايضاً غير ذلك من وسائل الانتقال وابورات نهر السين تمر بجوانبهِ طول النهار وجزءًا كبيرًا من الليل وفيها زيادة على هذا كلهِ السكك الحديديَّة المحيطة بها يسهل للانسان بواسطتها سرعة الانتقال من اي جهة من ضواحي المدينة الى اي جهة غيرها

اول يوم في باريس

اول يوم في المعرض

نظرة اجماليَّة

أَول شيء قصدناهُ في باريس في اول يوم من اقامتنا بها هو زيارة المعرض كما سبق انهُ ترجح عندنا ذلك ليلة وصولنا الى باريس

وكان يمكننا ان نتوصل اليهِ بعربات الأُمْنيبُوسْ وبالترامواي وبالوابورات الّتي تسير في السين وبالسكة الحديد الّتي تسير بجهات الضواحي وبعربات الكراء المعتادة فاخترنا هذه

وقد سبقهُ معارض عموميَّة بباريس اهمها معرض سنة ١٨٥٥ ومعرض سنة ١٨٦٧ ومعرض سنة ١٨٧٨

وهذا المعرض قد تقرَّر عملهُ منذ شهر نوفمبر سنة ١٨٨٤ حيث صدر امر رئيس الجمهوريَّة في ذلك التاريخ (باقامة معرض عمومي في باريس لجميع الحاصلات الصناعيَّة يفتتح في يوم ٥ مايو سنة ١٨٨٩ وينتهي في يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨٩ وبأَن تقبل فيهِ حاصلات جميع الامم) وقد ابتدئَ في اعمالهِ بالفعل في اوائل سنة ١٨٨٦

وتقدَّرت نفقاتهُ بمبلغ ٤٣ مليونًا من الفرنكات بعد تنزيل قيمة المواد الّتي يستحصل عليها من المباني الّتي ستقام من اجلهِ وتهدم بانفضاضهِ تحملت منها الحكومة ١٧ مليونًا ومدينة باريس ٨ ملايين والثمانية عشر مليونًا الباقية قامت بها شركة تَدفَعُها تحت الاستيلاء عليها من العوائد الّتي تتحصل من الداخلين فيهِ

وخلَفت هذه الشركةَ شركةٌ ثانية حلت محلها في جميع تعهُّداتها وامتيازاتها ودفعت ثلاثة ملايين ونصف زيادة على ما دفعتهُ الاولى فبلغت المصاريف العموميَّة على ذلك ٤٦ مليوناً ونصفاً من الفرنكات

وصار تقسيم الاشياء المعروضة بهذا المعرض الى تسعة اقسام وكل قسم تحتهُ عدة انواع

القسم الاول الاعمال الفنّية بأَنواعها وهي المتعلقة بالرسم والتصوير مجسماً او غير مجسم معمولاً باليد او مطبوعاً والمتعلقة بالعمارات على اختلاف تنوُّعاتها

القسم الثاني كلما تحتاجهُ التربية والتعليم ومتعلّقات الفنون العقليَّة وانواعهُ احد عشر منها متعلّقات التعليم الابتدائي للاطفال وغيرهم من الشبَّان ومنها متعلّقات التعليم الثانوي ومنها متعلّقات تعليم العلوم العالية ومنها المطابع والكتب ومنها الورق والتجليد وادوات الرسم والتصوير ومنها متعلّقات الفطوغرافيا وادواتها ومنها آلات الموسيقي ومنها متعلّقات الطب الانساني والبيطري والجراحة ومنها الآلات الدقيقة ومنها الخرائط والآلات الجغرافيَّة والقسموغرافيَّة والطبوغرافيَّة والرسومات المتعلقة بالهندسة والاشغال العموميَّة

القسم الثالث أَثاثات المنزل وملحقاتها وانواعهُ ثلاثة عشر منها الفرُش الغالية الاثمان والمتهاون في ثمنها ومنها متعلّقات تزيين المحلات وزخرفتها ومنها زجاج النوافذ واواني البلور والزجاج ومنها اواني الفخَّار ومنها البُسط واقمشة الفرش ومنها الأَوراق المنقوشة التي توضع بالجدران ومنها السكاكين ومنها المصوغات ومنها البرونز والمعادن المصبوبة ومنها الساعات على اختلاف انواعها ومنها ادوات التدفئة وادوات الانارة بغير الكهرباء ومنها الاعطار ذوات الروائح الذكيَّة

والقسم الرابع المنسوجات والملابس وتوابعها وانواعهُ احد عشر منها الخيطان ومنها منسوجات القطن والكتان والقنّب ومنها خيطان الصوف ومنسوجاتهِ ومنها الحرائر منسوجة وغير منسوجة ومنها الدانتيلات واشغال التطريز والحياكة ومنها القلانس وملابس الرجال والنساء ومنها الحلى ومنهـا الأسلحة الّتي تحمل ولوازم الصيد في البر ومنها متعلقات السياحة والاقامة في السفر

القسم الخامس حاصلات المعادن وغيرها طبيعيّة ومصنوعة وانواعهُ سبعة منها المعادن المستخرجة ومنها حاصلات الغابات ومنها حاصلات صيد البر والبحر وآلاتهُ ومنها الحاصلات الزراعيّة غير المأكولة ومنها الحاصلات الكيماويّة ومنها الحاصلات الصيدليّة ومنها الجلود

القسم السادس آلاتُ الفنون الميكانيكيّة وكيفيات استعمالها والكهرباء وانواعهُ تسعة عشر منها آلات استخراج المعادن وطرق استعمالها ومنها آلات استغلال الأرض الزراعيّة والغابات ومنها الآلات المستعملة في الصنائع المتعلقة بالمأكولات ومنها الآلات المستعملة في الفنون الكيماويّة والاجزائيّة ومنها الماكينات المستعملة في الصناعات اليدويّة ومنها الآلات المستعملة في صنع الحبال ومنها الآلات المستعملة في النسيج ومنها الآلات المستعملة في خياطة الملابس وتجهيزها ومنها الآلات المستعملة في عمل لوازم اثاث المنزل والسكنى ومنها الآلات المستعملة في اشغال متنوعة ومنها الآلات المستعملة في صناعة العربات وتنجيد الفرش وعمل السروج ومنها لوازم السكك الحديديّة ومنها الكهرباء ومنها الآلات المستعملة في الهندسة المدنيّة والاشغال العموميّة واشغال العمارة ومنها لوازم الصحة ولوازم مساعدة الفقراء ومنها ادوات السباحة وتخليص الغرقى ومنها

الآلات المختصة بفن الحرب وكيفيّة استعمالها

القسم السابع الحاصلات الغذائيّة وانواعه سبعة منها الحبوب والدقيق على تنوعها ومنها حاصلات الخبز والفَطير والحلاوة على اختلاف انواعها ومنها حاصلات اللبن بانواعهِ والبيض بانواعهِ ومنها حاصلات اللحوم والاسماك ومنها حاصلات الخضراوات والفواكه ومنها المُتَبِّلاتُ ومنبهات المعدة والسكَّر وما يستخرج منهُ من المربَّيات والاشربة ومنها المشروبات المتخمرة

القسم الثامن الزراعة المعتادة وغرس الكرم وفن تكثير الاسماك وفيهِ اربعة انواع منها المختص بالزراعة ولوازمها من مساكن ومعامل ومنها المختص بغرس الكرم ومنها المختص بالحشرات النافعة والحشرات المضرة بالزراعة ومنها المختص بتكثير الاسماك بأنواعها

القسم التاسع صناعة البساتين وفيهِ ستة انواع منهـا المختص ببيوت تربية النباتات وادوات البستان ومنها المختص بالازهار ونباتات الزينة ومنها المختص بالفواكه واشجارها ومنها المختص بالبذور والنباتات الّتي توجد في الغابات ومنها المختص بالنباتات الّتي تزرع في بيوت التربية السالف بيانها

وممَّا ذكرناهُ اتضح للقارئ ما اشتمل عليهِ هذا المعرض من الاشياء فلم يدع شيئاً الاَّ واشتمل على انواع منهُ ثم لم توجد أمّة من الامم الاَّ اشتركت في اعمالهِ واحضرت حاصلاتها لعرضها فيهِ فان لم يكن بصفة رسميَّة فمن عند آحاد ابنائها من تلقاء انفسهم

ولا غرو في أنهُ يلزم لجميع هذه الحاصلات امكنة متسعة وميادين شاسعة فلهذا جعل هذا المعرض في ساحة شَانْ دُهْ مَارْس وطولها نحو ۱۰۰۰ متر

وعرضها نحو ٥٠٠ متر وفي سراي تْرُوكَادِيرُو وهما اللذان كان فيهما معرض سنة ١٨٧٨ واضيف اليهما رصيف أُورْسي على شاطئ السين (من الشان ده مارس الى ساحة دار العواجز طول ذلك ١٢٠٠ متر) وزيد على ذلك ساحة دار العواجز المذكورة ايضاً (إِسْپلاَنادْ ديزنْفَليدْ) وقدرها طولاً ٥٠٠ متر وعرضاً ٢٥٠ مترًا فتكون مساحة الارض التي اقيم عليها هذا المعرض جميعها ٨٤ هيكتارا (والهكتار عشرة آلاف متر مربع)

وهو غربي المدينة وقسم (شان دُه مارْس) منهُ على جنوب نهر السين وقسم تْرُوكَادِيرُو على شمالهِ يوصل بينهما قنطرة إِيينَا وقسم رصيف أُورسي يتصل بالشان ده مارس من جهة الشرق و يستمر على النهر حتى يصل الى ساحة أَنْفَالِيدْ وهي القسم الرابع

اما قسم شان دُهْ مارْس فهو اهم الاقسام ويشتمل بالاخص على معارض الفنون المستظرفة والفنون العقليّة والصنائع بأَنواعها والماكينات وسرايات معارض بعض الأُمم الخصوصيّة

وقسم تروكاديرو يشتمل على معارض الامور البستانيّة وغيرها

وقسم كيه دورسي (رصيف أُورْسِي) يشتمل على المعارض الزراعيّة

وقسم إِسْپلاَنادْ دِيزَنْفَلِيدْ يشتمل على معارض البوستات والتلغرافات وديوان الحربيّة والصحة وغيرها خصوصاً معارض بلاد الجزائر وتونس وملحقات فرانسا والبلاد الداخلة تحت حمايتها وفيهِ بعض القرى الوطنيّة من هذه البلاد البعيدة

وحيث قد عرفْتَ الآن هذا المعرض وتقسيماتهِ ومصاريفهُ واتساعاتهِ فلنذكر

لك حال زيارتنا الاجمالية فنقول

اخترنا للدخول فيهِ جهة تُرُوكَادِيرُو لأنها مرتفعة عن جهة شَانْ دُه مَارْس بطبيعة ارضها فيتيسر للناظر ان يرى منها مجموع هيئة جهة شان ده مارس المذكورة فدخلناها من احد ابواب الدخول اليها (وعددها خمسة اما عدد ابواب الدخول الى المعرض جميعها ٢٢) وهي سراي عملت لمعرض سنة ١٨٧٨ على شكل ابنية الاندلس عبارة عن نصف دائرة في وسطها بناءٌ مستدير فيهِ قاعة الاحتفالات والمجتمعات العلميَّة تعلوهُ قبة عظيمة وفي كل من طرفيهِ برج وجناحا هذا البناء من اليمين ومن اليسار متجهان نحو السين وامامهُ من جهة النهر محل متسع مرتفع (يسفُل عنهُ شبه غدير مملوء بالماء متقن الصنع) وقفنا بهِ لننظر المعرض وما فيهِ

فرأينا تحت اقدامنا ذلك الغدير اللطيف وحواليهِ بستان غاية في الانتظام والبهجة ينتهي الى نهر السين قد أُعد معرضاً لما تحويهِ البساتين من الاشجار والازهار جمع من انواع الورد وحدها ٤٥٠٠ نوع تتخللهُ في بعض جهاتهِ أبنية رشيقة ومحلات أنيقة ما زلنا نمتع الطرف بها حتى عبرنا النهر من قنطرة إِيِينَا

اما ساحل النهر من الجهة المقابلة لنا فقد أُعد معرضاً لمتعلقات الابحر والانهر واصطفت بجوانبهِ المراكب والفلائك من كل صنف

ومذ عبرنا هذه القنطرة دخلنا قسم شَانْ دُه مَارْسْ فصرنا في أهم محال المعرض ان كان يجوز التمييز بين محال هذا الصنع العجيب والاثر الغريب

واول ما يقابل المتفرج الطريق الذي سمّي (تاريخ السكنى) بناهُ المهندس الشهير جارْنِييهْ باني الأُوپرا الباريسيَّة وجعلهُ موازياً للنهر يخترق هذا القسم من الشرق الى الغرب وشيِّد على جانبيهِ ثلاثاً واربعين عمارة حاكى بها اماكن السكنى

عند جميع الامم في الازمان القديمة فجاء فريداً في بابهِ لم يُسبَق اليهِ

وحيث انتهينا من النظر في هذا الطريق يمنة ويسرة سرنا الى الأمام فقابلنا برج ايفل الشهير وسيأتي الكلام عليهِ فمررنا من تحتهِ بجوار الفسقيَّة العظيمة الَّتي شادها المهندس سان فيكتور حتى انتهينا الى ما بعدهُ من حدائق الشان ده مارس

وفي وسط هذه الحدائق الفسقيَّة ذات الانوار الكهربائيَّة وبميمنتنا من الامام سراي الفنون العقليَّة (آرليبيرُو) وبميسرتنا في مقابلتها سراي الفنون المستظرفة (بُوزَارْ) فهما جناحان اما القلب فهو سراي الصناعات المتنوعة (أندوسترِي دِيفرسْ) وفي منتصفها على مدخلها العمومي القبة المركزيَّة (دُومْ سَنترَالْ) وسيأتي الكلام عليها

وبين كلّ من الجناحين المذكورين والفسقيَّة ذات الانوار الكهربائيَّة بناء موازٍ لهما اصغر من الجناحين بكثير تخصص بعرض مدينة باريس

فاذا دخل المتفرج من باب سراي الصناعات الوسطيّ واستمر في طريقهِ على استقامة في الممشي الكبيرة الَّتي تقسم هذه السراي الى قسمين متوازيين انتهى بهِ السير الى قاعة الماكينات (جاليرِي ده ماشِينْ) الماثلة

اما حوالي برج ايفل ووراء طريق تاريخ السكنى فقد أُقيم بها ابنية مشيدة وعمارات فريدة أُعدت لمعارض بعض امم امريكا وغيرها مما سيأتي الكلام عليهِ في الزيارات الخصوصيَّة

والجهة الغربيَّة من سراي الصناعات المتنوعة مشغولة بمعارض بعض الدول المشرقيَّة مثل اليابان وسيام ومصر ومراكش والعجم وشارع مصر الذي ازمعنا

الذهاب اليهِ

وهذه السرايات العظيمة والعمارات الجسيمة والحدائق المتسعة والقباب المرتفعة وبرج إيفل من بينها يفخر بارتفاعهِ ويُعجب بحسن اوضاعهِ وهذه الخلائق منكبّة عليها ومتواردة من كل فج اليها (١) فضلاً عما احتوت عليهِ من البدائع وغرائب الصنائع مما لا يدخل تحت حصر ويوجب استقصاؤهُ العيّ والحصر على انك لو رأيت ما رأيت وحدّقت النظر فيما استقصيتُ لاستحسنتَ ما استحسنتُ واعترفتَ بما بهِ اعترفتُ وها انا مع هذا سأبذل الجهد في وصف ما شاهدت حسب ما استطعت في الزيارات الخصوصيّة التي سأُجريها بعد

هذا وقد ذهبنا الى شارع مصر بقصد اخذ المكاتيب التي نجدها فيهِ والاستراحة عند صاحبنا السيد مصطفى الديب والتوجه بعد ذلك الى قسمي المعرض اللذين بقي علينا زيارتها اليوم وهما قسم رصيف أُورسي وقسم أَنفاليد بالسكة الحديديّة المعمولة على طريقة ديكوفيل من محطتها الواقعة بآخر شارع مصر عازمين على قلة المكث بهذين القسمين والاسراع بالعودة الى صاحبنا المومأ اليهِ كما وعدناهُ للاكل معهُ والتفرج بصحبتهِ على الاحتفال الذي سيحصل بالمعرض في ليلة هذا اليوم

(١) وقد دخل المعرض يوم افتتاحهِ ممن يدفع رسم الدخول وكان فيهِ ثلاث فرنكات ١١١٣٩٥ نسمة سوى المستخدمين بهِ واصحاب الحاصلات المعروضة فيهِ وهم لا يدفعون رسماً فما بالك بمن يدخلهُ بعد يوم الافتتاح وقد توافد اليهِ الوافدون من جميع الانحاء ورسم الدخول بعد اليوم المذكور من الساعة ١٠ قبل الظهر الى الساعة ٦ بعدهُ ورقة دخول (تِيكِيتْ) واحدة قيمتها الاسمية فرانك واحد والحقيقية لا تزيد عن ثلاثة ارباعهِ وفي الصباح الى الساعة ١٠ قبل الظهر وفي المساء من الساعة ٦ بعد الظهر ورقتان اه

احتفاءً لشاه العجم حيث يزان لأَجلهِ بالانوار والاضواء

وشارع مصر هذا قامت بانشائهِ جمعيَّة ماليَّة من اعضائها البارون دِه لُورْ والموسيو شارل دُه لسپس وتولّى الاول منهما مباشرة الاعمال واحضر من اعمال الخرط والمشربيات القديمة المعروفة بمصر عدة عديدة مما نُمّق وضعهُ ومن الابواب المصريَّة العتيقة ما حسن صُنعهُ وشاد به المنازل الكثيرة والمساكن الخطيرة الّتي رأى مناسبَتها واجرى تشغيل كل ذلك حسب ارادتهِ وتحت مباشرتهِ

وجعل في اولهِ من الشمال الى الجنوب جامعاً اقام لهُ منارة شبه منارة جامع قَايتبَاي و بأحد جوانبهِ سبيلاً ثم جعل من الجانبين مساكن مصريَّة على الطرز القديم والتزم ذلك في جميعها بأَن جعل الطبقة الارضيَّة منخفضة وعلق على بعض ابوابها تماسيح ثم جعل في الطبقة العليا خرْجاتٍ من الخشب او الحجر على الشكل المعروف بالمقرنص وجعل عليها مشربيات وبنى فوق سطح هذه الطبقة حواجز تحجز من فوقهِ عن نظر المارة كعادة اهل الشرق قاصدًا بذلك كلهِ مشاكلة الهيئة القديمة بمصر حتى انهُ جعل البياض مغْبَرًّا لتتم المشابهة فجاء هذا الشارع غايةً في اللطف حتى عدَّهُ الباريسيون ومن حضر لزيارة المعرض من احسن جهاتهِ فكانوا ينكبُّون عليهِ ويكثر تواردهم اليهِ وقد بلغت مساكنهُ خمسة وعشرين غير الجامع

وجعل الدكاكين الّتي انشأَها تحت هذه الاماكن محلات اتجار في الاشياء الّتي تصنع او تباع في مصر فخصَّ احدها بصائغ من مصر يبيع اصناف المصوغات المصريَّة من الذهب والفضة واشكال الحلى واسكن في دكان آخر رجلاً يصنع الحلاوة والمربَّيات على الطريقة الشرقيَّة حتى الكنافة وفي غيرهِ صانعاً يصنع قللاً على شكل القلل القناويَّة سالكاً في ذلك الطريقة الأَصليَّة الّتي يدير فيها القلة

يده والآلة برجله وفي غيره بائع دخان وفي غيره بائع طرابيش

وجعل بعض الشرقيين فيه فسطاطاً محل قهوة على الطراز الشرقي من ابهج ما يرى وسيمرُّ بك الكلام عليها

وأعدَّ بيت كوك في هذا الشارع دكاناً لعرض بعض تماثيل العمارات المصرية القديمة وتماثيل ما يستعمله في نقل السياح من اقاصي بلاد العالم الى مشاهدة هذه الآثار في النيل من وابورات وذهبيات وصواوين وغير ذلك حتى جاء ببعض التراجمة بملابسهم المصرية من سراويل وطرابيش مكتوب عليها اسم كوك

وقد أُعدَّ مكان واسع في هذا الشارع لبيع العطريات الشرقية والانتيكات المصرية بجميع اصنافها وانواع الفخَّار الاسيوطي من آنية وغيرها وانواع اواني النحاس مكتوبة ومنقوشة على الهيئة القديمة وهي تصنع بجهة خان الخليلي بمصر والحرائر المصرية كالكريشة والملس والشاهي والقطني والملاءات باجناسها والألاجات والغزليات والبن والفستق والبلح والمراوح والشُبكات والشَيَش بأنواعها وأنواع المصوغات المشرقية المعمولة من النحاس ومن الفضة والذهب كالأساور والاقراط والخلاخيل الى غير ذلك من انواع الحليّ المستعمل بمصر وقد صفّت جميع هذه البضائع داخل المكان وفي دواليب بدائره والمستخدمون واقفون عندها للبيع فيدخل الزائر يجول ويتفرج بسائر انحاء المكان ويشتري ما اراد وهذا مكان صاحبنا السيد مصطفى الديب

وما ادراكَ ما هو هو احد الوطنيين المجِدّين المجتهدين لهُ محل بيع اعطار بالتربيعة في مصر استحسن التوجه الى پاريس في معرض سنة ١٨٧٨ الماضي وتعهدت الحكومة لهُ ولجميع من اراد الذهاب الى ذلكَ المعرض من مصر بتسفير

بضائعهم على مصار يفها فلما وصلها استأجر دكاناً تحت المنزل المصري الذي بنتهُ الحكومة المصريّة هنالك ووضع فيهِ أنواع الأعطار المصريّة في زجاجاتها وعلى اشكالها المعتادة عندنا فانكب عليهِ المتفرجون لغرابة هذه الاشياء عندهم ولانهُ حافظ على الملابس الوطنيَّة اللطيفة (الجبة والقفطان الشاهي والعمامة والمركوب الاحمر) ولذكائهِ تعلم من اللغة الفرنساويّة ما يلزم تجارتهُ فكان يقول بهيئتهِ هذه وبيدهِ زجاجة من عطر الورد مثلاً سَانتي مَادَامْ اي (شمّي ياسيدتي) إيسانْسْ دُهرُوزْ (عطر الورد) أُونْ فرَانْ (ثمنها فرانق واحد) فباع واشترى وتَفَرَّجَ واكتسب

ثم عاد بعد ذلك الى معارض أُخرى منها معرض حصل في قصر البلور في بلاد الانجليز ومعرض قبلهُ او بعدهُ بِلِيدِنْ من أعمال هولنده وزار النمسا والمانيا وباع واشترى فيها وعرف ما يلزمهُ من لغات هذه البلاَد

فلما حلَّ موعد هذا المعرضِ (سنة ١٨٨٩) رَغِبَ السفر فاستأجر المكان المتسع الذي ذكرناهُ وجعلهُ محلاً للبيع والشراء وكان ملتقى للمصريين يجتمعون فيهِ ويأوون اليهِ فيشربون القهوة العربيّة من تلك القهوة السالف ذكرها و يشرب من يريد منهم النرجيلة اكراماً لهم من هذا الوطني وتصلهم برسمهم فيهِ مكاتباتهم

وانا وان كنا لم نبلغ القصد من وجود مكاتيب فيهِ من الأَهل الاَّ اننا وجدنا مكاتيب من بعض الاصحاب دلتنا على اخبار الوطن وقرأْنا الجرائد المصريّة فيهِ فأفادتنا حالة مصرنا بعد ان فارقناها وحظينا فيهِ بلُقْيا كثير من المصريين السائحين مثل حضرة الوجيه الماجد حسن بك مدكور وحضرة عثمان فهمي بك مدير البحيرة حالاً وكان وكيل محافظة مصر وقت ذاك والمرحوم ابراهيم بك زكي

قاضي محكمة الاستئناف الاهليّة ورأينا من المقيمين في باريس من المصريين للعلم والدراسة حضرة الفاضل احمد شفيق بك رئيس قلم ترجمة الديوان الخديوي الآن وحضرتي جميل بك ثابت وعزيز بك ثابت نجلي الأمير الجليل سعادة ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي وقت ذاك وهما من وكلاء النائب العمومي الآن لدى المحاكم الاهليّة والمختلطة

واذ كان ملتقى المصريين كما قدّمناهُ شرّفهُ صاحب السموّ والاجلال ولي عهد الحكومة المصريّة وقت ذاك وهو الآن خديوينا الافخم المتحلي باسمهِ الكريم هذا الكتاب ومعهُ صاحب السعادة والسيادة البرنس محمَّد علي بك اخوهُ الماجد وقد زيّنهُ صاحبهُ باحسن الزينة من الفرش والحرائر والسجاجيد والنجف والفوانيس تحفها البيارق والرايات اجلالاً لهما وسروراً بتشريفهما وتنزّلاً بأن تعاطيا فيهِ القهوة تشجيعاً لصاحبهِ وجبراً لخاطرهِ وحباً في اهل الوطن ومراعاةً لجانبهم يصحبهما في هذه الزيارة رئيس الوزارة الفرنساويّة ومدير المعرض وغيرهما من كبار الفرنساويين وعظمائهم

وجديرٌ هذا المكانُ أن يزار فياحبذا لو اقتفى اثر صاحبنا هذا اخواننا المصريون في الإقدام والهمة والنشاط والخروج الى البلاد الاوربيّة ابتغاء التجارة والكسب والتفرج عليها ومعرفة عاداتها واحوالها وتجاراتها حتى يكون لهم خبرة بطرق التجارة والكسب ويأخذون عند عودتهم من هذه البلاد ما يلزم لتجارتهم ويروج في بلادهم اذ يجدونهُ فيها بأثمان اقل من التي تبيع السماسرة لهم بها عندنا ويجدون انواعاً كثيرة ينتخبون منها ما يناسبهم وربما كان بعض ما يأخذهُ السماسرة منهم او التجار المتوسطون هنا بينهم وبين تجار اوروبا كافياً لمصاريف السياحة

فيكونون اكتسبوا التنزه ومعرفة احوال البلاد وتحصلوا على متاجرهم بثمن اقل من الثمن الذي كانوا ينقدونهُ فيها بمصر

وحقيق بنا ان نترك الكسل والاصرار على عدم الخروج من أوطاننا و يا نعم ما لو اشتغل بذلك الأغنياء منّا فبثّوا في الناس روح الكسب بالسعي في مشارق الارض ومغاربها

فهذا صاحبنا اشترك هو وابن اختهِ السيد محمَّد الديب مع اثنين آخرين في تأسيس هذا المكان الذي ذكرناهُ ومكان مشرقي آخر بهذا المعرض في الشارع المذكور وجعلوا رأس مال الشركة ٨٠٠٠ جنيه فهل علمت ما ربحوهُ بعد جميع المصاريف كما علمتهُ من صاحبي هو كما اخبرني عشرون الف جنيه ربحوها ربحاً صافياً بعد الاستحصال على رأس المال وجميع ما صرفوهُ وبعد استيداعهم مبلغاً قدرهُ ٣٠٠ جنيه احتياطاً بأحد البنوكة لمصاريف دعوى اقاموها ضد البارون دهْ لُورْ ولم تنتهِ الى الآن فخص صاحبي وقريبهُ ١٠٠٠٠ جنيه وخص الشريكين الآخرين ١٠٠٠٠ جنيه مثلها

وَحَرِيٌّ هذا الشارع الذي انتقل بنا الى هذه الافكار الحسنة ان نعود اليهِ بالذكر وهو ان منازلهُ ومشربيَّاتها والبائعين فيهِ والبضائع الَّتي يعرضونها للبيع كلها مصريَّة فكأنَّما الواحد منَّا بمصر في شارع من شوارعها القديمة مزدحم بالأجانب غاية الازدحام

فان انتقل بالزائر الفكر نظرًا لكثرة الأَجانب بهِ الى انهُ ليس في مصر بل في طريق من بلاد أُخرى تشابه مصر وصرف النظر عن جميع ما قدمنا فانهُ لا يستمر طويلاً في هذا الفكر عندما يسمع كل من جهة الحمَّارة تصيح "يمينك

شمالك يا عم "

وذلك لأن البارون ده لور أحضر خمسين حمارًا بيضًا بجاماتها التي تكرى بها في مصر ومعها خمسون حمارًا وما يلزم لذلك من القصاصين والبياطرة وصانعي البراذع لاصلاح ما عساهُ يفسد منها وجعل اجرة الركوب من الشارع الى نقطة قريبة منهُ فرنكًا واحدًا فلم تكن الحمير تستريح دقيقة واحدة من النهار والليل لشدة اقبال الناس عليها حتى اضطر مأمور المعرض العمومي لأن يُصدر لهُ قرارًا مقتضاهُ ان لا تُركب هذه الحمير الأَّ في ساعات معلومة من النهار ليس الأَّ مراعاة لنظام المعرض الداخلي ولكن البارون ده لور لم يخسر شيئًا فان حميرهُ استراحت ورجالهُ في مسافة البطالة هذه وماليتهُ لم تتغير فقد جعل رسم الدخول الى الاصطبل الذي بهِ هذه الحمر نصف فرنك فلا تسل عن ازدحام العالم عليهِ وتواردهم اليهِ فكانوا يدخلون فيرَون الحمير مرصوصة على طوايلها والحمَّارة جالسين يطبّلون على الدَّرَبُكَّة ويضربون بالدُّف ولهم جلبة عظيمة فيقفون بعض دقائق وينصرفون ليدخل غيرهم

ولنترك الحمَّارة مع حميرهم الآن ولنرجع الى ما كنا قصدناهُ من زيارة القسمين الآخرين في المعرض ونركب لذلك سكة حديد دِيكوُفيل

وهي سكة عملت داخل المعرض لتسهيل الانتقال فيهِ من احدى جهاتهِ الى الجهة الاخرى لزيادة اتساعهِ كما تقدم (فهي من وسائل مساعدة الزائرين كالكراسي ذات العجلات التي جُعِلت لجلوس النساء والشيوخ ممن لا قدرة لهم على المشي الكثير ليتفرجوا على المعرض من غير مشقة وهي اشبه بالعربات المجعولة عندنا للاطفال يدفعها السائق من الخلف) اعطي امتيازها للموسيو دِيكوفيل

فسميت باسمهِ وهذا المسيو لهُ ورشة عظيمة مخصوصة بصناعة امثال هذه من السكك الحديديَّة الضيق ما بين قضيبيها الَّتي تنقل من جهة الى اخرى وهي كثيرة الاستعمال عند الجيوش في حال انتقالها لنقل مهاتها واثقالها اذ أَن قضبانها توضع كما هي بدون عمليَّة اخرى وتستعمل ايضاً من طرف نظارة الحربيَّة الفرنساويَّة في الطوابي والقلاع لنقل المدافع وتركيبها

وقد جعلت من درجات الركوب فيها اثنتان احداهما اجرتها نصف فرنك والثانية اجرتها ربع فرنك مهما كانت المسافة وطولها من مبدإِها احد اطراف المعرض الى الطرف الآخر ثلاثة كيلومتر ونصف وجعل لها خطان من الحديد الصلب يقوم الوابور من كلٍّ منهما في كل عشر دقائق مرة من الصباح الى نصف الليل فتكون المرات مائة وتسعين و يقطع المسافة من المبدإِ الى النهاية في ٢١ دقيقة مع ما في ذلك من مسافات الوقوف في محطات ثلاث وقد استلزم ذلك خمسة عشر وابورًا وكلها تسير بقوة الكهرباء

فسرنا في هذا الطريق وكان الوابور يمشي الهُوَينَا في اطراف المعرض والطريق محفوف بحاجزين من الجانبين وكان تارة يمشي فوق القضيب على الارض المعتادة وتارة تحت الارض وطورًا تحت بعض البيوت وحواجز الجانبين كلها اعلانات مكتوبة بسائر لغات العالم مشرقيَّة وغربيَّة بخط جلي بالتحذير من ان يخرج الراكب رأسهُ من العربة حال سير الوابور لكيلا يصادفهُ غصن شجرة او غيرهُ فيتأَتَّى لهُ منهُ ما لا يُحمد الاَّ اللغة الالمانيَّة فلم يكتب بها اعلان نظرًا للتنبيهات الَّتي اصدرها البرنس بسمارك وقت ذاك بالتضييق على الالمانيين والتحريج عليهم في المجيء فكأَنما الفرنسيس يقولون حيث انهُ لا يحضر احد من الالمانيين في معرضنا

اتباعاً لتنبيهات حكومتهم الرسمية فلا حاجة الى تحذير قوم لا يحضرون من خطر لا يتعرضون لهُ لذلك

فنظرنا في الطريق بعض مواضع كِي دُورْسي وهو الرصيف الّتي تشغلهُ معارض الزراعة والحاصلات الغذائية واستمرّ بنا السير حتى وصلنا الى إِسپلَانَادْ دِيزانڤالِيدْ (ساحة دار العواجز)

وهذا القسم تقسمهُ طريق متسعة جداً الى شطرين شطر على يمين السائر واهم ما فيهِ معرض نظارة الحربية ومعارض الصحة والمياه المعدنية والاقتصاد الاجتماعي وما يتبعهُ من المساكن الّتي هي من احسن ما يُعَدّ لسكنى العملة وشطر على يسار السائر خصص بمعارض المستعمرات الفرنساوية والبلاد الداخلة تحت حماية فرنسا واولهُ من جهة السين سراي معرض الجزائر وقد جعلت على هيئة جامع سيدي عبد الرحمن بعاصمة الجزائر وسراي معرض تونس وقد جعل قسم منها على شكل جامع سيدي ابن عروس بتونس والمأذنة والقبة على شكل جامع سيدي عقبة بالقيروان ثم سراي أَنَامْ وتُونكِينْ وفي مقابلتها سراي كُوشَنْشِينْ وبينهما سراي الملحقات الفرنساوية ووراء ذلك قرى وطنية بنيت على الحالة الّتي تكون عليها في تلك البلاد يسكنها أُناس من اهلها الحقيقيين

وهذا القسم على عمومهِ وخصوصهِ غاية في الجمال ونهاية في النظام لا سيما ان سرايات المعارض الّتي ذكرناها فيهِ يحرسها عساكر من أَهلها لابسون لباس الحرب الذي هيَّأَتهم بهِ الدولة الفرنساوية فضلاً عن ان اكثر هذه الاماكن صنعها عملة وطنيون حضروا من تلك البلاد البعيدة على مصاريف الحكومة الفرنساوية لتستدل بأَعمالهم على تأْثيرها في تلك الاصقاع من حيث ادخالها في اهلها

المعارف والصنائع

وما بلغنا هذا المبلغ من التفرج الاّ وقد دخل علينا الليل يصحبهُ الجوع لمضي زمن طويل من وقت اكلنا في احد محلات المعرض وقت الظهر فعدنا بالسكة الحديديّة الى شارع مصر

ولا يُظنّ ان صلاة المغرب حصلت في الجامع الموجود فيهِ أو أن الاكل كان في الطبقة الّتي تعلو محل تجارة السيد مصطفى الديب

اما من جهة الجامع فلأن هيئتهُ هيئة جامع من الخارج ليس الاّ اما من الداخل فهو قهوة جعلت لراقصات مصريات وعبيد ترقص ودراويش تدور أوجدها البارون ده لور لما رآهُ من انكباب الناس على القهوة الّتي جعلت في آخر الشارع من الطرف الآخر في فسطاط كما تقدُم

واما من جهة الطبقات الّتي تُرى انها تعلو هذه الدكاكين فذلك من الخارج ايضاً والواقع انهُ ليس وراء الحائط الخارجي شيء مع انهُ يخيل للناظر غير ذلك فاكلنا في محل التجارة بعد ان أُغلِقت ابوابهُ من جهة الطريق باقبال الليل والأَطعمة احضرتها طاهية من اهالي تلك البلاد استأجرها صاحبنا للخدمة والطباخة وعوّدها على تهيئة الطعام بأقرب ما يمكن من الأُسلوب الشرقي فاكلنا اكلة شرقيّة مع شرقيين في محل شرقي من سكة مشرقيّة

وقمنا بعد ذلك للتفرج على الاحتفال باستقبال شرقيّ وهو سموّ شاه العجم حيث يستقبل في هذه الليلة استقبالاً رسمياً بالمعرض

وذلك انهُ حضر بباريس يوم الثلاثاء الماضي ٣٠ يوليو سنة١٨٨٩ فاستقبلهُ على المحطة رئيس الجمهوريّة مصحوباً بالوزراء وامراء الجيوش واصطفت لهُ العساكر

في الطرق الّتي مرّ منها حتى وصل الى سراي كُوپِرْنيكْ وقد أُعدت لاقامتهِ ضيفاً عند الحكومة الفرنساويّة

واحتفل القوم بهِ عظيم احتفال لأَنهُ اول ملك زار هذا المعرض من ملوك العالم المتمدن فأَعدَّ لهُ رئيس الوزراء وليمة في اليوم الثاني لوصولهِ عقبها ليلة باللو واعد لهُ رئيس الجمهوريّة وليمة في اليوم الذي بعدهُ عقبها باللو ايضاً وهذه الليلة الثالثة (٢ اغسطس سنة ١٨٨٩) أعدّ لهُ هذا الاحتفال في المعرض وصار تزيين البرج بمواد كيماويّة ترى كاللهب فيهِ كأَنهُ يحترق ونُوّرت جميع محلات المعرض واضيئت الفساقي الكهربائيّة بأَنوارها البهجة وفي الليلة الآتية تعدّ لهُ ضيافة بنظارة الخارجيّة ويتبعها ليلة باللو وفي الّتي بعدها تسمعهُ الموسيقات العسكريّة أَلحانها في (سراي الصناعة) في (شانزِيليزِيه) وفي الّتي بعدها يتفرَّج على الإِپدرُومْ والّتي بعدها يتفرَّج رسمياً بتياترو الاوپرا

والشاه جدير بهذه الاحتفالات فانهُ محبوب في بلادهِ عادل في رعاياهُ محب لخيرهم باحث عن راحتهم حكم فيهم منذ تسع وار بعين سنة

ولم تكن الساعة التاسعة بعد الظهر حتى تمّ احتشاد الناس وكثر تواردهم الى ان غَصّتْ بهم الساحات والمنتزهات وقد حضر الكثير منهم نهارًا تفادياً من دفع اجرة الدخول في المساء وقد جعلت من الساعة السادسة بعد الظهر عشرة اوراق دخول (تِيكِيتْ) واحضروا معهم ما يأكلون تخلصاً من اثمان أَطعمة الفنادق الباهظة فقد حكى بعضهم انهُ احتسب عليهِ فيها ثمن الصّنف الواحد عشرة فرنكات فأَكلوا في حدائق الشان ده مارس

وكان المنظر بهجاً لايقدر ان يوفيه القلم حقهُ ولا البيان وصفهُ فهذا برج ايفل

فضلاً عما تزيّنَ بهِ من الانوار في طبقاتهِ جميعها صار إلمابهُ واشعالهُ بمواد كيماويّة يخال الرائي انهُ محترق وكلهُ لهب فيالهُ من منظر لم يرَ أَبهج منهُ ولا الطف ولا أَبدع ولا أَظرف ولا أَحسن ولا أَبهى ولا أَجمل ولا أَزهى

وهذه القبة المركزيّة و بابها والترّوكادِيرُو وبرجاهُ وسائر العمارات منارة بأَحسن الانوار وضوءها يبهر الأَبصار متشكلة بغريب الاشكال متلونة بأَلوان الجمال من الغاز والكهرباء مما لم يسبق نظر مثلهِ في انحاء المعمورة وهذه الحدائق مزدانة بالفوانيس على اشكال حسنة وتنظيمات مستحسنة وهذه الفساقي المنوّرة بالكهرباء وما يُرى بها من انعكاس النور في الماء تبهر العقل فترى الماء عند انصبابهِ وتدفقهِ وانكبابهِ يتلوّن بأَحاسن الالوان ويتشكل بأَشكال حسان

وقد حضر الشاه في الساعة التاسعة ومشى بالمعرض نحوساعة تفرج فيها على الزينات والاحتفالات فأَحسن القوم ملاقاتهُ وكثيرًا ما أَبدَوْا لهُ علامات السرور على حضورهِ لديارهم

ورأَيناهُ من احدى النوافذ على كثرة الزحام وتراكم الأَقوام واذا بهِ متوسط القامة قريبا الى الطول ذو شارب وسِبَالَيْن غلاظ حليق اللحية ابيض اللون لابس قلنسوة بلادهِ وعليها قطعة كبيرة من الالماس

ومكثنا بعد انصرافهِ مدة طويلة نمتع النظر بما نراهُ من الأَنوار الزاهية والاضواء الباهية والاشكال البديعة اللطيفة والمناظر البهجة الظريفة جالسين على كراسي استأجرناها بقرب تلك الفساقي البهيّة وننظر ماحولنا حسَب مد البصر في جميع الانحاء الزاهية بالأَزهار والاضواء

فلعمري لو نظرها امرؤُ القيس لعمل فيها المعلقات وترك وصفهُ للمنازل

والعَرَصَات او شام برقها نابغة ذُبْيَان لنظم فيها القصائد الحسان اوشاهدها قُس إياد لكان لهُ في وصفها الأَياد ولو رآها سحبان وائل لفضّلها في المحاسن على الاوائل ولو ابصرها قُدَامة او البديع لأَطنبا القول في حسن هذا الصنيع

ثم آن اوان انصراف الناس وشرِع في اطفاء بعض المصابيح ومع ذلك لا تسمح انفسنا بالخروج عن هذه الملاذ ونتمنى ان لوطال الليل الى ان اضطرنا الحال الى التوجه اخيراً فخرجنا نبحث على عربة توصلنا الى الفندق فما وجدناها الاّ بعد جهد جهيد و بحث شديد فركبناها بخمسة اضعاف التعريفة والمعتاد الى ان وصلنا الفندق

﴿ ثاني يوم في باريس ﴾

اردنا في هذا اليوم (السبت ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩) ان نتفرج وسيدي الوالد على باريس وننظرها نظرة اجماليَّة نعرف بها اجمالياتها تاركين دخول ما اشتهر من الاماكن ورؤْية ما بها الى فرصة ثانية فاكترينا لذلك عربة في الصباح وعرّفنا السائقَ بأَن يسلك بنا طريقاً بيناهُ لهُ فسار بنا كما ستراهُ

خرجنا من الفندق الساعة التاسعة صباحاً ومشَيْنا قليلاً حتى وصلنا ميدان پَالِيه رُوَيَّال (السراي الملوكيَّة) فسلكنا طريق رِيڤُولي مارّين على برج سَانْ جَاكْ ودار الحكومة البلديَّة (أُوتيلْ دُه ڤيلْ) ثم سكة سانت انطُوَان الى ميدان الباستيل (القلعة) القائم في وسطهِ كُولُونْ دُه جُويِلْيه (عموديوليه) ومنها الى جران بلُوَارْ (الشوارع الكبيرة) فمررنا منها على بلوار بُومَارْشيه وعلى بلوار دُه تَامپْل (شارع المعبد) وعلى رحبة الجمهوريَّة وعلى بلوار سان مَارْتان و بلوار

سان دِيني و بلوار بُون نُوڤيلْ و بلوار پُوَاسُّونْيير و بلوار الطليان ثم ميدان الأُوپرا وكان على يميننا والطريق المسمى أُوِينُودُولُو پِيرا (طريق الأُوپرا) على يسارنا وهو متجه من هذا الميدان الى ميدان التياترو الفرنساوي فتفرجنا حوالي الأُوپرا من الخارج وعدنا الى ميدانهِ حيث ابتدأْنا ومررنا في طريقنا الذي أتينا بهِ من شارع الايطاليان قاصدين باقي الشوارع الكبيرة فمررنا ببلوار كاپوسِينْ ثم بلوار مَادْلِين ثم ساحة كنيسة المادلين فتفرجنا على الكنيسة المذكورة داخلاً وخارجاً ومن هذه الساحة نزلنا على اليسار فمررنا بالسكة الملوكيَّة (رُوَيَّالْ) حتى وصلنا الى ميدان لاكونكورد (الوفاق) ومررنا حوالي مسلة كليوبطره القائمة هناك واتجهنا الى اليسار حيث رأينا منتزه الشانزيليزيه العظيم الإحكام البديع النظام وسرنا فيهِ حتى وصلنا الى باب النصر (أَرْكْ دُه تِريُونف) القائم على ميدان إِتْوَالْ (الكوكب) فتفرجنا عليهِ وصعدنا فوقهُ فاستطلعنا تلك المناظر اللطيفة التي سيأتي عليك بيانها مع غيرها في آخر هذا الفصل ثم عجنا متجهين نحو نهر السين فعبرناهُ على قنطرة (أَلما) ووصلنا شان ده مارس حيث المعرض كما سبق في الفصل المتقدم ولم ندخلهُ بل مررنا من الخارج لرؤْية الجهات القريبة منهُ ومررنا على اوْتيل ديزنڤاليد (دار العواجز المتقاعدين من العسكر) وانثنينا الى سكة جرُونيل فوصلنا بلوار سان جرمان ومنهُ وصلنا سكة بوناپارت ومررنا بكنيسة سان سواپيس حتى وصلنا سراي لُكْسَمْبُورْج واجتزنا حديقتها فتذكرت العهد القديم مذ كنت بباريس مدة دراستي بها فاني كنت معتاداً على التنزه فيها بعد الفراغ من الدروس آخر النهار فكانت محل نزهتي مع اخواني وأحبائي وخلاني فتأثرت من تذكر اولئك الاخوان وما كان لي معهم من محاسن الحديث وأحاسن الأُلفة وروابط الود والمحبة

وجال تفكري في تفرقنا بعد الاجتماع وتشتتنا في سائر البقاع وعرّفت سيدي الوالد بذلك وما كنا عليهِ فيها مع الاخوان وما زلنا نتنزه بها حتى خرجنا منها وكنا وجهنا العربة الى سكة صُوفلُو فقصدناها وسرنا بها حتى وصلنا الى ساحة (پَانْتِيُونْ) وعن يسارنا مدرسة الحقوق الّتي كان تعليمي بها وعن اليمين قسم البلديّة الخامس فدخلت المدرسة لتشوقي اليها فان لها ولمعلميها الفضل عليّ وقد مضى لي منذ فارقتهم أحد عشر عاماً واني ما عشت اذكرهم بالثناء الجميل ولم اتجاوز صحن الدار لعدم وجود أحد فيها من الأساتذة والتلامذة لانقضاء مدة الدراسة السنويّة وقصدنا منها سكة كَرْدِينيالْ لمُوانْ حيث كنت ساكناً مدة اقامتي بپاريس لأرى المنزل الذي كنت ساكناً بهِ وأُريهُ لسيدي الوالد فلما وصلناهُ اريتهُ اياهُ من الخارج وعرّفتهُ الغرفة الّتي كنت ساكنها بالطبقة الثالثة منهُ وأرَيْتهُ خرجة الغرفة الّتي كنت ارى منها سكة كردنيال المذكورة وسكة مونج حيث كانت داري على تقاطعهما تقريباً بنمرة ٥٩ واذا بالشباك مفتوح وحال المحل على ما كان عليهِ قبل ولكنني لم ادخل المنزل لانهُ بلغني ان صاحبتهُ الاولى تغيرت وقصدنا من هنا سكة مونج فشارع سان جِرْمان حيث سرنا جهة الغرب الى ان التقينا ببلوارسَانْ مِيشيل فانثنينا الى جانب متحف كلُونِي بسكة سُومرَارْ حيث الفندق الذي كنت آكل بهِ آخر اقامتي بپاريس فسررت لرؤيتهِ بعد غيبتي عنهُ المدة الطويلة وكانت محادثتي مع سيدي الوالد المسافة كلها في الأيَّام الخالية وانا بپاريس وقت الدراسة وفي صفاء تلك الأيام وخلو البال من الشواغل والانكباب على الدراسة والتفكر في اتمام ذلك والعودة الى الوطن بخلاف حالنا الآن من شغل الفكر فيما كان لا يخطر ببالنا وقتذاك وشربنا القهوة في المحل الذي

كنت متعودًا شربها فيه مدة الدراسة بآخر بلوارسان ميشيل تجاه الفسقية المشهورة هناك واخذنا في الحديث بشأن هذه الجهة اي الجهة اليسرى من السين المعروفة ب (كازتييه لاتان) وأنها مقر المدارس العالية وغيرها من محلات التعليم والتدريس وانها مسكن التلامذة من الفرنساويين ومن يقصد فرانسا من سائر بلاد العالم فيعيشون فيها عيشة راضية يقضون اوقات الدروس في الاستحصال على نفائس المعلومات وبعد الفراغ منها يتنزهون في منتزه لكسمبرج وما جاوره من المنتزهات ويتآنسون بمن يريدون في القهاوي وبها يطالعون الجرائد ويعرفون الأخبار وهم في اثناء ذلك يروضون انفسهم بالمداعبة مع عدم الكُلفة وكمال الحرية فتراهم ضاحكين فرحين مستبشرين وربما ارتفعت اصواتهم احيانًا الى درجة يظنها من لا يعرفهم ولا يقدّر اعمالهم العقلية حق قدرها انهم مجانين او سكارى وليسوا كذلك بل المقصود رياضة أذهانهم وإراحتها من أتعاب الأفكار في العقليات حتى يأتوا دروسهم وهم بغاية النشاط والشوق اليها

على ان التلامذة ليسوا على حالة واحدة من انتظام الحال والاستعانة بالرياضة والتنزه وإراحة الذهن على النشاط والتوجه الى استحصال العلوم برغبة وهمة بل منهم من تكون لهم الرياضة والتنزه سببًا في التعطيل عن الاشتغال بالعلم والدرس فانهم جعلوا ذلك محط انظارهم فترى الواحد منهم يقضي السنين العديدة والاحقاب المديدة وهو لم يتزحزح عن سنته الاولى الدراسية ولم يتقدم عنها خطوة واحدة فهو فيها للسنة الخامسة عشرة تواليه اهلهُ مع ذلك بالمصاريف لغناهم واقتدارهم ولتفهيمه اياهم بانها كدّه على الدرس وانكبابه على المطالعة وهو منهمك لا على الدرس بل على اللهو واللعب ومنكب لا على تحصيل العلوم بل على استصحاب

الفتَيَات اللطيفات مقسم اوقاتهُ تقاسيم منتظمة في غير الدروس ساهر ليلهُ في غير المطالعة فهو يخرج في الصباح فيذهب الى قهوة معلومة يجد فيها من هم على شاكلتهِ من اخوانهِ فيقضون الصباح في اللعب والشرب حتى يأتي وقت الغداء فيتوجهون الى محل الطعام الذي اعتادوهُ ويخرجون منهُ الى قهوة لتعاطي القهوة واللعب بالورق حسب ما يسمح بهِ الوقت ولو في نظير ان المغلوب يجعل ثمن القهوة على حسابهِ (قلت على حسابهِ ولم اقل يدفع فان هذه القهاوي يفتح فيها حساب لهؤلاء الطلبة يقيد فيهِ ما يشربونهُ تحت دفعهم بعض شيء من ثمنهِ في آخر كل شهر فيقيد صاحب القهوة في حسابهم ما اخذوا وربما قيّد عليهم ما لم يأخذوهُ وهيهات ان يدفعوا لهُ ما اخذوهُ بالفعل) ثم ينتشرون للتنزه في ضواحي المدينة وفي منتزهاتها و يعودون وقت طعام العشاء وبعدهُ يتوجهون الى محلات الشرب فيتقابل الواحد فيها مع امثالهِ ومن يحب فيقضون ليلهم في لعب ولهو وصياح حتى يَقرُب او يُصبح الصباح فيُعيدَ ما كان عليهِ في الأمس وهكذا دأبهم على الدوام في جميع اوقات المُقام

هذا ولمّا طال بنا الجلوس في هذه القهوة واسترحنا وقد استغرق منا الحديث زمناً طويلاً تركناها وعبرنا من نهر السين على قنطرة سان ميشيل الى جزيرة لاسيتيه وسرنا فيها بشارع سراي الحاكم حتى وصلناها ثم جاوزناها وهي عن يسارنا ومحكمة التجارة عن يميننا حتى فارقنا الجزيرة المذكورة وعبرنا باقي السين ثانيةً وصرنا في الجهة اليمنى منهُ بساحة الشاتليه على يميننا تياترو الأوبرا كوميك وعلى يسارنا تياترو الشاتليه وسرنا قليلاً حتى وصلنا برج سان جاك الذي سبق لنا المرور عليهِ في ذهابنا واذا بنا في طريق ريفولي فأخذنا على يسارنا ومررنا أمام مخازن

اللوفر الكبيرة حتى وصلنا لجنينة سراي التويلري فانثنينا على يسارنا في طريق كستجليون الى محل اقامتنا وكان الوقت وقت الغروب فاسترحنا وبعد مسافة تعشينا وامضينا الليل في مطالعات تتعلق بما سنتفرج عليهِ في اليوم التالي من الآثار كالمعتاد كل ليلة ليسهل علينا معرفة ما نقصده

وقد رأيت بعد الفراغ من تعليق ما كتبتهُ اجمالاً في هذا الباب ان اذكر في الايام الآتية كلما اقف عليهِ بالتفصيل من جميع الأمكنة التي اراها ليكون القارئ منها على بصيرة حتى لا يضيق ذرعاً من الاجماليات والتعداد من غير تفصيل ويكون في غنى عن ان تكون خريطة باريس بمرأى منهُ ويكون ما اكتبهُ لهُ كالرفيق في هذا الطريق

وها انا الآن اكتب بيانات وتعليقات تختص بما رأيناهُ من الآثار في هذا النهار

(طريق رِيڤُولي) هو من اهم شوارع باريس بعد (البلوارات الكبار) وتمر بين ميدان پَالِي رُويَّال وسراي اللوفر فيبتدأُ من ساحة كُونكُورْد وينتهي للطريق المسمى سانت انطُوَانْ وهو موازٍ لنهر السين طولهُ نحو ثلاث كيلومتر وسمي بهذا الاسم تخليداً لذكر واقعة انتصر فيها ناپليون بوناپارت على النمساويين بناحية ريڤولي سنة ١٧٩٧ وقد ابتدئ في عمارتهِ سنة ١٨٠٢ فانتهت سنة ١٨٦٥ وعماراتهُ متشابهة في البناء والجسامة تحفها تُرْتُوارات مغطاة بسقوف تحملها عُمُدٌ (كالتي بعمارة البوستة القديمة بالازبكيَّة عندنا) من ميدان الكونكورد الى طريق لوفر على امتداد ١٤٠٠ متر وكلهُ في هذه المسافة مشغول بدكاكين كبيرة غاية في الزخرفة وبفنادق من الدرجة الاولى ومن اشهر العمارات التي بجانبيهِ سراي

اللوفر الملوكيَّة من جهة اليمين للآتي من رحبة الكونكورد وتجاهها مخازن اللوفر الكبيرة

(برج سَانْ جاكْ) هو برج كنيسة قديمة بني معها (من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٢٢) ارتفاعهُ ٥٣ مترًا ثم هُدِمت وكان التصميم على هدمهِ معها لولم تشترهِ مدينة پاريس فجدَّدتهُ وحفظتهُ من الاندثار وكان لمدة قريبة يقصدهُ السيَّاح لمشارفة پاريس من أعلاهُ لارتفاعهِ ووقوعهِ وسط پاريس ولكنهم منعوا عنهُ الآن منذ خصص بعلم الحوادث الجويَّة واتخذ معملاً للكيمياء والطبيعة

(أُوتِيلْ دُه ڤِيلْ) اي دار الحكومة البلديَّة هي عمارة من أَحسن عمارات مدينة پاريس واهمها أُعيد بناؤُها حديثًا على شاكلة الدار الَّتي كانت قبلها وموضعها وقد احرقها حزب الكُومُون سنة ١٨٧١ انما هذه اوسع من الَّتي قبلها واتقن منها في النقش والزخرفة وهي بناءٌ هائل على طراز عمارات القرن الخامس عَشَر تتألف من كثير من المحلات ذات القباب معمولة على هيئة أبراج القرون الوسطى تعلوها الرواشن ومنافذ المداخن وهي منفصلة عن الطرقات المحيطة بها بدرابزين من حديد يليهِ خندق يصل منهُ النور الى طبقتين مبنيتين تحت الارضيَّة منها وهذه الطبقة الأَرضيَّة تحيط بها اعمدة مربعة الشكل بخلاف الطبقة الَّتي فوقها فإِنها محاطة بأَعمدة مستديرة عالية

وأَهم ما في هذه العمارة منظرًا وِجهتها الأَصليَّة الَّتي على الميدان المسمى باسمها وتنقسم هذه الوجهة الى ثلاثة اقسام الوسط منها بارز عن الآخرين وهو ذو ثلاثة أَبواب أَوسطها الباب الاصلي وعلى جانِبَيهْ صور مصنوعة من البرونز تُمثّل العلم والصناعة وقد جعل في الطبقات العليا من الوجهة صُفَف متجهة فتحاتها الى

الخارج وُضع فيها كثير من تماثيل مشاهير الرجال وغيرها من الصور المجسمة الّتي تمثل بعض المدن الفرنساويّة و يوجد في وسط هذه الوجهَة ساعة غاية في الاتقان يحيط بها سبع تماثيل و يعلوها قبة صغيرة فيها جرس السّاعة حولها تماثيل عديدة فيبلغ عدد التماثيل الّتي تزينت بها هذه الوجهَة نحو المائتين

و بداخل هذه العمارة محلات متسعة وأَبنية متعددَة مخصوصة بمصالح المدينة كافية لاحتياجاتها العديدة اهمها قاعة جلسات المجلس البلدي

ولهذه الدار شهرة كبيرة ومدخل عظيم في التاريخ الفرنساوي فانها كانت تجتمع فيها احزاب الثورة الخارجون على الحكومة ايام الانقلاب الاول الذي تمّ في سنة ١٧٨٩ كما أَنها اجتمعت فيها الاحزاب بمناسبة الانقلابات الّتي تمت بعد الثورة العامة المذكورة وقد أوى اليها لويس السادس عشر لما رجع من ڤِرْسَاي مذ رأى نفسهُ محاطًا بالاهالي ولم يسكن جاشهم الأ بعد ان شارفهم من احدى نوافذها فرأوا العلامة ذات الالوان الثلاثيّة الّتي صنعها لهُ لافَايِيتْ والّفها من اللون الابيض الخاص بعائلة البربُون ومن اللونين الازرق والاحمر الخاصين بمدينة باريس وكانت هذه الدار مركزًا لبعض الحكومات الفرنساويّة حتى ان حكومة الكومون اتخذتها مقرًّا لها واحرقتها لما طردتها منها العساكر المنتظمة في سنة ١٨٧١ السالف بيانها

ولميدانها ذكر لاينسى في التاريخ وان كانت تتجدد بذكراه الاحزان فكم أُعدمت فيهِ أُناس بالاحراق والقتل والشنق بأَمر الحكومات الملكيّة لجرائم سياسيّة و بأَمر رجال الثروة ايام الاختلال

(ميدان بَاسِتيل) اي القلعة سمي بهذا الاسم لأَنهُ كان محل قلعة من قلاع

السور القديم الذي انهدم وبقيت لدفع هجمات سكان قسم سانت انطوان عن المدينة اذا دعت الضرورة الى ان صارت بمرور الأزمنة سجناً تحبس فيهِ الاكابر الّذين يتهمون بجرائم سياسيّة وتسجن فيهِ كبار الشريرين وصارت بعد ذلك يودع فيها من لا ذنب لهُ من الناس الّا معاداتهُ للمقربين او كراهتهُ للاستبداد والمستبدين بمجرد ابراز امر من الحكومة وبدون ادنى تحقيق ومن غير ان تصدر بالحبس احكام

فكانت هذه القلعة مطمح أنظار انتقام الثائرين حتى إنهم بمجرد اشاعة سمعوها من أن مَن في القلعة يستعد لمهاجمة قسم سانت انطوان المذكور قصدوها بعدد لا يحصى ورغبوا الدخول فيها فلما استشعر بهم حفظتها أغلقوا الأبواب ورفعوا القناطر الّتي يُمر عليها ولكن الثائرون تغلبوا عليها ودخلوها عَنوَةً فقتلوا من لم يتيسر لهُ النجاة من حراسها انتقاماً لمن قتل منهم في دخولها وأخلَوا سبيل المحبوسين فيها ظلماً وهدموها عن آخرها فكان تاريخ استيلائهم عليها (١٤ يوليو سنة ١٧٨٩) مبدأ محو الاستبداد وقطع آثار الظالمين وفاتحة الاصلاحات الجديدة ولذلك صار يُعَد عيدًا وطنياً عند جميع الفرنساويين

(عمود يُولِيَة) هذا العمود القائم وسط الميدان السالف ذكرهُ أُقيم (من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٤٠) تخليد الذكر من قُتِلوا في ثورة يوليه سنة ١٨٣٠ وارتفاعهُ ٤٧ مترًا وهو قائم على اساس مستدير من الرخام الأَبيض يعلوهُ قاعدة مربعة على اطرافها كثير من الصور والتماثيل كتمثال العدل والقانون الاساسي والقوة والحريّة الى غير ذلك وساقهُ مصنوع من البرونز قطرهُ اربعة امتار منقوش على جوانبهِ اسماء من ماتوا في واقعة يوليه المذكورة وعددهم ٦١٥ وفوق تاجهِ صورة من البرونز المذهب تمثّل الحريّة واقفة على احدى قدميها وباحدى يديها مصباح

التمدن وباليد الثانية سلاسل الاسترقاق مكسورة مهشومة

ويمكن الصعود لأعلى العمود بواسطة سلم درجهُ ٢٣٨ درجة فيرى الانسان منهُ جميع الجهات المجاورة ويمكن النزول لأسفلهِ فيمر النازل بين قبور قتلى يوليه السالفين وغيرهم ممن تلاهم من القتلى السياسيين

(جْرَانْ بُلْوَارْ) اي الشوارع الكبيرة — سبق لنا في الفصل الذي خصصناهُ ببعض اجماليات على پاريس ذكر تقسيم الشوارع الكبيرة (جْرَانْ بُلْوَارْ) ونقتصر هنا على ذكر الشوارع التي رأيناها في رياضة هذا اليوم ومررنا بها وهي اهم بلوارات پاريس اتساعاً وحركةً ومتجراً وزخرفةً واتقاناً وهي متواصلة كأنها طريق واحد منحنٍ على شكل نصف دائرة تختلف اسماؤهُ باختلاف مواضعهِ مبتدأً من ميدان بَاسْتِيلْ ومنتهٍ الى ميدان مادلين

فأولها بلوار بُومَارْشيه وهو أطول هذه البلوارات اذ يبلغ طولهُ ٧٥٠ متراً سمي بهذا الاسم تخليداً لذكر الكاتب الشهير بومارشيه وعلى اليسار بنمرة ٢٥ تياترو بومارشيه

ثم بلوار فِي دُكَالْڤِيرْ نسبةً لدير كان قائماً بهذه الجهة في القديم وبآخر هذا الشارع محل ملعب الخيل المعروف بملعب الشتاء

ثم بلوار دُوتَامْپِلْ (شارع المعبد) وطولهُ ٤٠٥ امتار وكانت على جانبيهِ محلات تياترات متعددة وكانت الحركة فيهِ سابقاً اكثر مما هي عليهِ الآن وقد تحولت عنهُ الى ما بعدهُ بسبب تحول مركز المدينة ورمي الرجل المسمى فيسكي ملكَ فرانسا لُوي فيليب في المحل القائم فيهِ الآن البناء المنمر بنمرة ٤٢ في يوم ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٨ بآلة قتالة لم تصبهُ وانما اماتت كثيراً من حاشيتهِ ومن المارة

ثم وصلنا بِلاس دُلاَرِبيُوْبليك (ميدان الجمهوريّة) وهو من اجمل الميادين طوله ٢٧٥ مترًا وفي وسطهِ تمثال الجمهوريّة اقيم في سنة ١٨٨٣ قاعدتهُ من الحجر ارتفاعها نحو خمسة عشر مترًا ونصف وهو من البرونز ارتفاعهُ تسعة امتار ونصف متر تحيط بهِ بعض الصور وقد عملت تمثيلاً للحريّة والمساواة والاخاء ونُقش على قاعدتهِ كثير من الرسومات بارزة في الحجر لتمثيل الوقائع الشهيرة المتعلقة بالجمهوريّة وتحيط بهذا الميدان اشجار كبيرة تتخللها فساقي المياه واكبر عمارة قائمة على الجانب الأَيمن فندق (أُوتيل مُودِرْن) وقشلاق للعسكر ويتفرع من هذا الميدان عدة طرق وشوارع مهمة

ثم يلي الميدان المتقدم بلوار سَانْ مَارْتَانْ وبهِ كثير من التياترات منها تياترو فولي درَاماتِيكْ وأَمبيجو كُومِيك وتياترو پُورت سان مارْتَانْ وتياترو رُونيساَنْسْ وبهذا الشارع الباب المسمى (پورت سان مارتان) وهو باب ارتفاعهُ ١٧ مترًا ونصف وعرضهُ مثل ذلك وسمكهُ ٤ امتار ونصف اقيم في هذا الطريق سنة ١٦٧٤ إجلالاً للملك لويز الرابع عشر وتذكارًا للوقائع الّتي انتصر فيها الفرنساويون في عصرهِ

ثم بلوار سَان دِيني وتتفرع منهُ على اليمين واليسار طرقات معدودة من اهم طرقات پاريس تخترق المدينة من شمالها الى الجنوب مبتدأة من محطة الشرق وتستمر ببلوار بطرسبرج و بلوار سيبستاپُولْ ثم تستمر ببلوار سراي الحقانيّة و بلوار سان مِيشِيلْ حتى تصل الى الرصدخانه

وقد أُقيم على بلوار سان دِينِي هذا باب سمي پُورت سَانْ دِينِي شيد احتفالاً بانتصار لويس الرابع عشر على هولانده والمانيا قبل الباب المتقدم بسنتين وارتفاعهُ

٢٤ مترًا وخمسة وستون سنتمترًا وعرضهُ ٢٥ مترًا وسمكهُ ٥ امتار وليس بهِ غير فتحة واحدة طولها ١٥ مترًا وعرضها ٨ امتار (بخلاف السابق اذ فيهِ ثلاث فتحات) وعليهِ رسومات مسلات مغطاة بأسلحة ورايات يرمز بها الى النصر والغلبة

وكلما تقدم السائر من هنا الى الامام زادت العمارة واتسعت مظاهر الثروة وصارت الدكاكين اكثر نظاماً واتقاناً والمنازل ومحلات المساكن احسن ترتيباً واحكاماً واجمل هيئة واعتبارًا وترى جدرانها ملأى بكتابات ذهبية تدل على ما يُباع او يصنع او يتجر بهِ فيها الى ان يصل السائر الى بلوار بُون نوفيل حيث تياترو جِمْنَاس قائم على احدى جانبيهِ

ثم بلوار پُوَاسُّونْيِير ويتفرع عنهُ من جهة اليسار سكة پُوَاسُّونْيِير الموصلة الى السوق المركزية السابقة الذكر ويتفرع عنهُ من جهة اليمين سكة فُوبورج (ضواحي) پُواسُّونْيِير التي فيها بنمرة ١٥ مدرسة الموسيقى والغناء وهي مجعولة ليستخرج منها مشخصو التياترات الوطنية وفيها من المعلمين عدد ٧٣ ومن التلامذة ٦٠٠ اصليون و ٢٠٠ ملحقون لا يدخلون اليها الاَّ بعد اختبار عمومي ولكنهم متى قبلوا فيها يتعلمون مجاناً لغاية انتهاء التعليم وجعل للذين تكون لهم الدرجة الاولى من التلامذة في السنة المتممة للدراسة مكافأة قدرها ٣٠٠٠ فرانك تصرف اليهم سنوياً مدة ثلاث سنين من طرف الحكومة بشرط انهم يتسيّحون في جهات ايطاليا والمانيا تتميمًا لاكتساب الفن الذي تحصلوا عليهِ وبهذه المدرسة متحف لآلات الموسيقى فريد في بابهِ ولها كتبخانة مستوفاة

ثم بلوار مُونْمَارْتر وطولهُ لا يزيد عن ٢١٥ مترًا وهو اكثر شوارع باريس وبلواراتها حركة فقد أُبلغ بعضهم ما يمر فيهِ من العربات في اليوم الواحد الى مائة

الف عربة

والقهاوي التي على جانبيهِ اكثر مما في غيره والدكاكين التي بهِ اصحابها أزيد ثروة من غيرهم وعلى جانب هذا البلوار من اليمين پساج (مجاز) پانوراما ومن اليسار پساج جوفرواه و بهما من الدكاكين ما لا يدخل وصفهُ تحت حد ولا يقدر قدره امرؤ ولو بلغ الجهد وهما اكثر محلات باريس من جهة تردد الناس عليهما مهما كان الوقت صحوًا او ممطرًا حارًّا او باردًا

وعلى يمين پساج جوفرواه هذا متحف جريڤان وهو من عمل الرسام الشهير جريڤان صوّر فيهِ مشاهير الرجال والعظماء ومشاهير الحوادث وهو من الاماكن التي يزورها السياح من كل جانب

ثم بلوار الايطاليان وهو من اكثر البلوارات حركة وازيدها رونقًا وسمي بهذا الاسم نسبة لتياترو الايطاليان الذي كان بهِ ويتفرع منهُ سكة لافيت وسكة تيتبو وسكة شوسيه دانتان وهي السكة المعمورة بكبار الماليين واكبر البنوكة

وعلى هذا البلوار تياترو النوڤوتيه (المستحدثات) وعمارة بنك الكريدي ليونيه المشيّدة الاركان وتجتمع فيها بورصة المساء من الساعة ٨ و٤٥ دقيقة الى الساعة ٩ و٤٥ دقيقة بعد الظهر من كل يوم

وفي آخرهِ مكان كرستوفل الشهير بصياغة الفضيات والأواني المتخذة من المعادن التي يغطيها بطبقة من الفضة لا تذهب

ثم بلوار كاپوسين وعليهِ من جهة اليمين تياترو ڤودويل ثم القهوة الاميركانيّة الشهيرة ثم ميدان الأوپرا

ويتفرع من هذا الميدان خمسة طرق مهمة منها رودُ لاپيه (طريق السلم)

ويرى منهُ عمود وَاندُوم وأَوِينُودُه لُوِپرا (طريق الاوپرا) الفاخر وهو موصل ميدان الاوپرا بميدان التياترو الفرنساوي ومنها رُوكاتر سپتمبر (سكة اربعة سبتمبر) ثم رُهاليڤي وآخرها رُو (طريق) أُوبير

اما (الأُوپرا) وهي اكاديميَّة الموسيقى الاهلية فهي بناءٌ زاهٍ زاهر بني على حسب رسم المهندس جارنييه (ابتدئ فيهِ سنة ١٨٦١ ولم ينتهِ الَّا سنة ١٨٧٤) وهو أَوسع تياترات العالم اجمع ولو ان اوپرا ويانه وتياتري (سكالاَ) بميلانو و(سَانْ كَارلُو) بنابولي كلٌّ منها يسع لكثرة محالهِ اكثر مما يسع هو من المتفرجين لكن هذا أَوسع منها فانهُ يشغل ارضاً يبلغ مقاسها ١١٢٣٧ مترا مربعاً

وقد صرف عليهِ مصاريف طائلة حيث انفق في شراء الارض الَّتي اقيم عليها ١٠،٥٠٠،٠٠٠ فرانك وانفق في بنائهِ ٣٦،٥٠٠،٠٠٠ فرانك فان اساساته استوجبت ان يُحفر لها عمق خمسة عشر مترًا تحت سطح ماء نهر السين واستعملت ثمان آلات بخاريَّة مدة سبعة اشهر كاملة ليلاً ونهاراً لرفع المياه من الاساسات ونزحها منها اذ صودف فيها تيار مائي

والوِجهة العظمى تشتمل على طبقة أَرضيَّة ذات سبع قناطر بكلٍّ من طرفيها مجاميع صور مجسمة تمثّل الشعر والموسيقى والغناء والانشاد والرقص وغير ذلك ويعلو هذه الطبقة طبقة تشتمل على سبع نوافذ فوق القناطر السفلي تحيط بهذه النوافذ عمد يبلغ عددها ثلاثين ستة عشر منها طول الواحد أَزيد من عشرة أَمتار وهي من الحجر وباقيها أَقلُّ من ذلك وهي من الرخام الملون ورؤوس الجميع مصنوعة من البرونز المطلي بالذهب وقد صنعت البلكونات (خرجات) الموضوعة على هذه النوافذ من الرخام الأَخضر المجلوب من بلاد السويد ثم بأَعلى هذه

الطبقة العلوية كرنيش مملوء بما يفوق الوصف من التماثيل المذهبة والصور المصنوعة بمعرفة مشاهير الرسامين ثم فوق الكرنيش من الجانبين الأيمن والأيسر مجاميع تماثيل مجسمة من الحجر المنحوت ترمزُ الى الموسيقي والشّعر والشُّهرة ويُرى من هذه الوجهة قبة تعلو ذلك كلهُ فوق قاعة المتفرجين يعلوها تمثال إله الشعر ورب الانشاد وخلفها سقف هرَميٌّ فوق الملعب

أما الوجهات الأُخرى فهي وان كانت متقنة الصنع مشيدة الأَركان لكنها لا تبلغ درجة الوجهة العظمى

وداخل الأُوبرا أَبدع من خارجها ومما يستحق الذكر فيهِ قبل غيرهِ السلم العمومي المعمول للصعود منهُ الى طبقات الحجرات (لوج) وصالات الاستراحة فانهُ في حد ذاتهِ محل تفرج من حيث صنعهُ ومن حيث ما يراهُ الانسان من البالكونات (الخرجات) المصنوعة في كل بسطة من بسطاتهِ اذ يتمكن ان يرى منها جماعات المتفرجين في صعودهم ونزولهم ودرجات هذا السلم من الرخام الأَبيض واصابع درابزينهِ من الرخام الأَحمر وما رُكب فيها من مواضع وضع اليد هو من الحجر الأَحمر ذي اللون العقيقي ويحمل هذا السلم ثلاثون عموداً من الرخام هذا فضلاً عما هو بسائر جهاتهِ من الصور المجسمة من الحجر والمنحوتة من غريب الصناعة وبديعها

اما قاعة جلوس المتفرجين للتفرج (الصالة) مع المطل عليها من الحُجَرِ فبالغة حد النهاية من الرونق والزينة بالتذهيب ومن انتشار التماثيل وصور آلات الموسيقي والغناء بالسقف وسائر الانحاء اما انا وقد أَسعدني الحظ بحضور ليلة من ليالي التمثيل بهذا المكان فلا تسلني عما رأيتهُ من الاجتماع والاحتشام وانتظام

المحفل مع شدة الزحام ومع كثرة الكواعب الحسان اللواتي يعجز عن كنه وصفهنّ اللسان

ثم الملعب ارتفاعهُ ٦٠ مترًا وعرضهُ ٥٥ وبآخرهِ محل الرقص وبهِ مرآة عرضها سبعة امتار وارتفاعها عشرة

وصالة فُسحَةِ المتفرجين بين فواصل اللعب (فُوَايّيهْ) هي ايضاً من احدى عجائب هذا التياتر من حيث بناؤها واتقانها وزخرفتها وتذهيبها وما بها من العمد العظيمة ومن حيث سعتها فان طولها ٥٤ مترًا وعرضها ١٣ مترًا وارتفاعها ١٨ مترًا وبها مرايا الواحدة منها ارتفاعها سبعة امتار بجوانبها عمد تبلغ العشرين ومن حيث من يوجد بها من المتفسحين والمتفسحات والفطن البصير يتَبيّنْ لهُ من احوال من فيها محاسن الاخلاق وأحاسن العادات

هذا واذا بارح المتفرج ميدان الاوپرا ومشى الى يمينهِ في ما بقي من بلوار كاپُوسين فانهُ يجد اولاً الفندق الكبير (جرَانْدُ اوتيلْ) وتحتهُ قهوة السّلْمْ (كافي دُه لاَ پيه) التي جلسنا بها في اول ليلة من وصولنا لپاريس وتفرجنا بها بعض التفرج

ثم يلي بلوار كاپوسين هذا بلوار مادلِين حيث ينتهي الى ميدان مادلين وتنتهي بهِ البلوارات التي نحن بصددها الآن

(كنيسة مادلين) — الوِجهة المهمة من هذه الكنيسة متجهة نحو سكة رُويَال وهذه السكة تصل منها الى ساحة كُونكُورْد وتمر بقنطرة كونكورد حتى تنتهي الى سراي مجلس النواب على الضفة الثانية من السين وهذه السراي تشابه كل المشابهة كنيسة مادلين المذكورة في المنظر والهيئة والعمد والسلم الذي أمامها

وهيئة هذه الكنيسة لا تشابه هيئة الكنائس المعروفة فان منشئها اراد ان

بجعلها على شاكلة (پَانْتِيُونْ) وهو الهيكل الّتي كانت تَعُدُّهُ رومة القديمة لجميع الآلهة (وقد ابتدئ فيها سنة ١٧٦٤ ولم تنتهِ الّا في سنة ١٨٤٢) وتحيط بها العمد العظيمة من كل جانب من الخارج ويصعد اليها من جهة الوجهة بسلم تبلغ درجاتهُ ثمانية عشر وفوق عمد الوجهة بنيَّة مثلثة في اعلى البناء ارتفاعها نحو الثمانية امتار وعرضها نحو ٣٩ مترًا صوَّر فيها احد مشاهير الحفارين صورًا ناتئة في الحجر ترى من الارض بغاية الوضوح لكبرها وجسامتها تمثّل يوم العرض والحساب

واتساع هذه الكنيسة من الداخل ١٠٨ أمتار في الطول و٤٣ في العرض أما ارتفاعها فيزيد عن ثلاثين مترًا من أرضها الى القبة مع ان ارضها مرتفعة عن أرض الساحة بنحو سبعة أمتار ولم يدخل في بنائها شيء من الاخشاب وبابها الأعظم مصنوع من البرونز ارتفاعهُ عشرة امتار ونصف وعرضهُ خمسة أمتار وعليهِ كثير من التصاوير الناتئة فيهِ تمثّل الوصايا العشرة غاية في الاتقان

(پلاَسْ دُه لاكُونكُورْد) — ميدان الوفاق — هو أحسن ميادين باريس واكبرها واتحفها وافخرها طولهُ ٣٥٧ مترًا وعرضهُ ٢١٧ يحُدُّهُ نهر السين من جهة الجنوب ويحدهُ من جهة الشمال خزينة الأمتعة قديماً والآن قسم منها بهِ ديوان البحريّة والقسم الثاني مقر النادي المعروف بالنادي الجديد ويحدهُ من جهة الشرق حديقة تويلري ومن جهة الغرب منتزه شَانْزيليزيه واذا وقف الانسان في نحو وسطهِ يشاهد كنيسة مادلين يمنة ومجلس النواب يسرة وقوس النصر من جهة الأمام وسراي اللوفر من الجهة المقابلة لقوس النصر المذكور

وان منظر هذا الميدان في المَساء بمساعدة أضواء الغاز خصوصاً من جهة شَانْزيليزِيه لمن أفخر المناظر وأبهاها وأبهجها وأزهاها حيث يرى الناظر على مد

البصرأنوار المصابيح كأنها النجوم الزواهر هذا في الايام المعتادة اما في ايام الزينة والاحتفالات فتبلغ الانوار في هذا الميدان مبلغاً يقضي منهُ العجب فانه يوقد فيهِ من طرف البلدية نحو ٢٥ الف مصباح خلاف زينات المباني العمومية والقهاوي الّتي بهِ وما يجاوِرُهُ من المحلات

وهذا الميدان لم يتم عملاً على الحالة الّتي هو عليها الآن الّا في سنة ١٨٥٤ وقد كان في اواسط القرن الماضي من المحلات المهجورة وأول عمل بدئ بهِ فيهِ مدة لويس الخامس عشر سنة ١٧٤٨ واستمر فيهِ التحسين والإصلاح وصارت اسماؤهُ تتغير بحسب الاحوال الى سنة ١٧٩٢ فتسمى ميدان الثورة ورفع منهُ تمثال لويس الخامس عشر ووضع مكانهُ تمثال للحريّة ونصبت بجوارهِ آلة ضرب العنق المسماة جِلْيُوتِين صنع الدكتور جِلْيُوتَانْ

وقد حافظ هذا الميدان على نسبتهِ للثورة طول مدتها لأنهُ أُعدم فيهِ بالآلة المتقدمة الملك لويس السادس عشر والملكة مارِي أَنْطُوَانِيتْ امرأتهُ ثم رؤساء الثورة والأحزاب والمتقدمين منهم رئيساً بعد رئيس وحزباً بعد حزب كلما تغلّبت فئة حَل بالمغلوبة أليم العذاب كأنما تريد الانتقام منها عما فعلتهُ فيمن قبلها وأُحصي من مات مضروب العنق بالجِلْيُوتِين في هذا الميدان من ٢١ ينايرسنة ١٧٩٣ (يوم وفاة الملك) الى ٣ مايو سنة ١٧٩٥ (٢٨٠٠) شخص وفي ضمنهم النساء والشيوخ حتى أراد الله بزوال الشدة واطمئنان الحال

وفي وسط هذا الميدان مسلة الأقصر الشهيرة كان أخذَها الملك لويس فيليب من افندينا الاكبر جنتمكان محمَّد علي باشا واقامها في هذا المحل يوم ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٣٦ بعد ان مكثت في الطريق من مصر الى فرانسا اكثر من

سنتين بسبب ما حصل في نقلها الى فرانسا من الصعوبات وهي قطعة واحدة من الحجر الصوان ارتفاعها ٢٣ مترًا و٨٣ سانتي وزنتها ٢٥٠ الف كيلوجرام واتخذت لها الحكومة الفرنساوية قاعدة من الحجر ارتفاعها اربعة امتار مركبة على اساس بني هناك يرتفع مترًا عن سطح ارض الميدان وقد رسمت على الجهة الشمالية من هذه القاعدة الادوات والآلات التي استعملت في نقلها من مصر وعلى الجهة الجنوبية الآلات والادوات التي استعملت لاقامتها حيث هي الآن وفي الوجهين الآخرين تواريخ العمل واسماء الاشخاص

ولجانبي المسلة فسقيتان كبيرتان كل واحدة منها حوض من الحجر قطره ١٦ مترًا ونصف متر يعلوه حوضان ملتفان على عمود في وسطهِ حجمها اصغر من حجم الحوض الاول ويتدفق من هذا العمود ماء بقوة يرتفع تسعة امتار فيصبُّ في الاحواض الثلاثة بالتدريج هذا وبذلك الحوض الارضي تماثيل بنات البحر وغيرهنَّ من التماثيل تنبعث منها المياه فتصل الى الحوضين المرتفعين وتصب بالثاني منها الى الحوض الكبير

ثم في حوالي الميدان ثمان صور كبيرة قاعدة كل واحدة منها محل مبني تمثّل مدن فرانسا الشهيرة وهي لِيلْ وستراسبُورْغ وبُورْدُو ونَانتْ ورُوَان وبِرِسْت ومرَسِليا ولِيُون

وفي وسطهِ المئات من الاعمدة كبيرة وصغيرة تعلوها مصابيح الغاز مثنى وثلاث ورباع فتنير هذا الميدان العظيم في المساء بأحسن الأضواء

(شَانزِيلِيزِيه) — هذا المنتزه عبارة عن البستان المجاور للميدان المتقدم (وطوله ٧٠٠ متر وعرضهُ من ٣٠٠ متر الى ٤٠٠ متر) وبجوارهِ محلة مشتملة على

مساكن بديعة الاشكال منتهية بقوس نصر الكوكب (أَرْكْ دُهْ تِرِيُنْف دُولِتْوَالْ)
ويخترق هذا البستان وهذه المحلة طريق بالغ حد العظم والاتساع فيصل من
ميدان الوفاق الى قوس نصر الكوكب في مسافة ١٩٠٠ متر

وهذا المنتزه من اعظم منتزهات باريس واكثرها رغبة في التنزه فلا ينقطع
مرور الناس بهِ مشاة وركبانًا خصوصاً في ساعات الفسحة وعلى حافتي الطريق
المذكور كراسيُّ يستأجرها الناس للتفرج على المارَّة وتمتيع النظر في مناظرهِ المرونقة
البهجة فضلاً عما فيهِ من محال اللعب والتمثيل المعروفة باسم (كُونْسِيرْ)

وعلى يمين المنتزه سراي إيليزيه وهي مقر إقامة رئيس الجمهوريَّة ومدخلها
من طريق آخر وعلى يسارهِ سراي الصناعة وما ادراك ما سراي الصناعة

هي سراي بنيت لاقامة معرض سنة ١٨٥٥ العمومي فيها وهي تشغل مساحة
من الارض مقدارها ٢٧ الف متر مربع ومن اهم ما فيها مدخلها بما عليهِ من الصور
الفائقة والتماثيل البارزة فان عرضهُ خمسة عشر مترًا وارتفاعهُ ثلاثون فضلاً عما
يعلوهُ من مجامع الصور التي تمثل فرانسا وهي تُوزع الجوائز وتُعطي العطايا الفنونَ
والصنائع

ومن اهم ما بداخل هذه السراي قاعة كبيرة مسقفة بالزجاج طولها ١٩٢ مترًا
وعرضها ٤٨ مترًا وهي الآن مجعولة لمعارض خصوصية سنويَّة وغير سنويَّة منها معرض
الرسم السنوي ويدخل فيهِ نحو خمسمائة الف نفس مدة افتتاحهِ وهي مركز لعدة متاحف
منها متحف فنون الزينة والزخرفة ومتحف حاصلات البلاد الملحقة بفرانسا

هذا وفي نصف الطريق بين ميدان الكونكورد وميدان قوس الكوكب
ميدان مستدير مزين بالفساقي وحياض المياه يفصل البستان عما يليهِ من المحلة

المتقدمة الذكر المنتهية بميدان قوس نصر الكوكب

وهذا القوس هو اكبر جميع الآثار التي من هذا القبيل واجسمها فيُرَى من جميع ضواحي باريس (وقد بدأ في بنائهِ نابليون الاول سنة ١٨٠٦ ولم ينتهِ الّا في سنة ١٨٣٦) وهو عبارة عن قوس واحد علوّهُ تحت العقد ٢٩ مترًا وفتحتهُ ١٤,٦ مترًا و بداخل كلٍّ من جانبيهِ قوس صغير ارتفاعهُ ١٨ مترًا وعرضهُ ٦ امتار وارتفاع القوس مع ما فوقهُ من البناء نحو الخمسين مترًا وعرضهُ ٤٥ مترًا وسمكهُ ٢٢ مترًا فاكثر وكلهُ منقوش بالنقوش الناتئة في الحجر من سائر أطرافهِ تمثيلاً للوقائع الحربية التي انتصرت فيها الجيوش الفرنساويّة

ويصعد الى أعلى هذا القوس بسلم يبلغ عدد درجاتهِ ٢٦١ درجة فيرى الانسان من اعلاهُ الطرقات التي تتفرع حواليهِ فتذهب في جميع جهات باريس وعددها ١٢ وهي لاتلبث حتى يتفرع منها كثير غيرها ويرى غير هذه الطرقات وغير ما بجوانبها من العمارات غابة بولونيا الشهيرة وحياضها الواسعة الكثيرة ويرى برج ايفل ومايليهِ من المعرض وازدحامهِ ويرى سائر المباني المرتفعة وبالاجمال فان بهجة هذا المرأى وشهرتهُ ورغبةَ الناظرين فيهِ ووصف الواصفين في محاسنهِ ومعانيهِ قد صادف محلهُ من كل الوجوه

هذا وقد طال بي الكلام في هذا الفصل فلذا اترك الكلام على دار العواجز المتقاعدين والپانيتون وقد مرَّ ذكرهما اجمالاً الى فصلٍ ثانٍ لاسيما اننا في فسحة هذا النهار لم ندخلهما بل مررنا عليهما من الخارج



ثالث يوم في باريس

ثاني يوم في المعرض

خصصنا في الترتيب الذي جعلناهُ لأنفسنا من ايام مُقامنا بباريس ثمانية ايام لزيارة المعرض سوى اليوم الاول وقسمناها عليهِ فخص هذا اليوم (الاحد ٤ اغسطس سنة ٨٩) زيارة سراي ترُوكادِيرُو وما جاورها من معارض البساتين والازهار

وسراي ترُوكادِيرُو هذه بنيت بمناسبة معرض عام ١٨٧٨ على مرتفع مسمّى بهذا الاسم الذي نسبت اليهِ وشكلها كالهلال في وسطها دائرة من البناء هي قاعة الاحتفالات وطرفاهُ شبيهان بجناحي طائر مفتوحين يطير بهما (والطائر يشبههُ النباء الوسطي) يتجه احدهما نحو اليمين على امتداد ٢٥٠ مترًا والثاني مثلهُ نحو اليسار وفي السراي الى الامام رواق على عمد بقدر طولها يبلغ ٥٠٠ متر فسيح مطل على الغدير الملتصق بها وعلى البستان الذي أُعد لعرض الازهار والاشجار وعلى نهر السين وعلى ميدان شَان دُهْ مَارس بجميع ما احتوى عليهِ من بدائع الصنائع وصنائع البدائع ومقدار الارض الّتي يشغلها بناء هذه السراي ١٥٠٠٠ متر مربع

اما البناء الوَسَطِيُّ فهو محتوٍ على قاعة الاحتفالات المذكورة وهي اوسع جميع القاعات الّتي وجدت الى الآن مبنيَّة على شكل مستدير بها مقاعد لخمسة آلاف متفرج او مستمع وبها فضلاً عن هذا محل يسع طقم موسيقي مقدار اشخاصهِ ١٥٠٠ نفس

وقد راعي فيها المهندس الذي شادها مسألة انتشار الصوت ووصولهِ الى

جميع من فيها وان كان ضعيفاً كما راعى مسألة تجدد الهواء بواسطة خمسة آلاف فتحة كل واحدة منها تحت مقعد من المقاعد وسلّط على هذه الفتحات ما يأخذ الهواء الرديء فيصرفهُ الى مرتفعات عالية بعيدة ويأتي بدلهُ بأهوية نظيفة اما نورها فبالكهرباء فلا محل معهُ للخوف من اشتداد الحر بسببهِ

وقبة هذه القاعة قطرها خمسون متراً وارتفاعها كذلك

وعلى يمين هذه القاعة ويسارها برجان مرتفعان الى عنان السماء يُصعَد الى كلٍّ منهما بِبُرْقٍ موصل الى انتهائهِ وارتفاع الواحد ۸۰ متراً فيرى كل من يصعدهُ من جمال المنظر ولطافة الهواء والاطلاع على البقاع المجاورة على بُعدِها ما يزيد تشوُّقهُ الى صعود برج إيفِلْ الذي سنذكرهُ وكل آتٍ قريب

والجناح الذي على جهة اليمين يحتوي على متحف علم خصوصيات الشعوب (إيتنُوا جرَافِيك) وقد جمع بدائع الآثار في هذا الباب وغرائب الاشياء فيهِ حتى جماجم بني آدم وهياكل عظامهِ على اختلاف أزمنتهِ واشخاصهِ بكيفيةٍ يمكن معها الوقوف على حقيقة الشعوب التي تسكن القارة على اختلاف اجناسهم

والجناح الذي على جهة اليسار محتوٍ على متحف نقل الصور المجسمة والنقوش بواسطة افراغها وصبها في قوالب من الجبس (مُولاَجْ) وقد اشتمل على صور اعظم العمارات الموجودة في المدن الفرنساويَّة منقولة على هيئتها مجسمة بحالتها التي هي عليها فهذا باب كنيسة شارترْ الكاتدرائيَّة وهذه قطع منتخبات من كنيسة رِمْسْ وهذه محلات من القصور القديمة الفرنساويَّة نقلت الى الجبس كأنما انتقلت حقيقةً من مكانها الى هنا ولقد صدق من قال ان زيارة ساعة لهذا المتحف بمثابة زيارة أشهرٍ للعمارات الفرنساويَّة المنتشرة في انحاء متفرقة اللهمَّ الاَّ ان الفرقَ بين

زيارتنا هذه والزيارة الحقيقيّة أن المباني مشتتة في الثانية بين الواحدة منها والاخرى ايام طوال لايمكن معها المقارنة كاللازم وهذه يفصلها عن بعضها خطوات تجعل المقارنة سهلة للغاية

وهذان المتحفان المذكوران في الجناحين قديمان قبل المعرض الحاضر و يستمرّان بعدهُ وانما ذكرناهما اليوم لاننا رأيناهما واعجبانا خصوصاً الثاني منهما لان هذا مع اشتمالهِ على صور العمارات المجسمة جعل ايضاً معرضاً للمصوغات الفرنساويّة من الازمان القديمة الى آخر القرن الثامن عشر

وان معرض المصوغات هذا لجدير بان يستلفت النظر ويستوقف الزائر فقد حوى من الآثار ما يستحيل عادة الجمع بينها بغير هذه الفرصة فهذه آثار الكنائس ولا تخرج من خزائنها الَّاساعة في كل سنة او اكثر من سنة يتبرك بها بعض المتازين وتعاد الى ما كانت عليهِ من الخفاء مثل بعض الصحف والاكؤس وصوالجة الاساقفة وتيجانهم المزركشة وذخائرهم ومباخرهم المتقنة الصنع المزدانة بالاحجار الثمينة جمعت بهذا المحل واظهرت في هذا المحفل ليتمتع القوم بالوقوف على اسرار صنائعها ومخبئات كيفياتها واشكالها واتقانها ونظامها وهذه نفائس المصوغات الَّتي حازها الاغنياء بعد ان دفعوا في سبيل اقتنائها الاموال الطائلة وكانت في مساكنهم لا يطّلع عليها الّا من أسعَدَهُ الحظ بالقرب منهم ونال ثمرة معرفتهم عرضت هنا ليطلع عليها الافراد فيقتبسوا منها أسرار صنعتها ويعلموا منها حكمة ايجادها بالهيئات اللطيفة الَّتي جعلت عليها

واذ فرغنا من ابنية السراي فلننتقل الى البستان فنرى ما احتوى عليهِ ولنترك وصف الغَدير الذي صنع بجانب هذه السراي وانحدار الماء منهُ وشدة

انصبابهِ ولطافتهِ فانهُ لا يقدر على كنه وصفهِ الاَّ الشعراء المجيدون فلعل احدهم يراهُ فيقوم بما يمكن من واجب وصفهِ ويُبين عن بعض حسنهِ ولنترك ايضاً وصف البستان من حيث انتظامهُ واتقانهُ وكيف صفّت الازهار فيهِ بألوانها المختلفة وكيف طرزت حوَاشيهِ بأشجار الأَثمار وكيف جعلت مظَلَات من القماش اللطيف على الطريقين الكبيرين فيهِ (ويذهبان من السراي بجانبي الغدير الى النهر) لتكون معارض للزهور بحسب أوقاتها في المواعيد المحددة لها فهذا أمر يتعسر القيام بواجبات وصفهِ اكثر من تعسر القيام بوصف الغدير ولنكتفِ بذكر ما حواهُ البستان من العمارات بوجهِ الاجمال

فأَهم العمارات الَّتي اشتمل عليها هو القصر المشيد لعرض حاصلات الغابات فانهُ بني جميعهُ من الخشب بحالاتهِ الطبيعيَّة وقشورهِ الاَّ ان استعمال الفكر في انتخابهِ وانتقاء اجناسهِ وتعدد الوانهِ ووضعهِ على اشكال مخصوصة جعل هذا القصر المائل (وقد شغل أرضاً مسطحها ١٥٩١ مترًا مربعاً وبلغ طولهُ ٤٧ مترًا وعرضهُ ٤٣ مترًا وارتفاعهُ ٢٠ مترًا واستعملت في تشييدهِ ١٨٠٠ متر مكعب من اخشاب الغابات المأْخوذ جميعها من غابة فونتنبلُّو القريبة من باريس وسيأْتي عليك بيانها) من احسن القصور واغربها شكلاً وابدعها هيئة وقد صفت في داخلهِ الاخشاب واصنافها من حاصلات فرانسا بكيفية بديعة وهيئات لطيفة على حسب ترتيب اصنافها مع كثرة تعدد أشكالها واختلاف أنواعها وزينت سقوف هذا القصر من الداخل بقشور الاشجار ملونة بالوانها الطبيعيَّة المختلفة فصار كانهُ صنع في نقشهِ أشهرُ المشتغلين بالرسم واعظم المحترفين بالتصوير وقد صُفّت فيهِ العمد محمَّلاً عليها السقف من الاخشاب الاصليَّة الَّتي اخذ منها على هيئتها الطبيعيَّة ايضاً

وجعلت رؤوسها فروع من فروع الاشجار التي تناسب هذا الشكل وتوافق هذه الهيئة

وقد دلَّ هذا الصنع الفريد في بابهِ على كثرة تعدد الاخشاب وأصنافها بالغابة التي أُخذ منها ودلَّ على مهارة من صنعهُ وعلى مزيد تفننهِ اذ لاشيء انسب لعرض الاشجار وحاصلاتها الطبيعيَّة غير محل يصنع منها بهذه الكيفيَّة

وتجاه هذا القصر من الجهة الثانية مكان شيد للاشغال العموميَّة فجمع كل ما يستعملهُ المهندسون في الاشغال المختصة بالحكومة و بالآحاد

ويحتوي البستان على محلين غير هذين أحدهما للاكل والثاني لتعاطي الجعة (البيره) والمرطبات

وما عدا ذلك فكلهُ مشغول بالازهار والاشجار مكشوفة تحت السماء او مغطاة تحت العنابر الزجاجيَّة (سِيرْ) المصنوعة من اجلها فتُعطيها بواسطة البخار الحرارةَ التي تلزم لنموها كانها في بلادها او تُظلها خيام تمنع عنها شدة أَشعة الشمس وتأثيراتها وقد بلغ عدد العنابر الزجاجيَّة المذكورة ٢٦ و بلغت مساحة الارض التي تشغلها هذه العنابر وتسترها الخيام السالفة ٣٠٠٠ متر

ولا تسل عن الازهار وكثرتها واختلاف أنواعها على لطافتها (الورد وحدهُ يوجد منهُ ٤٥٠٠ نوع) وقد جَلَبَت النساء للتفرج عليها فهنَّ يُحببنها ويرغبنَ فيها اكثر من غيرها خصوصاً في هذه العاصمة فان النساء يهوَينَ الازهار حتى انهنَّ يقتنينَ اشجارها في منازلهنَّ ومجتمعاتهنَّ وداخل حجرهنَّ فلاغرو أَن صار هذا القسم من المعرض ملتقى النسوَةَ يَهوَينَهُ اكثر من غيرهِ ويَأوِينَ اليهِ وهذا ممَّا زاد الرغبة فيهِ وكأَنَّ مؤسسي المعرض خطر ببالهم فكرة اجتماع أَحاسن الاشجار وازهارها

البهيَّة بأَحاسن النساء وقدودها المياسة وخدودها الوردية وأَرادوا أَن يتم هذا النظام ويخلص لهم ذلكَ المرام فجعلوا المتكفل بحراسة أَدوات البساتين ولوازمها ودللاءَ المتفرجين عليها والتعريف عن اثمانها بسائر أَنواعها من النسوة و بالصدفة كنَّ جميلات فتمت بذلك المناسبات

ولا ننسي بهذا البستان أَشجار الفواكه المجلوبة مثل الأَزهار من مشارق الارض ومغاربها حارّها وباردها فانهُ جيءَ بها من الهند والصين واليابان ومن البلاد التي بأقصى الشمال وهي مع ذلك مزهرة مثمرة كانما هي في هذا المكان من قديم الزمان مع ان الايدي قد لعبت ببعضها أَي لعب وتفننت في تسييرها وتعذيل فروعها لأَي وجهة كما أَحبت وهي منقادة لا تتعاصى فهذه شبه جدران مقامة من الكمثرى والتفاح والخوخ والمشمش ليس الاَّ واخرى من التين والزيتون وهكذا وهذه موضوعة على اشكال لا يدخل في التصور ان تتهيأ بها الاشجار الاَّ بعد الرؤية لها فمنها الاشكال الغير الهندسيَّة ومنها الاشكال الهندسيَّة كالهرميات والمخروطيات والمثلثات والمربعات

فاذا جاوزتَ الازهار والاشجار وصلتَ الى حيث تعرض الخضراوات فترى كيفيَّة زرعها وحال نمادها بالمياه التي تصل اليها من مجاري باريس

ولو شئتَ لاطلعتَ على بعض أَشجار الغابات التي نقلت الى البساتين للزينة كالصنوبر وغيرهِ وشاهدتَ الاشجار التي تمتد وتتسلق عالي الجدران والمرتفعات ونظرت الاشجار التي صوَّر الباري سبحانهُ أَوراقها بما لا تصل اليهِ يد الصناع

وبعد هذه أَشجار ثلاثة كبيرة مجلوبة من اليابان وشيلي واميركا وهي اكبر اشجار هذه البلاد فيبلغ ارتفاعها ما لا يبلغهُ غيرها من الاشجار

وبعدها بركة ماء متسعة مملوءة بالاشجار المائية من جميع الاشكال وبقرب النهر اشجار نخل كثيرة أحضرت من الجزائر باهية زاهية

ولا ننسى معرض اليابان فقد جلبت اليهِ أشجار تلك البلاد وأزهارها موضوعة في أواني من فخار متقنة الصنع وأحيط بسياج من اشجار الخيزران جعلت منظرهُ من أحسن المناظر وأغرب ما فيهِ اشجار عمرها نحو مائة سنة عادتها العلو والكبر اجتهد هؤلاء في أن لا تعلو ولا تكبر رغمًا عن مرور الاعوام (كما يفعل جيرانهم الصينيون في أرجل نسائهم حيث تبلغ المرأة سن الشيخوخة ورجلها هي هي حينما كانت بنت أيام) فرأينا فيها من أصناف السرو والصنوبر أشجارًا عمرها على ما قيل خمسون عاماً وهي لا يزيد طولها على خمسين سنتيمتر

وقد تخصصت أيام في كل شهر بعضها بعرض الازهار التي صار جنيها واعطاء المكافأة لمن يجيء بأحسنها اولمن ينظمها أحسن من غيرهِ في الاواني او في زينة الاماكن او موائد الطعام وبعضها بعرض الورد وقد أسعدنا الحظ بان صادفنا بعض هذه المعارض فتبارك الصانع الذي أوجد هذه الانواع المختلفة الاشكال والالوان

وحيث انتهينا من تفرج هذا اليوم عدنا الى الفندق وقد أقبل الليل

فاردت الخروج منفردًا بعد تعاطي الطعام للتنزه فاستمر بي السير الى منتزه شانزليزيه حتى وصلت سراي الصناعة (پاليه ده لاندستري) فوجدت عندها من الازدحام وعلى ابوابها من الزينة ومن توارد المدعوين والمدعوات ما فهمت منهُ انهُ يحتفل فيها الليلة احتفال موسيقيٌّ برسم الشاه تسمع فيهِ كثير من الموسيقات العسكرية مجتمعة وظننت ان الدخول لا يكون الاّ للمدعوين وتمنيت لو كنت منهم

لاشاهد هذا المهرجان وبقيت مع ذلك أتفرج على الواردين واذا ببائع من بائعي الجرائد يصيح "پروجرام المساء" فاشتريتهُ واذا بهِ يذكر ان رجال الموسيقى سيكونون مؤلفين من ١٢٠٠ شخص تحت رياسة رئيس موسيقي الحرس الجمهوري وان الدخول رسمهُ ثلاث فرنكات فأسرعت للدخول في الحال ووصلت من دِهليز متّسع (بهِ سلم يصعد منهُ الى الطبقات العليا) الى قاعة الاحتفال وهي في غاية الاتساع مضاءة بنور الكهرباء والغاز اضاءةً ليس لها مثيل وهي مستطيلة مطلة عليها غرف في طبقتين غير الطبقة الارضيّة وتمتاز ثلاث غرف عن غيرها في الطبقة الاولى بزيادة اشرافها عما سواها وبانتظام فرشها وزخرفة ستائرها وتمتاز الوسطى منها بأن وضع فيها ثلاثة كراسي من الكراسي المزخرفة المتقنة وقد اخبرني من أخذت احادثهُ ويحادثني وقتها من المتفرجين بان احد هذه الكراسي للشاه والثاني لرئيس الجمهوريّة والثالث للرئيسة امرأتهِ

ثم ان الرئيس حضر في الساعة التاسعة فصدحت الموسيقى بالسّلام الجمهوري وهو واقف يَصغْى ومثلهُ كل الحضور وما فرغت حتى اخذ القوم في التصفيق ترحيباً بهِ واخذ الكثير يصيحون فليعش كارنو – فليعش الرئيس – فلتحيَ الجمهوريّة وهو يشير باليد الى التشكر لهم متبسماً مسروراً وما استقر بهِ المجلس الاّ والشاه قد حَضَر فقام لاستقبالهِ وصدحت الموسيقى بسلامهِ الملوكي واجلسهُ عن يمينهِ بعدان تصافحا باليد والقوم يصيحون "فليعش الشاه" مرات متواليات وهو يرد السلام باليد يُقرّبها من قلنسوتهِ السوداء ذات الألماس الذي رأيناهُ اول امس وكلما رد السلام كلما كرر القوم التحيّة والاحتفاء وذلك لانهُ اول ملك عظيم زار المعرض كما سبق زيارة رسميّة

وجلس امراء الملك ووزراؤهُ بالغرفتين المجاورتين للغرفة الّتي هو فيها وبقي التشريفاتي قائمًا خلفهُ كما لبث تشريفاتي الرئيس خلفهُ قائمًا ايضًا ليتلقى كلٌّ منهما اوامر سيدهِ

وبقي الشاه في الغرفة اكثر من ساعة تصدح في خلالها الموسيقى بألحانها اللطيفة في غاية الانتظام والانقان مع كثرة عدد الموسيقيين (١٢٠٠) ومع اتساع المحل وكثرة الناس وازدحامهم وان كانوا وقت السماع لا يبدي احد منهم حراكًا وكانما القاعة خالية من الناس

وقد أُحضرت المرطبات (الدوندورمه) للشاه وللرئيس فأخذ الاول طبقهُ واذا بالتصفيق وارتفاع الاصوات "يعيش الشاه" فردّ السلام بالملعقة الصغيرة الّتي يتعاطى بها وأَعاد القوم التصفيق والاستحسان

ثم انصرف الشاه يصحبهُ الرئيس الى مسافة بعيدة والناس يصفقون ويُعلِنون "يعيش الشاه"

وعاد الرئيس بعد ذلك فبقي نحو نصف ساعة قابلهُ فيها الجمع بالترحيب عند الحضور وعند الانصراف كما سلّمت عليهِ الموسيقى بالانشاد المعروف بالمَارسِلْيِيز مثل ما سلمت عند حضورهِ ووقف الجميع لهذا الانشاد كما هو العادة إشارة الى احترام الوطن وتعظيمهِ

ولم يلتفت احَد حال وجود الشاه ولا بعد انصرافهِ ولا بعد انصراف الرئيس الى ملك آخر من ملوك السودان كان حاضرًا في الحفلة مع امرأتهِ الّا بذكر كيفيّة سفره وأمر حضوره لهذه الجهات وذلك أنهُ من سلاطين احدى الجهات الصغيرة الّتي دخلت ضمن أملاك فرانسا من افريقية فدعاهُ الحاكم ان يتوجه الى باريس

للتفرج عليها وعلى معرضها قصدان تنطبع في ذهنهِ قوة مالكي بلادهِ فينشر عند عودتهِ بين قومهِ ما رآهُ من قوتهم وقد أحضر امرأتهُ معهُ وأفهمها أنهُ يأخذها للتغيب اياماً قلائل وما دَرَت انها ستغيب عن بلادها اشهراً طوالاً

والذي كان يلوح على وجه هذا الملك علامات الانذهال والاستغراب أما امرأتهُ فكان يظهر عليها انها لا تفهم شيئاً مما تراهُ وقد أخبرني جارٌ لي في التفرج انها كانت تنام طول مدة مكثها في هذا المكان والعهدة عليهِ

و بعد أن بقيت مدة أتفرج على هذا الجمع وأنظر الى هولاء الحاضرين من أجانب ووطنيين وما هم عليهِ مع كثرتهم واختلاف اصنافهم من السكينة والوقار ومزيد الاحتشام واحترام بعضهم بعضاً نساءً ورجالاً تمنيت لو التُزِم في اجتماعاتنا الوطنيَّة هذا الحال وفارقتُ الجمع وفي النفس حب البقاء بهِ الى الصباح

رابع يوم في باريس

ثالث يوم في المعرض

خصصنا هذا النهار (يوم الاثنين ٥ اغسطس سنة ١٨٨٩) بزيارة برج إيفل والمعارض الموجودة بجوانبهِ التي لبعض ممالك امريكا و بعض المعارض الخصوصيَّة

فابتدأنا اولا بسكة تاريخ السكنى لأنها كانت قبل البرج بموازاة نهر السين كما سبق

(سكة تاريخ السكنى) قام بتنظيمها على حساب المعرض منشئها المسيو شارْل جارنييه مهندس الأوبرا وأحد أعضاء الجمعيَّة العلميَّة الفرنساويَّة قاصداً بها أن يعرض على الناظرين كيفيات سكنى جميع الامم من جميع الأجيال

المتقدمة بأَشياءَ محسوسةَ وأَسكن بعض الدور الّتي شيدها اقواماً بلباس القوم الذي كانوا يستعملونهُ وقت سكناهم منازلهم على أنهُ وان استعمل في ايجاد هذه المساكن جُهْدَهُ من التحرّي والنقل من التواريخ والآثار القديمة فإِنهُ اضطرَّ في بعضها الى استعمال القياس والاستنتاج خصوصاً بالنسبة الى الاماكن الّتي كانت تأْوي اليها الامم المتوحشة قديماً اذ أَنها لم يعثر لها على مبَانٍ باقية عند عالم الاستكشافات

وابتدأ مساكنَها من اليسار الى اليمين فابتدأْنا من حيث ابتدأَ فوجدنا اولاً الامكنة الّتي كانت تأْوي اليها الاولون بالاضطرار مجعولة من فجوات الجبال ونحو ذلك فرارًا من الوحوش المفترسَةِ وتفادياً من الامطار واتقاءَ لظى الشمس وسعيرها

وتجاوزناها الى ما هو أَرقى منها فوجدنا اخصاصاً مصنوعة من فروع الاشجار بغير انتظام الى ان زادت درجة المعرفة ووصلت الى عمل اكواخ من أَحجار مرصوصة بحالتها الّتي أَمكن نقلها بها وموضوعة كيف ما اتفق من غير إِحكام ولا اتقان ثم وجدنا الأَحجار دخل في صنعها الحديد فصار نحتها ووضعت على هيئات أَحسن من الّتي قبلها

هذا في السهول والجبال واما من يسكنون شطوط البحائر واطراف الجزائر فيعيشون بقرب الماء كما كان في جُهات سويسرا و بعض جهات ايطاليا فقد اوجد المنشئ لهذه السكة شبه بحيرات طبيعيةً وجعل فيها مساكن تلك الاقوام الاولين وهي اكواخ من الغاب على اطراف الماء يحيط بها سياج من الخشب المأْخوذ من الاشجار

انما تعذر على المنشىء الموماِ اليهِ ان يوجد في هذه المساكن سكاناً على حالتهم

وقت سكناها بالنسبة لأمر اللباس فان لباسهم اكواخهم والآداب الجديدة تأبى الظهور بهذا اللباس

ثم انتقل المنشىء من هذه المساكن الى مساكن للمصريين والآشوريين والفينيقيين واليهود والإترورييّن واليونان والطليان وغيرهم

فهذا بيت المصريين القدماء فيهِ الانتيكات العتيقة والمومياء والتوابيت والملابس وهذا القصر الآشوريّ نقلهُ من أصل غير مشكوك فيهِ وهذا المنزل الفينيقيّ غريب عجيب وهذه فساطيط العبرانيين وهذا منزل على اسلوب مساكن إترورية التي محلها الآن اقليم توسكان وبهِ فرشهُ وادواتهُ على الحالة التي كان عليها في تلك الأزمان ووراءهُ عش صنع من احجار بحالتها الاصليَّة الهمجيَّة على مثال التي كان يسكن بها اول من سكن ارض ايطاليا واليونان

ثم بعد هذه بيت صُنع على هيئة مساكن الهند يسكنهُ بعض اهالي اقليم كشمير فيعرضون صنع بلادهم من الشيلان العالية القيمة

وبجوارهِ بيت للعجم وفيهِ موسيقيون من أهل تلك البلاد ويقال ان الشاه عند زيارتهِ المعرض كان يستريح في هذه الانحاء

وبعد ذلك مساكن بلاد الجلالقة واليونان وايطاليا مجاورة لبعضها ويجد المتفرج في الاولى والثانية الاشربة الخاصة بتلك الجهات في تلك الاوقات وفي الثالثة يجد معملاً من معامل الزجاج فيهِ الادوات المستعملة لهذه الصناعة الآن وما كان مستعملاً لها في قديم الازمان

وهنا انتهى النصف من هذه السكة حيث التقاطع بينها وبين الطريق الموصل من النهر الى البرج والى سائر قصور المعرض فقطعنا هذا الطريق المقاطع

واستمر سيرنا في سكة تاريخ السكنى الَّتي كنا سالكيها

فابتدأْنا بخص من خصاص سكَنْدِنَاڤيَّة حيث يسكن بعض الصيادين من النرويج بملابسهم الاصليَّة فيبيعون بعض اخشاب مصنوعة لمن اراد

وبعدهُ منزل على طراز المساكن الرومانيَّة مدة القرون الوسطى وهذا أُعدَّ لاستراحة رئيس الجمهوريَّة عند زيارتهِ المعرض فتعهدت فرشهُ ادارة المفروشات الاهليَّة وفرشتهُ من أَحسن الاشياء مناسبة للحال وبجوارهِ مسكن على طراز المساكن المستعملة في الازمان الَّتي تلي القرون الوسطى مباشرة

وبعد هذه المنازل مساكن على الطراز البيزنتيني والبلغاري والروسي والعربي فالاول منها فيهِ كثير من الملابس المستعملة في كُرْوَاسيا وسلڤونيا من اعمال النمسا والثاني فيهِ معمل لاستخراج ماء الورد وضعهُ فيهِ احد مشاهير تجار هذا الصنف بجهة قزانلق والثالث فيهِ عائلة روسيَّة تصنع كثيرًا من الاشياء الصغيرة الَّتي تؤْخذ للزينة والرابع عبارة عن فسطاط على الطراز البدويِّ يسكنهُ بعض المغربيَّات بملابسهنَّ الاصليَّة وهنَّ من يهود الجزائر مشهورات بحسن الخلقة والمهارة في التجارة والاخذ والعطاء

وبعد هذه مسكن من مساكن السودان بجهات الكونغو الداخلةِ تحت ملك فرانسا وبهِ بعض حاصلات تلك الجهات الحديثة العهد بالتمدن

ثم بعدهُ مسكنان للصين واليابان وبعدهما مساكن لاهالي لاَپُونيَا اشبه بحفائر في التراب وبعدها مساكن لبعض اهالي افريقية المتوحشين وبعض اهالي أَميريكا الاصليين وتنتهي هذه بمسكن من مساكن اهالي مكسيكا الاصليين حيث يوجد على بعض خطوات خلفهُ معرض الجمهوريَّة المكسيكيَّة وسيأْتي الكلام عليهِ

في هذا النهار

واذ انتهينا من هذه السكة العجيبة ورأينا كيف كان الاقدمون يسكنون ويعيشون حدَّقنا النظر قليلاً فرأينا البرج المشيَّد فكأَنما هذه السكة التاريخيَّة شيّدَت بهذا المحل مجاورة لهذا البرج ليستدل منها على تقدُّم هذا العصر على تلك العصور الخالية الَّتي هذه مساكنها فان هذا من عمل العصور الحاليَّة شيَّدتهُ يد المعرفة من الحديد الصرف فدلَّ على تقدُّم من شاد وسنتكلَّم عليهِ بعد التفرُّج على معارض الجمهوريَّات الاميركانيَّة الَّتي اعتنت فيها كل الاعتناء وصرفت عليها المصاريف الطائلة اكراماً لاختها الجمهوريَّة الفرنساويَّة حتى جارتها غيرها من البلاد الَّتي كانت غير جمهوريَّة وقتها كالبرازيل ثم ننتقل الى بعض المعارض الخصوصيَّة القائمة على جهة اليسار من البرج لنتفرَّغ بعدها للتفرُّج عليهِ ومشاهدة ما حولهُ من اعلاهُ حتى ينتهي النهار

(معرض مكسيكا) — ان معرض هذه الجمهوريَّة لمن أَحسن معارض ممالك اميركا واكبرها وأَتقنها فقد صرفت الحكومة على بناء محلهِ مليوناً من الفرنكات بناهُ احد المكسيكانيين المهندسين بشرط ان يمكن فكهُ ونقضهُ قِطَعاً بعد فراغ المعرض لنقلهِ الى مكسيكو والتزم في بنائهِ الحديدَ الصب والفولاذ وطلا منهُ الطبقة الخارجيَّة فصارت كالحجر في المنظر بالسواء

وجعلهُ على طراز العمارات الَّتي كان يشيّدها اهل هذه البلاد قبل اكتشاف الاوربيين قارة امريكا

واراد ان تكون وِجهتهُ رامزة لجميع اعتقادات الملة المكسيكيَّة وجميع عاداتها القديمة فجعل القسم المتوسط منها على طراز المعابد الَّتي كانوا يشيدونها للشمس

واحاطهُ بصُوَرٍ وتماثيل تدل على حياتهم السياسيَّة ومعتقداتهم الدينيَّة غير ما عندهم من الصنائع والفنون

وهذه العمارة تشغل من الارض ۲۱٥۰ مترًا مربعاً وتشتمل من الداخل على قاعة وسطى ومحلين بجانبيها من الجهتين يصلها النور من سقوفها الزجاجيَّة وفي الوسط سلم بديع الشكل ذو جهتين يصعد منها الى الطبقة العليا من البناء وقد تزينت هذه المحلات من الخارج مثل زينتها من الداخل بأحسن النقوش الوطنيَّة والصور المليَّة

ومن أهم الحاصلات المعروضة فيها الذهب والفضة فمعادنها كثيرة في هذه البلاد الغنيَّة وليس من المستغرب معها أن اسرع التمدن والتقدم فيها اي اسراع ثم غيرها من المعادن النافعة ثم الحاصلات الزراعيَّة من ثمار ونبات فانهُ لمناسبة طول الاقليم ينبت فيهِ كثير من النباتات بحسب كلٍّ من جهاتهِ الموافقة لهُ مما لا يوجد في غيرهِ من الجهات ففيهِ الموز والصنوبر والبن وقصب السكر والقطن والحبوب بأنواعها وفيهِ من الحاصلات الفنيَّة والصناعية الخرائط والأطالس الجغرافية والجيولوجيَّة وأدوات الفرش والزينة والمطابع والكتب والأخشاب الغالية واخشاب البناء والمنسوجات والحلى والمصوغات مما دل على تقدم هذه البلاد

(معرض جمهوريَّة الأرجنتِين) — بناء معرض هذه الجمهوريَّة بجوار المعرض السابق قبلهُ وقد اعتنى فيهِ اعتناء لا مزيد عليهِ حرصاً على شهرة هذه البلاد لانها بلاد الذهب والثروة والغنى السريع وهي المقصودة من جميع انحاء العالم يتوجهون اليها افواجاً افواجاً ودائماً في ازدياد ابتغاء الرزق والوصول الى الثروة فضلاً عن رغبة حكومة هذه البلاد في ان تظهر لاختها الفرنساويَّة في الجمهوريَّة المحبة والاعتناء

وشدة المودة حتى استدعت احسن الرسامين والنقاشين الفرنساويين وعهدت اليهم مع مهندسيهم تشييد هذا المحل ولم تبخل عليهم بالمال بل نقدتهم في مصاريفهِ بالحالة الّتي هو عليها ١٢٠٠٠٠٠ فرنك مشترطة انهُ بعد انتهاء المعرض يفك البناء ليركب في بُوينوس إيريس عاصمة الجمهوريّة ولذلك صنع جميعهُ من الحديد وانواعهِ ليس الاّ فشغل في الطبقة الأرضيّة مسطحاً قدرهُ ١٦٠٠ متر مربع و ١٤٠٠ في الطبقة العليا وجاء بعد بناء مكسيكا أهم المباني الأمريكانية

وهيئتهُ الظاهرة غاية في الزخرفة كهيئتهِ الداخلة تعلوهُ قبة كبيرة حولها اربعة اصغرُ منها ويحيط بالطبقة العالية منهُ ممشى للاشراف على الخارج وللزينة وقد سُلّطت اشعة الكهرباء في نحو الف شعلة على زجاج النوافذ مجعولاً على هيئة الاحجار الثمينةَ فصار في الليل من أحسن مناظر المعرض وابهجها كذلكَ في النهارِ هو من احلاها واعلاها فكلهُ مشغول بالميناء والفسيفساء والقيشاني والنقوش البديعة ظاهرًا و باطناً داخلاً وخارجاً

والسلم المعمول بداخلهِ للتوصيل الى الطبقة العليا مصنوع من الحديد والخشب بمناسبة باقي البناء في الرونق والبهاء

وترتيب الاشياء المعروضة بداخلهِ وكيفيّة تنظيمها واتقان وضعها فضلاً عن جوْدة الأصناف ليست غريبة على من نظم هذا المحل ولا على غنى تجار تلك البلاد

ولو اردنا استيفاء هذه المعروضات جميعها لطال بنا الكلام وخرجنا عن غرض الاختصار اذ فيهِ من الحاصلات الزراعيّة والمعدنيّة والنباتيّة ما لا يحصى كثرةً فضلاً عن كونها بكيفيّة تزيد في رغبات الامم فى طلب الرحيل الى هذه البلد الّتي خصها الله بمزايا الخصوبة وسعة المعيشَة ومع هذا نذكر الآلة المبرّدَة الّتي

عرضت فيهِ وهي آلة مجعولة لحفظ اللحوم وصيانتها من التعفن و بقائها على حالتها الرطبة الطرية مهما طال الزمن وبلغ ما بلغ الأمد ولا خفاء ما في ذلك من الفائدة للعالم عموماً ولهذه المملكة خصوصاً فانها مشهورة بكثرة الحيوانات فيها فيسهل عليها بهذه الآلة نقل اللحوم مذبوحة الى اوروپا فتصلها بحالتها الطبيعية وتباع فيها باثمان اقلَّ من اثمان لحومها الناتجة فيها

(معرض البرِ يزِيلْ) أَراد أَهل هذه البلاد التفاخر بحاصلات بلادهم الزراعيَّة والمعدنيَّة وساعدتهم على ذلك مجالسهم النيابيَّة فاكتتبت بمبلغ ۸۰۰۰۰۰ فرنك واكتتب بعض المدن المهمة بما أَوصل النقود المكتتبة الى أَزيد من مليون فرنك وعضَّدهم على ذلك امبراطورهم وقتذاك دون پدرو الثاني (اما حكومتهم الآن فجمهوريَّة) فشيدوا بما تحصل بواسطة احد المهندسين الفرنساويين بناء عالياً بجوار البرج والجمهوريَّة الارجنتينيَّة عرضوا فيهِ حاصلات بلادهم بعد ان جعلوا لها معرضاً خصوصياً في رِيُودُه جَانِيرُو افتتحهُ الامبراطور بنفسهِ وعرضوا فيهِ اشياء جمة اختاروا منها ما ارسلوهُ الى هنا

وقد شغل البناء وهو من الحديد ايضاً كسابقهِ ما مسطحهُ ٤۰۰ متر (اما المعرض جميعهُ فيشغل ۱۲۰۰ متر مسطح وجعل ذا طبقات ثلاث تدور حوَل رحبة من الداخل تشرف جميعها عليها وفوقها قبة وراءها برج ارتفاعهُ اربعون متراً وفيهِ سلم الصعود الى الطبقات العليا

ووجهتهُ مزينة بالخزف المطلي والميناء مرسوم عليها صور ستة تمثل انهار البريزيل الستة وما ينبت حواليها من الأشجار والازهار وحول ذلك شارات اقاليم المملكة تعلوها الراية الوطنيَّة

ووراء المحل عنبر للنبات (سير) يشتمل على النباتات البريزيلية المزهرة في جميع فصول السنة

وحوالي هذا كله بستان لباقي النباتات والاشجار جمع المغرب والمطرب والمعجب ومغارة جعلت لبيان هيئة بعض النباتات على حالتها الطبيعية وحوض ماء غزير يصب فيهِ دائماً وابداً ماء سخن حرارتهُ ثلاثون درجة زرع فيهِ النبات المائي المسمى (ڤِيكتُورْيَا رِيجيَا) الشهير بعلوهِ وارتفاعهِ على شواطىء نهر أَمازُونْ الورقة الواحدة منهُ لو وضع عليها طفل حملتهُ على ما قيل ولونها ابيض وقطرها متر ونصف متر

ثم محل لمذاق المشروبات والمأكولات عرضت فيهِ حاصلات البلدة الغذائية مأكولة ومشروبة

وقد احتوى هذا المعرض على حاصلات مختلفة الاشكال عظيمة المقدار خصوصاً المعدنية منها مثل الالماس الخام والمصقول والأحجار النفيسة مما دل على اقتدار هذه البلاد وغناها

وقد شيد الموسيو جارْنِييهْ صاحب سكة تاريخ السكنى في السكة المذكورة بيتاً من بيوت البريزيل الواقعة على ضفاف نهر أَمازون هناك ووضع فيهِ كثيراً من الاواني الفخارية التي كانت تصنع قديماً بتلك الاصقاع استعارها من متحف رِيُودُه جَانِيرُو عاصمة هذه البلاد

ويكفي في الدلالة على عظم قدر هذا المعرض البريزيلي أن عدد من عرضوا بضائعهم فيهِ بلغ ١٦٠٠

(معرض وِينيزُولا) هو جنوبي المعرض المكسيكي جميل الشكل لطيف

الهيئة مبني على طراز العمارات الاسپانيوليّة يبلغ مسطح ارضهِ ٦٠٠ متر اشتمل على كثير من الحاصلات اهمها المعدنيّة واخشاب العمارات والصبغ ونباتات الطب والصيدليّة مما دل على ثروة هذه الجمهوريّة الواقعة في جنوبي اميريكا ذات العجائب الطبيعيّة والغرائب الصناعيّة

(معرض شيلي) بناء معرضها صغير بالنسبة لصغر الجهة المراد عرض حاصلاتها فيهِ وهو على ٦٠ مترًا مربعًا ولكنهُ في الزخرفة والاتقان من احسن المعارض المجاورة لهُ

وقد عمل من حديد ليسهل نقلهُ بعد المعرض الى سَانْتياجُو عاصمة البلاد ويحتوي على مجموعة معادن بالحالة الّتي استخرجت عليها من أَشمل المجموعات الّتي علمت الى هذا اليوم وأَوفاها ويحتوي على اشياء كثيرة من حاصلات هذه البلاد الغنيّة مثل الصوف والنيلة والكينا والأَخشاب بأَنواعها

(معرض بُوليڤيا) لقد صرحت المجالس النيابيّة في جمهوريّة هذه البلاد بمبلغ ثلاثمائة الف فرنك لتشييد محل معرضها فجاء عظيمًا فاخرًا على طراز العمارات البوليڤيّة وعرضت فيهِ حاصلات هذه الديار بأَنواعها واهمها وسبب الثروة السريعة والتقدم العاجل فيها معدنا الفضة والنحاس فضلاً عن غيرهما من المعادن والحاصلات النباتيّة والصناعيّة

(معرض جمهوريّة خط الاستواء) يشغل بناء معرض هذه الجمهوريّة الاميركيّة ١٠٠ متر مربع فقط وهو مع ذلك في غاية اللطف عمل على طراز المعابد الّتي كان يشيدها اهالي تلك البلاد للشمس وقد استعان من انشأهُ بالصور الموجودة بمتحف التروكاديرُو مصنوعة من الجبس نقلاً من المعابد الاصليّة

وقد عرضت فيهِ حاصلات البلاد بجميع أَصنافها من البن والقطن والكينا والاخشاب بأَنواعها والحبوب بأَصنافها والنباتات الطبيَّة والجلود والسكَّر والشمع والمعادن الثمينة والبلور الصخري والكبريت فضلاً عن المشغولات الدقيقة الصناعية كالدنتيلات ومنسوجات الحرير والصوف والقطن والكتان مما دل على تقدم هذه البلاد الصغيرة

(معرض جمهوريَّة نيكارَاجوَا) المحل الذي تخصص ببناء هذا المعرض هو من خشب تكسوهُ طبقة مطليَّة على شكل الآجرّ ولم يشغل مسطحاً اكبر من مائتي متر يشتمل على قاعة وسطيَّة وقاعتين بجانبيها وقد جعل في وسط القاعة الكبيرة رسم نهر نيكارا جوا مجسماً على طول تسعة امتار وعرض متر ونصف وذلك لأَنهُ الاصل في خيرات هذه البلدة الصغيرة الَّتي اجهدت نفسها وعرضت أَنفس ما عندها من المزروعات وحاصلات المعادن والمحاجر واشهى ما لديها من الطيور ذوات الشكل اللطيف وريشها الذي يستعمل للزينة فضلاً عن الروائح الذكيَّة ومستخرجاتها العطريَّة وما ذلك كلهُ الاَّ ترويجاً لتجارتها وترغيباً فيها فلذا صرفت في هذا المعرض ما يبلغ خمسمائة الف فرنك حالة كون سكانها لا يزيدون عن نصف ذلك العدد الاَّ قليلاً

ثم تفرجنا بعد ذلك على (المعارض المخصصة بباقي الجمهوريَّات الاميركيَّة) فرأَينا المخصص منها بجمهوريَّة سَانْ سَالْ ڤَادُورْ وبجمهوريَّات أُورَاجوِي وسان دُومِينِيجْ وبَارَاجوِي وهَايتي وجوَاتمَالاَ الجميعَ مختلفاً في الشكل والهيئة والزينة والزخرفة والكبر والصغر على حسب اهميَّة البلاد واتساعها كما انهُ مختلف في مواد البناء فمنهُ وهو الاكثر ما هو مصنوع من الحديد مثل الحال المتقدمة ومنهُ

ما هو مبني بالحجر والآجر ومنهُ مثل محل جوُاتِمَالا معمول من الخشب على هيئة مساكن تلك البلاد مطليّة جدرانهُ بالبوية الزيتيّة اللمأعة المعمولة على هيئة القيشاني وغيرها من الميئات اللطيفة

وهذا المحل الاخير مركب من طبقة ارضيّة وطبقة فوقها تحيط بالعليا خرجات متسعة مظللة بالمظلات المتخذة من القماش

وفي هذه الدار اشياء كثيرة من حاصلات تلك البلاد ومعادنها ومصنوعاتها واهم ذلك في الطبقة الارضيّة منها فان فيها مجموعة حيوانات وحشرات مضرة جمعها رجل فرنساوي من تلك البلاد في سنين طويلة بمشقات كبيرة فجاءت من أحسن مجاميع العالم وبالطبقة العليا كذلك حيوانات ذلك القطر مثل النمور والثعابين وبنات آوى وغير ذلك من الدواب وقل ان يوجد مثل هذه المجموعة في متاحف اوروبا

ثم في الطبقة العليا قاعة صغيرة للمطالعة وحيدة في بابها تحتوي على جميع جرائد امريكا الجنوبيّة والوسطيّة

ثم انتقلنا بعد هذه الجمهوريّات الى (المعرض الصيني) وقد اقامهُ بعض تجار مينا كَانتُون الصينيّة (وهي اقرب المواني لفرانسا وان كانت تبعد عن مرسيليا ٣٥ يوماً) بعد ان كاد الوقت ان يفوت ولم يتيسر لهم لهذا ان يجلبوا صنّاعهُ من بلادهم الاَّ انه جاء بهمة المهندس الذي شيدهُ على طراز المباني الصينيّة يُشبه الديور الّتي تُتخذ لعبادة بُودا في تلك البلاد بما حواليها من الأَبراج وما هي عليهِ من الشكل المخصوص وما بها من الزينة الخارجيّة حفرًا في الخشب وطلاءً بالبوية الكثيرة الأَلوان

وهؤلاء التجار ليسوا مع ذلك كثيري العدد فانهم خمسة عشر فقط ولا كلهم من مشهوري الاغنياء بل فيهم اثنان من المشهورين لا غير ولم يشغلوا بالبناء محلا كبيرًا لان المحل الذي كانت خصصتهُ الحكومة الفرنساوية بالصين في سراي الصناعات المختلفة كانت تصرفت فيهِ لتأخر هذه عن الاشتراك بل اعطت لهم ارضاً مساحتها ٣٠٠ متر ليس الأ مع ان اهالي الصين يزيدون عن ٤٠٠ مليون ومع هذا لم يشغل تجار كانتون جميع هذه الارض وحدهم بل اشترك معهم فيها التجار الصينيون المقيمون للتجارة في باريس من مدة مديدة بحق سبعي الارض وقد اشتمل هذا المحل مع هذا كله على بدائع وغرائب تأخذ بالابصار والالباب بحيث يعجز القلم عن سرد ما اشتهر مما احتوى عليهِ من النفائس والآثار وقد اشتمل على صنائع نفيسة واشياء غريبة دلت على مزيد تقدم هؤلاء الاقوام فهذه قشور اشجار الخيزران منقوشة بنقوش عديمة المثال وهذه المنسوجات اللطيفة من السجاجيد والبسط وغيرها مزينة بأحسن الالوان وعليها أحسن الصور والتماثيل خصوصاً واحدة منها طولها سبعة امتار وعرضها متران ونصف أخبر العارفون أَنها يعجز عن ان يأْتي بمثلها اعظم صناع العالم من حيث اتحاد الالوان وسبكها واحكام الصور وحبكها فهي في غاية البهجة كما يظهر لأي انسان رآها وهذه الستائر والمراوح من النباتات والمنسوجات وهذه مصنوعات العاج على اختلاف الاشكال والاصناف وهذه الفرش والاثاثات ونظامها واتقانها واحكامها مزخرفة بالعاج والفضة وهذه الاواني الفخارية الصينيَّة ويكفي مجرد ذكرها عن اطالة الشرح وزيادة البيان وهذه آلات الموسيقى وهذه أَدوات الزينة وهذه وهذه من كل المدهشات وسائر المطربات وجميع المعجبات في الاشكال والالوان

وبجوار هذا المعرض تفرجنا على (المعرض الهندي) — وقد اقامهُ ايضاً بعض تجار الهند فاحتوى على أنفس النفائس وأغرب الغرائب وأبدع البدائع وصار تشييدهُ على هيئة مخصوصة ذات قباب موافقة هيئات بلادهم وجعل لونهُ احمر قانياً ومن الغريب في هذا اللون انهُ أُدخِل في تركيبهِ كثير من دم الثيران الّتي تذبح في باريس والذي يتضح بادئ بدء لمن يتأمل في النفائس الّتي شملها هذا المكان والغرائب الّتي أبدعتها يد صناعة هؤلاء الاقوام أنهم كما كانوا اول المتمدنين في الصناعة والعرفان لايبعد أن يرجع اليهم دور التقدم والمعرفة ما داموا على هذا السير

(سراي الاطفال) ثم بقرب هذه المعارض سراي الاطفال وبهذه المناسبة اذكر الحال الّتي جعلت لرياضة الاطفال وتنزههم في هذا المحل وفي غيرهِ من محلات المعرض

وذلك أنهم كانوا لم يلتفتوا الى أمر الاطفال في المعارض السابقة وكان أهلوهم يضطرون إما الى تركهم بمنازلهم اثناء حضورهم للمعرض مع تشوقهم اليهِ وفي ذلك من اشتغال البال ما لا يخفى خصوصاً على من لم يكن عندهُ من يعولُ لهُ الاولاد واما ان يحضروهم معهم فيرى الكبار من عجائب الصنائع وبدائع المعروضات ما يُسرون منهُ ولكن تنقبض نفوس الاطفال من تعب المشي لمشارفة اشياء لطيفةٍ في حد ذاتها لايفقهُ كنه أمرها الاّ الكبار فأراد مؤسسو هذا المعرض تلافي هذا الضرر وتفادي هذه المحظورات فبنوا لذلك قصوراً فاخرة في جهات متعددة من المعرض لم يقصد منها غير رياضة الاطفال وتسليتهم وانشراحهم فهذا البناء الذي سمّوهُ سراي الاطفال هو من المحلات الّتي شيدت لهذا الغرض وفيهِ تلعب الالعاب المضحكة

بالاشارات (بانتوميم) والعاب الحيوانات والحواة والراقصات فضلاً عما في البستان المحيط بهِ من الملاعب اليدوية وبائعي الحلواء فيتمكن اهل الاولاد من تركهم في هذا المحل يتفرجون وهم يذهبون الى حيث أرادوا من المعرض

وهذه (سراي البحر) ملحقة بالمحل المتقدم تابعة لهُ عملت بكيفية ميكانيكية مخصوصة يخال للموجود فيها انهُ راكبٌ سفينة حقيقية في وسط لجج البحر تلعب بها امواجهُ حتى ترسوَ بالراكب بمينا من موانيء اليابان وهناك ينزل فيجد متحفاً ممتلئاً بالاشياء والملابس المختصة بتلك البلاد

وهذه (بانورامًا بواخر الشركة الترانزاتلانتيقية) اي محل رؤية بواخر الشركة المخصوصة باسفار البحر الأتلانتيقي يتخيل للرائي الذي في داخلهِ انهُ في وسط سفينة من اكبر سفن هذه الشركة تسمى لاتورين راسية مع كثير من اكبر سفن هذه الشركة في مينا هافر كانها كلها حقيقية حتى انهُ لو نزل في داخل السفينة الذي هو واقف على سطحها لوجدها على هيئة الوابورات السفرية من الداخل كما هي كذلك من الخارج مع ان كل هذه المناظر من الرسم واحكام وضعهِ وتوجيهِ الضوء الى أجزائهِ ولا حقيقي فيها غير المحل الذي اعدّ لوقوف المتفرجين عليهِ وجعل من داخله على الهيئة المطلوبة من حيث الوضع والاسلوب

وهذه (الكرة الارضية) في جهة اخرى وقد عُملت مجسمة في وسط محل مخصوص بها تحت قبة هائلة والكرة المذكورة بمقدار واحد من المليون من كرة الارض الحقيقية فيكون محيطها على ذلك ٤٠ مترًا في مقابلة ٤٠٠٠٠ كيلو متر التي هي مقاس دائرة نصف النهار الحقيقية

وكل مليمتر واحد في سطح هذه الكرة في مقابلة كيلو متر واحد في سطح

الحقيقية والمتر الوحد يقابله ١٠٠٠ كيلو متر

وقطر هذه الدائرة ٧٣٢ مليمتر واثنا عشر مترًا في مقابلة ١٢٧٣٢ كيلو متر قطر الارض الحقيقي

وفرطحة القطبين التي هي في الكرة الحقيقية ٢١ كيلومتر ليست في هذه الكرة الأ ٢١ مليمتر فهي لذلك غير محسوسة للنظر

وداخل هذه الكرة عيدان من الحديد يغطيها ٥٨٦ قطعة من الورق ممسوكة من الداخل ببعض اخشاب فيتيسر فكها واعادة تركيبها بأي مكان

ووزن هذه الكرة عشر طونولاطات من الحديد وثلاث من الورق وهي واقفة على مدار يتيسر معهُ ادارتها بالسهولة

وقد دُهنت ببوية الزيت ولم تتبيَّن فيها الجبال بارزة فان اكبرها ارتفاعاً ٨٠٠٠ متر فكان يقابلها في هذه الكرة ٨ ميليمترات وهي لا تكاد تحس

وكذلك البحار لم تتبين اعماقها منخفضة في هذه الكرة للسبب المتقدم وانما صار تلوينها بألوان تختلف بحسب أعماقها فاللون المجاور للشطوط والجزائر يدل على الأعماق التي لا تتجاوز ٢٠٠٠ متر والذي بعدهُ من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر والذي يليهِ من ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ متر والرابع من ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ متر والخامس يدل على الاعماق التي تزيد عن ٨٠٠٠ متر

وعلى جدران المحل جداول احصائيَّة عديدة تدل على سكان البلاد واهم حاصلاتها وجداول اخرى تدل على اعماق البحار وغيرها تدل على غير ذلك من متعلقات كرتنا الارضيَّة هذا فضلاً عما اشتملت عليهِ الكرة نفسها من بيان اسماء المدن وخطوط السكك الحديديَّة وخطوط الشركات البحريَّة مع بيان الامم التابعة

هي لها وبيان أماكن معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والفحم والالماس كل بلون خاص به يميزهُ عن غيره وبيان محال الثلوج في القطبين وغير ذلك من البيانات المهمة

ويوجد غير هذه الكرة ملاهٍ للاطفال داخل المعرض وخارجهُ وغيرها للرجال مثل الموسيقات الوطنية والراقصات الوطنيات التي توجد في كثير من القهاوي الموجودة في انحاء هذا المعرض كالمصرية والمغربية والسودانية والاسپانيولية والايطالية وكذلك يوجد في محلات اخرى بعض اغاني جهات افريقية وآسيا هذا فضلاً عن بعض القرى التي كأنما نقلت بتمامها من محلها الى بعض محلات انقاليد مما سيأتي الكلام عليهِ

هذا وقد رأينا ان ننتقل الى المحال الموجودة بجهة اليسار من برج ايفل لنتفرغ منها ثم نصعد اليهِ قبل ان يفوت النهار فذهبنا الى

(محل مخبري الجرائد) وقد اعد لهم هذا المحل وجعل فيهِ كل ما يلزم لهم للكتابة والمراجعة وما يستلزم ذلك من الكتب والادوات وهيئ لهم على مقربةٍ منهُ محل للبوستة ومحل للتلغراف ومحل للتليفون ثم بعد ذلك قصدنا محل

(معرض موناكو) وقد اراد اصحاب هذا البلد وان لم تساعدهم حكومتهم مساعدة مادية ان يشتركوا في هذا المعرض فاكتتبت بعض الشركات المالية بمبالغ كافية لتشييد هذا المحل فجاء غاية في الزخرفة والبهجة على طراز الابنية الايطالية المتأخرة وجعل لهُ اربعة بروج تحيط بهِ يحدق بها اشجار النخيل وغيرها من الاشجار الخاصة بالبلاد الحارة لتتم بها الهيئة وليتشكل منها معرض زراعي يحتاط بالمعرض الصناعي المنحصر في البناء

وعدد الذين عرضوا بضائعهم في هذا المحل ٣٦ وأهم ما عرضوه المياه العطرية والحاصلات الصيدلية وكثير من متعلقات البساتين وزراعة الاشجار ثم الاواني الفخارية الفاخرة والقيشانية الجميلة الصناعة واهم هذا كلهِ مجموعة النباتات البحرية وبعض الاسماك الغريبة التي استحصل عليها ولي عهد حكومة موناكو في سياحتهِ حول الارض فانها استلفتت انظار العلماء كما استحقت كتاباته التي كتبها عن سياحتهِ هذه في جريدة (رُوڤُودُه دُومُونْدْ) الفرنساوية مدحَ الكتاب والفضلاء

والذي يستدل من معرض هذه البلد واعتناء اهليها بهِ انهم يرغبون منهُ اظهار مقدرتهم في الصنائع والمعارف وقد بلغوا ما تمنوا من هذا القبيل ونالوا الاستحسان العام ويا ليتهم يكتفون بهذا الكسب الحلال عن الاستحصال على الاموال بطرق الميسر واشكالهِ من الالعاب

ثم بالقرب من هذا المحل البناء الذي أُعد لعرض اصناف الدخان التركي فيهِ من طرف ادارة التزام الدخان في تركيا فتباع فيهِ على اختلافها وكثرتها وبالقرب منهُ تياترو

(فُولي پارِيزْيين) او الهزليات الپاريسية وتُلعب فيهِ جميع الأَلعاب المسلِّية كما ان فيهِ الأَغاني المطربة وفصول الرقص المعجبة مع اطلاق الحرية للمتفرجين في الشرب واستعمال الدخان اثناء الأَلعاب ويمتاز عن التياترات المعتادة بان صُنِعت فيهِ محال اللعب وغرف التفرُّج وغالب الاماكن من الحديد الفولاذ المنقوش فصار في حد ذاتهِ ومن حيث بناؤُهُ بهذه الصفة عملاً صناعياً واثراً هندسياً يُتَفَرَّج عليهِ بخصوصهِ بصرف النظر عما يلعب فيهِ من الأَلعاب

وبجوار هذا التياتر مسكن بناهُ الانجليز من الفولاذ ايضاً لاقامة مأمور معرضهم فجاء البيتان المصنوعان من الحديد متقاربين وسهلت بذلك المقارنة بينهما لمعرفة ايهما اقرب للزينة او للمتانة ولكن الحقيقة انهما متساويان في الهندسة والنظام وحسن الصنع والانقان وان اختلفا في الشكل الظاهر هذا وعلى مقربة من هذا التياتر

(المنزلان الفنْلاَنْدِي والنرْويجِي) وقد صنعا من الخشب وحسن صنعها ووضعها وكلت زخرفتها مع انهما صنعا في بلديهما وأُتي بأَخشابهما متفرّقة وصار تركيبها هنا كما يمكن تركيبها بعد في اي محل كان وهما غاية في التناسب مع الاختصار ومراعاة الضروري وسهولة النقل هذا و بالقرب من هذين المنزلين

(محل للاكل في المعرض) نذكر بمناسبتهِ ان محال الاكل في المعرض كثيرة في كل جهة من جهاتهِ وفي اي طرفٍ من اطرافهِ مختلفة الاثمان والاشكال فيها الرخيص والمتوسط والغالي غَلاءً ليس فوقهُ غَلاء ولذلك قد نصحت الجرائد المتفرجين بالتحرُّز من هذه المحال والسؤال عن الاثمان قبل الاكل بطلب قائمة المآكل وفيها ثمن كل صنف للوقوف على الحقيقة قبل الوقوع في الورطة واجتهدت مع هذا ادارة المعرض في انقاذ الناس من هذا الضرر بالاتفاق مع اصحاب هذه المحلات على تحديد اثمان للاكل وكتابتها في قائمة تعلق خارج المحل يطلع عليها من يريد الدخول اليهِ فاذا اعجبتهُ دخل واكل والاَّ بحث عن محل توافقهُ اثمانهُ ولكن بعض هذه المحلات اعتماداً على حريّة التجارة وتمسكاً بعقد الايجار الذي بيدها من ادارة المعرض المبيح لها استعمالها لبيع المآكل بدون اشتراط اثمان امتنعت عن اجابة طلب الادارة وبقيت تتصرف كما تشاء في عباد

الله بحسب ما تراهُ

وبالقرب من هذا (معرض التليفون) عُرِضَتْ فيهِ جميع اشكال التليفون المستعملة على اختلاف كيفياتها وكيف كانت في الاول ثم كيف تحسنت الى ان وصلت الى ما هي عليهِ الآن واهم ما استجلب انظار الاستغراب فيهِ وان كان كلهُ غرائب صندوق كصناديق البوستة ذو فتحة مكتوب عليهِ العبارة الآتية وهي "ضع خمسين سنتيًا وخذ المَسْمع واصغَ تسمع من بعد الساعة كذا بعد الظهر لُعْبة كذا تلعب في تياتر كذا بباريس" فاذا اراد المتفرج ان يسمع اللعبة فليأْتِ في الوقت المخصوص ويضع المبلغ المذكور ويأْخذ المسمع ويصغى فيسمع اللعبة الموعود بها

وكيفيَّة ذلك ان شركة التليفون وضعت آلة في محل التياتر ينتقل بواسطتها الصوت من اللاعبين الى الآلة الّتي عندها يسمع السامع بمحل التليفون فاذا رمى القطعة المتقدم بيان قيمتها في الصندوق صادفت في نزولها كفة ميزان فأَسقطتها بقدر ثقلها مسافة تتحول معها الصمَّامة الّتي كانت تسُد الطريق على السامع فيسمع بذلك مسافة معلومة حتى اذا انتهت عادت الصمامة الى محلها والكفة الى حالتها قبل ان يضع فيها قطعة الفضة بحيث لو وصلت اليها قطعة غير قطعة الفضة المعلومة الوزن لم تتحرك الكفة بقدر الحركة المطلوبة فيترتب على ذلك عدم تحول الصمامة عن محلها واستمرار انسداد طريق السمع على هذا الذي اراد ان يسمعَ غِشًا بدون نقد الاجرة المقررة فخسر بهذا ما دفعهُ مهما كان قليلاً ولم يسمع شيئًا

وبعد هذا (معرض الغاز) وهو بناء مشيَّد اقامتهُ شركة انارة الغاز الباريزيَّة

من طبقتين تعلوها قبة لطيفة مزخرفة عرضت فيهِ جميع الاشكال وسائر الالوان بكيفيات استعمال الاضاءة في الشوارع وفي محلات الجلوس بهيئات مختلفة وفي محلات النوم والمطالعة ثم للطبيخ بكيفيات متعددة واساليب متنوعة ثم للتدفئة بدل الفحم والوَقُود في زمن الشتاء على طرق زائدة في الكثرة ثم في زمن الاحتفالات عوضاً عن سائر ما عداهُ من المضيئات وجعلت محلها هذا الذي اقامتهُ انموذجاً لانواع الزينة في كل ليلة داخلاً وخارجاً وساعدَها على هذا انها شيدتهُ بكيفيةٍ تمكنها من ذلك فانها اكثرت فيهِ من النوافذ وتفننت في تعدد الالوان واشكالها واتقنت قبتهُ واكثرت فيها الزخارف

وقد حثها على الظهور مزاحمة شركات الكهرباء لها حتى صار ما اجرتهُ من باب الدفاع عن النفس وصار واجباً اكيداً بهذا الوصف هذا وبجوار هذا المعرض

(منحتةُ الالماس الهولانديّة) وقد شيدها بعض التجار المقتدرين وبنوها بالحجر والآجُرّ على طراز عمارات بلادهم في اوائل القرون المتأخرة وجعلوها طبقتين العليا تشغلها ادارة المعرض والأَرضيّة مشغولة بالمنحتة

وفي وسطها طاولة مغطاة بالزجاج فيها كثير من حجارة الأَلماس صُنِعَ من بعضها شكل برج ايفل مرصوصاً (بدون ان يكون مشغولاً) على بساط من القطيفة الزرقاء وبجوارهِ في اطباق من المعدن كثير من الأَلماس ايضاً حتى بلغت قيمة ما تحت هذا الزجاج وحدهُ مليوني فرنك

وبجوانب المحل طاولة يتيسر للزائرين المرور بالقرب منها فيرون الصناع مشتغلين بتهيّيء الأَلماس وقد جلب غير مصنوع فيقطعونهُ اولاً ثم ينحتونهُ نحتاً

اوليًّا ثم يعيدون نحتهُ وتهذيبهُ بواسطة محكّات تديرها قوة الغاز

وبجوار هذه المحكّات والآلات الجديدة المسنّات التي كانت تستعمل في القرن الخامس عشر وتدار بالرجل ليتبين الفرق بين هذه وتلك

ويتصل هذا المحل بمحلات البوليس بواسطة التليفون للاستعانة عند الحاجة اتماماً للنظام ولكي لاينقص لهذا المعمل الالماسي شيءٌ اصلاً

وبجوار هذا المحل بناءٌ شيدتهِ ادارة احتكار الدخان فأَرت فيهِ كيف يصنع بالدخان من حالتهِ الاصليَّة حتى يصير سجاير موضوعة في علبها كل ذلك بآلات البخار للسهُولة والاسراع وتوفير اجر العمال هذا وبمفارقتنا هذا المحل وصلنا الى

﴿ برج ايفل ﴾

وحيث كان هذا البرج اهمُّ شيءٍ استلفت الانظار في هذا المعرض وهو من أعظم أعمالهِ وانتشر صيتهُ وشاع ذكرهُ ورسم على اشياءَ لاتحصى بالتصوير والتجسيم وانتقلت هذه الصور من باريس الى سائر انحاء الارض شأن كل عجيب مرغوب رأينا ان نتكلم عليهِ بايضاح اكثر من غيرهِ وان نطنب في وصفهِ حسب ما هو عليهِ فنبتدئ بذكر

(اساسَاته) قد ابتدئَ في عمل تجهيز اللازم لها في يوم ٢٨ يناير سنة ١٨٨٧ فانتشرت الفعلة في جميع انحاء المكان تقلع الاشجار (حيث كان بستان قائم على المحل الذي بهِ البرج الآن) وتحفر الاساسات وتجهز المحل اللازم للعمل في هذا البرج العظيم فان البرج المذكور يشغل مسطحاً قدرهُ اكثر من ١٦٠٠٠ متر مربع وكل ضلع من اضلاع مربعهِ ١٢٩ مترًا و٢٢ سنتمتر فهو على ذلك يشغل ارضاً تقرب من

اربعة افدنة فان الفدان ٤٢٠٠ متر و٨٣ سنتمتر وهو قائم على اربعة عمد يعبر عنها بالارجل او الاكتاف وضعت في الجهات الاصليَّة الاربعة فالرجلان اللتان من جهة النهر الاولى منها (على يسار الآتي من الجهة التروكاديرو) في نقطة الشمال والثانية (على يمين الآتي من الجهة المذكورة) في نقطة الغرب والرجلان الاخريان احداها على نقطة الشرق والاخرى على نقطة الجنوب

(في ارض الاسَاسَات) اختبر المسيو إيفِلْ بواسطة المجسَّات تركيبَ الارض الَّتي يراد وضع اساسات البرج عليها اختبارًا جيدًا وعرف ان الطبقة السفلى منها مكونة من طبقة من الطفل المندمج سمكها ١٦ مترًا تقريبًا مرتكزة على طبقة طباشيرية وان هذه الطبقة السفلى كافية لتحمل الاساسات وانها مائلة قليلاً متجهة في انحدارها نحو نهر السين وان فوقها طبقة ثانية من الرمل والزلط مندمجة ارتفاعها في البعد عن النهر من ٦ امتار الى ٧ امتار وفي القرب اقل من ذلك فانهُ أثَّر فيها فعل المياه بالنحر حتى كادت ان تكون معدومة

وفوق هذه الطبقة الثانية الرمليَّة طبقة ثالثة طينيَّة مختلطة بالرمل الناعم والردم المختلف الاجناس لا تتحمل الاساسات

فاضطرَّ المسيو إيفِلْ الى اتخاذ احتياطات خصوصيَّة واستعمال طريقتين مختلفتين في الاساسات بحسب حالة الارض

فاما الرجلان البعيدتان عن النهر فانهُ امكن بالسهولة تأسيسهما على كتلة من الخراسانة سمكها متران صنعت من الاسمنت في الهواء المطلق حيث وجدت الطبقة الرمليَّة الزلطيَّة اللازمة لتحمل الاساسات على منسوب ٢٧ مترًا+ (اعني فوق سطح البحر المالح وهذا المنسوب يعادل منسوب سطح مياه السين المعتدل في الحالة

المتوسطة) وسمكها ستة امتار في هذا المكان

واما الرِّجلان القريبتان من النهر فانهُ صار تأْسيسهما بطريقة غير الاولى وذلك لان الطبقة الرمليَّة الزلطيَّة اللازمة لتحمل الأَساسات لم توجد الاَّ على منسوب ٢٢ مترًا + اعني على عمق خمسة امتار تحت سطح مياه نهر السين ولا يتوصل الى هذه الطبقة الاَّبعد اختراق ارض وحليَّة مستحدثة من الطمي الجديد ولهذا اضطر المسيو ايفل الى استعمال طريقة التأْسيس بالهواءِ المنضغط بواسطة صناديق من الصاج طولها ١٥ مترًا وعرضها ٦ أَمتار موشحة بقطع من الحديد قوية واستمر نحو الثلاثين من الفعلة يشتغلون مدة شهرين داخل هذه الصناديق تحت ضغط هواءٍ مكبوس بواسطة آلات أُعِدَّت لذلك لحفر ما يوجد تحت أَرجلهم من الطين الرِّخو والأَوحال واخراجها حتى انزلوا هذه الصناديق الى عمق خمسة امتار تحت الماءِ وملأُوها بالخراسانة صبًّا وقد جعل لحمل كل رجل من الارجل الاربعة للبرج اربعة من هذه الصناديق

ثم غطيت هذه الخراسانات في الأَرجل الأَربعة بمداميك من الحجر النحت المأْخوذ من محجر شَاتُولاَ نْدِنْ ومقاومة هذا الحجر للتفتت تبلغ ١٢٣٥ كيلوجرام على السنتيمتر المربع في الحد المتوسط مع ان الضغط الواقع من البرج تحت مواقع الارجل لم يبلغ سوى ٣٠ كيلوجرام على السنتيمتر المربع فالحجر لا يشتغل حينئذٍ الاَّ بقدر جزء من اربعين جزءًا من مقاومتهِ الحقيقية وعلى ذلك تكون شروط الأَمن متوفرة وزيادة

(المكابس الايدرُولِيكيَّة اي المائية) ومع ما ذكر فان المسيو ايفل زيادةً في الاحتياط ورغبةً في مداركة ما عساهُ ان يحصل لأَرجل البرج من الهبوط وقتًا

ما قد ندبر في كيفيَّة لارجاع البرج الى حالة موازنتهِ الاصليَّة فوضع لهذا الغرض تحت كل رجل من ارجلهِ مكبساً أيدروليكيًّا من قوة ٨٠٠ طونولانه يتيسر بواسطتهِ في اي وقت رفع كلٍّ من الأرجل بالقدر اللاَّزم لارجاعها الى حالتها الاصليَّة .

وقد ترك في قاعدة أحد الارجل كهفاً معدًّا لوضع الآلات وقزاناتها اللازمةِ لعمليَّة تشغيل المراقي

وقد اخذ من اجل صرف الكهربائيَّة الجويَّة من مبدإِ الامر احتياطات قويَّة فوضع لكل رجل من الارجل ما سورتان من الزهر قطر الواحدة منهما خمسون سانتمترا صرفها الى اعماق الارض وهما متصلتان بقاعدة الرجل الحديديَّة ونازلتان رأسياً الى مُستوَى الطبقة المائيَّة فتنعطفان افقياً في الطبقة المذكورة على طول ١٨ مترًا منها

(تركيب البرج) في ٣٠ يونيو سنة ١٨٨٧ ابتدئت أعمال تركيب الاجزاء المعدنيَّة للبرج وكانت الصعوبة الأصليَّة في هذه المسأَلة منحصرة في كيفيَّة وقوف الاضلاع الرئيسة من الاكتاف اذ كان واجباً وضعها في الفراغ وضعاً مائلاً وهو ما يعبر عنهُ في أشغال العمارات بالتركيب على الخلو (ومن المعلوم ان هذه المسأَلة دقيقة جدًّا في حد نفسها لان منشئَ البرج واعوانهُ لم يسبق لهم الى ذلك الحين انهم انشأُوا عملاً مثل هذا في الجسامة والدقة ولو انهم سبق لهم القيام بأَعمال مهمة كبيرة) فأَخذوا لذلك في التجارب وعملوا من الخشب نموذجاً صغيرًا لاحد الاكتاف درسوا عليهِ الطرق اللازمة لاستناد هذا الجسم عليهِ بارتكازهِ كلما ارتفع على نقط ارتكاز خفيفة بواسطة ما وضعوهُ تحتهُ من العيارات والتخاشيب المرمية

الشكل الى ان استدلوا بالحساب على ان لزوم هذه النقط الارتكازيّة لا يكون الّا بعد ارتفاع ٢٦ مترًا وعلى هذا عند ما وصل تركيب الاضلاع الرئيسة للاكتاف الحديديّة الى ارتفاع ٢٦ مترًا كانت العيارات والتخاشيب المعدة للارتكاز حاضرة فانها هيئت والعمل جارٍ في اسفل الاكتاف وقد وضعوا فوق هذه التخاشيب علبًا مملوءة بالرمل معدة لان تركز عليها الاجزاء الحديديّة وبوصول الارتفاع الى ٢٦ مترًا أخذ مركز ثقل جزء كتلة الكتف الذي تمّ انشاؤهُ في ان يسقط خارجًا عن مربع القاعدة ولكن سندتهُ التخاشيب وامكنهم بهذا ان يسيروا في العمل الى ما فوق ذلك مع التحميل على الخلو في وضع جديد بعد نقطة الارتكاز الاولى وهكذا استمرّ العمل حتى وصلت الاضلاع الرئيسة من الاكتاف الى نقطة ارتكازها العُلويّة وهي الاعتاب الافقيّة للطبقة الاولى من البرج الّتي هي كناية عن قناطر منصوبة على ارتفاع ٤٨ مترًا وعلى عرض ٤٢ مترًا لكل واحدة من هذه القناطر

(تعشيق الحدائد يبعضها وربطها) ان هذه الاعتاب الحاملة للطبقة الاولى من البرج لم يكن ممكنًا مدُّها في الفراغ لأَنها ليس لها نقطة ارتكاز فحملوا لحملها قبل ان تصلها الاكتاف في مكان الفسقيّة الجميلة الّتي أَنشأَها سان ويدال بعد ذلك تحت البرج في النقطة الوسطيّة منهُ اربعة عمد هرميّة من التخاشيب ارتفاع كلٍّ منها ٤٥ مترًا وضعت عليها الاعتاب الكبيرة المقنطرة الّتي ستتصل بها أَرجل البرج الاربعة وبذلك زالت أَصعب صعوبات العمل

ولاجل تطابق نقط ارتكاز الأَضلاع الرئيسة مع الاعتاب الافقيّة من الطبقة الاولى تطابقًا تامًّا انزلوا كميّة من الرمل الموجود بالعُلب المُسْنِدَةِ للاضلاع

الرئيسة المذكورة فتسبب عن ذلك انحطاط في الاكتاف بهِ تقاربت تدريجياً من رؤوس الاعتاب التي كانت ثابتة كما تقدم فوق عمد وبهذا امكن تطابق القطع المقصود ربطها يبعضها بغاية الضبط وقد نجح هذا العمل حتى إن الثقوب المعدة لربط اطراف الاكتاف بالاعتاب البالغ عددها ٢٠٠ ثقب تطابقت تطابقاً كلياً مع بعضها بحيث لم يحتج الحال الى توسيع أدنى ثقب لاجراء عملية البرشمة

(العيَّارات) وقد صار رفع الاجزاء المعدنيَّة الى ما علا من البرج لتركيبها بواسطة اربع عيارات صار تثبيتها على طول الاكتاف فترتقي بواسطتها القطع الحديديَّة على اختلاف حجمها واثقالها حتى تصل الى الصناع المتعلقين في حديد البرج تعلق النواتيَّة بحبال السفينة

وان منظر هذه العيارات لمنظر عجيب حين ما كانت تشتغل برفع هذه الأثقال فتسير بها ذات اليمين وذات اليسار داخل اطراف البرج وخارجها حتى تصل بها الى محلها المعدّ لها بكل إحكام

فلما ارتفع البرج الى أزيد من ١٥٠ مترًا استبدلت هذه العيَّارات بآلة واحدة رافعة بخاريَّة

وسارت الأعمال على درجة من السرعة والتقدم الغريب حتى انتهى العمل الى الطبقة الثانية في مسافة اثني عشر شهرًا وتيسر ايقاد الصواريخ الباروديَّة لمناسبة حلول العيد الاهلي في يوم ١٤ يوليو سنة ١٨٨٨ على ارتفاع ١١٥ مترًا وفاءً بما وعد المسيو ايفل

(المُرقِيَات) يوجد مُرقيات للصعود من الارض الى الطبقة الاولى على طريقة (رُو) و(كمْبالُوزِييه) و(لُو بَاجْ) ويُصعَد من الطبقة الاولى الى الثانية

بواسطة مُرْقٍ على طريقة أوتيس وضع في الكتف الجنوبي فيَصعَدُ من الطبقة الاولى الى الثانية فقط دون ان يصعد من الارض

ويوجد مُرْقٍ آخر على طريقة أُوتِيسْ ايضاً موضوع في الكتف الشمالي صاعدٌ من الأَرض الى الطبقة الثانية بدون وقوف في الطبقة الاولى ويصعد مرقٍ على طراز إِيدُو من الطبقة الثانية الى الطبقة العليا تحت القمة وجميع هذه المراقي تحركها المياه وسنشرحها هي وكيفيَّة تَسييرها على قدر الامكان

(مُرْقِي رُو ودفيقيهِ) ان اختلاف مرقِي رو هذا عن المراقِي الاعتياديَّة منحصر في ان المسيو رو ودفيقيهِ عوَّضوا الساق المستقيم المعمول من قطعة واحدة في المرقيات الاعتياديَّة بساق مركب من جملة عقل متعشّقة في بعضها من اطرافها تعشقاً مَفصلياً كل عقلة منها تدفع العقلة الّتي فوقها ويتكوَّنُ من هذه العقل شبه جنزير حلَقِيّ لافٍ من الاسفل على عجلة موضوعة فوق ارض البرج ومن الأَعلى على بكرةٍ بمحاذاة الطبقة الاولى يدور عليهما كما يدور حبل الساقية والمركَبَةُ المعدَّة لجلوس الصاعدين والنازلين مرتبطة في احد فرعي هذا الجنزير من احد جوانبها وتتحرك بتحركهِ ومن الجانب الآخر مرتبطة بجنزير كالاول فكأَن المركبةَ مجذوبةٌ بجنزير مضاعف واذا حصَل قطع في الجنزير تقِف المركبة مكانها بواسطة حافظ أَعدُّوهُ لذلك

وتحصل حركة الجنازير بواسطة ضغط مكابسها بالماء المخزون في حيضان موضوعة في البرج على ارتفاع ١١٥ مترًا

وسرعة صعود هذا المرقِي ونزولهِ متر واحد في الثانية وكل مركَبَة تسع مائة راكب فتصل الى الطبقة الاولى او تنزل منها الى الارض في اقل من دقيقة

واحدة ليس الاَّ

(مرقي أوتيس) هذا المرقي على الطراز الاميركاني وقد وضع من اجله اسطوانة من الزهر في كتف البرج مائلة بميل الاضلاع الرئيسة وفي داخل هذه الاسطوانة يتحرك مكبس بواسطة الماء المأخوذ من حياض موضوعة في الطبقة الثانية اعني على ضغط احد عشر أو اثني عشر جوًّا وساق المكبس يدفع شبه عربة مثبت بها ست بكرات متحركة وكل بكرة من هذه البكرات يناظرها بكرة ثانية في الطبقة العلوية المقصود الوصول اليها قطرها كقطرها بحيث يتكوَّن من مجموع ذلك شبه عيَّار يمر حبله العمومي على بكرات تحويل موضوعة من مسافة الى مسافة لغاية مافوق الطبقة الثانية ثم ينزل ليتعلق بمركبة المرقي وينتج من هذا الترتيب انهُ كلما تحرك المكبس مترًا واحدًا في الاسطوانة ترتفع المركبة او تنخفض بقدر اثني عشر مترًا والحبال المعلق بها المركبة مصنوعة من سلوك من الصلب عددها ستة كل واحد منها كافٍ وحده لحمل المركبة وما بها من الركاب بدون أدنى ضرر عليه وقد وضعوا ايضاً تحت المركبة آلة أمن ذات فكوك تمنع بنفسها الخطر بمجرد انقطاع اي حبل او بمجرد حدوث طول غير اعتيادي في اي حبل من الحبال

ولا تسع هذه المركبة الاَّ خمسين راكبًا لكن يكون سيرها مترين في الثانية اعني ضعف سير المرقى السابق فتكون نتيجتهما واحدة

(مرقى إيدو) يتركب هذا المرقى من مركبتين مرتبطتين معاً بواسطة حبال تنقل احداها الركاب من الطبقة الثانية الى نصف المسافة بينها وبين الثالثة وتنقلهم الثانية من هذه النقطة المتوسطة الى النقطة العليا

فاما المركبة الاولى فمحمولة على مكبسين مائيين مرتبطين من طرفها العلوي

ارتباطاً مفصلياً في حمّالة تحمل المركبة من وسطها ويخرج من هذه الحمالة ومن نفس المركبة المحمولة عليها أربعة حبال تمر على بكرات مثبتة في قمة البرج وتنزل حتى تتصل بالمركبة الثانية واثنان من هذه الحبال يرتبطان بحمّالة موضوعة في وسطها المركبة الثانية المذكورة والحبلان الآخران مثبتان مباشرة في جسم هذه المركبة ومعدّان للأمن في حالة حصول ضرر للآخرين

وهاتان المركبتان ترفع الواحدة منها ٧٥٠ شخصاً في الساعة الواحدة فان مسطح كلٍّ منها ١٤ متراً مربعاً وتسع الواحدة منها ٦٣ شخصاً في المرة الواحدة

ولما كانت كل مركبة لا تقطع سوى نصف المسافة بين الطبقتين الثانية والثالثة استلزم الحال انتقال الركاب من احداها الى الاخرى في منتصف المسافة ويحصل هذا الانتقال بواسطة طريقين ممتازين عن بعضها لعدم الازدحام وضياع الزمن لو كانت الطريق واحدة هذا وتبلغ سرعة الصعود ٩٠ سنتمتر في الثانية فيصل الصاعد في مسافة دقيقة ونصف دقيقة الى المسافة المتوسطة وفي مثلها منها للطبقة العليا ويقضي دقيقة واحدة للانتقال من احداها الى الاخرى فتكون الجملة اربع دقائق لأجل الصعود من الطبقة الثانية الى الثالثة او النزول من هذه الى الثانية

ولكلٍّ من المركبتين آلة أمن قويّة لاجل حفظ الركاب من كل خطر بحيث لا يخشون شيئاً مهما حصل للمركبة ولو انكسر اي قسم منها

وترفع المرقيات كلها في الساعة الواحدة ٢٣٥٠ شخصاً الى الطبقتين الاولى والثانية و ٧٥٠ شخصاً الى القمة ويمكن لعشرة آلاف نفس ان يوجدوا في آن واحد على البرج في طبقاتهِ المختلفة وسلالمهِ ومرقياتهِ بدون ان يحصل فيهِ ادنى ازدحام

(سلالم البرج) صُنعت سلالم لصعود هذا البرج في كلٍّ من الكتفين الشرقي والغربي عرض كل درجة فيها متر واحد ذات بُسَط كثيرة يُصعد بواسطتها من الارض الى الطبقة الاولى بكل سهولة

أما من الطبقة الاولى الى الطبقة الثانية فقد جعلت سلالم حلزونيَّة اربعة في كل كتف من الاكتاف سلم عرض الدرجة فيهِ ٦٠ سنتمتر وقد خُصِّصَ اثنان منها بصعود المتفرجين واثنان بالنزول

وتكفي هذه السلالم لان يمر منها الفا شخص في الساعة الواحدة صاعدين وهابطين

(في الصعود بواسطة السلالم) لا شك ان الصعود بواسطة السلالم انزهُ واجمل من الصعود بواسطة المرقيات وان كان اقلَّ راحة منهُ لأَن الرائي يتمكن بواسطتها ويتمتع بمناسبتها من مناظر غاية في العِظَم فكأَنما هو طير في قفص من الحديد جميل الصنع وكأَنما ساحة الشان دُه مارس بما فيها من الأَبنية الفاخرة والاماكن المزخرفة يزداد مجموعها وضوحاً حين يراها صاعداً فتزداد في عينهِ حلاوة وطُلاوة هذا اذا نظر لجهة الارض اما اذا نظر الى جهة العُلُوّ فيرى نفسهُ كأَنما هو في سفينة عظيمة الحجم منسوجة من الحديد جميع حبالها وأَدواتها منهُ وكأَنما بجانبهِ شريطا سكة حديدية منصوبان على الارض ليمر عليهما وابور كبير الحجم وما هما الأمر احد المرقيات الّتي سبق الكلام عليها وهو لا يزال مستمرًّا في الصعود فيمر على مخازن الطعام واماكن الطبخ الّتي جُعِلت في الطبقة الاولى من البرج ويصل بعد قليل الى الطبقة الاولى نفسها ويشاهد بقرب وصولهِ الإنحناآت في الحدائد وتغيُّر الاشكال واختلاف الاتجاهات فيها

ويرى الرائي من هذه الطبقة مدينة باريس الزاهرة وقباب أَبنيتها الذهبية الناضرة واعتدال شوارعها وانتظام طرقاتها وإِحكام ميادينها ومنتزهاتها مما لا يدخل تحت الوصف ولا يبلغ مداه الاحصاء

والصعود لهذه الطبقة بواسطة السلم في غاية السهولة لا سيما اذا لم يجهد الانسان نفسهُ ومشى الهوينا متكئاً على الدرابزين الحديد الذي بجانبهِ وعدد درجاتهِ ٣٥٠ و يلزم لصعودها من سبع دقائق الى ثمانية ليس الاَّ

ومن الطبقة الاولى الى الثانية يكون في الصعود بعض الصعوبة لازدياد عدد الدرج فيهِ ولكون شكل السلم حلزونياً وعدد الدرج فيهِ ٣٨٠ يلزم لصعودها نحو عشر دقائق

ومن الطبقة الثانية الى القمة يوجد سلم حلزوني ايضاً ارتفاعهُ ١٦٠ متراً ولكنهُ مختصٌ بخدمة البرج وعمالهِ فلا يصعد فيهِ الاجانب وعدد درجاتهِ ١٠٦٢ درجة فيكون عدد درجات سلم البرج من الارض الى القمة ١٧٩٢ درجة

(نظام الصعود الى البرج) تُفتح ابواب البرج للزائرين كل يوم من الساعة ٩ صباحاً الى الساعة ١١ بعد الظهر انما لا تُعطى اوراق بعد الساعة العاشرة وتبتدئ حراس البرج بدعوة الزائرين للنزول منهُ ومبارحتهُ من الساعة ١٠ ونصف

وتُعطى تذاكر الصعود من الارض الى كل الطبقات ومن كل طبقة الى ما فوقها

ولا يقبل اكثر من مائة شخص في المُرقيات الَّتي تصعد الى الطبقة الاولى ولا اكثر من خمسين في الَّتي تصعد للثانية ولا اكثر من سبعين في الذي يصعد من الثانية الى القمة

والسلالم قد تخصص بعضها بالنزول وبعضها بالصعود كما مرَّ وتُغلق الابواب الموصلة من الطبقة الاولى الى الثانية من غروب الشمس اما السُلَّم الذي يصعد بهِ من الثانية الى القِمة فلا تقبل فيهِ الاجانب أصلاً كما مرَّ

(تعريفة الصعود)

	في ايام الاسبوع	في ايام الاحد والاعياد	
		من الساعة ١١ الى الساعة ٦	قبل الساعة ١١ وبعد الساعة ٦
	فرنك	فرنك	فرنك
من الارض الى الطبقة الاولى بالمرقي او بالسلم	٢	١	٢
من الطبقة الاولى الى الثانية بالمرقي او بالسلم	١	٠,٥٠	١
من الثانية الى الثالثة بالمرقي	٢	٠,٥٠	٢

فتكون حينئذٍ اجرة الصعود من الارض الى القِمةِ في ايام الاسبوع خمسة فرنكات ولا فرق بين المرقيات والسلالم في الاجرة ولا في التذاكر

وقد جعلت ستة عشر مكتباً تُوزَّع منها التذاكر عشرة في الطبقة الارضيةَّ واربعة في الطبقة الاولى واثنان في الثانية

والاوراق تختلف الوانها فالتي للطبقة الاولى زرقاء والّتي للثانيةِ بيضاء والّتي للقِمة حمراء وهي الوان العلم الفرنساوي المثلثة بحسب ترتيب وضعها فيهِ

وتسع السلالم والمرقِيات ان يصعد فيها للبرج خمسة آلاف نسمة في كل ساعة

(الطبقة الاولى) تبعد الطبقة الاولى عن سطح الارض ٥٧ مترًا و٦٣ سنتمتر

ومسطح ارضيتها ٤٢٠٠ متر مربع وهي مفتوحة من وسطها على مسطح ٩٠٠ متر مربع فيرى الناظر من هذه الفتحة ارض البرج المحصورة بين اكتافهِ الاربعة ويُطلُّ على الفسقيَّة البديعة التي عملها سَانْ ويدال تحتهُ

وحوالي هذه الطبقة ممشى ذات عقود طولها ٢٨٣ مترًا وعرضها متران وستون سنتمتر

وقد شيد في هذه الطبقة أَربعة اماكن أُعدت للطعام يسع الواحد منها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نسمة جيدة الصنع بديعة في الاتقان وحسن الوضع جُعِل في أَحدها محل بَارْ (محل بيره واكل) على الطراز الفلامندي وفي ثانيها محل اكل روسي وفي ثالثها بار على الطراز الانجليزي الأَميريكاني وفي رابعها محل اكل فرنساوي

وقد جُعِلت اماكن الطباخة وتخزين الانبذة والاشربة اللازمة لهذه المحلات منحطة عنها يُنزل اليها بنحو عشرين درجة فهي مرتفعة عن سطح الارض بنحو خمسين مترًا فقط يُطبخ فيها ويُستنار بابخرة المياه والكهرباء فلا يدخلها الغاز لانهُ لايستعمل الاَّ في إِنارة محلات الأَكل

وقد نُقِشَت في أَعلى محلات هذه الطبقة اسماء العلماء وكبار المهندسين الفرنساويين الَّذين اشتهروا في هذا القرن باختراعاتهم ومعلوماتهم فكأَنما هذا البرج صار تشييدهُ تحت حمايتهم وبعين عنايتهم اذ لولاهم ولولا اختراعاتهم لما تيسر تشييدُه بهذه الحالة ولما تُوُصِّل الى اقامتهِ بهذه الكيفيَّة

وعلى هذه الطبقة دعا المسيو ايفل في يوم ٤ يوليو سنة ١٨٨٨ نحو مائة من كبار محرري الجرائد الباريسيَّة لتناول الطعام وكانوا اول من صعد الى البرج

بعد صنّاعهِ

(الطبقة الثانية) تبعد هذه الطبقة عن سطح الارض ١١٥ مترًا و٧٣ سنتمتر واتساع كل ضلع من اضلاعها ثلاثون مترًا والى هذه الطبقة كانت اكتاف البرج الاربعة منفصلة عن بعضها وهكذا تبقى الى سقف هذه الطبقة فحينئذٍ تتصل ببعضها ويتكوّن منها عمود واحد يصعد من هذه الطبقة الى القمة

ومسطح هذه الطبقة ١٤٠٠ متر مربع القسم الوسطي منها مخصص بالانتقال من المرقيات التي توصّل هذه الطبقة بما تحتها الى المُرقيات التي توصّلها بما فوقها

وقد صعدنا اليها بالمُرقي وكان الزحام على الصعود شديدًا اذ هو لا يتيسر لكل واحد الا بحسب ترتيبهِ في الحضور فطالت مدة الانتظار علينا حتى زادت عن الساعة الى ان اتت النوبة لنا فوصلنا هذه الطبقة ووجدنا فيها محطة انتقال الصاعدين والهابطين كما مرَّ وفي وسطها محل اتخذتهُ جريدة الفيجارو الباريزية الشهيرة وسمّتهُ باسمها ووضعت فيهِ ما يلزم من أدوات الطباعة ومن يُراد من المحررين والكتاب وجعلتهُ لاصدار جريدة يومية سمتها باسمها (فِيجَارُو) وخصصتها باعمال المعرض وعجائبهِ وغرائبهِ فكأنها ارادت ان تعرض في هذا المعرض كيفية تحرير جريدة وطبعها ونشرها فوضعت آلة من احسن الآت الطبع (ماريِنُوني) يحركها الغاز وجعلت نخبة من محرريها يتولّوْنَ امر التحرير والتسطير وكثيرًا من الجماعين والطبّاعين في هذا المكان الخشبي البديع الاتقان وجعلت لكل من يزور إدارتها هذه الحق في أن يكتب اسمهُ في دفاتر اعدّتها لهذا وجعلت على نفسها أن تطبع هذه الاسماء بالتوالي في اعداد هذه الجريدة المخصوصة فكتبنا اسماءنا وجعلت لكل زائر فوق هذا أن يستلم نسخة يومها الذي طبعت فيهِ هي فاستلمناها

بعد دفع ثمنها وقد طُبع عليها ما يأتي ترجمتهُ

"هذه النسخة سُلّمت تذكارًا لزيارة كشك الفيجارو في الطبقة الثانية من برج ايفل على ارتفاع ١١٥ مترًا و٧٣ سنتمتر من سطح ارض شان دُه مارس ثم ختم الجريدة وفيهِ اسم الكشك والبرج وتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٨٨٩"

وقد لخصنا من هذه الجريدة بعض ايضاحات متعلقة بدرجة الحرارة في البرج في يوم صدورها وعدد من صعدوا الى البرج في اليوم الذي قبلهُ وعدد من دخلوا المعرض في اليوم المذكور

اما درجة الحرارة فكانت في نصف الليل ١٩ وفي الساعة ٦ صباحًا ١٦ وفي وقت الظهر ٢١ وفي الساعة ٥ و٣ بعد الظهر ٢٣ فوق الصفر

واما عدد من صَعِد الى البرج فبلغ ١٢,٧٠٥ من الارض الى الطبقة الاولى و٢,٥٣٥ من الارض الى الطبقة الثانية و٦,٩٢١ من الطبقة الاولى الى الثانية و٤,٢٣٤ من الطبقة الثانية الى القمة

وبلغ عدد من دخل المعرض من المتفرجين الذين يدفعون اجرة على الدخول ٢١٢,٣٨٣ نسمة

وجريدة الفيجارو الاصلية من اهم الجرائد الفرنساوية شهرةً وانتشارًا يطبع منها في اليوم ٨٠٠٠٠ نسخة يحررها احسن المحررين تبلغ مرتباتهم الشهرية ٦٠٠٠٠ فرنك وهي لشركة ذات سهام كانت قيمة السهم الواحد المدفوعة منها ٥٠٠ فرنك اما الآن وقد تقسم السهم الواحد الى ثمانية سهام فيساوي الواحد من هذه ١٣٠٠ فرنك فصار من دفع ٥٠٠ فرنك في الاسهم الاولى يمتلك الآن سهامًا في مقابل ذلك قيمتها ١٢٤٠٠ فرنك

هذا وحول كشك الفيجارو المذكور بالبرج ممشى عظيمة طولها ١٥٠ مترًا وعرضها متران وستون سنتمتر مطلة على ما تُشْرِف هذه الطبقةُ عليهِ من الامكنة والبقاع فيرى الرائي ما هو فوق التصور من باريس وآثارها وعماراتها ويرى نهر السين يقتسم هذه المدينة الباهرة كانما هو زنار من الفضة في وَسَط فتاة ويرى من هذا العلو في ساحات الشان ده مارس نقطًا صغيرة سوداء هي العالم المجتمع في ذلك المكان ويرى بعد هذا كلهِ ما وراءَ باريس من الغابات والآكام مد البصر وحد النظر مما يعجز قلم البليغ عن وَصْفهِ ويقصر لسان الفصيح عن رصفهِ

(الطبقة الثالثة) ليس للوصول الى هذه الطبقة غير طريق واحد هو طريق المرقيات على ان الراكب فيها يستبدل مُرْقِيَةً بغيرهِ في وسط المسافة كما مرَّ في ذكر المرقيات

وهذه الطبقة على ارتفاع ٢٧٦ مترًا و١٣ سنتمتر وهي عبارة عن قاعة متسعة الاطراف عرض الضلع من اضلاعها ١٦ مترًا و٥٠ سنتمتر تسع نحو ٨٠٠ نسمة ويحيط بها حاجز من البلور ليقي الزائرين من البرد والرياح وبعدة جهات من تلك القاعة منظارات عاديّة وفلكيّة تختارُ منها ما شئتَ لتنظر ما تريدُ والفلكيّة كل واحدة منها موجهة الى جهة من ضواحي باريس وتلك الجهة مبينة على خريطة موجودة بجانب تلك المنظارة ومقدارُ ما يراهُ الرائي يختلف بحسب حدة البصر وقلتها وبحسب اتقان المنظارات واحكامها وحسن صنعها ومعرفة استعمالها وبحسب صحو الجو وقلة ذلك ولهذا قد يرى الرائي الى تسعين كيلومتر وربما بلغ مقدار المرئي بالتحري والمعرفة وصفاء الجو الى مائتي كيلومتر

وان هذا المنظر لمنظر بهيج يبهر الناظر اذ يرى باريس وما حولها من القصور

المشيدة والمباني الجسيمة العديدة والشوارع والحارات والميادين والطرقات والبساتين والمنتزهات والاشجار المتكانفة والظلال الوارفة والانهار والغدران والانسان والحيوان كانها لم تكن شيئاً يذكر فهذه شوارعها وطرقاتها وميادينها وحاراتها على ما فيها من الاتساع كانها بيوت نحل او طرق نمل وهذه بساتينها ومنتزهاتها كانها حشايش لا تتميز وهذه سكانها أُولوا المعرفة والنشاط والحركة كانهم نقط سود او نمل يذهب و يعود

فاذا أمعن الانسان النظر وقارن بين باريس وهو فيها يجول في شوارعها ونواحيها ممتع الطرف بمنتزهاتها الزاهرة وقصورها الفاخرة ورأى ساكنيها على ما هم عليهِ من الاعجاب والخيلاء و بين الحالة التي هي عليها الآن وهو بهذا المرتفع زاد في العجب والاستغراب

فلبثنا ملياً باهتين متعجبين مما رأيناهُ ثم اخذنا نذكر فضل الانسان ونمتدح اجتهادهُ ونشاطهُ حيث بلغ بهِ الدرجة القصوى من المعرفة وحدانا ذلك الى تمجيد الخالق سبحانهُ الذي خلق الانسان وعلمهُ البيان

وقد دخل الليل وآن وقت الانصراف فقصدنا النزول واذا قد وقع نظرنا على صندوق من صناديق البوستة المعدة لوضع الخطابات فاشتريت ورقة بوستة وكتبت فيها السلام لسعادة صهري العزيز الامير الجليل احمد باشا السيوفي واحبابنا بمصر ووضعتها في هذا الصندوق

(ألقِمَّة) ليس للزائرين ان يتعدوا الطبقة الثالثة وهي على ارتفاع ٢٧٦ متراً وثلاثة عشر سنتيمتر كما مرّ

أما ما فوقها فقد صار تقسيمهُ الى عدة قاعات جُعل بعضها لاجراء بعض

تجاربات علمية وجُعل بعضها مسكناً للمسيو ايفل اتخذه لنفسهِ ليقيم فيهِ بعض الاحيان

وهذا الجزء العلوي مركب من اربعة عمد شبكية التركيب كالصناديق وترتبط هذه العمد مع بعضها من الأعلى بقواصر فتحمل فوقها الفنار ويصل اليهِ العمال المخصصون بعملية تنويرهِ بواسطة سلم دائر في وسط العمد المذكورة

وقد جعلت ثلاثة معامل في هذه الطبقة القيمية اولها خصص بالارصاد الفلكية والثاني مخصص بالطبيعة والحوادث الجوية والثالث تخصص بدراسة حياة الاجسام العضوية وبدراسة الميكروبات الهوائية ويؤمل العلماء في هذه المعامل الحصول على نتائج مهمة

(الفنار) قوة هذا الفنار الضوئية تعادل قوة اكبر الاضواء المجعولة على شواطىء فرنسا البحرية وقد اتخذوا الضوء المعد لانارة ارصفة مدينة (رُوان) حدًّا للمقارنة في حساب انشائها فان انوار هذه الجهة موضوع لها ينبوع ضوئي على ارتفاع ١٣ مترًا تعادل شدته ٢٤ أمبيرًا فينير دائرة قطرها ١٣٠ مترًا

اما في برج ايفل فلما كان بُعد الينبوع عن مركز الشكل يعادل عشرة اضعاف البعد في فنار رُوان لزم هنا ينبوع شدتهُ تعادل شدة الينبوع الاول مائة مرة وحيث انهم فضلاً عن هذا راعوا تشرُّب الضوء في الجو زادوا الينبوع الضوئي عن ذلك فجعلوهُ ٢٤١٢٥ أعني ٣٠٠٠ أمبيرًا

ولهذا الحين لم يمكن الحصول من ينبوع ضوئي واحد على اكثر من ٩٠ أمبيرًا في النهاية العظمى فاستلزم الحال وضع ٣٣ لامبة كل واحدة منها تعطي تلك النهاية العظمى فعوضوها بثمانية واربعين لامبة مختلفة الشدة جعلوها حول الينبوع العلوي على

ثلاث طبقات تنير ثلاث مناطق ذات مركز واحد

وهذا الفنار ثابت لكن الصفائح الزجاجية الموضوعة امام الانوار متحركة تدور بواسطة آلة ساعة وهي زرقاء وبيضاء وحمراء على مثال العلم الفرنساوي

ولا يمكن رؤية هذا الفنار من ميدان شان ده مارس ولا يراه الا من يبتعد عنه بنحو ١٥٠٠ متر فيُرى من ميدان الكونكورد مثلاً

وقد لزم لايجاد هذه الاضواء آلة قوتها ٥٠٠ حصان فأُوجدت مع الماكينات التي استلزمتها المرقيات تحت احد الاكتاف .

(قاذفات الضوء) قد وضعت آلتان قاذفتان للضوء عظيمتان في الشدة بهما يتيسر قذف حزم ضوئية على مباني باريس الاثرية مدة الليل وهما غير الفنار وهو يطوف بانواره الثلاثية في نقط مختلفة حول باريس على سطح دائرة نصف قطرها سبعون كيلو متر

وهاتان القاذفتان كهربائيتان لا يقل قطرهما عن تسعين سنتمتر وهما موضوعتان على ارتفاع ٢٩٠ مترًا وتصل اشعتهما في الليالي الصحوة الى بُعدِ عشرة كيلو مترات تقريبًا

وهما من نوع الاجهزة المستعملة في مدرعات الدونمة الفرنساوية ومجموع شدة اشعتهما الضوئية تعادل ١٦ مليونًا من فوهة كارسل

وتُوجَّه انوار هاتين القاذفتين الى النقط المرتفعة من باريس وضواحيها بمعرفة عمّال كهربائيين يشتغلون مدة النهار بتنظيف الآلات ومدة الليل بهذا العمل

(العَلَم) فوق قبة الفنار سطح صغير قطره متر واربعون سنتمترًا يحيط به درابزين من حديد يُصعد اليه بواسطة سلّم يمر من داخل الفنار في ماسورة قطرها

ثمانون سنتمتر تشابه مداخن السفن البحرية ولا يتيسر الصعود منهُ الاَّ لشخص واحد وقد جعل من الداخل لقصد عدم الاضرار باشعة الفنار وعدم حجبها عن جهة ما من سائر الجهات

وهذا السطح الصغير واقع على ارتفاع ٣٠٠ متر من الارض وقد خصص بمقاييس الهواء (أَنيمومتر) ولالات الارصاد الجوية الّتي تستدعي عُزلة تامة

وقد ثُبّتَ في وسط هذا السطح عمود من الخشب يحمل العلم الفرنساوي الذي طوله ثمانية امتار وعرضهُ ستة

وفي يوم الاحد ٣١ مارس سنة ١٨٨٩ رُفِعَ على هذا السطح العلم الفرنساوي بمعرفة المسيو ايفل اشارة الى انتهاء الاعمال واتمامها فقابلتهُ بالترحيب أَصوات المدافع الّتي وضعت لهذا الغرض على الطبقة الثالثة من البرج وهو لا يزال مرفوعاً في هذا المحل

(مانِعَة الصواعق) هنَّأَت اكاديمية العلوم بباريس المسيو ايفل عند تمام البرج على النتائج الحسنة الّتي استحصل عليها وعلى عدم لزوم وضع مانعة للصواعق عليهِ لان وضعها ربما كان من موجبات تعطيل التجارب العلميَّة الّتي يُرام اجراؤُها في أَعلى البرج وذلك لان البرج في حد ذاتهِ عبارة عن مانعة صواعق جسيمة تحمي مسافة كبيرة حولها فإن اجزاء البرج المعدنيَّة متصلة بالطبقة المائية الّتي تحت الارض بواسطة الموصّلات الخصوصيَّة الّتي نُظِّمت في طول كل كتف من أَرجل البرج

وبهذه الاحتياطات يكون داخل البرج ومن فيهِ من الاشخاص في أَمن تام من الصواعق وأَخطارها

(خشية العواصف في البرج) قد اشتغل مشاهير العلماء بمسأَلة ما عسى أَن

يحصل في البرج من الحركة لعظم ارتفاعهِ عند حصول العواصف فقرروا بعد البحث والتدقيق أن أعظم حركة يحتمل حصولها في القمة لا تتجاوز عشر سنتمترات مهما بلغت شدة العواصف بحيث لو وُجد زائر في قمة البرج وقت حصول هذهِ العواصف لما شَعُر بهذه الحركة

(أعالي مباني الدنيا) قد علمتَ أن ارتفاع برج ايفل ٣٠٠ متر فنذكر ما عداه من أعلى مباني الدنيا ليُعْلم أنهُ أعلى منها جميعاً وها هي

متر	
٦٦	قبة كنيسة نُوتر دامْ في باريس
٨٣	قبة پَانْتِيون باريس
١٠٥	قبة دار العواجز العسكريين بباريس
١٣٢	قبة كنيسة القدّيس بطرس برومه
١٤٢	كنيسة ستراسبُورْغ الكاتدرائيَّة
١٤٦	الهرم الاكبر بمصر
١٥٩	كنيسة كُولُونْيا الكاتدرائيَّة
٠٤٩	باب نصر الكوكب (إِيتوال) بباريس
١٥٠	كنيسة رُوانْ الكاتدرائيَّة

والأثر الذي أُقيم بفيلادِلْفيا تخليدًا لذكر واشِنْطُونْ وارتفاعهُ ١٦٩ مترًا و٣٥ سنتمتر كان اكبر الآثار ارتفاعاً قبل برج ايفل على ما كان في بنائهِ من الصعوبات وذلك أنهُ كان الاصل في العزم سنة ١٨٤٨ أن يشاد هرم ارتفاعهُ ٦٠٠ قدم (١٨٣ مترًا) فلما وصلوا في ارتفاعهِ سنة ١٨٥٤ الى ٤٦ مترًا رَأَوْا أنهُ مال

فتخوفوا من ذلك واوقفوا العمل ولم يعودوا اليهِ الاَّ في سنة ١٨٧٧ مضطرين مع ذلك الى تخفيض ارتفاعهِ وجعلهِ ١٦٩ مترًا فقط ايثارًا لمتانتهِ وتفاديًا من سحق الاحجار التحتيَّة وتفتتها من الاثقال الَّتي فوقها واخذوا من ذلك الحين يبنون ٣٠ مترًا في السنة حتى تم الهرم في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٥ وبلغت مصاريفهُ سبعة ملايين فرنك ومائة الف فرنك

(عُمَّال البرج) لم يكن عدد العُمَّال الَّذين شيدوا هذا البرج كثيرًا وهذه حالة تستلفت النظر في مثل هذا العمل العظيم حيث لم تُجمع لهُ جموع كثيرة كما كان يظن ولم يكن للعمال فيهِ جلبة وضوضاء بل الحديد نفسهُ لم يسمع صوتهُ المعلوم وما السبب في ذلك الاَّ أن قِطَعَ الحديد كانت تجلب تامة الصنعة من معمل المسيو ايفل ببلد « لوفالوا پيرّيه » عليها نمرة يعلم منها المحل الذي تُوضع فيهِ فيحكم وضعها على سابقتها بكل سهولة من غير أن يحتاج فيها الى إحداث ثقب للبرشمة ولا الى احضار آلات للتوسيع والتعديل وكان مائتا عامل كافين كل الكفاية لعمل التركيب بل كان في بعض الاوقات لا يلزم للعمل اكثر من مائة وخمسين عاملاً

وكانت اجرة العامل الواحد في الساعة الواحدة ٨٠ سنتيماً لغاية ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨٨ ثم حصلت زيادة ٥ سنتيمات في اول سبتمبر سنة ١٨٨٨ ثم خمسة أُخرى من اول اكتوبر التالي لهُ ثم خمسة ثالثة من اول نوفمبر كل هذه الزيادات عمومية ثم خمسة سنتيمات زيادة خصوصيَّة للعمال المشتغلين بالمحلات العالية

ومما ينبغي التنبيه عليهِ أن كثيرًا من العمال المشتغلين بتركيب هذا البرج لم يصعدوا صعودًا تامًا من الارض الى القمة الاَّ يوم الافتتاح بعد تمام البرج خلف المدعوين الرسميين وذلك لان هؤلاء كانوا مشتغلين إما في الطبقة الاولى او في

الثانية في المحطات والمخازن التي كانت مقامة فيها بصمود الحدائد وتشغيل العيارات في توصيلها (وكانت تبلغ زنة بعضها ثلاثة آلاف او اربعة آلاف طونولاطه) من محل وجودها الى احدى هاتين الطبقتين أو الى القمة وكانت المسافة التي تلزم الى ارقاء قطعة من الحديد الى ارتفاع ٢٢٠ متراً ثلاثة ارباع ساعة

وقد جعل المسيو إيفل في الطبقة الثانية على مقربة من المحل الذي بهِ الآن مكتب الفيجارو قاعةً متسعة للاكل عهد بهِ احد المتعهدين واشترط عليهِ ان يبيع للعملة الاكل اللازم لِغذائهم وقت الظهر بنصف الاثمان التي يباع بها الاكل في محلات الطعام المجاورة لمحل تشييد البرج في مقابلة قيامهِ لهذا المتعهد بوقود الطعام وبمبلغ ٦٠ سنتيماً عن كل اكلة يأكلها العامل وقصد بذلك المسيو ايفل توفير النصف للعمال في مصاريفهم كما رأيت وتوفير اتعاب الصعود والهبوط الى الاكل ومنهُ ما كان يضيع الوقت سدًى و يورثهم تعباً ومشقة فضلاً عن تأخر العمل في هذه المسافة الذي ربما يعوق اتمامهُ في اوانهِ

والعمال الذين كانوا معرَّضين للمتاعب اكثر من غيرهم هم النقاشون والمبرشمون لِقطَعِ الحدائد بعضها حال التركيب فانهم كانوا يتعلقون في الهواء مرتكزين على شِباكٍ رفيعة من الحديد بينهم و بين الارض العدد الكثير من الامتار وكلما تقدم العمل زاد الارتفاع فالنقاشون لطِلاء البوية وجهاً بعد وجه والمبرشمون لبرشمة الحدائد بعضها بادخال مسمار كبير محمىً بالنار الى الدرجة البيضاء في ثقب الحديدتين المراد جمعها فكان هؤلاء عرضة لتقلبات الجو والهواء واختلاف الانواء وتساقط الامطار وشدة البرد وسائر الاخطار حتى ان درجة البرد عندهم في الشتاء وصلت الى ثمان درجات والى عشرة تحت الصفر في بعض الاحيان

ولكنهم كانوا العدد القليل من عشرين الى ثلاثين وكلهم من الامناء لمعامل ايفل ومن المتعودين على المتاعب والمصاعب ومن المجربين كل التجارب فكانوا معهُ في الأعمال الجسيمة التي قام بها الى الآن سواءٌ كانت في القناطر والهواء او تحت الارض او الماء

وكان بجوار الواحد منهم مع هذا تنّور يتنقل معهُ اينما كان ممتلئ ناراً تتلظى يُدَفِئهُ ويستعملهُ في احماء مسامير البرشمة

(لماذا استعمل الحديد) ليست فكرة تشييد برج عظيم الارتفاع جديدة بل سبق ان المهندس الانجليزي تريفيتيك صمم ان يبني بناءً ارتفاعهُ الف قدم (٣٠٤ امتار و٨٠ سنتمتر) وكذلك الامريكانيون كثيراً ما سنح بفكرهم مثل هذا المشروع ولكن الذي يميز برج سنة ١٨٨٩ هذا عما سواهُ من جميع ما صُمم عليهِ او تُفكر فيهِ هو تشييدهُ من الحديد دون سائر المواد وتركيبهُ بطرق خاصة بالمسيو ايفل نفسهِ ومن ابتكاراتهِ

فقد الَّفهُ من شبكات من الحديد ذات مقاومة عظيمة مع المرونة والخفة متصلة ببعضها بواسطة قطع من الحديد مبرشمة بالحديد وهذا الذي اكسب البرج الشكل الهوائي الشبيه بالدنتيلة المصنوعةِ من الحديد فهو غاية في اللطف نهاية في الظرافة والملاحة كما اعترف بهِ كل من رآهُ ومنهم المعارضون في هذا المشروع الذين تصدوّا الى الممانعة فيهِ قبل وجودهِ

واستعمال الحديد دون غيرهِ في هذا العمل الخطير لعدة اسباب منها ان استعمال البناء بالحجر في الآثار العظيمة قد أبلغهُ منتهاهُ اهل الاعصر القديمة والقرون الوسطى والازمان المتاخرة فلم يكن في الامكان سبيل للابداع فيهِ اكثرَ مما اتى

بهِ القدماء ومنها ان درجة تحمل الحجر للاهوية اقل بكثير من درجة تحمل الحديد اما الحديد فبعكس الحجر في كل ذلك من شدة المقاومة ومن صِغرِ حجم السطح المعرض منهُ للهواء ومن مرونتهِ الّتي تجعل جميع اجسامهِ المرتبطة مع بعضها كجسم واحد صُنِع من قطعة واحدة

مع ان الحديد فيهِ مزية اخرى ليست في الحجر وهو انهُ قابل للنقل الى اي مكان فيمكن نقل هذا البرج من مكانهِ الذي هو فيهِ الآن الى اي محل يراد نقلهُ اليهِ وقد قرر لنقله المسيو ايفل لواريد ذلك من ٦٠٠،٠٠٠ الى ٧٠٠،٠٠٠ فرنك

(زِنةُ البرج) زنتهُ مع جميع لوازمهِ وملحقاتهِ وسقوفهِ وادواتهِ صار تقديرها بتسعة ملايين كيلو جرام

وهذا الحمل العظيم موزع على مسطح من الاساس لا يتجاوز الضغط الواقع منهُ عليهِ كيلو جرامين على كل وَحدْة سطحية

وان ثقل الحدائد الّتي استعملت فيهِ وحدها سبعة ملايين كيلو جرام وثقل مسامير البرشمة الّتي استعملت لربط الحدائد ببعضها يقرب من ٤٥٠،٠٠٠ كيلو جرام وعددها ٢،٥٠٠،٠٠٠ قطعة منها ٨٠٠،٠٠٠ برشمت في البرج نفسهِ حال تشييدهِ

وعدد القطع المعدنية المتقاطعة مع بعضها في جميع الاتجاهات ١٢،٠٠٠ قطعة وكل واحدة منها بالنظر لشكلها او لاتجاهها في الفضاء استلزمت رسماً خصوصياً وجميع هذه الرسومات باشكالها صار حسابها باللوغاريتم بدرجة ضبط لا يكون فيها فرق بعشر مليمتر وذلك في مكتب معامل المسيو ايفل ببلدة لوفالوا پيرّية حتى صارت اوراق الرسوم بانضمامها على بعضها كجبل من الاوراق المرسومة ولا

غَزوَ ان انتجت جبلاً شامخاً من الحديد وقد اجمعت التقارير الرسمية على ان البرج تم بدون غلطة واحدة ولا حصول خطاء واحد في حسابهِ

(تاريخ البرج) لما عرض المسيو ايفل فكرة ايجاد هذا الأَثر الخطير على الحكومة تلقاها المسيو لوكُرْواه وزير التجارة اذ ذاك بكل قبول وشجَّعهُ كل التشجيع وتكلمت بها الجرائد فاشتغل بها الرأي العام واستحسنها وساعدها كل المساعدة وصدَّق عليها كل التصديق حتى إن الحكومة لما اعلنت بالمكافأة لمن يأتي باحسن رسم لمعرض سنة ١٨٨٩ في الاجل الذي ضربتهُ وبالشروط التي وضعتها جعلت من ضمن ذلك ايجاد برج فيهِ ارتفاعهُ ثلثمائة متر فاعتُبِر هذا بمثابة قبولها مبدئياً ايجادَ هذا البرج واضطر جميع من اشتغلوا بعمل رسومات للمعرض وتعرَّضوا لنوال المكافأة ان يجعلوهُ في رسوماتهم التي قدَّموها

وانما حصلت لهذه الفكرة معارضة واحدة اقامها في طريقها جماعة من مشاهير الشعراء والرسَّامين والمهندسين والعلماء بكتابة الى المسيو أَلفَانْ رئيس اعمال المعرض قالوا فيها " ان هذا البرج سيكون خِزياً لباريس وعاراً عليها " " وان هذه المدخنة تمحق بهيئتها الوحشية وقبح شكلها جميع مباني باريس الأَثرية فتُصيِّرها صغيرة بجانبها وتضيع بذلك بهجتها وتذهب بنضارتها ويستطيل على هذه المدينة التي تولَّى اعمالهَا وشيد ابنيتهَا واقام آثارها اذكياء القرون الماضية والحاضرة ظلُّ هذا العمود الحديدي الكئيب كقطعة من الحبر سوداء "

فكتب المسيو لوكُرْواهْ الى المسيو أَلفان كتابة في رد هذا الاعتراض وقد ظن نفسهُ المقصود بالذات منهُ لمساعدتهِ في هذا المشروع وجعلهِ الحكومة تمديد المساعدة فيهِ بمليون ونصف مليون من الفرنكات و بعد أن قال فيها ان باريس لا تخاف

شيئاً ولا يخشى عليها اصلاً من هذا المشروع قال ما ترجمتهُ" وانما كانت تصح هذه المعارضة لو تقدم وقتها عن هذا المشروع وجاءت في اوانها فانهُ كان ينجو بها من الدمار و يسلم بها من الخراب تلك الارض الواسعة والبقعة المرملة الشاسعة المعروفة بالشان ده مارس الجديرة بان يحمي حماها الشعراء وان تستمد من قفرها اذهان المصورين الفضلاء" واستمر على هذا النمط من الاستهزاء الى أن ترجّى المسيو الفان أن يُحافظَ على هذه المعارضة" فانها جديرة بان تُعرض في أحسن محال المعرض وهي لاشك في أنها تستجلب انظار عموم الناس فيهِ حتى ربما أدَّتهم الى الاستعجاب والاستغراب"

اما المسيو ايفل فلم يوقفهُ شيء من هذه المعارضات والمناضلات بل استمر في عملهِ مواظباً عليهِ مجدًّا فيهِ مهتماً في اتمامهِ عاملاً على انجازهِ في ميعادهِ المحدود حتى نال متمناهُ ووصل الى اقصى مناهُ

(مصاريف البرج) صُرِف على البرج حتى تم ستة ملايين ونصف مليون من الفرنكات على حسب البيان الآتي

فرنك	
٩٠٠،٠٠٠	في الاساسات وأَبنية ما تحت الاكتاف
٣،٨٠٠،٠٠٠	تركيب البرج واثمان الحدائد ورسوم الدخولية الَّتي دفعت عليها
٢٠٠،٠٠٠	طلاء البرج بالبوية أربع مرات اثنان منها بالمِنيُوم (زُنجفرْ)
١،٢٠٠،٠٠٠	المُرقيات والماكينات
٤٠٠،٠٠٠	محلات الاكل وقاعاتهُ وزخرفة الطبقات الثلاثة وغير ذلك
٦،٥٠٠،٠٠٠	

ولم يلتزم المسيو ايفل التقديرات الّتي قدَّرها باديءَ بدء كل الالتزام بل كان يغير منها كلما دلتهُ الاعمال على ما هو أحسن منهُ وكلما رأى لزومهُ فزاد مثلاً نحو ٦٠٠ طونولاطه من الحديد على ما كان قدرهُ اولاً في قسم البرج الذي بين الاساس والطبقة الاولى وصرف في المرقيات زيادة على ما قُدّر لها اولاً ٦٠٠،٠٠٠ فرنك

وقد دفعت الحكومة من مبلغ الستة الملايين ونصفٍ مليونا ونصفاً وتبرعت مدينة باريس بالارض اللازمة لتشييد البرج ولكن كل ذلك على شرط أن تكون للحكومة مِلكيَّة البرج بعد مضي عشرين سنة من يوم انفضاض المعرض

اما من وقت افتتاح المعرض الى تمام العشرين سنة فالبرج تستغلهُ شركة ماليَّة تسمت بشركة برج ايفل الفَّها المسيو ايفل من بيتين أو ثلاثة من البيوت الماليَّة الكبيرة رأس مالها خمسة ملايين ومائة الف فرنك بدون اكتتاب عمومي ونقسَّمت سهام هذه الشركة الى قسمين متساويين أُعطي قسم منها الى المسيو ايفل في مقابلة فكرتهِ وعملهِ ووُزّع القسم الثاني على الشركاء الّذين نقدوا الملايين

ويؤكدون أن ايرادات السنة الاولى (سنة المعرض) كفت بعد المصاريف لاداء راس المال المدفوع بتمامهِ ان لم تزد عنهُ فيكون استغلال البرج مدة العشرين سنة ربحاً صافياً يقتسمهُ ايفل وشركاوهُ

(فائدة البرج ومنفعتهُ) برج ايفل بكيفيتهِ هذه الّتي شيد بها سيكون نموذجاً تشاد على مثالهِ اعمال كثيرة نافعة واشياء خطيرة مهمة كالقناطر والفنارات بعد ان كان مهرة المهندسين الى اليوم لا يجسرون عليها مخافة عدم النجاح اما الآن وقد نجح هذا العمل فسيتبع السير فيهِ العاملون ويقتفي اثرهُ الفاهمون فهو لهذا مقدمة

اصلاحات جمة وتغييرات في عالم الاستقبال مهمة

ولم يقتصر نفعهُ مع هذا على ذلك بل ريثما تمَّ تجاري العلماء وتسابق الفضلاء الى اختيار ذروتهِ العالية وقمتهِ السامية معامل لابحاثهم ومجامع لتجاربهم واختباراتهم ومراصد تعود على النوع البشري بأَحسن الفوائد واجل العوائد

فهذه الارصاد الفلكية قد جعل من اجلها في قمة البرج نظارة معظمة هائلة يتمكن بها علماء الفلك من رصد الكواكب هذا فضلاً عن ان نقاءَ الهواءِ في هذا الارتفاع وصفاءَ الجو من الضباب فيهِ (وكان يكثر في جهات الرصدخانة الپاريسية) يتيسر بهما من الآن اجراء ملاحظات فلكيَّة كانت تستحيل قبل هذا البرج في مدينة پاريس

وهذه الارصاد العلميَّة كانت تحصل قبل الآن في داخل زوارق معلقة في القباب الطيارة (البالون) على ما فيها من عدم الثبات والدوران مع الأَهوية والرياح فصارت تحصل الآن في قمة هذا البرج الثابتة على ارتفاع ۳۰۰ متر حيث لا يعتري من يجري التجارب والارصاد فيها ادنى اهتزاز ولا اقل اضطراب وصار يمكن بهذه الواسطة تكملة التجارب المبتدأَة من عهد بعيد بغاية الضبط والاحكام مثل ما يتعلق بسقوط الأَجسام في الهواءِ ومقاومة الهواءِ وقوانين المُرونة ودراسة تركيب الغازات والابخرة ودراسة ذبذبات البندول ودوران الارض الى غير ذلك

وهذه الارصاد المتعلقة بالحوادث الجويَّة (الميتريُولُوجيَّة) يمكن الوصول الى معرفة نواميسها والوقوف على حقائقها بحالة تؤَدي الى استنتاجات نافعة مثل معرفة اتجاه التيارات الجويَّة وشدتها ومثل حالة الجو وتركيبهِ الكيماوي وتكهرب الجوّ والتيارات العليا والصواعق ومثل درجة الحرارة في ارتفاعات البرج المتفاوتة

وفي الساعات المختلفة من النهار ومثل درجة جفاف الجو الى غير ذلك

وهذه الارصاد الحربيّة يستعمل فيها البرج في حالة الضرورة والحرب لملاحظة سير جيش العدو وحركاته على مسافة سبعين كيلو متر بعد استحكامات باريس ولاستمرار المواصلات بين باريس والاقاليم الفرنساويّة بواسطة الانوار الكهربائيّة التي فيهِ واستعمالها بطرقها المعهودة

هذا فضلاً عما سيظهره الاستقبال من فوائد هذا العمل العظيم ومنافعهِ غير التي ظهرت الى الآن على انهُ لو اقتصر نفعهُ على اثبات فضل واضعيهِ وتقدمهم في العلوم والمعارف لهذه الدرجة التي شهد بها الجميع لكفاهُ ذلك شرفاً ولكفاهم هذا فخراً ومجداً

ويكفي هذا اليوم الثالث في زيارة المعرض اختتامهُ بهذا الأثر الباهر والعمل العظيم الفاخر

وموعدنا في زيارة باقي المعرض اليوم الثاني عشر من مُقامنا في باريس وسيكون الرابع في المعرض كما سيأتي عليك ان شاء الله

﴿ خامس يوم في باريس ﴾

رأى سيدي الوالد ان يزور بعض مدارس الزراعة وبعض المدارس الاخرى بفرنسا لمعرفة كيفيّة الجاري بها فاتفقنا مع مُوجيل بيك ناظر الارساليّة المصريّة هنا على ان يكون دليلنا في هذه الزيارات وان كنا نعلم أن الوقت وقت بطالة وفسحة لا وقت تدريس وان التلامذة غير موجودين والمعلمين ايضاً ولكن حيث ان مدة البطالة المذكورة لا تنقضي قبل مبارحتنا باريس وفرنسا رأينا الاكتفاء

برؤية ما يمكن من اماكن التعليم فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتقابلنا اليوم (يوم الثلاثاء ٦ أغسطس سنة ٨٩) بناءً على سابق الاتفاق مع موجيل بيك بمحطة مُونبارْنَاس وقمنا منها والساعة سبعة افرنكي صباحاً قاصدين مدرسة جرِنْيُونْ الزراعيَّة

فوصلنا محطة جرِنْيُونْ بعد سفرنا بساعة ونصف وركبنا عربة نحو عشرين دقيقة حتى صرنا في المدرسة

فاستقبلنا بها احد المستخدمين الذي عليهِ النوبة في ملاحظة المحل والمواشي والزراعات مدة البطالة واخذ يفرِّجنا بكل اكرام على محال المدرسة وما يتبعها

والغرض من هذه المدرسة تعليم الشبان الذين يريدون تعاطي الزراعة ما يلزم من المعلومات العلميَّة والعمليَّة الضروريَّة لاستغلال الارض حتى يكونوا على خبرة في الصناعة الزراعيَّة وشرائطها ولوازمها فيقدروا على انتخاب اصلح الطرق واستعمالها لما لهم من الالمام التام بجميع أصول هذه الصناعة فضلاً عن معرفتهم فن التدبير فيها فينتفعون في اعمالهم الزراعيَّة الخصوصيَّة وينفعون في التدريس وفي البحث والتنقيب عن المفيد النافع في المسائل المشتغل بها في الامور الزراعيَّة

ولذلك كان التعليم في هذه المدرسة علمياً وعملياً فيكون التعليم ابتداءً بالقاء المسائل على التلامذة شفاهاً على وجهها العلمي ثم ينتقل المعلم والمتعلمون الى قاعة فيها من الآلات والادوات ما يزيد في افصاح المسائل العلميَّة التي تلقَّوْها شفاهاً ثم تنتقل التلامذة بعد هذا مع معلميهم الى الغيطان والحدائق النباتيَّة ومحال زروع الخضروات والفواكه والى محل تربية الابقار والثيران والمعز والخيول بحيث تتمرن التلامذة بالتدريج على جميع الاعمال من العلم الى العمل بالآلات الى الحرث في

الغيطان والبساتين ومباشرة اعمال السماد

ومدة الدراسة سنتان ونصف تتعلم فيها التلامذة الزراعة علماً وعملاً وما يتعلق بذلك من علم طبائع الحيوانات وعلم الكيمياء والمعادن وطبقات الارض والنبات وفن غرس الغابات وفن زرع الكروم وقوانين الزراعة وعلم الألبان وكيفية اصطناعها والتدبير الزراعي وغير ذالك

وتنقسم التلامذة الى داخلية وخارجية يمتحنون في اوقات مخصوصة ويستحصلون عند انتهاء الدراسة على شهادات دراسية والى تلامذة لا يمتحنون ولا يأخذون شهادة وانما يتعلمون ليس الاّ

فتفرجنا على محال التدريس وهي عبارة عن مدرّجات متسعة وبجانبها محالٌ بعضها للآلات الزراعيّة وبعضها للادوات العلميّة الّتي لها تعلق بها فالزراعيّة منها في محلات غاية في الاتساع محتوية على جميع الآلات المستعملة قديماً وحديثاً ففيها محاريثُ على شكل الّتي كانت تستعملها الاقدمون ومحاريثُ على اشكال متنوعة يُستَدل منها على كيفية ترقي الحراث الى ان وصل الى الحالة الّتي هو عليها الآن وهكذا بالنسبة لسائر الآلات اللازمة للزراعة مثل آلات الحصاد والدراس والغربلة وكذا الأدوات العلميّة مثل المتعلقة بالطبيعة والكيمياء وغيرها في محلات أُخر مستوفاة للغاية

ويحيط بالمدرسة أَرض متسعة ربما تبلغ نحو الف فدان اغلبها محاط بسور بعضها غابة وباقيها مزروع بسائر أَنواع المزروعات والاشجار بأَصنافها وسائر انواعها معتادة عندهم وغير معتادة فالمعتادة مزروعة في الغيطان المكشوفة وغير المعتادة مزروعة في عنابر زراعيّة وهي محالٌ مغطاة لها حرارة مخصوصة بواسطة تسخينها بالنار

وقد جعلت أشجار الفاكهة في هذه الحدائق على سائر الاشكال فلعبت بها يد الانسان وشكّلتها على أي شكل اراد حتى ترى أشجار الكمثرى والتفاح وغيرها مسطحة تغطي بعض الجدران او تنتشر على بعض السياج المتخذة من الخشب فتكسوها بعروشها مثل ما تعمل النباتات الزاحفة كاللبلاب والعنب واللوف

وبالمدرسة محلات لتربية الابقار والثيران والمعز والدجاج وكثير من الحيوانات ومحلات تصنع فيها الألبان فتصير جُبنًا بسائر أشكال الجُبن المعهودة وغير المعهودة مختلفاً طعمهُ والوانهُ

وبها محل لعمل السمّاد يضرب بهِ المثل في الكتب العلميّة الزراعيّة

وهذه المدرسة احدى مدارس ثلاث من نوع واحد والأُخريان احداهما بمدينة مُونبِلْيِيه وثانيتهما ببلدة جرانجُوانْ

وأقل من هؤلاء درجة في التعليم المدارس الزراعيّة العلميّة بالمديريات وغيرها المعروفة بالمزارع المثاليّة (فِرْمْ مُوديلْ) وعدد هذه ٣٤

وبكل مديريّة ما عدا ذلك استاذ زراعي تحت أمر المدير يستعلم منهُ تارةً عما يرى لزوم الاستعلام عنهُ وينشر أفادَتهُ على اهالي المديريّة لاستفادتهم بنصائحهِ المتعلقة بامر يهمهم عموماً ويطلب منهُ تارةً أن يتوجه الى جهات معلومة من المديريّة ليفتش فيها على المزروعات وكيفياتها وحالاتها ويقدم لهُ عما يراهُ تقريرًا ويكلفهُ احياناً بالتوجه لجهات معلومة والقاء خطب زراعيّة فيها على مواد يخصصها لهُ بحسب الظروف ومقتضيات الأحوال

وفوق ذلك كلهِ المجمع الزراعي (أَنْستِيتُو أجْرُونُومِيكْ) الذي مركزهُ مدينة باريس

وبعد أن أتممنا التفرج عدنا الى بلدة جرنيون فتغدّينا بها واسترحنا من مشاق السير ثم رجعنا الى باريس

﴿ سادس يوم في باريس ﴾

كان هذا اليوم يوم عيد الاضحى السعيد (٧ اغسطس سنة ٨٩) فأدَّينا صلاة العيد وأَردفها سيدي الوالد العزيز بكتابة تلغراف ارسلهُ الى الاعتاب الخديويّة قياماً بواجب التعييد فصدر الأَمر العالي الخديوي بارسال رده ِ في يومهِ تفضُّلاً منهُ وكرماً من لدنهُ وقد وصلَنَا بعد بعض سَاعَات بامضاء سعادة سر تشريفاتي خديوي بما ترجمتهُ

" لسعادة فكري باشا بباريس

" عرضت تلغرافكم للاعتاب الخديويّة وسموّ مولانا الخديوي متشكر لكم

رشدي"

مع أَن إدارة التلغراف تحرَّت محل وجود سيدي الوالد فسأَلت عنهُ من السفارة العثمانية وهذه دلّتها على رئيس الارساليّة المصريّة فدلها على الفندق الذي نحن بهِ كما علمنا ذلك من التأشيرات الّتي صار توقيعها على ظرف التلغراف

وقد أمّنا في الصلاة حضرة رفيقنا الشيخ حمزة فتح الله وخطب خطبة مناسبة للمقام ثم بعث الى سعادة ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي محرراً بالتعييد وبذكرِ الصلاَة فكتبَ سيدي الوالد حاشية على ما حرر نَسَخت صُورتها ونصها

"حضرتُ الشيخ عند إنهاء كتابتهِ فأَحببتُ الاقتداء بامامتهِ في عواطر التحيات أُهديها وشكوى لواعج الاشواق أُبديها فكان في الحلبة الودادية محلّياً

وكنت خلفهُ بين الجماعة مصلياً كما أني صليت معهُ العيد مأموماً وثنّينا بعدهُ بالدعاء لافندينا ولي النعم فرضاً محتوماً ومسكاً مختوماً .

" نعم صلينا فشهد لنا المكان وان لم يشهدنا السكان ودعونا بما رقمهُ المَلَكان وان لم يكن علمهُ إنسان اما الثناء على وليّ النعم ونشر ما لهُ من محامد الشيم فكلنا نُعطر بهِ المجامع جهرًا ونشنّف بهِ المسامع درًّا ونجعلهُ استهلال المقال وحلية الحال وبراعة الكمال

" سيدي لو رأَيت الشيخ وقد اتخذ سريرهُ مِنبرًا واستهل خطبتهُ العيديّة مبكرًا واخذ في الموعظة الحسنة يسردها وعلى مقتضى الحال والمناسبة يوردها لخلتهُ قُساً في عكاظهِ خاطباً او سَحْبانَ لقومهِ مخاطباً وكلنا مكبٌّ على الاصغاء والسمع وان كنا في اقل مراتب الجمع ولو علم بنا من حولنا لَعَظُمَ المزدحم وهم السواد الاعظم ولكن الله سلَم واللهُ يوالي لولي النعم الاعياد سارة والمسرات قارة بارة و يديم سرورهُ بالاشبال الاماجد الانجال على خير الاحوال وكلنا هنا بحمد الله ذي الجلال وحسن انظار خديونا المفضال في هناء بال وجمال حال

" وقد رأَينا نجلي سيّدي النجيبين حرَسَ اللهُ شبابهما وجمّل بالاقبال حظهما كما كمل بحسن الخلال آدابهما فرأَيْنَا من النجابة والذكاء ولطف الشمائل الغرّاء ما لا يستغرب من موافقة الفرع النبيل للاصل الأَصيل فسرنا ذلك سرور المحب اذا رأَى ما يسرُّ من يحب وداما ودمتم فوق ماراما ورمتم "

ثم حضر عندنا موجيل بيك على حسب اتفاقنا معهُ قبل ذلك فخرج سيدي الوالد وأَنا معهما للتفرج على بعض محلات الدراسة بباريس

فتوجهنا اولاً لمدرسة تُورجُو وهي بسكة تُورْبيجُو أَسَّستها بلديّة باريس

سنة ١٨٣٩ وجددتها في سنة ١٨٦٦ والسكة المذكورة من أحسن مواقع باريس وهي مجعولة لأن تسع ٨٠٠ تلميذ خارجيَّة يتعلمون فيها مجاناً كما في سائر المكاتب البلديَّة ولا تدفع التلامذة الاَّ مقابل مآكلهم وقت الظهر ان ارادوا الاكل هناك وذلك عشرون فرنكاً في الشهر على كل تلميذ

وقد أُنشئت ليتخرّج بها التلامذة الَّذين يعدُّون انفسهم للتجارة ولاعمال البنوكة وللصنائع والفنون الصناعيَّة وللادارات التابعة للحكومة او المتعلقة بآحاد الناس كما انها يتخرَّج بها من يستعد للدخول في المدارس الخصوصيَّة الصناعيَّة

والتعليم فيها عمومي لجميع التلامذة بها في مدة الثلاث سنوات الأُولى من الدراسة وفي السنتين الاخيرتين المكمّلتين لمدة الخمس سنين المقررة يكون التعليمُ خصوصياً لكل فرقة بحسب الأَمر الذي تُعد التلامذة انفسهم لاتقانهِ

ومتى أتمّ التلميذ الدراسة فيها فإِن لم يستعملهُ اهلهُ في أَمرٍ يُريدونهُ ويريدهُ فإِن المدرسة تجعلهُ في محل لائق بحالهِ الذي تَعلّمهُ فيهِ وذلك إِما بواسطتها مباشرةً او بواسطة دخولهِ في جمعيَّة التلامذة القدماء المتخرجة بها فان التلميذ يدخل في هذه الجمعيَّة بمجرد طلبهِ فينتفع باعضائها كل الانتفاع في الحال والاستقبال لانتشارهم في انحاء المدينة وفي غيرها من الانحاء

وكل فنّ يُعلمّ في المدرسة لهُ قاعة مخصوصة (أَنفتيَاتر) لتلقي الدروس فيها من الاساتذة بحضور المعيدين ويُستحضرَ فيها ما يلزم من الآلات ان كان في ذلك سهولة والاَّ فتنتقل التلامذة الى معامل الكيمياء والطبيعة وغير ذلك وبعد الانتهاء من الدرس تتوجه كل فرقة الى محلها المخصص بالمذاكرة فتشتغل بهِ مع المعيد المخصوص

وبالمدرسة فضلاً عن هذا ورشة لتعليم الصناعات والاشغال اليدويّة اذ من مقتضى طريقة التعليم الجديدة ان يتعلمّ التلميذ صناعة تسليهِ او تسدُّ خلّتهُ عند الحاجة اليها

وبها محل لتعليم النشان وحمل السلاح فان جميع تلامذة مدارس باريس يتعلمون التعليمات العسكريّة كآحاد العسكر بمعرفة ضباط يدرّبونهم عليها في ساعات مخصوصة فانها اجباريّة عليهم بل على جميع الافراد كما ان مطلق التعليم الزامي بالنسبة لسائر الآحاد فيوجد بباريس فرقة مخصوصة تسمى الفرقة المدرسية يبلغ عددها الآن خمسة عشر الفاً تامة النظام والترتيب من ضباط وصف ضباط واسلحة ومهمات حتى إنها تستعرض امام رئيس الجمهوريّة مع سائر الجيوش في يوم ١٤ يوليو من كل سنة

وبها لرياضة التلامذة محلات للصيف ومحلات للشتاء

فاذا أنت تأملتَ ما ذكرناهُ من تعدد المحلات واللوازم واستيفاء محلات التنزه والرياضة الكافية لثمانمائة تلميذ وعرفتَ ان المتر الواحد بهذه الجهة تساوي قيمتهُ اكثر من ٨٠٠ فرنك وعرفتَ ما يلزم من الامتار للعدد الذي بينّاهُ وأضفتَ الى ذلك متانة البناء وبلوغهُ حد الاتقان واستكمال آلات التعليم وأدوات التحصيل والتفهيم تصوّرتَ ما صُرِفَ على هذه المدرسة من النفقات

ثم بعد الفراغ من هذه الفسحة وقد آن أوان الغداء أكلنا في محل قريب وقصدنا بعد ذلك مدرسة سكة كامُون وهي آخر مدرسة أنشأتها مدينة باريس على الصورة التي أوصلها اليها منتهى التجارب والاختبارات

وهي مركبة من قسمين قسم يسمى (ايكُولْ مَاتِرْنيلْ) مدرسة الأُمهات وهي

مجعولة للاطفال الّذين لا ينقص سنهم عن سنتين ولا يزيد عن ست سنوات وقسم يسمى (ايكُولْ بِرِيمِيرْ) المدرسة الابتدائيّة منفصل عن الاول في المدخل وان كان متصلاً بهِ في البناء مجعول للتلامذة الّذين لا ينقص سنهم عن ست سنين ولا يزيد عن ثلاث عشرة سنة وهو منقسم في حد ذاتهِ الى قسمين منفصلين عن بعضها قسم للذكور وقسم للإناث بخلاف القسم الاول فتختلط فيهِ الذكور بالاناث

اما قسم مدرسة الامهات فالاصل فيهِ ان بعض السيدات الخيّرات كنّ اجتمعنَ في سنة ١٨٢٦ وشكّلنَ جمعيةً جمعت من البر والاحسان ما مكّنها من تشييد محل سمّينهُ (سَال دَازِيلْ) الملجأ تلجأُ اليهِ الامهات اللواتي تمنعهنّ اشغالهنّ المعاشيّة في النهار عن القيام بأمر اولادهنّ فيودعنهم في هذا المحل طول النهار حيث يوجد فيهِ من يقوم على نفقة الجمعيّة بأمر مُوالاتهم وتطعيمهم حتى تعود امهاتهم من اشغالهنّ فيأخذنهم معهنّ الى منازلهنّ مسافة الليل الى الصباح ثم ما زالت هذه الجمعيّة تتقدم وتزداد ويتشكل لها مماثلات في سائر الجهات الى ان كثرت محلاتها وتنظمت بالحالة الّتي سميت بها مدارس الامهات فصارت فضلاً عن حفظها الطفل تعلمهُ وتؤدّبهُ وتجهزهُ الى درجات أعلى بحسب ما يرى فيهِ من اللياقة والاستعداد ومعلمات هذه المدارس جميعهنّ من النساء نظرًا لعلمهنّ بحالة الاطفال ولاطمئنان هؤلاء بهنّ بدلاً عن امهاتهم ولتمكنهنّ بشفقتهنّ الفطريّة من اجتذاب محبتهم لهنّ ولذلك تراهنّ يجتهدنَ كل الاجتهاد في استمالة قلب الطفل وتعليمهِ بما لا يملّ منهُ فيتخذنَ لهُ قطعاً صغيرة من الخشب يرسّمنهُ بها الرسومات بكيفيّة الالعاب ويعلمنهُ بها ما ليس بهِ اعوجاج من الحروف ويطبعنَ في ذهنهِ بها الاعداد ومتى تقوّى أعطينهُ قطعاً صغيرة من الورق فيشكّل الطفل منها بديع الاشكال بتشكيلها مع بعضها ثم

يعلمنهُ الكتابة كل ذلك بكيفيةٍ لا يمل منها بان لا تزيد مدة الدرس الواحد عن ربع ساعة يعلمنَ الاطفال فيها بالتدريج ما يقدرون عليهِ حتى كيفيةَ التكلم والالقاء وتحسين اللفظ والتأدُّب في الاصغاء

والحاصل أنهنَّ يجتهدنَ بحسن سيرهنَّ وملاحظة سير من يُربّينهم في ان تنشأَ هذه الاطفال مطبوعة على حسن الخُلُق وحب المكرُمَة وعلو النفس بما يلقينهُ اليهم من حلو الاحاديث ومنتقيات المنتخبات وأحاسن سير مشاهير رجال الوطن الذين اكسبوا البلاد المجد والشرف فتنغرسُ في قلوبهم محبة هذه الرجال وحب ما اتصفوا بهِ من محاسن الاخلاق

وجميع التلامذة خارجيةٌ يأتون معهم بالخبز وتصرف للواحد منهم المدرسةُ صحناً من الاكل النظيف الطبخ وقت الظهر في مقابلة عشر سنتيمات للمقتدرين ولغيرهم بدون مقابل لان الحكومة تتحمل اكثر نفقات هذا الطعام

وادوات التعليم مجانيةٌ كالتعليم فانهُ لما كان اجبارياً وجب ان يكون مع ادواتهِ مجانياً والّا كان من باب الامر بما لا يستطاع

وتُفرَّق على الفقراء عند حلول الصيف والشتاء الملابس مجاناً بتصديق ناظرة المدرسة وطلبها تشتري من نقود مخصوصة في ميزانيةِ البلديةِ وتتولى تفصيلها وخياطتها وترتيبها جمعيةُ نسوة خيريةٌ هذا فضلاً عما يصل الاولاد من الجوائز بمناسبة الاعياد والمواسم وتقدمهم في التهذيب والتعليم لا يُفرَّق بين الغني والفقير لعدم تطلع طائفة الى ما يصل الاخرى ولان المقصود من هذه الجوائز التنشيط والحث على الرغبة في التعليم وادخال الفرح والسرور على من امتاز عن غيرهِ في التحصيل

اما نظافة هؤلاء الاطفال ونظافة ملابسهم وايديهم مع صغر سنهم لتعويدهم عليها وادبهم وحسن الفاظهم ورقتها ولطف اطوارهم وكل ذلك مع ملاحظتهم باللطف وكمال الملاينة حسب ما تقتضيهِ الانسانيَّة فمما يقضي بالاستغراب

ثم بعد الفراغ من مشارفة مدرسة الامهات المذكورة والتفرج على المحلات المعدة بها لالعاب (جمناستيك) وهي الالعاب الّتي تمرن على النشاط والخفة وتقوي الجسم وعلى المحلات المعدة لتفسح التلامذة في الصيف وعلى محلات فسحة الشتاء انتقلنا للتفرُّج على القسم الثاني قسم المدرسة الابتدائيَّة

والتعليم فيها يقصد بهِ الوصول الى ثلاثة اشياء التربية الجسمانيَّة والتربية العقليَّة والتربية الادبيَّة فيشتمل على تعليم القراءة والكتابة واللغة الفرنساويَّة والجغرافيَة والتاريخ عموماً وجغرافيَة فرنسا وتاريخها خصوصاً وبعض معلومات عموميَّة ابتدائيَّة في القوانين والاقتصاد السياسي ومبادىء الكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي مطبقة على الزراعة وعلى قواعد حفظ الصحة وعلى الصنائع والاعمال اليدويَّة وعلى استعمال الآلات المتعلقة بالحرف الكثيرة الاستعمال ثم بعض مبادىء من الرسم والموسيقى والجمناستيك وتعليم استعمال السلاح للذكور واشغال الابرة للبنات

ومدتهُ ست سنوات للمجد المجتهد من الذكور والاناث

ويُعطى للتلميذ عند دخولهِ المدرسة دفتر يبقى معهُ ما دامت دراستهُ بها ويحفظ فيها بعد خروجهِ منها فيكتب فيهِ مرة في الشهر بنفسهِ وبدون أدنى مساعدة اجنبيَّة موضوعاً يقترحهُ عليهِ استاذهُ من كل علم تلقَّاهُ فيتيسر بواسطة هذا الدفتر معرفة درجة التلميذ واستعدادهِ ومعرفة تقدّمهِ في المدرسة من يوم

دخولهِ الي يوم الخروج

ومن شرائط التعليم الّتي لا بدَّ منها في هذه المدارس ان تخصص بالاقل حصة من حصص الصباح للتعليم الادبي يعطيهُ الاستاذ اما في صورة محادثات ائتناسيةً او بمناسبة كتاب مطالعة يدرج ذلك التعلُّم ضمن تفسير عباراتهِ وتفهيم معانيهِ

ومن يُعلِّمَ بمدارس الامهات ومدارس البنات جميعاً من النساء المتحصلات على شهادات بالتعليم والتعليم تعطى اليهنَّ بعد الامتحان

ثم بعد الفراغ من التفرج على هذه المدرسة الابتدائية دخلنا محل المعرض قاصدين قسم مدينة پاريس الخاص بالتعليم في المدينة فمشينا بهِ ورأينا تفاصيل اعمال التلامذة من اول نشأتهم في مدارس الامهات كيف يتعلمون حروف الهجاء واعداد الحساب وكيف تكون اعمالهم في الكتابة والرسم والنقش وغيرها حتى في الالعاب بجعلها نافعةً مفيدة ثم رأينا اعمال تلامذة المدارس الابتدائية وكراريس كثيرة من كراريسهم وعلمنا من تصفح بعضها معلومات التلميذ عند دخولهِ المدرسة ومعلوماتهِ عند اتمامهِ الدروس فيها وكذلك اطلعنا على بعض كتب تعليم المبتدئين وعلمنا منها كيف انها سهلة العبارة مفهومة المعني ظاهرة المبنى خالية من التعقيد خليةً من الصعوبات المشوشة لاذهان المبتدئين ما استدللنا منهُ على مزيد اعتناء القوم في امر التعليم والتهذيب فقد جعلوهُ كما مر اجبارياً مجانياً واجتهدوا مع هذا في جعلهِ مفيداً للعقل نافعاً للجسم موجداً في التلميذ فضائل محاسن الاخلاق ملجئاً لهُ على اكتساب مزايا الآداب بما يُلقى اليهِ من اخبار خيار القوم وافعالهم الّتي نفعوا بها البلاد فحازوا بها فخراً يجعل هؤلاء الاطفال

يحبونهم ويميلون اليهم لذلك ويصرون على الاخذ بالسبيل الذي سلكهُ هؤلاء وبهِ وصلوا جادة الهدى والرشاد وهم لا يرون من اخلاق معلميهم ومن معاملاتهم لهم ومن مطالعة الكتب التي بأيديهم الا كلما يعضدحبهم في المعارف وتصميمهم على موالاتها والمواظبة عليها

هذا وما فرغنا من التفرج على معرض تعليم باريس الا وقد فرغ النهار فاستحسنا التوجه الى شارع مصر بالمعرض وقد كنا على مقربة منهُ بعد تعاطي طعام العشاء باحد الفنادق القريبة لهُ فذهبنا اليهِ وسلمنا على صاحبنا السيد مصطفى الديب وهنأناهُ بالعيد وتعاطينا في محل تجارتهِ القهوة العربيَّة واتحفنا بشيشة (نرجيله) وكنت منذ بارحنا الاسكندريَّة ما تعاطيتُ مثلها فانشرحتْ نفسي بذلك وعنَّ لنا بعد هذا ان نتوجه الى القهوة المصريَّة التي في هذه السكة وقد تناقلت حديثها الجرائد وكتب دلائل المعرض فذكرت رقاصاتها ومغنياتها بجميل المدح وكمال الاطراء فدخلناها

وهي فسطاط كبير متقن الصنع وجهتهُ عرضها ثمانية امتار وثلاثون سنتمتر وعرضها اربعة امتار وخمسون سنتمتر معمولة تلك الوجهة على هيئة مشربيَّة من اخشاب محكَمة الخرط امامها عمد مكسوة بالقيشاني اللطيف مكتوب على بابها بخط عربي جليّ

عزَّ صيوانٌ لنا في داركم فادخلوهُ بسلامٍ وسرور

وفي الداخل وجدنا هذا الفسطاط محلًّى بأحسن النقوش مزركشاً باحلى الوشي والتطريز مزيناً سقفهُ بقناديل من الطرز القديم جميلة الوضع تنبعث منها الاشعة والانوار فتزيد النقوش حلاوة والهيئة طلاوة وقد صفت الكراسي بهذا

المحل الرحب لجلوس المتفرجين مجعولة على الطراز الشرقي ووضعت في صدر المكان تِكَكٌ مرتفعة غاية في البهجة والزخرفة مغطاة بالواح من الخشب متينة لرقص الراقصات وغناء المغنين

والمغنون تختهم مستوفي العدد والآلات من عود وقانون ودُفٍ وكمنجة وغير ذلك وقد أُحضروا من مصر ومعهم منها الراقصات ايضاً بما يلزمهنَّ من الدربُكة والمزمار والساجات

فرقصت عيوشه وبعدها فهيمة فأدهشتا العقول بحركاتها وبهرتا الحاضرين بحسن سبك ملابسهما المزركشة بالقصب والتلي المعمولة على الطراز المصري القديم وبحليّهما المصوغ على الطريقة الشرقيّة بما فيهِ من الخلاخل والجلاجل وقد اختصت احداهما بالرقص بالشمعة موقدة في زجاجة تحملها على راسها في سائر حركاتها وجاءَت بعدهما ثالثة اعجبت واجادت

كل ذلك والآلاتيّة يُشَنفون الاسماع بموسيقاتهم العربيّة والحضور في غاية الطرب والحبور

ثم قعدت الراقصات وتلاهنَّ درويش مولويٌّ لابس قلنسوة الدراويش المولويّة (كُلاه) وفستانهم (تَنُّورَه) واخذ يرقص على نقرات الدُّف دائراً وفستانهُ يستدير حولهُ وراسهُ مائل الى الجانب على الهيئة المعلومة في مصر مسافة استغرب لها الحضور واشبعوهُ تصفيقاً مثل ما اشبعوا سابقاتهِ استحساناً

وفي اثناء ذلك دارت على المتفرجين القهوة العربيّة في الفناجيل المستعملة بمصر يسقيها فراشون مصريون بملابسهم المشرقيّة المعتادة

وما فرغ الدرويش المولويُّ من دورانهِ الاَّ وقد انفضَّت الحفلة وذهب

المتفرجون ودخل غيرهم للتفرج مثلهم بقدر ما يسع المحل و بقي الباقون بالخارج ينتظرون خروج من دخلوا فان العالم منكبون على التفرج في هذه القهوة لغرابة ذلك عندهم ولا يؤخذ من كل واحد من الداخلين في مقابلة التفرج وشرب القهوة الأ فرنك واحد

وقد انصرفنا مع المنصرفين منتقدين على هذا الدرويش لإتيانهِ بما سميناهُ رقصاً في مثل هذا المكان وليس هو كذلك في طريقتهِ ومعترضين على هؤلاء الاقوام على ما اكثروا من الاستحسان ومعترضين على انفسنا في دخولنا هذا المكان وقد يُدفَعُ الاعتراض على المستحسنين بغرابة هذا الامر عندهم وحبهم الاطلاع على ما لم يكونوا يعرفونهُ من قبل ويدفع الاعتراض عنا بان وجود هذا المحل في باريس ليس كوجودهِ عندنا فانهُ وان اختص بدخول مثلهِ بمصر السفهاء لكن من يدخلهُ هنا هم العظماء والامراء مع غاية الكمال وتمام الاحتشام واما الانتقاد على هذا الدرويش فلا وجه لدفعهِ حسب ما ذكرناهُ

وعند وصولنا الى الفندق أُخبرنا بانهُ حضر للتعييد علينا اثناء النهار من سبق لنا ذكر اجتماعهم بنا من مواطنينا الاعزة وزاد عليهم غيرهم من المقيمين بباريس من المصريين اخص بالذكر منهم الفاضل حسين رشدي بك طبوز زاده نجل صاحب السعادة محمود حمدي باشا وكيل الداخلية وقت ذاك فكان تفضلهم بالسؤال عنا مما زادنا سروراً وانشراحاً



﴿ سابع يوم في باريس ﴾

قد علمنا من اعلانات بيت كوك ان لهُ عربات ودللاء مخصوصين يفرّجون السياح على باريس في يومين وعلى فِرساي في يوم واحد وعلى فُونتِنبلُو في يوم واحد ايضاً في نظير ٣١ شلناً عن كل شخصٍ في ايام باريس وفِرساي و٢٣ شلناً عن كل شخصٍ في يوم فُونتِنبلُو فاستحسنا هذه الطريقة لمناسبة ان التفرُّج فيها يكون بصحبة اشخاص عديدين وفي ذلك فائدة تبادل الافكار على الشيء الذي يُرى من استحسانهِ او انتقادهِ ولان التفرُّج يكون بواسطة دليل عارف يفهم السائح كل ما يراهُ من العمارات والاشياء نعم اني اعرف باريس لكنني لم اعرفها معرفةَ هؤلاء الاشخاص المتخذين ذلك صنعةً لهم فانهم عارفون بتلك الاشياء وبتواريخها حقّ المعرفة ولان السائح ولو استعان بالدلائل المطبوعة لا يتيسر لهُ معرفة جميع محال التفرُّج في هذه المدة اليسيرة

وقد اهتمّ بنا دللاء كوك بناءً على توصية رئيس البيت فصاروا بعد ان يتكلموا عن الشيء بالانجليزي مع رفقائنا من سياح الانجليز يتكلمون لنا عنهُ بالفرنساويَّة وانا اترجمهُ للرفقاء ما عدا أَحدَ يومي باريس فإن الدليل كان فيهِ من ابناء العرب الّذين يفرّجون سيُّاحَ كوك على آثار صعيد مصر فهذا كان يعبر لنا عن الاشياء بالعربي قبل التعبير عنها بالانجليزي لباقي السياح

وكنا نُخبر محل كوك بباريس عن اليوم الذي نريد التفرُّج فيهِ وعن الجهات الّتي نريد الذهاب اليها قبلهُ بالمشافهة او الكتابة ليحجز لنا محلات بعرباتهِ وهي تشابه العربات المستعملة عندنا لاصحاب الفنادق في ركوب السياح ونقلهم من المحطة اليها او بالعكس مستطيلة الشكل ذات ست عجلات تسع بجوار السائق

محلين وعلى ست كراسي بها ثمانية عشر شخصاً على كل كرسي ثلاثة اشخاص وهي مكشوفة من الجانبين لتمكن الراكب من روُية المناظر في طريقهِ

فتمر العربات علينا بالفندق او نذهب لمحل كوك قبل الميعاد فانهُ يقرب من الفندق وليس بيننا وبينهُ الاَّ بعض خطوات اذ هو امام الاوپرا فنركب في ما هيأهُ الينا من أحسن محلاتها

وكلما مررنا بمكان يستحق ان يُتعرَّفَ حالهُ توقف العربة وينزل الدليل وننزل معهُ او نبقى بها على حسب مقتضيات الاحوال ويأخذ الدليل في تبيين الاشياء وتعريفنا عنها بكل ايضاح

واذا وصلنا محلاً يتفرَّج عليهِ من الداخل نزلنا جميعاً ودخل أَمامنا هذا الدليل بعد ان يدفع هو رسم الدخول إِن كان كما يدفع صِلاتِ (بخاشيش) الخدم عند الخروج لدخولها في الاجرة الَّتي دفعناها ونتفرَّج نحن على المحل صاغين لما يقصهُ من التفهيمات والشروح المفيدة

وكنت قبل ذلك اطالع الدليل الذي معي عن المحلات الَّتي سنراها في اليوم التالي فكنت عند روُيتها كاني أَعرفها من قبل فيتيسر لي شرح الايضاحات الَّتي يلقيها هذا الدليل بغاية البيان

واول متفَرَّج ابتدأْنا فيهِ بهذه الطريق سراي فُونتِنبْلُّو ومن شروطهِ ان العربة الَّتي نركبها من الفندق الى المحطة واجرة السكة الحديد في الدرجة الاولى ذهاباً واياباً واجرة العربات من محطة فونتنبلو الى السراي المقصودة في الذهاب والاياب ومن محطة پاريس في العودة الى الفندق وثمن اكلنا في الغداء بفونتِنبْلُّو واجرة الدليل كلها داخلة في ضمن ٢٣ شلناً المذكورة

فركبنا صبيحة هذا النهار عربة ارسلها لنا بيت كوك وقصدنا محطة لِيُون فوجدنا الدليل في انتظارنا ومعهُ التذاكر وقد حجز لنا ومن معنا حجرة مخصوصة انزلنا فيها وسار بنا الوابور والساعة ٩ وثمان دقائق من يوم الخميس ٨ اغسطس سنة ١٨٨٩

وبعد مسافة مرَّ بنا على بلدة شارَنْتُونْ وهي شهيرة بالبيمارستان المبني بقربها فرأيناهُ على بعد وهو مكان كبير مرتفع الطبقات تحيط بهِ البساتين والغابات فلم نتمالك انفسنا بمجرد النظر من التأسف على من فيهِ وقد كانوا في حالتهم الأُولى من نوع الانسان فصاروا بذهاب العقل لا يمتازون عن سائر الحيوان

واستمرَّ بنا المسير بعد ذلك ساعة وثمانية دقائق حتى وصلنا محطة فونتنبلو بعد ان اجتزنا قسماً من غابتها اللطيفة المشهورة بالحسن والبهاء فوجدنا عربات في انتظارنا ركبناها حتى وصلنا قصر فونتنبلو بعد سير ربع ساعة

وهذا القصر على الجنوب الشرقي من المدينة المنسوب الى اسمها بناهُ فرانسوا الاول ملك فرانسا وزاد عليهِ هنري الرابع بعض زيادات

واشتهر هذا القصر بقِدَمِهِ واتساعهِ وبزخرفتهِ من الداخل وبوقوع حوادث تاريخيَّة كثيرة فيهِ وهو لم يتغير عن اصلهِ فان الملوك الذّين تعاقبوا على فرانسا بعد هنري الرابع المذكور اكتفوْا بترميمهِ واصلاح كل ما تخرب فيهِ

ويشتمل هذا القصر من الداخل على خمس رحبات متسعة جدًّا وهي رحبة الحِصان الأَبيض او الوداع ورحبة الفسقيَّة والرحبة البيضاويَّة ورحبة البرنسات ورحبة هنري الرابع

ويُدْخَلُ الى هذا القصر من رحبة الحصان الأَبيض وهي اكبر الرحبات

فان طولها ١٥٢ مترًا وعرضها ١١٢ مترًا وقد كان فيها تمثال حصان نقل منها فيما بعد فاضيفت الى اسمهِ الى ان ودَّع فيها ناپليون الاول في سنة ١٨١٤ عساكر حرسهِ قبل تركهِ فرانسا فسميت رحبة الوَداع

ويسكن رئيس الجمهورية في فصل الشتاء القسم الواقع على يمين الداخل في هذه الرحبة ولذلك لا يمكِنون من التفرج بداخلهِ

واهم بناء في هذه الرحبة هو بناء الصدر ويُصعد اليهِ بسلم من بدائع الصنائع واول ما تفرجنا عليهِ فيهِ كنيسة الثالوث وهي غاية في الزخرفة منقوش سقفها بأحسن النقوش والصور وقد اشتهرت بتزوج بعض الملوك فيها وتعمّد ناپليون الثالث بها

ثم صعدِنا في سلم متسع فوصلنا الى مسكن ناپليون الاول وهو عبارة عن صالة للانتظار وبها محل كتبة الاسرار وحمام مكسوة جدرانهُ بالمرايا المزينة بالنقوش وعن المحل الذي امضى فيهِ ناپليون المشار اليهِ في يوم ١١ ابريل سنة ١٨١٤ تنازلهُ عن الامبراطورية وفي وسطهِ الطاولة التي أمضى عليها التنازل المذكور قائمة الى الآن وعن محل كتابتهِ ومطالعاتهِ الخصوصية وقد صنع سقفهُ رينول الشهير ومثّل برسوماتهِ فيهِ العدل والقانون ثم يليهِ محل نومهِ وفيهِ السرير الذي كان ينام عليهِ وساعة كبيرة كان اهداها اليهِ البابا پي السابع

ثم تفرجنا بعد ذلك على القاعة المعروفة بقاعة المجلس وهي من مدة لويس الخامس عشر مفروشة بالابسطة المعمولة بعمل بُوڤيه الشهير ثم قاعة سرير المُلك فاعجبنا سقفها والثريا البلورية المعلقة فيها والأخشاب المفروشة في ارضها على اجمل الهيئات والطف الحالات

ثم تفرجنا بعد ذلك على مساكن الملكة ماري أنطُوَانيت فاعجبنا منها المخدع ثم محل النوم وجدرانُهُ وسقفهُ مكسوة من الداخل بأنفس الحرائر المهداة اليها من مدينة ليُون ثم آنِيتان من العاج للزينة ووِعاءان آخران من صنع معمل سيفر العديم النظير

ثم مشينا بالكتبخانة الملوكيّة الموجودة بالقصر فادهشتنا كثرة الكتب بها واعجبنا فيها حسن ترتيبها وانتقلنا منها الى قاعات الاستقبال وهي موازية لمسكن ماري أَنطُوَانيِتْ ومطلة على الرحبة البيضاويّة احداها مغطاة جدرانها ببسط من صنع معمل جُوبلاَنْ واخرى مغطاة بطنافس من صنع فلاَنَدر ومُدفئاتها محدقة بالأَبنوس على أَحسن صنع واجمل وضع ثم انتقلنا الى القاعة الّتي وُلِدفيها لويس الثالث عشر فعرفت باسمهِ للآن

وما زلنا ننتقل من مكان الى احسن منهُ ومن تنظيم الى أَرقى منهُ حتى وصلنا الى قاعة الاحتفالات وقد تزينت بالرسومات والنقوش من عمل اعاظم المشتغلين بفن الزخرفة والتحسين

وانتقلنا منها الى المسكن الذي سكنهُ البابا پي السابع حين أُتيَ بهِ أَسيرًا الى هذا المكان (من سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٤) وقد كان قبلهُ معدًّا لسكنى والدات الملوك فتفرجنا على محلاتهِ وعلى المحل الذي كان ينام فيهِ البابا المشار اليهِ ثم مررنا على القاعة المعروفة بقاعة الاطباق وسميت كذلك نظرًا لما تزينت بهِ من الاطباق الصينية المنقوش عليها صور السرايات الملوكيّة وهي في غاية الاتقان

ثم انتقلنا الى حديقة القصر وفي اثناء ذلك مررنا برحبة الفسقيّة فتفرجنا على بحيرة عظيمة فيها ورأينا بها بقايا الاسماك المسماة كارب الشهيرة عند السياح

وقد نقلت اليها من مدة فرانسوا الاول على ما يقال فلما دخلنا الحديقة شاهدنا ما فيها من عجائب الصنعة وغرائب الترتيبات والتنظيمات ومتقنات التحسينات ما لا يمكن ان يحاط بوصفهِ

وبعد ذلكَ انتقلنا الى البلد وتغدينا في اشهر فنادقها ثم ذهبنا بالعربات الى الغابة نتفرج عليها ونتمتع بمناظرها ونتنقَّل فيها

وهذه الغابة في غاية الاتساع فيها كثير من الطرقات المتشابهات حتى انهم اعدوا فيها كتابات وعلامات لتمييز بعضها عن بعض وليهتدي بها المتفرجون ومع هذا فانهُ لا يحسن التفرُّج فيها بغير دليل تفادياً من اخطار عدم الاهتداء الى الطريق فان محيطها ثمانون الف متر ومسطحها سبعة عشر الف هيكتار

وقد دلنا الدليل حسب ما ساعد الوقت على اشهر مواضعها فسلك بنا في الدرب المعروف باسم فرانْشار حتى اوصلنا الى صخور وثُغَرِ فرانشار

اما صخور فرانْشار فشهرتها لكونها مركبة من احجار صلبة بيضاء ينبت فيها مع ذلك كثير من الاعشاب والاشجار وبالقرب منها (الصخرة الباكية) سميت كذلك لان الماء يرشح منها فشبهت بالعين الباكية وتصب مياهها في بحيرة هنالك يبلغ محيطها فرسخاً

واما ثُغَر فرانشارْ فشهرتها لانها فوهات في الجبل ينطلق منها النظر الى اماكن بعيدة من الغابة وما جاورها غاية في النضارة واللطف

وما زلنا سائرين نتفرَّج على صنع الخالق في هذه الغابة نخترق الطرقات والجداول ونمر بالصخور والاكام حتى وصلنا المحطة من طريق غير الذي سلكناهُ بعد ان رأينا (فارامُون) (وشارْ لمنج) اقدم اشجار الغابة فركبنا الوابور ووصلنا باريس وقت المساء

﴾ ثامن يوم في باريس ﴿

خرجنا صباح هذا اليوم (يوم الجمعة ٩ اغسطس سنة ٨٩) الى محل كوك فركبنا العربة وسرنا قاصدين مدينة فِرْسَايْ فوصلناها في اكثر من ساعة من مسيرنا

ومررنا من ميدان ألأُوپرا الى المادلين الى بلوار مَا أَزِرْب وهو من الشوارع المستجدة مبتدأً من ساحة مادلين حتى يتصل بجهة الاستحكامات على طول ٢٧٠٠ متر تحفهُ من جانبيهِ بيوت الاغنياء والكبراء وفي بعض جهاتهِ دكاكين متسعة مزخرفة

وفي وسطهِ كنيسة سانت أُوجُسْتَانْ وهي مبنيَّة حديثًا في سنة ١٨٦٨ لطيفة المنظر تعلوها قبة ارتفاعها خمسون مترًا

ومن هذا الشارع وصلنا پَارْكْ مُونْسُو — بستان مونسُو — وهو محاط بسور من حديد ولهُ اربعة ابواب يدخل منها فدخلنا من احدها ومشينا بين الخضرة والمياه تظللنا الاشجار المرتفعة ممتعين الطرف بما يكتنفهُ من المساكن المشيدة والدور المنظمة حتى خرجنا من بابهِ الموصل الى أَوِنُو (طريق) هُوش فوصلنا منهُ الى قوس نصر الكوكب (أَرك دُولِتْوَالْ) واستمرَّ بنا السير حتى وصلنا (بُوَادُه بُولُنْي) غابة بُولُونْيَه

وهي حديقة غاية في السعة (مسطحها ٨٧٣ هكتارًا) تتصل بالاستحكامات وقد كانت قبل اصلاحها ملجأً للشريرين وقطاع الطريق حتى ملكتها بلديَّة باريس اعطتها لها الحكومة بشرط ان تتكفل بالنفقات اللازمة للصرف عليها وبنفقات ملاحظتها وان تصرف عليها في أمر تحسينها مليونين من الفرنكات (وكان ذلك

سنة ١٨٥٢) فقبلت ذلك البلديّة وانجزت ما وعدت فصارت هذه الحديقة أعظم حدائق باريس ومنتزهاتها على هيئة الغابات الطبيعيّة يقصدها الاغنياء والامراء من رجال ونساء للرياضة كل يوم فيوجد فيها عدد لا يحصى من العربات كذلك يقصدها غير الاغنياء بواسطة عربات الأُمْنِيبُوس والترامْوي وصارت راس المجتمعات بباريس وزادت رغبة النساء فيها لهذا الازدحام لان رغبتهنّ متعلقة بكثرة وجود العالم ليُظهِرنَ الجمال والدلال والملابس الحسنة ويتباهينَ بذلك

ومن أحسن محلات هذه الحديقة ملتقى الطرق عند بحيرتَيها

وهاتان البحيرتان صناعيتان على هيئة البحيرات الطبيعيّة احداهما وتسمى البحيرة المنحطة طولها ١١٥٢ مترًا وعرضها ١٠٠ متر والاخرى وتسمى العالية طولها ٤١٢ مترًا فقط

ويتفرع من أولاهما جدولان يجري احدهما نحو حديقة النباتات والحيوانات وهي تابعة لشركة قصدت بانشائها تطبيع الحيوانات والنباتات الاجنبيّة النافعة لفرنسا بسائر انواعها وجعلتها مع ذلك من أحسن منتزهات باريس ويجري ثاني الجدولين نحو الشلال الكبير

وقد جُعِل في البحيرة المنحطة المذكورة جزيرتان وترتبت باخرة مخصوصة تنقل المتفرجين اليهما في كل وقت من الاوقات وفي احدى الجزيرتين محل طعام وقهوة كذلك بالبحيرة كثير من الزوارق تؤجر بالساعة لمن يريد التنزه والرياضة

وبين البحيرتين محل يعرف بملتقى الشلالات بالقرب منهُ أكَمَةِ مُرْتمارْ يمتد البصر منها الى جهة سانْ كُلُو وفوق الاكمة المذكورة منابر مجعولة للتفرج على سباق أُوتُويْ الشهير حيث تشرف هذه الاكمة على محلهِ الذي صار ايجادهُ في هذه الجهة

واول جائزة تعطى للسابق فيهِ ٣٠ الف فرنك ولهُ ثلاث مسافات ٢٦٠٠ و٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ من الامتار

اما الشلال الكبير فيندفق ماؤُهُ من مغارة صناعيَّة ذات طبقتين فتتكوَّنُ منهُ طبقة مائيَّة ارتفاعها عن سطح البحيرة ثمانية امتار

وقد صعِدنا بعد التأَمل في هذا الشلال العجيب على الاكمة المرتفعة بعدهُ فرأينا مجرى السين من جهة ومن جهة ثانية بلدة سانْ كُلُو وبالقرب منها محل سباق لُونْشَانْ ورأَينا ايضاً على بعد قلعة مُونْفَالِيرْيَانْ الشهيرة الذكر في حرب السبعين الاخيرة

ثم نزلنا من ذلك المرقى واستمرَّ بنا الطريق حتى وصلنا الى (حديقة سان كلُو) وبقايا القصر الذي كان بها

وسَان كلُو هذه مدينة صغيرة قائمة على الجانب الايسر من نهر السين كان فيها قصر امبراطوري غاية في العظم تخرب وانهدم في حرب سنة ١٨٧٠ ولم يبقَ منهُ الَّا اطلالهُ

اما الحديقة فباقية يقصِدها المتنزهون في سائر الايام ويعجبهم ما بها من الانتظام خصوصاً الشلالات المعمولة فيها تقليداً للشلالات الطبيعيَّة

وبهذه الحديقة منافذ كثيرة تتدفَّقُ منها المياه في ايام معلومة يؤُمها فيها كثير من الناس للتمتع بحسن مرآها وقد يبلغ ارتفاع الماء من احدها اربعين مترًا ويصير باجتماعهِ مع غيرهِ من المياه على اشكال في غاية الابداع

وقد وقفنا بجوار خَرِبات القصر المنهدم على مرتفع هناك ومن معنا من السائحين واخذ صورتنا بالفطوغرافيا من حضر لهذا الغرض من الرسامين ووعدنا ان يعطينا

نسخة منها في المساء — بالثمن — ولكنهُ لم يف بوعدهِ الى الآن

وسرنا من هنالك حتى وصلنا الى مدينة ڤرساي واجتزناها فبلغنا (ميدان الاسلحة) ووصلنا السراي المقصودة من بابها المعهود حيث يفصل رحبتها الكبيرة والفناء الكائن امامها درابزين من الحديد

وڤرساي هذه عدد سكانها نحو الخمسين الف نفس والسبب في ايجادها لويس الرابع عشر مذ اراد بناء هذه السراي بجهتها ولم تتعلق ارادتهُ بهذا العمل الّا مقروناً بغاية الجد والنشاط حتى بلغ عدد العاملين في تصليح الطرقات وتنظيم البساتين واعداد الحياض وغير ذلك من الاعمال في اليوم الواحد على ما يقال ٣٦ الف رجل مع مساعدتهم بستة آلاف من الخيل الى ان تم العمل وتشيد القصر فصار مقرًّا لهذا الملك ولكثير من الملوك بعده وصار لهذه المناسبة مرتبط الذكر بتاريخ فرنسا لوقوع كثير من الوقائع المهمة فيهِ مما هو واضح في كتب التاريخ

وقد زاد في هذا القصر من خلف بانيهِ من الملوك ولذلك كان مجموعهُ مركبًا من عدة عمارات

ووجهتهُ الغربيَّة المشرفة على البستان وطولها ٤١٥ مترًا احسن من الشرقيَّة التي من جهة المدينة والبناء الاصلي في الوسط وعلى يمينهِ بلصقهِ كنيسة القصر ويلي كلا هذين البناءين أبنية من الطرفين اخصها البناء الذي على يمين الكنيسة وهو التياتر وقد بني في زمن لويس الخامس عشر

وقد هجرت هذه السراي من عهد الثورة وكادت تخرب حتى تفكر بعضهم في بيعها تفاديًا من تحمل ما يستوجبهُ ترميمها من النفقات الى ان تولى الملك لويس فيليب فرأى ان يصلحها ويرممها وينشئ فيها المتحف التاريخي الذي هو

فيها الآن وكان ذلك سنة ١٨٣٢ فجمع فيها جميع الرسومات المتعلقة بالتاريخ في متحف اللوفر وغيره من المتاحف والمحال حتى صارت المجموعة التي فيها عديمة الشبيه والمثال

هذا وبعد ان شاهدنا منظر السراي من الرحبة وأمعنا النظر في هيئتها الخارجية دخلناها للتفرج عليها وعلى المتحف الذي بها واذا بها متعددة المحلات كثيرة القاعات ملأى بالتماثيل والصور فضلاً عن زخرفة محلاتها واتقانها في حد ذاتها وهي مؤلفة من طبقة ارضية وطبقة عليا وطبقة فوقها ولهذه السراي جناحان شمالي وجنوبي وبناء متوسط بينهما

ولا يتيسر استيفاء ما بهذه المحلات من الصور والآثار بل ولا المهم منها لكثرته فلا يمكن توفية المرام حقهُ من التفصيل والبيان والمدح والاطراء على ان هذه الآثار مدونة بتفاصيلها في كتب مخصوصة بها ومذكور مهمها في كتب دلائل السياح

وقد اكتفينا بالدخول في هذه المحلات والتفرج عليها بغاية ما يمكن من الاسراع لان الوقت محدود وقد مضى جزء من النهار وعلينا زيارة البستان وما بهِ من الأبنية والتماثيل الحسان

فدخلنا الطبقة الأرضية من دهليز الكنيسة بعد أن تفرجنا على الكنيسة المذكورة وعلى نقوشاتها البديعة وأعجبتنا المنصةُ المعدة فيها لجلوس الملك وقت العبادة فاذا بهذه الطبقة احدى عشرة قاعة مشتملة على الرسومات التاريخية من اول مدة شارلمان الى آخر مدة لويس السادس عشر ويعرف مجموع هذه القاعات (برواق تاريخ فرنسا) وفي الواقع ان الرسومات التي فيهِ تمثل وقائع فرنسا

الشهيرة في المدد المذكورة وتصوّر تماثيل الحروب القديمة التي انتصر فيها الفرنساويون في مدد ملوكهم السابقين

وتجاه هذا الرِواق (رواق المقابر) سمي بذلك لاشتمالهِ على صور المقابر الشهيرة حاكوا بها نفس المقابر الاصليّة بواسطة طريقة الصب والافراغ فتظهر مجسّمة بالهيئة والشكل الذي عليهِ أصلها فرأينا بهِ صور المقابر الشهيرة بقرْطبة وغيرها من بلاد العالم

وعلى يسار هذا الرواق (رواق حروب الصليب) وهو من اعجب محال هذا السراي واتحفها بالنسبة للاتقان في زينتهِ وزخرفتهِ ويشتمل على رسومات شعار (أَرْمَه) رؤساء حروب الصليب وعلى رسومات وقائع تلك الحروب وهو عبارة عن خمس قاعات مملوءة من هذه الرسومات

هذا واذ فرغنا من التفرج بالجناح الشمالي اردنا التفرج بالجناح الجنوبي والقسم المتوسط بين الجناحين من الطبقة الأرضيّة ايضاً فدخلنا (رِواق الامبراطوريّة) وهو مركب من احدى عشرة قاعة تشتمل على رسومات الوقائع والحوادث والاجرآات الشهيرة التي حصلت مدة الامبراطوريّة مثل دخول ناپليون الاول في برلين واستقبالهِ رؤساءَ مدينة ويانه واستسلام مدريد لجيشهِ ثم تفرجنا على رواق التماثيل المجسمة بمحاذاة رواق الامبراطوريّة السالف بيانهُ وهو يشتمل على كثير من صور مشاهير الجمهوريّة والامبراطوريّة ثم دخلنا المحل الذي كان ينعقد بهِ مجلس النواب قبل انتقالهِ الى محلهِ بپاريس

ثم دخلنا القسم المتوسط بين الجناحين فتفرجنا على قاعات امراء الجيوش وامراء البحر والمارشالات والضباط الذين قُتلوا بالحرب في خدمة الوطن وتفرجنا

على قاعات الملوك وهي تشتمل على صور ملوك فرنسا وعلى قاعة السرايات وتشتمل على رسم السرايات التي كانت مُقاماً لملوك فرنسا قديماً وبعد ذلك قصدنا زيارة (الطبقة الاولى) فبدأنا بالجناح الشمالي وتفرجنا على رواق التماثيل المصنوعة من الحجر وماشابهُ ورأينا فيهِ من صور الرجال الشهيرة وتماثيل بعض الوقائع العظيمة مابلغ حد الاتقان ومنتهى الإحكام

وعلى يمينهِ رواق قسنطينة وهو يشتمل على ستِ قاعات مشتملة على كثير من الرسومات المتعلقة بحرب الجزائر مثل محاصرة قسنطينة وأخذها عَنوة وغير ذلك من وقائع الحرب المذكور وغيره

وبموازاة رواق التماثيل المجسمة السابق رواق مشابه للذي رأيناه في الطبقة الارضية ويسمى رواق تاريخ فرنسا الثاني ويشتمل على عشر قاعات تحتوي على رسومات تمثّل بعض الوقائع التاريخية التي حصلت من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨٣٥ بخلاف الرواق التاريخي الاول فإنهُ يحتوي على الوقائع لغاية حكم لويس السادس عشر فقط

واذ فرغنا من التفرج على هذا الرواق وانتهينا بهِ من رؤية ما في الجناح الشمالي من الطبقة الأُولى دخلنا القسم المتوسط بين الجناحين في الطبقة المذكورة ويشتمل هذا القسم على محلات المَلك التي كانت معدة لسكناهُ وعلى محلات المَلِكة وعلى قاعة السِلم وقاعة الحرب وقاعة المرايا وفي آخر هذا القسم من جهة الجنوب قاعة الرسومات المعروفة بالأكواريل وهي المرسومة بالماء والبويات بدون ادخال الزيت في تراكيب بوياتها

ومحلات المَلك عبارة عن عدة قاعات ومخادع متقنة الزخرفة منقوشة سقفها

باحسن الصور من صنع اشهر الرسامين ومحلاة جدرانها بالتذهيب

ومحلات الملكة عبارة عن عدة مخادع وقاعات أخصها قاعة جلوس الملكة وغرفة نومها وقاعات استقبالاتها الرسميّة والخصوصيّة وقاعة حرس الملكة حيث تَسَلَّقَ منها الثائرون (سنة ١٧٨٩) الى محل الملكة ونجت منهم بواسطة حرسها المخلصين وقد مات ثلاثة من ابطالهم في معاناةِ نجاتها

وقاعة الحرب سميت بذلك للرسومات المنقوشة في سقفها فانها تمثّل فرنسا متسلحة بصاعقة الحروب قابضة على ترُس مرسوم عليهِ صورة لويس الرابع عشر محاطة في هذا التمثيل بألمانيا جاثية على ركبتيها وبهولانده مصابة بصاعقة الحروب وباسپانيا خائفة وَجِلة وقد بلغ من شهرة هذه النقوش انها كانت على ما رواهُ احد المؤرخين السبب في تحزب اوروبا ضد الملك لويس الرابع عشر المشار اليهِ

وقاعة المرايا طولها ٧٣ مترًا وعرضها عشرة امتار وخمسون سنتمتر وارتفاعها ١٣ مترًا وهي مُطلة على بساتين السراية وحياضها من سبع عشرة نافذة تجاه كل واحدة منها مرآة بالقاعة موضوعة على صفة محلاة بالذهب وسقفها منقوش بالنقوش الفاخرة يُمثل بعض الوقائع الشهيرة

وبمجاورة هذه القاعة قاعة نوم لويس الرابع عشر وهي من محلات الملك السالف بيانها مفروشة باحسن الفرش وبقرب وسطها سريرهُ يحجزهُ عن باقيها درابزين لم يكن لأحد أن يتخطّاه الاَّ بتصريح من الملك بذلك وقد مات لويس الرابع عشر المشار اليهِ على هذا السرير بعد ان حكم فرنسا ٧٢ سنة

وبعد الفراغ من هذا القسم المتوسط بين الجناحين قصدنا الجناح الجنوبي وتفرجنا على الاروقة التي بهِ

فزرنا رِواق الوقائع الحربيّة وهو في غاية الاتساع طوله ١٢٠ مترًا وعرضهُ ١٣ مترًا و بهِ ٨٨ قطعة من الرسومات العديمة النظير تمثّل الوقائع الحربيّة الشهيرة و بهِ ثمانون صورة من صور مشاهير البرنسات وامراء البحر وامراء الجيوش والجنرالات والضباط الّذين تُوُفّوا بميدان الحروب في سبيل الوطن

وبموازاة رواق الحرب هذا رواق للصور المتخذة من الحجر وما شابههُ فيهِ كثير من صور المشاهير والمعتبرين

و بذلك انتهينا من زيارة الطبقة الاولى وصعدنا الى

(الطبقة الثانية) وهي تشتمل على قاعات فيها ما لا يدخل تحت الحصر من صور الاشخاص صغيرة وكبيرة شهيرة وغير شهيرة

واذ فرغنا من روئية هذا القصر وقد آن وقت الغداء تغدينا في فندق قريب منهُ ثم دخلنا بستان القصر للتفرُّج عليهِ

وهو متسع جدًّا ابتداؤُهُ من جهة السراي بانحدار ينتهي بالبحيرات والاحواض الكثيرة العدد الّتي أُوجدت هناك

والمنحدر اشبه ببساط من سندس أَخضر نقوشهُ الازهار المختلفة الاشكال المتعددة الأَلوان كأَنما رسمتها يد الرسام على قطعة من الورق او القماش والحياضُ المتعددة وما حوتهُ من الصور المختلفة والاشكال البديعة مع كثرة المياه شيءٌ بديع المثال لا يُحاط بكنهِ وصفهِ بحال والتماثيل المتقنة الصنع المحكمة الوضع بالغة حد الاتقان والاشجار المرتفعة والمَخبآت المبتدعة غاية في البهجة والنضارة بلغ بها الحسن منتهى الحد

وقد جُلبت لهذه الحياض من جهات بعيدة مرتفعة بمصاريف كثيرة مياه

تصل الى سائر جهاتها والى التماثيل والصور القائمة هناك بواسطة انابيب من الرصاص حتى اذا أُطلق ماؤها ارتفع ارتفاعاً عظيماً يبلغ في بعض المواضع الى ثلاثين مترًا متشكلاً باشكال غاية في البهجة والبهاء

ويكون لإِطلاق هذه المياه احتفال شائق يحضرهُ كثير من الباريسيين ويتزاحم عليهِ السياح نظرًا لحسن اشكالهِ وبديع اتقانها وهو يحصل مرة في كل شهر اثناء الشهور الست المتوسطة من السنة ولا تزيد مدتهُ عن ساعة وهو مع ذلك يُصرَفُ عليهِ في المرة الواحدة نحو العشرة آلاف فرنك

وفي هذا البستان محال معدَّة لتربية الاشجار المحتاجة لحرارة اكثر من حرارة البلاد تُعطَى لها بواسطة تسخين هواء المحلات بالنار فتكون الاشجار فيها دائمًا في درجة الحرارة التي تعيش بها في بلادها المجلوبة منها ومن أشهر هذه المحال المحل المتخذ لاشجار البرتقان فانهُ يحتوي على سائر اصناف هذا النوع حديثها وقديمها حتى قيل ان أقدمها فيهِ من سنة ١٤٢١

وفضلاً عن ذلك أن هذا البستان يشتمل في احدى جهاتهِ على مسكن بناهُ لويس الرابع عشر فيهِ لصاحبتهِ مدام دُه مانتِنُونْ سمي (جرَانْ ترِيانُونْ) وفيهِ كثير من الصور والنقوش ولهُ حديقة فاخرة وبجوار هذا المسكن بنى الملك لويس الخامس عشر مسكنًا لماري انطوانيت سمي (پتي تريانون) وعمل لهُ بستانًا جعل في احدى جهاتهِ شبه كفر من كفور الفلاحين بقرب بركة ماء صُنعت فيهِ مشتمل على مساكن للمزارعين ومسكن لصاحب الكفر ومسكن للقسيس ومحل للأبقار وطاحون فكانت نساء السراي يأْتينَ الى هذا المكان ويتزيينَ بزي الفلاحات ويعشنَ بمعيشتهنَّ للتسلي بعض ساعات من الزمان

وبعد أن اتممنا التفرج على هذا البستان وأردنا الانصراف تفرجنا على متحف العربات الموجود باحدى جهاتهِ فوجدنا فيهِ كثيراً من العربات المزركشة وكانت استعملت احداها في موكب تتويج نابليون الاول واستعملت اخرى في زواجهِ الى غير ذلك من العربات المزخرفة التي استعملت في احتفالات الملوك السابقين وحول جدران المتحف طقوم خيول العربات القديمة من جميع الاصناف

ثم ركبنا العربات التي حضرنا فيها حيث كانت في انتظارنا وسرنا عائدين لباريس سالكين طريقاً غير الذي سلكناهُ في الحضور لتغيير المناظر ومشارفة ما لم نشارفهُ قبل من المحلات

فمررنا على قرية فِيرُوفلي ثم قرية شافيل ثم قرية سِيڤرْ ورأينا معاملها الشهيرة بعمل الصيني من الخارج

وهذه المعامل ملك للحكومة منذ سنة ١٧٥٦ و يصنع فيها كثير من الادوات الصينيَّة المنقوشة بأحسن النقوش من عمل اشهر الرسامين تهدى الى الملوك والامراء للزينة فان قيمة القطعة الواحدة منها قد تبلغ الخمسين الف فرنك على ان فيها ما هو ثمنهُ اقل من هذا و بها محلات متعددة فيها المصنوعات معرَّضة لمن اراد التفرج او الشراء مكتوبة اثمانها عليها و بها متحف الاواني الصينيَّة وهو مفرد في بابهِ يحتوي على جميع انواع الصيني من كل البلاد المعمولة في سائر الازمان

ثم عبرنا نهر السين وسرنا ما رّين بالاستحكامات ثم بقنطرة أُوتُوي المقامة على نهر السين لمرور القطارات التي تسير حول باريس واستمر بنا السير حتى وصلنا سراي التُروكاديرو وسرنا على رصيف نهر السين حتى وصلنا ميدان الكونكورد وصادفنا وقت عودة المتنزهين من شانزيليزيه ومن غابة بولونيه فنزلنا هناك

للتمتع بهذا المنظر البهيج وكنا قرب الغروب

وبعد ان تعشينا بالفندق توجهت الى التياتر الفرنساوي حيث كنت اخذت ورقة لهذه الليلة قبل ذلك بأيام فتفرجت على قطعة (رُوِي بلاَس) من تأليف فكتور هُوجُو الشاعر الشهير وانبهرت من التأليف ونظام المحل وحسن الالقاء

ولا عجب في ذلك فهذا التياتر معدود من اوائل تياترات فرانسا وهو أعلى ما يُلعب فيهِ الكومِدْيا والتراجيدْيا تُعينهُ الحكومة كل سنة بمبلغ ٢٤٠ الف فرنك وما رأيتهُ في اللعب الذي كان يُلْعَب من البلاغة والحِكَم والنصائح التي كانت تُستنتج من سياق عبارات التشخيص وما شاهدتهُ من اجتماع الناس ومؤانستهم وتعارفهم ببعضهم في اثناء الفصول فضلاً عما يترتب على ذلك من التشوق الى التأليف ومن تعيش المؤلفين من تأليفهم والمشخصين من تشخيصهم وتعيش العدد الذي لا يحصى من مستخدمي التياترات مثل مدير وموسيقي ومشتغل بالتلبيس وحارس وكانس وحاسب وكاتب وفضلاً عما يترتب على انشاء محل التياتر نفسهِ من تيسر حركة تجار لوازم البناء من اخشاب وادوات ومشي حال الزخرفة من تحسينات وتذهيبات كل ذلك حداني الى التفكر فيما اذا كان عدم وجود التياترات في عوائدنا الشرقية مما يؤسف عليهِ او مما لا يؤسف عليهِ وفيما اذا كانت تبنى في بلادنا اولا تبنى

واني لما امعنت النظر والتأمل في هذا الامر بدا لي ان التياترات مدار تركيب قطعها واللعب فيها في التأليف والتشخيص على النساء وان التياترات من غير امرأة تلعب او تتفرج لا يستكمل نظامها ولا يتم التئامها وبدا لي من جهة ثانية ان ذلك مستدرك عندنا من جهة النساء اللاعبات بوجود من لا تُلزِمهُنَّ عوائدهنَّ

بعدم التبرج من الشرقيات ومثل ذلك في المتفرجات

واخذ يمر بخاطري ما يترتب على التياترات من تهذيب الاخلاق و بث مكارم الصفات وصارت الافكار نترقى والطريق ينطوي حتى وصلت الفندق ودخلت السرير واستغرقتُ في النوم ولم يكن ترجّح عندي احدُ الامرين على الآخر

فماذا تراهُ في ذلك ايها الصاحب القارئ أفدني بالصريح والرأي الصحيح ولا يكون جوابك محتملاً كقول من قال

قلت بيتاً ليس يُدري　　أمديحٌ أمْ هجاء
خاطَ لي عمرٌو قَباءً　　ليتَ عينيهِ سواء

﴿ تاسع يوم في باريس ﴾

هذا اليوم يوم السبت ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٩ خصصناهُ بزيارة بعض أنحاء باريس فركبنا في الصباح من ميدان الأوبرا ومررنا من جران بلوار حتى وصلنا كنيسة مادلين ومن هناك قصدنا ميدان كُونكورد وشانزيليزيه وتفرجنا فيها على پانُورمَا رِيزُونفيل وهي عبارة عن محل مستدير يحيط بهِ من سائر أطرافهِ رسم واقعة رِيزُونفيل التي انتصر فيها الفرنساويون في حرب السبعين وهو مصنوع بحيث يرى الرائي الاشياء كانها حقيقية وكأن الحرب قائمة على ساق بين قتلى وجرحي ومنتصرين ومنهزمين وذلك بواسطة كيفيّة توجيهِ الضوء وكيفيّة جعل الرسومات على وضع مخصوص

ثم مررنا من جهة أَرْك دُه تريُونف (قوس النصر) وسرنا حتى وصلنا الى

دار العواجز وبها كنيستها وقبر ناپليون الاول ومتحف الاسلحة وما يتعلق بها فدخلناها للتفرج عليها

ودار العواجز هذه بناها لويس الرابع عشر سنة ١٦٧١ برسم العواجز المصابين في الحروب من متقاعدي العساكر الّذين لا أَهل لهم أَو الّذين يُفضّلون منهم المُقام بها على الاقامة عند أَهلهم فيقيمون فيها الى أَخر حياتهم تجري عليهم الارزاق يدبر أُمورَهم جنرال من أَقدم القواد يأْكلون ويتفسحون في بستان الدار المتسع ويتفرجون على متحف الطوبجيّة فيذكّرهم قديمَ المجد ويتعبّدون في الكنيسة المبنيّة لهذا الغرض في نفس الدار او يتسلّوْنَ في محل الاستراحة بقراءة صحف الاخبار والتآليف الّتي يُهديها الى الدار مَن هو على شاكلتهم في الاصابة ولكن حالهُ المالي أَحسنُ من حالهم

وتشغل دار العواجز المذكورة مساحة من الارض تبلغ نحو ١٢٧ أَلف متر مسطح وهي جُعلت لان تسع خمسة آلاف شخص من هؤُلاء وان لم يكن فيها وقت زيارتنا منهم غير ٤٠٠ فان أَغلب المصابين يوثرون المعيشة في بلادهم بالمعاش الذي تُجريهِ عليهم الحكومة عن المعيشة في هذه الدار حباً في الاستقلال

ويمتد بين هذه الدار ونهر السين ميدان غاية في الاتساع يعرف بساحة دار العواجز طولهُ نحو ٥٠٠ متر وعرضهُ نحو ٢٥٠ متراً كما مر تحتاط بهِ الاشجار العالية من كل جانب وقد أُقيم بهِ في هذه السنة بعض أَقسام المعرض كما سبق

ويُفْصَلُ هذا الميدان عن رحبة الدار بحاجز من حديد ووراءهُ خندق موضوعة عليهِ مدافع تستعمل لإِعلام المدينة اذا اطلقت بالوقائع المهمة عند اقتضاء الحاجة

ورحبة الدار المذكورة جعلت على هيئة بستان مزدان ببعض المدافع التي غنمها الفرنساويون في حروبهم مع الدول العظيمة

وهيئة الدار غاية في العظم فان طول وجهتها يبلغ نحو ٢٠٠ متر وهي ذات ثلاث طبقات تعلوها صور ناتئة في الحجر تمثل النصر والظفر في وقائع الحروب

ومتحف الاسلحة واقع في الجهة الغربية من بناء هذه الدار وهو في غاية الاستيفاء والكمال جمع جميع الاسلحة قديمها وحديثها كبيرها وصغيرها متقنها وغير متقنها من البلاد المتمدنة وغيرها من سائر البلاد

وبهذا المتحف عدة أروقة بعضها مخصص بالاسلحة التي تستعمل للهجوم والدفاع من نارية و بيضاء وبعضها مخصص بملابس الفرسان في الحروب و بعضها خصص ببيان هيئات رجال الحرب من الشعوب المختلفة في الممالك البعيدة و بعضها بهيئة رجال الحرب في الازمان الغابرة

فالاسلحة المستعملة للدفاع تشمل ما يلبسهُ المحارب لوقاية جسمهِ من صدمات عدوهِ ويوجد في جملة هذه عدة من ملابس الملوك والامراء والكبراء

والاسلحة المستعملة للهجوم تشمل المدافع والبندقيات والطبنجات وسائر الاسلحة النارية كما تشمل سائر الاسلحة البيضاء المستعملة عند جميع الامم وفي سائر البلدان

ويتبع الاسلحة المذكورة عُدد الخيل وملابس المحارب من راسهِ الى قدمهِ ورواق هيئات رجال الحرب من الشعوب المختلفة بهِ صور اثنين وسبعين شخصاً مجسماً لابسين ملابس الهيئات الحربية على اختلاف انواعها في بلاد الجزائر الاوقيانوسية وامريكا وسواحل آسيا وافريقية

ورواق هيئة رجال الحرب في الازمان الغابرة مشتمل على اثنين وسبعين شخصاً ايضاً على هيئة الجلالقة واليونان والرومان والفرنساويين من زمن شارلمان الى آخر القرن الثامن عشر

وبجوار هذا الرواق رِواق ليس بأقل من السابقين اهمية مشتمل على صور صغيرة مجسمة من الاسلحة من سابق الازمان الى الازمان الحاضرة

وقد رأينا بأحد المحال سلسلة من الحديد طولها ١٨٠ متراً استعملها العثمانيون لوقاية وإمساك جسر ممدوه على نهر الطونة ايام محاصرتهم ويانه سنة ١٦٨٣

وفي محيط بعض الاروقة من الداخل رايات فرنساوية مختلفة الاصناف والاشكال والازمان

اما الكنيسة فتنقسم الى قسمين ممتازين عن بعضها محلّ التعبد وقبةُ قبر ناپليون

فمحل التعبد مزين ببعض الرايات الّتي اكتسبها الفرنساويون من اعدائهم في الحروب ومنقوش على عمده اسماء الجنرالات الّذين تولوا امر دار العواجز هذه واسماء القواد المدفونين في هذه الكنيسة

وقُبّة القبر مستقلة بحيث لها باب من الخارج وان كان لها باب من الداخل وهي عبارة عن مربع ضِلعهُ ستون متراً وفي وسطهِ قبر ناپليون من قطعة واحدة من الحجر طولها اربعة امتار وعرضها متران وارتفاعها اربعة امتار ونصف وحول القبر تماثيل مصنوعة في الحجر عددها عشرة تمثّل الاصلاحات الّتي أتمها ناپليون مثل اعادة النظام واصلاح الادارة والمجلس الاداري والكود وانتشار التجارة والصناعة الى غير ذلك ثم يلي هذه التماثيل تماثيل الوقائع الشهيرة الّتي حصلت في

مدته منقوشة في الحجر ايضاً وفوقها ستون راية موضوعة بوضع لطيف بقيت بدون احراق من الرايات التي اكتسبها من اعدائهِ في المحاربات

وفوق هذا المربع محيط مستدير ارتفاعهُ خمسون متراً بهِ اثنتا عشرة نافذة لكل نافذة بجانبيها عمودان من احسن العمد بحيث يبلغ الجميع اربعة وعشرين عموداً وبين النوافذ صُوَر الحواريين وفوق هذا المحيط تحيط القبة وهي مصنوعة من الخشب محلاةٌ من داخلها بأحسن الرسوم والنقوش والتماثيل ومغطاة من الخارج بطبقة من الرصاص مطلي قسم منها بالذهب بحيث تُرَى من مسافات بعيدة

وفي القبة غير قبر نابليون على بعد منهُ قبور بعض المشاهير من اقربائهِ مثل قبر جيروم بونابارت مَلك وستفاليا وقبر جوزيف (يوسف) بونابارت ملك اسبانيا

وقد نُقِلت جثّةُ نابليون لهذا القبر من محل منفاهُ في سنة ١٨٤٠ وكُتِبَ على باب قبرهِ من الداخل هذه الكلمات مترجمة من وصيتهِ "أتمنى ان أُدفن على شواطىء نهر السين بين الأُمة الفرنساويّة الّتي احببتها كثيراً"

ثم بعد انتهائنا من زيارة دار العواجز سرنا مارين على نظارة الخارجيّة وسراي مجلس النواب فتفرجنا عليها من الخارج لعدم انعقاد المجلس في ذلك الوقت وهذه السراي بنتها اميرة من امراء البوربون سنة ١٧٢٢ ولذلك تسمَّت سراي البوربون ثم انتقلت بعد مدد الى الحكومة فجعلتها مقرّاً لمجلس الامة ثم لمجلس النوّاب الآن ويبلغ عدد اعضائهِ ٥٧٤ عضواً ووجهة هذه السراي المتجهة الى نهر السين بنيت في سنة ١٨٠٤ تشبه كما تقدم في ثاني يوم في باريس وجهة كنيسة مادلين المقابلة لها على بعد من حيث انها مرتفعة يصعد اليها بسلم يعلوهُ اثنا عشر عموداً

ومن أَحسن التماثيل المنقوشة في الحجر على هذه الوجهة التمثيل المرسوم في القطعة المثلثة الّتي تعلو العمد في مقُدَّم هذا البناء حيث مَثّل فرنسا ماسكة بيدها القانون الاساسي تحيط بها الحريّة والنظام العام والتجارة والزراعة والسّلم وغير ذلك من الصور الناتئة في الحجر

ثم سرنا بعد ذلك على حافة نهر السين فمررنا بجوار قنطرة ميدان كونكورد ومررنا بجوار سراي ليجيُون دُونُور الى ان وصلنا السراي الملوكيَّة (پَاليه رُويَال)

وهي من اشهر مواقع پاريس بناها في الاصل الكردنيال رِشلْيُو الشهير (من سنة ١٦١٩ الى سنة ١٦٣٦) ثم أَوصى بها الى لويس الثالث عشر فصارت تنتقل من أَمير الى أَمير ومن ملك الى ملك ومن حكومة الى حكومة حتى ورثتها الحكومة الحالية وهي لاتزال تسمَّى السراي الملوكيَّة بعد ان كانت في اول نشأتها تسمى السراي الكردينالية

وقد بنى أَحد الأُمراء الذين ملكوها الدكاكين الّتي تحيط ببستانها

وهي تنقسم الى قسمين ممتازين عن بعضها السراية الاصليَّة ووجهتها واقعة على الميدان المعروف باسمها تجاه قسم سراي اللوفر الذي يسكنهُ ديوان الماليَّة والقسم الآخر البستان مع الدكاكين الّتي تحيط بهِ

أَما السراي فباعلاها (كونسِي دِيتا) المجلس الاداري وبأَسفلها دكاكين متسعة مسقوف أَمامها بسُقُفٍ مركوزة على عمد يسكن غالبها مشاهير بائعي الكتب وملتزمي طبعها وباحدها شُوفِيهْ الشهير يبيع الفواكه والخضراوات في أَوانها وغير أَوانها حيث تجلب اليهِ من سائر أَقطار العالم

أَما الحوانيت المحدقة بالحديقة فتفتح أَبوابها الى ممشى يحيط بالبستان مغطَّى

بِسُقفٍ محمولة على عمد وتُفتح ايضاً من الجهة المقابلة لابوابها المذكورة الى الشوارع المحيطة بالسراي من الخارج فلكلّ منها بابان وتُباع فيها أصناف المجوهرات والحلي وأدوات الزينة والزخرفة بسائر أنواعها وفوقها في الطبقة العليا منها محالّ للاكل باثمان عالية وغير عالية واما الحديقة فطولها ٢٣٠ مترًا وعرضها ١٠٠ متر بكل جانب منها اربعة صفوف من الاشجار وفي وسطها حوض ماء تعزف بجانبهِ الموسيقي العسكريّة ثلاث مرات في الاسبوع وقت العصر حيث تتماشى حولها الرجال والشبان والنساء الحسان

وفي الجانب الغربي من الجهة الشماليّة تياترو (پَالي رُوَيّال) السراي الملوكيّة يُلعب فيهِ بالروايات ذات الاغاني المفرحة والتمثيلات المضحكة

وبعد ان تفرجنا على هذه الامكنة وتغدينا بأَحد الفنادق بها أحسن الغداء ركبنا العربات ثانيةً فتفرجنا على كنيسة سَانت أُوستَاش الشهيرة لقِدَمها وقد بنيت في اكثر من مائة سنة (من سنة ١٥٣٢ الى سنة ١٦٣٧) وكثيرًا ما تقصدها السياح لزخرفتها واتقانها

ثم تفرجنا (على هَالْ سَانترَالْ) السوق المركزيّة وقد سبق لك بيانها فرأينا فيها اليوم من المحاسن ما لم نرهُ في اول مرّة وهكذا مثل هذه المحلات المتسعة كلما تردد عليها الانسان رأى فيها ما لم يرهُ اولاً وزاد اعجابهُ بها ومن جملة ما رأيناهُ اليوم أن الاسماك بها تحفظ وفيها الحياة في حياض مياهها دائمًا متجددة بواسطة مواسير تمدها بالمياه على الدوام فالبائع يفرّج الشاري على السمك فيأخذهُ لو اعجبهُ وان لم يعجبهُ اعادهُ صاحبهُ الى الماء فيبقى بدون خطر عليهِ مهما طال الزمان

ثم مررنا من هنالك على بلوار سواستابول وهو من احاسن بلوارات باريس

بعد البلوارات الكبيرة ومنهُ سرنا الى ساحة الجمهورية ومنها الى ساحة الباستيل المعلومتين لنا من تفرُّج سابق

ثم اتجهنا الى الشمال الشرقي سالكين من سكة لارُوكِيت قاصدين التفرج على مدفن (پِيرْلاَشِيز) مارّين قبل الوصول اليهِ بجوار حبس (لارُوكِيْت) وهو مختص بحبس المحكوم عليهم بالنفي او القتل وامامهُ الحبس المعروف بحبس الشبان وكلاهما على شكل القلاع اسود الوجهة محزن المنظر وبينهما ميدان يعرف بميدان التنفيذ لان احكام الاعدام تُنفَّذُ فيهِ فتُنصب آلة الجِيلْيُوتين (نسبة الى مخترعها الدكتور جيلْيُوتَانْ) في وسطهِ

وحاصل ما يكون في امر الاعدام ان كل من يحكم عليهِ بهِ يُنقل الى ذلك الحبس ويوضع في غرفة بانفرادهِ يلاحظ فيها بكيفيَّة مخصوصة لا تُمكّنهُ من قتل نفسهِ قبل تنفيذ حكم القتل العلني عليهِ ويبقى في ذلك الحبس ينتظر الحكم من محكمة النقض والابرام بسبب تظلمهِ اليها فان كان حكمها برفض تظلمهِ لا يُعلن اليهِ ذلك الحكم الا قبل التنفيذ بساعات ليعيش المدة الباقية من عمرهِ في الامل والرجاء

فاذا جاء وقت التنفيذ وصدر امر النائب العمومي بهِ جاء الى ذلك الحبس قبل شروق الشمس بنحو ساعة كاتبٌ من المحكمة ورئيس الحبس فيدخلان على المحبوس ويُنبّهانهِ من نومهِ ويتلو عليهِ الكاتب رفض تظلمهِ الذي رفعهُ الى محكمة النقض والابرام ويسألهُ مأمور الحبس عما يرغبهُ من مأكل ومشرب وغيرهِ ويدعوهُ الى تغيير الثياب وحينذاك يحضر حلاق الحبس فيحلق لهُ شعرهُ من جهة القفا لسهولة مشي السكين ويختلي بهِ قسيس الحبس ليعترف لهُ بذنبهِ ويتوب على يدهِ ان اراد ثم يساق الى حيث نصبت آلة العذاب ومعهُ القسيس فيرقى سلمها ويستلمهُ

معاونا مأمور التنفيذ وهو مكتوف الايدي فيُميلانهِ الى الامام ويحجزانه عن الاعتدال بقطعة من الخشب ثقيلة تنطبق عليهِ والناس وقوف حول هذا المحل تمنعهم العسكر بالسلاح من زيادة التقرب اليهِ والمحكوم عليهِ يكون تارةً في حالة تجلدٍ وتارةً بعكس ذلك كل هذا قبل شروق الشمس فاذا اشرقت وسطع نورها كأَنها تشير الى احقاق الحق وظهورهِ قطع مأمور التنفيذ الخيط المعلق بهِ سكين الآلة (وهي شبيهة بمفرمة الدخان) المثقلة بالرصاص فتنقض على قفا المجرم فتسقط رأسهُ في سبت مملوءٍ من الردّة وما يلبث الاَّ ان تؤخذ رأسهُ مع جثتهِ في عربة مغطاة تسير بها الى المقبرة فيدفن فيها المقتول ظاهراً ويحرر المحضر بذلك وفي الحقيقة أنهُ يُسلمَّ الى مدرسة الطب لتُجري فيهِ عمليات التشريح في غالب الاحيان — فلما وصلنا الى

(مقبرة پيرْلاشيز) تفرجنا عليها وهي اهم مقابر باريس بجهة الشرق منها و بها مقبرتان غيرها احداها مقبرة مُونمارْتر في جهة الشمال وثانيتهما مقبرة مُونبَارْناس في جهة الجنوب

وسميت بمقبرة پيرلَاشِيز نسبةً لاسم قسيس لويس الرابع عشر كانت لهُ دار بموضع الكنيسة الَّتي في المقبرة اشترتها منهُ المدينة وجُعلت في محلها الكنيسة المذكورة واشترت بعض محلات حولها وصارت تتسع المقبرة الى ان صارت الآن أَشبه بمدينة مسطحها ٤٤ هيكتار تُدفن فيها سائر اصناف العالم وترغبها الاغنياء من الناس

وطرق الدفن في مقابر باريس ثلاث اولها طريقة دفن الفقراء وثانيها طريقة الدفن الموقت وثالثها طريقة الدفن الدائم اما دفن الفقراء فانهم يدفنون

مجاناً في (الحفر العموميّة) الواحدة منها تسع نحو الخمسين وتُردم عليهم ويدفن في غيرها حتى يمضي وقت تذوب فيهِ الاموات فتُفتح حينذاك وتنقل عظامهم منها او تُحرق ويُدفن فيها غيرهم وهكذا واما الدفن الموقت او الدائم فيكون بشراء قطعة من الارض من البلديّة للدفن فيها لمدة او الى الابد واصغر قطعة تلزم لدفن شخص واحد متران مربعان من الارض وثمنها في الشراء الدائم سبعمائة فرنك ولمدة ثلاثين سنة ٣٠٠ فرنك ولمدة خمس سنوات ٥٠ فرنكاً واذا زاد العدد عن مترين كان ثمن كل متر يزيد الف فرنك الى ستة امتار فاذا زاد عن الستة كان ثمن كل متر يزيد عنها الفي فرنك

وتُدفن الاموات في باريس بمعرفة شركة مخصوصة تَدفن الفقراءَ مجاناً وتدفن غيرهم بحسب الدرجة الّتي يرغبها أَهلوهم ولها تعريفة بها تسع درجات معمولة بتصديق البوليس أَدنى درجة فيها ١٢ فرنكاً و ٧٥ سنتيماً واعلاها ٧١٤٤ فرنكاً ولا يدخل في ذلك ثمن الارض الّتي تُشترى في المقبرة ولا ما يعطى في الكنائس نظير الصلوات والدعوات

وتُفتح هذه المقبرة وغيرها من الصباح الى المساء فتخرج منها الناس حينئذٍ ولا يجوز لهم اخذ اي شيء معهم منها حتى من الزهور الاّ باذن اصحاب الادارة فيها وكلها مقسمة الى سكك وشوارع تُعرف باسماء لها وهي غاية في الانتظام. تكتنفها الابنية العالية المزخرفة بالتماثيل والنقوش والصور ولكن قلما تكون هذه القبور المزخرفة لمشاهير الوطنيين والعلماء الاّ ان الخلف قد تكفّلوا مع ذلك بان يَشيدوا لبعض هؤلاء من الآثار الحجريّة ما يجعلهم لا يخجلون ممن بجوارهم من الاغنياء لو كانوا احياء وان كانت تآليفهم واعمالهم النافعة لوطنهم وللجنس البشري

تُغنيهم عن جميع ذلك

والطرق الكبيرة منها مظللة بالاشجار تجري بجوانبها المياه المخصصة بري الحشائش النباتيّة في سائر انحاء المقبرة حتى صيَّرتها على اتساعها كبساط سندس أخضر غاية في اللطف والبهاء فيقصدها كثير من الناس لاسِيَّما في بعض ايام من سنة للتفسح وزيارة الاموات حتى يبلغ عدد الزائرين فيها في اليوم الواحد نحو المائة الف نفس في ذلك الاوان

وباحدى جهات هذه المقبرة فرن مجعول لاحراق الاموات على طريقة القائلين بعدم الدفن في الارض خشية أن تؤثر في الاموات عواملُ الرطوبة فتمتص الارض منها مواد العفونة فتبعثها الى المياه الّتي تمد الانهار فتشرب منها اصناف المخلوقات فتضُر بالصحة العموميَّة ولهذا رأى هؤلاء القوم ان تُحرق امواتهم ويُحفظ ترابها عند الاقرباء فبُنِيَ هذا المحل لهم في هذه المقبرة من باريس وابتدئ في احراق من يوصون لانفسهم بهِ او من يرغب اهلوهم فيهِ يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ حيث أُحرِق فيهِ شخص أوصى قبل موتهِ بذلك وهذا المحل عبارة عن قاعة ينتظر فيها الاحباب والاقرباء ويُدخل بجثة الميت الى محل بها فيهِ تنور يوقد بالخشب من سائر اكنافهِ ويُوضع الميت على معدن في وسطهِ غير قابل للاحتراق ويستمر الايقاد حتى تبلغ درجة الحرارة نحو ٨٠٠ درجة والجسم لم تمسهُ مع ذلك كلهِ النار بل يذوب من شدة الحرارة وانعكاس اشعتها فيهِ بدون ان يسمع نشيش او فرقعة اعضاء منهُ فان الغازات الّتي تتكوَّن من الحريق تنصرف في مسالك عُملت لها وتُستهلك بها بحرارة ثانية تتسلط عليها فيها فلا يمضي نحو ساعة ونصف او ساعتين بالاكثر من وقت وضع الجثة بذلك المحل الاَّ وقد

احترقت وصارت رماداً وزنهُ بقدر جزء من اثني عشر من زنة الجسم قبل الاحتراق فتستلم اهل الميت الرماد وتذهب بهِ الى حيث تشاء وقد هلك كل شيء منهُ حلّتهُ الحياة

وبعد ان فارقنا مقبرة پيرلاشيز سرنا من البلوارات الخارجيَّة ومررنا من بلوار ميلينمونتان و بلوار بلڤيل حتى وصلنا منتزه بوت شومون وجدير بنا التنزه بهِ بعد رؤية مكان التنفيذ ومقبرة الأموات

وهذا المنتزه انشئ على قطعة كبيرة من الأرض اصلها مرتفع استُخرِجَ منهُ كثير من الاحجار فصار كثير الأنجاد والأغوار كان قبل جعلهِ منتزهاً تأوي اليهِ الاشقياء وتودع فيهِ الأقذار الى ان صار تنظيمهُ بالحالة التي هو عليها الآن وصار الانتفاع في ذلك التنظيم بمحلاتهِ العالية حيث أُقيمت فيها الكهوف الصناعيَّة الشبيهة بالكهوف الطبيعيَّة التي بالجبال يخترقها نهر ينصب منها على ارتفاع عشرين متراً في بحيرة صناعيَّة متسعة تُحدق بهذه الكهوف وقد صار توصيل واحد من هذه الكهوف لآخر منها بكوبري من الحديد جعل بينهما على طول ثلاثة وستين متراً مرتفع عن سطح الماء باكثر من ثلاثين متراً يتمتع فوقهُ الناظر بمنظر بهيج باهر فاذا صعد الى كهف أعلى انكشف أمامهُ منظر جزء عظيم من المدينة فاذا علا منهُ الى الصخرة التي بعدهُ بواسطة كوبري أُقيم بينهما من الحجر انكشفت لهُ المدينة بتمامها ونعم المنظر الحسن

والحاصل ان هذا المنتزه جعل ذلك المحل الخرب الذي أُقيم فيهِ من ابهج المحلات وحسَّن قيمة جميع الارض المجاورة لهُ وقد كانت قبلهُ مهملة لا تباع ولا تشرى فصارت بمجاورتهِ مقرًّا للمعامل المعتبرة والمصانع العظيمة كما قيل

(بجيرانها تغلوا الديار وترخُصُ) وصار يسكن ما جاور هذه المعامل من المساكن من يشتغل بادارتها من العمال وربحت الحكومة الّتي قامت بهذا العمل من أثمان تلك الارض المجاورة ما عوّضها الذي صرفتهُ في سبيل هذا الاصلاح من المال فهي زيادة عن أنها لم تخسر شيئاً في هذا العمل قد اكسبت المدينة منتزهاً من أحسن المنتزهات يبلغ مسطحهُ اكثر من ٢٢ هيكتاراً

هذا وإنني بعد ان طالعت من كتاب الدليل في خصوص هذا المنتزه ما نقدم معناهُ واعقبت ذلك بالمشاهدة يصحبها الاعجاب والاستحسان انصرف خاطري في الحال وانا على ذلك المرتفع الى الوطن العزيز ومصرهِ فتذكرت ما ترتب على تنظيم الشوارع بجهة التوفيقية من ارتفاع قيمة الارض بها بعد ان كانت بدون القيمة وتمنيت أن لو استمر الاصلاح في طرق القاهرة وصار توسيع الضيق منها بشوارع متسعة معتدلة منتظمة لتبثّ وتنتشَر بداخل البلد ومساكن الوطنيين فيهِ موجبات الصحة من طيب الهواء وتجديدهِ وانتشار الشمس بالاماكن وزوال الرطوبة منها ولا تَصرِفُ الحكومة في هذا الاصلاح الاّ القليل في ابتداء الامر لانتفاعها بعلو قيمة ما يبقى من المحلات الّتي تشتريها لمرور الشوارع منها وهي تأخذها نظرًا لحالتها الاولى بابخس الاثمان فهي لا شك تربح اكثر مما صرفتهُ اوّلاً وهب انها خصصت بذلك في الميزانيّة مبلغاً سنوياً من المال تصرفهُ من غير ان يعود عليها عِوَضهُ فلا ريب انها تُحمد على ذلك وتكون قامت بالواجب نحو عاصمة البلاد وأدَّت ما ينبغي عليها من الاصلاح فيها ومرضاة اهليها بوسائل التحفُّظ على صحتهم المقدمة على المال

واذ وصلت الى هذا الحد من التأمل اخذ الدليل الذي يصحبنا يشير الينا

بالنزول من المرتفع لنسير الى التفرّج على ما بقي من الآثار في هذا النهار فتبعناهُ وخرجنا سائرين في شارع لافاييت ثم شوارع پورت سان مارتان وسان دنيس وما بعدها من البلوارات حتى وصلنا الى محل كوك ثم منهُ الى الفندق آخر النهار

وتوجهت في الليل مع صاحب لي من الفرنساويين صحبتهُ في مدة دراستي وقد ساقتهُ الصدفة بطريقي في هذا المساء الى تياتر (پالي رُويّال) الذي سبقَ القول فيهِ بانهُ مخصص بالتمثيلات الاضحوكيّة والروايات ذات الاغاني المزليّة فتفرجنا وتحصلنا على ما لم يكن يخطر لنا من السرور والأنس والانبساط على بال حتى بعد نصف الليل فافترقنا بعد ان استودعت صاحبي لسفرهِ في صباح اليوم التالي الى جهة اعمالهِ وتوجهت الى الفندق فنمت الى الصباح

﴿ عاشر يوم في پاريس ﴾

كنا خصصنا هذا النهار وهو يوم الاحد ١١ اغسطس سنة ٨٩ بالاستراحة من التنقل في جهات پاريس وعزمنا على زيارة مُوجيل بك رئيس الارساليّة المصريّة بفرانسا حيث ابتدأنا هو بالزيارة وصحبنا لزيارة بعض المدارس كما قدّمنا ذلك

فتوجهنا الى منزلهِ في طريق رِين راكبين عربة فصادفنا عندهُ جيجون بك ناظر مدرسة الفنون والصنائع بمصر وقت ذاك لكنهُ كان بپاريس حينئذٍ بإجازة فالحّ على سيدي الوالد العزيز ان نذهب معهُ للتفرُّج على دار الصنائع والفنون (كُنسِر واتوار دِ يزار زِيمِتييه) بها قائلاً ان فيها من الأشياء المفيدة والادوات

المهمة ما يسر سيدي لرؤيتهِ . ولما لم نجد بدًّا من التخلص صحبناهُ وركبنا عربة سرنا بها حتى وصلنا بلوار سباستاپول ووجدنا على اليمين منهُ الميدان المنسوب الى اسم هذه الدار فدخلناهُ ودخلناها من بابها المدخول لهُ من هذا الميدان

وتشتمل هذه الدار على متحف للصنائع والفنون وعلى محلات معدة للتدريس وقد صدر الأَمر بانشائها في سنة ١٧٩٤ وان كانت فكرة ايجاد متحف للآلات موجودة قبل هذا التاريخ

وأول من اخذ في جمعها ڤُوكانسُونْ الميكانيكي الشهير حيث أَوصى للحكومة بمجموعتهِ الَّتي صرف في جمعها نفيس العمر والمال من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٣ فكانت اساس هذا المتحف العظيم

فاذا دخل الانسان من الباب وجد رحبةً على اليمين منها كتبخانةٌ تشتمل على ٢٥ أَلف كتاب ووراءَ الكتبخانة متسع تحيط بهِ محال تدريس ثلاثة ومحال معامل عن يمينها قاعة الآلات وعلى اليسار من هذه الرحبة محالٌ بعضها للادارة وبعضها لبعض آلات المتحف والجزء المهم من هذا المتحف مواجه لمدخل رحبة الدار ويُصعد اليهِ بسلم متقن الصنع عظيم الارتفاع على يمينهِ تمثال پَاپَانْ مخترع الماكينات الَّتي تدور بالبخار (ولد سنة ١٦٤٧ وتوفي سنة ١٧١٤) وعلى يسارهِ تمثال لُوبْلَانْ (ولد سنة ١٧٤٢ وتوفي سنة ١٨٠٦) وهو اول من استخرج من الملح الصودا العظيمة النفع في الكيمياء الصناعيَّة

وينقسم ما جمع في هذا المتحف الى اربعة وعشرين قسماً كل قسم منها ينقسم في حد ذاتهِ الى عدة اقسام وقد بلغ فهرست ما دخل تحت هذه الاقسام في سنة ١٨٨٢ الى ٩٩٢٥

وقد بذل كمال الاعتناء في جعل ترتيب الآلات بحسب تاريخ اختراعها من اول نشأتها حتى وصلت الى الحالة الّتي هي عليها الآن فآلات النسيج مثلاً رأيناها على حالتها الاولى من السذاجة ثم تقدمت تدريجياً حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن والقناطر رأينا كيف كانت تُصنع في اول الاعصار ثم كيف تقدم عملها بالتدريج ومثل ذلك السفن الحربيَّة وبعدها البخاريَّة ممثلة باشكال صغيرة غاية في الدقة والاستيفاء ثم آلات الكهرباء ثم غير ذلك من جميع الآلات الّتي تدار باليد وبالبخار حتى وجدنا أدوات رفع المياه اولها شبه تابوت من خشب كالمستعمل عندنا عثروا على قطعة منهُ نحو الربع في بلاد الاندلس حيث كان يُستعمل لرفع المياه فيها قبل الآن بستمائة سنة فجلبوا هذه القطعة الى هذا المتحف واستمرت بعد ذلك الآلات في التقدم حتى وصلت الى ما هي عليهِ من الاتقان

فتفرجنا على جميع القاعات بالطبقة الارضيَّة والعلويَّة ومعنا جيجون بيك وامين المتحف الذي هو صاحبهُ ورفيقهُ من وقت التعليم بالمدرسة يفهّمانِنا خصائص جميع الاشياء

فاول قاعة دخلناها بعد الدهليز القاعة المعروفة بقاعة الصوت سُميت بذلك لانها مبنية بهيئة هندسيَّة من مقتضاها انهُ اذ اوقف انسان بركن من اركانها ووقف آخر في الركن المقابل لهُ وتكلم احدهما بصوت غاية في الانخفاض فانهُ يسمعهُ الآخر لامحالة كما شاهدنا ذلك ورأينا فيها من التحف معادن حديديَّة على هيئتها الاصليَّة وعلى هيئتها الّتي استعملت فيها بعد ذلك بالسفن وادواتها

وتفرجنا في غير هذه القاعة على المقاييس والمكاييل فرنساويَّة واجنبيَّة وعلى الآلات المتعلقة بعلم هيئة الارض ومساحتها وبالفلك والمتعلقة بالساعات

و بمقياس الهواء و باصطناع تروس الساعات و بالآلات الهندسية

وفي غيرها على متعلقات العمارات المدنية من حدائد وأقفال ومرمر واخشاب وفي غيرها على كيفيات قطع الأحجار وآلاتها

ثم في اخرى على الآلات والأدوات المتعلقة بالمياه واخصها القناطر والجسور وفي أخرى على الآلات المتعلقة بالانارة والتدفئة وتهوية الاماكن

وفي قاعة على آلات استخراج المعادن من محالها وتنقيتها وكيفية تطريق الحدائد واصطناعها

وفي قاعة على آلات وابنية الزراعة بجميع أجناسها واصنافها

وفي قاعة على آلات شتى منها طاحون هواء ثم سفينة شراع ثم آلات تدور بالخيل ثم آلات تدور بقوة الماء ثم آلات تدور بالبخار على اختلاف أصنافها وأشكالها ثم آلات تدار باليد مستعملة في كل الصنائع والحرف ثم آلات السكك الحديدية ووابوراتها والآلات المستعملة في الكيمياء الصناعية والمستعملة في المأكولات والمشروبات والاعمال المنزلية

وفي قاعة على آلات الغزل والنسيج وأدواته بأصنافها وحولها جميع المنسوجات من حرير وقطن وصوف حتى رأينا من أبسطة جُوبلَان و بُوفيه الشهيرين

وفي قاعة على الآلات المتعلقة بالفنون الكيماوية مثل فن النقش والتصوير على الاقمشة وفن صنعة الورق وما يتركب منهُ من المواد وفن الطبع بالحروف والحجر والنقوش والصور ذات الالوان وآلات الكتابة ثم آلات الفطوغرافيا

وفي قاعة على آلات الصباغة وآلات صنع أواني الفخار والصيني واواني الزجاج والبلور ومواد تركيب ذلك وكيفيات عمله

وفي قاعة على مصنوعات البلور والزجاج بما فيها من تقليد حجارة الالماس الثمينة وبجوارها قاعة هذه المصنوعات من بلاد الاجانب ثم قاعة الماكينات الحسّابة والعدّادة وغيرها من مماثلاتها من الماكينات

هذا من حيث الآلات واما من حيث التعليم فيها فاهميتهُ بالنسبة للصنائع والفنون كاهمية التعليم بمدرسة سُوْربون الجامعة الشهيرة بالنسبة للعلوم والآداب

وهو عمومي مجاني ليلي علمي عملي عهدت بهِ الحكومة الى اشهر العلماء يقصدهُ من لا يحصى عددهم من الناس فيزيدون في الدرس الواحد عن ٦٠٠ ولا ينقص متوسطهم عن ٢٥٠ او ٣٠٠ يقعدون على مدرج منور مُدَفَّإٍ مُغَيَّرٍ هواؤُهُ على حسب الفصول

فتدرس بهِ الهندسة والميكانيكا والطبيعة المتعلقات بالصنائع والهندسة الوصفيّة والعمارات المدنيّة والكيمياء من حيث تعلقاتها بالصنائع على العموم وباعمال الصباغة وأواني الفخار والصيني والزجاج على الخصوص والكيمياء الزراعيّة وعلم الزراعة والمباني الزراعيّة والتدبيرُ الزراعي وعلم الغزل والنسيج والتدبيرُ السياسي والقوانينُ المتعلقة بالصناعة والتدبيرُ الصناعي وعلمُ الاحصاء والقانونُ التجاري

ويلي محلات التعليم معامل كيماويّة للتعليم العملي ثم قاعة الآلات البخاريّة يديرها البخار فتدير الآلات وتصنع سائر المصنوعات وكانت تشتغل ايام الآحاد قبل ان يتقرر ايقافها حتى تنقل الى محل جديد لعدم متانة المحل الذي هي بهِ الآن

وفي قاعة الآلات البخاريّة هذه تُختَبَرُ المخترعات فيحرر المكلفون باختبارها تقريرًا يخبرون فيهِ بالنتيجة التي صار حصولها من تشغيل الشيء المخترع بدون مدح ولا اطراء مقتصرين على ذكر الواقع ليس الّا وفيهِ الكفاية

ولم نفرغ من زيارة هذه الدار الّا قرب انتهاء النهار وقد شغلتنا عن الاكل بدائعها ونفائسها واتقاناتها وتحسيناتها وما يستدل بهِ فيها على اتساع معارف الانسان وترقياتهِ التدريجيَّة الى اوج الكمال وعلى ما جاءَ بهِ العلماء من خدمة النوع البشري ببديع اختراعاتهم الّتي اهتدوا اليها بانوار العلم والعرفان وكنا مع كثرة المشي وطول مدتهِ لم نكَد نستشعرِ بهِ لاشتغال جميع حواسنا بهذه المشاهدات

وشكرنا صاحبنا الذي كان الاصل في هذه الزيارة وصاحبهُ الذي تكرم علينا بالتعريفات والايضاحات وانصرفنا

وقد وجدت في نفسي بعد الاكل والاستراحة لمَّا اتى الليل القدرة على التوجه للأوپرا حيث كنت تحصلت على تذكرة لها من مدة ايام وكنت انتظر هذه الليلة كل الانتظار فوجدت فيها من انشراح الصدر وفي بنائها من الإحكام والاتقان ما تقدم الالماع بشيءٍ منهُ عند ذكر وصف هذا التياتر في فسحة ثاني يوم بپاريس

❊ اليوم الحادي عشر في پاريس ❊

خصصنا هذا اليوم (الموافق يوم الاثنين ١٢ اغسطس سنة ٨٩) باستكمال زيارة پاريس فركبنا عربة من عربات كوك وكان الدليل بها من اهالي سوريا العارفين باحوال مصر بواسطة تردده ِ عليها مع سُياح كوك في فصل الشتاء فصار يترجم عن الآثار والمشاهدات لرفاقي بالعربي ثم بعدهم يترجم بالانجليزي لغيرهم من الرفقاء الانكليز

فمررنا اولاً بعمود واندُومْ وهو على القرب من الفندق الذي كنا نسكنهُ ببعض خطوات كما سبق في غير هذا المحل قائم في وسط رحبة تعرف باسم ميدان واندوم

وقد اقام هذا العمود نابليون الاول من (سنة ١٨٠٦ الى سنة ١٨١٠) تخليدًا لذكر جيشهِ الذي ظفر بهِ على النمساويين والروسيين في سنة ١٨٠٥ وباعلاهُ صورتهُ مجسمة وارتفاعهُ ٤٣ مترًا و٥٠ سنتمترًا وقطرهُ يبلغ نحو اربعة امتار وهو وان كان هدمهُ رجال الكومون سنة ١٨٧١ الاَّ إنَّهُ بني بعد ذلك كما كان

وهو مبني من الداخل مغطًّى من الخارج بطبقة سميكة من البرونز تحيط بهِ على شكل حلزوني بحيث يبلغ ما يغطي ساقهُ من هذه الطبقة ٢٧٣ مترًا وكلها منقوشة بالتصاوير الناتئة فيها تمثل اشهر وقائع جيش نابليون المعروف بالجيش الكبير في سنة ١٨٠٥ اما هذا البرونز الذي عملت منهُ هذه الطبقة وتمثال نابليون الاول الذي يعلو العمود فمأخوذ من ١٢٠٠ مدفع من المدافع التي اغتنمها الفرنساويون في حرب السنة المذكورة من النمساويين والروسيين ويصعد بهذا العمود من الداخل الى قاعدة التمثال السالف ذكرهُ فيجد عندها الصاعد متسعًا محاطًا بدرابزين من حديد يُطل على احسن مواقع باريس

وانتقلنا من هذا الميدان الى سكة كاستِجلِيُون حيث الفندق الذي نحن بهِ ومنها الى سكة ريڤولي فوصلنا سراي اللوفر

(— سراي لُوڤر —) هذه السراي واقعة بين سكة رِيڤولي السالف ذكرها ونهر السين وهي اهم عمارات باريس بالنسبة لبنائها وما تشتمل عليهِ من نفيس الآثار كما انها اعظم عمارات باريس من حيث السعة والشهرة بل هي من اشهر عمارات

اوروبا باجمعها

وهي من اقدم العمارات الملوكيّة بباريس كان في مكانها سابقاً حصن بناهُ احد الملوك بجانب سور المدينة وتلاهُ آخر فبنى بجوارهِ قصرًا لاقامتهِ الى ان اتى فرنسوا الاول (سنة ١٥٤١) فهدم القصر والحصن وشرع في بناء هذه السراي مكانها واستمر في البناء والتوسيع كل من أتى بعدهُ من الملوك حتى صارت سراي اللوفر على ما هي عليهِ الآن فهي من عمل فَرَنْسوَا الاول وجميع الملوك الَّذين اتوا بعدهُ حتى اتمها نابليون الثالث الامبراطور فاوصل ضلعيها الشمالي والجنوبي بضلعي سراي تُويلرِي الَّتي جعلها مقرًّا لهُ ومركزًا لامبراطوريتهِ

وتنقسم هذه السراي الى قسمين اللوفر العتيق واللوفر الحديث فالعتيق عبارة عن البناء المربع بجهة الشرق المحيط بالرحبة الداخلةِ فيهِ والحديث عبارة عن الجناحين الشمالي والجنوبي المتصلين بضلعي هذا المربع الشمالي والجنوبي الممتد كُلٌّ من هذين الجناحين من الشرق الى الغرب بموازاة بعضهما وسكة ريفولي ونهر السين حتى يتصلا بضلعي سراي تُويلرِي الَّتي جعل مكانها الآن حديقة منذ أحرقها اهل الكومُون سنة ١٨٧١ وكانت على شكل مستطيل يتجهُ من الشمال الى الجنوب فيكوّن الضلعُ الرابعُ شكلاً آخرَ مستطيلاً ضلعهُ الشرقي الضلع الغربي من سراي اللوفر العتيق وضلعاهُ الشمالي والجنوبي جناحا اللوفر الحديث وضلعهُ الغربي سراي التويلري المذكور

ولو نظرتَ في خريطة من خرائط باريس الآن لوجدتَ السين من جهة الجنوب وسكة رِيفُولي من جهة الشمال وبينهما سراي اللوفر العتيقة (على شكلها المربع المحيط بالرحبة الداخلة بهِ كما عرفت) ويليها الضلعان الممتدان بموازاة نهر

السين والسكة المذكورة وهما سراي اللوفر الحديث فينتهيان الى ضلعي سراي التويلري الممتدة بامتدادها حتى يصلا الى الحديقة التي انشئت محل خَرِبات التويلري ويابها طريق يسمى طريق التويلري استحدث بعد ايجاد هذه الحديقة يوصل ساحل السين طريق ريڤولي ويفصل الحديقة التي قلنا بانشائها محل السراي المحْرَقَة عن حديقة التويلري الشهيرة الممتدة من الشرق الى الغرب بموازاة النهر وطريق ريڤولي حتى تصل الى ميدان الكونكورد المشهور وقد سبق ان هذا الميدان متصل بمنتزه شانزِيلزِيه العديم المثال

فبعد ان شاهدنا رحبة سراي اللوفر العتيق وتأمّلنا البناء العظيم المحيط بها وما فيهِ من الإِبداع وحسن النظام ومتعنا النظر بوجهتهِ اليمنى من جهة السين وهي من عمل لُسكُوت من اشهر المهندسين المعماريين وتمتعنا برؤيةِ الوجهة الغربيّة ذات الثلاث الطبقات المعدودة من احاسن ابنية زمن فَرَنْسُوَا الاول بما عليها وعلى غيرها من القباب التي كانت تتخذ في عمارات تلك الاوقات عاينّا البناء من الخارج فاذا هو اكمل جمالاً وازيد بهاءً وكمالاً لاسيما الوجهة الشرقيّة منهُ التي طولها نحو ١٧٤ مترًا على ارتفاع نحو ٢٨ مترًا مزينة بالعمد المتخذة على احسن الاشكال واجمل الهيئات

وانصرفنا بعد هذا الى مشاهدة اللوفر الحديث وهو اكبر من الاول سعةً وامتدادًا تعلوهُ القِباب وتحيط بنوافذهِ العمد المتقنة التي تأخذ بالالباب مزينًا بست وثمانين صورة مجسمة من صور مشاهير الرجال و بثلاث وستين من مجموعات الصور المقصود بها تمثيل الوقائع التاريخيّة الجديرة بالتخليد

اماعدُّ التصاوير والرسومات وحصر الاشكال والهيئآت التي زين بها سراي

اللوفر العتيق والحديث من الداخل والخارج وايفاء هذا البناء حقهُ من الوصف والاطراء فلا يكاد يحيط بهِ البيان كيف وهذه السراي اوسع وافخر سرايات باريس كما اشرنا اليهِ حتى قيل انها اوسع سرايات الدنيا بامرها فقد بلغت مساحتها مع مساحة تُويلري وقت ان كان ١٩٥٠٠٠ متر مربع فضلاً عن كونها معدودة عند ارباب الفن احسن العمارات الفرنساوية من حيث فن العمارة والبناء

هذا ومحلات اللوفر العتيق متخذة متاحف لأنفس الآثار وكذلك بعض محلات اللوفر الحديث من جهة الجنوب اما من جهة الشمال فتسكنهُ نظارة المالية

ونتكلم الآن على متاحف اللوفر العديمة المثال فان لها مقاماً يستلزمهُ الحال

(متاحف لُوفْر) لم تجتمع الذخائر الموجودة في هذه المتاحف من اول وهلة وفي وقت واحد بل جدَّت في جمعها الملوك وساعدت فيهِ الجيوش المظفرة حيث اغتنمت ما طاب لها من بلاد اعدائها ولازالت هذه الذخائر والكنوز تتجمع شيئاً فشيئاً وحذت الامراء حذو الملوك في هذا الأرب واقتفى اثرهم آحاد الاغنياء والموسرين

واول من اخذ في جمع الآثار فرنسُوا الاول ونحا نحوهُ كما سبق الامراء والآحاد حتى أتت الثورة الفرنساوية فجمعت كلما كان متفرقاً في مساكن الملوك المنتشرة في سائر الانحاء وضمت المتفرق منها في سائر البلاد لهذا المحل الذي تأسس سنة ١٧٩٢

ولما عادت الجيوش الفرنساوية من ايطاليا والمانيا وما جاورهما استصحبت معها برسم هذا المحل ما استحسنتهُ في هذه البلاد من الآثار حتى صار متحفاً عمومياً لسائر الديار

والقاعات الحاوية لهذا المتحف كثيرة العدد عظيمة الاتساع حتى يلزم لاجتيازها بأجمعها ولمجرد المرور فيها ساعتان للمجد في السير الماشي بلا توانٍ

ومن هذا يتضح تعسر التفرج على كل هذه القاعات وبالأولى وصف ما بجميع هذه المتاحف من النفائس الحسان

وها نحن سنسير بكَ الطريق الذي سلكناه مستلفتين نظرك الى بعض ما رأيناه وما عليك الآن ان تستعد للسير وتعوّد نفسك الاسراع فالطريق طويل والوقت قصير ولا بد ان نخرج من هنا وقت الظهر أو بعده بقليل لتعاطي الطعام

فاعلم ان الطبقة الارضية تشتمل على المتاحف المخصصة بأعمال الحفر في الحجر والمعادن (سكلتور) والنقش (جرَافور) ومتحف الآثار القديمة المصريّة والطبقة التي فوقها تحتوي على ما يتعلق بالتصوير (پانتور) وعلى الآثار القديمة الصغيرة الحجم المخلفة من الازمان الوسطى والتي بعدها وعلى ما يتعلق بالرسم (دسان) وغير ذلك والطبقة الثالثة تحتوي على متحف البحريّة وعلى قاعات متعلقة بالتصوير ايضاً وعلى متحف علم خصوصيات الشعوب (اتنجرافيك) وبعض قاعات متعلقة بالرسم ايضاً وعلى المتحف الصيني — وها نحن نبدأ

(بمتحف الآثار القديمة المصريّة) هذا المتحف يشتمل على آثار مصريّة عديمة المثال لا تكاد توجد بغيره من متاحف الآثار المصريّة وقد جمع ما يتعلق بديانة قدماء المصريين وعوائدهم وفنونهم وصنائعهم ويشتمل على عدة قاعات

منها المسماة بقاعة هنري الرابع وتحتوي على كثير من الاشياء الكبيرة الحجم مثل تماثيل ابي الهول التي كانت توضع مثناةً على ابواب الهياكل وهي كما لا يخفى على هيئة حيوان تخيلي جسمه جسم الاسد وراسه راس الانسان وتحتوي هذه

القاعة ايضاً على كثير من المسلات المنقوشة بالنقوش المتنوعة وكانت تقام كما هو معلوم تخليداً لذكر عظماء الاموات عندهم وتحتوي على كثير من الصور المجسمة التي استخرجت من المقابر وعلى كثيرمن التوابيت

وقاعة ابيسْ وسميت بذلك نسبة لتمثال العجل ابيسْ احد معبودات المصريين الموجود بها وهومن اعمال العائلة الثلاثين في القرن الرابع قبل المسيح

وبجوار جدران هذه القاعة من الداخل كثير من المسلات الصغيرة المتخذة من الحجر الصوان وكان قدماء المصريين يضعونها في قبر أبيس بعد نقش التاريخ واسم الملك الحاكم عليها فهي لذلك من أعظم النافعات بالنسبة لتاريخ مصر

وبمجاورة هذه القاعة محل صغير بهِ جانبا باب مدخل سِيرَابِيُومْ الواقع بقرب سقاره بمصر وعليهما كتابات من اول مدة عائلة البطالسة

واذ صعدنا في السلم للوصول الى الطبقة العلويّة لمشاهدة باقي الآثار المصريّة وجدنا هذا السلم مغطاة جدرانهُ بأوراق معمولة من البَرْدِيّ عليها أقدم الكتابات المنسوبة لليونان والقبط وفي جملتها قطعة مأخوذة من هيكل الكرنك مكتوب عليها بالخط القديم ذكر واقعة من غزوات طوطميس الثالث من العائلة ٣٨ وهو اكبر ملوك مصر الاقدمين

ويوجد في أعلى هذا السلم كثير من التوابيت المصنوعة على شكل المومياء وعليها كثيرمن النقوش والتصاوير وهي مع قدمها للغاية (بعضها منسوب للعائلة الرابعة او الثالثة) تدل على تقدم المصريين في تلك الازمان تقدماً تحار فيهِ الاذهان

واول قاعة يدخل فيها الزائر بعد ذلك يجد فيها صور بعض الملوك مجسمة

مفرغة في قوالب مأخوذة من الصور الاصلية مثل صورة شِفْرِين باني الهرم الكبير (من العائلة الرابعة) وصورة أمِينِيرِيتيس امرأة پسامِيتِيك الاول (من العائلة السادسة والعشرين)

ويتوصل الانسان من هذه القاعة الى قاعات الانتيكات الصغيرة الحجم

اولاها القاعة التاريخية سميت بذلك لاشتمالها على كثير من الاشياء ذات القيمة التاريخية بها صورة پساميتيك الثاني مجسمة من الحجر الاخضر وبها كثير من الدواليب المغطاة بالزجاج مشتملة على صور متعلقة بالاموات وجعارين وعلى أشياء مصنوعة من الذهب مثل اواني الشرب والسلاسل وكثير من ادوات الحلي والمصوغات العالية القيمة فان الصور الثلاثة الصغيرة الموضوعة بالدولاب الواقع على اليسار وهي صورة اوزيريس وايزيس وهوروش مصنوعة من الذهب اشتريت بمبلغ ٢٥٠٠٠ فرنك

وثانيتها القاعة المدنية لاشتمالها على اشياء متعلقة بمعيشة اهل المُدُن وفيها من الحلي ما هو مصنوع من الذهب أو غيرهِ من المعادن وكثيرٌ من ادوات الزينة المتخذة من الاخشاب والعظم والعاج وكثيرٌ من الصور المجسمة الصغيرة واشكال المساكن مجسمة والكراسي والحصر وقطع من المفروشات وكثيرٌ من المنسوجات البديعة الصنع وفي الدواليب غير ذلك كثيرٌ من الادوات المصنوعة من البرونز والصيني والزجاج والفخار وفيها كذلك الاشياء المصنوعة من الحلفاء على اختلاف اشكالها ومنافعها وبها كثيرٌ من الاحذية والنعال وبها اصناف الفواكه والحبوب وادوات الزراعة والحراثة وهيئة استعمالها وبها الاسلحة وادوات الموسيقي وبها حتى يشتمل على ادوات اللعب باختلافها حتى ان بها سفناً صغيرة على شكل التي

كانت تستعمل في النيل من صنع الازمان السالفة

وثالثتها قاعة متعلقات الاموات وهي مهمة بالنسبة لمعرفة كيفية اعتبار الاموات عند قدماء المصريين وقد كانوا يعتقدون خلود الروح وعدم فنائها ولذلك كانوا يفرغون الوسع في حفظ الاجساد وتصبيرها والتحفظ على عدم فنائها ويبذلون المال الكثير في سبيل بناء القبور المشيدة وقد علمت معتقداتهم في الاموات من كتاب كانوا يضعونهُ او بعضاً منهُ مع الاموات محتوٍ على الصلوات والاجراآت التي يجب على الروح ان تسير بمقتضاها في الآخرة وعلى الاجوبة التي تجيب بها عن الاسئلة التي تُلقي عليها الى غير ذلك

وقد رأينا في هذه القاعة كثيرًا من اوراق البَرْدِي مشتملة على بعض هذه الكتب كما رأينا في الدواليب الموجودة بها كثيرًا من التوابيت المعمولة على شكل الاموات منقوشة بأحسن النقوش مذهبة بأحسن التذهيب وكثيرًا من الجعارين والموميات وكثيرًا من الكتابات الهيروجليفية متعلقة بالاموات

ورابعتها قاعة الآلهة وتشتمل على كثير من صور الآلهة والمعبودات المصنوع أغلبها من البرونز ففيها صور هبس وسخت وامون اوزيريس وايزيس يُرْضعُون هُوروس وفي الوسط صورة من صور الإلاهة أُونُوت وهي من الآلهة الشمسية رأسها على شكل راس اللبوءة الى غير ذلك من الجعارين والصور المصنوعة من الخشب او من مواد غيرهِ محلاة بالذهب

وخامستها قاعة العمد وفيها الاشياء التي لم تسعها القاعات التي قبلها ومن جميع الأصناف الموجودة في تلك وقد رأينا فيها توابيت غاية في الاتقان والزينة لو رأيتها لقلتَ فرغ منها الصانع الآن ورأينا في وسطها صورة نيساهور مجسمة وهو

من اصحاب الوظائف في مصر مدة العائلة السادسة والعشرين ورأينا في الدواليب الزجاجيَّة المرايا والاسلحة المصنوعة من البرونز وبعض آلة ايضاً ثم رأينا كثيراً من الادوات المنزليَّة ومن اهم ما في هذه القاعة الورقة البَرْدِيَّة الملوكيَّة وهي كتاب الأَموات السالف ذكرهُ مكتوب بالهيروجليفيَّة طولهُ ثمانية امتار لم يؤثر عليهِ مرور الأيام بشيءٍ وان كان لهُ اكثر من ثلاثة آلاف سنة في عالم الوجود

وها نحن فرغنا من وصف متحف الآثار المصريَّة فلنصف لك

(متحف الآثار القديمة الآسيويَّة) ومدخلهُ مقابل مدخل المتحف المصري الذي سبق وهو يشتمل على قسم من الموجودات الَّتي عُثِر عليها بواسطة الاكتشافات الَّتي أُجرِيَت في موضع مدينتي أَشُورْ ونينوى القديمتين ويشتمل فضلاً عما ذكر على ما استحضرتهُ الارساليات العلميَّة الَّتي ساحت في بلاد آسيا لهذا الغرض وعلى ما استحضرتهُ آحاد الناس من السائحين واهدتهُ الى هذا المتحف ويشتمل هذا المتحف على سبع قاعات

القاعة الاولى والثانيَّة منها مخصوصتان بأشوريا وهي بلاد النمرود المذكورة في التوراة وكانت ممتدة على الشاطيء الايسر من نهر الدجلة وتختها نينوى ثم انتقل الى أشور وهي الَّتي تغلبت سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد على مملكة بابل وامتد سلطانها على البلاد حتى آسيا الصغرى وقد عثر الباحثون في خرِبات هاتين المدينتين على قصور غاية في السعة وُجدت بجدران قاعاتها جملة رسوم نائتة في الحجر تمثّل معيشة الملوك الَّذين حكموها وحالهم وملابسهم ونظامهم وكل أُمورهم بطريقة اوضح وأَشارات افصح من النقوش والرسومات الَّتي استدل منها في برابي مصر على تاريخ المصريين هذا فضلاً عن الكتابات الَّتي وُجدت بهذه القاعات مكتوبة

بكيفيةٍ مخصوصة قد أُسعد الحظ بالوصول الى معرفتها وحل رموزها وقراءتها منذ زمن قريب جدًّا واغلب الصور الموجودة في هاتين القاعتين استُخرج من قصر خورسابار الذي وُجد في القرن الثامن قبل الميلاد ومن قصر النمرود وقد وجد في القرن العاشر قبلهُ ومن قصر سردناپال الخامس بنينوي وقد حكم في القرن السابع قبل الميلاد

والقاعة الثالثة والرابعة مختصتان بالتوابيت الفينيقية مصنوعة من الرخام الاسود والابيض وهي ما بقي من آثار الصنائع المأثورة عن الفينيقيين وكانوا أُمةً سكنوا سواحل آسيا بجهات سوريا يستمدون من معارف المصريين والآشوريين فاستعمروا مستعمرات عدة على سواحل البحر الابيض المتوسط كانت واسطة العلائق بين اهل الشرق والغرب هذا وأهم هذه التوابيت تابوب اسمونازار ملك سيدون فإن عليهِ اطول كتابة فينيقيةٍ عُلِمت حتى الآن

والقاعة الخامسة مخصوصة يبعض أَنتيكات فينيقيةٍ وببعض أَنتيكات عُثر عليها يبلاد سوريا وبقبرص واهمها اناء أماتُنت المستحضر من قبرص مصنوع من قطعة واحدة من الحجر قطرهُ ثلاثة امتار وسبعون سنتمترٍ

والقاعة السادسة والسابقة مشتملتان على صور مجسمة من صنع بعض البلاد القديمة بآسيا الصغرى — ولنذكر لك بعد هذا

(متحف الرخام العتيق) وهو يشتمل على قاعات شتى ملأَى بصور مجسمة من الرخام قديمة العهد ينقص من بعضها بعض الاعضاء وفيها كثير من متقنات الصنع دالة على تقدم فن التصوير بالرخام في القرون الخالية

واني لا يمكنني أن أُوَفّي هذا الباب حقهُ من الوصف فاني لست من ارباب

هذا الفن وإنما اقتصر على ذكر ما أثّر في مخيلتي من هذه الصور اكثر من غيره مع ان ذلك لا يدل على أنها أحسن مما سواها وذلك أننا بعد ان اجتزنا عدة قاعات وصلنا القاعة المعروفة بقاعة سِپتِيم سيفير فرأينا فيها صور الامبراطورين والامبراطورات الرومانيين مرسوماً نصفها الأعلى فقط من مارك أوريل الى كازكلاّ — ولعل استحساني لهؤلاء دون غيرهم بسبب معرفتي باسمائهم وتكرارها في مطالعة القوانين الرومانيّة مدة الدراسة — ثم انتقلنا الى قاعة بعدها و بها صور ترَاجَانْ وأدرِيَان وأنطُونان ومَارْك أوريلْ وكُومُودْ وإيلْيُوس فِيرُوسْ وليسيُوس فِيرُوس ثم الى قاعة أوجُوسْتْ ومن أحاسن صور الامبراطورين الأوّل بها صورة أنطِينُيُوسْ وهو الذي اتخذوه إلهاً بعد ان مات غريقاً في النيل فتمثاله في غاية الإحكام والاتقان حتى يخال الرائي ان شعره شعر حقيقي يمكن عدّه بالواحدة ويقال ان عينيه كانتا معمولتين من الاحجار الثمينة ثم الى (قاعة الزهرة) سُميت بذلك لوجود زُهرة مِيلُو بها وهي اشهر صور اللوفر وجديرة بالاشهريّة فان الانسان يتخيل ان بها الرُّوحَ لانتظام اعضائها واعتدال قوامها وانسجام هيئتها وانها تتكلم من وجاهة وجهها وصباحته وحسن تركيبه وملاحته وقد كانت في هيكل صغير بجزيرة مِيلُو في مدخل جزر الارخبيل اكتشفها احد الفلاحين في بناء تحت الارض سنة ١٨٢٠ فاشترتها منه حكومة فرنسا بمبلغ ٦٠٠٠ فرنك ليس الاّ

ثم بعد ان تفرجنا في احدى القاعات على صورة اسكندر الأكبر انتقلنا الى (متحف الصور المجسمة في القرون الوسطى) وهو يشتمل على قاعات كثيرة العدد غاية في الاتساع كلها مملوءة بالاشياء المجسمة المنحوتة في الحجر وفي غيره من التماثيل والصور الدينيّة وغير الدينيّة — ثم الى

(متحف الصور المجسمة في القرون المتأخرة) وهو تكملة المتحف السابق عليهِ ولا ينقص عنهُ في الاتساع والاتقان والاهمية وكثير من غرفهِ منسوب لاسماء رؤساء الحفارين المعروضة مصنوعاتهم ومصنوعات من نحا نحوهم فيها ثم — انتقلنا من هذا الى

(متحف النقش والتصوير) وهو اكبر المتاحف بهذه السراي اتساعاً واحسنها بهجة فان طول القاعات بهِ نحو كيلو متر وعدد الرسومات والصور المنتخبة فيهِ تبلغ الالفين من سائر المذاهب في فن النقش والرسم والتصوير

فالايطاليون لهم فيهِ رسومات من صنع الاساتذة من قدمائهم ومن صَنع الّذين اتوا بعدهم

اما الاساتذة القدماء فاشهرهم اساتذة فلورنسا ومن بينهم فرَا أنجيليكو لهُ رسم السيدة العذراء وفيلپّو ليبّي لهُ رسم السيدة العذراء ومعها سيدنا عيسى المسيح عليهما السلام تُحيط بهما الملائكة و پيرُوجَان لهُ رسم السيدة العذراء ومعها سانت — القدّيسة — رُوزُ وسانت — القدّيسة — كاتْرِين ولهُ رسم مَثَّلَ بهِ محاربة الحب والغرام مع العفاف وأَندِري مُونتنيا لهُ رسم مثَّلَ بهِ المواعظ والحكمة متغلبتين على الدنايا

هذا ولاشهر الاساتذة الايطاليين لِيُونارْدِي فِنْسي ورَفَاييل وتِسْيان آثارٌ مشهورة يَحْسُدُ هذا المتحفَ عليها غيرُهُ من المتاحف جديرة باستلفات كمال النظر اليها

فاشهر آثار لِيُونارْدِي فِنْسي هو الرسم المعروف برسم — جُوكُونْد — وقد اشتغل بهِ اربع سنين ولم يتمّهُ مع هذا ولكن من سوء الحظ تغيرت الوانهُ وليس الحال كذلك

في صورة ثانية هي صورة امرأة حسناء مفرطة في الجمال فإن الوانها لم تتغير ولا تزال على حالها من البهاء

أما رَفَاييل وما أدراك ما رَفَاييل فليس ثمة في أوروپا بأسرها متحف فيهِ من آثار هذا الاستاذ ما بهذا المتحف منها حيث جمع آثار هذا الشهير واعمالهُ في النقش والتصوير من أول نشأتهِ الى أخر أيامهِ صغيرها وكبيرها فلهُ فيهِ كثير من صور السيدة العذراء على اختلاف أحوالها في الحياة وكثير من صور القديسين والشهيرين والوقائع التاريخية مما يُذْهِش منظرُهُ الناظرين من شدة ما بالغ فيهِ من الاتقان ومن زيادة ما وصل فيهِ من الاحسان والضبط في تركيب الالوان وهيئآتها حتى كأن الصور اشخاص ناطقة حَسَبْ الحالة التي اراد ان يظهرها بها هذا الشهير الى العيان

واما تِيسْيَان فآثارهُ الباهرة وتصاويرهُ الزاهرة من رسم اشخاص وحوادث وتمثيل أحوال وأهوال فقد بلغت في الكمال منتهاهُ وفي اتقان الصنع اقصاهُ وآثار الالمانيين بهذا المتحف معدودة من أحسن الآثار

ثم آثار رُوبَنس اشهر اساتذة المدرسة الفلاماندية بهذا المتحف لا تدخل تحت الحصر واعظمها احد وعشرون رسماً كبيرة تمثّل احوال الملكة ماري دِي مِيدِيسِيس وان جميع آثار هذا الشهير وما فيها من روح الحياة وزهُوّ الالوان وبهجتها واتقان المُشخّصات وحسن التمثيل والتصوير لمن مدهشات العقل ومحيّرات اللب

والهولنديون في القرن السابع عشر آثارهم بهذا المتحف مع عدم كثرتها تدل على علو مقامهم وشدة اعتبارهم بين العارفين بدقائق الرسم والتصوير فهذه صورة

(المرأة في الحمَّام) من صنع الاستاذ رامبرَانْدْ (والعسكري الذي يعطي احدى النساء قطع ذهب) من صنع الشهير يتربورج و (مُعلّم المكتب) من صنع أُوستَاذ وغيرها من الصور للطافة ألوانها وانتظام اشكالها وهيئاتها وظهور الحياة في اطوارها وحالاتها تبهر من لا يعرف دقائق هذا الفن وتورثهُ الحيرَةَ في صنعها وتصويرها وكيفيّة ايجادها فما بالك بمن لهُ خبرة بهِ ومعرفة تامة بصناعتهِ واحوالهِ

والاسپانيون لهم كذلك بهذا المتحف من الآثار ما يقدرهُ العارفون حق قدرهِ من الاعتبار

اما الفرنساويون فلهم كثير من الآثار بهذا المتحف وان لم يحتوِ على جميع نفائس صنعهم وذلك لتفرقها بين هذا ومتاحف غيرهِ ولوجود كثير منها في الاماكن المنتشرة بانحاء البلاد

واقدم الفرنساويين المصوّرين الموجودة آثارهم بهذا المتحف كلوى (المتوفّى ١٥٧٢) فلهُ فيهِ بعض صور اشخاص تتميز بحسن التلوين والحكمة في وضع الظلال كصورة اليصابات امرأة الملك كارلوس التاسع

ثم يليهِ في القدم جانْ كُوزَانْ واشهر رسوماتهِ (تمثيل يوم العرض والحساب) هذا فضلاً عما لهُ من الرسومات المنقوشة على الزجاج

ثم يليهِ في القدم نِقُولاَ پُوسَّان (١٥٩٤ — ١٦٦٥) وهو من أشهر الرسامين الفرنساويين وان سكن رومه بعد الثلاثين من عمرهِ وقد اعتنى بتصوير البقاع والاماكن والمناظر اكثر من اعتنائهِ بوقائع التاريخ ولكن تصاويرهُ أثَّرَ عليها مرور الازمان فاذهب بعض بهائها

ثم يليهِ كُلُودْ لُورَّانْ وقد اشتهر برسم الاضواء وايقاعها على حالتها الطبيعية

من البهجة والازدهاء الى ما لا تصل اليهِ يد المقلدين (فالاحتفال في القرية) (ومنظر الميناء حين غروب الشمس) هما من أعظم آثارهِ

ثم يليهِ فيليپ دُوشانينْ وهو وان كان بلجيقي الاصل الّا انهُ توطن بباريس واشتغل لماري دِي ميديسيس ورِيشليوُ ولويس الثالث عشر ومما ينبغي الالتفات اليهِ من آثارهِ رسم (موت عيسى عليهِ السلام) وصورة ريشليو

ثم يليهِ مشاهير زمن لويس الرابع عشر ومن أتى بعدهم الى آخر القرن السابع عشر

ولكن يرى الخبير بفن الرسم والتصوير انهُ أخذ تدريجيًّا في الانحطاط من اواسط هذا القرن لولا امتياز بعض الاساتذة في عمل صور الاشخاص ولولا أن نبغ فيهِ من أعادلهُ سالف المجد واشتغل في رفعتهِ بكل جهد فعاد الى أحسن مما كان عليهِ بل زاد

وإنَّا نختم لك ذكر هذه الآثار بأثر پرُودُونْ النفيس وقد مثَّل بهِ العدالة والانتقام يقتفيان أثر الجناية فيقتصَّان من الجاني على ما جنت يداهُ من ذميم الخصال

هذا ولا نريد ان نُثقِل عليك بالاستمرار في ذكر المشاهدات فإن ذلك شرحهُ يطول اذ لو اردنا ذلك لكان ينبغي ان نذكر تقلبات هذا الفن وخروج بعض اساتذتهِ عن المعتاد فيهِ الى طريق جديد بعد الثورة الفرنساويَّة سنة ١٧٨٩ وعودَ بعضهم الى الاعتدال والطريق القويم وتنويع البعض في الطريق الجديد وان نذكر أحسن اساتذة تلك المدد وأنفسَ آثارهم كما نذكر من اتي بعدهم وأحسن أعمالهِ ومشهور تصاويرهِ وآثارهِ

ولاخفاء أن هذا يجر الى استيفاء تاريخ فن الرسم والتصوير من مبدإه الى اليوم ويقضي بمعرفة هذا الفن فان متحف اللوفر لم يقتصر على آثار المتقدّمين بل وُجِدَتْ فيهِ قاعات للمتأخرين حتى أُحدِثَت فيهِ قاعة للمعاصرين والمتحفُ الذي صار ايجادهُ بحديقة لُكْسَمبُورْغ تكفّل باعمال الاساتذة الموجودين على قيد الحياة وكذلك التعرض لجميع ما اشتملت عليهِ القاعات بالتفصيل والترتيب من الآثار المشهورة وغير المشهورة أمر لايتيسر الخوض فيهِ الّا لاربابهِ العارفين باساليبهِ واحوالهِ المتمكّنين من معرفة ظرائفهِ ولطائفهِ العارفين بهِ حق معرفتهِ فهؤلاء لو ارادوا الدخول في هذا الباب وكلّفوا انفسهم بهذه المشاق والاتعاب لربما توصلوا بعد الجهد الجهيد والعناء الشديد الى تفهيم المطلوب على أَحسن أساوب

أما نحن أيها القارئ العزيز فلنا اشتغال بغير هذا الوصف الآن اذ علينا تكملة التفرج بهذا المتحف فننظر نظرة في (قاعة الحليّ والمجوهرات) نتمتع بمشاهدة ما تحتوي عليهِ من الاشياء العتيقة المصنوعة من الذهب والفضة البالغة في النقش والرسم والتصوير حد النهاية في الانقان

ثم ننظر نظرة في (متحف الرسم المسمَّى دِسَّانْ) لانهُ من أهم المتاحف في هذا النوع وهو يشتمل على ٣٧٠٠٠ رسم منها ١٨٢٠٠ لاساتذةِ ايطاليين و٨٧ للاسپانيوليين و ٨٠٠ للالمانيين و ٣١٥٠ للفلاماندين و١٠٧٠ للهولانديين و ١١٨٠٠ للفرنساويين

ثم ننظر نظرة في (مجموعة دِيُولَافُوا) وهي عبارة عن قاعتين تشتمل اولاهما على الانتيكات المستحضرة من سوزيان من بلاد العجم وثانيتها على الانتيكات

المستحضرة من بلاد الكلدانيين

ثم ننظر نظرة في (متحف الانتيكات اليونانيّة) ونشاهد بعض تلك الآثار الدالة على ما كان للقوم في القديم من علو الهمة والمنزلة

ثم ننظر نظرة في (متحف البحريّة) فنشاهد بعض ما يحتوي عليهِ من الاشياء المتعلقة بعمارات السفن وفن الملاحة وانموذجات السفن وماكيناتها وأدواتها وما فيهِ من اشكال الميناء المعمولة بالرسومات المجسمة وما بهِ من رسومات الاسلحة وغيرها من الاشياء التاريخيّة وهو يحتوي على ست عشرة قاعة ورواقين واغلب الاشياء المعروضة فيهِ تصحبها كتابات غاية في الايضاح والبيان يُتعرَّفُ منها حالها

ثم ننظر نظرة في (متحف علم خصوصيات الشعوب — انتُوجرَافِي) وقد استحضرت الاشياء المشتمل عليها بواسطة السياح الفرنساويين او بسبب الحروب من بلاد بعيدة كالهند والصين واليابان وغيرها ففيهِ من الاواني والادوات المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والفخار والخشب ومن تماثيل آلهة ومعبودات الهنود ومن رسومات واسلحة ومن صور مجسمة وأقمشة منسوجة وألبسة وهيئآت رجال الحرب في تلك البلاد واسلحتهم ما تلذ رؤيتهُ لمريد الاستطلاع على احوال تلك البلاد القاصية الغريبة كما أن بهذا المتحف سفينتين من مستعملات البلاد المتوحشة جعِلتَا من قطع خشب محفورة على طبيعتها مُتقَنَتيْ الصنع مع بداوتها

ثم ننظر نظرة في (متحف الصين) وهو يشتمل على ثلاث قاعات وعلى جزء من الرابعة المعروفة باسم (قاعة ده لسبس) و تشتمل الاولى منها على تصاوير ورسومات واسلحة ومفروشات وآلات طرب وموسيقى وسفن صغيرة مصنوعة من سن الفيل غاية في الدقة واللطافة وتشتمل القاعة الثانية على أواني صينيّة حقيقيّة

محلاة بأبهج النقوش كما تشتمل على سائر أشكال المفروشات والكتب وتشتمل الثالثة على الاشياء المصنوعة من العاج مما يطول شرحهُ من حيث الدقة والانقان وفي ضمنها كرة صغيرة من العاج تشتمل على ست كرات او سبع بداخلها منفصل كلٌّ منها عن الأُخرى كل الانفصال و يوجد بهذه القاعة ايضاً كثير من الصور المجسمة مصنوعة من العاج ومن الخيزران وكثير من الاواني المزينة بالميناء ومن الصور المصنوعة من الاحجار النفيسة وكثير من الاواني البلوريّة والاقمشة والمداسات الصغيرة جدًّا لمناسبة حسن ارجل الصينيات في الصغر كما سبق وعدهنّ ذلك من صنوف الجمال وتشتمل الرابعة على تماثيل آلهةٍ من معبودات الصين وعلى بعض ملابسهم وحُليهم وفي وسطها رسم قنال السويس مجسّماً بما على جانبيهِ من المدن المستحدثة وكيفيّة الاعمال الّتي استعملت في اظهارهِ في عالم الوجود بالحالة الّتي هو عليها الآن

وقد كانت هذه النظرات مبتدئين فيها بقاعة الحليّ والمجوهرات مختتمين بقاعة ده لسپس الّتي بها قنال السويس فكانت زيارتنا لجميع متاحف اللوفر مبتدأةً بآثار المصريين كما سبق مختتمة ببعضها وهو كنال السويس

ثم خرجنا من هذه السراي الى البستان المقابل لها

(بستان تُويلري) وهو باقٍ على الهيئة الّتي نُظّمَ عليها منذ انشئَ في عهد لويس الرابع عشر ما خلا بعض تحسينات تجددت فيهِ

وتتوسطهُ طريق تخترقهُ من الشرق الى الغرب يرى الناظر منها ميدان الكونكورد ومسلة الاقصر الّتي بوسطهِ ويمتد النظر من هذا الميدان الى ان ينتهي بقوس نصر الكوكب

وهذه الطريق تُظلها الظلال الوارفة وتحيط بها من جانبيها المرتفعات والمنتزهات والاشجار المشابهة لأشجار الغابات وتتردد عليها العالم المختلفة الصنوف والاشكال خصوصاً المربّيات بمن معهنّ من الصبية والبنات مما يزيد بهاء الحركة والبها ويجلب لها والفرح والمناء بوجود هؤلاء الاطفال ولعبهم وائتناسهم بمن هو في سنهم وعلى شاكلتهم وقد ينتهز اصحاب المربيات فرصة اشتغال الاطفال باللعب فيتحدثون ويتآنسون معهنَّ مع عدم الخروج عن حد الأدب والكمال

وترى هذه الحديقة عند اعتدال الزمن وحرارة الجو ملأى باشجار البرتقان تُنقل اليها بصناديقها من محلها المجعول لحفظها الموصل الى بقائها بهذه البلاد الباردة فتتفرق في اطراف هذه الحديقة وذلك مما يزيد في بهجتها ونضرتها واذا علم المتفرج أن احدى واربعين من هذه الاشجار باقية من زمن الملك فرنسوا الاول البعيد العهد من هذا الأوان قضي العجب كل العجب من ذلك لاسيما أن هذه الديار ليست مما يُغرس فيها هذا الصنف من الاشجار وهذا فضلاً عما تزينت به هذه الحديقة من الصور المنحوتة في الحجر والرخام وما في جهتها الغربيةّ من الفسقيةّ المثمنة الاضلاع المعدة للماء ومحيطها يبلغ ثلاثمائة متر يخرج من وسطها الماء مقذوفاً الى الجو حتى يكاد يصل الى عنان السماء

فاذا صادفتَ يوم تصدح الموسيقي العسكريةّ بهذا البستان ورأيتَ حولها الجموع المجتمعة والامم المستمعة واضفتَ الى ذلك جودة الوقت وصفو الهواء وكنت ذا خبرة بمعرفة الموسيقي طروباً بنغماتها وألحانها فانك لا تنسى ذلك مدى الايام

ثم خرجنا من هذا البستان وقد آن وقت الطعام وساعد على طلبه والتاكيد

فيهِ كثرة السير في هذا النهار فدعني اركب عربة كوك مع رفاقي حيث تنتظرنا من وقت دخولنا من الباب واتركني أتعاطي طعام الغداء واسمع مني في الاثناء حديث بعض محلات تفرجت عليها اليوم بين خروجي من محل كوك ووصولي المتحف فقد كان أنساني ذكرها شغفي بتوقيفك على محاسن هذا المكان الوحيد في بابهِ العديم المثال

وذلك أننا لما خرجنا من محل كوك مررنا بميدان وَانْدُوم و بشارع كَاسْتِجْلِيُونْ جهة الفندق الذي نحن نازلون بهِ فوصلنا سراي اللوفر كما سبق ولكن لم ندخلها في الحال بل اخذنا نسير من طريق تُوِيلْري الفاصل بين حديقتها والحديقة التي عرفتَ انها استحدثت مكان السراي المحْرَقة فوصلنا نهر السين وسرنا على اليسار حتى وصلنا الى سراي المحاكم فتفرجنا عليها وعلى كنيستها وانثنينا من هناك عائدين صوب سراي اللوفر من جهتها المقابلة لجهة ابتدائنا فدخلناها وتفرجنا على المتحف الذي ذكرنا لك منهُ بعض ما مكننا من ذكرهِ المقام

(سراي المحاكم) هي السراي المخصصة باقامة محكمة السين الابتدائيَّة بملحقاتها ومحكمة استئناف باريس ومحكمة النقض والابرام والتمييز

وقد كانت هذه السراي في الاصل مقرًّا لملوك فرنسا الى ان تنازل عنها احدهم شارل السابع سنة ١٤٣١ لجعلها مقرًّا للمحكمة العليا في فرنسا إلَّا انها تسلط عليها حريق في سنة ١٦١٨ وسنة ١٧٧٦ اتى على آخرها بحيث لم يبقَ منها الَّا الابراج والكنيسة ومطابخ سان لويس

والساعة الدقاقة القائمة والحالة هذه بإحدى زوايا هذه السراي هي اقدم الساعات العموميَّة التي أُوجدت بفرنسا لانها أُوجدت سنة ١٣٧٠ وتجددت

سنة ١٦٨٥ وسنة ١٨٥٢

ومدخل هذه السراي واقع على الطريق المسمى بولوار دُوپَالِيه نسبةً الى اسمها يحجزهُ عنها سور قايل الارتفاع يعلوهُ مُصبَّعٌ من حديد

فاذا دخلها الانسان وجد تجاههُ سلّماً عظيم الصنع يُصعد منهُ الى متسع على يمين الداخل فيهِ إِيوان السراي وهو عبارة عن قاعة متسعة جدّاً من اكبر القاعات الّتي من هذا القبيل طولها ٧٨ متراً وعرضها ٢٨ متراً وارتفاعها عشرة امتار مقنطرة السقف تقسمها الى شطرين عمد يعلوها قناطر وتحيط بهذا الإِيوان قاعات الجلسات وهو محل انتظار العموم وتردّدهم فلا يخلو من حركة الناس ما دامت الاعمال بالسراي

وبالجهة اليمنى من هذا الإِيوان تمثالُ مَالِزِيرْب المحامي الشهير الذي دافع عن لويس السادس عشر أمام المحكمة الثوروية وقُتل بعد ذلك سنة ١٧٩٤ وبمقابلتهِ من الجهة الثانية تمثال بِيرالّي المحامي الخطير

وبجوار هذا الإِيوان متسع آخر تحيط بهِ قاعات جلسات محكمة النقض والإِبرام والتمييز

اما الكنيسة فهي معبد السراي القديم وقد بُنيت من سنة ١٢٤٥ الى سنة ١٢٤٨ مدة سان لويس أعدّها ليُدفَن بها أَعاظم من توفوا في حرب الصليب ولم تُصب بضرر مدة اختلال السبعين وإِن احرق رجال الكومون ما بجوارها

وهي وان كانت صغيرة الحجم الّا إِنها من الطف واتقن كنائس باريس وطولها كارتفاعها ٣٥ متراً وعرضها ١١ متراً فقط

وارتفاع قبتها بمناسبة باقي اضلاعها و بجدرانها خمسة عشر شبراً كما ارتفاع الواحد

منها خمسة عشر مترًا وعرضهُ أربعة امتار

وهذه النوافذ مغطاة بالزجاج الملون المرسوم بالرسومات الفاخرة والالوان الزاهية الزاهرة صُنع لها بمدة سان لويس وأُصلح على ما كان عليهِ في الايام الحاضرة وقد صُوّر فيهِ كثير من الوقائع المذكورة في الكتب المقدسة وجدران الكنيسة مكسوة بالرسومات الكثيرة الالوان المتناسبة مع صور الزجاج والعمد منحوت فيها صور الحواريين والقديسين وذلك كلهُ جعل هذه الكنيسة تحفة من تحف البناء وجوهرة من جواهر حسن السبك والاعتناء

هذا وقد انتهينا بذكر هذين الأثرين من تعاطي الطعام فركبنا العربات وسرنا قاصدين باقي الاماكن المخصصة بهذا النهار فقصدنا مدرسة الفنون المستظرفة (بوزار) المنشأة سنة ١٦٤٨ بقصد تعليم الحفر والتصوير (سكُلْتور) والرسم (پنْتُور) وفن العمارات (أرشتيكتور) وصناعة النقش والنقارة (جْرافُور) وتُرسل الحكومةُ التلامذة الذين يتحصلون في هذه المدرسة على اول مكافأة الى رومة وتصرف عليهم من لدنها مدة اربع سنين وفي اثنائها تَعرِضُ بهذه المدرسة التلامذةُ المرسلون ما عملوهُ هناك

وما احتوت عليهِ هذه المدرسة من جليل الآثار المتعلقة بالفنون المخصصة بتعليمها وما اشتملت عليهِ من التسهيلات والاستعدادات لتحصيلها وما صرفتهُ الحكومة على ما تتعلم منهُ التلامذة وتستفيد وما انفقتهُ في بناء المدرسة وتشييدها على حالة جعلتها انموذجًا للتعلُّم فيها والنقل عنها يغنيني كل ذلك عن مؤنة التفيصل والاطراء بالاطناب في وصفها ويكفي ان فيها من الاساتذة خمسين معلمًا ومن التلامذة اكثر ١١٠٠ تلميذٍ من جميع الامم ثلاثة ارباعهم داخلية يبيتون

في المدرسة ملتفتين الى التحصيل ليس الاَّ شاغلين جميع اوقاتهم بهِ

ثم سرنا بعد مفارقة هذه المدرسة حتى وصلنا الى سكة باك وسكة سيفر حيث محل

(بُون مَارْشِيه) وهو احد المحلات المتسعة الَّتي تبيع كثيرًا من الاشياء فلا يكاد يوجد صنف الاَّ وهو فيها حتى حُكي أَن احد السياح الاغنياء اراد تعجيز مدير احد مماثلات هذه المحلات بلوندره فاقترح عليهِ شيئًا يظنُّ أَن محلهُ خال منهُ وذكر لهُ قبل بيانهِ انهُ يخاف ان تضيع بسبب عدم وجودهِ شهرة المحل لعجزهِ عن القيام بهِ فأَلحَّ عليهِ المدير بالبيان فأخبرهُ انهُ يُريد من هذا المحل شابة عذراء يتزوَّج بها تكون في غاية الحسن والجمال جامعة لمحاسن الخلال فأَخذهُ المدير بيدهِ في الحال وصعد بهِ الى قاعة فسيحة واذا فيها نحو مائة شابة عذارى مشتغلات بإعداد ما يتعلق بالسيدات من الملابس فانبهر ذلك المقترح وأَخذ يطوف حول هؤلاء العذاري متحيرًا في من يختارهُ لان كلاًّ منهنَّ مفرط في الجمال غاية في رشاقة القدّ والاعتدال نهاية في الحسن والكمال الى ان انحط رأْيهُ ووقع اختيارهُ على واحدة اجتذبت فؤَادهُ دونهنَّ فاشار اليها وطلب من المدير ان يتمم أَمر اقترانهِ بها فشاورها في ذلك ولمَّا علمت منهُ حال هذا الطالب في الثروة ومكانهُ في الغنى واعجبها لطف شمائلهِ قبلت ورغب الطالب ان يكون زواجهُ في نفس المحل فاستحضر مديرهُ لوقتهِ قسيسًا وتزينت الفتاة وكثير من صواحباتها بالزي الأَبيض المعتاد في احتفالات الزواج وصار العقد لهُ عليها بين أَنفس مبتهجة وصدور منشرحة واشترى من هذا المحل جميع ما يلزم مما يليق بهما من مصوغات وجواهر وملابس واثاثات وانصرف معها شاكرًا معترفًا بان لاشيء

تخلو عنهُ هذه المحلات

ومحل بُونْ مَارْشِيه هذا من أشهر المحلات التي من هذا القبيل بباريس ويعادله آخر اسمهُ (مَخْزَانْ دُولُوفْر) أمام سراي اللوفر وبعدهما (پرَانْتَانْ) و(بِيل جَارْدِينْيِيرِ) وَ(پِتِي سَانْ توماَ) و(جانْيْ پِتِي) و(لاَفِيلْ سَانْ دِنِي)

واصل محل بُونْ مارشيه دكان صغيرة انشأها بهذا الاسم (ومعناهُ هلموا الى الثمن الرخيص) المسيو بوسيكو بالاشتراك مع آخر في هذا الموضع سنة ١٨٥٢ واعدّاها لبيع المنسوجات والملبوسات والاقمشة وكانت مساحتها عشرين مترًا مربعًا وما لبث ان تكاثرت أعمالهُ وانتشر صيتهُ نظرًا لامانة بوسيكو وانتقائهِ أحسن الاصناف واجودها وبيعها مع ربح قليل وتخيير الشاري في اعادتها واسترداد ما نقدهُ فيها او أخذ غيرها بدلاً منها في اي وقت اراد حتى استلزم الحال توسيع المحل اولاً وثانياً وثالثاً بمناسبة امتداد اعمالهِ واتساعها وقد اشترى نصيبَ شريكهِ فيهِ سنة ١٨٦٣ فصار مالكاً لاجمعهِ ولمّا استمر متجرهُ في الاتساع اخذ في تشييد محل متسع وافٍ بجميع احتياجاتهِ فوضع اول حجر في أساسهِ في ٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ وصار اتمام البناء وفتحهُ للعموم في ٢ ابريل سنة ١٨٧٢

وبعد ان كان البناء الاصلي قائماً على ارض مسطحها عشرون مترًا كما تقدم صار الآن قائماً على عشرة آلاف متر مربع وبعد ان كانت عملياتهُ التجاريَّة في سنة ١٨٥٢ ٤٥٠٠٠٠ فرنك وصلت في سنة ١٨٨٨ الى ١٢٣ مليوناً من الفرنكات

وينبغي ملاحظة ان العشرة الآلاف متر مربع التي قلنا انها مسطح هذا المحل هي ما يشغلهُ البناء المعد للبيع والشراء ليس الاَّ وارتفاعهُ خمسة وعشرون مترًا منقسم الى عدة طبقات سوى طبقتين تحت الارض وكل طبقة تشتمل على

قاعات كثيرة

ولا يدخل في هذا المسطح المحلات المعدة للخيول التي تخصصت بنقل الاشياء من هذا المحل الى محلات المشترين في عربات مخصوصة ولا تدخل فيهِ المصانع والمعامل التي تُعمل فيها الاشياء من أبسطة والبسة وغيرها ولا المخازن التي تُخزن فيها البضائع ولا مساكن المستخدمين الذين تكفل المحل بسكناهم وان كان غالب ما ذكر بجوار هذا المحل

والمشتغلون بامور هذا المحل وتوابعهِ يعلم عددهم من عرف ان المتكفل هذا المحل باكلهم من المستخدمين ٣٥٠٠ شخص

ولا يخفى ما يستلزمهُ هذا العمل المهم وهؤلاء المستخدمون الكثيرون من الملاحظة والترتيب ولم يجد المسيو بُوسيكو مؤسس هذا المحل ضمانة لنجاح محلهِ اكبر من جعل نصيبٍ للمستخدمين المكلفين بالبيع في ارباح ما يبيعونهُ فكان ذلك من دواعي عمار هذا المحل وتقدمهِ السريع

ثم إِنهُ تفكر في طريقة نفع للمستخدمين الذين لا يباشرون البيع فجعل لهم صندوق احتياط صار يدفع اليهِ سنوياً جزءًا من الارباح التي تخصهُ حتى توصل بذلك الى ان جعل للواحد منهم نصيباً في رأْس مال المتجر بعد خدمة عشر سنين كما أَنهُ كان يعطي من هذا الصندوق مهور الفتيات اللاتي يخرجنَ من المحل الى الزواج

كذلك أَوجدت امرأَة هذا الرجل الخيّر بعدهُ صندوق تقاعد جعلت فيهِ من مالها الخاص خمسة ملايين من الفرنكات حتى صار المستخدم في هذا المحل متى بلغ خمسين سنة من عمرهِ ان كان من الذكور وخمساً واربعين سنة ان كان

من الاناث يترتب لهُ (بدون سبق خصم شيء مطلقاً من مرتبهِ طول خدامتهِ) مماش تقاعد من ستمائة فرنك الى ١٥٠٠ فرنك في السنة

وسارت هذه المرأة الفاضلة على ما سار عليهِ زوجها من اتباع الطريقة التي تأسست لتقدم المستخدمين ولترقيهم بحيث يكون الواحد منهم آمناً على مستقبلهِ اكثر من امنهِ عليهِ في كثير من الحكومات

ونتج من هذه الاجراآت ان هؤلاء المستخدمين الكثيري العدد صاروا باتحاد الصالح رجلاً واحداً وقلباً فرداً في نجاح المحل وعمارهِ وزيادة ثروتهِ واتساعهِ

ولم تقتصر هذه الخيّرة على هذا الاحسان بل اعطت ثلثمائة من اكبر مستخدمي المحل حقاً في رأس مالهِ ولم تكتفِ بذلك بل اوصت بعد مماتها الذي وقع في سنة ١٨٨٧ بجميع ملك المحل لهؤلاء المستخدمين الثلثمائة وقد قُدّرت قيمة هذه الهبة بستين مليوناً من الفرنكات بحيث لم يبقَ من المحل وملكهِ بعد هذه العطيّة الاَّ ما أوصت بهِ لفقراء باريس ولبعض الشركات الخيريّة

فانظر الى هذا الرجل وقد كان في اول امرهِ فقيراً يبيع بضائع غيرهِ بالاجرة في الموالد والاسواق كيف وصل بالأمانة والصداقة وحسن التدبير الى هذا الغنى والثروة الواسعة وكيف استعمل هذه الثروة وهذا المال في فعل الخير ما استطاع حتى انهُ وقت حصار باريس زيادة عن دخولهِ في جمعية مساعدة الجرحى بمبالغ هائلة اشترك مع تاجرين آخرين وصرفوا من عندهم مؤونة لاهالي باريس اجمعهم وهم محاصرون مدة اسبوع (من ١٧ الى ٢٣ فبراير سنة ١٨٧١) ودخل بعد هذا في الاكتتاب الذي حصل لاخلاء الديار الفرنساويّة من العدو الى غير ذلك من الاعمال الخيريّة

وانظر الى امرأتهِ الّتي حذت حذوهُ في استعمال هذا المال في فعل الخير بانها فضلاً عما فعلت في صالح مستخدمي محلها كما سبق بيانهُ لم تتأخر عن المساعدات في المشروعات الخيريّة بعد الممات كما مرَّ وقبلهُ بالتبرعات العديدة الّتي بذلتها في وجوه الخير اختصرمنها على اكتتابها ١٥٠ ألف فرنك للاشتراك في تأسيس مستشفى باستُور الذي شيّد لمداواة مرض الكَلَب واترك الباقي فانهُ يطول شرحهُ .

وان هذا الرجل وزوجتهُ لخير من الوف سواهم ممن يبخلون بما آتاهم الله من فضلهِ و يأمرون الناس بالبخل و يقتصرون على نماء اموالهم ليس الاَّ وان حقًّا على اهل باريس بالنسبة لهذا الرجل وامرأتهِ وامثالهما ان يكتبوا فيهما الكتب العديدة والرسائل المفيدة وينشروا ذكرهما ليحملوا الناس على ان يعملوا مثل عملهما فلعل الله يهدي بعض الناس الى سلوك ما سلكاهُ في سبيل الخير العام لنفع بلادهما (والله يَهْدِي من يَشاء الى صِراطٍ مُستقيم)

واني أرى أن الخطباء والشعراء والكتاب لو استعملوا طريق الاسهاب والاطناب في تشييد ذكر مثل هذا الرجل وامرأتهِ لأَدَّوا بعض ما ينبغي من صرفهم بعض ما وُهِبَ من نتائج الافكار في ترغيب الناس وحثهم على فعل الخير حيث يتأثر السامع والقارئ من كلامهم وتستيقظ الاغنياء وتنصرف افكارهم الى فعل الخير بعائلتهم او بلدهم أو اقليمهم او مملكتهم اوعامة الناس كل على قدر طاقتهِ وما اعطاهُ الله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَة من سَعَتهِ ومن قُدِرَ عليهِ رزقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِما آتاهُ الله لا يكلف الله نفساً الاَّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا)

اما ما يجدهُ الانسان في هذا المحل من الانتظام والاتقان فلا يحتاج الي بيان وقد تقدم لك ان من اصولهِ المقررة البيع بمكسب قليل مع جودة الاصناف

والخيار للمشترى في الرجوع عن البيع متى أراد اما اثمانهُ فمحدودة يدفعها المشتري وقت الشراء ويستلم الشيء او يتركهُ فيرسل اليهِ بمحلهِ وهناك يدفع الثمن

هذا واذا اراد الانسان شراء شيء دخل من اي باب شاء وسأل ممن يقف بهِ عما يريدهُ فيدلهُ عليهِ فيذهب اليهِ ويصعد او ينزل بالسلّم او بالمرْقي فاذا أتمّ الشراء توجه معهُ المستخدم الى محل دفع الثمن وفي المحل حاسبون اضعاف عدد الابواب فيدفع الثمن ويستلم ما اشترى او لا يدفعهُ ويعرّف محلهُ لتوصيلهِ اليهِ فيهِ وينصرف

ولا يجبر الداخل بهذا المحل على الشراء ولا يخاطبهُ احد في ذلك بل يدخلهُ كثير بقصد التفرج اوالتسلية فيجدون في احدى الطبقات محلاً معدًّا للمطالعة فيهِ كل ما يتسلى بهِ من كتب وجرائد مشهورة من سائر انحاء العالم وأدوات الكتابة مفروشاً بأحسن الفرش مخدوماً بأحسن الخدم فيقرأُون ما يشاؤُون ويكتبون ما يريدون من مكاتيب وغيرها في ورق من ورق المحل مجاناً ويجدون على باب القاعة صندوق بوستة فان تطلبت نفس الزائر شيئاً من الشراب للترطيب خصوصاً في وقت الحر توجه لجانب قاعة المطالعة فيجد قاعة متسعة في صدرها طاولة كالتي في أحسن القهاوي واقفاً عندها كثير من الخدم بأيديهم قناني اصناف الشراب وامامهم الكوبات النظيفة فيطلب مثلاً من شراب الرمان يعطيهِ الخادم ويضيف عليهِ لهُ الماء فيتعاطاهُ

ويرى الانسان محل هذا الشراب في ازدحام دائم فيضطر في الوصول لحاملي الشراب الى ان ينتظر انصراف من دخل قبلهُ من باب غير الباب الذي دخل منهُ وربما بلغوا عشر صفوف وما ذلك الّا لان ما يشرب لا يدفع لهُ ثمن بل

يحتسب من مصاريف المحل العمومية ابتغاء مرضاة الزائرين "والمنهل العذب كثير الزحام"

فمؤسس هذا المحل وزوجته ينبغي ان تكتب مآثرها على مآقي العيون ويقال (لمثل هذا فَلْيَعْمَلِ العاملون) (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ثم انتقلنا من هذا المحل مارين أمام كنيسة سَانْ سُولِپِيْس ثم في بلواز سان مِيشيلْ حتى وصلنا الى

(الرصدخانة) الشهيرة وقد تأسست سنة ١٦٧٢ وصار توسيعها مرات واحدة بعد الاخرى ويمر من وسطها خط نصف نهار باريس كما ان الوجهة الجنوبية منها تتحد مع خط عرض باريس وقبتها المعدة للارصاد كبيرة بنيت سنة ١٨٥٠ وقطرها ١٣ مترًا وجميعها من النحاس تدرر على محورها ليتمكن الراصد من توجيهِ النظارة المعظمة الموجودة تحتها اينما شاء وقطر هذه النظارة ٣٨ سنتمتر وطولها ٩ أمتار

وبها غير ذلك من آلات الرصد وأدواتهِ ولوازمهِ ومعداتهِ ما جعلها من أحسن الرصدخانات وبها فضلاً عن هذا متحف فلكي يقصده المشتغلون بعلم النجوم من سائر الجهات

وتفرجنا حال توجهنا الى الرصدخانة على (فسقية الرصدخانة) بالقرب منها وقد بنيت سنة ١٨٧٨ وهي مزينة بأربع صور مجسمة من البرونز تمثّل أربعة اقسام الدنيا حاملة لكرة فلكية محمولة جميعها على قاعدة تحيط بها صور ثمانية خيول من خيول البحر وصور كثير من وحوشهِ فتنقذف من الصور مياه تتكوّن منها حال نزولها أشكال غاية في الجمال — ثم قصدنا بعد ذلك

(معمل جُوبلَان) وهو تابع للحكومة تُصنَعُ فيهِ البُسُطُ المعروفة بهذا الاسم بحيث اذا قيل جوبلان فقط فهم من ذلك البِساط العديم المثال المعمول بهذا المكان وقد أُسس هذا المحل في سنة ١٤٥٠ رجل يسمَّى جُوبْلَانْ وقد ذاع صيتهُ حتى اشترتهُ الحكومة سنة ١٦٦٢ ولا يزال ملكها ويدار بواسطتها الى الآن

فدخلناهُ وتفرجنا على أنوال النسج فيهِ والمشتغلين بها فيشتغل الواحد منهم بالعمل ناقلاً الى البساط رسم صورة او هيئة مرسومة من قبل موضوعة امامهُ وكان قد خَطَّ بالقلم الرصاص حدود هذه الصورة على اللّحمة المنصوبة قدامهُ وهو جالس خلف وجه البساط الذي يعمل فيهِ أَي انهُ غير مواجه للجهة الّتي بها النقش

واكثر صعوبة هذا العمل انما هو من جهة انتقاء الالوان المختلفة الّتي أَمام الصانع فان الصوف مصنوع بالوان مختلفة لتتركب منها الوان الصور الّتي تكون على البساط كل لون منها يشتمل على اربعة وعشرين صنفاً من هذا اللون متمايزة عن بعضها فلا بد للصانع من مهارة عظيمة وتدرب عجيب في انتقاء هذه الالوان وتمييزها عن بعضها واخذ اللازم منها أَولاً فاولاً ولا بد لهُ من صبر وتجلد عظيمين ولذلك لا يتأَتى لأَمهر صانع ان يصنع اكثر من ثلاثين الى خمسة وثلاثين سنتمتر مربع في النهار من هذه البسط بحيث يستغرق عمل البساط الكبير خمس سنين او عشر سنين فلا يستغرب حينئذٍ ان ثمنهُ من خمسين الف فرنك الى ١٥٠٠٠٠ فرنك بحسب تفاوتهِ في الكبر والصغر

والرسومات الّتي تنقش على هذه البسط بهذه الالوان عبارة عن هيئات وقائع او صور اشخاص على حسب ما يقتضيهِ الحال وفي الغالب ينقل اليها احسن صور الرسامين فتجيءُ هذه الصور مطابقة للاصل كل المطابقة مشابهة لهُ كل المشابهة

وهذه البسط توضع على الجدران وضع التصاوير والرسومات للزينة والرونق ولكن من يرى القديم منها في قصور حكام فرنسا القديمة يجد الوانها ليست على ما يجب من الرونق والازدهاء فيظن ان اللون فيها لا يكون الاَّ بهذا المقدار وما يدري ان ذلك ناشئ من القدم ومرور الازمان فان الجديد فيها الجاري عمله بهذا المحل الوان الرسم فيهِ فوق ما يتصوره الانسان

هذا وجميع هذه البسط مصنوعة من الصوف فان ألوانهُ اثبت الأَلوان في الصبغ وانما يستعمل الحرير فيها لرسم الازهار والفواكه او لرسم المعادن

ومما يزيد في قدر بسط جوبلان كونها ليست في التجارة فلا تباع وانما يخصص ما يعمل منها بتزيين مساكن رؤساء الحكومة والدواوين العمومية ويهدى منهُ الى ملوك الدول المتحابة وامرائها والعظماء وبالمحل متحف جمع ما رقَّ وراق من نفيس الاشكال من حيث اتقان الصنع وحسن الرسم والتصوير في البسط من قديم العهد الى هذا الزمان

ثم بعد التفرُّج على عمل البسط بالكيفيَّة المتقدمة والتفرُّج على هذا المتحف انثنينا راجعين الى

(پانْتيُونْ) وهو بناءٌ قائم على أعلى محل في الشاطئ الغربي من السين (بدئ فيهِ سنة ١٧٦٤ وانتهى سنة ١٧٩٠) وبناؤهُ اولاً كان كنيسة برسم القديسة سانْتْ جنفيف ثم تسمى پانثيُون سنة ١٧٩١ وخصص بدفن اعاظم الرجال ثم أُعيد كنيسة وجعل اخيرًا مقبرة للعظماء في سنة ١٨٨٥ بمناسبة دفن وكْتُورْ هُوجو الشاعر الشهير فيهِ

وهو عظيم الاتساع طولهُ ١١٢ مترًا وعرضهُ ٨٤ مترًا ويعلو وسطهُ قبة ارتفاعها

٨٣ مترًا وقطرها ٢٣ مترًا وهذه القبة نفسها مرتكزة على مستدير ذي عمد وباعلاها برج فوقهُ قبة صغيرة ينتهي بها ارتفاع هذا البناء

والوجهة يتقدمها ممشى متسعة يحفها اثنان وعشرون عمودًا ارتفاع كلٍّ منها ٢٥ مترًا معمولة على شكل وجهة پانتيون رومه بالتمام

ويعلو هذه العمد مثلث عرضهُ ٣٦ مترًا وارتفاعهُ سبعة امتار مرسوم عليهِ صور ناتئة في الحجر اكبر ما فيها ارتفاعهُ خمسة امتار يمثل فرنسا توزع تيجان الفخار على اولادها العظماء

ويدخل هذا البناء من ثلاثة ابواب متسعة في ممشى الوجهة فيجد الداخل صحن المكان تحيط بهِ عمد كبيرة فوقها محلات للزائرين وفوقهُ القبة المذكورة الكبيرة الارتفاع مكونة من ثلاث طبقات يعلو بعضها بعضاً يمكن الصعود الى أعلاها بواسطة ٤٢٥ درجة يرى الصاعد في اثنائها النقوش التي بهذه الطبقات ويفهم حسن انتظامها وجسامتها خصوصاً التي بالطبقة الثانية منها البالغ مسطح رسوماتها وحدها ٣٢٠ مترًا مربعاً

ويوجد بهذا البناء قبور بعض اكابر القوم تعظيمًا لهم واحتفالاً بهم مثل قبر وكتُورْ هُوجُو الشاعر السالف بيانهُ وقبرين لُروسُّو وڤُولْتير الفيلسوفين الشهيرين وان كانا ليسا مدفونين فيهِ بالفعل وغيرهم من الاكابر اذ لا يدفن بهذا المحل الاَّ من يُقر مجلس النواب على دفنهِ فيهِ

ومن هذا البناء نزلنا بسكة (صُوفْلُو) المنسوبة الى اسم المهندس الذي شيد هذا المكان فوصلنا الى

(حديقة لكسَمْبُورغ) وهي من احسن بساتين باريس ومنتزهاتها في

وسطها حوض متسع للغاية علي شكل مثمن الاضلاع تحيط بهِ الصور المجسمة كما يوجد منها كثير في اطرافها خصوصاً صور مشاهير النساء ويجتمع اليها في اوقات الفراغ من الاعمال خلق كثير لا سيما حين توجد فيها الموسيقى العسكرية يوم الاحد والثلاثاء والجمعة من كل اسبوع — هذا وبهذه الحديقة

(سراي لكسمبورغ) وهي ايضاً سراي من احسن السرايات وأتقنها وانظمها بنيت من سنة ١٦١٥ الى سنة ١٦٢٠ وادخل عليها كثير من التغييرات في أزمان مختلفة وسكنها كثير من الامراء والاميرات من العائلات الملوكية ثم جعلت حبساً في مدة خالاتلال ثم اتخذها كثير من الحكومات مركزاً لها بعد ذلك الى ان صارت مقرّاً للسناتو من سنة ١٨٧٨ وهي لا تزال كذلك الى الآن وبداخلها من بديع الرسم والنقوش والتذهيب والتصوير ما صنعهُ احسن النقاشين واشهر المصورين كما ان عمارتها في حد ذاتها من اجمل العمارات وابهاها هذا ومنها انتقلنا الى

(متحف لكسمبورغ) وهو كما سبق الالماع اليهِ في غير هذا المحل مخصص بعرض رسومات الرسامين الموجودين في عالم الوجود ومن شروطهِ ان تنقل الرسومات منهُ الى متحف اللوفر او الى المتاحف الموجودة في داخلية فرنسا بعد موت صانعها بعشر سنين — ومنهُ انتقلنا الى السين فجزناهُ ووصلنا الى

(كنيسة نوتردام الكاتدرائية) وهي اول كنائس باريس اعتباراً تأسست سنة ١١٦٣ موضع كنيسة أصلية انشئت في القرن الرابع وهذه وان حصلت فيها عدة ترميمات وتصليحات وتغييرات الّا انها حوفظ على هيئتها الاصلية حسب الامكان واعتني بذلك خصوصاً في الترميم الذي حصل فيها اخيراً سنة ١٨٤٥ وقد صدر الامر بهدمها مدة الثورة الّا انهُ أُلغي قبل أن ينفذ واتخذها

الثورويون هيكلاً لتعظيم الرشد والصواب واستعاضوا عن تمثال السيدة العذراء فيها بتمثال الحرية واستبدلت الصلوات التعبدية بالاناشيد الوطنية وأُسرِج بمحرابها سراج الحقيقة يعلوهُ تمثال الفلسفة و بجانبيه صورتا فُولْتِير ورُوسُّو الفيلسوفين ولكنها مالبثت أن أُغلقت ولم تفتح الاَّ بعد اخماد الثورة

وأحسن ما في هذه الكنيسة وجهتها فانها غاية في اللطف وحسن البناء منتشر عليها الصور المجسمة الحسناء وهي مركبة من ثلاث طبقات يعلوها برجان تنكشف لمن يصعد عليهما پاريس أجمع وارتفاع كل ٦٨ مترًا عن سطح الارض و يصعد اليهما بدرجات عددها ٣٧٨ وفي الجنوبي منهما ناقوس من اكبر نواقيس العالم زنتهُ ١٢٥٠٠ كيلوجرام وناقوس آخر استحضر من سباستاپول

وداخلها في غاية الزينة والرونق والاتساع محلىً بأجمل الرسومات والصور منقوش بأحلى النقوش والزجاج المغطاة بهِ نوافذها ايضاً منقوش بأبهج النقوش

اما طولها فيبلغ ١٢٧ مترًا وعرضها ٤٨ مترًا وارتفاعها ٣٤ مترًا ثم منها قصدنا (أُوتيل دِيُو) مستشفى قديم صار تجديدهُ من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٨ وهو اقدم مستشفيات پاريس بل اوروبا لان اول انشائهِ كان سنة ٦٦٠ في عهد كلوديس الثاني وهو بالهيئة التي تجدد بها غاية في المتانة والحسن والاستعداد بهِ ٥٥٩ سريرًا ولا عيب فيهِ سوى أن الاماكن التي لزمت لتوسيعهِ اشتريت بمبلغ ٢٢ مليونًا من الفرنكات وان مصاريف بنائهِ بلغت ٢٣ مليونًا من الفرنكات

وهو تابع في المصرف لادارة مساعدة الفقراء بپاريس ويتبعها غيرهُ خمسة عشر مستشفى كبار يسع جميعها ٨٧٥٣ سريرًا للمرضى غير الأسرَّة التي يمكن استعدادها عند الضرورة

ويخرج منها بعد المعالجة كل سنة ٤٥ ألف رجل الى ٥٠ ألفاً و٣٦ ألف امرأة الى اربعين ألفاً و١٦ ألف طفل الى ١٨ ألفاً ومتوسط عدد الوفيات فيها في السنة ٧ آلاف رجل و ٥ آلاف امرأة وثلاثة آلاف طفل ثم انتقلنا بعد ذلك الى (لَامُورْج) وهو بناء واقع على شاطئ نهر السين الداخلُ اليهِ يجد في الحائط المقابلة لمحل الدخول منافذ مغطاة بالزجاج مطلة على باقي المحل وبداخلها أَسرَّة من خشب عليها الاموات الَّذين يوجدون غرقى في النهر او مقتولين باسباب جنائيَّة او غير جنائيَّة في الطرق العامة ولا تعرف اسماؤهم فيعرضون بهذا المحل مدة من الزمن الى ثلاثة أشهر لتتعرفهم اقاربهم او معارفهم فيأخذوهم لدفنهم بعد اثبات حالتهم وكيفيَّةُ حفظ هذه الاجساد وبقائها بحالتها الاصليَّة بدون حصول تعفّن فيها ولا تغيّر في الوانها مدة ثلاثة شهور هي ان توضع في آلة مبردة فتتجمد لدرجة ١٤ أو ١٥ تحت الصفر ثم توضع في القاعة المعروضة فيها وحرارتها لا تزيد دائماً في كل الاوقات عن اربع درجات تحت الصفر

ويعرض في هذا المكان في السنة الواحدة نحو ٨٠٠ جثة سبعها تقريباً من النساء

ثم اجتزنا نهر السين فمررنا على (أُوتيلْ دُهْ ڤِيلْ) وميدان (شَاتَلِيه) وسكة الاوبرا حيث ابتدأنا وكان الوقت وقت الغروب

فعدنا الى الفندق ومنهُ قصدنا محل وطنينا حضرة احمد شفيق بيك احد موظفي السكرتاريَّة الخديويَّة وقتئذٍ وكان بباريس يدرس علم الحقوق وقد دعانا الى منزلهِ لنتناول الطعام عندهُ فاجبناهُ ونعم ما فعلنا فقد وجدنا من انسانيَّة هذا الصاحب وما أعدَّهُ من المآكل الوطنيَّة وكانت غابت عنا منذ بدء سفرنا ما

اوجب سرورنا وانشراح صدورنا وبقينا هنالك بعد الاكل وهنآ من الليل نتجاذب فيهِ أطراف الحديث حتى آن وقت الانصراف

اليوم الثاني عشر في باريس

رابع يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم بزيارة قسم المعرض المخصوص بالفنون المستظرفة (بُوزار) وقد اقيم هذا القسم في سراي فسيحة بنيت لهُ من الآجرّ والحديد تعلوها قبة كبيرة يغلب على نقوشها اللون السماوي مع ما يتخللها من الزخارف والتذاهيب

وهذه السراي يقابلها سراي مماثلة لها في الهيئة والجسامة ومشابهة لها في الوضع والاتقان خصصت بالفنون العقليَّة وتاريخ عمل الانسان وكأَنها هي والمقابلة لها مع البناء الممتد من كلٍّ منهما الى سراي الصناعات المتنوعة جناحان لها

وقد بلغت مصاريف تشييد هذين القصرين سبعة ملايين من الفرنكات

وبين الجناحين المذكورين بستان فسيح نضير أبدع في اتقانهِ وتنظيمهِ وتحسينهِ واحكامهِ أَعظم البستانيين الفرنساويين فجاء روضة غناء وحديقة فيحاء نظمت فيهِ الطرقات والمزروعات والازهار كانهُ أُنشئَ من مائة عام لما فيهِ من حسن النظام فضلاً عما يتخللهُ من فساقي المياه وحياضها لاسيما الفسقيَّة المضاءة بالكهرباء التي ينصب فيها الماء مكتسياً بواسطة مرورهِ على الواح من الزجاج تتسلط عليها أَشعة النور الكهربائي من جميع جهاتها الوانًا مختلفة متشكلة باشكال بديعة وهيئات جميلة تروق الانظار وتبهرُ العقول وتحيّر الالباب وتقضي بالاستغراب

وبهذا البستان بين الجناحين قصران صغيران خصصا بمدينة باريس

ومعروضات اعمالها الخصوصيَّة وتجاه الداخل بالبستان مدخل سراي الصناعات المتنوعة وهو مدخل عظيم جدًّا تحت القبة المركزيَّة الكبيرة التي سيأتي الكلام عليها

واذ خصصنا هذا النهار بزيارة قسم معرض الفنون المستظرفة كما تقدم فلنصف بعض هيئتهِ الداخليَّة فنذكر ما فيهِ من التصاوير والرسوم وبدائع النقوش وغرائب الاشكال على سبيل الاجمال فان القيام بحق تفصيل ما في هذا المحل من التحف ونفائس الصنائع لا يكون بمجرد الوصف من مثلي بالاستحسان بل يلزم لهُ معرفة هذه الفنون المستظرفة والصنائع النفيسة معرفة تامة والوقوف على دقائقها وتفاصيلها من كل الوجوه حتى يتمكن من بيان الحَسَن ووجه الاستحسان وبيان ضدهِ ان كان منهُ شيءٌ في مثل هذا المكان ولست من أهل هذه الفنون مع أسفي على ذلك على ان قيام العارف بهذا الامر يستلزم المدد الطوال وكتابة أسفار

ولندخل هذه السراي من حيث اعتاد الناس الدخول وان تعددت فيها المداخل والأَبواب ولنبدأ بمدخل رواق راپ

وهو رواق متسع عرضهُ قدر عرض السراي المذكورة وطولهُ بنسبة هذا العرض قد خصص بعرض الصور المجسمة (سكُولْتُورْ) فجعل قسم عظيم منهُ للمصنوعات الفرنساويَّة وباقيهِ للأَجنبيَّة مع انهُ على اتساعهِ وكبرهِ ما كفى هذه المعروضات بل اضطر القائمون بأَمرها أَن يضعوا بعضها في جهات أُخر من سرايات المعرض ودهاليزهِ وبعضها في البستان وما أَعجب من قاموا بأمر هذه التماثيل من الحجر والبرونز والرخام فقد اتقنوها واكسبوها صبغة من الحياة لانها ان رُمز بها الى وقائع تاريخيَّة او حكميَّة او غراميَّة كانت كانما تنطق ببيان ما أُريد منها وان

أُريد بها تصوير بعض مشاهير الأشخاص دلت على الشخص وهيئتهِ وحافظت على ملابسهِ وحالتهِ حتى انها جعلتهُ تجاه الناظر على الحالة التي يعرفهُ بها الناس من وقفتهِ التي كان يألفها وانحناء الرأس واعتدالها ووضع اليد او الاشارة بها الى غير ذلك من المميّزات

واذ تفرجنا بهذا الرواق انثنينا منهُ الى اليمين فدخلنا السراي مارّين فيهما من الجنوب الى الشمال وصار هذا الرواق الذي تركناهُ بمثابة دهليز لها يدخل منهُ اليها

وفي هذه السراي الرسومات والنقوش بأنواعها (پَانْتُورْ) والاشكال المتعلقة بالعمارات (أَرْشْتِيكْتُورْ)

ويقسمها ممشى كبير الى قسمين جعلت في كلٍّ منهما غرف ذات اليمين وذات اليسار مختلفات في الهيئة والاتساع وفي وسط هذا الممشي متسع تعلوهُ قبة عالية تحتها سُلَّم يصعد منهُ الى الطبقة العليا من السراي ومحلاتها مغطاة أغلبها بالزجاج مجلوب لها الضوء بمقدار معلوم وبكيفية مخصوصة رغبة في تحسين الرسومات وتبيين جمالها وحسنها وبهائها

وقد خصص قسم من هذه السراي بالمعروضات الفرنساوية والثاني بالمعروضات الأجنبية

اما المعروضات الفرنساوية فتشغل الجزء الموصل من رواق راپ الى المتسع الوسطي وقد خصص هذا الجزء بمصنوعات العشر السنين الاخيرة من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨٩ وخصص ما يكتنف المتسع الوسطي من القاعات بعرض منتخبات اعمال الرسامين والمصورين الفرنساويين من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٧٨ فصار هذا القسم الفرنساوي بجزئيهِ عبارةً عن منتخبات الاعمال الفرنساوية في فنون

الرسم والنقش والتصوير مدة مائة عام من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٨٩ ولذلك سُمّي بالمعرض الميئيني ويحتوي على نحو ألفي قطعة من لوحات الرسم واذا علمتَ ما تقدم ثم عرفتَ ان الذين انتخبوا هذه التحف واختاروها من بين الآثار الموجودة بالمتاحف وعند معتبري الاحاد لجانٌ مؤلفة من أشهر الاساتذة في هذه الفنون وأضفتَ الى ذلك أن المحلات المخصصة بمعروضات العشر السنين الاخيرة لم تُقبل فيها هذه المعروضات الّا بعد عرضها على لجنة مؤلفة من اعاظم الأساتذة وشهادتهم باستحسانها وضممتَ الى ما ذكر ان هذه الرسومات جميعها اشتغل بوضعها في محلاتها الّتي هي فيها وتنظيمها وتنسيقها وتصويب الضوء اليها كما رأيناها لجانٌ من كبار العارفين وزدت على هذا كلهِ انهُ روعي في وضعها جعل اعمال كل استاذ من الاساتذة القدماء او الحدثاء منضمةً الى بعضها كأنما هذا المعرض عبارةٌ عن معارض كثيرة خصوصيةٍ بقدر عدد الاساتذة المعروضة اعمالهم ايقنتَ ان هذا القسم من هذا القصر جدير بان يحار فيهِ من شاهد مرآهُ ويتعجب من بدائع صنعهِ من رآهُ وان يعدهُ من احاسن المحاسن ومحاسن الاحاسن ويجزم بأنَّهُ يقصر عن وصفهِ الفضلاء ويعجز عن بيان كنههِ النبلاء

والمعروضات الاجنبيّة الّتي تشغل باقي اقسام هذه السراي النفيسة قد جُلبت اليها من سائر الاقطار فهذه قاعات ايطاليا واسپانيا وانجلتره والمانيا والروسيا واوستريا هنكاريا وضعت في الطبقة الارضيّة وهذه قاعات بلجيكا وسويسره واليونان والممالك المتحدة باميركا والدانمرك والنرويج والسويد وهولانده وسربيا ورومانيا وضعت في الطبقة العليا وذلك كلهُ غير قاعة خصصت بالامم المختلفة الّتي لم تكن مصنوعاتها تستلزم قاعة خصوصيّة

وقد قدَّر بعضهم المسافة التي تشغلها الصور المعروضة بهذا القصر لو وضعت بجوار بعضها متلاصقة على خط مستقيم بفرسخ وربع فرسخ لفرنسا من ذلك ٢٨١٠ امتار وللبلاد الأجنبيَّة ٢١٢٣ مترًا والباقي للمعروضات المصنوعة من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٧٨ وفي ذلك دلالة كافية على عظم ما انتجتهُ القريحة البشريَّة من غرائب البدائع وبدائع المنتخبات في هذا الفن

وها أنا قد بيَّنتُ في هذا الباب ما امكنني بيانهُ حسب طاقتي والاَّ ففي الجنان ما لا يستطيع بيانهُ اليراع واللسان وقد كنت اودُّ أن اوضح ما في نفسي من حقائق هذه المصنوعات وأن امتع القارئ بدقائق ما تمتعت بهِ وسيدي الوالد العزيز في هذا النهار من المرئيَّات وأُطلعهُ على ما عاينتهُ في انتقالي من غرفة الى أخرى ومن صورة الى غيرها يتراءى لمن شاهدها أنها ناطقة تُشخِص في عالم الحياة ما اراد موجدها اظهارهُ بها من عالم الخيال الى عالم العيان وهذه القاعات خصوصاً المتعلقة بالقديم منها من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٧٨ كأَنما هي كتب تاريخ واضحة العبارة مكتوبة صحائفها بخط جليّ تنادي بالاشخاص واعمالها والملوك وافعالها والحروب واهوالها من انتصارات وانكسارات ومكافحات ومناضلات وافراح واتراح أو اسفارُ أخلاق تنبئ عن الملابس والعوائد والمساكن والموائد او محالّ اجتماع للتعارف يجتمع الزائر فيها مع مشاهير الرجال المنسوبة اليهم أعاظم الأعمال في فنون المعارف والآداب

ولا غروَ أن فن التصوير يشابه فن الشعر من حيث ان مبنى كل منهما التخيل وهما متحدان في المؤدَّى مختلفان في كيفيَّة التأدية وما يُؤدّيان اليهِ فالشاعر يُؤدّي الى السمع ما تخيلهُ بألفاظ ينظمها ويحسنها حسبما هو عليهِ من

القوة في التأدية والمصوّر يؤدي الى البصر ما تخيله بصور يصورها وتماثيل يمثلها يجعلها ناطقة بلسان حالها عما في ضميره من المعاني التي ارادها يفهم المقصود منها من رآها وتأملها كما يفهم المقصود من الشعر من سمعهُ وتأملهُ ولا يخفى ما في ذلك من المهارة والدقة وما يعقلها الا العالمون

هذا وبعد ان متعنا الطرف بهذه المحاسن طول النهار واغتنمنا هذا الانس وتعاطينا طعام العشاء في أحد محلات الاكل الملاصقة للسراي أردنا الانصراف الى الفندق فصادفنا نوراً عظيماً استلفت منا النظر فقصدنا نحوهُ واذا هو ملعب الإيْبُدْرُوم لا يبعد كثيراً عن المعرض فقضينا بهِ طائفة من الليل نتفرَّج على ما فيهِ من ألعاب الفروسيَّة وغرائب الحركات الجسمانيَّة مما يدهش العقل ويحير اللب لما يراهُ الناظر من الخروج عن العادة المألوفة من جهة اقتدار اللاعبين وقوتهم وتمرنهم وسرعة حركتهم على كبرهم وصغرهم نساء ورجالاً شيوخاً واطفالاً فيمشون على الحبال المرتفعة مع دقتها ويشتغلون فوقها بأنواع الألعاب كأنما هم على ارض قارة هذا فضلاً عن ألعابهم على الأرض وفوق أظهر الخيل مع ما بهم من عظم الوثبات الدالة على غاية الخفة والنشاط الى غير ذلك ولا شك ان هذه الألعاب مع كونها من موجبات التسلي والاستغراب هي من موجبات التنشيط للحركة والتحبيب في الشجاعة والفروسيَّة وتقويةِ النفس على اقتحام الاخطار وعدم المبالاة بها فاذا خرج الانسان بعد تفرجهِ وجد في نفسهِ نشاطاً في المشي وخفة في الحركة وجسارة في النفس لانهُ مهما عمل في ذلك لا يصل الى ادنى درجة هؤلاء من التعرض الى المضار وارتكاب الأخطار

﴿ اليوم الثالث عشر في باريس ﴾

خامس يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم (يوم الاربعا ١٤ أغسطس سنة ٨٩) بزيارة سراي الفنون العقلية (آرلِيبيرُو) وتاريخ عمل الانسان سُمّيت بذلك لان ما بها للعقل فيهِ الجانب الاكبر والحظ الاوفر ولان أعمال الانسان من قديم الزمان الى الآن معروضةٌ فيها وهي السراي المقابلة لسراي الفنون المستظرفة التي كتابها أمس

والغرض من ذلك جمع حاصلات عمل الانسان من الازمنة المتقدمة الى الوقت الحاضر في مكان واحد وكيف كان وكانت في مبدإ الأمر مع ترتيبها بحسب تواريخها وبكيفيةٍ يستنتج منها حال التقدم فيها وكيف تحولت من حالتها الاصليّة الى حالتها الحاضرة المحسَّنَة ومن هذا تستفيد الناس معرفة كيفيّة الاعمال الانسانيّة وكيف ترقت شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى حالتها الحاليّة

ومن البديهي انهُ لم يكن من الممكن دائماً عرض جميع الحاصلات القديمة نفسها فهذه الماكينات البخاريّة لم يتيسر الحصول على اول ماكينة اخترعها ستِفانسُون الانجليزي مخترع الوابورات البخاريّة التي تسير بقطارات السكك الحديديّة لاجل مقارنتها بآخر ماكينة من هذا القبيل عُملت في أحسن الفابريقات الفرنساويّة او الانجليزيّة وهذه النظارة المعظمة التي كان يستعملها جَاليليه الفلكي الشهير ما امكن احضارها لمقارنتها باحسن النظارات الفلكيّة المستعملة في هذا الوقت وذلك لان الماكينة البخاريّة الاولى محفوظة في متحف لندره والنظارة الابتدائيّة من مملوكات مدينة وينيسيا (البندقية) ولهاتين المدينتين الحق في

عدم تفريطها في مثل هذين الكنزين الثمينين

ولكن ما لايدرك كلهُ لا يترك كلهُ والاشياء التي لم يتيسر احضارها بنفسها عُوضتْ بصورها الفطوغرافيّة او بصور مجسمة منقولة منها او باقرب الاصول لها فهذه الماكينة البخاريّة الحديديّة التي لم يتيسر احضار الاولى منها استحضر بدلاً عنها ثاني وابور حديدي عملهُ الانجليز بعد الاول

وهذه السراي إن شابهت السراي الذي كنّا بها أمس الّا إنها تمتاز عنها بصفاء الوان الآجرُّ الحديد فيهاو بداخلها رحبة عظيمة الاتساع تعلوها قبة شاهقة في الارتفاع وحولها تحت القبة المذكورة أربعة قصور مستقلة في ذاتها منفصل بعضها عن بعض

وكل واحد من هذه القصور الاربعة بوسطهِ رحبة متسعة فيها الاشياء المعروضة يحيط بها ممشى تحمل سقفها عمد وبالزوايا الاربع قاعات أربعة في كل زاوية واحدة

وأما دائر السراي فممشى كبير متقن الوضع عُرِضَ فيهِ كثير من الاشياء

وتنقسم المعروضات بهذه السراي الى أربعة أقسام الاول في الانسان وتاريخهِ الطبيعي (أنترُوپولُوجِيا) وعلم خصوصيات الشعوب (إتنُوجرَافِيا) الثاني في الفنون العقليّة (آرلِيبِيرُو) الثالث في الفنون والصنائع الرابع في وسائط النقل وجر الاثقال

بقي قسم خامس متعلق بتاريخ عمل الانسان وضع في سراي مخصوصة بنيت لهُ في قسم أنفالِيد من المعرض وهو قسم الفنون الحربيّة

وقد انتخبت لجان للملاحظة هذه الاقسام وترتيبها مؤلفة من كبار العلماء

بهذه الخصوصيات وتألّفت لجنة عالية ترأس هذه اللجان تحت رياسة المسيو جُول سِيمُونْ الفيلسوف الشهير وكفى ذلك دليلاً على حسن نظام هذه المعارض الخصوصيّة وان لحظةً يقضيها المتفرج في قسم من هذه الاقسام يَتَتَبَّعُ الاشياء ويقرأ ما عليها من التعاليق الكتابيّة لافيد لهُ من سنين طويلة يمضيها في دراسة الكتب التي ربما لاتوصلهُ في أغلب الاحيان الى النتيجة التي يستفيدها في بعض دقائق فانها زبدة أفكار العلماء ولم يحصلوا عليها الاَّ بعد مددٍ متطاولة وسنين متعددة مضت في البحث والمناقشة والتنقير في كتب ومظان لهُ لم تخطر ببال لهُ

وكل قصر من القصور الاربعة مخصص بقسم من الاقسام الاَّ ان القسم الثاني ضم اليهِ الرحبة التي تحت القبة

فالقصر الاول من جهة النهر خصص بالقسم الاول المتعلق بالانسان وحالاتهِ وخصوصيات الشعوب وذلك ان صورت صور كثيرة من الشمع بقدر الانسان الطبيعي ووضعت في وسط الرحبة جماعاتٍ كل ثلاثةٍ واربعةٍ منها مع بعضها منفصلةٌ عن باقيها تمثّل حالة مخصوصة من حالات الانسان فاول جماعة مؤلفة من ثلاثة اشخاص على حالة الانسان الاولى مجتمعين حول شجرة اوقعوها لاخذ اخشابها وصنعها للمصالح التي كانوا يستعملونها فيها بالايام الخالية وهم على هيئة اشتغالهم بذلك وقتذاك والجماعة الثانية مركبة من اشخاص على الفطرة الاولى يشتغلون بتحديد احجار الصوان وسنها بواسطة احتكاكها باحجار غيرها حتى تكون حادّة فيستعملوها اسلحة للدفاع والهجوم على العدوّ من انسان وحيوان او في قطع الاشياء اللازمة للمعاش الى غير ذلك مما وصلوا اليهِ بواسطتها من الصنائع وترى هذه الاشخاص كانها مشتغلة امامك بهذه الاعمال والجماعة الثالثة ارقى من الاولَيْنِ

وهي عبارة عن عائلة تأوي الى فُسْطاط حضر كبيرها من الخارج راكباً مركبة يجرها حيوان من حيوانات تلك الازمان ويظهر على هذه الجماعة نوع من الترقي لانتظامها وتوفر الادوات عندها اكثر من اللتين قبلها والرابعة جماعة أَلفت لها مسكناً من الاحجار على الحالة الاصليّة ثم جماعة بعدها حسَّنت هذه الاحجار بعض التحسين كانها نحتتها بتلك الآلات الّتي ذكرناها ونظَّمتها بعض تنظيم كل ذلك والجماعات يتبيَّن لنا منها كيف كان الانسان يلبس ويتغذى في تلك العصور السابقة على الازمنةِ المعروفة بالتاريخ

وفي دائر رحبة القصر صُفَّت جماجم متعددة عثر عليها في نقط مختلفة من المعمورة ووضعت معها اشياء كثيرة من مجموعات عظام الانسان وهيكلهِ مجلوبةً من سائر الانحاء مرتبةً كالتي قبلها بحسب الجهات والاصناف فمنها الزنجي وساكن اميركا الاصلي والصيني والاوقيانوسي والهندي وغير ذلك

وباحدى جهات الرحبة جماعة على هيئة الصينيين يصنعون اواني الخَزَفِ الصيني فيمثّلون سائر عملياتها من المبدإِ الى ان وصلت الى الحالة الّتي هي عليها من الحسن والرونق بعد ان كانت في اول امرها لا يُعتَدُّ بها ولا يعتنى بشأْنها ولا بالنظر اليها وقد استحضروا اشياء من تلك المصنوعات بحالتها الهمجيّة واشياء بحالة الحضارة الحالية وهكذا صنعوا في تمثيل كيفيّة صنع الاواني الصغيرة والتحف اللطيفة الّتي تتخذ من الاخشاب والاوراق حتى انتهوا فيها الى احسن ما وصلت اليهِ واستجلبوا الآلات الّتي كانت تستعمل في السابق عند هؤُلاء الاقوام والآلات الّتي يستعملونها في اعالم الآن من اعظم المتاحف ومن كبار الاحاد الّذين اقتنوا هذه الاشياء وصرفوا في تحصيلها الالوف المؤلفة من الاموال فيرى الرائي في هذا

القسم ما لا يتيسر لهُ روءيتهُ مجموعاً بهذا الوصف في غير هذا المحل في اي زمان

والقصر الثاني خصص هو والرحبة التي تحت القبة بالفنون العقلية (آزلييرُو) وهي التي نُسبت اليها السراي التي نحن بها اليوم كما بيّنّا ذلك اول الفصل وقد انقسم ما بها الى عدة اقسام على حسب ما فيها من الفنون

فالرسم (لاَپَانتُور) جعل لهُ فيهِ قسم على حدتهِ يبتدئ المتفرج فيهِ بأوائل هذا الفن على ما بها من عدم التحسين ثم يستمر فيرى المصور قد تمكن من استعمال الألوان على حسب ما استخرجها من الأحجار ثم ترقّى فيراهُ استعمل الألوان على الجدران المطلوة بالجبس والجير ثم زاد في الترقي فيراهُ استعمل الرسم بالبوية بالزيت او الماء والرسم بقلم الفحم او الرصاص الى ان وصل الى درجة التفنن والاتقان التي عليها الفن الآن كل ذلك بواسطة اشخاص مجسمة من الشمع لابسة البسة توافق حالة الأوقات المنسوبة اليها تحيط بها جميع الأدوات والآلات والبويات مما كانت تُستعمل في أي وقت من الأوقات

ثم التصويرُ بالتجسيم (سكُولتُور) جعل لهُ قسم ايضاً يرى المتفرج فيهِ أشكالهُ من الصور المجسمة من الخشب والرخام والحجر والبرونز والشمع والعاج والمواد الصلبة وغيرها على حالاتها المختلفة كيف كانت في الأول وكيف ترقّت بعد ذلك وكيف كانت تُصنع فيما سبق وبأيّ آلات وكيف تصنع الآن والآلات التي يستعان بها في ايجادها

ثم قسمُ الموسيقى بسائر آلاتهِ القديمة والحديثة وكيفيات نقدمها مبتدأة بالعود المصري وغيرهِ من الأدوات التي كانت توجد عند المصريين الأقدمين وموسيقي الفينيقيين منتهية هذه الآلات بأحسن ما يوجد منها الآن فاجتمع في

هذا القسم من آلات الموسيقى على اختلاف اصنافها وجمعها ما ينبهر منهُ الانسان

ثم قسم العمارة وتاريخها وهذا استعمل فيهِ الرسومات أَما من أَراد نفس البناء فعليهِ بالتوجه الى طريق تاريخ السكنى وقد سبق تفرجُنا عليهِ

ثم قسمُ التياتر وتاريخهُ العجيب (وهو في الرحبة الَّتي تحت القبة) وهناك رأَينا كيف كانت تُعمل التياترات اولاً وكيف وصلت الى حالها اليوم وكيف يكون محل اللعب ومحلات استراحة اللاعبين ولبسهم ملابس اللعب وكيف تكون الاضواء في محل اللعب وخارجهِ وكيف تكون الأَستار والأَشكال وما كانت تلبس اللاعبون في أَول الأَمر حتى وصلت الى ملابس اليوم الَّتي رُوعي فيها التاريخ ومناسبة وقتهِ وكيف كان يُستَصبَحُ في التياترات بالشمع في اول الامر وكيف يُستصبح فيها بغيرهِ الآن ثم بجوار هذا المحل محل عُرضت فيهِ من كتبخانة الأُوپرا الأَهلية اشياء كثيرة متعلقة بتاريخ التياتر لتزيين محال اللعب وتهيئتها للغرض المقصود وكيف كان ذلك اولاً ثم ترقى تدريجاً في الأَزمان الى الآن مع ما يتعلق بالتياتر من الكتابات والاعلانات والپروجرامات

والقصر الثالث خصص بقسم وسائط النقل وجر الأَثقال جُمعت فيهِ سائر الآلات الَّتي أَمكن جمعها وأُضيف الى ذلك نحو خمسة آلاف رسم عوضاً عن الَّتي لم يتيسر جمعها فجاء في غاية الاستيفاء مشتملاً على سائر آلات النقل وجر الأَثقال من قبل المسيح بعشرين قرناً الى ما بعدهُ حتى الآن فيتبين منهُ لمن أَمعن النظر فيهِ فوائد شتى ومعارف كثيرة وكيف كان الأَوَّلون في اوائل درجات التمدُّن ينتقلون في محامل تحملها الأَعناق وكيف كان الحال بعد ذلك حتى وصل الى النقل بالآلات البخاريَّة واذا تأَمل في وسائط النقل بالبخار نفسها وجد فيها

التقدم الموجب للاستغراب عند ما يقابل بين اول عربة صنعت لركوبة الدوك* دُه وَلنجِتُونْ في السكة الحديد وبين العربات المزخرفة الّتي تصنع اليوم للملوك والكبراء

والقصر الرابع خصص بالفنون والصنائع وقد احتوى على جميع ما يهمُّ المهندسَ معرفتهُ ويلزم صاحب الفن الوقوف عليهِ في فنهِ وما يتعين على الصانع التدقيق فيهِ مهما تنوَّعت صناعتهُ ففيهِ ما يلزم لكل صناعة وما عُمل فيها في كل زمن فصناعة الزجاج والبلور مثلاً هيئت فيهِ بكيفياتها في الازمنة سابقاً ولاحقاً وصناعة الاسلحة بأصنافها ونقوشها في الماضي والحال وبهِ معامل تصنعُ هذه الاشياء على الطريقة القديمة ومعاملُ جديدة تصنعها على الطريقة الجارية الآن ليظهر الفرق ويتَّضح واستحضرت آلات طباعة من القديمة الّتي كانت اول ما استعمل في الطبع والآلات الّتي تجددت بعد حتى وصلت الى الموجودة الآن ومعها ما تَطبَعُ من كتابة ونقوش ورسومات سوداء او مُلوَّنة بالالوان لمقارنتها بالمطبوعات اول الاختراع وعدة نسخ من الاعلانات الّتي تلصق على الجدران لشهرة ما يُراد للمقارنة بين القديم منها والحديث وكيف وصلت هذه بشكلها واتقانها الى استجلاب الانظار وأُحضرت فيهِ ملابس عديدة لبيان ما كان يلبسهُ الصناع في القديم والحديث كأنما اريد تدوين تاريخ لملابس الصناع من الاول الى الآن

هذا وفوق كثير من المحلات الّتي ذكرناها محلات تعلوها فيها بقيّة ما تحتها وقد خصص احد هذه المحلات العلويّة بحال القباب الطيارة فوضعت فيه واحدة بزورقها المعلق بها وجُمع تحتها جميع ما يتعلق بهذهِ القباب وتاريخها وكيف ابتدئت وكيف صارت الآن

وقبل الخروج من هذه السراي دخلنا الى المحل الذي تخصص بها للتعليم الصناعي وقد اخذ في الانتشار بما استُعمِل فيهِ من التسهيلات وفي تحصيلهِ من المساعدات

ثم زرنا المحل المختص بالمعروضات الجغرافية والقسموغرافية وفيهِ كثير من الخرائط والكرات ارضية وسماويّة والاحصائيات بأصنافها ثم الرسومات المختصة بالاشغال العموميّة بجميع اشكالها كالقناطر والجسور والترع واحواض مرور السفن (هويس) ثم رسومات العمارات العموميّة والمباني الأثريّة وغير ذلك من المباني والمساكن والفنادق واماكن سكنى الصناع والفعلة ورسومات المحطات ومخازن السكك الحديديّة

ثم رأينا المحل الذي اختصت بهِ نظارة الداخليّة من هذا السراي فجعلتهُ للسجون واشكالها وكيف كان حالها في الماضي من حيث التعذيب والاضرار بالصحة وكيف صارت الآن من جهة مراعاة الصحة مع ما في ذلك من سجون الانفراد وغير الانفراد والمخصص منها بالمحكوم عليهم بمدد قصيرة او طويلة والمجعول منها للاشغال الشاقة وكيف يكون فيهِ الحال

ثم مررنا بالمحل الذي تخصص بآلات الطب والجراحة وهو محتوٍ على العجائب والغرائب من حيث الآلات ودقتها واتقانها مع خفتها وتعددها وكثرتها كل ذلك دلّ على عظيم التقدم في هذا الباب

ثم تفرجنا على المحل الذي خصص بالآلات الدقيقة المجعولة لضبط الاوقات والمسافات وعلى الماكينات المجعولة للحساب والبُصلِ والبارومترات وآلات المقاسات وغير ذلك من الآلات والادوات المجعولة للرصدخانات والمعامل فضلاً

عن وجود المقاييس والمكاييل والنقود والميداليات الخاصة بكل البلاد في هذا المحل

ثم على المحل المعدود لعرض أدوات الكتابة من الاوراق بأشكالها والحبر بأصنافهِ والظروف والمحابر والمحافظ وادوات الرسم والالوان وغير ذلك من اللطائف

ثم على المحل الذي خصص بعرض الاعمال الفطوغرافية فراينا التقدم العظيم الذي حصل في هذا الفن على حداثتهِ مما ينبئ عن زيادة حسن مستقبلهِ وكان الرسامون كرهوهُ في اول امرهِ لما ظنوهُ من انهُ يكون معطّلاً لاعمالهم ثم رجعوا اليهِ مذ رأوهُ عضداً ونصيراً لهم فانهم تمكنوا بواسطتهِ من الحصول على اشكال كانت تعجز عنها ابصارهم ويستحيل الاتيان بها على حقيقتها بدونهِ كرسم هيئة الحيوان بالضبط وهو يركض او الطير حال طيرانهِ الى غير ذلك هذا والامل أكيد والرجاء وطيد في ان يصل هذا الفن الى رسم جميع الالوان على حقائقها ما دام مستمراً على هذا التقدم آخذاً في سبيل هذا النجاح

اما محلات المطبوعات والكتب والتجليد المحتوية من بديع الآثار على ما تحار لهُ الافكار فقد تفرجنا عليها وتفرجنا بعد كل محل منها على تكملتهِ من معروضات الاجانب التي في نوعهِ للمقارنة بين ما بها و بهِ فرأينا معروضات ايطاليا والروسيا وسويسره وبلجيكا واسپانيا وانكلتره وامريكا الشمالية والپرتغال في آلات الحكمة والجراحة وفي الجغرافية وفي الموسيقي والآلات الدقيقة والاوراق والمطابع والفطوغرافية

ثم تفرجنا بعد هذا على المحل الذي خصصتهُ نظارة المعارف في هذه السراي بالتعليم بانواعهِ في سائر مدن فرنسا ولا غرو فهذا مكانهُ لان التعليم يتعلق بالفنون

العقلية وبتاريخ عمل الانسان لا محالة

وينقسم التعليم فيهِ بحسب درجاتهِ الى ثلاثة اقسام احدها للتعليم الابتدائي والثاني للتعليم الثانوي والثالث للتعليم العالي

اما محل التعليم الابتدائي فقد دل على عظيم الرعاية في هذه البلاد بأمرهِ ومزيد الاعتناء بشأنهِ فاحتوى على نموذجات مجسمة كثيرة من امكنة مدارس التعليم الابتدائي ومكاتبهِ على اختلاف درجاتها مخصصة بالاطفال الصغار واكبر منهم وبالبنات وبالايتام في المدن والقرى ومن امكنة المكاتب المعدة للتدريس للكبار وللتعليم الصناعي ثم على نموذجات من لوازم هذه المدارس على اختلاف أشكالها من الفُرُش وادوات التعليم وادوات الاكل والنوم ثم على نموذجات مما أُعِدَّ بهاتهِ المكاتب من موجبات تقوية الاجسام ورياضتها وتثقيف العقول وتهذيبها على حسب درجات التعليم وسِن التلميذ ثم على نموذجات من أدوات التعليم المعدة للخرس والعميان ولم يكتفِ بهذه الانموذجات على كثرتها وتعداد أصنافها بل اراد منظم هذا المحل أن يرى الناظر بعيني راسهِ نتيجة هذه التعاليم واثرها في المتعلم فاستحضر كراريس من اعمال التلامذة مبيناً فيها ما عملهُ الواحد منهم في سنتهِ بالكتابة ومذكوراً فيها سِنّهُ وتاريخ دخولهِ الى المدرسة فيظهر للمطلع عليها حالةُ تعليمهِ عند دخولهِ وكيف أخذت في النموّ والارتقاء بعد ذلك والزمن الذي لزم لهذا ولا شك ان هذه الكراريس تَدُل دلالة واضحة عل حسن نتيجة طريقة التعليم المتبعة في هذه البلاد

ومحل التعليم الثانوي يحتوي ايضاً على كثير من النموذجات اللازمة لهُ وكذلك محل التعليم العالي اشتمل على نموذجات أرقى وأعلى وعلى تقارير مطولة

حررها المفتشون على التعليم لناظر المعارف يستنتج منها من أراد الوقوف على حالة التعليم في كل فرع من الفروع

ثم خرجنا من هذه السراي والنفس في غاية الانشراح مما رأيناه وبعد الاستراحة وجدنا في الوقت اتساعاً فقصدنا قصري مدينة باريس وقد جُعِلا كما ذكرناه سابقاً بين الجناحين اللذين خرجنا من احدهما الآن وشيدا من الحديد ملوناً بالخضرة

وقد عُرض في احدهما مناظر مدينة باريس رُسمت في خرائط المقارنة حالتها التي كانت عليها في سنة ١٧٨٩ بحالتها التي هي عليها في سنة ١٨٨٩ وعرضت فيه ادارة المدينة جميع ما يتعلق بتبليط الشوارع وتحجيرها واصلاحها ونموذجات من محاجرها والآلات التي تستخرج بها الاحجار منها قديمة وحديثة للمقارنة بينهما فانها تمتلك محاجر عظيمة يشتغل فيها على ذمتها دائماً ابداً ٢٥٠ عاملاً لاستخراج احجار التبليط وبناء التُرُتوَارَات والبواليع اللازمة للمدينة

وكان في القديم يمكث ثلاثة رجال ساعة من الزمن لحفر حفرة عمقها متر واحد اما الآن وقد وجدت آلات التسهيل التي تدور بضغط الهواء والبخار او الكهرباء فيتمكن بواسطتها احد العملة من حفر تلك الحفرة في مسافة دقائق قليلة ويستخرج من هذه المحاجر على ذمة أعمال المدينة في السنة ٧٥٠٠٠٠ حجر للتبليط و٢٠٠ ألف طونولاطه للبناء وقد عرضت في هذا المحل ايضاً آلات تنظيف الطرقات ورشها

وعرض في الثاني نموذجات من بواليع باريس عن سنة ١٦٦٠ وسنة ١٧٤٠ وسنة ١٧٨٩ وسنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٩ للمقارنة

ولا خفاء أن البواليع في المدينة من أهم الاعمال الصحيّة اللازمة لصرف المياه القذرة واستبعاد الاقذار وتصريف الامطار خصوصاً في زمن الشتاء فان بقاء ذلك لاشك انهُ مضر بالصحة كما تدل على ذلك حالة القاهرة زمن الامطار في الشتاء فانها لا بواليع فيها

ثم في هذا المحل رسومات كثيرة تدل على طرق متعددة لتطهير المساكن وتنقيتها ونموذجات مساكن طيّبة الهواء وغيرها بخلافها ليست طيبة الهواء ولا صالحة للسكنى

ثم نموذجات طرق استعملت لتنقية مياه البواليع وتنظيفها من الاقذار وجعلها يُنتفَع بها وهي غير طرق استعمالها في تسميد المزارع

ويشتمل هذا القصر غير ذلك على نموذجات التعليم الابتدائي وكيفياتهِ في باريس وطرق التعليم الصناعي فيها وقد تقدم الكلام عليهِ في سادس يوم من باريس

وقد جمع هذا القصر ايضاً لوازم الأَمن في المدينة مثل مُطْفِئات الحرائق (طلومبات) ولوازمها من سلم وغيره

ومن أهم ما فيهِ نموذج المعمل الكيماوي الذي جعلتهُ المدينة للكشف على المأكولات والمشروبات لمعرفة النافع من المضر بالصحة منها محافظة عليها وقد خصص مستخدمون بامتحان جميع المواد الغذائيّة بهذا النموذج أمام المتفرجين وتفهيمهم الطيب منها والرديء بمرأى العين ليتبين لهم انهم في أمن تام من حيث المأكول والمشروب

وخرجنا من هذا المحل مذعنين بانهُ ليس بالعمل السهل ادارة مدينة عظيمة كباريس وان ذلك النظام يحتاج الى صرف الكثير من المال

اليوم الرابع عشر في باريس

سادس يوم في المعرض

قد خصصنا هذا اليوم (يوم الخميس ١٥ أغسطس سنة ٨٩) بزيارة سراي الصناعات المتنوعة وهي تشتمل على معارض المصنوعات الفرنساوية وقد تقدم أن جناحيها سراي الفنون العقلية على يمين الداخل من جهة البرج وسراي الفنون المستظرفة على يساره وأن بناء يمتد من كل من السرايين المذكورين الى سراي الصناعات المتنوعة يُعَدُّ باقي الجناحين لهذه السراي تُعرض فيه الصناعات الاجنبية وسنتفرج على ما في هذين البناءين غداً اذ أن يوماً واحداً لا يكفي في التفرج على جميع ما في هذه السراي والبناءين البالغ مساحة جميعهن ١١٠٠٠٠ متر مربع

فدخلنا هذه السراي من بابها الوَسَطِيّ وهو المدخول له من بين الجناحين تحت قبتها المركزية وهذا الباب وهذه القبة قد شاع في الآفاق ذكرها وانتشر في الخافقين صيتها وهما مصنوعان من الحديد وبعض الآجرّ مع تخلُّل قليل من الخشب والتزيّن بالمصنوعات الخزفية والقيشانية

ولم يكن استعمال الآجُرّ في العمارات العظيمة بمستحدث فهذه المباني الأَثرية القديمة بنِينَوَى ومصر تشهد باستعماله فيها بالاعصر الخالية على أحسن كيفية والمتأَخرون وان استعاضوا عنهُ الحجر في الازمان المتأَخرة لما ظنوهُ فيهِ من المتانة والمهابة لكن وضعهُ في هذين على الكيفية المجهول بها أثبت انهُ لا يقل عن الحجر فيما ذكر بل يزيد عنهُ زخرفة ورونقاً وبهاء وحسن منظر

(القبة المركزية) قطر دائرة هذه القبة ثلاثون متراً وارتفاعها من الداخل ٥٥ متراً ومن الخارج الى منتهى تمثال فرنسا الموضوع باعلاها ٧٥ متراً واصل بنائها

من الحديد مرتبطاً بعضهُ ببعض بحديد وهي مغطاةٌ من الخارج بطبقة من الآجرّ تعلوها طبقة من الزنك منعاً لتساقط الامطار على ما تحتها ومحشوةٌ تلك القبة بين حدائدها من الداخل بخشب ليسهل طلاؤُهُ بالجير مزينةٌ بالميناء داخلاً وخارجاً تتخللها اثنتا عشرة نافذة زجاجيةٌ تحت ذروتها توصّلُ النور الى ما تحتها

وقد جُعِل فوق القبة كثيرٌ من الرسومات المجسمة ففي الذروة صورة تمثّلُ فرنسا قائمة توزع مكافأةً على المستحقين في خدمة الانسانيةّ ثم على البنية المثلثة المجعولة فوق فتحة الباب الموصل اليها تمثالا السلّم والاتحاد وفي طرفيها تمثالان آخران يمثّلان العلم والتقدم وبأحد جانبي الباب تمثال التجارة وبالآخر تمثال الصناعة وفي منتهى فتحتهِ من الاعلى في جهةٍ تمثالُ المشرق وفي أُخرى تمثال المغرب

ومنظر القبة من الخارج والداخل في غاية البهجة والحسن وقد نُقشت رسومات الداخل من اشخاص وغيرها على قطع من القماش نقشتها أعاظم ارباب فن التصوير وهم باي مكان كانوا ثم أُلصقت بالبناء حيث هي الآن فيظن الرائي انها نُقشت في محلها الذي رآها بهِ كالمعتاد ولا شك في ان هذه الطريقة اقلُّ مشقة واسرع عملاً وادنى مصاريف من طريقة النقش المعتادة اعني ان يكون النقش من اول الامر في نفس البناء بالغاً ما بلغ ارتفاعهُ اذ في هذه من المشقة والبطء وكثرة المصاريف ما لا يخفى

وبداخل القبة على ارتفاع عشرة امتار من الارض ممشى من الحديد بقدر محيط القبة ذو درابزين من الداخل ولهُ منافذُ مطلة على ساحة شان دُه مارس من جهة وعلى داخل سراي الصناعات المذكورة من جهة أُخرى وبكل زاوية من زوايا القبة سلَّم يُصعد منهُ الى هذا الممشى فيرى من بهِ اذا توجه جهة الباب جميع قسم شان ده مارس واذا توجه جهة الباب المقابل لهُ الذي يُدخلُ منهُ الى داخل

سراي الصناعات المتنوعة رأى ممشاها العظيم الذي يقسمها الى شطرين ويُوصلُ الى قاعة الماكينات كما سيأتي الكلام على ذلك واذا قصر النظر على داخل القبة يرى فوقهُ الزخارف الرائقة والنقوش الفائقة على عظم ارتفاعها وكبر اتساعها ويرى تحتهُ الناس يدخلون افواجاً افواجاً والوفاً مؤلفة ليُمتعوا الانظار بما حوتهُ هذه القبة العظيمة من الرسوم الفخيمة ويشاهدوا ما بالسراي من الآثار الغريبة والصنائع البديعة العجيبة ويرى بعض هؤلاء صاعدين الى حيث هو فيشاركونهُ في الابتهاج والاعجاب بما يظهر على وجوههم والفاظهم من سمة الاستحسان ولا غروَ فان هذا الحسن لا يختلف فيهِ اثنان

وكل سُلَّم مما ذكر يُوَصل الى محلات ذات اليمين وذات اليسار جعلت في الاصل للاستراحة واستعملت بعد ذلك لعرض مصنوعات بعض معامل الحكومة نظرًا لكثرة المعروضات والازدحام في هذا المعرض فعرض فيها من مصنوعات جُوبلان ثلاثة وثلاثون بساطاً حوَت من محاسن الصناعة واحاسن الرسم ما لم يسبق عرضهُ وعُرض فيها غرائب من الاواني الخزفيّة والصينيّة التي تصنع بمعمل سيفر مما لا يباع بل يهدى الى الملوك العظام وعرض فيها بدائع من الابسطة المعمولة في معمل بوفيه الظريفة الاشكال العديمة المثال هذا وقد عرض من معمل الفسيفساء ما أُلصقَ بوجهةِ وجانبي باب القبة الثاني الذي يدخل منهُ الى ممشى السراي وأُبدع في ذلك غاية الابداع (١)

(١) وهذه المعامل الاربعة تدار على نفقة الحكومة لصنع ما يلزم لزينة اماكنها العمومية ولاهداء الدول المتحابة وبيع ما يزيد على ذلك فتنفق الحكومة عليها كل سنة ٩٩٧٢٣٠ فرنكاً وقد انشئ الاول سنة ١٤٥٠ والثاني سنة ١٧٤٠ والثالث منذ ثلاثة قرون والرابع سنة ١٨٧٦ . اه

وفوق ممشى القبة المذكورة على ارتفاع ٢٢ مترًا تماثيل أربعة كل واحد منها يمثل قوة من القُوَى الاربعة التي عليها مدار الصناعات وأعمال الانسان وهي الهواء والماء والبخار والكهرباء

وفوقها رسومات عظيمة تُمثّل فرنسا حال كونها تدعو الأمم لمشاركتها في هذا المعرض وتقبل منهم حاصلات بلادهم وتحت هذه الرسومات جداول مكتوب فيها بحروف ذهبيّة أسماء الأُمم التي أجابت دعوتها

وفوق هذه الرسومات صور أربعة تُمثّل اوروبا وامريكا وآسيا وافريقية وفوقها شعائر الدول التي اشتركت في هذا المعرض وفوق ذلك كلهِ صورة العَلَم الفرنساوي تحفهُ نجوم ذهبيّة مرسومة في شبه سماء صافية بهيّة وبعد أن تفرجنا على هذه القبة وما فيها من غرائب العجائب وعجائب الغرائب انتقلنا الى

(ممشى السراي الكبير) وهذه الممشى تُبتدأُ من القبة المركزيّة متجهة من الشمال الى الجنوب حتى تصل الى رواق الماكينات على امتداد ١١٠ أمتار وعرض ثلاثين مترًا وتقسم سراي الصناعات المتنوعة الى قسمين وتتفرع منها ماشٍ جانبيّة على طولها نحو اليمين واليسار سبعةٌ من كل جانب وحيث ان كل ممشى من هذه المماشي خصص بعرض مصنوعات مخصوصة فقد عُهد الى كلٍّ من ارباب هذه المصنوعات بعمل المدخل الموصّل من الممشى الكبير الى الممشى الجانبيّة المتفرعة عنهُ فأجهد هؤلاء انفسهم في جعل هذه الابواب تدُل في حد ذاتها على نوع الاشياء المعروضة إمّا بتشكيل هذه الابواب وتركيبها من نوع الاشياء المذكورة او بطريق الرمز اليها فصار ذلك الممشى بهجةً تنبهر لها العقول وتحار فيها الألباب لما حوتهُ من هذه الابواب وما جاورها من احسن المصنوعات وما فوقها من السقف المرتفع المركب

من الزجاج محكم الصنع كامل الانقان حتى يخيل للناظر انهُ ليس في عالم الحقيقة بل هو في عالم الوهم والخيال وها نحن قد مررنا بما عليها من الابواب ونذكرها لك حسب ذلك

باب الصاغة هو اول باب على اليمين وقد جعل لهُ ثلاث فتحات وسطاها اقل عرضاً من الاخريين ووُشّيَ بالنقوش الذهبية على هيئة اكاليل الازهار واوراق النباتات والاشجار اما عقود هذه الفتحات فتحملها قوائم ذات لون لازوردي وعليها كثير من اشكال الصياغة الظريفة فضلاً عن شارات جمعيات الصاغة القدماء وشعائرهم التي كانوا يعرفون بها وفوق هذا كلهِ الواح من الذهب الخالص نُقش عليها أسماء أشهر الصاغة الفرنساويين

باب الجوهرية وهو اول باب على اليسار يفوق الباب السابق من حيث زيادة الزخرفة والرونق واستعمال النقوش العظيمة والرسومات الجميلة

والممشى التي وراء هذا الباب كالممشى التي قبلها مملوءة بالمتفرجين والكثير من المتفرجات اذ النساء يهوين هذه الاشياء النفيسة التي عُملت لزينتهنَّ وقد ابلغها اساتذة هذا الفن حدَّ الكمال ووصلوا بها الى ما لم يصل اليهِ غيرهم في قديم الزمان

وبممشى الجوهرية من الحلي والجواهر ما تبلغ قيمتهُ اربعين مليوناً من الفرنكات على ما قدرهُ بعضهم وليس ذلك بمستغرب بالنظر لكثرة الحاصلات

ومن أغرب ما بهذا السوق حجر من الالماس يعرف بالحجر الامبراطوري وزنهُ ١٨٠ قيراطاً مملوك لشركة من الشركات وضع على مرتفع مخصوص بهِ وسط هذا السوق مغطّى بغطاء من البلور تحرسهُ دائماً جماعة من الناس فاذا جاء الليل انزلوهُ مع ما هو عليهِ في حفرة مبنية تحتهُ بمجرد لمس آلة ويغطى بغطاء مجعول لهُ وتنام الحراس فوقهُ

وهو اكبر الاحجار المعروفة على ما قرأناه في ورقة مطبوعة اخذناها من جانبهِ بها رسمهُ وفيها انهُ يزيد عن أَلماسة التاج الفرنساوي الشهير ٤٤ قيراطاً لان زنتها ١٣٦ قيراطاً ويزيد ٧٤ قيراطاً عن أَلماسة التاج الملوكي الانجليزي لان زنتها ١٠٦ قراريط وفيها أَن السبب في تسميتهِ بالاسم السابق هو سمو البرنس دُهْ غال ولي عهد الحكومة الانجليزية حيث قال حين رآه اول مرة "ان هذا الحجر إِمپراطوري" فتسمي بهذا الاسم من وقت ذاك وفيها ايضاً انهُ صار نحتهُ بمدينة أَمْسترْدَام بحضور لجنة مركبة من ثلاثة من مشاهير العمال ابتدأَت في العمل بحضور ملكة هولاندَه حين البدء واستمرت فيهِ ثمانية عشر شهراً حتى اتمتهُ ووزنهُ قبل النحاتة كان ٤٥٧ قيراطاً ولتعديل هيئتهِ اضطروا ان يقطعوا منهُ قطعة زنتها ٤٥ قيراطاً تحصل منها بعد نحتها حجر زنتهُ عشرون قيراطاً

اما ثمن هذا الحجر فعلى ما قيل لنا ممن كانوا يتفرجون عليهِ انهُ ستة ملايين من الفرنكات وقال آخرون انهُ اثنا عشر مليوناً

باب الخزَف والفخَّار وهو الثاني من جهة اليمين معمولٌ على هيئة لطيفة من الخزف مركب عليهِ اشكال ظريفة من القيشاني ونقوش بديعة من الفسيفساء

باب الملابس وهو الثاني من جهة اليسار رُمزَ فيهِ بالرسم على ما يحتويهِ من المصنوعات وصوِّرَت عليهِ امرأَتان لابستان من أَحسن الملابس كأَن الالوان فيها تتماوج من شدة الحسن والبهاء

باب اثاث المنزل (الموبليات) وهو الثالث من جهة اليمين صار بناؤُهُ وتلوينهُ على شكل الخشب المنقوش وجُعِل فيهِ صورٌ ناتئة تمثِّل بعض الصناع مثل صانع الابنوس وغيرهِ من الخشب والنقَّاش والرسَّام وفوق ذلك وتحتهُ اسماء من

اشتهروا بصنع الخشب ونقشهِ والتصوير فيهِ وجعلهِ اثاثاً للمنازل وفي وسطهِ من أعلى الى جانب منهُ ستارة للدلالة على الفُرُشِ التي هي من أثاث المساكن

باب الحرائر وهو الثالث من جهة اليسار وقد تعهدت بعملهِ معامل مدينة ليُونْ الشهيرة في صنع الحرائر فجاءَ في غاية اللطف موشّى ومحلّى باصناف الحرير

باب المنسوجات وهو الرابع من جهة اليسار وقد استعين فيهِ بالرسم والرمز اكثر من الاستعانة بذات المصنوعات فرُسم عليهِ كثير من النقوش الخاصة بصناعة النسيج اهمها والطفها رسم امرأة تصنع بالغة حد الجمال

باب الساعات وهو الرابع من جهة اليمين صُفّت بهِ جميع مقاييس الاوقات من الادوات الرمليّة والساعات الدقاقة والادوات التي تلزمها على اختلاف الاشكال واعتني بوضعها على كيفيّة صار بها هذا الباب من احاسن التحف ولطائف الآثار

باب البُسُط وهو الخامس من جهة اليمين استعيض فيهِ عن نفس المصنوعات بالرمز والرسم ايضاً واهم ما فيهِ رسمان من صنع اشهر الاساتذة يمثّلُ احدهما امرأَةً تقصُّ صوف خروف تمسكهُ لها ابنتها والثاني يمثّل بحرًا صافيًا ماؤُهُ صحوًا سماؤُهُ تجلس بالقرب منهُ امرأَة تشتغل بنسج بساط لطيف الاشكال وحواليها اولادها يساعدونها باعطائها الصوف والالوان ويشدُّون معها الحبال

باب الاسلحة وهو الخامس من جهة اليسار صُوِّرَ باعلاهُ شخص مجسم لابس ملابس حديديّة شاكي السلاح وعلى بعد منهُ فارس بهيئة فرسان القرون الوسطى على صدرهِ صفائح الحديد ثم يحيط بالباب من سائر جهاتهِ رسومات من الحديد تمثّلُ آلات الحرب التي كانت تُستعمل في الازمان القديمة وغيرها

باب صيد البر والبحر وهو السادس من جهة اليسار صار تزيينهُ بأحسن

كيفيَّة وذلك أنهُ صنع من أشجار ضمَّ بعضها الى بعض على أبدع شكل وفي ذروتها اصناف من الوحوش كالعُقاب والنَّسر والغزال وبالجهة اليمنى جلود حيوانات كثيرة وأسَد من اكبر الاساد وبالجهة اليسرى مثلها والدب الابيض الشهير بالغرابة وبين قائمتي الباب شِبَاك من شِبَاك الصيد وفوق ذلك كلهِ مُقْدِم سفينة بها تمساح عظيم

باب مصنوعات البرونز وهو السادس من جهة اليمين عُمِل من الجبس على هيئة البرونز بدون فرق غاية في اللطف والظرافة

البابان الباقيان خصصا بالحديد ومصنوعاتهِ صُنِع أحدهما من قضبان الحديد العاديَّة على حالها استعملها المهندس الذي تكفل بهذا العمل فشكَّل منها سائر أشكال ما يلزم للباب من أعلى ومن الجانبين حتى صار من أحسن الابواب جمالاً وهيبة وجلالاً مع كون القضبان فيهِ على حالتها الاصليَّة وصُنع ثانيهما من مصنوعات الحديد فاستُعمِلَت فيهِ المدافع بدل القوائم وجُعِلت عقود الباب من القنابل وصُفَّت فوقها عجلات المدافع وكثير من الفؤوس والمناجل والمطارق وغيرها من الأدوات الحديديَّة حتى صار هذا الباب ايضاً في غاية العِظَم والرونق

ولا غَرْوَ في كون هذين البابين حيث تُعْرَضُ الحدائد ومصنوعاتها بهذا الحسن والاتقان فان الحديد جدير بذلك اذ هو أصل الخير واساسُ القوة والمعدن الذي لا يقوم مقامهُ غيرهُ من سائر المعادن في الأبنية والمحرّكات البخاريَّة وجميع الأعمال الصناعيَّة وآلات الزراعة والدفاع عن النفس والمال الى غير ذلك مما لا يحصى من المنافع وكفاهُ شرفاً التنويه بالامتنان بهِ في القرآن الشريف حيث قال الله تعالى (وأنزَلْنَا الحديدَ فيهِ بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس)

هذا وقد وُضع في هذا الممشى الكبير آثارٌ نفيسة منها صور مجسمة صُنِعت من البرونز تمثّل بعض مشاهير رجال فرنسا كصورة لافُونْتِين الشاعر المشهور المراد نقلها بعد المعرض الى جهة پاسّي ومنها صندوق معَدٌّ لجعل ذخائر بعض القديسين فيهِ و يُوضع بعد ذلك ببعض الكنائس وقد صِيغ على جسامتهِ من الذهب الخالص أحسن صياغة وزُيِّنَ بالبلور والحرائر الغالية الى غير ذلك من تحف الآثار

واذ فرغنا من التفرج بالممشى الكبير وما بهِ أخذنا نتفرج بالماشي الجانبيّة المتفرعة عنهُ فدخلنا ممشى أثاثات المنازل — الموبليات — وقد بلغت فيها الصناعة الفرنساويّة حد الابداع من حيث الظَّرفُ والخفة والدقة وحسن السبك وانتقاء الالوان والأشكال فرأينا الفُرُشَ الفاخرة مصفوفة على هيئة ماتُصفُّ بهِ في المنازل ورأينا غرف النوم بها جميع معُداتهِ من سرر ودواليب ومرَايا ولوازم غسل الوجه واليدين وكراسي ورأينا غرف الجلوس على اكمل ما يُهيّأُ لذلك في قصور الامراء من جميع اللوازم مصنوعاً كل ذلك بالحرائر والطنافس ولطائف الابنوس والعاج موضوعة على أحسن الأوضاع بحيث لو بقي المتفرج يومهُ لاستقصاء التفرج لوَسِعَهُ محل واحد

ثم انتقانا الى ممشى البُسُط والستائر وأدوات زينة الأماكن فاذا صنّاعها قد أتقنوها كل الاتقان و بلغوا في تزيين المحلات وزخرفتها بالأطالس والطنافس ما يُخَيِّلُ للرائي أنها قطعةٌ من الجنان وأجادوا في تأليف الألوان وجعل بعضها يناسب بعضاً و يناسب ما في المحل من السقوف والجدران والبسط المفروشة كل المناسبة

وبعد ذلك انتقلنا الى ممشى الادوات الخزفيّة والفخاريّة والزجاج والبلور والقيشاني فوجدنا فيهِ ما يوجب السرور ويشرح الصدور من تعدد الأصناف

وحسن أوضاعها وأشكالها وألوانها فمن أوانٍ صينيةٍ بيضاء وأوانٍ منقوشة بأحسن الألوان وأوانٍ من الخزف والفخار والقيشاني والفسيفساء البديع ومن صغيرة وكبيرة وغالية ورخيصة لاسيما المخترَع الجديد الذي اهتدى اليهِ حديثاً احد العارفين بعد شدة البحث وزيادة الكد من تركيب أوانٍ من الصيني بين الصلابة والرخاوة المعتادَين يعادل ما يصنع منهُ في بلاد الصين ويضاهي احسن الاواني المعمولة هنالك في الكيفيَّة وتحمُّل الالوان ولا شك ان هذا المخترع وقد سمي بالصيني الجديد احدث تأثيرًا عظيماً عند اهل هذا الفن حيث جعل فرنسا تشارك الصينيين واليابانيين في ذلك التركيب ثم تفوقهم في حسن النقش والتصوير واستكمال الزخرفة والطُلاوة على ان ما رأيناهُ في هذا المحل من الصيني الصُلب القديم قد ابدع فيهِ المشتغلون بهِ كل الإبداع وعرضوا منهُ المعجب والمطرب

ومما يتعجب منهُ في هذا المحل مجموعة صينيَّة ذات ألوان ملتهبة تشكَّلت فيها على اشكال مختلفة ترى كأَنها يشتعل فيها اللهب قوياً وضعيفاً كثيرًا وقليلاً ذا دُخان وصافياً الى غير ذلك من الحالات فبهرت الناظرين وحيَّرت المتفرجين وفاقت أحاسن الأَواني الصينيَّة الحقيقيَّة وارتفعت على أعالي المصنوعات اليابانيَّة

وممَّا يستلفت الأَنظار بهذا المحل أعمال الفسيفساء وقد كانت قبل الآن فرنسا تابعةً فيها لايطاليا فصارت تجاريها في أحسن مصنوعاتها وأجهد المشتغلون بها أنفسهم في استكشاف اسرار المؤلفات القديمة فاستنتجوا منها فوائد غاية في الأَهمية وحصلوا منها على ما لا نظير لهُ في الارتقاء

اما الاواني المصنوعة من البلور والزجاج والمرايا العظيمة المقدار فحدث ولا حرج عن ألوانها وأشكالها غاليها ورخيصها في جميع ما يُحتاج اليهِ كذلك النجف

وأدوات الاضاءة على العموم قد بلغت نهاية الكمال

وما أحضروهُ في هذا المكان مِرآتان عظيمتان الواحدة منهما يبلغ طولها نحو تسعة أمتار وعرضها نحو خمسة نقلتا اليهِ مع هذا الكِبَر من غير ان يصيبهما خطر بعربات السكة الحديد

ثم تفرَّجنا على الأَوراق المنقوشة المكسوة بها الجدران والسُّقُفُ فلم نُفرِّق بينها وبين الطنافس الحقيقيَّة والحرائر الأَصليَّة وأَشكال القطيفة وانواع الأَنسجة الصينيَّة والهنديَّة ولم يوقفنا على حقيقتها الاَّ اللمس وتكرارهُ اما النظر فلم يقدر على إظهار فرق بين هذه الاوراق المرسومة وبين الحرائر الاصليَّة الَّتي جُعلت تقليدًا لها

وقد أَخبر العارفون أَن هذه الصناعة كانت تعطلت بفرنسا لغُلُو مصنوعاتها بها نظرًا لاتقانها وجَوْدة موادّها حتى كانت تُجلب من الخارج لها وتُباع بأَثمان أَقل من أَثمان مصنوعاتها لعدم اتقانها وجودة موادها وان كانت تشابه مصنوعات فرنسا في الزخرفة الظاهرية ولكن ما لبث أَن حصحص الحق واتضح لدى الجميع أَرجحيَّة هذه المصنوعات على الخارجيَّة مع زيادة ثمنها عنها فعاد لها الطلب من البلاد الاجنبيَّة وصار بذلك رواجها وقل دخول غيرها من الخارج واخذت هذه الصناعة تستمر في النمو وتعويض ما فاتها في زمن التعطيل حتى وصلت الى حالتها الاولى بل زادت عليها

ثم تفرجنا على الساعات فرأَينا منها الغرائب والعجائب في الزخرفة والزينة فضلاً عما عُمل منها على اشكال الحيوانات فيعمل كل منها عملاً مخصوصاً اذا جاء الوقت وبعضها يحرك الآت تنتشر بواسطتها اصوات الموسيقي فتطرب السامعين غاية الطرب الى غير ذلك من الساعات المعمولة للتسلية والمنافع المعتادة كالكُرُونُومتر

باصنافهِ والساعات المنبهة وساعات الحمل المصنوعة على هيئة اللآلىء والجواهر احسن صناعة مع اللطف وخفة الحجم وسوى ما ذكر من الآلات المشابهة لتركيب الساعات المجعولة لقياس المسافات وغيرها من المقاسات

ثم تفرجنا بعد ذلك في ممشيي الجوهرية والصاغة فرأينا ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت من المصوغات المحلاة بالياقوت والزبرجد والعقيق والزمرد ومن مصنوعات الأَلماس واللؤلوء وغيرها من الجواهر الثمينة على اختلاف الاصناف والاشكال مما تبلغ قيمتهُ الملايين الكثيرة ويدل دلالة ظاهرة على زيادة التقدم في فن الصياغة والجوهرية

وقد سبق في هذا الفصل ذكر حجر الأَلماس البالغة زنتهُ ١٨٠ قيراطاً وفي هذا المحل لؤلؤة واحدة زنتها خمسة وسبعون جراماً يالها من دُرَّةٍ لطيفة الشكل عظيمة القدر لا عيب فيها سوى ان قيمتها على ما يقال تزيد على ٧٥٠٠٠ فرنك وهناك كثير من الاحجار الكريمة في اشكال غريبة وهيئات عجيبة رُصّعت بأَطواق واقراط وتيجان وجعل بعضها على شكل حُلِيٍّ تاريخي قديم تعرَّفهُ الصانعون من محلات التحف والآثار فاثبت للجوهريين الباريسيين عظيم الفخار

اما مصوغات الذهب والفضة واصنافها واشكالها وهيئاتها وجمالها فشيء يأْخذ بالعقل لما اجهد الصاغةُ انفسهم فيهِ من التفنُّن فيها وجعلها على أَحسن الأَوضاع وقد صاغوا من هذين المعدنين النفيسين فضلاً عن الحُلِيّ كثيرًا من أَواني الاكل والشرب وغيرها من أَدوات الزينة

وزادوا في هذه الصناعة اتقاناً واحساناً من يوم ان اخترعوا — منذ المعرض السابق عام ١٨٧٨ — الميناء الشفّاف وقد تقدموا في عملهِ تقدماً عظيماً وصنعوا منهُ

كثيرًا من الأَواني للكنائس والناس حتى استظرفوا ذلك عما زُيِّنَ بالياقوت والأَلماس

وأَخذت صياغة الفضة في التقدم والنمو بعد أَن كانت عُطِّلت زمانًا لما أَوجدهُ فيها المشتغلون بها من حسن السبك وجمال الأَلوان بخلطها مع معادن غيرها تُكْسِب لونها بهاءً وتزيد في بهجتها ازدهاءً

كل ذلك في الفضة الَّتي تُصنع بعيارات عالية اما الَّتي تُصنع بعيارات أَدنى منها للاتجار في الخارج فقد اخذت هي أَيضًا في التقدم وتحسنت في الأَشكال والأَلوان وزادت لذلك الرغبة فيها عن سابق الأَوان

وتفرجنا بعد ذلك على محل عرض منسوجات القطن والكتَّان والقِنَّب وهي من الصنائع المنتشرة عند الفرنساويين فالقطن يشتغل فيهِ ٥٠٠٠٠٠ عامل والكتان والقنب يشتغل فيهما ٣٠٠٠٠٠ عامل حتى بلغ عدد آلات النسيج عندهم بين ميكانيكيَّة ويدويَّة ٣٥٠٠٠٠ نول واهم المدن الَّتي اشتهرت عندهم بهذه الصناعة رُوَانْ وِليلْ لأَن فيها فابريقات نسج القطن العظيمة اكثر من غيرهما ويصنع برُوَان عدا ذلك كثير من اصناف الشيت المعتادة وكثير من المناديل المنقوشة ثم مدينة رُوبيِه ويُصنع فيها كثير من الاقمشة المختلط فيها الصوف بالقطن فتعمل منها الملابس للرجال ثم مدينة أَميَانس ويُصنع فيها كثير من القطيفة المصنوعة من القطن للملابس والفرش ثم سان كَنْتَانْ ويُصنع فيها اصناف الشاش والجاز والفينيت — الفينو — والتل وكثير غيرها من الأَقمشة الرفيعة ثم تارَارْ وقد اشتهرت بالشاش الساذج والمدبَّج والجاز

هذا فضلاً عن كثير من المدن المتفرقة في انحاء فرنسا الَّتي امتازت بكثير من هذه الصنائع النسيجيَّة فالكتان اشتهرت بصنعهِ بلاد الشمال ونورْمَانديا والقنب

اشتهرت بهِ پيكارديا

فتفرجنا على كثير من هذه المنسوجات وقد استحضر صانعوها من اشكالها على اختلافها ومن سائر ألوانها على كثرة تعددها وتغايرها في الاتقان والدقة في النسيج والاعتناء في التدبيج فرأينا منها الآيات البيّنات الدالة على مزيد التقدم في هذا الفن وتمام الإحكام في أنواعهِ والوصول فيهِ الى الدرجة القصوى والغاية الّتي ليس بعدها غاية

ثم انتقلنا من هذه المنسوجات الى المنسوجات الصوفيّة واخذنا نتنقَّل في التفرج عليها وكيف يتنقَّل بها العمل من وقت جلب الصوف من البلاد المختلفة على حالتهِ الطبيعيّة الى صيرورتهِ أقمشة تلبس وتستعمل على تعدد الأعمال الّتي تحصل فيهِ في اثناء ذلك من تنقيتهِ وغسلهِ وتهيئتهِ ودهنهِ بالشحم ليسهل عملُ الآلات فيهِ ونفشهُ وغزلهُ ونسيجهُ ثم ما يُعمل فيهِ بعد ذلك من تنظيفهِ من الشحم وطيّهِ وكبسهِ ولاغرو ان شغلت هذه الصناعة نظرًا لأعمالها المتعددة وأشغالها المتكثّرة كثيرًا من الصناع بحيث يقل وجود صنائع تحتاج لعَمَلَةٍ مثلها فهي تشغل ٥٠٠٠٠٠ عامل يصنعون كميّة قدرها من الصوف الخام ٢٠٠ مليون كيلو قيمتها ٤٠٠ مليون فرنك وقد اشتهر بها كثير من المدن الفرنساويّة من قديم الزمان وهي تختلف في كميّة ما يصنع فيها من هذا الصنف فهذه مدينة رِيْمس مثلاً يصنع فيها سنويًا ٢٠ مليون متر من الصوف و يصنع بغيرها أقل من ذلك او اكثر

وقد جلب في هذا المعرض صانعو هذه المنسوجات أصنافًا منها لاتحصى ولا تدخل تحت حصر مختلفة الأشكال والألوان والأثمان تُدهش العقول وتأخذ بالأبصار لرونقها و بهائها ولطفها ولا بدع فهذه الصناعة معدودة من أوائل الصنائع الفرنساويّة

ثم قصدنا بعد هذا محلّ الحرائر والمنسوجات الحريريّة فتفرجنا عليهِ وهو منقسم الى قسمين عظيمين معروضات مدينة ليون ومعروضات مدينة سانت اتْيِين

وفي هذا المحل ما لايتصوره العقل من الحرائر ونفائس المنسوجات منها العجيبة الأَلوان الغريبة الأَشكال العديمة المثال في الطّلاوة والزينة والالطاف وقد شهد العارفون بامتياز الفرنساويين في صناعة الحرائر من حيث الأَلوان وبهاؤها وبهجتها وصفاؤها لم يزدها مرور الأَيام الاَّ حسناً ولم يؤَثر عليها كرور الأَعوام الاَّ زيادة في الاحكام فهذه مدينة لِيُون أُدخلت فيها صناعة الحرير قبل هذا العهد بخمسمائة سنة أَدخلها اليها رجل طليانى ولم يمضِ عليها ازيدُ من نصف قرن الاَّ وقد عارضت بمصنوعاتها النفيسة أَحسن المصنوعات الَّتي كانت تعمل في البلاد الشهيرة بعمل الحرائر في ذلك العهد مثل سيين وفينيسيا — البندقيّة — بل فاقتها بمنسوجاتها المدبَّجة وحرائرها المزركشة بالذهب والفضة وكان عدد الانوال فيها لا يزيد في سنة ١٧٧٩ عن ١٢ أَلف نول فصار بعد مائة سنة من ذلك التاريخ (سنة ١٨٨٩) ١٢٥ أَلف نول وزادت قيمة المنسوجات السنويّة عن ٤٠٠ مليون فرنك

وهذه مدينة سَانت اتِيين الَّتي تصنع الشرائط من الحرير وقد احتكرت هذه الصناعة دون سائر بلاد العالم منذ ستة قرون مضت تفوق بطُلاوة مصنوعاتها ومزيد اتقانها ولطافتها سائر معارضيها في البلاد الأَجنبيّة فتصنع أَصناف الشرائط ذات الأَلوان اللطيفة والنقوش الظريفة والأَشكال العظيمة الغالية القيمة وترسلها الى سائر بلاد الأَرض قاصيها ودانيها وهي تشغل ثمانية عشر أَلف نول تعمل في السنة الواحدة ما قيمتهُ تزيد عن مائة مليون فرنك

وحكى لي أحد معارفي من الفرنساويين وقد صادفتهُ في هذا المحل القصة الآتية برهانًا على أن صناعة الحرائر من موجبات ثروة الفرنساويين العظيمة بسبب ما يرسلونهُ منها الى أنحاء الدنيا ويباع بمبالغ جسيمة فقال "يوم أمضينا الصلح مع الألمانيين في سنة ٧٠ على ان ندفع لهم غرامة خمس مليارات كان الجنرال جرانت رئيس جمهوريَّة الولايات المتحدة يستقبل بعض زائريهِ فدار الكلام بينهم في هل تقدر فرنسا على القيام بدفع هذه الغرامة العظيمة ورأى الحاضرون أنها لا تقدر أبدًا على دفع هذه الغرامة التي لم يسبق لها مثال في سني الحروب الاَّ هذا الرئيس فانهُ بعد ان سكت طويلاً قال نعم فرنسا ستقدر على دفع هذه الغرامة ونحن الذين سندفعها عنها وهي ما عليها الاَّ ان تُرسِل الينا بعض سفن مشحونة شرائط حريريَّة وأشكالاً من زهورها الصناعيَّة اللطيفة"

ومهما تكن هذه الحكاية وان كنت رأيتها بالحرف بعد ذلك في أحد كتب الدلائل فان صنائع الحرير في فرنسا ذات شهرة بلغت مشارق الارض ومغاربها ولا بد ان تكون من مصادر الثروة الكبيرة للاهالي بدليل كثرة عدد العمال الذين يتعيشون منها وعدد أنوال النسيج فيها

وسرنا بعد هذا الى حيث عُرِضت الدَّنتيلات ومصنوعات الحباكة وحاصلات صناعة التطريز والتدبيج — برودري — وجميعها من الصنائع الدقيقة التي تستحق كل العناية

فأما الدَّنتيلة فتنقسم الى قسمين دَنتيلة اليد والدَّنتيلة الميكانيكيَّة

فدنتيلة اليد تصنع بالإِبرة في محلات كثيرة أهمها أربعة تنسب الى اسمائها فيقال دنتيلة پُوِي وقد اشتهرت بالدنتيلات المصنوعة من القطن او الصوف او

الحرير من جميع الأَصناف والأَلوان ودنتيلة مِيركُور وقد اشتهرت بعمل القطع الكبيرة كالشيلان وغيرها ودنتيلة بايّو ثم دنتيلة أَلَنْسُونْ وقد اشتهرتا بعمل دنتيلات الزينة والزخرفة اكثر من غيرها وبتعيش من صناعة الدنتيلة هذه بفرنسا مائتا أَلف عامل وهي قديمة بها موجودة فيها منذ القرن الخامس عشر

والدنتيلة الميكانيكيّة جُلبت الى فرنسا من انجلتره سنة ١٨١٧ وانتشرت بالخصوص في كَالِيهْ وما جاورها وتعدَّت بعد ذلك الى كثير من أَطراف فرنسا

وقد احتوى هذا المحل على بدائع ونفائس كثيرة من عمل هذه الصناعة الدقيقة يقف العقل عن ادراك فهم كيفية تَوَصُّل يد الصانع او المحرِّك الميكانيكي الى عملها بهذا الانتظام وهذه الدرجة الدقيقة

واما المصنوعات التطريزيّة والتدبيجيّة — برُودري — فهي ثلاثة اقسام اولها البرودري البيضاء المعمولة بالكُروشِيه وهذه تُصنع باليد او بالميكانيكة وتُستعمل في الأَقمشة المنسوجة والملابس وفرش المساكن وثانيها البرودري الملوَّنة او المعمولة من الذهب او الفضة وتصنع باليد او الميكانيكة ايضاً وتستعمل في الملابس التشريفيّة المزركشة بالذهب والفضة وملابس الضباط العسكريين وثالثها برودري الأَبسطة وتطريزها وتدبيجها

واهم هذه الصنائع التطريزيّة الثلاثة هي الاولى منها فانها لايشتغل بها اقل من مائتي أَلف امرأَة وقد ساعدت على زيادة انتشارها الآلات الّتي اخترعت لعمل التطريز والتدبيج فان الواحدة من هذه الآلات تعمل عمل خمسين امرأَة كما تعمل ماكينة الخياطة عمل مثل هذا العدد من العاملات باليد

اما البرودري الّتي تستعمل في فرش المساكن فيصنع أَحسنها في ليون و باريس

واما الحباكة فأنواعها واشكالها وكيفياتها لا تدخل تحت حصر وهي لا يُستغنى عنها في سائر مواد الزينة والزخرفة للمرأة والرجل وللمساكن و بهجتها

وقد أعجبتنا هذه الصنائع ودقتها كل الإعجاب وأسعدنا الحظ بالعثور على رجل من الواقفين على معروضاتها من طرف اصحابها سألتهُ سؤال استفهام عن شيء من ضمن هذه المعروضات فأخذ رعاية لهيئتنا الاجنبيةً يشرح لنا غرائب هذه الصنائع النفيسة ويُبين لنا دقائقها بغاية الترتيب وكمال الانتظام كأنهُ مدرس يشرح المسائل بغاية البيان والإيضاح ووقفنا بواسطتهِ على ما تيسر من أسرار هذا الفن الدقيق ومعرفة ما استطعنا من محسنات أعمالهِ المعروضة أمامنا

ثم انثنينا نحو ملابس الرجال والنساء فرأينا الأشكال والألوان على اختلافها خصوصاً ما يتعلق بالنساء ولا عجب في ذلك فان غالب ما يختص بالنساء وملابسهنَّ وأشكالها وهيئاتها وألوانها — الموده — يُبتدأ دائماً من باريس

ثم قصدنا المحلات التي خصصت بالبرونز والحديد المصبوب وهي من أحاسن المحلات التي تزار لاشتمالها على كثير من الآثار الفنيةً والمبتدعات العلميةً منقولة بواسطة الصب والإفراغ من أحاسن أعمال العارفين من المتقدمين والمتأخرين ولا خفاء في ان ذلك فيهِ اشهار ذكر هؤلاء العارفين وتمكين الآحاد من التمتع بأعمالهم بأقل الأثمان وأهونها فضلاً عما في استعمال البرونز وحديد الصب من السهولة في العمل حتى على العارفين أنفسهم بالنسبة لتيسر ما يريدون احداثهُ بواسطة ذلك

ثم انتقلنا الى محل صناعة استخراج المعادن واستغلال الغابات وبهِ الحاصلات الساذجة على الحالة التي استخرجت عليها من الأرض والحاصلات المهيأة والمعمولة بالفعل ويحتوي هذا المحل على أهم دواعي الثروة العموميةً وتنقسم

موجوداتهُ الى قسمين قسم الحاصلات المعدنية وقسم أهم الحاصلات النباتيَّة وهي الأخشاب

اما قسم الحاصلات المعدنيَّة فيشتمل على ما لا يحصيهِ الاَّ العارفون بأنواع المعادن ساذجة على حالتها الطبيعيَّة ومصنوعة على حسب الأشكال الَّتي أُريدت منها فالحديد وهو اكثرها نفعاً موجود على الحالة الَّتي يستخرج عليها باديءَ بدءٍ غير منتظم ثم على سائر الحالات الَّتي دخلت الصناعة فيها من الآلات الكبيرة والصغيرة في الحجم العظيمة في الدقة والإحكام ومثل الحديد غيرهُ من المعادن كالنحاس والرصاص والزنك ومن المعادن العالية كالذهب والفضة وما يلزم لصناعة هذه المعادن وتشكيلها بتلك الهيئات الصناعيَّة من الفحومات وأدوات الوقود

وقد سبق لنا بعض الكلام على مدخلَيْ قسم المحلات المخصصة بهذه المعروضات بمناسبة ذكر الأبواب الواقعة على الممشى الكبير فذكرنا ما امكن من توضيح هيئة هذين البابين وكيفيَّة تزيينهما بالحدائد ساذجةً او مصنوعة على أشكال مختلفة متعلقة بالحروب والدفاع عن النفس والوطن

على أن استيفاء الكلام على الحاصلات المعدنيَّة جميعها او الأهم منها يستلزم الاحاطة بذكر جميع المعروضات منها او الأهم وكلا الامرين متعسر اما الاحاطة فتعسرها ظاهر جليٌّ فانها تستلزم مجلدات ضخاماً واما تعسر ذكر الأهم فلأنهُ يستلزم علماً تاماً بالمصنوعات والمعادن ويستوجب مناقشات ومباحثات في طرق استخراجها واصطناعها الكثيرة المختلفة وهذا لا يكون الاَّ للمتضلعين في هذه الفنون السنية ومن سوء الحظ أني لست من هؤلاء

على انك ايها الصاحب القارئ ان كانت لك رغبة تامة في الاطلاع

وحب المعرفة في هذا الفن او في غيرهِ من اي فن كان فما عليك الّا ان تتوجه الى اول معرض عمومي يحصل فإني واثق بانك ستبلغ منهُ بغيتك من حيث الوقوف على حقائق جمة وكذلك أن زيارة معرضٍ ما لا تستوجب إمكان الاحاطة بما فيهِ ولا امكان التعبير عن جميع ما بهِ بالعبارات التي يشتهي الكاتب ان يفهّم بها صاحبهُ الذي يكاتبهُ

وها أنا اذكر لك بعض ما شاهدت بحسب الاتفاق فمما رأيتُ كثير من المدافع وما يلزمها من المقذوفات وما يلزم السفن الحربيّة من أدوات التدريع خصوصاً المدرعات التي دخل فيها الفولاذ المسمى كرُوم وقد استكشف حديثاً فجعلها غاية في الصلابة والمتانة والمقاومة ومما رأيتُ مقذوفان من مقذوفات المدافع البحريّة احدهما لم يستعمل والآخر استعمل ولا يفرق بينهما الّا بشديد التأمّل فانهُ يوجد بالثاني بعض تأثّر يكاد يكون غير محسوس وما ذلك الّا من تمام المتانة وشدة الصلابة وحسن الصنعة ومما رأيت غير ذلك كثير من أدوات الحرب على اختلاف اصنافها وأشكال شتّى من المدافع علي اختلاف حجمها ودفة معمولة من الفولاذ وهي قطعة واحدة طولها خمسة امتار وعرضها اربعة ولا يخفى ما في عمل مثل هذه من الصعوبة

ثم تفرجنا على خيوط حديديّة تصنع من الفولاذ عظيمة النفع غريبة الشكل ثم انتقلنا الى بعض اعمال حديديّة أخرى وما لبثنا ان صادفنا كثيرًا من المصنوعات المتعلقة بالحروب والتدمير ايضاً فرأينا الشبكات العظيمة التي تحمي بواخر التوربيل من اخطار المقذوفات ورأينا رفاسات هذه البواخر التوربيلية البديعة النظام ثم صفائح من الحديد تستعمل لأبراج السفن الحربيّة زنة الواحدة

منها ٢٧٢٥٠ كيلوجرام وشكل صفائح توضع على سطح السفن الحربيّة زنة الواحدة منها مائة طونولاطه وعشرة

وانتقلنا بعد هذا الى اصناف غير المتقدمة من المصنوعات الحديديّة فرأينا كثيرًا من الأشكال مما يستعمل في جميع ما يحتاج اليهِ

ثم انتقلنا الى صنف آخر وهو صنف السبائك الفضيّة والصفائح الذهبيّة ورأينا في اثناء هذا بعض أبواب حديديّة عظيمة عملت من الحديد والنحاس الأصفر

ثم رأينا في دواليب من الزجاج حاصلات النيكل وبجوارها هيكلان صُنِعا من الطباشير على مثال بعض القصور التاريخيّة بقُرْطُبَة يستدل منهما على ما يمكن ان يصنع من هذه المادة من الاشياء العديمة المثال

ثم ختمنا هذه الاصناف بأعلاها قدرًا وأغلاها سعرًا وهو الذهب فشاهدنا معرض المسيو دُه لَابُوجْلِيز وقد حوى كثيرًا من اصناف الذهب على حالتهِ الطبيعيّة وصخورًا من التبر على الصفة الفطريّة فاذا اعتبرتَ نُدْرَة ما اشتمل عليهِ هذا المعرِض من أشكال الذهب الطبيعيّة الموجبة لعلو القيمة زيادة عن قيمة الذهب العادية كانت مجموعة هذا المعرض لا نظير لها في الدنيا

واما قسم الغابات فيشتمل على قسمين قسم يتعلق بغابات الحكومة وهو الذي رأيناهُ بجهة تروكاديرُو وفي ثاني ايام زياراتنا للمعرض وقسم يتعلق بالآحاد وهو ما تفرجنا عليهِ في هذا اليوم ووجودُهُ كان بهمة المهندس الماهر دُه شَامْبِرلَآن

وقد صرف هذا الرجل الفاضل والعالم الكامل عمرهُ في احياء اقليم لا ندٍ من الأقاليم الفرنساويّة وتحويلهِ من حالتهِ الأصليّة وقد كان مُسْتَنْقَعَات مياه غير صالحة للزراعة الى غابات متسعة مملوءة بأشجار الصنوبر والبلوط وغيرهما

اغنت فرنسا عن احتياجاتها في الاخشاب الى النرويج وامريكا الشماليه بل جعلتها تسابقها في الاتجار بهذا الصنف والربح منهُ

وكان محل هذه الغابات الزاهرة والأَجمَات الباهرة قبل نَيِّف وثلاثين سنة قاعاً صفصفا وصحراء ميتة لاتنبت شيئاً فصار في هذه المدة الوجيزة على ما هو عليهِ الآن وعُرِض في هذا المعرض من الأَشجار الّتي غرست فيهِ في سنة ١٨٥٠ وفي السنين التالية لها فكانت أَعظم ما نَبت في فرنسا من الأَشجار حجماً وعظماً

فهذه الاشجار الموضوعة على وجهة المحل وقد غرست في سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٦ وصل ارتفاعها الى ١٩ متراً ومحيط دائرة ساقها الى متر وعشرين سنتمتر

ويؤخذ من هذه الغابات قوائم تستعمل في معادن الفحم الحجري يرسل منها لانجلتره فقط مائتا أَلف طونولاطه في السنة الواحدة وقوائم تُستعمل للسلوك التلغرافيّة يرسل منها مئات من الأُلوف الى سائر اقطار الدنيا كما يُصنع من اخشاب هذه الغابات عوارض لقضبان السكك الحديديّة وترابيع لتبليط مدينة باريس وغيرها من المدن تُطْلَبُ منها كمية عظيمة حتى ان مدينة بُوِينوس إِيريس وحدها طلبت في سنة المعرض هذه فقط اخشاباً للتبليط مقدارها سبعة وثلاثون الف متر مكعب

ثم انتقلنا من هذا المحل الى غيرهِ حامدين آثار الإِقدام شاكرين هم الرجال مردّدين الثناء على هذا المفضال واخذنا نتفرج على معرض حاصلات صيد البر والبحر فرأَينا فيهِ صناعة الفِراء المعدة للتدفئة فكم فروة جيدة الصنع رأَينا وكم اشكال اعجبتنا ووجدنا بالقرب من هذا كثيراً من اصناف الاسفنج الكبيرة الحجم وبجانبها كثيراً من الملابس معمولة على تقليد الكاستور بحيث لا تُميَّزُ عنهُ اصلاً مع انها متخذة من جلود الارانب ثم كثيراً من اصناف الصدف واشياء كثيرة وتحفاً عظيمة

صنعت منها بحيث صارت من ابهج ما بهذا المحل ورأينا كثيرًا من اللؤلؤ والمرجان وأصنافًا شتى من العقاقير وما لا يحصى من مجلوبات صيد البر

وانتقلنا من هذا الى محل الحاصلات الكيماويّة ويشتمل على كثيرٍ من المواد المهمة عند ارباب فن الكيمياء مثل المواد الملوّنة وزيت البترول وما يستخرج منهُ والعقاقير الصيدليّة والصابون والمواد الشحميّة والكاوتشوك واحبار المطابع

ويشتمل ايضاً على كثير من الجلود المصبوغة بالكهرباء وبغيرها وفيهِ جلود بعض الغنم مشقوقًا سمكها ثلاثًا دلالةً على إحكام صناعة الجلود ودقة آلاتها

وانتهت زيارة هذا اليوم بهذا القسم وقد مضى النهار بتمامهِ واخذ منا التعب كلَّ مأخذ واذا نحن بالقرب من شارع مصر فعُجْنا اليهِ وقصدنا محل صاحبنا السيد مصطفى الديب فاسترحنا بهِ وشربنا قهوة على الطراز الوطني وعلمنا من الجرائد المصريّة التي وجدناها عندهُ اخبار مصر واكلنا في المعرض وقصدنا تتميم محاسن هذا النهار بزيارة فاطمة الحسناء وهي امرأة يهوديّة من تونس اشتهرت بفرط الجمال وحسن الاعتدال سمّتْ نفسها فاطمة ودخلت في معرض التنافس الذي صار منذ سنين في احدى مدن اسپانيا تدخل فيهِ جميلات النساء وتحضرهنّ لجنة مخصوصة عند تنافسهنّ للحكم في أحسنهنّ جمالاً واحلاهنّ قدًّا واعتدالاً فمن كانت منهنّ كذلك أُعْطيت جائزة عظيمة فحكمت اللجنة بأن هذه أجمل النساء المتنافسات فأُعطيت الجائزة دون سواها وشهد لها كل من حضر واعترفت اللجنة والجرائد بأنها أنفس وأعلى من تقدمنَ للتنافس في الجمال وسميت من ذلك الحين بفاطمة الحسناء

وهي في الواقع غاية في الجمال آية في الاعتدال طويلة القامة متناسبة

الأعضاء بيضاء اللون قانية الوجنات تأخذ بسويداء الفؤاد وتفتن العباد والزهاد لابسة ملابس مشرقية "يلك وشنتيان" مزدهية بألوانها الوردية مزركشة بالذهب والفضة مغطى صدرها بالخفيف من التل الذي لا يحجب ما وراءه تمايل بمنديلين في يديها وتترنم مع آلات الموسيقى الوطنية وترقص متبخترة على نغماتها التونسية فسبحان من خلق وصوّر وابدع في جمال هذه الحسناء الغادة الهيفاء

ولم نفارقها الا بعد ان أتمت نوبتها في الرقص وجلست على منصتها العالية وانصرف المتفرجون فانصرفنا معهم نردد عبارات الثناء على هذه الحسناء ونشكر هذا اليوم الذي قضيناه في مشاهدة أحسن صنع الانسان وختمناه برؤية ابهى الحسان

اليوم الخامس عشر في باريس

سابع يوم في المعرض

خصصنا هذا اليوم كما المعنا اليه في اليوم الماضي بزيارة المعارض الاجنبية التي بسراي الصناعات المتنوعة وفي النية ان نتفرج ايضاً على ما جاور هذه السراي من بعض المعارض المشرقية الخصوصية ان ساعد الوقت

فابتدأنا يومنا هذا يوم الجمعة ١٦ اغسطس سنة ٨٩ (بمعرض بريطانيا العظمى) لانه أهم سائر المعارض الاجنبية فان مسطح الارض التي يشغلها يبلغ ٢٢٧٦٧٠ قدماً انجليزياً مربعاً وعدد الذين ارسلوا بضائعهم لعرضها فيه ١٦٠٠ ولم يبلغ معرض من المعارض الاجنبية هذا القدر لا في المسطح الذي يشغله ولا في عدد من اشترك في العرض على ان الحكومة الانجليزية لم تدخل في المعرض

بصورة رسمية بل اجتمع كبار من تجارها ودخلوا من تلقاء أنفسهم فيهِ تحت رياسة حاكم مدينة لندن وقت ذاك فما بالك لو اشتركت الحكومة بصفة رسمية غير أنها لم تعاكس المشتركين بل ساعدتهم مساعدات معنوية وسبب عدم اشتراكها رسمياً انها حكومة مِلكيّة لا جمهورية وهذا المعرض عُمل على رأس السنة المتممة للمائة من يوم وجود الجمهورية بفرنسا

وليس هذا القسم الذي ابتدأنا فيهِ اليوم شاملاً جميع ما عرضتهُ تجار الدولة الانجليزية في هذا المعرض فان لهم في سراي الفنون المستظرفة قسماً خاصاً بهم من نوع ما بها كما ان لهم قسماً خاصاً بالفنون العقلية بسراي الفنون العقلية وقسماً خاصاً بماكيناتهم بسراي الماكينات فضلاً عما لهم بقصور مستقلة كالقصر الهندي وقد سبق لنا الكلام عليهِ وغيرهِ من القصور المشيدة في غير هذا المكان

ولا غرابة في ان يكون لتجار هذه الدولة محلات عديدة وحاصلات متعددة فهي أمّ مستعمرات كثيرة بل أُم الاستعمار في حد نفسهِ والأُنموذج الذي يكون العمل بمقتضاهُ فيهِ

ونحن الآن نقتصر على ذكر قسم معروضات انجلتره الموجودة في سراي الصناعات المتنوعة وذكر القسم الملاصق لهُ فيها وقد خصص بمعروضات المستعمرات الانجليزية

وقد حسّن الانجليز ما خصص بهم وصرفوا على تحسينهِ مبالغ طائلة رغبة في ان يكون تحفة يفتخر بها وأثرًا يذكر بعد حين دالاً على تقدمهم في الصنائع والفنون واعتنائهم بأمر التنافس المتعلق بها فجعلوا مدخلهُ عبارة عن ثلاثة ابواب حسنة الصنع وعلى كل باب منها شارات الممالك الانجليزية الاصلية الثلاثة

— انجلتره وايكوسيا وايرلانده — تحيط بها الاعلام والرايات على أحسن كيفية وأتم وضع ونقشوا بأخشاب السقف اسماء مدن انجلتره الاصليّة والرموز الدالة عليها وانزلوا من جهة اعلاها أعلاماً كبيرة يدل كلٌّ منها على المدينة الّتي ارسلت حاصلاتها الى هذا المعرض فصار هذا القسم من بين اقسام المعرض يقصدهُ الناس كثيراً للتفرج عليهِ لما هو عليهِ من الزينات والزخارف ولما نُقش بجدرانهِ ومحلاتهِ من النقوش الذهبيّة والفضيّة

أما وصف الاشياء المعروضة وذكر محاسنها فأمر لاسبيل الى استقصائهِ فانهُ يستلزم من التفصيل ما يطول معهُ الشرح و يكفي ان يقال ان هذا المعرض حوى جميع الاصناف الّتي حوتها الاقسام الفرنساويّة المجاورة لهُ اما اذا كان لابد من اعطاء بعض تفصيلات فنذكر ما استلفت الأنظار اليهِ اكثر من غيرهِ بشرط ان هذا التخصيص لا يبخسُ شيئاً من حقوق المعروضات الّتي لا ندُخلها فيهِ فهذه مصنوعات البلور وأوانيهِ حوت من النفائس أعظمها وهذه الحاصلات الخزفيّة والصينيّة شملت من التحف أحسنها ومن جملتها إناء صيني لم يبلغ كبرهُ اناء غيرهُ في الدنيا بأسرها وهذه المنسوجات الصوفيّة جاءت من المحاسن بألطفها وهذه غيرها من المصنوعات كالملابس والشموع والأحذية والأسلحة والذخائر الحربيّة وأثاثات المنزل وفرشهِ والكراسي اللطيفة والتحف القيشانية وهذه الفضيات وأدوات السفرة ومنها مجموعة الملاعق العديمة المثال الّتي اعتنت بها طائفة الصاغة بلندره حتى صارت كل واحدة منها غاية في الجمال والاستحسان الى غير ذلك من عجائب المصنوعات الانجليزيّة الّتي بلغت حد النهاية في الاتقان وحد الكمال في تمام التحسين والامعان .

اما محل المستعمرات الانجليزيّة وهو بجوار المحل المتقدم كأنما هو قطعة منهُ فقد اشتمل على معروضات بلاد كَنَدَا الّتي تغالت كل التغالي في اختيار ما ارسلتهُ من المصنوعات

واشتمل ايضاً على معروضات مستعمرة ڤيكتوريا ومستعمرة زيلانده الجديدة وقد تغطت جدران هذا القسم بالرسومات المنبئة عن هيئة أرض تلك الجهات الحديثة وكيفيّة المعيشة بها وأَهمها غرس الكروم واستغلالها والبحث على معادن الذهب واستخراجها واغرب ما بهذا القسم باب تشيد من آجُرٍ ملوَّن بلون ذهبي لهُ عقد من جنسهِ فجاء مرتفعاً عظيماً وليس بهِ غير هذا الآجر الذهبي ظاهرًا وباطناً قُصِد بهِ تمثيل الذهب الذي استخرج من معادن اوستراليا الذهبية من يوم استغلالها حجماً ووزناً الى الآن بالتمام وقد احتوى هذا القسم سوى ما ذكر على كثير من معادن الذهب والفضة والنحاس على حالتها الاصليّة كما احتوى على كثير من الطيور الغريبة والدواب العجيبة والوحوش الغير المأْلوفة على هيئتها الحقيقيّة محشوة بالتبن (مصبرَّة) واشتمل على كثير من الازهار والنباتات المجفَّفة والاخشاب المختلفة والغراء الكثيرة الأَشكال والالوان

وللمستعمرة ڤيكتوريا غيرما تقدم بيت صغير من الخشب في قسم تروكاديرُو جُعِل لعرض حاصلات أَنبذتها يتوارد عليهِ الكثيرون لمعرفة ماهيتها وحالاتها من الجَوْدَة والطعم وغيرها

ومعروضات سيلان كثيرة عظيمة منها الخيزران وجلود الثعابين والعاج وغيرها من الاشياء الّتي ترغبها الأُوروبيون لغرابتها

وحكومة الكاب ارسلت اشياء كثيرة اخصها حجارتها الأَلماسيّة ذات الشهرة

العظيمة التي هي سبب غناها وسعادتها

ومالطه وجبل طارق وهُونج كُونج وكثير من الجزائر المنتشرة في البحار وجم غفير من البلاد الواقعة بجهات مختلفة من الكرة الارضيّة التابعة للمملكة الانجليزيّة ارسلت كثيرًا من المصنوعات وعرضت اشياء لا تحصى من احاسن المعروضات

ثم انتقلنا من هذا القسم الى قسم (معروضات الدانيمارك) وهو بمجاورتهِ وقد ساعدت الحكومة بمبلغ مائة ألف كورون على ايجادهِ وعدد عارضيهِ ١٥٠ ومساحتهُ لا تبلغ غير ٥٥٠ مترًا مربعًا في شان ده مارس وفي كيه دُورْسي وهي وان كانت قليلة الّا انهُ اعتنى فيهِ اعتناءً كبير فقد نقش جدرانهُ من الداخل اشهر رسامي الدانيمارك فرسم القصور الملوكيّة الموجودة بالمملكة جميعها على هيئتها الحالية ورسم على وجهتهِ طيورًا وازهارًا يقدرُها اصحاب الفن حق قدرها ويُحِلُّونها من التعظيم محلها

وقد اشتمل على اشياء منتقاة من المصنوعات الذهبيّة والفضيّة وعلى أدوات تعليميّة ومدرسيّة ومما يستلفت الأنظار فيهِ اكثر من غيرهِ مصنوعات بعض الآحاد التي عُرِضت بهِ فانها بلغت من الاتقان غايتهُ فهذه معروضات الأثاثات المنزلية من جملتها باب صنعهُ احد النجارين يعجز عنهُ كثير من الأساتذة وهذه معروضات المصنوعات الحديديّة فيها كثير من الاشياء النفيسة وهذه الأواني الخزفيّة بعضها معمولٌ باليد وهو مع ذلك يفوق عملهُ احسن الأعمال الشهيرة وهذه والبسط بعضها عمل على تقليد ما يعمل بجُبْلاَن بفرنسا فجاء مثله بالسواء وهذه امرأة عرضت مصنوعاتها في التطريز وقد صوّرت فيها بعض الأزهار فجاءت غايةً في الابداع

ولنذكر هنا للاحاطة القصر الذي بناهُ احد الدانيماركيين في قسم المعرض

المسمى كيه دورسي وان كنا سنذهب فيما بعد اليهِ لأنهُ عرض فيهِ حاصلات الجعة — البيره — على اختلاف اصنافها ومصنوعاتها

ثم بعد هذا انتقلنا الى قسم (معرض بلجيكا) وقد استحصلت الحكومة من المجالس النيابيَّة على مساعدة من اجلهِ قدرها ٦٠٠٠٠٠ فرنك وان لم تشترك فيهِ رسمياً نظرًا الى انها حكومة ملكيَّة

اما الأَهلون فقد اشتركوا فيهِ بكل ما امكنهم نظرًا الى الفوائد الَّتي لابد ان تحصل منهُ لصنائعهم فتحصلوا على مسطح قدرهُ ١٣٠٠٠ متر مربع منها في سراي الصناعات المتنوعة الَّتي نحن فيها الآن ٣٧٥٠ مترًا مربعاً ومنها ٤٠٠٠ متر في قاعة الماكينات والباقي في سراي الفنون المستظرفة وسراي الفنون العقليَّة وقسم كيه دورسي وغير ذلك

ووجهة المعرض البلجيكي في سراي الصناعات المتنوعة خمسون مترًا ذات بابين كلٌّ منهما لهُ خمس فتحات مشكلة من نفس الحاصلات المعروضة وقد وُضع في أعلى كلّ منهما خريطة مجسَّمة رُسِم في احداهما بلجيكا وفي الأُخرى افريقا بما فيها الكونجو التابع لبلجيكا

وقد حوى هذا المعرض جميع حاصلات بلجيكا الصناعيَّة ففيهِ الدانتيلات باصنافها المتعدّدة على رقَّة اشكالها ودقة صناعتها وفي وسط محل الدانتيلات مكان بديع الشكل مرتفع قليلاً من سائر اطرافهِ يشتغل فيهِ كثير من النساء بعمل هذا الصنف على مرأي من الزائرين وفي هذا المعرض المصنوعات البلّوريَّة والصينيَّة والبرونزيَّة والصنائع الفنيَّة كافةً وفيهِ العربات على اختلاف اصنافها واثاثات المنزل والفرش والحاصلات النسيجيَّة من قطن وصوف ولوازم الحربيَّة

في فسطاط نُصِبَ في وسط المحل وجُعل بالقرب منهُ معرض الأَسلحة والسكاكين والخناجر

وفي الممشى الواقع أَمام الوِجهة الأَصليَّة لهذا المعرض رُسمت مينا أَنفِرْس البلجيكيَّة الشهيرة مستوفاة بتمامها ليطَّلع العالم على استعدادات هذه الميناء التجاريَّة العظيمة وإِحكام نظامها

وفي مقابلة محل المعرض بعض أَبنية جعلت فيها معارض خصوصيَّة أَهمها معرض معادن مارِيمُون وبَاسكُوپْ صُنع من اشجار الصنوبر بهيئة لطيفة وعُرض في داخلهِ رسم مجسم عن هذه المعادن وكيفيَّة استخراجها ورسم آخر اكبر منهُ بقياس ١/١٠ رُسمت فيهِ احدى الآبار بجميع لوازمها من ماكينات اخراج الفحم وآلات التهويَّة لمن فيها وماكينات تنزيل العملة للبئر واخراجهم منها وبجوار هذه الرسومات نموذجات من الفحم مختلفة القدر والصنف

ثم انتقلنا بعد هذا الى (معرض هولانده) ولم ترغب حكومة هذه البلاد الاشتراك في هذا المعرض ولا مساعدة من يريد الاشتراك فيهِ ولكن لما كانت البلاد تجاريَّةً صناعيَّةً لم يُوقف اهاليها عدمُ المساعدة من حكومتهم عن عرض حاصلاتهم في هذا السوق العمومي بل أَلَّفَ الأَغنياء منهم جمعيَّةً لعرض حاصلاتهم ولمساعدة الفقراء على الاشتراك في عرض بضائعهم ايضاً فتمكنوا من عرض محصولاتهم حسب ما رغبوا اكثر من غيرهم الَّذين ساعدتهم حكوماتهم واتخذوا محلات خاصة بهم في سراي شان ده مارس وفي سرايات أَنفاليد والصناعات المتنوعة والفنون العقليَّة والمستظرفة فضلاً عن القرية المنديَّة الَّتي شيدُوها في أَنفاليد وسيأْتي الكلام عليها بعدُ حتى كان مسطح المحلات الَّتي شغلوها ٨٥٠٠ متر مربع

أما قسم الصناعات المتنوعة الذي نحن بهِ الآن فبمجاورة المعرض البلجيكي وجهتهُ عمارات على الطراز القديم المستعمل في تلك البلاد من قبل ذات باب كبير في الوسط بهِ عقود مغطاة بالأعلام والرايات الوطنيَّة وفوقها رسومات ترمز الى وقائع عظيمة تاريخيَّة رسمها أحد مشاهير الرسامين

وقد ارسل الهولانديون لهذا المعرض أَحسن صنائعهم من كل صنف فجاء بديع النظام نخص بالذكر مما عرضوهُ البسط الفاخرة المعمولة بعمل إيقنتر الملوكي تقليداً للبسط القديمة وهي جيدة للغاية عظيمة جدًّا في النقوش وإحكامها والرسوم وإتقانها يبلغ سمك الواحد منها تسعة سنتمتر ثم اقمشة معمل دِلْفت المشهورة في جميع أنحاء العالم ثم العربات المعدة للركوب بأَصنافها ثم في وسط المحل عموداً عظيماً مؤلفاً من قناني زجاج مختلفة الألوان فصار شكلها لهذا لطيفاً جدًّا ثم رسومات مختلفة عن كثير من الأعمال العموميَّة كالقناطر والترع والجسور والمواني ورأينا كثيرًا غير ذلك من الأعمال المهمة

وبجوار هذا المحل وملاصقتهِ معرض الملحقات الهولانديَّة وقد احتوى على غرائب الاشياء وبدائعها أصليَّة في البلاد ومستحدثة فيها أوجدها المعمِرُون من الهولانديين مما دلَّ على زيادة مهارتهم وعظيم نشاطهم منذ استحوذوا على هذه المستعمرات الهائلة والبلاد المتسعة الشاسعة فعمروها التعمير العظيم واصلحوها الاصلاح الجسيم وانتفعوا منها النفع العميم على قلة عددهم وصغر حجم بلادهم

ولهذه البلاد ايضاً منحة للألماس بقرب برج إيفل سبق لنا الكلام عليها

وانتقلنا بعد هذا الى (معرض اوستر يا هنكاريا) وقد امتنعت الحكومة عن الاشتراك في هذا المعرض امتناعاً كلياً ولم تكتفِ بذلك بل منعت اكتتاباً كان

حصل بواسطة المجامع التجارية للاشتراك فيهِ وحرَّمتهُ كل التحريم فاضطر الذين يريدون الاشتراك الى تأليف لجنة في باريس من رعايا حكومة النمسا والمجر المقيمين بها للقيام بهذا العمل المهم رغبة في عدم حرمان بلادهم وصنائعها من مزايا هذا التنافس السلمي فجمع الاكتتاب الذي عملوهُ ۱۷٥۰۰۰ فرنك استعملت في تنظيم قسم المعرض الذي نحن فيهِ وزخرفتهِ وتزيينهِ وهو يشغل في سراي الصناعات المتنوعة ارضاً مسطحها ۲٤۰۰ متر مربع فضلاً عما يشغل في سرايات الفنون العقلية والمستظرفة وغيرها

وبلغ عدد الذين اشتركوا في عرض بضائعهم فيهِ ۳۲٥ ووجهة هذا المعرض تمتد بإزاء المعرض البلجيكي صُنعت على هيئة درابزين لطيف الوضع حسن الصنع داخلها مزين بالأعلام والرايات والرموز والشارات الخاصة بالمدن الشهيرة الاوسترية المنكارية مع اسماء هذه المدن

وقد صُفَّت الاشياء المعروضة صفاً ورُصَّت رصاً بكيفية تسهّل الاطلاع عليها وتمكّن من مشاهدتها وقد اعجبنا منها الصناعة المتعلقة بالبلور من عمل بُوهِميا ثم صناعة الجلود ونفاستها وصناعة العقيق وطُلاوتها ثم دواليب المصوغات والحلي والجواهر المحتوية على اشياء غريبة من عجائب المصوغات فقد أُخبرنا بوجود سلسلة ذهبية في احدى هذه الدواليب توضع في قمع الخياطة — كشتبان — وطولها مع ذلك ستة امتار كاملات ثم صناعة المداسات المزخرفة المشتهرة في بلاد العالم ثم صناعة البسط ذات الشهرة قديماً

ثم في بناءين ملحقين بهذا القسم معروضات المعادن والاخشاب اللتين هما سبب سعادة هذه المملكة وعمارها ومن ضمن ما جُلب بقسم الاخشاب شجرة محيط

ساقها من الأسفل ستة امتار وزنتها ١٤٠٠٠ كيلو جرام وطولها ثمانية امتار وبالاختصار فان هذا المعرض كلهُ على ما هو عليهِ من القلة يجاري أحسن المعارض لما احتوى عليهِ من منتخبات الآثار فما بالك لو اجتمعت فيهِ جميع اصحاب الحاصلات والصنائع وسائر التجار

وانتقلنا من هذا الى (معرض ايطاليا) وقد امتنعت الحكومة الطليانيَّة كل الامتناع من الاشتراك فيهِ ايضاً فقام الاهالي بهذا العمل وعقدوا لذلك الجمعيات واكثروا من الاكتتابات فاكتتب السنيور سُونزُنيُو الكتبي وحدهُ في ميلانو بمبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك ومجمع تجار رومة اكتتب بعشرين ألف فرنك ومجمع تجار نابولي ١٠٠٠٠ فرنك حتى تجمع في اقرب زمن ٣٥٠٠٠٠ فرنك صرفت على تشييد المعرض الطلياني بشان ده مارس ودل هذا دلالة صريحة على حب الأيطاليين لاخوانهم الفرنساويين ورغبتهم مشاركتهم في هذه المسابقة التمدنيَّة

وقد اشترك منهم في هذا المعرض سبعمائةَ وشغلوا ارضاً قدرها خمسة آلاف متر مربع في سائر جهات المعرض

واهم ما عرضوهُ بسراي الصناعات المتنوعة وقد اعتنوا كل الاعتناء بحسن زخرفة محلهم فيها وتزيينهِ وجعلوا اللون الغالب في ألوانهِ على ما سواهُ اللون الأحمر فاعطى هذا المحلّ بهجةً ورونقاً اما الوِجهة فقد عُملت من الفسيفساء والرخام الأبيض على مقتضى رسم تبرع بهِ اكبر اساتذة رومة وصُرِف عليها وحدها ٤٥٠٠٠ فرنك فجاءت في غاية الانقان والإحكام

واهم ما في هذا المعرض من المصنوعات انقاناً واكثرها تقدماً وإحساناً هي المصنوعات الزجاجيَّة والبلوريَّة مجلوبة من وِينيسيَا — البندقيَّة — المشهورة بهذه

الصناعة من قديم الأزمان ثم الدانتيلات على اختلاف اجناسها والمصنوعات الخزفيّة والصينيّة مرسلة من مصانع مدينة فلورانسا الزاهرة ومصنوعات المرجان مرسلة من فابريقات نابولي

اما مصنوعات النسيج فلم يوجد منها في المعرض اصناف كافية وافية فإن اصحاب المعامل الكبيرة في هذه الاصناف اصرّوا على الامتناع فليس منها الاّ معروضات اصحاب المعامل الصغيرة فهي بهذا الاعتبار قليلة وان كانت في حد ذاتها محكمة الصناعة تدل على تقدم هذه البلاد في مصنوعات النسيج

هذا اهم مافي هذا المعرض اما باقي المصنوعات فهي باقسامها المخصصة بها في المعرض العمومي فالميكانيكا مثلاً بقاعة الماكينات والرسومات بسراي الفنون المستظرفة وهلمّ جرّاً في كل الاشياء حتى في التدبير الاجتماعي — إيكونومي سوسيال — فانها عرضت فيهِ ما دلّ على مزيد تقدمها في سبيل العمران وعرضت ايضاً بهذه المناسبة رسماً مجسماً عن مدينة نابولي وما تنوي اجراءهُ في سبيل تطييب هوائها واصلاحها على مقتضى القواعد الصحيّة الجديدة

ثم انتقلنا من هذا الى (معرض سويسره) وهذه لم يوجد تردد أول الأمر وآخرهُ في اشتراكها في هذا المعرض اذ كانت اول الدول اللاتي قبلن بهِ رسمياً واخذت من ذلك الحين تستعد للحضور فيهِ فعينت مجالسها النيابيّة مبالغ المساعدة وجعلتها ٤٥٠٠٠٠ فرنك ولم تكتفِ اقاليمها بذلك بل اخذت هي ايضاً تقرر مبالغ لترويج عرض مصنوعاتها الخاصة بها مثل زُوريك في الحرائر وجنَوَه ونُوفشاتل في الساعات وسَانْ جال في المدبجات وڤو في الأنبذة والمشروبات حتى كان الاعتناء بأمر المعرض عاماً ورغبة الاشتراك فيهِ سائدة عند جميع هذا الشّعب

فاشترك فيهِ ١١٠٠ وشغلوا أرضاً مسطحها ٦٥٠٠ متر مربع مع أنهم لم يشغلوا في معرض سنة ١٨٧٨ غير ٥٠٠٠ متر فقط وانتخبوا البضائع والمصنوعات التي ارسلوها فجاء معرضاً شائقاً يفتخر بهِ

وليس في الإمكان بيان ما احتوى عليهِ هذا المعرض بتفاصيلهِ في غير سراي الصناعات المتنوعة التي نحن فيها الآن فقد اشترك من السويسريين في قاعة الماكينات فقط ١٢٨ بل ولا في هذه السراي لكثرة وتنوع ما فيها وانما نقتصر على الالماع الى ما استلفت انظارنا بوجه خصوصي فهذه الخرائط الطوبوغرافية ليس في الامكان الوصول الى أزيد مما وصلت اليهِ اتقاناً وهذه المعروضات المدرسيّة لا يستغرب معها بلوغُ هذه البلاد في الصنائع درجةَ الدول الفخيمة على صغرها ما دام هذا شأنها في أمر التعليم وتحسينهِ والاعتناء بأمرهِ من زمن مديد وهذا معرض الساعات ويشغل وحدهُ ٢٥٠ متراً مربعاً واشترك فيهِ ١٦٠ لا يسعنا الآن مجرَّد ذكرهِ ونكتفي بذلك عن الاطناب في البيان وقد احتوى من مصنوعات جنوَه ونوفشاتل على اصناف لم يسبق لها مثيل قبل الآن دلت على ان هؤلاء وصلوا ذروة الارتقاء العليا في هذا الفن الجليل وهذه حرائر زُوريك يحتوي عليها دولاب عظيم اثبتت مزيد التقدم في عمل الحرائر خصوصاً ذات الأثمان المتهاودة منها وهذا معرض الدانتيلات والمدبّجات المصنوعة في أبأنزِبلْ وسانجال غاية في اللطف خصوصاً ما حواهُ من الستائر اللطيفة وهذه صناعة الالبان دلت على حرص هؤلاء القوم والتفاتهم الى صالحهم بما يصنعونهُ في اقليم ڤيڤي من الألبان المركَّزة او المجففّة في الدقيق فيبيعون منها مبالغ كثيرة في سائر البلاد حتى في امريكا بأثمان عالية مع كون أصل الألبان عندهم رخيصاً وان كان جيداً حسناً لطيب المراعي

وهذه الشكولاطه وهذا الجبن وغير ذلك مما يدل على تقدم هؤلاء الاقوام وهذه الملبوسات الوطنيَّة من أَقدم الازمان الى الآن ملبسة لأَشخاص مجسمين في هذا المعرض هي من اسباب الرغبة فيهِ وتزاحم الناس عليهِ افواجاً ابتغاء التفرج على هذه الهيئات الظريفة والمناظر اللطيفة

ثم تخطَّينا بعد هذا الى (معرض الولايات المتحدة بأمريكا الشماليَّة) وقد قبلت هذه الجمهوريَّة الاشتراك في المعرض بادئ بدء وقررت مجالسها النيابيَّة بكل السهولة وتمام الانشراح ١٢٥٠٠٠٠ فرنك للقيام بهذا العمل وتعهدت الحكومة فضلاً عن ذلك بنقل الحاصلات الَّتي يراد عرضها على حسابها وعينت مندوباً عاماً من قبلها للقيام بأَمر المعرض وعينت كل ولاية من الولايات المشكل من مجموعها هذه الجمهوريَّة — وعددها ٣٨ ولاية — عضواً مندوباً عنها فاجتمع هؤلاء تحت رياسة المندوب العام واخذوا يستقبلون طلبات الاشتراك في هذا المعرض وينتخبون منها حتى اقروا على ١٥٠٠ طلب وتحصلوا للطالبين من إدارة المعرض على أَرض مساحتها في جميعهِ ٨٠٠٠ متر مربع

اما هيئة المحل في سراي الصناعات المتنوعة فجميلة مع حالتهِ الساذجة وقد وضعوا فيهِ من الداخل أَعلام الولايات الَّتي كوَّنَتْ هذا الاتحاد الجمهوري وجعلوا في وسطهِ محلاً لطيف الشكل خصصوهُ بالمعادن الذهبيَّة والفضيَّة والأَلماسيَّة على هيئتها الطبيعيَة الَّتي تُستخرج عليها وجعلوا حوالي هذا اربع معارض صناعيَّة فنيَّةٍ رأَوْا فيها مزيد الأَهمية عن غيرها من كل المعارض اولها محل جُورْهَامْ وشركائهِ اكبر صاغة نيُويُورك من ضمن ما فيهِ اناءٌ فِضيٌّ جميل الصنع ارتفاعهُ متر وثمانية وعشرون سنتمتر وزنتهُ ستون كيلوجرام وثمنهُ مائة

وخمسة وعشرون الف فرنك وحول هذا الإِناء مصوغات كثيرة من عمل الميناء وغيرهِ وثانيها محل تيفاَّني الجوهري يوجد بهِ كثير من الأَلماسات والمجوهرات ومن بينها عقد قيمتهُ مايونا فرنك وثالثها محل مِيفيدَانْ وقد اختص اكثر من غيرهِ بعمل صفائح الفضة وما ينتُج منها ورابعها محل كُولاَمُوزْ الشهير بعمل البلور والأَواني الصينيَّة الغريبة الاشكال

وقد عَرَضَ إِيديزُون الشهير في هذا المحل بعض اشياء قليلة اعتمادًا على ما عرضهُ في قاعة الماكينات فلم نرَ لهُ هنا غير بعض آلات من المسماة جرافُوفُون وهي آلة تكتب ومن المسماة فونُوجرْاف وهي آلة تحفظ الصوت ثم تتكلم بهِ

وقسم الكهرباء هنا غاية في البهجة والاتقان ففيهِ معرض تليفونات بيل الشهير ومن ضمن ما بهِ قائمة من قوائم التليفون معدة لأَن تحمل ثمانين خيطًا من خيطانهِ وفيهِ معروضات كومپانيَّة الكهرباء بأَصنافها العديدة ونموذجات من مدينة نيويورك عن كيفيَّة تسيير السلوك التليفونيَّة فيها تحت الارض والآلة المسماة تِيلُوتُوجرَاف اختراع جراثر وهي آلة تكتب من مسافة بعيدة ثم مجموعة اعتنى بجمعها احد العلماء ضمت جميع ما كُتب من جهة الكهرباء من عهد ظهورها الى الآن

ومن ضمن المعارض الأَميركانيَّة الَّتي تستلفت الانظار — وان كانت كلها موجبة لذلك إِذ أَن اميركا هي ام العجائب — معرض الأَخشاب المتحجّرة وقد استخرجت من غابة كبيرة تحجّرت جميعها تحتوي على غرائب و بدائع من الاشكال

وقد جمع هذا المعرض اشياء كثيرةً غير الَّتي ذكرناها من الأَسلحة الناريَّة والدخان والشوكولاطه حتى صُوّرَ منها صورة الزُّهرة مجسمة وكثيرٍ من الآلات

النافعة منها آلة لكنس البسط بدون ان يتطاير منها غبار الى غير ذلك

ومن اهم ما يوجد في قسم التعليم من هذا المعرض رسوم محلات المدارس والمكاتب الموجودة في هذه الجمهورية مأخوذة بالفطوغرافيا فقد دلت بكثرتها ونظامها وضخامتها على الاعتناء بأمر التعليم في تلك الانحاء ولا بدع حينئذٍ أن فاقت هذه الأرض المستحدثة ارض اوروبا القديمة في الصنائع والفنون والآداب

واما قسم الزراعة فحدث عنهُ ولا حرج لانهُ جمع من اصناف المحصولات واجناس النباتات ما دل على حسن تربة هذه الارض ومن الأدوات البخارية وغيرها المستعملة في الزراعة بسائر اصنافها وفي كل أوقاتها ما جعل قليلين بالنسبة الى أرضهم ينتفعون بهذه الأرض المتسعة الأرجاء ويتمتعون بخيراتها تمام التمتع

ومن أجمل ما بهذا القسم الزراعي قصر سُمي بقصر الذرة لانهُ عُمل جميعهُ من الذرة ونباتها واشتمل داخلهُ على سائر الاشكال التي تعمل من الذرة المألوفة وغير المألوفة

ثم انتقلنا الى القسم المخصص (بمعرض اسبانيا) وهي لم تشترك رسمياً في المعرض مراعاة لحكومتها الملكية وان ساعدت فيهِ مجالسها النيابية بمبلغ ٥٠٠ ألف فرنك وعينت الحكومة لرياسة لجنتهِ احد اعضاء مجلس النواب واستصدرت نظارة مستعمراتها امرًا ملوكياً باعطاء جزيرة كوبا مائة الف فرنك واعطاء خمسة وسبعين الف فرنك الى جزائر فيلپين وخمسين الف فرنك الى جزيرة پوير تُوريكو لمصاريف اشتراكها في المعرض فصدر الامر بذلك ولم يمنعها عدم اشتراكها الرسمي من الاستحصال على محلات متسعة في سراي الصناعات المتنوعة وفي غيرها

لاسبانيا ولمستعمراتها فقد شادت محلاً للحاصلات الزراعية والغذائية عرضت فيهِ ما عندها من الأنبذة والمشروبات والفواكه يشغل ١٠٥٠ مترًا مربعًا فاذا أضفنا اليها مثلها من الطبقة العليا كان المجموع فوق الفي متر مربع وشادت محلات لمستعمراتها مسطحها ٣٠٠ متر مربع وشادت نحو اثني عشر محلاً وضعت فيها حاصلات من الدخان والأنبذة والمشروبات والفواكه للبيع منها لمن يريد ذوق طعمها رغبة في زيادة معرفة الناس بها فضلاً عن قاعتين خصصتا بهذه المملكة في سراي الفنون المستظرفة وقاعة في سراي الفنون العقلية مساحتها ١٥٧ مترًا كل ذلك غير قاعة كبيرة بسراي الصناعات المتنوّعة مساحتها ١٢٩١ مترًا مربعًا وهي الّتي نحن بها الآن.

وقد اشتملت هذة القاعة على كثير من الأقمشة والقطائف والدانتيلات والظرائف والروائح العطرية المستخرجة من الأزهار الكثيرة في تلك البلاد وعلى كثير من معادن الذهب والحديد والرصاص والفضة المنتشرة في ارضها وكثير من الأدوات والآلات المستعملة في سائر اللوازم وكثير من المُدَى والسكاكين واصناف الشيش من عمل طُلَيْطُلَة القديمة الشهيرة الّتي كانت تتسابق على اقتناء اسلحتها الفِرسان في قديم الأزمان وكثير من آلات الموسيقى المصنوعة بالصنائع الدقيقة من الصدف وسن الفيل ومنها الطُنبور الكثير الاستعمال في هذه البلاد وكثير من الآلات الهندسيّة ومتعلقات الاشغال العموميّة والأدوات الحربيّة

ولا ننسي قبل ان نختم المقال في هذا الباب ذكر ما حواهُ سراي الفنون العقلية من المباني الأثريّة الأندلسيّة اذ مَثَّلوا منها كثيرًا من القصور السلطانيّة الإسلاميّة الموجودة في تلك البلاد من يوم كانت تحكمها العرب فوضعوا هذه

الآثار في ذلك المكان دلالة على ما كان عليهِ العلم وما وصل اليهِ الادراك والفهم وحصلت عليهِ القدرة الانسانية في تلك الازمان الخالية ايام تلك الدول الماضية التي اضاعتها يد الترفه والسفه والتفرق وعدم اتحاد الكلمة

وانتقلنا بعد هذا الى (معرض البُرتُغال) المجاور لمعرض اسپانيا وقد شابهت معروضاتهُ معروضات اسپانيا لمجاورة البلدين واحتوى على اشياء كثيرة دلت على تقدم هذه الدولة الصغيرة حتى إن المندوب من قبلها — وهو من محرري الجرائد ومن النواب — لمَّا رأى عدم كفاية المحل الذي خُصص بها في سراي الصناعات المتنوعة استحصل على ارض بضفة نهر السين بني فيها بناءً عظيماً صرف عليهِ مائتي ألف فرنك مشتملاً على طبقة أرضية وطبقتين فوقها يعلوهما برج ارتفاعهُ ٣٥ متراً على طراز الأبنية القديمة البرتغالية التي كانت تُبنى في القرن الخامس عشر من الميلاد وقد احتوى هذا البناء على المواد الغذائية والزراعية وأدواتها وغير ذلك من الحاصلات التي لم يسعها المحل المخصص بهذا المعرض في سراي الصناعات الذي نحن بهِ الآن على ان حكومة البرتغال لم تدخل المعرض بصفة رسمية وان أقرت مجالسها النيابية على مبالغ كثيرة لمساعدة هذا المشروع الجزيل النفع للصناعات والحاصلات البُرتغالية

وتفرجنا بعد هذا على (معرض اليونان) وقد اشتركت هذه الدولة في المعرض اشتراكاً رسمياً بمجرد دعوتها اليهِ وقررت مجالسها النيابية مبلغاً قدرهُ مائتا ألف فرنك لهذا الغرض باتحاد جميع الآراء وما ساعدها كل المساعدة وجود معرض وطني عندها قبل هذا بوقت قريب انتخب منهُ أعضاء اللجنة المنظِّمة لهُ وهم من كبار الأغنياء ما رأوه جديراً بان يُعرض في باريس من المصنوعات والمحصولات

الوطنيَّة وتبرعوا زيادة على ما تقدم بمائة ألف فرنك فبلغت الاعانة كلها ثلثمائة ألف فرنك وانضم الى هذا ان تعهدت الحكومة بنقل جميع البضائع والمحصولات التي تُرسل الى المعرض في بواخرها مجانًا الى مرسيليا

وقد صار تشييد وجهة هذا القسم على هيئة العمارات القديمة اليونانيَّة على طول ٣٥ مترًا وارتفاع ١٢ مترًا فجاءَت غاية في العظم والرونق وقد صوَّرُوا بجانبي بابها من الخارج صورًا مثَّلوا بها بلادَ اليونان القديمة من جهة وبلادَ اليونان الحديثة من الجهة الأُخرى كما انهم كتبوا من الداخل اسماءَ المدن اليونانيَّة القديمة الأَربعة وهي أَثِينَا وكُورَنْثيا وسپارْتَا وتِيبَة من جهة واسماءَ الحديثة الأَربعة وهي پِيرِيه وسِيرَاكُوز وكُورْفُو وپَتْرَاسْ من الجهة الآخرى وزينوا جدران المحل من الداخل بالبسط الفاخرة المصنوعة في البلاد

وهذا القسم يشغل في سراي الصناعات المتنوعة نحو ٦٠٠ متر مربع وعدة من عرض بهِ المحصولات والبضائع والمصنوعات ألف وخمسون وكثير مما عُرِض غُرَرٌ نذكر منها ما استلفت نظرنا فيها اكثر من غيرهِ ألا وهي الحرائر على جمال أشكالها وألوانها وكثيرها من عمل اليد ثم البسط اللطيفة الأَلوان المصنوعة باليد ايضًا ثم الرخام بأنواعهِ فمنهُ الأَخضر الجميل وهو المصنوع من مثلهِ عُمُدُ جامع آيا صوفية بالاستانة ومنهُ أحمر ذو عروق زرقاءَ وسوداءَ لم يكن معلومًا الَّا حين هذا المعرض فقد اكتُشِف حديثًا في جهات من جزيرة شِيُو اليونانيَّة ثم المعادن من رصاص وفضة ثم الفواكه الجافَّة والأَنبذة التي تفتخر بها اليونان ثم فطوغرافيات أُخذت عن صور وتماثيل غاية في القدم صار العثور عليها حديثًا وهي آيات في حسن الصناعة ودلائل واضحات على غاية البراعة وقد استنتج بعضهم من انحباس

الثديين في هذه الصور ووقوفهما بارزين فيها ان الصُّدرة — كورسيه — الَّتي تستعملها النساء الآن في رفع الثديين ليست بالشيء المستحدث بل سبقتهنَّ اليها نسوة العصور الاولى ولا بدع فالنساء هنَّ النساء في كل زمان وأوان

ثم تفرجنا على (معرض رومانيا) وهي كغيرها من الدول اللاتي لم يُردنَ الاشتراك في هذا المعرض من اول الامر حتى اضطرها الى ذلك الأَهلون وذلك ان مأمور فرنسا السياسي في رومانيا لما توجه اول مرة لمقابلة رئيس وزرائها وطلب الاشتراك منهُ في المعرض اجابهُ بعدم امكان ذلك " لا لأَسباب سياسيَّة بل لأَسباب اقتصاديَّة " ولما ان توجه بعد مدة الى الوزير الذي خلفهُ وكانت الوزارة تغيرت اجابهُ بعدم امكان حكومتهِ الاشتراك في المعرض " لا لأَسباب اقتصاديَّة بل لأَسباب سياسيَّة " فتأكدت من ذلك عدم الرغبة واستمرَّ الحال على عدم الاشتراك فقام المسيو سِيُوزْكُو أَحد الرومانيين القاطنين في باريس واهتم بالامر وكتب منشوراً الى الأُمة الرومانيَّة طبعتهُ سائر جرائد رومانيا معضدة لهُ فالتفت الاهالي الى ذلك الامر وعضدوهُ ودخل فيهِ البرنس بيبسكُو وهو من الرومانيين المشهورين بمحبة فرنسا وتأَلفت في الحال لجنة كان منها الوزير الذي احتج بالاسباب السياسيَّة دون الاقتصاديَّة وقد كانت تغيرت وزارتهُ ايضاً فاضطرَّت الحكومة رغماً عن عدم اشتراكها الرسمي ان تطلب من المجالس النيابيَّة مساعدة لهذه اللجنة الوطنية الَّتي تأَلفت فقررت مائتي الف فرنك وانضم اليها ٨٠٠٠٠ من اكتتاب اجرتهُ اللجنة و ٢٢٠٠٠٠ فرنك من لوتريَّه — يانصيب — اجرتها اللجنة تحت اسم يانصيب المعرض الباريسي فكان المجموع خمسمائة الف فرنك واخذت اللجنة توالي العمل واستحضرت المعروضات

وزخرفت المحل الذي خصص بها وكانت طلبت اكثر منهُ مع ان مساحتهُ بلغت ١١٢٦ مترًا مربعًا وجعلت وجهتهُ على هيئة العمارات الوطنية وداخلهُ على مثال أحسن الآثار البلدية وقبتهُ في الوسط بنتها على مثال قبة الكنيسة الكاتدرائية فجاء غاية في البهجة والظرافة وامتلأَ بأحسن الصنائع من كل الأصناف على طريقة لم يكن يُظَنُّ ان هذه البلاد الحديثة في التمدُّن تصل اليها فهذه اعمال المدبّجات والتطريزات والبسط تضاهي احسن صنائع الممالك القديمة في المدنيَّة وهذه الملبوسات الوطنيَّة على اختلاف أشكالها وألوانها تنادي لحسنها بتفضيلها على الملبوسات الاوربيَّة ولكن هيهات ان تدوم على حالها الأَصلي وان عضدَّت ذلك ملكة رومانيا وقبلت رياسة الجمعيَّة الَّتي أُريد منها المحافظة على زي الملابس الاصليَّة اذ يدل على بعد بقائها على حالتها الوطنيَّة ما استحضروهُ في هذا المعرض من الملبوسات المهيأة على الطراز الاوربي والبرانيط المعمولة على الشكل الباريسي وكثرتها فكأَن جل المشرقيين اعتقدوا أَن دخولهم في التمدن لا يكون الَّا بتغيير ملابسهم الوطنيَّة وعدم المحافظة عليها مع ان اقل ما في هذه المحافظة حفظ الشعائر والمميزات الوطنيَّة وهي لا تمنع البتة من التمدن بما هو انفع من تغيير الزِي واستبدال الملابس

ثم مما يستلفت الانظار في هذا المعرض المصنوعات السلاحيَّة واتقانها والحاصلات الزراعيَّة وكثرتها والمستخرجات النباتيَّة وتعددها من أَرواح وروائح عطريَّة ومربَّيات وحلوآت بلديَّة واخشاب من الغابات الاهليَّة واملاح نظيفة عُملت منها مسلة غاية في اللطف وتمام الظرف

وقد شاد اصحاب هذا المعرض محل طعام بالقرب منهُ في مدخل شارع

مصر على طراز المساكن الوطنية جمع المأكولات والمشروبات البلدية يخدم فيهِ طاهيات وخادمات وطنيات قد جمعنَ الى حسن الصورة وجمال المنظر اللباسَ الوطني الظريف الشكل فتتزاحم الناس على هذا المحل من كل فج للأكل والشرب وسماع الموسيقات الوطنية حيث استحضرت من بكرش – بخارست – عاصمة البلاد لهذا الغرض

ثم انتقلنا الى (معرض النرويج) وقد أبى اهلها الاَّ الاشتراك في هذا المعرض واصروا على ذلك فانصاعت لرغبتهم حكومتهم وان لم يرضَ السويديون الاشتراك كما سيجيء وصرَّحت المجالس النيابية لذلك بمبلغ ١٢٥٠٠٠ فرنك

وقد جُعِلت وِجهة هذا المعرض من الخشب المتقن العمل صار صنعها في النرويج وأُحضرت متفرقة قطعها وصار تركيبها على ما هي عليهِ بحسب نمرها الَّتي وُضعت لها هنالك فجاءَت غاية في الظرف والمكانة

ويشغل هذا المعرض ١٣٠٠ متر مربع وعدة المشتركين فيهِ مائتان وخمسون واهم صنائع هذه البلاد واكثرها انتشارًا صناعة الاخشاب لكثرتها هنالك فأحضروا منها كل اصنافها وما يعمل منها على حالتهِ الأَصلية اولاً ثم على حالاتهِ الَّتي جرى بها الصنع مع تعددها وغرابتها وبلوغها حد الغاية وكمال النهاية

ومن أتقن المصنوعات الخشبية المساكنُ الَّتي من الخشب للسكنى فيها بداخل المدن على طراز بديع وبخارجها على طراز أحسن وأبدع فاستحضروا من اصناف هذه المساكن ما يبهر العقول وقد صُنعت في النرويج واستحضرت متفرقة القطع وركبت هنا بحسب النمر فجاءَت على مثال بديع وشكل مألوف ظريف منقوشة بأحسن النقوش وملوَّنة بأحلى الأَلوان وأَبهاها

ومما يستلفت الأنظار في هذا المعرض الدواليب التي أعدت لعرض المصنوعات وما حوتهُ من الحُليّ والمجوهرات وشكل هرمي عجيب الشكل قد صنع من الحلواء

ثم من أهم الصنائع النرويجيّة ايضاً صناعة مسامير الحديد لجَوْدَةِ الحديد وانتشارهِ في تلك البلاد وقد صنعوا في وسط المحل المخصوص بها صورة مجسمة من الحديد تمثّل حصاناً و بيطاراً يُنعلهُ وفي دائر هذه الصورة رسوم عملت من المسامير ليس الاّ على شكل شموس وأحرف كتابيّة وصور اشخاص واشياء مختلفة الاشكال

ثم من التجارات المهمة تجارة الفِراء التي تتخذ للتدفئة من جلود حيوانات البلاد كالأيّل والدّب

اما التجارة البحريّة ومتعلقاتها ورسم اشكال سفنها المختلفة فقد أجادوا فيها وأفادوا وذلك لأنّ ملاحي النرويج يُعَدُّون من اعاظم ملاحي العالم وسفن تجارتهم البحريّة كذلك ومن ضمن ما استحضروهُ في هذا المعرض نموذجاً لهذه السفن سفنٌ تُستعمل عندهم لصيد الحيتان الكبيرة التي يؤخذ منها زيت كبد الحوت المشهور واستغلال ذلك مهم في تجارتهم

وقد حوى هذا المعرض غير ذلك كثيرًا من الاصواف المختلفة الاشكال والصنع والالوان

وبمناسبة ذكر معرض النرويج نذكر بعض كلمات عن (معرض السويد) وان لم يكن محلهُ بسراي الصناعات المتنوعة بل جُعل في حديقة شان ده مارس بجوار البرج وذلك ان اهل السويد لم يرغبوا الاشتراك رسمياً في هذا المعرض كما قررت ذلك مجالسهم النيابيّة خلافاً لما رآهُ اخوانهم النرويجيون من الاشتراك

فيهِ فاتفق بعض التجار من السويديين على عرض بضائعهم وصنائعهم في المعرض مع هذا وعملوا محلاً من الخشب كالمعتاد في بلادهم مع الاعتناء والتحسين فيهِ وجعلوهُ ذا طبقتين واحضروهُ قطعاً منها وركّبوهُ في المعرض بجوار البرج فجاءَ محلاً لطيفاً عرضوا فيهِ ما سنذكرهُ

ولاشتراك النرويجيين في هذا المعرض وعدم اشتراك السويديين فيهِ حصلت يوم افتتاحهِ حيرة لسفير الدولتين في باريس فانهُ واحد عنهما وذلك انهُ كان يلزمهُ باعتبارهِ نائباً عن حكومة النرويج الحضور في الاحتفال وعدمهُ باعتبارهِ نائباً عن حكومة السويد فبعد امعان الفكر وتدقيق النظر لم يرَ للتخلص من هذه الحيرة الاّ ادعاءَ المرض وعدم الخروج في ذلك اليوم من دار سفارتهِ

ولنرجع الى ذكر ما في هذا المحل السويديّ فقد رأينا في الطبقة الأَرضيّة منهُ على اليمين الفراءَ والأَثواب المبطنة بها حسنةً في عملها وتنظيمها وهي من صنع مدينة استكهلم عاصمة البلاد وفي وسط هذا المحل راس أَيّلٍ هائل كبير وفي المحل المجاور لهذا الاول معروضات السكاكين والمُدَى التي اشتهرت بعملها تلك البلاد لجَوْدة الفولاذ فيها وفي غير هذا المحل معروضات المصنوعات وأَدوات الحليّ قديمة وحديثة عالية القيمة بالغة نهاية الاتقان اما المحل المجاور لهذا فقد جُعل على شكل محلات الصناع في تلك البلاد في وسطهِ طاولة حولها اربعة من الصاغة يصوغون على حسب طريقتهم فيها تحت أَعين الزائرين وهذا المحل في غاية اللطافة مع كونهِ على سذاجتهِ

اما الطبقة التي فوق الأَرضيَّة فقد اختص بها منشئو هذا المعرض اللطيف الذي يستدل منهُ على قوة السويديين في الصنائع على قلة ما عرضوهُ من

المصنوعات فان القليل من الشيء عنوان الكثير منهُ

وانتقلنا بعد هذا الى (معرض الصرب) وقد جُعلت وِجهتهُ على الطراز البلدي القديم في تلك البلاد من حيث التركيب والشكل والهيئة والألوان واعتنى بهِ كل الاعتناء فان الحكومة الصربيَّة من اول الحكومات الَّتي رغبت الاشتراك في المعرض فأقرت مجالسها النيابيَّة على مائة الف فرنك لهذا الغرض

ويمتد هذا المعرض على ارض مسطحها ٥٦٠ مترًا وجميع جدرانهِ من الداخل مغطاة بالبُسُط المشغولة في نفس البلاد من ألوان غاية في البهجة وكمال المناسبة وقد انتخبتها اللجنة الَّتي تكفَّلت بأمر المعرض كما انتخبت غيرها من المعروضات من احسن مصنوعات البلاد

واول شيء يستلفت الأنظار في هذا المعرض كثرة البرقوق الجافّ لشهرتهِ ولطفهِ ويُرسل منهُ شيءٌ كثير جدًّا لسائر البلاد حتى لأميركا وهو من اهم متاجر هذه الجهات

ومما يستلفت الانظار فيهِ ايضاً معروضات الجعَة — البيرة — الَّتي اشتهرت بطيبها ويُرسل الى الخارج منها شيءٌ كثير ثم نموذجات الجوخ وقد استحدث صنعهُ في هذه البلاد منذ عهد قريب على الطراز الانجليزي مع رخص الثمن ثم كثير من المعادن الساذجة والحبوب ثم معرض الأسلحة وقد دلت بكثرتها وتنوعها فيهِ على اعتناء هذا البلد بأمر اسلحتها كما دل نظام هذا القسم على حسن سير هذه الجهة الحديثة العهد في التمدن والعمران

ثم انتقلنا بعد هذا الى (معرض اليابان) وهي بلد شرقيَّة اسرعت السير في سبيل التقدم الأوروبي فحصلت من محسَّناتهِ وفوائدهِ على ما انتفعت منهُ كل النفع

وأتى عليها بكل فائدة وربح

وقد اعتنت كل الاعتناء في أمر هذا المعرض لتثبت الى الغرب تقدمها الغريب مفتخرة بصنائعها الوطنية وما اضافتهُ اليها من المحاسن الأوروبية وفي أولها انتشار طرق التعليم وتوسيع دائرة العرفان في سائر انحائها

وقد صرفت في سبيل ايجاد محل معرضها ٦٥٠٠٠٠ فرنك وجعلت وجهتهُ على طراز عماراتها الوطنية فاذا دخل الانسان وجد بادئ بدء عن يمينهِ بابين احدهما باب قصر من قصور الامراء وثانيهما باب معبد من المعابد الكبيرة وعلى اليسار مدخل سراي من السرايات الامبراطورية ووجد بعد ذلك كل ما في القاعة الكبيرة من الزينة والزخرفة والسُقُف والأخشاب على النمط البلدي صُنع في البلاد وركَّبهُ هنا عمال من الوطنيين جعلوهُ في حالة الطُّلاوة التي هو بها الآن حتى الأوراق اللطيفة المنقوشة التي غُطيّت بها الجدران

فاذا تأملنا المعروضات وجدنا ما يحار دونهُ البصر ويندهش منهُ الفكر من الدواليب وما صُف فيها من فاخرات الأشياء ومن صنع الأخشاب ونقشها العجيب ومن البُسط وألوانها وكيفية إِتقانها ومن الفواصل البديعة الشكل والرسم المجعولة لأن تفصل المحل الواحد الى عدة حجر وقاعات فضلاً عن اصناف الحاصلات من معدنية ونباتية وعن ادوات التعليم التامة الانقان البالغة حد النهاية الواصلة غاية ما في وُسع الانسان وعن أواني الصيني والفخار التي يعجز عن الاتيان بنظيرها اكبر البلاد في التمدن والحضارة وغير ذلك من التحف والمعروضات والمصنوعات وقد شغلت ١٥٠٠ متر مربع واشترك فيها ٥٩٦ من العارضين من تلك البلاد العجيبة السرعة في ارتقاء أوج الحضارة الأوروبية

ثم قصدنا بعد ذلك محل (المعروضات الروسيَّة) وهنا يُلاحظ أَن الحكومة الروسيَّة لم تشترك رسمياً في المعرض إسوة كثير من الحكومات ولم تقرر مساعدةً ما لمن قاموا بأَمرهِ وقد احسنوا القيام بهذا الامر الخطير مع ذلك وجمعوا نقودًا وافرة وشادوا محلاً عظيماً يشغل ارضاً مساحتها ٣٢٠٠ متر مربع واشترك في عرض مصنوعاتهِ و بضائعهِ فيهِ أكثر من ٥٠٠ شخص او شركة

وجعلوا وِجهة المحل على أبهى شكل وأَجمل وضع وشادوها على تقليد أَحسن العمارات الأَثريَّة القديمة الموجودة في مدينة موسكو فجعلوا جِدارها على هيئة جدار قصر كِرِمْلِنْ وشبابيكها على هيئة شبابيك قصر تهريم وابراجها على شكل ابراج كنيسة واسِيلي لاجيِني الكاتدرائيَّة و برج أَجراسها على شكل برج سُوكَارِيف وأَحد بابيها على مثال باب قصر كرملن و بابها الثاني على مثال باب قصر واسيلي وهيأُوا داخل المحل احسن تهيئة فكسوهُ بالالوان الحمراء والزرقاء تتخللها شارات المملكة

وليس في الامكان الاحاطة بما في هذا المحل جميعهِ نظرًا لكثرة من ارسلوا بضائعهم ولكثرة المصنوعات المعروضة وانما نذكر ما يستلفت منها النظر اكثر من غيرهِ فنخص بالذكر المصوغات والحليّ المتخذة من الذهب والفضة المعمول منها على الاسلوب الجديد وعلى الأُسلوب الروميّ القديم ثم الصنائع النسيجيَّة باصنافها من القطن والحرير ثم الفِراء ثم الجلود ثم الزيوت المعدنيَّة كزيوت النفط خصوصاً زيوت البترول وقد اتسعت دائرة استخراجها في بلاد روسيا الجنوبيَّة اتساعاً عظيماً ثم اصناف الدخان

اما من جهة الحاصلات الغذائيَّة فكثيرة ايضاً منها الحبوب بأَصنافها واصناف

الدقيق والنشاء والزيوت والجبن والزبدة والفواكه المجففة ثم المشروبات على اختلافها من النبيذ المستخرج من كروم القرم الشهيرة وغيرهِ من الانبذة والارواح المستخرجة من الحبوب

وبجوار برج ايفل محل تابع لهذا المعرض عُمل على هيئة مساكن فلاحي بلادهم وفيهِ اثنا عشر صانعاً يصنعون بعض الاشياء والصور المتعلقة بالدين وينقشونها أمام الزائرين

فاذا ضممنا الى ذلك المكان الذي بناهُ الموسيو جارنييه في سكة تاريخ السكنى وقد خُصِّص ببعض الصنائع المتعلقة بالغيطان والزراعة عندهم علمنا أهمية المعرض الروسي وان كان غير رسمي ولم تشترك فيهِ الحكومة

وسرنا من هذا المعرض الى (معرض سِيَام) وقد احتفل مليكها بعرض سائر مصنوعات بلادهِ وحاصلاتها في محل جميل يشغل ٢٥٠ متراً شادهُ على مصاريفهِ رغبة في الاشتراك بهذا المعرض وجعل وجهتهُ على طراز عمارات بانكوك عاصمة بلادهِ وطراز قصورها الملوكيّة ومعابدها الأثريّة وجعل بالقرب من هذا المحل محلاً آخر يشغل مائة متر مربع في اوائل سكة مصر بناهُ على طراز المساكن الوطنيّة ذات المظلات الواقية من حرارة الشمس

وقد عُرِض في المحل الأصلي جميع مصنوعات البلاد كما تقدم وهي تروق الناظرين مع ما هي عليهِ في وضعها من عدم الترتيب لما فيها من النفائس وبدائع الصنائع فهذه الملابس الملوكيّة بزركشتها وزخرفتها وهذه ملابس غير الملوك من الرجال والنساء وهذه الأرديّة المصنوعة من الحرير ذات الالوان البهجة مطرزة برسوم الأزهار محلاة بالذهب والفضة على أشكال لطيفة وهذه الأواني المصنوعة

من النحاس وبجوارها محفات تستعملها تلك البلاد ثم آلات الموسيقى الاهلية بسائر أصنافها على اختلاف أشكالها ثم عُدَد الخيول ولوازمها وآلات الفرسان ثم الزهور المحفوظة ثم المشروب المسمّى كاوماك وهو مشروب تلك البلاد يتخذ من الأرز الى غير ذلك من المصنوعات والأشياء الغريبة

ثم تركنا هذا المحل الى (معرض العجم) وقد شيّد على مصاريف حكومة العجم بالقرب من معرض مصر وسكتها ويشغل ٣٧٥ مترًا مربعًا جُعلت وجهته على شكل وجهة جامع من جوامع طهران وجُلِبت اليهِ جميع اصناف المصنوعات الوطنية والحاصلات البلدية من شيلان وسجاجيد على لطافة ألوانها وظرافة اشكالها وسيوف وآلات واسلحة وأواني صينية وغير ذلك كما عُرِضت فيهِ جميع حاصلات الأرض الزراعية من حبوب وعقاقير وصموغ حتى الأفيون وجُعل في جهة منهُ مجموعتان اعتنى بهما اثنان من الفرنساويين أقاما مدة ببلاد العجم فاشتملتا على جميع المصنوعات العجمية القديمة من أقمشة وصيني ونحاس وتيسرت بواسطتهما المقابلة بين مصنوعات العجم القديمة وحاصلات صناعتها الحديثة

ثم انتقلنا من هذا المحل الى (معرض مرّاكش) وقد عرض بضائعهم فيهِ نحو ستين شخصاً في نحو ألفي متر مربع وهو عبارة عن قصر ملوكي وفسطاط بجوارهِ وسوق بالبعد عنهُ بأوائل سكة مصر كلٌّ منها على طراز مَرّاكِشي

اما القصر الملوكي فقد عرضت فيهِ المصنوعات الوطنية بأصنافها من بسط لطيفة واسلحة محلاة بالذهب والفضة وغير ذلك من المصنوعات الظريفة

اما السوق المرّاكشي فجميع ما بهِ معرَّضٌ للبيع بخلاف ما في القصر وقد احتوى على اشياء كثيرة من مصنوعات البلاد مثل أقمشة الصوف والحرير

والسجاجيد ومنسوجات متعددة في الشكل والاستعمال وكثير من الجلود المصنوعة كالمخدات والمداسات المعروفة بالبُلغ وكثير من النحاس المنقوش كالصواني وغيرها من الأَواني والخناجر والسكاكين المذهبة والمفضضة وتجاه السوق محل أكل على الطراز المراكشي فيهِ من الموسيقي الأَهليّة ما يسمّونها بالنوبة

ثم انتقلنا الى شارع مصر وقدم الكلام عليهِ في اول ايام باريس فلاحاجة الى التكرار ولا أحب ان اتكلم على (معرض مصر) اذ هو وان شغل محلاً من الأَرض مساحتهُ ثلاثة آلاف متر مربع وصُرف عليهِ ستون أَلف فرنك واشترك فيهِ جماعة واحتوى على بعض الحاصلات الوطنيّة كالقطن والحبوب والعطريات وبعض المصنوعات من السن ومنسوجات الحرير كالشاهي والقطني والمصنوعات البلديّة الذهبيّة والفضيّة وكتب التعليم والتدريس لكنهُ ليس هو نفسهُ ولا ما بهِ شيئاً يستحق الذكر فخالج نفسي استصغارهُ واحتقار ما فيهِ بالنسبة الى ما رأَيتهُ من المعارض المتقدمة ولو أَدناها وقد صُرفت عليها المصاريف الطائلة حتى من أَهاليها فان حكوماتها لمّا لم تشترك في معارضها شمّرت الاهالي عن ساعد الجد والاجتهاد في تنظيم معارض لهم وتزيينها وزخرفتها وعرض حاصلات بلادهم حسب الطاقة لأَجل اكتساب الشرف والذكر الحسَن والربح فيما يعرضونهُ وكنت أَود ان يكون في بلادنا مثل هؤلاء الأَهلين اصحاب الهمم العالية فان بلادنا بها من الأَغنياء كثير ولاعذر لهم في ترك هذه الفرصة بل في تركها اللائمة من سواهم ممن لا يبلغ درجتهم في الغنى ولاشك أَنهم لو بذلوا الهمة في هذا الأَمر لكانت حكومتنا أَحبّ ما عليها ذلك ولكانت اكبر معين لهم في هذا الفخار الذي يخلّد الذكر ويعلي القدر ولمّا أَهملوا هذا وقام بهِ الأَجانب جاء على حالة ليتها لم تكن فكنت ترى

محل المعرض المصري على اتساعهِ خالياً من الانتظام والزينة والزخرفة كما هو خالٍ من جُل المعروضات المصريّة وأجلّ الحاصلات الزراعيّة والمصنوعات الأهليّة ولا يتردد عليهِ الناس كما يترددون على سواهُ من المعارض بل هو كالمحل المهجور الخالي مما يُتأنس بهِ لقلة أهلهِ فيهِ فتركتهُ مسرعاً وترجّيت ان لا يكون بهِ اشتراك مرة ثانية الاّ بحالة سارّة وعين قارّة بحيث تكون لهُ مناسبة بالمعارض الأُخر وتوجهت الى سكة مصر وازدحامها وبائعيها وجلَبتهم وحمّاريها وغاغتهم قاصداً بذلك صرف ما أهمّني من احتباس الفكر وسوء التأثرِ فقضيت بها زمناً حتى تروّحت نفسي وفاء اليَّ حِسّي ثم رجعنا الى الفندق

اليوم السادس عشر في باريس

ثامن يوم في المعرض

خصصنا هذا النهار (يوم السبت ١٧ أُغسطس سنة ٨٩) بزيارة سراي الماكينات واتفقنا مع صاحبنا جيجون بيك ناظر مدرسة الفنون والصنائع بمصر وقت ذاك على ان نجتمع فيها بمحل معلوم لنتفرج معهُ حتى تسهل علينا معرفة ما احتوت عليهِ هذه السراي من بدائع الصنائع وتحف البدائع فان لهُ خبرة بها علماً وعملاً

وكان هذا الصاحب ونحن معهُ بمصر اعطانا كتاباً لأحد أصحابهِ من كبار المهندسين بباريس ليصحبنا في هذه الزيارة فلمّا تصادف حضورهُ بباريس ونحن بها صار لا لزوم لمصاحبة المهندس الموما اليهِ وكفى وجود صاحبنا معنا في التفهيم فاجتمعنا وابتدأنا في زيارة هذه السراي من مدخلها

(مدخل السراي)— مدخلها من جهة سراي الصناعات المتنوعة دِهليز فسيح يفصلها عنها تعلوهُ قبة بلورية في وسطهِ مزينٌ كلٌ منهما بكثير من الصور والنقوش والتماثيل على هيئات لطيفة واشكال متنوعة تمثّل قوى فرنسا الّتي عليها مدار أعمالها من التجارة والفنون والعلوم والصنائع

وبكلٍ من جانبي هذا المدخل سلّم فاخر يصعد منهُ الى مُرتفع — بالكون — مُشْرف على سراي الماكينات باكملها و يتوصل منهُ الى متسع دائر على حسبها عُرض فيهِ كثير من المصنوعات الميكانيكيّة ومتعلقاتها وقد صُرف في درابزين هذا السلم وحدهُ وهو من الحديد مائة ألف فرنك وجُعلت جوانب جدرانهِ من البلور المنقوش باحسن الصور والنقوش وجُعِل في وسط الدهليز فسقيّة ماء متقنة الصنع تبلغ زنتها من الحديد والرصاص اربعين الف كيلو جرام وقد جُعل هذا الدهليز على حالةٍ آخذةٍ من سراي الصناعات المتنوعة زخرفها وزينتها ومن سراي الماكينات حدائدها وصنائعها حتى لا يحصل الانتقال من الأُولى الى الثانية فجأَة من اول وهلة بغير مناسبةٍ

(تشييد هذه السراي) هي من أهم سرايات المعرض في بنائها وفي اشتمالها على عجائب صنع الانسان للآلات الميكانيكيّة ولما دخلناها وصرنا تحت قواصرها المائلة وأقواسها العالية ذَهِلْنا ودُهِشْنا فان أبعادها لم يجترئ على عملها انسان قبل هذا الأَوان وهي في بابها غريبة كغرابة برج إيفل في بابهِ وذلك لأَن عرضها ١١٥ مترًا وطولها ٤٢٠ مترًا وارتفاعها ٤٨ مترًا فلو وُضع تحت سقفها عمود وَنْدُومْ لا يبلغ الى ذروة تخاشيبها الحديديّة وهي أشبه شيء بسفينة ضخمة منعكسة في وضعها

واذا جمعنا المساحات الّتي تبلغها هذه السراي وأروقتها وجدناها تصل الى

عدد موجب للاستغراب وهو ثمانون الف متر مربع وقد حُسِب ما تسعهُ من الجيوش لو نزلت فيها فوُجد أنها تسع جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف نفس يمكنهم ان يناموا فيها مع الراحة بحيث يكون للواحد منهم متران مربعان ونصف متر مربَّع وانها تسع من ١٢ ألف حصان الى ١٥ ألف لو وُضعت فيها مع مراعاة المسالك بين الخيل وانها تسع مع ذلك فرسانها بالأروقة مع الراحة في اليقظة والنوم

ومما لابدَّ من الالتفات اليهِ في تشييد هذه السراي المركبة من الحديد شكل القواصر الحديديَّة الَّتي تكوَّن منها هذا المكان البديع فانها جُعلت متعشقة ببعضها تعشقاً مَفصِلياً في طرفها العلوي وفي طرفيها الماسّين للأرض حول محاور جسيمة ضخمة وكل واحدٍ من هذه القواصر زنتهُ مائتا ألف كيلو جرام وهذا التعشُّق يمكّن القواصر من التمدّد الذي لا يتيسر في السُقُف العاديَّة

وإن عمارة مثل هذه لأعجوبةٌ في الصناعات من حيث الموازنة والمقاومة تشهد بفضل منشئها المسيو دُوتيرْ المهندس المعماري وتستوجب شكر من ساعدوهُ على تشييدها وهي باعتبار أبعادها العظيمة وسعتها الجسيمة تدلُّ دلالة واضحة على تقدم هذا العصر ووصولهِ الى ذروة الكمال بما كان لا يتصوَّر من الاسراع وعلى أن الصناعة الميكانيكيَّة سارت في هذا العصر عصر البخار والسكك الحديديَّة والكهرباء على مركَبَةٍ من هذه القوى أوصلتها في مسافة وجيزة الى ما تراهُ في هذه السراي من الاعتبار وما تشاهدهُ في معروضاتها من الكثرة والانتشار حتى استوجب ذلك تشييد هاتهِ السراي الَّتي لم يسبق لها مثيل في الاتساع ولا نظير في الارتفاع واستلزم توصيل القوة البخاريَّة المحركة الى الآلات الميكانيكيَّة بها ٥٥٠٠ حصان بخاري

(كيفية ترتيب الألات الميكانيكية) هذه السراي مقسمة في اتجاهها العرضي الى خانات منفصلة عن بعضها بماشٍ موازية للمحور الطولي للسراي

وقد خصصت فيها خانات الأربعة الماشي الوسطية بالآلات المتحركة بالفعل اما الخانات الجانبية والخانات التي في دائر السراي والتي فوقها فقد خصصت بالآلات الغير المتحركة بالفعل وبالكلوموتيفات وغيرها مما لا حاجة الى تحريكه الآن

(كيفية توصيل الحركة للآلات) اتخذت لها الطريقة الآتية وذلك ان صفت صفوف ممتدة من عمد مصنوعة من الحديد الزهري حملت عليها اعتاب معدنية مجوفة وجعل تحتها حمالات جسيمة معدنية تمر من خلالها محاور محملة بكرات جعلت لان تمر عليها السيور التي توصل الحركة لجميع الآلات

وهذه العمد متباعدة عن بعضها بقدر أحد عشر مترًا وعشرين سنتمتر وهذا البعد العظيم هو السبب في جعل الأعتاب الحديدية المحمولة فوق هاته العمد ذات جرم عظيم

(القنطرتان المتدحرجتان الكهربائيتان) تتحرك عربتان كبيرتان من ذوات العجل فوق الأعتاب الحديدية التي ذكرناها مدفوعتان بقوة الكهرباء المرسلة اليها من ماكينات كهربائية وُضعت فوق ارض السراي وهما القنطرتان المتدحرجتان الكهربائيتان فتسيران من أحد طرفي السراي الى الطرف الآخر تحملان كثيرًا من الزائرين مرتفعين عن الأرض بمسافة سبعة أمتار ليشاهدوا جميع الآلات التي تدور والتي لا تدور فيا لهذا الأمر من أمر عجيب ويا لمنظره من منظر بهيج غريب

(الآلات المحرّكة) عدَدها اثنان وثلاثون متسلطة على آلات توصيل الحركة الّتي وصفناها منها مُحرّك غازي قوتهُ مائة حِصان و بجوارهِ آخر غازي ايضاً قوتهُ خمسون والباقيات بخارية

وينبغي ان يذكر هنا ان المحركات الغازيّة منذ سنين قليلة كانت من قبيل المستحدثات الغريبة فأخذت في التقدم حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن وكان يُظن أن ظهور الكهرباء يُعطّل هذا المخترع ويجعلهُ عديم الجدوى ولكن صاز الحال خلاف ذلك فان هاته المحركات الغازيّة استعملت هي نفسها لايجاد القوة المحركة الّتي بواسطتها تتولد الكهرباء

وهذه الآلات المحركة الغازيّة كان ظهورها في معرض سنة ١٨٦٧ حيث عرض منها فيهِ خمس آلات قوة جميعها تسعة أحصنة بخارية

(الأنوار الكهربائيّة) جُعل في وسط هذه السراي فنار كهربائي من الطبقة الأولى يُضيء كل يوم بعد غروب الشمس وجَعل إيديزُون الشهير في معرضهِ الذي بهذهِ السراي فناراً كهربائياً في ذروتهِ أنوار كهربائيّة قوتها عشرون ألف لاميه بحيث ان ما بهذين الفنارين من الأنوار لو وُزّع لكفى لإنارة اقليم بتمامهِ ولذلك ترى الليل في هذه السراي الفاخرة ربما كان أشد نوراً من النهار وعلى كل حال لا يقلُّ عنهُ

(كيفيّة توزيع المعروضات بهذه السراي) لم تسع هذه السراي على اتساعها الذي علمناهُ كافة معروضات القسم السادس الّتي خصصت بهِ وهو قسم آلات الفنون الميكانيكيّة وكيفيات استعمالها والكهرباء فاضطروا الى ان يجعلوا بعض متعلقات هذا القسم خارجاً عنها فجعلوا الآلات الزراعية في قاعات بقسم كيه

دُورْسِي من اقسام المعرض بجوار النهر وأرسلوا اليها القوة المحرِّكة اللازمة لإدارتها من الآلات المحركة لما بهذه السراي بواسطة سلك من سلوك الكهرباء مارّ من اول طرف المعرض الى آخر طرف منهُ فانظر كيف وَصَّلوا هذه القوة مع البعد الكثير منقولة على سلك من حديد لتحرِّك هذه الآلات الزراعيَّة العديدة وتعجَّبْ من وصول هؤلاء الى هذا الحد من المعرفة واتقان العمل بهممهم العالية وقارن بين حالهم وحال من غلب عليهِ الكسل والتهاون في الامور المهمة الموجبة للغنى والثروة تعلم الفرق بين الحالتين

وجعلوا عرباتِ الركوب وعرباتِ النقل في سراي الصناعات المتنوعة ومتعلقات الصحة العموميَّة ومساعدة المُعوزين وأدوات السباحة وتخليص الغرقى والأَدوات الحربيَّة في قسم إِسْپلاَناد دِيزَنقاليد

وقد ابتدأنا في التفرج بهذه السراي على أقسام المعروضات الأَجنبيَّة

(قسم سويسره) وقد اعتني بهِ كل الاعتناء فان السويسره الآن معدودة صنائعها الميكانكيَّة في عِداد أَحسن صنائع العالم وقد ساعدها على ذلك وضع ارضها الطوبوغرافي فانهُ افادها الانتفاع بقوة سقوط المياه وكثيرًا ما رأَينا في هذا القسم آلات مختلفة المنافع جُعِلت للانتفاع بهذه القُوى الايدروليكيَّة بتحويلها الى قُوى ميكانيكيَّة وقُوى كهربائيَّة ورأَينا آلات متعددة للنسيج والغزل وآلات بخاريَّة اشتهرت تلك البلاد بإِحكام صِماماتها وكثيرًا من الآلات اليدويَّة السهلة المنال وغيرها من الآلات الكهربائيَّة المستعملة في كثير من المعامل الشهيرة وكثيرًا من طواحين زُوريكْ الشهيرة ورأَينا معامل الكاغد ولوازمها ونموذجًا من الآلات القديمة المثال التي استخرج بها الماء على عمق ٥٠٠ متر من جهة شُوده فُونْ كل

ذلك من الدلائل المادية على تقدم هذه البلاد في الميكانيكة

(قسم بلجيكا) احتوى على كثير من الآلات المهمة مثل الآلات النافخة المجعولة لتجديد الهواء في آبار استخراج المعادن وآلات النسيج والآلات البخارية بأصنافها والآلات الكهربائية والأدوات المستعملة لعمل الأوراق وماكينات عمل ظروف المكاتيب وماكينات عمل الثلج وغير ذلك من أصناف الآلات كلها بالطبقة الأرضية ووجدنا بالممشي العليا فابريقات عمل الحبال للسفن ومعرض المعادن ومعرض صناعة الخراطيش وماكينات الجدل وغير ذلك من الماكينات والآلات

(قسم الولايات المتحدة بامريكا) وقد أبدع فيه منشئوه فوضعوا فيه الكثير من الآلات الغريبة والأدوات العجيبة ولا بدع فان هذه البلاد أم العجائب والاختراعات حتى كأن اهليها من كثرة اشتغالهم بايجاد الاشياء النافعة والاختراعات المفيدة غير متوفرة لهم الأوقات اللازمة لطلاء الآلات وتحسين جلائها من الظاهر فآلاتهم اقل حسناً في المنظر الظاهري من آلات غيرهم ولكنها من جهة الغرض المقصود منها والمتانة والاتقان تفوق كثيراً من غيرها المصنوع في بلاد أخرى بشهادة أهل الفن انفسهم

وقد شمل هذا المعرض غير الماكينات الكبيرة كثيراً من العُدد اليدوية والآلات العملية المنزلية ولكن أبهى ما فيهِ وازهاهُ واعظمهُ واعلاهُ معرض الكهرباء

وجدير ببلاد منها إيديزون ان تحتفل بالكهرباء اكثر من غيرها ويحق لهذا العالم الفاضل ان يظهر جميع ما عندهُ حتى ترى الأمم المجتمعة بهذا السوق العام من جميع انحاء المسكونة تفاصيل اعمالهِ وجميع مخترعاتهِ وقد كان فانهُ صار

الاعتناء بتشييد معرض موجوداتهِ كل الاعتناء وجلُب اليهِ منها جميع ما لزم فشغل ارضاً مسطحها ٦٧٥ متراً — على ان أرض سراي الماكينات هذه لو كان ما يوضع فيها من المعروضات بحسب الشهرة لما وُضع فيها غير معروضاتهِ — وصُرف على هذا المعرض وحدهُ في التنظيم والترتيب والايجاد والتشييد اربعمائة الف فرنك حتى صار على الحالة التي رآهُ الناس عليها وقد وضعوا بأعلاهُ صورة ايديزُون مجسّمة كأنما هو ينظر الى الناس من احدى نوافذ المكان الذى بَنَوْهُ لمعروضاتهِ وهذه النافذة تحت النور الكهربائي العظيم الذي سبق التنبيه عليهِ

اما ما حواهُ معرض هذا الاستاذ من الآثار فلا سبيل الى استيفاء توضيحهِ والوقوف على صريحهِ لانهُ أمر يحتاج الى معرفة الطرق الكهربائيّة بأجمعها وامكان الفرق بينها والتفضيل لا يكون الاَّ بمعرفة ذلك على التفصيل ولكن نذكر لك ما استلفت نظرنا اليهِ صاحبنا الذي معنا من آلات الفُونُوجراف الجديدة وهي التي كلمت مكاتبي جرائد العالم أجمع يوم افتتاح المعرض الرسمي فتكلمت عنها جرائد العالم كلها من ذلك الحين وقد احتوى هذا المعرض على تاريخ مخترعات هذا الفاضل في التلغراف والتليفون وفي اللمبات العظيمة الضوء بحيث يعلم منهُ كيف كان الاختراع في أوّلهِ وكيف تدرَّج في التحسين حتى صار الى أنفع وأحسن وكيف ترقّى في ذلك حتى صار الى ما هو عليهِ الآن مما يدلكَ على امكان التحسين في المستقبل زيادة على ذلك وان كان العقل لا يتصور أن في الامكان أحسن مما يرى الآن هذا وانا نريدُ ان نحيطكَ علماً قبل مفارقة هذا المكان باختراع حديث لهذا الرجل العظيم رأيناهُ فيهِ وهو آلة مغناطيسيّة جُعلت لفصل المعادن الساذجَة عما خالطها من غيرها بكل سُهولة بعد ان كان ذلك في المعادن من

اصعب العمليات واكثرها مشقة ومصرفاً ومما رأيناهُ وعايناهُ من غرائب ما رأيناهُ انموذج ترتيب الكهرباء في بلد تمر أدواتها تحت الأرض فيها بجميع ما يلزم لذلك من اللوازم والمعدات والأدوات

ولم نقتصر مع هذا معروضات امريكا الكهربائيَّة وهي بلد الكهرباء على أشغال الاستاذ إيديزُون بل عرض غيرهُ من الأساتذة المكتشفين أعمالهم بجوارهِ فعرضت قومبانية تومسُون هُوسْتُون ماكيناتها الكهربائيَّة العظيمة وعرضت شركة غيرها الماكينات التي أوجدتها للحام المعادن بالكهرباء وعرضت كومبانيَّة تلفون بيل تليفوناتها الشهيرة وعرض الاستاذ إيليُوتُومسُون عملاً غاية في الغرابة ونهاية في الاعجاب وهو حلْقةٌ من النحاس الأصم قطرها خمسة عشر سنتمتر واقفة وحدها في الهواء بدون أدنى تعليق بل بواسطة دفع كهربائي بسيط

ورأينا بعدُ (قسم انجلتره) المشهورة بإتقان الآلات ومتانتها وتحسينها مع صلابتها جمع فأوعي من الآلات المشيدة والعُدد اليدويَّة العديدة مستكملة الاحكام كاملة النظام والمحركات العظيمة والآلات الميكانيكيَّة الفخيمة التي تأخذ بالابصار وتقضي بالاعتبار وتدل على رسوخ قدم هذه الأمة في العرفان

وقد فرغنا من المعارض الأجنبيَّة بهذا المعرض فلنختم هذا اليوم (بالمعروضات الفرنساويَّة) في هذه السراي ونذكر منها ما استلفت منا النظر اكثر من غيرهِ بقدر الامكان

فهذا معرض آلات صناعة الورق والصباغة والطباعة احتوى على كاغدخانة مكملة تأخذ المواد الأصليَّة التي يُصنع منها الورق وتعمل فيها ما يلزم حتى تُصيّرها ورقاً من سائر الأشكال بحيث لو مشى المتفرج مع المادة الأصليَّة وتتبع سيرها

لو صل في لمحة بصر الى رؤيتها متحولة الى أوراق بديعة الأشكال وقد صعدنا الى بعض الأجهزة الموضوعة في الأعلى على طبقة من الألواح الحديدية ونزلنا منها الى باقي الأجهزة الموضوعة على الارض وأفهمنا من تكلف بإدارتها بسائر حركاتها واجراءاتها حتى انهُ أعطانا بعض اوراقها التي صنعتها أمامنا

وبجوار هذه الكاغدخانة معرض المطابع واهم ما فيهِ المطبعة المعروفة باسم مارينوني التي طار صيتها وزاعت سمعتها واستعملت في سائر البلدان فوجدناها تطبع من جريدة پتي جورنال — الجرنال الصغير — الآلاف في لمح البصر فتُعطى لمن بالمعرض مجاناً فأخذنا نسخة منها مؤرخة بتاريخ هذا النهار — ١٧ اغسطس سنة ٨٩ — فوجدناها محتوية على أخبارها المعتادة واستخلصنا من الفصل المتعلق منها بالمعرض ان عدد الذين دخلوهُ في يوم ١٥ اغسطس سنة ٨٩ بدفع نقود ١٣٤ ٢٤٩ شخصاً وان ولي عهد تونس حضر بالأمس وزارهُ رسمياً

ومما بهذا القسم ايضاً مواد الطبع باكملها وسائر اصنافها ومكينات اخترعت لعمل أوراق السجائر فتصنع منها الآلاف في اقرب من رجع النفَس وقد اجمع على استحسان اوراقها شاربو الدخان وتكاثروا على التفرج عليها فلم نتبعهم في ذلك اذ قد منَّ علينا المولى بترك شربهِ والتخلص من شرورهِ واضرارهِ فوجدتُ في هذا الترك من اعتدال الصحة ما صيرني اكره كل ما يُستعمل في صنف هذا النبات المضر بالصحة بإجماع الاطباء واتفاق العقلاء وأولهم شاربوه

وهذا قسم المعامل الزراعية والصنائع الغذائية جمع كثيراً من الآلات والأدوات النافعة للنوع البشري التي لا يكاد ان يستغنى عنها فبهِ الطواحين بأشكالها من ذوات الأحجار وذوات الاسطوانات تفرجنا على كيفية طحنها

وشاهدنا آلات التقطير بأصنافها وأشكالها مشتغلة بأعمالها ورأينا فابريقةً لتكرير السكر كاملة مستكملة عرضتها شركة فيف ليل وهي التي صنعت كوبري قصر النيل عندنا واطلعنا على ما عرضتهُ احدى الشركات من الآلات الزراعيَّة والأدوات الغيطيَّة كاملة الإتقان محكمة النظام

وهذا قسم استخراج المعادن وكيفيَّة صناعتها وتشغيلها جُلبت اليهِ جميع أدوات استخراج معادن الفحم الحجري وآلاتهِ واستحضرت فيهِ عربة مملوءَة بالفحم كالتي تستعمل في المعادن للشحن والتفريغ وهُيئت فيهِ بئر على الهيئة الطبيعيَّة التي تكون عليها حال الاستغلال منها على قدر نصف حجمها الطبيعي ورأينا فوهة البئر مع اقفاصها الحديديَّة وماكيناتها اللازمة لتشغيل من يعمل بها ومواسيرها الضروريَّة لها ورأينا كيفيَّة بنائها على شكل يأمن بهِ النازل فيها من الاخطار والأضرار التي تنجم عن سقوط الجروف وانهيارها

وعرضت شركة أنزان الفحميَّة ما كانت عليهِ أبنيتها على مسافة مائة سنة فأرتنا عشوشها سنة ١٧٨٩ المتخذة من أخشاب الأشجار وأبنيتها سنة ١٨٨٩ المعمولة بالأجرّ جيدة البناء فرأينا فرق تقدم الأيام حتى في محلات استغلال الفحوم وكيف انتقلت من حالة الأكواخ الى هيئة القصور

وعرضت شركة لوَارْ هيئة الطبقات الفحميَّة الحجريَّة مصفوفة بعضها فوق بعض في الصخور وفي بئر شهيرة عندها ببعد العمق يبلغ الآن ٥٣٠ مترًا وسيزداد انخفاضاً كلما استمر استغلالها

وهذه البئر نظيرة برج إيفل في مطلق الامتداد اللهمَّ الَّا إن هذا امتدادهُ من الارض الى أعلى وهذه امتدادها من الارض الى اسفل على انهما يستويان

بالنسبة لمن على الأرض في البرج ويريد الصعود ولمن في قاع البئر ويريد الخروج فعلى الذين يهولهم طلوع البرج ان يفتكروا في هؤلاء الذين يعملون في استخراج هذا المعدن فيهون عليهم طلوعهم لهذا المكان الرحب حيث يرون في خلاله المناظر الحسنة والأشكال المختلفة في الصعود او الهبوط بخلاف هؤلاء فانهم لا يرون الا الفحم وسواده في مسافة تقرب من ضعف مسافة البرج لما تقدم من ذكر ابعادهما

واذ كنا في هذا المكان نظرنا من الباب الذي بجوارنا واذا به يوصل الى حيث الأفران الجسيمة التي جعلت لتسخين القزانات الضخمة المعدة للبخار اللازم لتحريك جميع هذه العُدد والآلات التي رأيناها في المعرض فتفرجنا عليها ثم دخلنا السراي ثانياً وقصدنا

(قسم الكهرباء) وقد احتوى من البدائع وغرائب الصنائع ما جعلنا نقف عنده ولا نتعدى حدّه مع ما رأيناه بالفصل الاميريكي من العجائب التي ذكرناها فاخذ صاحبنا يستلفت نظرنا الى الاجهزة الكهربائية الحسنة والآلات واللمبات العظيمة والمحركات التي تتحرك بالهواء المنضغط والماكينات المغناطيسية الكهربائية التي تُستعمل في الفنارات العظيمة الارتفاع والعيارات الكهربائية فضلاً عن أجهزة التليفون والتلغراف بأشكالها واصنافها

ثم استلفت صاحبنا نظرنا الى ما عرضهُ بيت كرِستُوفل الشهير بعمل اواني المائدة المطلية بالفضة بواسطة الكهرباء وبمناسبتها صار يُطلعنا على ما وصل اليهِ فن الطلاء بالكهربائية — جلوانو پلاستي — من غرائب الصناعة وبدائعها

ثم أرانا الساعات والأجراس والنواقيس الكهربائية وغيرها من الآلات الكهربائية المعدة لإنارة قاع البحر للغوّاصين وقاع الآبار المعدنية للعمال الى غير

ذلك من لوازم الكهرباء حتى سلوكها وحبالها

ثم انتقلنا الى قسم أدوات عمل أثاثات المنازل وقد جمع سائر الآلات والماكينات اللازمة لعمل ما رأيناهُ في سراي الصناعات المتنوعة من التحف المصنوعة من اصناف الخشب والأبنوس فيكتفَى في عملها بوضعها على ما يطلب من الخشب فيحصل ما يراد منها بغاية السهولة وهذه غير الآلات التي تستعمل لضم قطع الأخشاب المتفرقة الى بعضها والتي تُستعمل لطلاء الاخشاب بالبويات المختلفة

وانتقلنا الى قسم أدوات الفنون الكيماوية فعرفنا منهُ لوازم معامل الغاز وآلات صناعة الشموع ثم رأينا فيهِ مالا يحصي من أدوات الأجهزة الكيماوية وآلات كثيرة تختلف بحسب الطرق المستعملة في تجهيز الجلود وجعلها على الهيئات اللطيفة التي تكون عليها في المصنوعات

ثم الى قسم أدوات النسيج وكيفياتهِ فرأينا فيهِ كل آلة وما جُعلت لهُ من المنسوجات اللطيفة كالبسط الظريفة والشاش الخفيف بأشكالهِ والدانتيلات الرفيعة بأصنافها ورأينا من عمل الآلات ما هو كالسحر في السرعة والغرابة وما لا يُتصور صدورهُ عن آلةٍ صماء لولا الحِس والمشاهدة

ثم الى قسم أدوات الخياطة وعمل الملابس وقد جمع ما يلزم من معدات الخياطة والتطريز وآلاتها ومن الآلات المجعولة لتسمير الأحذية وخياطتها ومن المخصصة بتفصيل الأقمشة والجلود للوازم الأحذية والألبسة

ثم الى قسم أدوات السكك الحديدية وقد اشتمل على سائر الأدوات الثابتة كالشرائط والبلنجات وغيرهما وعلى غير الثابتة كالعربات المستعملة في فرنسا والخارج وكثير من الوابورات — لُوكُومُوتِيف — المعدة لجر العربات على أشكالها

المتفاوتة في الصغر والكبر

ثم الى قسم الآلات اليدويّة وهي مختلفة الأشكال والأصناف بحسب اختلاف الحاجات والمواد بحيث لا يدخل فيها شيء من المعادن والمواد الا ويخرج منها مصنوعاً مبرودًا منشورًا مبرشماً مدموغاً مهيئاً لما يُستعمل فيهِ بعد ان كان ساذجاً وبهذا القسم كثير من المخارط والسندالات وآلات الثقب وقد رأيناها تثقب الحدائد الغليظة بغاية السهولة دون إجهادٍ بحيث لا يلزم لها سوى إدارة العامل وهي تعمل تحت طوعهِ ما يلزم من الأعمال كما في الآلات اليدويّة بهذا القسم

ومما يُلحق بهذا القسم الآلات المائيّة الّتي تدور بضغط الماء وقد جُعلت لبرشمة الحدائد فتراها تُدخل فيها المسمار بعد المسمار على حسب رغبة العامل كأنما يخيط ثوباً من القماش بهذه المسامير ولا تسمع لذلك صوتاً بخلاف ما هو معلوم في دق المسامير عندنا فانك تسمع لذلك اصواتاً مزعجة مفزعة ولا خفاء ما في هذه الآلات من راحة العمال والتسهيل عليهم فضلاً عما في ذلك من السرعة

ثم انتقلنا الى قسم أدوات الغزل وعمل الحبال وقد جمع ما يلزم لذلك من الأدوات العديدة من حين كون المادة على حالتها الاصليّة الى حين ان تكون خيطاً او حبلاً على الهيئة المطلوبة فرأينا الحبال المستديرة والمفرطحة والخيوط نباتياً كان كل منها او معدنياً تُعمل بغاية السرعة

ثم الى قسم الآلات المتنوعة وقد جمع ماكينات كثيرة لعمل اشياء كثيرة بطرق سهلة فمنها ما هو لعمل الأزرار وريش الكتابة والدبابيس وظروف المكاتيب والفُرَش المجعولة لتنظيف الملابس والرأس وغيرها ومنها ما هو لسد زجاجات

الأشربة المحكم وفيها ماكينات عظيمة لتجليد الكتب وماكينات للكتابة بأشكالها المختلفة وماكينات لعمل السجاير وغير ذلك من الماكينات اللازمة لاحتياجات الانسان على اختلافها

و يا حبذا أن لو انتُخِبَ من هذا القسم وقسم الآلات اليدويَّة ما يكون بهِ النفع والتسهيل وجُلِب الى بلادنا لاسيما أن جُلَّ هذه الآلات يُدار باليد فتكون باثمان غير عالية وتغني عن الاتعاب والمشقات وتوجب تخفيف الأُجَر وهذه ماكينات الخياطة من يوم أُدخِلَت مصر سهلَت امر خياطة الملابس وخففت أُجرتها ولا شك ان مثلها من الآلات النافعة لو ادخل في بلادنا واستعمل فيها لنفع نفعًا كثيرًا

ثم انتقلنا الى قسم أدوات الهندسة المدنيَّة والأشغال العموميَّة والعمارة وقد جمع كل ما يلزم للعمارة والبناء من صخر وخشب وجير وطين واسمنت واحجار طبيعيَّة وصناعيَّة وخراسان وآجرٍ وأردُوَاز وغير ذلك من المواد الأوليَّة ثم ما يستعمل لزيادة قوة هذه المواد ومتانتها ثم الآلات التي يستعملها المهندسون لاختبار هذه المواد ومعرفة حقيقتها ثم آلات الحفر والردم فرأينا الحفَّارات البخاريَّة وغير البخاريَّة تعمل الواحدة منها عمل جم غفير من بني آدم وهي أشبه بكراكات كبيرة أرضيَّة ذات صناديق لنقل التراب وذات مخالب لتحريك الاحجار ورفعها ثم أدوات قطع الأحجار من الجبل ونحتها وبنائها وآلات النجارة والأقفال وتركيب الزجاج والنقش والسبك ثم الآلات المستعملة في الأبنية البحريَّة كأبنية الأرصفة والفنارات الى غير ذلك مما يدل اوضح دلالة على تقدم فن الهندسة المدنيَّة عندهم ألا ترى برج إيفل الذي لم يسبق لهُ مثال ولا نُسج لهُ على منوال

فانهُ بلغ في العظم والمتانة والارتفاع حدًّا ما كان يخطر بالبال وألا ترى هذه السراي فانها بلغت حد الكمال في الاتساع والعظم وحسن الأوضاع والأشكال وما ذلك الاَّ من تقدم هذا الفن ويُرجى لهُ الزيادة فيما يستقبل من الزمان

هذا وقبل مفارقتنا لهذه السراي اقص عليك بمناسبة ذكر الماكينات بناء آلةٍ ميكانيكيّة عجيبة وهو أن صانع ساعات يعرف الميكانيكا تمام المعرفة عمل آلة بخاريّة ميكانيكيّة فجاءت أصغر ماكينات العالم أجمع وذلك ان زنتها ثلاث جرامات وارتفاعها سنتمتر ونصف وعدد قطعها ١٨٠ قطعة استغرق هذا الصانع في عملها سنتين وتدور بالبخار المتحصل من بعض نقط من الماء

وقد قرأت هذه العبارة في احدى الجرائد مدة اقامتي بپاريس وأخذت بها مذكرة ضمن مذكراتي لأتفرج عليها في المعرض ولكنني من سوء الحظ نسيت ذلك حتى بارحنا پاريس فلا أدري أهذا النبأ صحيح أم لا فان وقفتَ على صحتهِ انت أيها الصاحب القارئ فاكتبْ لي بما تقفُ عليهِ

ثم فارقنا هذه السراي وكان قد دخل الليل

﴿ اليوم السابع عشر في پاريس ﴾

تاسع يوم في المعرض

هذا هو آخر يوم في المعرض وقبل آخر يوم بپاريس (يوم الاحد ١٨ اغسطس سنة ٨٩) وقد خصصناهُ بما بقي علينا من أقسام هذا المعرض وهما قسما كيه دُورْسِي (رصيف أُورسي) واسپلاناد دِيزَنڤاليد (ساحة دار العواجز) ويمتد القسم الاول من حيث جهة شان دُه مارْس بطول شاطئ نهر السين الى

الساحة المذكورة ويمتد الثاني في الساحة الفاصلة بين دار العواجز المتقاعدين وقد سبق ذكرها قبل الآن وبين نهر السين فابتدأنا في زيارتنا هذه مبكّرين من اول النهار لننتهي من قسم كِيه دُورسي ومن بعض القسم الثاني في اول النهار وننتظر صاحبنا جيجون بيك فيهِ بعض الظهر بساعة واحدة عند باب عيناهُ فنتفرّج معهُ على سكة الحديد الانزلاقية التي سيأتي عليك وصفها ثم يبارحنا ونستمر في باقي ما قصدناهُ

واول شيء صادفناهُ في قسم كِيه دورسي معرض الاشياء البحريّة والنهريّة وقد استجمع كل السفن وسائر أصنافها واشكالها وألوانها واحتوى على آلات الإنقاذ والتخليص من البحر وغرقهِ والنهر وطوارئهِ مع تعدد الاشكال كل على حسب ما أُعدت هي لهُ من الأحوال والأهوال

وانتقلنا بعد ذلك الى (سراي الأغذية) وهي بناء مشيد ذو طبقتين مسطح الواحدة منها ٨٠٠٠ متر مربع غير طبقة أرضيّة تحتها وقد احتوت هذه السراي الفاخرة على جميع أصناف الأغذية من ماكول ومشروب وجُعلت الطبقة الأرضيّة منها لعرض الأنبذة وسائر المشروبات والاولى قُسمت قسمين أولهما لعرض بعض الأغذية واستذواقها وثانيهما لصنع هذه الأغذية وتجهيزها أمام الجمهور فتنتقل من حالتها الأولى الى الحالة التي تؤكل عليها والطبقة الثانية جُعلت مع القسم الأول من الأولى لعرض باقي الأطعمة والأغذية

وقبل ان يصل الزائر الى مدخل هذه السراي يمر ببستان متسع احتوى على سائر اصناف الكرم وما يلزم لها من الأدوات ولجَنْيِ قطوفها من المقصّات وغيرها من الآلات البستانيّة ويجد بقرب باب المدخل برْميلين عظيمين احدهما

مستدير يسع ٦٠٠ هيكتولتر وثانيهما بيضاوي الشكل يسع ٢٧٥ هيكتولترًا فكأنَّما يُذكّران احباب الكروم بأنّ ما يحويانهِ هو المقصود بالذات من كل هذا الغراس وهذه الأدوات والآلات

فإن أنت دخلتَ السراي صادفتَ ما يبهر العقل ويدهش البصر من حسن الترتيب وتمام التهذيب والتزام المستحسَن من كل وجه ولم يقتصر فيها على عرض الحاصلات الغذائيّة مرتبة موضوعة في القناني والسبتات مصفوفة في الصفائح والغلافات مكتوبًا عليها اسماء الصنف والصانع والبلد الى غير ذلك بل ترى فيها المواد الأصليّة لهذه الأطعمة وترى بعيني رأسك كيف تُصنع وتُجهز وتُحسن وتُنجز يصنعها أمامك أمهر الصناع فتاكل منها او تأْخذ لنفسك ما اردتَ بالشراء وترى فيها المربيات والحلواء وسائر الأطعمة والمشروبات الحلال فتذوق منها ما تشتهي بعد دفع ثمن ماتذوقهُ وترى من المشروبات غير الحلال مايتباهي اصحابهُ فيهِ بالقِدَم وحسن الصنع ولطيف الذوق وتمام اللذة ومزيد الصفاء

ولْنَبدأ بالطبقة الأرضيّة لأَنها اول ما يُدخل اليهِ فنذكر اكبر ما رأيناهُ فيها وهو برميل عظيم زنة ٢٠٠٠٠ كيلوجرام ويسع ١٥٠٠ هيكتولتر مملوءٌ بالشمپانية قد أُحضر من تلك البلاد على عربة مخصوصة يجرها اثنا عشر زوجًا من الثيران يمكن خمسة عشر شخصًا ان يجلسوا فيهِ ويأْكلوا قبل ان يملأ بغاية الراحة ولا نتعرض لتفصيل ما حوتهُ هاتهِ الطبقة الأَرضيّة من أَصناف الأنبذة والجعة وغيرها من المشروبات فإن هذا امر لا يُهم الكثير من مطالعي هذه الرحلة وإنما نذكر ما استلفت نظرنا فيها وهو كيفيّة عمل المشروب المسمي شمپانية منذ غرس كرمها الى ان صارت في زجاجة معدة للشرب اعتنى بها بطريقة الرسم الناتيء

على خريطة بعضُ ذوي الالمام مستعيناً على تفهيم ذلك بالتعبيرات الكتابيَّة حسب ما اقتضاه الحال فأبان الأمر في ذلك من حين غرس الكرم حتى تجنى قطوفهُ ثم صوّر بطريق التجسيم المحلات والأدوات التي تُستعمل لصنع الكرم حتى يتحول الى النبيذ المعلوم من طرق التخمير والتجهيز وتغالى في البيان الى أن صوّر في تلك المحلات رجالاً من الشمع مجسمين على العُشرِ من الرجال الحقيقيين يعملون الأعمال اللازمة لهذا المشروب الى أن يصير بالحالة المعلومة هذا ومما استلفت نظرنا ايضاً في هذا القسم ما رأيناهُ من الاعتناء بأمر الزجاج الذي توضع فيهِ الأشربة واختلاف أشكالهِ والوانهِ واحجامهِ بحسب اختلاف اصناف الشرب حتى جمعوا القديم وشكّلوا منهُ مجموعة عديمة النظير حوت من الزجاج ما تصل نسبتهُ الى زمن الملك لويس الخامس عشر

ثم بعد تفرجنا في هذه الطبقة صعدنا الى الأولى التي فوقها فدخلنا قاعة عمل الأغذية وتفرجنا فيها على صناعة خبز البسكويت والفطير بعد ان رأينا طريقة عجن ذلك وتجهيزهِ للخبز وهذا كلهُ بواسطة الآلات الميكانيكيَّة فوجدنا إناءً يسع ٢٠٠٠ كيلو جرام من العجين تقلبهُ فيهِ محركات من الحديد ثم ينتقل العجين منهُ بالآلات الى ماكينة أخرى تصيرهُ في الثخن المطلوب وهذه ترسلهُ الى آلة ثالثة تقطعهُ على قدر المرغوب وتطبعهُ في الأشكال اللازمة وتنقشهُ بالرسومات اللطيفة وتكتب عليهِ ما يراد وتصفهُ على صوان مستطيلة تتحرك من مواضعها بمحركات ميكانيكيَّة ايضاً فتصل الى فرن كبير طولهُ ١٤ متراً يحصل نضجهُ بهِ في نحو عشر دقائق ثم يخرج على تلك الصواني المتحركة حتى تضعهُ في سبتات لطيفة صغيرة تَنتقِلُ بهِ الى الاشخاص المكلفين بالبيع فيتخاطفهُ المشترون وقد

عملوا كيف عُمل فياكلون ما يعلمون

وان انتَ لم ترغب اكل هذه البسكويتات يابسة غير سهلة الابتلاع بل أردت ترطيبها بنوع من المربيات او الشراب فاقصد الحلوانيين الّذين يصنعون المربيات والحلواء والشراب وخذ منها ما يستطاب

ثم عرّج على الروائح الذكيّة وكيفيات استخراجها ونفرج على الأنابيق الكبيرة الّتي تسع عشر هيكتولترات وانظر الدسوت العظيمة وادوات التقطير وتأمل صناعة استخراج الاعطار واشترِ ما شئتَ من الروائح الذكيّة الّتي صار اعمالها أمامك ومتع بها شمك كما متعت سمعك و بصرك وذوقك

وقبل ان نتم ذكر ما رأيناهُ من المصنوعات الغذائيّة اخبرك بمطاحن الشكولاطه الّتي رأيتها ان كنت ممن يحبها مع اعترافي لك بعدم محبتها وذلك أنهم هيئوا في أحد جوانب المكان محلاً لعمل الشكولاطه بحالتهِ الّتي يكون عليها في مكانهِ كأنما نقل منهُ الى هنا وادارِوا فيهِ عدة مطاحن كبيرة تعمل الشكولاطه أمام المتفرجين

فان اردت ان نتفرج على جميع هذه المخابز والمعامل والمصانع على اختلافها كيف تعمل وتدار فاصعد معي الى الطبقة العليا لنشرف منها على جميع ذلك فنرى بديع الاشكال واذ قد تمتعتَ بهذا المشهد فهلم معي لننظر الاصناف الغذائيّة المعروضة فنتفرج على اصناف السكر والخل والتوابل والقهوة واللحوم والاسماك والخضراوات وسائر الاشياء المحفوظة من التغيّر بواسطة تفريغ الهواء من اوانيها بحيث لورأيتها قلتَ هذه الخضراوات أُخذت من البستان في هذا الوقت وهذا اللحم من الغنم وهذا السمك من النهر او البحر في هذه الساعة مع انهُ ربما يكون

اخذ منذ اعوام ثم نتفرج على اصناف البسكويت والفطائر والكعك والزبدة والألبان وغير ذلك

ولا نخرج مع ذلك قبل ان نمر بالمحل الذي أُعد في وسط هذا المكان لمذاق المشروبات فقد رأينا عليهِ من الازدحام وكثرة الناس واقبالهم ما رغَّبنا في ان نقصدهُ لتعاطي كوبة مثلجة من شراب التوت تُطفِئ حرارة الظماء وتزيل العطش وتنعش النفس وتساعدنا على السير الى ما نقصدهُ بعد هذهِ السراي وهو محل المعروضات الزراعيَّة على كثرتها وكثرة أصنافها وتشتتها بين خيام مستطيلة معمولة من الخشب او القماش بحسب مقتضيات الاحوال

وذلك ان هذه (المعرضات الزراعيَّة) وضعت صفين يفصل بينهما طريق في محلات عُملت على الصفة المار ذكرها بطول الرصيف على حافة النهر من شان ده مارس الى ساحة دار العواجز وقد استعيض فيها عن الزخرفة والتذهيب بحسن الترتيب وهي وان كانت لاتُهم الاَّ من لهم المام بالزراعة وشغف بها الاَّ انها بالنسبة الينا مهمة لان بلادنا زراعيَّة فينبغي لنا الوقوف على ما استحدث في سبيل تسهيل الزراعة

واول شيء تفرجنا عليهِ (معرض وزارة الزراعة) فوجدنا فيهِ من الاحصائيات المتعلقة بالزراعات واصنافها في سائر البلاد الفرنساويَّة ومن التعاريف المختصة بسير التعليم الزراعي في المدن والقرى ومن الاشياء المعدة لمكافأة الحائزين قصب السبق في التنافسات ـ كونكور ـ الَّتي تهم هذه النظارة ما جعلنا نفهم حكمة وجود وزارة للزراعة في هذه البلاد حالة كونها ليست زراعيَّة الى حد يستوجب ايجاد وزارة لها خصوصيَّة فاستخلصنا ان الغرض من

هذه الوزارة هو المساعدة على تقدم الزراعة بواسطة التنافسات ـ كونكور ـ الّتي تستوجب المكافأة وبواسطة الاعانات الّتي تجود بها على الشركات الّتي خصصت نفسها بهذه الخدامات ذات المنفعة العامة فضلاً عن ادارة هذه الوزارة شؤُونَ التعليم الزراعي بجميع متعلقاتهِ

وقد تقدم لنا في اليوم الخامس من مقامنا في پاريس بمناسبة تفرجنا على احدى المدارس الزراعيَّة ابداء بعض الايضاحات الّتي امكننا الاستحصال عليها بخصوص هذا التعليم المهم وقد امكنتْنا فرصة هذا النهار من بعض معلومات حصلنا عليها من قسم الوزارة الزراعيَّة هذا

فرأينا كثيرًا من اعمال اساتذة المدارس الزراعيَّة الخصوصيَّة وهي مدارس جرِينيُونْ وجرَانجُوَانْ ومونپلييهْ وكثيرًا من مستحدثات افكارهم الّتي ترتبت عليها فوائد كثيرة الاهمية فضلاً عن تعليمهم كثيرًا من التلامذة وترشيحهم بذلك لنفع البلاد نفعًا ماديًا

ورأينا جداول دلتنا على من أنتجته (مدارس الطب البيطري) من الرجال الّذين اتوا للبلاد باكبر الفوائد في القرى والكفور بمداواتهم حيوانات الزراعة ومعالجتها بعد ان كانت الامراض تُهلك منها شيئًا لا يحصى كما انهم جاؤوا بأعظم النفع للجيش بمداواتهم حيواناتهِ وملاحظتها والمحافظة على صحتها العموميَّة وقد استفادت هذه الفئة كثيرًا من اختراعات المسيو پاستور الشهير واكتشافاتهِ العظيمة الاهمية

ورأينا تعليقات دلتنا على ما اتت بهِ (المدارس العلميَّة الزراعيَّة) في المديريات من الفوائد بتخريجها اشخاصاً علِّمُوا ما يلزم الزراعة عمليًا باحسن طرقها

المستحدثة فضلاً عن بعض خصوصيات القيت اليهم تعمقوا في اتقانها بحسب احتياجات المديرية التي تأسست فيها المدرسة ففي احدى المديريات اتقنت صناعة الالبان نظرًا لكثرتها وفي أخرى اتقن فن الري للزومهِ فيها زيادة عن غيرهِ وفي غيرها التفت الى غرس الكروم لانها اهم هنالك مما سواها وهكذا مع ان هاتهِ المدارس لم يؤخذ في انشائها الاّ من عهد غير بعيد وقد بلغت مع ذلك الى اربعة وثلاثين واستدل على نجاحها استدلالاً ماديًا بما عُرِض من نموذجات ادوات التعليم واعمال التلامذة والاساتذة وحاصلات زراعاتهم فيها

واطلعنا على منافع (المراكز الزراعيّة) التي انشئت في جهات متفرقة من البلاد حتى بلغت نحو الخمسين بقصد اجراءات متنوعة تجريها في نفس الارض لمعرفة تراكيبها ولتجربة زراعات معلومة فيها من اشجار ونباتات مع اختبار السماد عليها

واطلعنا على تعريفات تتعلق (بالمقالات الزراعيّة الاقليميّة) وقد خصص بها كثيرٌ من الاساتذة ينتقلون من مركز الى غيرهِ ومن قرية الى غيرها فيلقون على المزارعين المقالات السهلة المأخذ الكثيرة النفع في التحسينات التي ينبغي اتخاذها في نوعٍ معلوم من الزراعة لزيادة نمائهِ اما بكيفية زرعهِ او بكيفية تسميدهِ او بطريقة ريهِ ومواعيد ذلك مستندين في مقالاتهم على تجارب عملية يجرونها في نفس الارض امام اعين الزارعين ليتبينوا بالحس ثمرة النصائح التي تلقى اليهم مجانًا وليعلموا انهُ يكفي من المصرف اقل قليل للاستحصال على اكثر مما يستغلونهُ من ارضهم باتباع الطريقة التي سمعوها ورأوا نجاحها بالعيان

وقد سبق في خامس يوم من الاقامة بباريس ان في الذروة العليا من جميع

هذه المدارس الزراعيّة المجمع – أنستيتو – الزراعي الأهلي وهو مؤلف من المتبحرين في العلوم الزراعيّة وفنونها

واذ قد انتهينا من متعلقات ديوان الزراعة ومعروضاته فلنأخذ في (معروضات الآحاد والشركات المتعلقة بالزراعة) وذلك أنهُ تألف كثير من الشركات في انحاء فرنسا لتشجيع الزارعين وتنمية الزراعة فأتت بفوائد كثيرة نقتصر منها في هذا المكان على ما يختص بهذا المعرض وهو أن هاتهِ الشركات كانت السبب في ان يشمل هذا المعرض الزراعي حاصلات آحاد المزارعين ولولاها لما تيسر لهؤلاء مع قلة رأس مالهم ان يتحملوا مشاق السفر وكلفة مصاريفهِ لعرض حاصلاتهم وان كانت في بعض الاحيان أحسن وأجود من حاصلات كبار المزارعين فاحضرت بهذا المعرض احسن حاصلات زراعات الآحاد التي وجدتها في دائرتها وقد اختص بعض هذه الشركات بالحاصلات الزراعيّة التي تُستعمل في الصنائع وبعضها باعادة غرس الكروم في البلاد التي اهلكتها بها " الفيلكسورا " وبعضها بمزروعات البساتين وبعضها بغرس اشجار التفاح واستخراج أنبذتهِ من ثمارها وبعضها بتربية حيوانات الزراعة وتقويتها وتولى ما فيهِ تنميتها وبعضها بزراعة الحبوب وبعضها بمباشرة عمل الالبان من زبد وجبن وغيرهما فعرضت كل واحدة من هذه الشركات حاصلات مئات من الزارعين لولاها لما عرضوا شيئاً

وبجوار محل معروضات هذه الشركات قاعة خصصت بعرض لوازم الطب البيطري وأدواتهِ وآلات البيطرة وما يستعمل فيها

ثم محل خُصص باستخراج الزبدة من الألبان وقد حصل في هذا النوع

تقدمات مهمة بواسطة آلات يتيسر بواسطتها الاستحصال على السمن والزبدة في صباح اليوم الذي حُلِب فيهِ اللبن بعمليات سهلة لا تحتاج الى ما كان يلزم لهذا العمل اولاً من التعب والنصب وطول الزمن فتفرجنا على هذين المحلين

ثم انتقلنا الى المحلات التي خصصت (بالأدوات والآلات الزراعيّة) فوجدنا التقدم فيها ظاهرًا بديهيًا وقد بلغت حد الاتقان في الخفة والمتانة ولا سبيل الى المشابهة بينها وبين الآلات الأصليّة المستعملة عندنا من مئات او آلاف من السنين ولم نزل نستعملها الى الآن وهي وان كان ثمنها قليلاً بالنسبة الى هذه المخترعات الا إن ذلك لا يذكر في جانب متاعبنا ومتاعب حيواناتنا من جرِّ أثقالها بدون فائدة مع ان تلك المخترعة تعمل في اليوم الواحد بربع ما يلزم لغيرها من القوة مثلاً عملَ ذلك الغير في اسبوع او اكثر فالرغبة في رخص الآلة توجب خسائر كثيرة وتُضيع فوائد جمة لانها تستوجب كثرة الحيوانات مع ان اثمانها تبلغ زيادة عظيمة عن ثمن المخترعات وربما ماتت من ثِقل الآلات الاصليّة فاحتيج لتعويضها بغيرها ولأنها يتسبب عنها التأخير للزرع الموجب لاضرارهِ من البرد والحر والتأخير حصادهِ المسبب عنهُ عدمُ البيع في اول ظهور محصولاتهِ بالاثمان العالية هذا فضلاً عما يصرف باستعمال الآلات الاصليّة على المواشي الكثيرة وعلى خدمتها ومن يعمل في الزرع بها

وهذه الآلات الزراعيّة المعروضة قسمان قسم يديرهُ تيار كهربائي قد سبق انهُ مجلوب لها من سراي الماكينات على سلك من سلوك التلغراف وقسم تديرهُ الحيوانات فالأول موجود مشاهد على حالة الإدارة والثاني لا يُدار الاَّ في ايام مخصوصة فتنقل آلاتهُ لهذا الغرض الى مزرعة لا تبعد عن محل المعرض العام بكثير

ثم انتقلنا الى (محل أُعد للحشرات الضارة والحشرات النافعة) اما الضارة فقد اشتمل على كثير من اصنافها واما النافعة فليس منها غير اثنين النحل ودود الحرير

فالنحل غير مستعمل كثيرًا في فرنسا وهو مع ذلك معتني بهِ وآخر ما استقر عليهِ الراي في أمرهِ جعلهُ في الخلايا التي تُنقل من مكان الى غيرهِ

ودود الحرير لاقى فيها صعوبات كثيرة من أمراض مُعدية تسلطت عليهِ فكانت تُهلك شيئًا كثيرًا منهُ وكادت تأتي على آخرهِ لولا أن تُدورك بعلاج پاستُور الذي كان سببًا في شهرتهِ وموجبًا لمحبتهِ لدى الشعب الفرنساوي فتسبب عن هذا العلاج عودة هذا الدود ورجوعهُ الى حالتهِ الأُولى من الكثرة وحسن النوع والجودة

وبجوار هذا (محل أُعِدَّ لعرض حاصلات فن تكثير الأَسماك) ومناسبتهِ للزراعة من حيث تعلق كل منها بالماء

وينقسم هذا المعرض الى قسمين قسم تكثير الأَسماك في الأَنهر وقسم تكثيرها في الأَبحر وتصرف الحكومة في سبيل هذا التكثير مصاريف طائلة للاستحصال على بيض الأَسماك النافعة او النادرة من محل وجودها وتكثيرها في الأَنهر والبحيرات ومجاري المياه وشواطئ البحار لانتفاع العموم وكثيرًا ما يستعمل هذا الفن آحاد الناس في المياهِ المتسعة الموجودة في أرضهم فيجلبون اليها بواسطتهِ بيض أسماك كثيرة لاتلبث ان تكثر فيبتاعون من نِتاجها ويكسبون منهُ مالاً كثيرًا

هذا وقد انعقد (مؤتمر دولي للزراعة) في شهر يوليو الماضي وبُحث فيهِ عن

اسباب الأَزمة الزراعيَّة وطرق تلافي أَمرها والتخلص من ضررها

وحصل في المعرض فضلاً عن هذا عدة تنافسات — كونكور — بين المربّين للحيوانات توزعت فيها الجوائز على من كانت تربيتهُ أَحسن وأَفيد من تربتة غيره

اما المحال الَّتي خصصت بالمعارض الأَجنبيَّة بهذا القسم فقد تقدم الإِلماع اليها عند ذكر معارض دولها فلاحاجة الى التكرار

وها نحن قد انتهينا من قسم كيه دُورسي فننتقل في الحال الى زيارة قسم (سِپلاَنَاذ دِيزَنْفَالِيذ) ساحة دار العواجز وهو من غرائب أَقسام المعرض العام وعجائب ما يُزار فقد خصص غالبهُ بالبلاد الشرقيَّة الملحقة بفرنسا او الداخلة تحت حمايتها فامتلأَ بالقصور الشرقيَّة الفاخرة على جانبي طريق وسطي جُعل فيهِ وشيدت هذه القصور على هيئة أَحسن العمارات الأَثريَّة بالبلاد الَّتي يُراد عرض صنائعها وحاصلاتها وحوت من الداخل والخارج أَحسن ما يُعمل واكمل ما يصنع في تلك البلاد وسكنَ هذه القصورَ لحراستها أُناس من أَهل البلاد المنسوبة هي اليها لابسين ملابسهم العسكريَّة الَّتي يلبسونها في تلك البلاد ويتخلل هذه القصور أَشجار تلك البلاد ونباتاتها وزيادة على ذلك جُعل بينها انموذجات قرى وطنيَّة من قرى تلك الأَصقاع البعيدة كأَنَّما نقلتها يد السحرة من السودان او الهند او الصين ووضعتها بهذا المكان مع ما اشتملت عليهِ من اثاثات وسكان تراهم فيها يعملون اعمالهم المعتادة لهم من تجهيز الطعام وطهْيِ اللحوم خلا من بالأَسواق الَّتي عُمِلت فيها على هيئة أَسواقهم الأَصليَّة يشتغلون فيها بصنائعهم الأَهليَّة كأَنما هم في نفس الجزائر او تونس او غيرهما وخلا من يلعب منهم في الملاعب الأَهليَّة فقد انشأُوا تياترًا على طراز تياترات الأَنَّاميين ولعبوا فيهِ وخلا من يدق النوبة في

الطرقات او القهاوي وعدا من يرقص في الحانات من الراقصات والعجيب في كل ذلك أنك ترى هذه الجموع الكثيرة المحشودة وهؤلاء العملة المتعددين وهؤلاء العساكر الأجانب الكثيرين مبتهجين مسرورين فرحين من رؤية أهالي أوروبا الآتين للتفرج عليهم كما ان أهل أوروبا كذلك فالحظ متبادل والانس شامل وقد رأيت في ساعة من الزمان بواسطة ما ذكر جهات من الارض ما كان يكفي لزيارتها عمرُ الانسان ورأيت مفاخر الأبنية وعجائب الصناعة وغرائب المخلوقات من اسود واسمر وقمحي وأبيض الى غير ذلك من الألوان

واذ قد عرفتَ ما ذكرناهُ اجمالاً في هذا القسم فتعال نجتمع بصاحبنا جيجون بك عند باب هذا القسم من جهة رصيف أُورْسي الذي أتينا منهُ فنتفرج معهُ على (السكة الحديديّة الإنزلاقيّة) حسبما تواعدنا

هذه السكة شاع أمرها وانتشر خبرها وعجب لها الناس كثيرًا وخاض في حديثها القوم واشتغل بها العارفون اليوم بعد اليوم فصاروا يتوافدون عليها ويتواردون دائما اليها ليشاهدوا غرائب صنعها وعجائب وضعها

وهي تمتد مسافة مائة وخمسين مترًا وليس لعرباتها عجلات فانها تنزلق على قضبان عريضة بل على طبقة خفيفة من الماء متوسطة بين القباقيب وبين قضبان الحديد

والذي باشر إتمام هذه السكة هو المسيو "بار" من عظماء مهندسي الفرنسيس ولكنهُ ليس المخترع لها وانما اتقنها وحسَّنها حتى امكن اظهارها الى عالم الشهود ودخولها في حيز الوجود ولقد كان المهندس الايدروليكي الفرنساوي الموسيو جيرار اول من أُلقي في رُوعهِ اختراع السكة الحديديّة الانزلاقيّة في حدود سنة ١٨٥٢

فعرض فكرهُ على امبراطور فرنسا اذ ذاك فمدَّ لهُ يد المساعدة واحضر لهُ ما طلبهُ حتى وُفّق في عام ١٨٦٠ الى اتمام ما خالج خاطرهُ وحينئذٍ سارت العربات بلا عجل مدة من الزمان على سبيل التجربة والاختبار واستمر الحال بضعة شهور على هذا المنوال حتى انقدت نيران القتال بين فرنسا وأُمة الأَلمان وقد كان المسيو جيرار تحصل على رخصة انشاء سكة بين باريس وجهة أَرْجَنْتُوى من اعمال فرنسا ولكن المنية حالت بينهُ وبين ما يشتهي فانهُ اصابتهُ رصاصة اثناء المدنة فكانت هي القاضية وتوفي هذا المخترع النبيل عن ثمانية واربعين عاماً ثم كرت الايام وتوالت الاعوام حتى انقضى منها ثمانية عشر بالتمام ولم يعنَّ لاحد من الاقوام ان يقوم بإِتمام ما بدأَ بهِ ذلك الهمام

ولكن هذا المعرض جعل الافكار تنشَط من عقالها والهمم تتحرك في رجالها فاستأنف الموسيو بار ذلك المشروع وتمكن من احداث هذا النموذج الذي رأَيناهُ بمساعدة اهل المال وكان هو اقدر الناس على مراجعة العمل لانهُ صديق المخترع ومعينهُ على اظهارهِ وناموسهُ المطلع على اسرارهِ واليك خلاصة بيان النظريَّة الَّتي شرحها الموسيو بار في كراسة لهُ في هذا المعنى حيث قال ما ملخصهُ

ان الاستغناء عن العجلات أَضحى في هذه العربات امرًا طبيعياً فان العربات تستند مباشرة على قضبان عريضة جدًّا بواسطة ستة قباقيب موضوعة بازاء بعضها في جانبي كل عربة وهذه القباقيب مربعة الشكل مجوَّفة قليلاً من الجهة الَّتي تتكئ بها على القضبان وعليها ثقوب واضحة وفي وسطها ينتهي أُنبوب صغير موجود في كل عربة ومنهُ تنزل المياه المضغوطة الى ما تحت القبقاب ومتى أُطلق هذا الماء المخزون في أَول عربة من القطار الى ما تحت القباقيب رفعها بعض

مليمترات قبل ان ينفلت لأَن الثقوب تضايق مجاره بحيث ان العربة ترتفع قليلاً وتكون عائمة على هذا السطح المائع القليل ولا يكون الاحتكاك حاصلاً بين القضبان والقباقيب أصلاً وانما يكون بين هذه و بين الماء القليل وهو احتكاك لا يكاد يحس بحيث إنهُ يتيسر دفع العربة الى الأَمام بمجرد ضغط الإِبهام وعلى هذا النسق يمكن انزلاق القطار بقوة قليلة جدًّا من الجذب مع توارد المياه المضغوطة الى ما تحت القباقيب و يكون هذا الماء مخزونًا في عربة وواقعاً تحت تأْثيرِ الهواء المضغوط لكي يضغطهُ بواسطة ميزان مخصوصٍ الضغطَ اللازمَ لرفع القباقيب .

ومما تقدم يتضح أَن كل ما يُحتاج اليهِ في السكة الحديديَّة الانزلاقيَّة إِنما هو إِيدرولكي محض لا يعول فيهِ على غير الماء ولذلك استُغني عن الوابور ودفعُ العربات الى الأَمام يكون ايضاً بواسطة الماء وذلك أَنهُ يوجد في وسط الخط في مواضع معلومة حنفيات صغيرة متصلة بما سورة مياه وهذه الحنفيات تنفتح وتقذف كميَّة من المياه بقوة على سطح أُفقي فتصدِم الواحًا كثيرة موضوعة بالطول في اسفل كل عربةٍ فليس على سائق القطار الاَّ ان يفتح حنفياتٍ على مسافةٍ ما فتندفع العربة الأُولى من مصادمة المياه لها فانها تؤَثر على محل المجلات ثم تمر العربة الثانية هكذا والثالثة وهلم جرًّا حتى يمر القطار كلهُ مدفوعاً بالماء ومتى مرت العربات قُفلت الحنفيات من نفسها ولا يكون في الحقيقة سوى حنفيتين إِحداها متجهة الى الامام وتستعمل في حال الذهاب والأُخرى بعكسها في حال الإِياب و يوجد على الخط ماسورة أمٌّ لملء الحنفيات

والقطار الموجود بالمعرض مركب كلهُ من خمس عربات إِحداها للمناورات والبواقي للركَّاب ولهذا الطرز من السكة الحديد منافع جمة وفوائد مهمة فمنها منع

الاضطراب ومنها حصول الراحة والسكون كأن الإنسان على المركبة التي تسير في البلاد الباردة فوق الثلج والجليد ومنها انعدام الغبار والدخان والضجة التي تكون في العربات المعتادة ومنها قلة الآلات والأدوات وخفة الأعمال الصناعية ومنها عدم الاحتياج الى الشحم وحذف مصاريف صيانة العجلات واللوالب وغيرها واقتصاد مصاريف الجذب ومنها امكان التوصل الى قطع المسافات البعيدة في المدة القصيرة فقد كان المسيو جيرار لايخشى النكير ويقدر امكان قطع مائتي كيلومتر في الساعة الواحدة

والذى يراهُ العارفون أن استعمال هذا الطرز يكون على الأوجه الآتية

اولاً في جميع البلاد متى كان الغرض قطع مسافة طويلة من غير وقوف في الطريق وتكون السرعة من مائة وخمسين كيلو متر الى مائتي كيلو متر في الساعة الواحدة

ثانياً في البلاد الجبلية التي يوجد بها منحدرات المياه الطبيعية اعني الكثيرة العيون والينابيع فانها تكفي لإحداث الدفع المطلوب او التي يكون بها عقبات وانحدارات لايتسنى للسكك الحديدية المعتادة اجتيازها

ثالثاً في جميع السكك الحديدية المعروفة بسكك الجبال التي يكون استعمال العجلات فيها سبباً في حصول المصائب العظيمة والحوادث الخطرة في غالب الأحوال

ففي هذه الحالة يمكن الاستغناء عن الدفع الإيدروليكي الذي يكون بواسطة الماء ويستعاض عنهُ بالجذب بالحبل ولايستعمل حينئذٍ الاّ الانزلاق وهو يكون بالسهولة مع تمام السلامة وكمال الأمن فاذا انقطع الحبل يكفي حجز الماء عن

القباقيب فيقف القطار مع الطمأنينة المطلقة الى اربعمائة وخمسين ملليمتر في كل متر

رابعاً في نقل الأجسام الثقيلة الّتي لا يمكن تجزئتها ففي هذه الحالة يستعاض عن الدفع المائي بالجذب الميكانيكي ولكن الأنزلاق لايزال لازماً إنما يكون تركيب العُدد والآلات بكيفيّة مخصوصة بجمع القوى وتوزيعها على الوجه اللائق حتى يتيسر الحصول على الغرض المطلوب

وإن مثل هذه الطريق لا تستلزم عناية خصوصيّة مطلقاً وذلك لأنهُ ليس من ضرورة في ابقاء جملة القضبان على سطح أُفقي واحد فان القضبان يمكن تغيير مستوَياتها وانحرافها بالنسبة لبعضها وفي ذلك من المنافع الجمّة الّتي لا يمكن نوالها من العربات ذوات العجلات وفضلاً عن هذا فان بتلك الطريقة يتسنى حل مسألة نقل الاجسام العظيمة الجرم الّتي تتجزأ مثل المدافع ذوات العيار الكبير الّتي يحتاج لاستعمالها في الدفاع عن السواحل والقلاع والسفن المختلفة الاحجام ونقل السفن الكبيرة يكون بواسطة هذه الطريقة في حيضان الموانى ومخازن التجارة البحريّة الّتي لا ماء فيها من غير ان يحصل لها ادنى خطر

خامساً بدل السكك الحديديّة المعتادة الّتي تستعمل تحت الارض في المدائن الكبيرة

سادساً في الطرق الحديديّة العلويّة الّتي تكون في المدائن الكبيرة ايضاً لانها في هذه الحالة لا يلزم لها الأكباري معدنيّة يكون ثقلها اقل من الكباري التي تلزم للسكك الحديديّة المعتادة مرتين او ثلاث مرات نظراً لخفة موادّ هذه وحينئذٍ يلزم تجهيز الاعمدة الّتي تتكئ عليها الكباري بحيث تكون مخازنَ للضغط

وتوضع جميع جهازات الدفع في مظاريف خاصة بها لمنع تأثير الجليد عليها وذلك اذا لم يستعمل ممزوج الجليسرين وفضلاً عن هذا فان عدم الضوضاء والدخان تكون من أفيد الامور للسكان القريبين لهذه الطرق التي تكون في الجوّ سائرةً فوق رؤوسهم

هذا وان استعمال هذه السكة وشيوعها لا بد ان يتم عن قريب فيكون لها في العالم شأن عجيب وتكثر بسببها وجوه الافادة والاستفادة وتنفجر ينابيع الرفاهية والسعادة فيرد منهلها الصافي جميع الانام والمورد العذب كثير الزحام

ولنودّع الآن صاحبنا جيجون بيك شاكرين له حسن اعتنائهِ ولنترك هذه السكة الانزلاقية للناس يتمتعون بالتفرج عليها فقد حجبهم عنها مكوثنا مع صاحبها بعض الوقت يفسّر لنا فيهِ عملهُ ويفصح لنا عما يؤملهُ في مستقبلهِ والناس اثناء ذلك قلقون من الانتظار على ابواب الدخول (١) ولنشرع في زيارة معارض سِبِلاَنَادَ دِيزِ نقالِيد فنبتدئ من حيث نحن في السكة الإنزلاقيّة بجوار نهر السين فأول شيء ندخلهُ على جهة اليسار

سراي الجزائر

وما أدراك ما الجزائر قارة من افريقيّة امتداد أرضها ٤٧٨٠٠٠ كيلو متر مربع وامتداد شطوطها على البحر الأَبيض المتوسط ١١٠٠ كيلو متر يحدّها من الغرب مملكة مراكش ومن الشرق اقليم تونس ومن الجنوب الصحراء

وتنقسم هذه القارّة الى اقاليم ثلاثة اقليم أوران واقليم الجزائر واقليم قسنطينة

(١) اخبرني بعد عودتنا الى مصر سعادة النبيل تيكران باشا ناظر الخارجية انهُ كان مع المنتظرين خروجنا لأجل الدخول بهذه السكة للتفرج عليها اه

وبها من السكان ٣٣٥٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٧٠٠٠٠ من الفرنساويين الأصليين ومن الذين تجنَّسوا بالجنس الفرنساوي و ٢٨٥١٠٠٠ من المسلمين و ١٩٠٠٠٠ من الأجانب منهم ١١٢٠٠٠ إسبانيوليون و ٣١٥٠٠ طليانيون و ١٥١٥٠ ماطيُّون و ٣٨٠٠ المانيون وعاصمة هذه القارة مدينة الجزائر

وقد اعتنى في تشييد سراي هذا المعرض اعتناء شديدًا فجعلت وِجهتها الأَصليَّة على هيئة وِجهة مسجد سيدي عبد الرحمن بمدينة الجزائر وقبتها المرتفعة كقبتهِ ومنارتها على شكل منارتهِ وبابها على مثال محرابهِ مصنوعًا بالقيشاني اللطيف

ويدخل اليها من دهليز متسع جُعل على هيئة صحن ذلك الجامع مكشوفًا من وسطهِ تحيط بهِ أَلونة مسقوفة على قواصر معقودة وجُعل في وسط الصحن صورة مجسمة تُمثّل الجزائر

وعن يسار هذا الصحن قاعة أُعدت للرسومات عُرضت فيها أَعمال الرسامين الذين اشتغلوا بالجزائر فرسموا اسماءها وصوروا ماءها ومساكنها وعوائدها وأَهلَها من نساء ورجال وشيوخ واطفال

وعن يمين الصحن تجاه الداخل قاعات كبيرة منها ثلاثة أُعدَّت للأَقاليم الجزائريَّة الثلاثة المتقدمة ومنها قاعة جعلت للاستقبالات الرسميَّة عملت على الطراز الوطني المستعمل في مساكن الاكابر من تلك البلاد منقوشة بالقيشاني ملونًا زجاجها بالأَلوان البديعة مرسومة جدرانها بالرسوم الشرقيَّة الغربية وسقفها بالتذهيبات العجيبة ممتلئة من الكراسي المزركشة والمخدات المفضضة المذهبة والفِراء المصبوغة والطنافس الأَهليَّة والبسط الوطنيَّة والأَواني الصينيَّة الحقيقيَّة

حتى يخيل للزائر انهُ في أحد مساكن الأُمراء الشرقيين الاكابر وقلةُ النور في داخل هذا المحل وعدمُ كثرتهِ فيهِ تزيدهُ مهابة واجلالا وتكسوُه أُبهَةً وجمالاً

وقد جُعل في احدى جهات هذه السراي الفاخرة شارع اشبه بشوارع مدينة الجزائر يعمل فيهِ الصناع على اختلاف صنائعهم جالسين جلستهم المعهودة على الأَرض مستعينين في اعمالهم بايديهم وارجلهم فيجهزون أُدوات الأَقمشة وينسجونها ويُهيئون الجلود ويُفصِلونها ويصنعون الأَحذية والأَحزمة ويطرزونها ويعملون الأَسلحة والسجاجيد وسائر أَعمال الخرط والنجارة التي يأْلفونها

أَما قاعات الأَقاليم فقد حوت كثيرًا من خيراتها الزراعيَّة والصناعيَّة والمعدنيَّة على اختلاف اشكالها وتعدد اصنافها وحسنها وفي وسط احدى هاتهِ القاعات معرض شركة زراعيَّة تأَلَّفت لإِصلاح ارض الصحراء وجعلها صالحة للزراعة عرضت فيها كثيرًا من الآلات التي تستعمل لاخراج المياه من أَعماق الصحراء وما يلزم لهذه الآلات كما عرضت كثيرًا من حاصلات النخيل الذي غرستهُ فيها وسائر ما يصنع منهُ على تعددهِ وتحسينهِ والاعتناء بهِ وعرضت غير هذا جداول احصائيَّة كثيرة يستدل منها على تقدمها وحسن مستقبلها وأَحضرت غير هذا رسومات كثيرة رسمت فيها بعض جهات الصحراء الأَصليَّة على الحالة الرمليَّة وأَرضها المحرقة وشمسها المزهقة ثم في مقابلة هاتهِ الرسومات رسوم اخرى ترى فيها حالة الواحات التي احدثتها بها وما صارت اليهِ من البهجة وآلت اليهِ من الرونق حتى وصل النخيل الذي غرستهُ في احداها ٥٠٠٠٠ نخلة

وحول هذه السراي زُرعت النباتات الجزائريَّة وغُرست الأَشجار الأَهليَّة والازهار اللطيفة والنخيل الظريفة حتى يخال للانسان انهُ في تلك البلاد فانهُ

ان دخل الى الداخل وجد الكثير من الجزائريين وان خرج وجد الاشجار التي ذكرناها والخضرة الخاصة بتلك الجهات فان استمر في السير فيها الى الأمام صادفته القهوة الجزائرية فيسمع فيها الأناشيد الاهلية والموسيقي الوطنية ويرى الراقصين والراقصات من اهالي تلك الجهات — ثم بعد التفرج على هذه السراي انتقلنا الى

سراي المعرض التونسي

وقد جُعلت بجوار سراي المعرض الجزائري المتقدمة واعتنى في أمر بنائها كل الاعتناء وعملت ايضاً على الطراز الوطني فجعلت وِجهتها على هيئة وِجهة قصر البارذُوا الخاص بالباي في تونس وجهاتها الباقية على هيئة سوق الباي وقصر الباي وزويرة سيدي ابن عروس في تونس وبعض آثار القيروان وجعلت سقفها في النقوش والهيئة والتذهيب والزخرفة على طراز سقف دار الباي في تونس والقيروان

وفي وسط الوِجهة جُعل الباب الذي يُدخل منهُ وقد عمل على طراز باب جامع سيدي عقبة تعلوهُ قبة عالية فاخرة البناء

اما نفس الابواب الخشبية فقد صُنعت في تونس على طراز الأبواب التونسية فعُملت من ألواح مستطيلة متقنة النقش مرسوم عليها الرسوم اللطيفة بواسطة المسامير الكبيرة ذات الرؤوس البارزة المحكمة الصنع الشبيهة بأبواب الوكائل القديمة عندنا

وتنقسم هذه السراي الى ثلاثة اقسام محيطة برحبة داخلية مكشوفة الأمن جوانبها فإنها مغطاة بسقف مرفوعة على عمد لطيفة الأول منها وقد جُعل في

القاعات التي على يمين الداخل خصص بالحاصلات الزراعية والثاني وقد جعل في القاعات التي على يسار الداخل خصص بالحاصلات الصناعية على اختلافها وبما يتعلق بالأشغال العمومية والثالث وقد جعل في مقابلة الداخل خصص بالفنون المستظرفة وفن الآثار العتيقة

وقد احتوت هذه الأقسام مع حسن الترتيب وكمال النظام على كثير من الحاصلات كما اشتملت في قسمها المختص بفن الآثار العتيقة على نفائس من هذه الآثار منقولة بالجبس من الآثار الأصلية

وجُعلت في المعرض قاعة مخصوصة بعرض المصنوعات الأهلية من الملابس والفرش فعملت على هيئة مسكن أهلي حوى أنفس ما يُصنع بالبلاد من الفرش والأثاثات وصُورت فيهِ اشخاص مجسمة أُلبست احاسن الثياب لترى هيئة الملابس

وبُنيت تجاه وجهة هذه السراي المقابلة للسراي الجزائرية سوق تونسية تقليداً لاحد الأسواق التونسية فعملت معقودة السقف ضيقة الاتساع مشتملة على ستة وعشرين دكاناً فيها من جميع الصنائع التونسية والصناع من نجار وحلاق وصاحب قهوة وخرّاط وخياط وصائغ وحبّاك الى غير ذلك من سائر أصناف الصناع حتى الكاتب وقد وجدنا حولهُ بعض الفرنساويين وغيرهم من الأوروبيين وهو يكتب للواحد اسمهُ بالعربي في مقابلة عشرة سنتيمات قيمتها خمس عشرة فضة بالعملة الصاغ فتأملتهُ فاذا هو أحد من كان معي بالمدرسة التجهيزية منذ تسع عشرة سنة وقد خرج منها من ذلك الوقت الى حيث لا أدري ولم أرهُ الا مرة من نحو عشر سنوات وكان أحضر لسيدي الوالد جزءًا من منتخبات الجوائب ارسلهُ اليهِ صاحبها المرحوم احمد افندي فارس بواسطتهِ وأعلمني في ذلك الحين انه

قضى تلك المدة الماضية بالاستانة ودخل مدارسها وشرع في تعلم الطب بها ولكن حالت دون اتمام ذلك أحوالٌ اضطر بسببها الى ترك هذا الطريق وأخذ بعده في كثير من الصنائع دون أن يتم واحدةً منها حتى عاد الى مصر لعله يجد طريقة للتعيش وقد انقطع عني من ذلك الحين حتى رأيتهُ الآن فأخبرني انهُ لم يَطُلْ مكثهُ بمصر وحسن لهُ بعض الناس السفر الى بلد غيرها فقصدها ولم يزدد حالهُ الا نحسا وعيشهُ الا عكسا فتركها الى غيرها وما زال ينتقل من مكان الى مكان لا يقرُّ لهُ قرار حتى الآن وانهُ ناوٍ بعد ذلك على الرحيل الى بلاد بعيدة أبعد من التي سافر اليها لعلهُ يجد فيها من العيش ما لم يعثر عليهِ الى هذا الوقت

فتركنا هذا السوق وفي النفس تأثر لهذا الصاحب القديم وقد عضهُ الدهر بنابهِ ورماهُ بعظيم أوصابهِ وفرّق بينهُ وبين عشيرتهِ وأحبابهِ وما نالهُ من كرور الزمان الأكبرُ مُصابهِ واحببنا التخلص من هذا التأثر بالتنزهِ في البساتين الزاهرة التي أحاطت بالسراي التونسيّة منقولة ازهارها واشجارها من بلادها الأصليّة معمولة على نموذج أحسن المنتزهات عندهم وفي طرف منها قهوة تونسيّة فيها نساء تونسيات ممسكات بمناديل حريريّة يرقصن بها على صوت آلات الطرب والغناء والموسيقي الأهليّة

ثم بعد تفرجنا على معرض الجزائر وتونس انتقلنا الى (معارض المستعمرات الفرنساويّة وباقي البلاد التي تحت الحماية) وجميعها بجوار المعرضيْن السابقين وقد بُنيت بعض سرايات لبعض معارض خصوصيّة كمعرض أنام وتونكين بُني لهما سراي بالقرب من السراي التونسيّة ومعرض كُوشَنْشين بنيت لهُ سراي ايضاً وجُعل بينهما سراي سُمّيت بالسراي الوسطية خصصت بمعارض المستعمرات

والبلاد الّتي تحت الحماية الفرنساويّة ولم تُبْنَ لها قصور خصوصيّة ويتخلل هذه السرايات قصور لبعض معارض اخرى وحدائق ومنتزهات وراءها كثير من القرى الأَجنبيّة كالقرية السّنِجالِيّة والكالِيدُونِيّة والكوشَنْشِينيّة والجاويّة مما سيأتي الكلام عليها فتشغل هذه السرايات والقصور المشيدة والقرى المديدة مع معرضي الجزائر وتونس الضفة اليسرى من ساحة قسم أَنْفالِيدْ أما الضفة اليمنى فقد خصصت ببعض معارض المصالح الحكوميّة والجمعيات العموميّة يفصل بينهما الطريق المتسع الذي ذكرناه آنفاً

والمستعمرات الفرنساويّة الّتي اشتركت في هذا المعرض من افريقيّة سوى الجزائر هي سِنِغَال وجابُون والكُونغُو وجزيرة رِيُونيُون وأُوبُوك وغير ذلك ومن آسيا الكوشنشين او الهند الصيني والبلاد الفرنساويّة في الهند ومن الجزائر الأُوقيانوسيّة كاليدونيا الجديدة وتاِيتي وجزائر پاسيفيك وماركيز ومن امريكا جُوِيّانْ الفرنساويّة وأَنْتِيل وسَانْ پِيِيرْ وميكْلُون

واما البلاد الّتي تحت الحماية وقد اشتركت في المعرض سوى تونس فهي كامبوج وأَنَّام وتونكين ومادَاغَشْقَر

وقد بدأْنا في التفرج (بالسراي الوسطيّة) فدخلناها وهي بَنِيّةٌ طولها ٧٣ متراً عبارة عن رحبة تحيط بها قاعات فسيحة دائرة

والسراي في حدِّ ذاتها لم تُعمل على طراز مخصوص لعدم اختصاصها بجهة بل أَراد منشئها جعل بنائها مشتملاً على طرازات شرقيّة مختلفة كالهنديّ والصينيّ والجزائري ومع ذلك صيَّر هذه الطرازات المختلفة باجتماعها في غاية التناسب واللطف وجعل لونها تغلب عليهِ الحمرة فجاء غاية في الظرافة وبنى لها قبة عظيمة

فوق بابها الأَصلي الذي يُدخل اليها منهُ ارتفاعها خمسون مترًا بكل جهة من جهاتها الأَربعة برج وبآخر البناء من كل جهة منهُ برج ايضاً فصارت السراية ذات بروج متعددة وقبة تتخلل بروجها نوافذ كبيرة تعلوها سُقُفٌ هرمية الشكل حمراء ايضاً

وقد عُرضت في القاعات حاصلات البلاد المستعمرة التي ليس لها معارض خاصة بها كما تقدم وصار تقسيمها بحواجز تفصل معروضات كل بلد عن معروضات البلد الاخرى فحوت من غرائب هذه البلاد البعيدة وبدائعها ونفائس موجوداتها وصنائعها ما يلزم لتدوينهِ كتب مطوّلة ومن أَسلحتها وحرابها وحيواناتها وهوامّها شيئاً لا يحصى فضلاً عما ضمتهُ اليها الحكومة الفرنساوية من النتائج الاحصائيّة والخرائط الجغرافية والجداول التي تُبين ما صنعتهُ فيها من الأَعمال النافعة العموميّة

وفي وسط رحبة السراي شكل هَرَميّ من الخشب مرتفع وضعت عليهِ صور الآلهة التي تُعبد في تلك البلاد المختلفة مجسمة من الحديد والبرونز والجبس والخشب على حسب أَصلها فياللعجب لغرابة هذه الآلهة المقدسة لدى معتقديها المحترمة عند عابديها فكم قُرِبَتْ لها منهم القربان وأُسيل في ارضائها الوهمي من دم الإِنسان على فظاظة تراكيبها وبشاعة مناظرها واساليبها واختلافها في الشؤون بين تعدد رؤوس وقرون وفظاعة الهيئات واللِّحى والأَجسام وغرابة الأَلوان والأَشكال في هذه الأَصنام

وأَمام هذه السراي بركة ماء متسعة فيها زوارق من زوارق تلك البلاد أُخذت من الاشجار على حالتها الاصليّة وحُفرت بحرق النار يسير بها في الماء بعضُ اهاليها على اختلاف اشكالهم وهيئاتهم وأَلوانهم وملابسهم

ثم دخلنا (سراي كوشنْشِين) واول شيء يستلفت أَنظار الوارد الى هذه

السراي غرابة سقفها وذلك ان تلك البلاد لها عناية بالسقف وجعلها بكيفية مخصوصة على غير ما عهدناه فسقف هذه السراي مركب من سبعة سُقُف فوق بعضها منقوشة حواشيها بالنقوش اللطيفة ملونة بالألوان الظريفة منفصلة عن بعضها تمام الانفصال تحملها عمد ترتكز عليها منقوشة بالألوان واشكال الصور الحسان والأزهار والطيور والفرسان

ولم يُلتزم في هذا السراي شكلُ بناء مخصوص أو شكل محل معلوم وانما جعل نموذجاً للعمارات الدينية والبنايات الأميرية في تلك البلاد نُقلت اليهِ احاسن أشكالها ومحاسن هيئاتها وان كانت تغلب عليهِ هيئة الهياكل اكثرَ من هيئة قصور الأمراء

وقد صُنعت اخشابهُ بمدينة سَايجُون حيث صنعها عمال وطنيون وأتى بها بعضهم الى هنا فركَّبها ولوّنها بهذه الألوان والنقوش البديعة على مرأى من الجميع

فإذا دخل الانسان من الباب الكبير وجد رحبة فسيحة في وسطها حياض أُعدت لتربية الأسماك وتنميتها بالطرق الصناعية تتخللها النباتات المائية وتحتاط بها الأواني الصينية اللطيفة المصنوعة في تلك البلاد مملوءة بالنباتات منقوشة بأحسن النقوش

ويحيط بهذه الرحبة كثير من القاعات في الوسطية منها اشياء متعلقة بالأديان من صور وتماثيل آلهة وأصنام يحيط بها نفائس كثيرة من مصنوعات البلاد الفنية وفي غير الوسطية عُرضت حاصلات البلاد من زراعية وصناعية تحوت جميع الأصناف من الأسلحة وآلات الموسيقي والأسرّة على لطافتها ورقتها والملابس على اختلاف اشكالها وأدوات التعليم على كثرتها للذكور وللإناث

والخيزران ومصنوعاتهِ العديدة والأخشاب واعمالها العجيبة حتى نموذجات السفن صغيرها وكبيرها والفواكه والدخان والبن والنيلة والأرز الى غير ذلك من الحاصلات الزراعية والصناعية

ثم دخلنا (سراي أنَام وتُونكِين) وقد استعملت الاخشاب فيها اكثر من استعمالها في التي قبلها وذلك لقلة الأحجار في تلك البلاد بحَسَب بُعد الجبال عنها ومشقة النقل منها اليها فلا تُستعمل الأحجار الاَّ في بناء الهياكل وقصور الملوك ويُستعاض عنها اخشاب غاية في الصلابة والمتانة لا تتأثر من الرطوبة كما يُستعاض عنها الآجرّ والجبس واشجار الخيزران وخليط يعمل من الكلس والرخام وقد جاءت هاتهِ السراي اكثر نقشاً وأحسن رقشاً وازيد زينة وزخرفة من التي قبلها وعُملت على الطراز الأنَاميّ والتونكينيّ الكثير الشبه بالطراز الصيني في العمارات حتى يُظن أن العمارة فيها أُخذت من الصين

وشيدت هذه السراي على انموذج الهياكل المخصوصة بالعبادات "بَاجُود" صنعها ونقشها عمَّال من أنَام وتُونكين استحضروا من مدينة سَايجُون فاشتغلوا بعملها أشهراً طويلة حتى أوصلوها الى ما هي عليهِ من الإتقان ثم بقِي منهم بعد ذلك من يحرس ما فيها من الحاصلات والمصنوعات

وهؤلاء الأقوام قصيروا الأجسام مَثَلُهم كمثل مجاوريهم من سكان الهند الصيني وجميع الصينيين وهم أشبه بالقرود في قبح الوجوه وبالنساء في طول الشعر وضفرهِ وسعة السراويل وتلوينهِ وخلو الوجه من الشعر لحية وشارباً فهم جرد مرد ذوو أقفية عريضة وأسنان سود من كثرة مضغ التانبول فيجتمع للتفرج عليهم الزائرون في المعرض من كل جانب خصوصاً حينما يشتغل الصانع منهم بصنعتهِ

فانهُ يعجبهم صبرهُ على العمل ومهارتهُ فيهِ واستعمالهُ جميع اجزاء جسمهِ في عملهِ ويعجبهم دقة أدواتهِ

وفي وسط هذه السراي رحبة متسعة بها تمثال "بُودَهْ" مجسماً على شكلهِ الموجود بمدينة هَانُوِي وهو من أحسن اصنامهم صنعاً

وبمحيط هذه الرحبة قاعتان كبيرتان طول الواحدة منهما ٢١ متراً وعرضها ثمانية أمتار تصلهما ببعضهما قاعات اقل منها اتساعاً وصُنع في اثنين منها تماثيل كبار الموظفين الانَّاميين مجسمة ووضع في باقيها كثير من المصنوعات من أسلحة وحُرَب وسفن ونقوش وصور ورسومات وفضيات وذهبيات وحليّ ومصوغات ومراوح وحرائر وبسط وحصر وأواني من الصيني والبرونز ثم الخيزران بجميع ما يعمل منهُ في الاستعمالات المنزليَّة والعُدد والأدوات والآلات الصناعية ثم آثاثات المنزل ولوازم فرشهِ مصنوعة من الخشب ثم التوابيت المعدَّة للأموات فان اهل هذه البلاد شديدو الشغف بها وباقتنائها حتى ان الابناء يهُدون منها للآباء اما الحاصلات الزراعيَّة فنخص منها الرامية وقد نجحت في هذه البلاد نجاحاً عظيماً تسبب لها في خيرات جمة كنا نود ان يكون في بلادنا كذلك اذ زُرعت فيها ولم تنجح هذا النجاح

ثم انتقلنا الى (معرض كامبوج) المبني على شكل هيكل "أنقروات" وكامبوج هذه مملكة من ممالك الهند الصيني تحت الحماية الفرنساويَّة سكنها في السابق اقوام بلغوا الذروة العليا في التقدم والتفنن كما تشهد بذلك آثارهم العديدة وأبنيتهم الفائقة المشيدة ولكنهم انقرضوا لأسباب لم نتأكد حقيقتها وخلفهم هولاء الحاليون ويدَّعون انهم من نسلهم

ومن ضمن آثار القدماء هيكل أنقروات العظيم الاتساع العالي البناء وقد دلّت بعض الكتابات الّتي عُثر عليها في بعض جهاتهِ أنهُ قبل المسيح بمائتي عام ويشغل مسطحهُ اكثر من ٦٠٠٠ متر مربع يحيط بهِ خندق عرضهُ مائتا متر ولهُ برج ارتفاعهُ ثمانون متراً

وقد اجتهد من شاد بناء هذا المعرض الكامبوجي في نقل بعض هيئة هذا الهيكل فأخذ طوابع كثيرة بالجبس من نفس الهيكل الأصلي وطوابع مما اودع منهُ يبعض المتاحف وشاد هذا المحل على هيئة أحد أبواب ذلك الهيكل الجسيم وجعل فوقهُ برجاً كبرجهِ انما ارتفاعهُ نصفهُ وهو ار بعون متراً فجاء بناء فاخراً وأثراً عظيماً دلَّ على ما كان لهؤلاء القوم من سالف القوة في الأعصر الخالية ووَجَّه الأنظار الى استطلاع آثارهم والوقوف على اخبارهم فقصدهُ زائرو المعرض من كل فج يتمتعون بمنظرهِ وينزهون الطرف في بهجتهِ واطافتهِ

وقد جعل برجهُ على شكل بديع فركّب من سبع طبقات هرميةً تعلو الواحدة منها الأُخرى حتى تنتهي الى ذروة عالية وكل طبقة من هاتهِ الطبقات معمولة على هيئة مظلات كأنها جُعلت لتمنع حرارة الشمس عن هذا المعبود الذي شيد الهيكل برسمهِ وتُظل بظلالها هذا الإِله الذي أُقيم لتمجيد اسمهِ وقد حوت هذه المظلات والطبقات كثيراً من أحاسن الصور والرسوم ورُسم حوالي كل مظلة منها صور ثعابين الواحد منها لهُ مائة رأس

واشتمل هذا الهيكل من الداخل على كثير من التماثيل المنقولة من نفس الهيكل الأصلي مجسمة بالجبس او منقوشة بالتصوير على حسب وضعها هناك

واذ دخلناهُ وجدنا بها اصنافاً كثيرة من مصنوعات تلك البلاد ومزروعاتها

قد أُحسنت رصاً وأُجيدت صفاً فدلت على عود روح العمران الى هذه البلاد وأَنهم ان داوموا على هذا الاجتهاد حصلوا على مجد الاجداد

ثم انتقلنا الى (القرى والضياع الاجنبيّة) وما يتخللها من الاماكن وكنا ذكرنا أَن وراءَ قصور المعارض السابقة قرى وضياعاً كثيرة بُنيت على هيئتها الاصليّة يسكنها عالم من أَهلها الحقيقيين لابسين ملابس بلادهم مشتغلين بأَعمالهم المعيشيّة فيها فيتخيل الإِنسان أَنهُ في احدى تلك القرى الوحشيّة بين خلائقها الهمجيّة

فهذه (ضيعة من ضياع سنغال) بأَفريقية بُنيت حوالي برج مماثل للأَبراج الحربيَّة الّتي شادها الفرنساويون في تلك الجهات اما البرج فبناءٌ ذو طبقتين من الابنية العادية سقفهُ معلق بهِ الراية الفرنساويَّة وبالبناءِ نوافذ يدخل منها الضوءِ وتستعمل وقت قيام الحرب وقد أَوجدوا كثيرًا من هذه البروج في جهات مختلفة واستعانوا بها كثيرًا واما الضيعة فمساكنها على الحالة الهمجيَّة الأَصليَّة مصنوعة من القش والطين مستديرة الشكل هرميَّة السقف مستديرتها ايضاً وبهذه الضيعة جميع المصنوعات والصناع الوطنيين من صائغ وحائك وصانع عصي من الخيزران وغيرهِ مما يستعمل عندهم هذا والموسيقى الوطنيَّة ذات الأَصوات المزعجة تسير في وسط القرية حيث لا ظل ولا شيءَ يقي من حرّ الشمس وحيث يحجب نظر الانسان عن غير القرية سور عال من القش فيرى نفسهُ كانهُ في احدى قرى سنفَامبيا الحقيقيَّة تحيط بهِ نساؤُها ورجالها واطفالها بملابسهم الّتي لا تكاد تستر أَجسامهم لولا التشديد من طرف الحكومة الفرنساويَّة

وهذه (مساكن مداغشقر) الاهليَّة على حالتها الأَصليَّة

وهذا (الفندق الأَنَّامي) وراءَ السرايـ الانَّاميَّة جعل بناؤُهُ على هيئة

الفنادق الأنامية ظاهراً و باطناً لكن لم يوجد بهِ من مآكلهم العادية شيء لعدم الرغبة فيها فإنها عبارة عن اسماك منتنة و بيض متعفن ولحوم كلاب مشوية وغيرها مما تعافهُ النفس

وهذا التياترو الأنامي هيئ على شكل ملاعب تلك البلاد ويسع خمسمائة نسمة من المتفرجين فيرون غرائب الألعاب من عجائب المخلوقات وقد مرّ خلوها من الجمال على كل حال

وهذا (قصر معروضات جُوادِ يلُوپ) بما حواهُ من الأصناف والحاصلات الزراعية والمعدنية واخصها معمل تكرير السكر وعمل الروم

وهذه النباتات التي تنبت في المستعمرات الفرنساوية وقد عملت لها اماكن مغطاة بالزجاج تمدها بالحرارة اللازمة لها

وهذا (محل من محلات الاتجار) التي انشأتها فرنسا في بعض بلاد افريقية جعل انموذجاً لمحلات الاتجار الاوروبية التي يقيمها الاوروبيون في البلاد المتبربرة فيجعلون فيها ما يروج عند أهليها من البضائع فيستبدلونها منهم بما عندهم من الحاصلات

وهذه (ضيعة من أعمال كاليدونيا الجديدة) المخصصة بارسال المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة اليها رأينا فيها محلاً على هيئة مساكن المحكوم عليهم وهم يُعطون في تلك الجهات ارضاً يزرعونها فتزاد لهم ويزاد في حريتهم من الادارة هناك كلما رأتهم مستمرين على حسن السلوك والاستقامة

وهذا (قصر الاستعلامات التجارية) وقد جُعل بجانب هاتهِ المعارض الاستعمارية يجد فيهِ الطالب انموذجات من جميع اصناف الحاصلات الأجنبية

الّتي تُجلب الى المستعمرات الفرنساويّة مع بيان اثمانها وكيفيّة ارسالها وانموذجات من الحاصلات الّتي ترسل من المستعمرات الى فرنسا لاستعمالها فيها وصنعها بها ونموذجات من البضائع الّتي ترسلها فرنسا لتالك المستعمرات واستعلامات كثيرة تتعلق بما ذكر

هذا ما رأيناهُ مما يتعلق بقرى المستعمرات الفرنساويّة وقد شيد بجانبها (قرية من قرى بلاد الجاوه) احدى المستعمرات الهولانديّة فتفرجنا عليها ورسم الدخول فيها خمسون سنتيماً على ما تذكر

وقد تعهد بتشييد هذه القرية المسيو "برنار" وهو من أغنياء فرنسا أقام في بلاد الجاوه ثماني عشرة سنة وعرف كل ما هم عليهِ من الأخلاق والعوائد والطباع فاحضر منهم الى المعرض ٦٠ شخصاً وبنى لهم أكواخاً على طراز قراهم معمولة جميعها من الخيزران محمولة على قوائم من خشب ترفعها عن الأرض لتقي من بها شر الحيوانات الضارّة وجُعل فيها محلاً لاستذاقة الأشربة يقصدهُ من أراد الوقوف على حقيقة مشروبات هذه البلاد ومحلاً لصناعة القلانس المتخذة عندهم من اشجار الخيزران تُصنع أمام المتفرجين ومحل طباخة تشتغل فيهِ طابخة بتجهيز الأرز الذي هو طعامهم المعتاد وباقي الأكواخ يسكنها الرجال والنساء والاطفال يشتغلون في داخلها وخارجها أمام المتفرجين بأعمالهم المعاشية من تجهيز الأطعمة واللوازم المنزليّة ولاملابس تستر جميع أجسامهم بل لا يسترون الاقسماً خاصاً منها ببعض الأقمشة اعطاهُ لهم من نظم هذه القرية محافظة على الأدب الزمهم بلبسهِ بدلاً عما اعتادوهُ من الملابس الرقيقة الشفّافة الّتي لا تحجب فكان لبسهم لهذه الملابس الثخينة على شدة كراهةٍ منهم لها حتى اذا انصرف عنهم المتفرجون خلعوا هذه ولبسوا ما اعتادوهُ من باب ارتياح النفس الى ما ألِفتهُ واعتادت عليهِ

أما موسيقى هؤلاء الجاويين وقد حضر أحاسن صناعهم بآلاتهم البلديّة الى هذه القرية ومعهم الراقصات متحليات بالحلي والملابس الحريريّة متوشحات بالأرديّة الرقيقة البهيّة فما في هذه الموسيقى البربريّة من الشدة والدبدبة الغير المألوفة يُجبَرُ بما لهاتِهِ الراقصات من اللطف ورشاقة القد واعتدال القوام وتناسب الأعضاء وحسن الوجوه وجمال تركيبها ولطافة العيون وظرافتها وخفة حركاتهنّ في حال الرقص وان كن سُمْرَ الألوان لكنها لا تشينهنّ بل ربما كانت مستحسنة لدى كثير من الناس

هذا والسائر في هذه القرية وما جاورها من القرى والمساكن المعمورة بهؤلاء الأقوام يرى نفسهُ كأنَّهُ سائر في أنحاء الأرض القاصية البربريّة متنقل من أفريقيّة الى أسيا ومنها الى أمريكا مخالط اشخاص جهاتها المختلفة ناظر مساكنهم داخلاً وخارجاً مطلع على احوالهم المختلفة العادات مشاهد نساءهم ورجالهم واطفالهم مستمع نغمات أناشيدهم وموسيقاتهم عارف كيفيّة مآكلهم ومشاربهم وذلك كلهُ في بعض ساعات

ثم انتقلنا الى (معرض جمهوريّة افريقيّة الجنوبيّة) وقد سبق جَعْلُ محل هذا المعرض على مقربة من القرى السابقة شادتهُ جمهوريّة هاتِهِ البلاد على مصاريفها وعملتهُ على هيئة مساكن الهولانديين الذين صاروا من أهلها وبلغ ما صرف عليهِ ٨٠٠٠٠ فرنك عرض فيهِ أربعة وخمسون من كبار تجارها وزراعها أصناف حاصلاتهم وبضائعهم من حبوب ودخان وأصواف وجلود أبقار وأوعال ونمور ومن طيور وريش نعام وحاصلات معدنيّة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والفحم حتى عرضوا من ضمنها قطعة من الذهب المعدني على حالها المستخرجة هي

عليهِ زنتها ٣٠٠٠ رطل استخرجت من معادن ذهبيَّة هنالك مملوكة لبعض الأَحاد عمقها ٩٠ قدماً يوجد الذهب فيها باعتبار خمس أَواق في الطونولاطة الواحدة من التراب فللهِ دَرُّ ابناء الهولانديين الَّذين أَسَّسُوا هذه الجمهوريَّة وصارت بهم هذه الأَرض بعد ان كانت صحراءَ مقفرة جنة ناضرة تُحسد على غناها وثروة أَهلها

واذ قد أَنتهينا بمعرض هذه الجمهوريَّة الأَفريقيَّة من النصف الأَول من قسم إِسپلاَنَادْ ديزا نقاليد انتقلنا الى النصف الثاني منهُ المنفصل عنهُ بالطريق المتسع الوسطى كما تقدم المخصص ببعض النظارات و بعض المصالح العموميَّة

فدخلنا (معرض وزارة البوستة والتلغراف) وهو عبارة عن مربع كبير منقسم الى قاعتين كبيرتين وُضع في إِحداها الآلات التلغرافيَّة ومواد البوستة والتلغراف ولوازمها على ما في الجميع من الانقان وفي القاعة الاخرى وضعت انموذجات العربات المخصصة بنقل البريد في السكك الحديديَّة وفي المدن والقرى والضياع مختلفة الاشكال بحسب اختلاف اللزوم وقد أَعجبنا في المخصصة بالسكك الحديديَّة منها الكيفيَّة الَّتي عُملت فيها لتسهيل تناول المكاتيب وغيرها منها و إِليها حال سير الوابور بالمحطات الَّتي يقف عندها وهذا المحل على ساذجيتهِ وخلوهِ عن الزخرفة والزينة عظيم النفع جداً لما اشتمل عليهِ من موجبات تقدم هذا العصر

ثم دخلنا (معرض التحفظات الصحيَّة ومساعدة الفقراء) وقد أُقيم على نفقات نظارة الداخليَّة واشتمل على نموذجات من جميع ما يُستعمل في سبيل حفظ الصحة في المدن والقرى وعلى انموذجات مما تجريهِ الادارة الخيريَّة المخصصة بمعاونة المعوزين والفقراء

وقد خصصت احدى قاعاتهِ بما يلزم اللقطاء وأَطفال بعض الفقراء الَّذين

يضطر اهلهم لتركهم على قارعة الطريق فتأخذهم ادارة مساعدة الفقراء وترسلهم الى القرى لتربيتهم بها في محلات مؤتمنة على مصاريف من طرفها ثم تقوم بتعليمهم حتى يشتد أزرُهم ويقدروا على معاشهم فاحتوت على نموذجات كثيرة من الأثداء الصناعيّة لرضاعهم والمهود وآلات تعليمهم المشي وفراشهم والى غير ذلك من لوازمهم حتى طرق لفهم على تعددها

وخصصت قاعة اخرى برسومات المستشفيات والبيمارستانات وما يلزم لها على اختلاف اشكالها وتعدد طرق المحافظة فيها على صحة المرضى والعناية بأمرهم

وخصصت اخرى بحاصلات مدرسة العُمي والخرس ومصنوعاتهم وكيفيات تعليمهم حتى الموسيقى والپيانو وأخرى بعرض مادة التلقيح الجدري المستحصل عليها من الحيوان واخرى بأدوات تهوية الاماكن وتنظيفها وتنقيتها من مواد العفونات والميكروبات المضرة

ثم دخلنا (معرض نظارة الحربيّة) وقد اعتني كل الاعتناء بتشييد هذا المحل وجعلهِ جديرًا بأن تعرض فيهِ لأنظار العموم حالة فرنسا الحربيّة بريّة وبحريّة فجُعل على هيئة قلعة من القلاع القديمة ذات باب كبير وبروج عظيمة وخنادق عليها قناطر تُفتح وتُغلق بحسب اللزوم وداخلهُ اشبه بقشلاقات العساكر التي بداخل القلاع في الأزمان السابقة رُصَّت فيهِ الاسلحة على اختلاف اصنافها رصًّا وصُفت صفًا

فهذه اكبر المدافع التي أُوجدت لاستعمالها في البر على اختلاف أشكالها وُضعت في رحبتهِ وجعلت في قاعة مجاورة لها مصنوعات الحديد المتعلقة بالحرب ومن ضمنها صفائح مدرعات سمكها خمسون سنتمترٍ بحيث لا يؤثر فيها اي مؤثر

كما دلت على ذلك التجربة والاختبار

وفي جهة ثانية مدافع بحريَّة تبلغ زنة الواحد منها ٦٦ طونولاطه وطولها ١٤ مترًا

وفي قاعة على حدتها الخرائط الإيدروجرافيَّة اي المختصة برسم الأنهر والبحيرات وانموذجات من جميع الملابس ولوازم التجهيزات البحريَّة

وخصصت قاعة على حدتها بتاريخ الهندسة الحربيَّة وكيف انتقلت من حالتها الأوليَّة حتى تدرَّجت الى ما هي عليهِ الآن من التقدم مبين ذلك بخرائط ورسومات تنبئ عن الاستحكامات القديمة وكيف كان الدفاع بها والاستحكامات الجديدة وزيادة إِحكامها ويتبع ذلك ملابس رجال الهندسة الحربيَّة من يوم انشئت الى هذا اليوم بتغيُّراتها وتبدلاتها

ثم قاعة بتاريخ الطوبجيَّة فاحتوت على أصناف المدافع من عهد وجودها على حالتها الأصليَّة الى ما وصلت اليهِ الآن ويتبع ذلك ايضاً ملابس الطوبجيين في هذه الأزمان من بدءها الى هذا العهد

ثم قاعات أُخر بالتلغرافات الحربيَّة وبيان كيفياتها وهيئات استعمالها ثم أُخَرُ بالاسلحة على تعدد اشكالها ومقذوفاتها من بنادق وطبنجات والآت تبديد وفتك مختلفات

ثم قاعة بالخرائط الجغرافيَّة الخاصة بالجيوش الفرنساويَّة وأهم ما فيها خريطة عُملت لأرض فرنسا بمقياس $\frac{1}{80000}$ يتعهدها ضباط من كبار ضباط الجيش بملاحظة اي شيء يحدث فيجعلونهُ فيها

ثم قاعة بعرض كتابات الضباط الحربيين الشهيرين وقد أُخذت من كتبخانة

نظارة الحربيّة فيجد الزائر خطوطاً كثيرة لأكبر الضباط منها خطوط نابليون الأول

ومن المحلات التي ترد عليها الزائرون في هذا المعرض الحربي كثيراً محلات خصصت بعرض الملبوسات الحربيّة المستعملة الآن بريّة وبحريّة وقد صوّرت العساكر والضباط فيها بالشمع مجسمة حسب الألوان والأشكال الطبيعيّة وجُعلت جموعاً متعددة على هيئات مختلفة كأنها حقيقيّة

ويحرس هذا المعرض ١٣٠ عسكرياً من جميع أصناف الجيش الفرنساوي بين بري وبحري لابسون ملابس جيوشهم متحلّون بأسلحتهم وذلك ما يزيد هذا المعرض هيبة وأبهة

وعجيب هذا الاعتناء بالاشياء الحربيّة التي لم يجعلها الانسان الّا للفتك ببني جنسهِ وإخوتهِ في القرابة الأصليّة وأعجب من ذلك عرضها حال كونها بهذه الدرجة الهائلة في هذا المعرض السلمي وقد جُعل لعرض الحاصلات الصناعيّة والزراعيّة وغيرها من المعروضات النافعة للنوع البشري بقصد التنافس والتشجيع لمن أحسن عملاً والتنشيط لغيرهِ اللّهم إلّا أن يقال إن من شادوا هذا المعرض الحربي لاريب ان قصدهم منهُ حسن فإنهُ يُثبت قوة فرنسا المادّيّة وإنهم بهذا الاثبات يتوصلون الى استدامة السلم لا الى إثارة الحرب فإن الاعداء متى رأوا لها تلك القوة وعلموا ان لاطاقة لهم بها كفّوا عن محاربتها واستمر السلم بخلاف ما اذا لم يروا ذلك فربما ظنوا عدم القوة واعتقدوا التهاون فينتهزون هذه الفرصة لمفاجأتها وشن الغارة عليها

ومهما يكن الحال فإنهُ يستنتج من هذه المعروضات أن ابن آدم كما اشتغل

وتفنّن في الأشياء اللازمة لمعيشتهِ ورفاهيته وسعادته وزيادة تمتعهِ والمحافظة على صحتهِ اشتغل وتفنّن في الآلات والأدوات التي تفتك بمثلهِ وتُقلِّلُ من نسلهِ وتَخرِم الناس من عملهِ والصنائع من صنعهِ والعقلاء من نتائج فكرهِ كل ذلك بعلة الدفاع عن النفس والوطن والمحاماة عنهما ألا ترى هذه السراي التي خصصت بالمعروضات الحربيّة وتلك التي خصصت بالصناعات المتنوعة فإن الأولى حصل التفنن فيها بجميع أدوات الفتك والثانية حصل التفنن فيها بجميع آلات النفع للنوع البشري

ثم دخلنا (معرض القباب الطيَّارة المعروفة بالبالون) وقد جُعل البناء الذي خصص بهذا المعرض بجوار معرض الحربيّة لمناسبة المنافع التي تحصّلت عليها الجيوش بواسطة هذه القباب في حرب السبعين ولما يُظن استحصالهُ بها من منافع أخرى زيادة عما تحصلوا عليهِ خصوصاً أن الحالة التي وصلت اليها هذه القباب كانت من عمل الكومندان رُونَار أحد الضباط الحربيّة فكأنها من جملة آلات الحرب

وبناء هذا المعرض مربع مرتفع الى جهة سقفهِ قبة على الطراز الأخير عُملت تحت ملاحظة الكومندان رُونَار الموما اليهِ معلق بها زورقها المعدّ لركوب من ترتفع به وفيهِ بطاريّة كهربائيّة

وبجوانب جدران المحل رسوم مختلفة مجسمة وغير مجسمة تدل على تاريخ القباب الطيارة كيف كانت في الأول وكيف تقدمت تدريجاً حتى وصلت الى ما هي عليهِ

والقوم شديدو الاعتناء بأمرها في جيوشهم حتى إنّهم خصصوا بكل جيش

بالوناً مع لوازمهِ وهو قبة من الحرير مدهونة بزيت دَبْروه بكيفيةٍ مخصوصة لا يُؤثر فيها الماء وزورق يعلَّق بها فيهِ آلة لتجهيز غاز الإِدروجين وحبال لإِمساك القبة اذا أُريد عدم اطلاقها في الهواء وعيَّارات تُستعمل في انزالها وآلة بخارية تُدير تلك العيَّارات

وأعظم ما وُجد من القباب الطيارة منذ اخترعت الى هذا اليوم القبة الَّتي اخترعها القومندان رُونَار السابق ذكرهُ وسمَّاها "فرنسا" وعرض في هذا المحل قبة على شكلها معلق بها الزورق الذي رأيناهُ وطولهُ ٢٣ متراً وقطرها سبعة امتار وماكينتها الديناميكيَّة قوتها ستة خيول

وقد جرُّبت القبة المسماة فرنسا أول مرة في يوم ٩ أُغسطس سنة ١٨٨٤ وبعد ان سبحت في الهواء مسافة كيلومترات كثيرة أَمكنها العودة الى المحل الذي قامت منهُ مع ان الهواء كان مواجهاً لها ثم عُملت تجربة ثانية عنها ولم يكن النجاح فيها بأَقلَّ من الأَول وذلك في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٤

وهاتان التجربتان اللتان نجح فيهما هذا القومندان يَعُدُّهما اهل هذا الفن بدء تاريخ جديد بالنسبة لفن السباحة الهوائية

ولم ينثنِ عزمهُ عن زيادة البحث والاستمرار على الكد بغية الوصول الى اكثر ما وصل اليهِ في فرنسا هذه من السرعة وذلك بأَن يتيسر لهُ تحريك هاتهِ القباب الهوائيَّة بماكينات كهربائيَّة اكثر قوة وأَقل حجماً وثقلاً من الَّتي استعملها في هذه وفي الأَمل ان يصل هذا الحاذق الى متمناهُ فإِنهُ حل عُقْدَةً ما هو أَصعب من هذا من جعل هذه القباب تسير حسب طوع الراكب ورغبتهِ لا حسب الهواء وعدم راحتهِ وقد وصل الى ذلك بالرفاسة الَّتي جعلها وراء الزورق ودل على نجاحهِ

في ما ذكر التجارب التي ذكرناها

ثم دخلنا (معرض الاقتصاد الاجتماعي) وفيهِ قد اعتنى اصحاب الشأن بأن يرى الناظر بالحس كيف يكون الاقتصاد وكيف يُتوصل اليهِ من بابهِ فجعلوا محلاً اقتصادياً للاكل يأكل فيهِ الانسان باقل من نصف فرنك أكلاً نظيفاً طيباً وجعلوا فرناً اقتصادياً الرغيفُ فيهِ بعشر سنتيمات ووراءهُ نادٍ يجتمع اليهِ العملة والفعلة فيجدون فيهِ من الجرائد والكتب والمشروبات النافعة ما يغنيهم عن التردد على محال المسكرات فيتوفر عليهم مالهم ووقتهم وعقلهم ووراء ذلك كلهِ انموذجات بيوت بناها كثير من الشركات في استخراج المعادن وغيرها لسكنى عَمَلَتها جمعت كل اللوازم مع النظافة والاقتصاد في المصرف ومراعاة لوازم الصحة حسب ما يرام وبجوار هذا كلهِ ما هو أفضل منهُ ايضاً من انموذجات المحال التي شيدها اهل البر والاحسان لمساعدة الفقراء والمعوزين في غذائهم وسكناهم وملبسهم ثم ان كثيراً من الشركات الاقتصادية كشركات السيكورتاه وصناديق التوفير وغيرها عرضت نتيجة أعمالها بواسطة جداول احصائية وأرقام حسابية ابانت فيها منافعها وما توفر بواسطتها للعمال من ادّخار المال عن الكسب الحلال

وها نحن قد انتهينا بهذا اليوم من التفرج على ما بقي من المعرض بَيْدَ أنَّا نريد البقاء بهِ هذا المساء لنتفرج على (الاحتفال بمشايخ بلاد فرنسا) فيهِ والزينة التي تُجعل من أجلهم بهِ

وذلك ان مشايخ بلاد فرنسا جميعاً دعاهم المجلس البلدي بباريس للحضور الى وليمة في هذا المساء الساعة ٧ بعد الظهر في سراي الصناعة "باليه دُلاَ نْدُستري" بجهة شان زيليزيه فيجتمعون اولاً بديوان بلديّة المدينة ثم يخرجون منهُ مارّين

بشوارع باريس الكبيرة تقدُمهم فرقة من العسكر يليها بعض محضري المجلس البلدي الپاريسي فشيخ البلديَّة وعلى جانبيهِ شيخًا بلدين من اصغر بلاد فرنسا الّتي اجابت الدعوة فباقي المشايخ وعددهم ١١١٨٢ شيخًا مرتبين بحسب ترتيب المديريات على أحرف الهجاء يفصل كل فرقة عن الأُخرى قائم من الخشب مكتوب عليهِ اسم المديريَّة يحملهُ محضر من محضري بلديَّة باريس فيستمرون في السير حتى يصلوا الى سراي الدعوة والساعة ستة ثم يحضر رئيس الجمهوريَّة والساعة سبعة حين يكونون جالسين على الموائد الّتي هيئت لهم

وقد لقوا في مسيرهم هذا من أهالي باريس اكرامًا وتعظيمًا لا مزيد عليها من الترحيب والتصفيق حتى وصلوا السراي وجلسوا في مجالسهم المعدة لهم ولما حضر رئيس الجمهوريَّة جلس على مائدة الشرف وجاس معهُ عليها المسيو شوتان رئيس بلديَّة باريس والوزراء والمسيو إيفل صاحب البرج والمسيو برجيه وألفان من مديري المعرض

وفي اثناء تعاطي الطعام شرب رئيس بلديَّة باريس على صحة رئيس الجمهوريَّة وشرب هو على صحة سائر البلاد الفرنساويَّة ومشايخها

وكانت حفلةً عظيمة إذ حضرها غير من ذكرناهُ من مشايخ البلاد والوزراء كثير من النواب واعضاء السناتو ومستخدمي الحكومة الكبار وضباط الجيوش البريَّة والبحريَّة حتى اضطروا الى تجهيز المآكل بالبخار وقد رأيت نسخة من جريدة "إستافيت" طُبعت في خصوص هذه الوليمة رُسم فيها بالتصوير أشهر مشايخ البلاد وذكر فيها اسماء الجميع مع تفاصيل حال الوليمة وما احتوت عليهِ من المآكل والمشارب فأردت ذكر بعض شيءٍ منها لغرابة ذلك

وهو أن عدد خدمة الموائد الف خادم سوى من بداخل محل طَهْي الطعام ممن يتناول منهُ الالفُ المذكورون وعدد الطباخين ٩٥ طباخاً وضِعفهم من أتباعهم غَسَلَةِ الأصحن والأوعية وقد جهزوا من الشوربه ٢٥٠٠ لتر ومن المرق ٦٥٠ لترًا ومن الاسماك ٣٠٠٠ سمكة كبيرة ومن كبار اطباق لحم البقر ١٥٠٠ ومن الفراخ الهندية ١٧٠٠ وعدد الاطباق ٨٠٠٠٠ طبق بحيث لو رُصّت فوق بعضها لبلغ ارتفاعها ١٨٠٠ متر بقدر ارتفاع برج ايفل ست مرات وذلك لأن كل عشرة اطباق منها ارتفاعها عشرة سنتيمترات وعدد ما شرب من الأنبذة المختلفة ١٨٣٠٠ لتر تفصيلها ١٥٠٠٠ زجاجة نبيذ عادي و٣٠٠٠ زجاجة نبيذ جراف و١٨٠٠ مادير و٤٥٠٠ پومار و٤٠٠٠ شامپانيا وقد لزم لاجل تبريد هذه الأنبذة ٦٠٠ كيلو جرام من الثلج هذا عدا ما يلزم لتبريد ماء الشرب

وبعد الفراغ من الاكل وشرب القهوة شربوا الدخان في حديقة السراي ثم قصدوا المعرض من طريق شاطيء نهر السين حتى وصلوهُ فاحتفل بهم الناس وكان فيهم رئيس الجمهورية والوزراء وخلق لا يحصون ووجدوهُ مزيناً مستنيرًا فتفرجوا عليهِ وعلى الفساقي ذات المياه المنورة بالكهرباء المختلفة الألوان البَهجة وعلى برج إيفل وهو مضيء كأنما يشتعل لهباً وصدحت الموسيقي وكثرت الضوضاء وصار كل من قابلهم يصيح "يعيش مسيو لُه مِيز" — شيخ البلد — حتى ان بعض الناس رأى مع بعض هؤلاء المشايخ بنتاً لهُ في غاية الجمال ووالدها تلوح من سيماه الساذجية فحضنهُ هو وأصحابهُ صائحين "يعيش مسيو لمِيز" وصاروا يقبّلونهُ فظن ذلك الشيخ ان هذا فرحٌ بهِ وسرور بلقائهِ واحتفالٌ بأمرهِ وقابل التقبيل بالتقبيل وما دري هذا الساذج انهُ ليس المقصود بالذات وإن ذلك مقدمةٌ للوصول الى من

معهُ اذ ما لبثوا ان تركوهُ وانقضّوا على الفتاة يقبلونها ويعانقونها كثيرًا ويصيحون " تعيش بنت مسيو لمير " والناس تُصفق وتصيح تهنئةً لهم

اليوم الثامن عشر في باريس

هو آخر ايام الاقامة بها قصدنا فيهِ زيارة (الكتبخانة الاهليّة) فتوجهنا اليها ودخلناها من بابها الواقع على سكة رِيشْلِيُو القريبة من ميدان التياتر الفرنساوي وتحصلنا من محل إدارتها على رخصة بزيارة محلاتها الّتي لا تزار بغير رخصة

والمؤسس لهذه الكتبخانة هو الملك فرنسوا الاول حيث أمر بشراء الكتب من انحاء العالم وبنسخ ما لم يتيسر شراؤهُ منها كما أنهُ ألزم كل طابع كتاب ان يودع نسخة منهُ فيها وهي لم تجعل في محلها الحالي الاَّ في سنة ١٧٢٤ بعد ان تنقلت قبلهُ الى محلات عديدة

ولا زالت من حين نشأتها تتوارد الكتب والنوادر اليها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن وهي تنقسم الى اربعة اقسام الاول قسم المطبوعات والخرائط والمجامع الجغرافيّة والثاني قسم الكتب المنسوخة بخط اليد والثالث قسم المسكوكات القديمة والأنتيكات والرابع قسم (استامپ) المرسومات

اما قسم المطبوعات والخرائط والمجامع الجغرافيّة فيشتمل على ثلاثة ملايين من المجلدات وقد حسب بعضهم أنهُ لو رُصت الرفوف الموضوعة عليها الكتب جميعها بجوار بعضها لبلغ طولها ستين الف متر وقد انتُقِيَ من الطبعات احسنها وجُلّدت بأحسن تجليد واتقنهِ وليس لهذا القسم فهرست تام لتوارد الكتب عليهِ كل يوم فلا ينقطع العمل فيه يوماً من الأَيام

ويتبع هذا القسم قاعتان كبيرتان وهما اكبر قاعات الكتبخانة إحداهما قاعة المطالعة العمومية فلا يُمنع من الدخول فيها أحد والأُخرى قاعة الاشتغال وهي لابد للدخول فيها او الاشتغال بها من تصريح مخصوص لأَنها خصصت بمن يُريد التأليف او التصنيف والكتابة

وهذه القاعة مستحدثة في سنة ١٨٦٨ وهي في غاية الاتساع والعظم مربعةٌ يبلغ مسطحها ١١٥٥ مترًا مسقفةٌ بتسع قِباب مكسوةٌ من الداخل بالقيشاني يسطع بها الضوء من نوافذ في هذه القباب محمولة تلك القباب على ستة عشر عمودًا من أحسن العمد الحديديَّة طول الواحد عشرة امتار

وأُمناء الكتب جالسون في صدر هذه القاعة على مرتفع في شكل نصف دائرة ووراءهم محلات الكتب طبقات فوق بعضها يُتوصل اليها بمماشٍ وسلالم في الطول والعرض

وفي جهتي القاعة يمنة و يسرة طاولات للعمل وأَمامها محلات لجلوس المشتغلين بالتأليف والكتابة عددها ٣٣٤ محلاً في غاية السعة والانتظام تمر من تحتها أَنابيب حاملة للحرارة لتدفئتها وقت اللزوم

واذا دخل الانسان قاعة من هاتين القاعتين أُعطيت لهُ ورقة مطبوعة ليكتب عليها اسمهُ وسكنهُ وتبقى عند مستخدمي الكتبخانة يقيدون فيها كلما يأْخذهُ من الكتب او يرجعهُ مما أَخذ حتى اذا انتهى من عملهِ وأَرجع الكتب أُعطيت لهُ هذه الورقة مكتوب عليها ارجاع الكتب فاذا خرج من الباب سلّمها الى المكلف بهِ أَما اذا كان عندهُ اوراق او كتب خاصة بهِ ويريد ان يخرج بها فلا يتأتى لهُ ذلك الاَّ بالاستحصال على تصريح خصوصي من أَحد امناء الكتبخانة

واذا طلب احد كتاباً اثناء الاشتغال بأيةِ القاعتين انتقل الى بعض الامناء الجالسين وأَخذ ورقة وكتب فيها اسم الكتاب المطلوب ثم يعودالى محلهِ فيحضر اليهِ الكتاب في الحال هذا وعلى الطاولات المحابر والاقلام اللازمة لكل احدوفي دائر القاعة الكتب الّتي تكثر مراجعتها كالقواميس بحيث لا يحتاج من يطلبها الى انتقال على ما ذكرو بالقرب من محل الامناء موضع الجرائد العلمية الّتي تصدر في اوقات معلومة وقدرها نحو اربعين فيرجع اليها من يريد مراجعتها

واما قسم المرسومات فيشتمل على مليونين ونصف مليون استامپ يجمعها ١٤٥٠٠ مجلد في داخل ٤٠٠٠ محفظة

واما قسم كتب النسخ فيحتوي على ١٠٠٠٠٠ مجلد

وبجوارهِ قاعة صُفّت فيها أَنفس كتب هذه المكتبة ونوادرها من حيث الرسم اوالكتابة اوالتجليد اوالقدم اوالندره

واما قسم المسكوكات القديمة والأَنتيكات فيشمل نحو ٤٠٠٠٠ من السكك العتيقة وعلى ما لا يحصى من الأَنتيكات المتنوعة الغالية القيمة

واهم ما يستلفت الانظار ضمن غرائب هذا القسم وعجائبهِ بالنسبة للمصريين "منطقة البروج" الّتي اخذت من هيكل دندرة بصعيد مصر

وقد أَراد سيدي الوالد العزيز ان يستفهم من امناء هذه الكتبخانة عن بعض كتب عربيّة تهمهُ لعلهُ يوجد شيء منها هناك فتوجهنا الى مأْمور قسم الكتب المشرقيّة وطلبنا منهُ فهرست الكتب العربيّة فلم نجد لها من سوء الحظ فهرستاً بل أَحضر لنا دفاتر متعددة كل واحد منها يحتوي قسم منهُ على شيء من الكتب العربيّة غير مرتبة ولا مبوّبة فلم يتيسر وجود ما أَراد وحملنا ذلك على قلة طلب الكتب

العربيّة فيها او على ان طالبيها غيرنا أعرف منا بمظناتها في الدفاتر فيستدلون عليها بسهولة لم تتيسر لنا

هذا وبعد فراغنا من التفرج بالكتبخانة توجهت لتوديع بعض أصحابي بپاريس وقضاء بعض مصالح السفر وعدت الى الفندق وبتنا بهِ الى الصباح ثم أخذنا في أُهبة السفر وأنا آسف على فراق هذه العاصمة العظيمة وعلى فراق استاذي الفاضل العلامة الكامل المسيو رُونو المدرس بمدرستي الحقوق والعلوم السياسيّة وفراق رئيس الارساليّة المصريّة مذ كنت بپاريس وهو المسيو مِزْمير وفراق من بها للتعليم من المصريين الّذين سبق ذكر اسمائهم وفراق زائري المعرض من المصريين الّذين سبق التنويه بهم وفراق معارفي من الفرنساويين الّذين عرفتهم بمصر مثل الدكتور فوكيه الطبيب وكنت اتفقت معهُ بها على ان نتقابل بپاريس ونجتمع بالدكتور رُوبُو صاحبهُ الطبيب الشهير فضلاً عن تأَسفي على مفارقة محال السكن والاكل والدراسة والنزهة وباقي المحال الّتي كان لي بها علاقة حال دراستي بپاريس

﴿ من پاريس الى لندره ﴾

يوم الثلاثاء ٢٠ اغسطس سنة ٨٩ هو يوم الرحيل من پاريس الزاهرة بعد أن أقمنا بها ثمانية عشر يوماً كاملةً غير يومي القدوم اليها والارتحال عنها فتبلغ المدة بها عشرين يوماً رأينا في خلالها عجائب هذه البلدة وغرائب معرضها شاغلين نهارنا وليلنا أمّا النهار فبالتفرج على ما في المدينة وضواحيها من الأَبنية والمنتزهات والآثار وعلى ما جُلب الى المعرض من فرنسا وسائر الاقطار وأمّا الليل فبالتفرج

على بعض الحال التي مرّ ذكرها وبمطالعة كتب الدلائل على ما سنراهُ في اليوم التالي وبتجهيز الاعمال التي في عزمنا عرضها على المؤتمر فان "نبذة اللغة العاميّة" التي رأيت عرضها عليهِ طرأ لي ان أزيدها بعض كلمات سمعتها عند مرورنا بالاسكندريّة ليلة السفر منها الى اوروبا فاستحسنت الحاقها وان استوجب ذلك توسعاً في المقال حسب ما يقتضيهِ الحال

ففي صباح هذا اليوم ركبنا عربة من الفندق بعد ان شيّعتنا صاحبتهُ وخدمها الى باب الدار مع اظهار التأسف من الجميع على فراقنا اما صاحبة الدار فلما اعتاد عليهِ اهل هذا البلد من حسن معاملة الغرباء واما الخدم فلما نالوهُ من المنحة لما رأيناهُ منهم من مزيد الاعتناء

وسرنا الى محطة سَانْ لاَزَارْ فقام بنا الوابور منها والساعة تسعة صباحاً الى مينا دِييِپْ لنجوز منها بحر المانش الفاصل بين فرنسا وانجلتره الى مينا "نِيُوهِيڤِنْ" من السواحل الانجليزيّة ثم نركب منها وابور البر الى لوندره

وآثرنا طريق البحر المذكورة بعد إمعان الفكر والسؤال من اهل الذكر على غيرها مما مسافتهُ اطولُ او أقصرُ لان ركوب بحر المانش هذا صعب على كل حال نظرًا لكثرة الأهوية بهِ والطريقُ الأطول يستلزم طول المسافة في البحر وامتداد المكث فيهِ ولا يخفى ما في ذلك من الشدة والطريقُ الأقصرُ تكون صعوبة البحر بهِ اكثر منها في غيرهِ لانحباس الأهوية فيهِ بين فرنسا وانجلتره وزيادة شدّتها بسبب هذا الانحباس أما الطريق الذي سلكناهُ فمتوسط فتكون المشقة فيهِ اقل مما فيهما

والطريق الذي آثرناهُ مسافتهُ ست ساعات على حسب العادة اما الطريق

الأطول فلهُ جهتان احداهما من مينا بُولُوني الى لوندره بحرًا ونهرًا ومسافتهُ عشر ساعات والأُخرى من مينا هافر الى مينا سُوتْهامتُون ومسافتهُ ثمان ساعات واما الطريق الاقصر فلهُ جهتان ايضاً احداهما من مينا كاليه الى مينادوفرْ ومسافتهُ ساعة ونصف والأُخرى من مينا بولوني الى مينافلكستون ومسافتهُ ساعتان

وآثرنا سفر النهار على الليل لنتمكن من التفرج برًّا وبحرًا وفي طريقنا مررنا على مدينة رُوَانْ بعد ساعتين من مبارحتنا لباريس وسرنا منها الى مينا دِيبِبْ فوصلناها بعد الظهر بنصف ساعة فكانت المسافة من باريس اليها ثلاث ساعات ونصفاً

وديبب هذه ثغر فرنساوي تبلغ عدة سكانهِ ثلاثاً وعشرين الف نسمة ميناهُ مصونة من غوائل البحر برصيف عظيم يمنعها عنها وهذا الثغر مشهور بلطف حماماتهِ البحريَّة تقصدها السياح من كل فج

ولما حللناها وجدنا البحر هادئاً والجو معتدلاً صافياً فحصل لنا الاطمئنان بذلك وكان أشار علينا بعض الاصحاب ان اول شيء نعملهُ اذا نزلنا وابور البحر ان نتخذ لنا غرفة خاصة نلجأُ اليها اذا اشتدَّ الهيجان فاغتررنا بذلك الهدوولم نكترث باتخاذ غرفة بل بقينا على سطح الوابور نمتع النظر برؤْية هذا الثغر اللطيف ومن يتوارد من السائحين والمسافرين حتى قام الوابور حسب موعدهِ فسرنا على بركة الله بعد الظهر بساعة

وهذا الوابور يشبه الوابورات الَّتي سرنا فيها من تريسته الى وينيسيا وهو اكبر من وابورات النيل بقليل بسطحهِ صالون كبير تحتهُ غرف كل من سبق الى احداها من المسافرين كانِ مختصاً بها ومن لم يسبق يكون بالصالون

فما زلنا على سطح الوابور حتى خرجنا من رصيف الميناء واذا بالسطح قد امتلأ بالماء بغتةً وابتلت منهُ ملابس الجميع وتوالى الموج واشتد هيجان البحر فتسارع كل من لهُ غرفةٌ اليها ولزمنا الصالون وما برح الحال يشتدُّ والهول يمتدُّ والرأس في دوار والمعدة في اضطراب وكان خدمة الوابور أعطَوا كل واحد من الركاب طستاً من الصيني لما يعلمونهُ مما لا بد عنهُ من لوازم الدوار واستمر الامر على ذلك حتى كادت النفس تزهق من شدة الأحوال وصعوبة هذه الأَهوال ولم يبقَ أحد من الركاب قاطبة بدون تأثر كبيرهم وصغيرهم عظيمهم وحقيرهم لا يسمع الانسان الاَّ أصوات تلاطم الأَمواج وتواردها بين فرادى وأَزواج وتضجُّر الجيران في كل مكان وكلٌّ مشتغل بنفسهِ غافلٌ عن حِسهِ الى ان نفِد ما كان من اكل وشرب ولم ينفَذ مع ذلك الكرب وتوالى القذف من غير مقذوف واشتدَّ التضجر والتألُّم على غير مألوف وكانت المدَّة على قصرها كالأَشهر الطوال لا بل كالسنين والأَحوال حتى تخيلنا قيام القيامه وترقب كل منَّا حمامه وظن ألا خلاص ولات حين مناص وعظم الأَمر وعيل الصبر وكثر الوجل وانقطع الأَمل الاَّ من الله عز وجل فسلمنا الامر اليهِ واتكلنا في خلاصنا من هذا الهول عليهِ فهان الامر علينا بذلك التسليم وانصرف ما قام بنا من الكرب العظيم وزال عنا ما كان من التوهم ولم يبقَ الاَّ التضجر والتألم حتى يسر الله بالوصول الى مينا نيوهيفن بعد ست ساعات من قيام الوابور

وكثيرًا ما سافرت في بحار متسعه وشاهدت بها أمواجاً مفزعه ورياحاً مرتفعه واهوالاً مروِّعه واستمرَّ عليَّ ذلك الحال أياماً وليال لكنها لم تكن بالنسبة الى هذه الساعات القليلة شيئاً مذكورًا واني مهما وصفت وبالغت لم أوفِ هذه الحالة حقها

ولم أقدر هذه الأهوال قدرها لا باللسان ولا باليراعه اذ تعجز عن ذلك ارباب البلاغة والبراعه وقد تعروني رعدة وشده عند تفكري ما صار في تلك المده

والعجب ان الاطباء في هذه الأزمان على ما هم عليهِ من التقدم والانقان لم يعرفوا لداء البحر دواء ينفع ولا علاجاً لدائهِ يدفع غاية ما وصلوا اليهِ هو ما نعرفهُ من اختلاف امراضهِ باختلاف الامزجة والابدان ولنعم ما وصلوا اليهِ في هذا الشان

وعند وصولنا الميناء نزلنا مسرعين الى هذه القارّة فرحين مستبشرين حامدين على السلامة شاكرين على خلاصنا من هذه المشاق وقد زال ما لقيناهُ كأنهُ لم يكن وما لبثنا ان ركبنا وابور السكة الحديديّة قاصدين لوندره فسار بنا والساعة سبعة وخمسة واربعون دقيقة بعد الظهر ووصل اليها والساعة تسعة ونصف فكانت مسافة سيرنا من باريس الى لوندره برّاً وبحرّاً إحدى عشرة ساعة وربعاً

وقد كنا تركنا امتعتنا بمحطة باريس لترسل منها الى لوندره حتى لا نشتغل بها في سفرنا اليها فلما وصلنا محطتها وجدنا صناديقنا بها في المحل المعد للتفتيش من طرف الكرك ولم يفتش منها الأصندوق واحد فإن المعتاد عندهم أن ما يحملهُ السياح من لوازمهم الضروريّة لهم معافىً الأ ما يكون للاتجار او المشروبات الروحيّة او الدخان الذي يزيد عن ٢٥٠ جراماً ولم يكن معنا شيء من ذلك

فركبنا عربة من التي بالمحطة قرب الرصيف ونبهنا قائدها على ان يوصلنا الى "ميدلَنْدجرَانْدهُوتيل" وكنا انتخبنا هذا الفندق من الفنادق التي تعامل بيت كوك باستشارة بعض الأصحاب

فلما وصلناهُ وجدناهُ في غاية الانساع واللطف يشتمل على أكثر من اربعمائة محل وعلى سائر معدات الراحة وهو معدود من فنادق الدرجة الأُولى مبني بمحطة

من محطات السكك الحديدية غير التي نزلنا فيها فقد بنت بعض الشركات فنادق على المحطات المهمة من السكك الحديدية تسهيلاً للمسافرين فجاءت في غاية المناسبة بالنسبة الى ذلك ولعدم معرفتنا بهذا الأمر لم ننزل بفندق المحطة التي نزلنا فيها من أول الأمر

فانتخبنا غرفاً من أحسن الغرف وبعد ان استرحنا بإحدى قاعات الاستقبال ثم تعشينا صعدنا الى غرفنا وبتنا الى الصباح

واذا بمستأذن يستأذن في الدخول فأذنّا له واذا هو صاحبنا عبد العزيز بيك كحيل رئيس نيابة بنها وقت ذاك ووكيل محكمة اسكندرية الآن فبعد التحية والتسليم وما ينبغي من التكريم سألناه عن كيفية معرفته وصولنا لهذا المحل حالة كوننا لم يمض علينا به غير قليل من الزمان فأخبر أنه حضر بعدنا البارحة من باريس مع اربعة من الرفقاء وهم الدكتور شميل صاحب جريدة الشفاء ونجيب افندي بولاد المترجم بمحكمة الاستئناف الأهلية ومادام بولاد وسليم افندي زنانيري الموظف بالبنك العقاري بمصر وأنهم بحثوا عن محلات لائقة في عدة جهات فلم يجدوا ما يعجبهم فساقتهم الصدفة بواسطة أحد المعارف الى هذا الفندق فأعجبتهم محلاته وسرهم انتظامه وأخذوا يكتبون اسماءهم في دفتر السياح كالعادة فلما رأى مدير الفندق أنهم كتبوا في خانة "بلد الأصل" اسم مصر وكنا كتبنا مثل ذلك قبلهم أراد ان يسرهم فأخبرهم أن عنده بالفندق جماعة من بلدهم وأراهم صحيفة الدفتر التي كتبنا فيها أسماءنا فعلموا بوجودنا في هذا الفندق وعزموا على مقابلتنا في الصباح

وما لبث ان حضر الباقون واخبرونا أنهم عازمون على الإقامة بلوندرة ثلاثة

ايام او اربعة وهذه هي المدة التي رأينا ان نقيمها بلوندرة فاتفقنا على أن نتفرج فيها سوية وعلي أخذ دليل من بيت كوك يدلنا على آثار المدينة ومحلاتها وان نتخذ عربة منهُ تسعنا جميعاً مع الراحة وتوجهنا الى بيت كوك وأخذنا الدليل والعربة وتفرجنا على ما بلوندرة من التحف والآثار وعلى ما تيسر من ضواحيها ومكثنا كل مدة الإقامة بهذه المدينة معهم نهارنا وليلنا حتى إنهُ لما آن وقت سفرنا منها وتفرقنا رأينا من الوَحشة والتأثر ما لم يخطر لنا ببال

اجماليات على لوندرة

(لندن)

هذه العاصمة قائمة على ضفتي نهر التيمس وهو يخترقها من الغرب الى الشرق مع اعوجاجات فيقسمها الى قسمين غير متساويين في السعة والأهميَّة

فالجهة التي على شمال النهر غاية في الأهميَّة يسكن غالبها الأغنياء وأهل الثروة وليس الحال كذلك في الجهة الجنوبيَّة منهُ

واهم الجهة الشماليَّة القسم المتوسط منها وهو ينقسم الى قسمين

أحدهما يشتمل على "سِتي" اي المدينة و"إيستْ إيند" بالجهة الشرقيَّة من الباب القديم المسمى "تمبل بار" وذلك القسم مركز التجارة والصناعة وبهِ الميناء ومخازن التجارة البحريَّة "دوك" والكمرك والبنوكة والبورصة والحوانيت المهمة والتجارة بالجملة ووكلاء الأعمال التجاريَّة والكومبانيات المتنوعة ومطبعة التيمس وعموم البوستة ومقر علماء القانون والافتاء وسراي المحاكم وكنيسة سان پول الكاتدرائيَّة

وثاني القسمين "وِسْتْ إِيند" وهو حديث بالنسبة الى الأَول آخذٌ في الزيادة والنموّ دائماً واقع بالجهة الغربيَّة من باب تمپل المتقدم ذكرهُ كما يدل على ذلك اسمهُ "وِسْت" الذي معناه الغرب وهذا القسم مُقام الأَشراف والأَعيان وفيهِ سراي الملكة ودواوين الوزارات وسراي الپرلمان ودير وستمينستر والمتاحف المختلفة والملاهي "التياترات" والنوادي — كلوب — والحدائق الغنَّاء والرياض الفيحاء

وفضلاً عن التقسيم المار ذكره أن هذه العاصمة تنقسم الى عدة أَقسام نظراً الى ما فيها من اصناف التجارة والصناعة ومن تحتوي عليهِ من السكان نذكر منها بعض الأَقسام المهمة

فمنها قسم "لُونْج شُور" يمتد عن يمين قسم سيتي السابق على شاطىء نهر التيمس وغالبهُ مشتمل على معامل السفن وكثير من المخازن ومساكن صناع السفن والملاَّحين والحمَّالين وبائعي مهمات السفن ومآكل ملاَّحيها والمسافرين فيها ومنها قسم "وَايْتشَاپِل" وفيهِ معامل تكرير السكر ومساكن عُمَّالهِ وهم من الأَلمانيين ومنها قسم "هَوُنْدِسْدِيتْش" و"مِينُورِزْ" وهو عبارة عن حارة اليهود ومنها "بِتْنَل جرين" و"شْپِيتَالْ فِلْدِسْ" وجزء من "شُورِدِيتْش" المخصصة بالفابريقات وغالبها مساكن صانعي الحرير واكثرهم من نسل الپروتستانت الذين هاجروا من فرنسا حين اشتدت عليهم وطأة الكاثوليك وألغت الحكومة سنة ١٦٨٥ أَمرها الذي كانت أَصدرتهُ بالذب عنهم والانتصار لهم ومنها قسم "كِلَرْكِنْوِلْ" المخصص بصنَّاع الساعات وعَملة المعادن ومنها شارع "پَاتِرنُسْتِرْرُو" المخصص ببائعي الكتب والورق وشارع "تْشِنْسِرِي لِينْ" المختص بالافوكاتيَّة وارباب القانون وشارعا

ايام او اربعة وهذه هي المدة التي رأينا ان نقيمها بلوندرة فاتفقنا على أن نتفرج فيها سوية وعلى أخذ دليل من بيت كوك يدلنا على آثار المدينة ومحلاتها وان نتخذ عربة منهُ تسعنا جميعاً مع الراحة وتوجهنا الى بيت كوك وأخذنا الدليل والعربة وتفرجنا على ما بلوندرة من التحف والآثار وعلى ما تيسر من ضواحيها ومكثنا كل مدة الإقامة بهذه المدينة معهم نهارنا وليلنا حتى إنهُ لما آن وقت سفرنا منها وتفرقنا رأينا من الوَحشة والتأثر ما لم يخطر لنا ببال

اجماليات على لوندرة

(لندن)

هذه العاصمة قائمة على ضفتي نهر التيمس وهو يخترقها من الغرب الى الشرق مع اعوجاجات فيقسمها الى قسمين غير متساويين في السعة والأهمية

فالجهة التي على شمال النهر غاية في الأهمية يسكن غالبها الأغنياء وأهل الثروة وليس الحال كذلك في الجهة الجنوبية منهُ

واهم الجهة الشمالية القسم المتوسط منها وهو ينقسم الى قسمين

أحدهما يشتمل على "سِيتي" اي المدينة و"إيستْ إيندْ" بالجهة الشرقية من الباب القديم المسمى "تمپل بار" وذلك القسم مركز التجارة والصناعة وبهِ الميناء ومخازن التجارة البحرية "دوك" والكمرك والبنوكة والبورصة والحوانيت المهمة والتجارة بالجملة ووكلاء الأعمال التجارية والكومپانيات المتنوعة ومطبعة التيمس وعموم البوستة ومقر علماء القانون والافتاء وسراي المحاكم وكنيسة سان پول الكاتدرائية

وثاني القسمين "وِسْتْ إِيند" وهو حديث بالنسبة الى الأَول آخذٌ في الزيادة والنموّ دائمًا واقع بالجهة الغربيَّة من باب تمپل المتقدم ذكرهُ كما يدل على ذلك اسمهُ "وِسْت" الذي معناه الغرب وهذا القسم مُقام الأَشراف والأَعيان وفيهِ سراي الملكة ودواوين الوزارات وسراي الپرلمان ودير وستمينستر والمتاحف المختلفة والملاهي " التياترات " والنوادي – كلوب – والحدائق الغنَّاء والرياض الفيحاء

وفضلاً عن التقسيم المار ذكره أن هذه العاصمة تنقسم الى عدة أَقسام نظرًا الى ما فيها من اصناف التجارة والصناعة ومن تحتوي عليهِ من السكان نذكر منها بعض الأَقسام المهمة

فمنها قسم "لُونج شُور" يمتد عن يمين قسم سيتي السابق على شاطىء نهر التيمس وغالبهُ مشتمل على معامل السفن وكثير من المخازن ومساكن صناع السفن والملاَّحين والحمَّالين وبائعي مهمات السفن ومآكل ملاَّحيها والمسافرين فيها ومنها قسم " وَايْتشَاپل "وفيهِ معامل تكرير السكر ومساكن عُمَّالهِ وهم من الأَلمانيين ومنها قسم "هَوُنْدِسْدِيتْش" و "مِينُورِزْ" وهوعبارة عن حارة اليهود ومنها "بِثْنَل جرين" و "سْپيتَالْ فِلْدِسْ" وجزء من "شُورِدِيتْش" المخصصة بالفابريقات وغالبها مساكن صانعي الحرير واكثرهم من نسل الپروتستانت الذين هاجروا من فرنسا حين اشتدت عليهم وطأة الكاثوليك وأَلغت الحكومة سنة ١٦٨٥ أَمرها الذي كانت أَصدرتهُ بالذب عنهم والانتصار لهم ومنها قسم "كِلَرِكِنْوِلْ" المخصص بصنَّاع الساعات وعَمَلة المعادن ومنها شارع "پَاتِرنُسْتِرْرُو" المخصص ببائعي الكتب والورق وشارع " تْشِنْسِرِي لِينْ " المختص بالافوكاتيَّة وارباب القانون وشارعا

"تونبورك" و"لامبيث" المخصصان بمعامل الفخار والخزف والآنية الزجاجية ومصانع الآلات ومعامل البيرة وشوارع بها المدابغ

هذا وجملة ما تشتمل عليهِ لندن من الأقسام حسب قانون الانتخاب الذي صدر في سنة ١٨٨٥ سبعة وعشرون قسماً خلا قسم سيتي — المدينة — السالف ايضاحهُ ولجميعها حق انتخاب ٥٩ عضواً في مجلس النواب منها اثنان عن سيتي خاصة وواحد عن دار العلوم

وقسم سيتي مستقلٌ في حد ذاتهِ لهُ حدود معلومة جنوبيها التيمس ولهُ إدارة خاصة بهِ لا تختلط بباقي إدارات العاصمة ولهُ قوانين أساسيةٌ جار بموجبها العمل من القديم وامتيازات خاصة بهِ وهو مقسم الى ٢٦ قسماً يُدير شؤونهُ حاكم يُعرف " بامين المدينة " ينتخب لهذا القصد كل عام ويشتمل هذا القسم بموجب تعداد سنة ١٨٨١ على ٦٤٩٣ عمارة يسكنها ٥٠٥٦٢ نسمة بعد ان كان سكانها ٧٤٩٣٣ نسمة في سنة ١٨٧١ و١١٠٤٤٨ نسمة في سنة ١٨٦١ وهم آخذون في التناقص كل سنة عن التي قبلها وذلك لأن العقارات في هذا القسم لكثرة قيمتها بالنسبة للمتجر تجعلها أصحابها مخازن للتجارة ومحال مكاتب للتجار عوضاً عن السكنى بها حتى يوجد في هذا القسم نحو من ٤٠٠٠ عمارة ليست متخذة للسكنى بل هي محال تجارة كما تقدم فهي تخلو ليلاً من الناس حتى اضطرت الحكومة الى ان تخفرها بثمانمائة عسكري من البوليس — ويُباع القدم المربع في هذا القسم من الأرض التي يُراد بناؤها من ٢٠ جنيهاً الى ٧٠ جنيهاً انجليزياً

هذا ومتوسط درجة الحرارة في لونده ٩٫٤٥ فوق الصفر وتنزل هذه الدرجة في أشهر البرد مثل يناير الى ٣ تحت الصفر وتصعد في أشهر الحر مثل يوليو

الى ٤٨ ١٧ فوق الصفر من الترمومتر المئيني

ويغلب على جوها الضباب الكثيف ويكثر في شهر نوفمبر ويستمر فيهِ اياماً متوالية يشبه النهار فيها الليل ويفوقهُ في ظلامهِ

ويكثر فيها المطر وان كان خفيفاً حتى عُدَّت الايام التي تمطر السماء فيها فبلغت ١٧٨ يوماً في السنة

ولقد زادت مدينة لندن في السعة بهذه الايام ضعف ما كانت عليهِ من مدة خمسين عاماً فقد زاد طولها على ١٤ ميلاً انجليزياً من الشرق الى الغرب وعرضها على ثمانية اميال من الشمال الى الجنوب حتى بلغت مساحتها ١٢٢ ميلاً مربعاً على أن زيادتها لا تقف عند حد وقد حسبوا أن مساحتها تعادل مساحة باريس خمس مرات وأن بها من الشوارع الكبار ٧٨٠٠ ومجموع السكك والطرقات مع الشوارع المذكورة ٢٣٠٠٠ يبلغ طولها جميعاً ١٠٩٣٣ كيلو متر وفيها اكثر من مليون فانوس للاستصباح ويحترق في هذه الفوانيس يوميًا ٨٠٠٠٠٠ متر مكعب من الغاز وفي المدينة ٦٦٢٠٠٠ عمارة منها ١٤٠٠ كنيسة و٥٠٠ فندق و١٧٠٠ محل طعام وقهوة و٧٥٠٠ محل لبيع البيره والمشروبات الروحيَّة وحُسبت العوائد المتحصلة من الدور في سنة ١٨٨١ فبلغت ٢٨ مليوناً من الجنيهات الانجليزيَّة

وعدد سكان لونده في سنة ١٨٠١ لم يكن الا ٨٦٤٠٣٥ نسمة وصار ١٢٢٧٥٩٠ في سنة ١٨٢١ ووصل في سنة ١٨٧١ الى ٣٢٥٤٢٦٠ نسمة وفي سنة ١٨٨١ بلغ عدد سكان لندن وحدها اي من دون أرباضها وضواحيها ٣٨١٤٥٧١ منهم نحو ٣٠٠٠٠ خياط و٤٠٠٠٠ صانع أحذية و٢٨٠٠ خباز و٢٤٠٠ قصاب غير أُلوف من الصنَّاع والفعلة بين رجال ونساء و٣٠٠٠٠٠ خادم و١٤١٧٧٠ فقير واذا

اضفنا الى أهاليها سكان الضواحي بلغ عدد الكل في ذلك التاريخ ٤٧٧٦٦٦١ نفساً وفيها الآن (سنة ١٨٨٩) أكثر من خمسة ملايين نسمة

ومن أغرب الغرائب وأعجب العجائب أن عدد الاسكتلانديين فيها اكثر منهم في ايدمبورج وهي حاضرة بلادهم وفيها من الايرلنديين اكثر ممن في دوبلين وهي قاعدة جزيرتهم ومن الاسرائيليين اكثر ممن في فلسطين وهي مستقرهم ومن الكاثوليكيين اكثر ممن في رومة التي هي مركز الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي

وفي المدينة عدا السكك المتسعة التي على جانبيها العمارات العظيمة والمباني المتقنة التي سيجيء ذكر بعضها كثير من الميادين الكبيرة (سكُويرْ) من مسافة الى أخرى مزينة بالزروع محلاة بالأشجار والمياه

وبها غير ذلك كثير من البساتين المتسعة ومحلات التنزه الفسيحة أجلها "سان جمس پارك" "وجرين پارك" "وهيد پارك" "وريجنتس پارك"

وبها على نهر التيمس أحد عشر جسراً فوق النهر لإيصال البرين للراجلين والعربات والبضائع والوابورات كما ان بها طريقاً تحت النهر يتوصل بها من أحد البرين الى الآخر

وبها من التياترات نحو اثنين وثلاثين وبها كثير من النوادي (كلوب) التي يقصد من المجتمعين بها تسهيل العلاقات بين الناس وتوثيق روابط الاجتماع وهي قصور شاهقة تفوق أحسن القصور وأنظمها في الرونق والاتقان يأوي اليها الاكابر والأعاظم ورجال الدولة والمال حتى ان من لا عائلة له يبيت بها ويعيش فيها بأرغد عيش وأحسن حال وقد بلغ عدد اعضاء احد هذه النوادي "كُنْسِتِيتْيُوشِنِل

كلوب" ستة آلاف عضو و بلغ اعضاء آخرمنها "نَشْنِل ليبرال كلوب" ٦٥٠٠ عضو ومن شروطها أَلاَّ يُقبَلَ أحد فيها إِلاَّ بعد الأَقتراع فإِذا قُبل يدفع رسم التحاقٍ يختلف مقدارهُ بحسب لوائح النوادي من خمس ليرات الى أربعين ليره وهو في العادة ٢٥ جينهاً هذا فضلاً عن دفع راتب سنوي يختلف بين ثلاثة ليرات وخمس عشرة ليره

وبلندن من محلات الخيروالإِحسان ما لا ينقص عددهُ عن ألفي محل منها الاجزاخانات والاسبتاليات تُعالَج فيها المرضى ويُعطون الأَدوية مجاناًومحلات ايواء العاجزين والمحتاجين والأَرامل والأَيتام وقد بلغ في سنة ١٨٨٥ ما جمع لمحلات الخير والاحسان المذكورة جميعها وما وصلها من العطايا والوصايا ٤٤٧٠٠٠ جنيه انجليزي ولا بدع في ذلك فإِنهُ قد يبلغ ما يجتمع من الصدقات برسم هذه المحلات في يوم أحدٍ واحدٍ مخصوص بجميع كنائس لندن اربعون الف جنيه انجليزي كما ان ٧٥٠ امرأة من ربَّات الخير والاحسان يقفنَ في اطراف الطرقات والحارات لجمع المساعدة لهذه المحلات في ليلة الأَحد المتقدم ذكرهُ فيبلغ ما يجمعنهُ بالقليل نحو عشرة آلاف جنيه انجليزي

وبها كثيرٌ من الجمعيَّات ذات الثروة العظيمة الَّتي تأَسست لانتشار العلوم والمعارف والآداب والصنائع اولنشر التعليمات الدينيَّة فمن الاولى الجمعيَّة الملوكيَّة "رُويَل سُوسيَتي" ودار المعارف الملوكيَّة "رُويَل أكادِيمي" والجمعيَّة الاسيويَّة الملوكيَّة "رُويَل إِيسيَاتيك سُوسيَتي" والجمعيَّة الجغرافيَّة والجمعيات الطبيَّة والجراحيَّة والفلكيَّة الى غير ذلك ومن الَّتي جُعلت لنشر التعليمات الدينيَّة جمعيَّة نشر التوراة وهذه تُوزع في انحاء المعمورة ما لا يُحصى من نسخ التوراة مترجمة الى ١٤٠

لساناً كل جهة بحسبها

وبها كثيرٌ من الكتبخانات وأهمها "برِيتِشْ مُوزِيُومْ" وكثير من محلات المطالعة بالأُجرة ومحلات إعارة الكتب لمطالعتها واعادتها نظير اشتراك في الاسبوع او الشهر او السنة ويوجد في احدى هذه "لُندن لَيبْرِيرِي" مائة الف مجلد

وبها من صحف الاخبار اليوميّة ٦٨٠ جريدة ومن الصحف الدوريّة ٨٠٠ صحيفة وأَشهر جرائد الصباح "التيمس" وهو ليس متشيّعاً لأَحد الأَحزاب "والديلي نيوز" وهي جريدة الأَحرار "والديلي تلغراف" "والسثاندرد" وهي لسان حال المحافظين "والمورننج پوست" وهو لسان حال الحاشية الملوكيّة واشهر جرائد المساء "پال مال غازت" "وسان جمس" "وإڤنن ستاندارد" "وجلوب" "وإڤنن نيوز" "وإيكُو" وتصدر غير هذه جرائد ادبيّة وأُخرى محلاة بالرسوم الى غير ذلك من الجرائد العلميّة والفنيّة مما لا يحتمل تفصيلهُ هذا الكتاب

وبها من وسائط النقل ما يناسب اتساعها العظيم ففيها عربات الركوب بعضها بعجلتين وهذه تسع شخصين لاغير وسائقها من الخلف وباقيها باربع عجلات وسائقها من الامام كالمعتاد وتقدّر الاجرة فيها بحساب المسافة الّتي يقطعها الراكب والمسافة المعتادة ميلان قيمتها شلن واحد — خمسة غروش — وفيها عربات الأُومنيبوس وهذه تشق المدينة من جميع الجهات ولها اكثر من مائة خط تختلف اجرة الركوب فيها بحسب قصر المسافة وطولها وان كانت زهيدة على كل حال وفيها عربات التراموى وهي الّتي تمشي بالخيل على قضبان من حديد فتسير في كل خمس دقائق وفيها السكك الحديديّة البخاريّة الّتي لا تحصى فتمر من تحت ارض

محال السكن ومن فوقها وبجوارها وربما رأى الناظر ثلاث طرق او اربعاً مارّة فوق بعضها من المحل الواحد كلٌّ منها يتجه الى وجهة في ارتفاعه المعلوم وفيها على الخصوص السكة الحديديَّة البخاريَّة الدائرة بالمدينة "ميترُوپُولِيتَن" فتسير تحت الارض في سراديب أو خنادق محفورة بها ويتفرع عنها فروع تتجه الى أطراف المدينة ولبيان أهمية هذه السكة الحديديَّة ومنفعتها يكفي القول بانها تنقل في السنة الواحدة ٨١ مليوناً من الركاب او مليوناً ونصفاً في الاسبوع وانهُ يمر من احدى جهاتها حيث تتفرع منها اربعة طرق ٨٣٥ قطاراً في كل يوم من ايام الاسبوع غير الاحد فانهُ يمر فيهِ اكثر من ذلك وفيها الوابورات النهريَّة ولها ٤٨ محطة على التيمس وتسير طول اليوم بعضها في كل عشر دقائق وبعضها في كل ربع ساعة وبعضها في كل نصف ساعة وبعضها في اكثر من ذلك بحسب الاتجاهات الى النواحي

والأسواق والحوانيت بها كثيرة جداً بحيث تفوق الحصر والعد ويوجد فيها جميع الأصناف فتباع فيها الاسلحة ولوازم السياحة والمجوهرات والقلانس وأصناف السجائر والدخان والمأكولات والسكاكين والبلور والخزف وفراء الملابس والأدوانات - قفافيز - والساعات والكتب والجلود وسائر اللوازم ومنها دكاكين المودة والازياء المستحدثة وآلات الموسيقى والمنظارات والورق ولوازم الكتابة والشماسي والمطريات والروائح العطريَّة والفوطوغرافية والبسط والشاي وغير ذلك من الاشياء

وان حركة الذهاب والمجيء في تلك الأسواق لمن اعجب الأمور وأغربها فانك ترى النشاط منبثاً في سائر انحائها وروح السعي منتشرة في كل ارجائها حتى إن

منظرها ليعد من أغرب الغرائب التي لاينبغي للغريب ان يهمل التفرج عليهِ لاسيما في بكرة النهار فانها تكون غاصة بالقوم وهم يبتاعون اللوازم ومؤنة اليوم

وفي المدينة سوق عظيم للخضراوات والفاكهة والأزهار وبها سوق للسمك عظيم على ضفة نهر التيمس بجانب الجسر المعروف بجسر لندن وهو خليق بالازديار ولو أن الروائح المنبعثة فيهِ لاتحاكي اعطار سوق الأزهار وتباع الأسماك بمجرد وصولها بالجملة لتجار يبيعونها حسب الطلب بعد ذلك وتجيء اليهِ منها بطريق السكة الحديدية كمية عظيمة جداً

ويوجد سوق في غاية التنظيم معد لبيع اللحوم وهو يتصل بالمدينة وبسوق الماشية بسكك حديدية تسير تحت الأرض أما سوق الماشية المذكور فهو اكبر سوق في العالم كلهِ قاطبةً وبهِ مكاتب للاستفهامات وبنوكة ومحلات للبوستة والتلغراف وغير ذلك وعلى جوانبهِ زرابي الأنعام على خط ممتد لانهاية لهُ والنظام والانتظام مستمران فيهِ على الدوام

وهناك سوق كبير خاص بالخيول وهو مركز جميع الأعمال المختصة بالمسابقة والرهان

ويستهلك بلندن في السنة ٤٠٠٠٠٠ ثور ومليون ونصف مليون رأس ضان و ١٣٠٠٠٠ عجل و ٢٥٠٠٠٠ خنزير وثمانية ملايين من الطيور والصيد و ٤٠٠ مليون رطل — ليبره — من السمك فضلاً عن ٥٠٠ مليون محار — ويتر — و ١٢٠٠٠٠٠ سمكة من سرطان البحر — هُمَار — وثلاثة ملايين سمك من النوع المسمى "سومون" ويُستهلك بها ايضاً خمسون مليون رطل من اللحم الذي يشترى من القصابين ويشرب فيها ١٨٠ مليون ليتر من البورتر وهو نوع من البيرة القوية

و٨ ملايين لتر من المشروبات الروحيَّة و٣١ مليون لتر من النبيذ وتبلغ كميَّة المياه الَّتي تُوزَّع على البيوت من تسع كومپانيات ١٥٠ مليون لتر ماء في اليوم — ويرد اليها في كل سنة أربعة ملايين طونولاطة فحم حجري بواسطة السفن وأربعة ملايين أُخر بواسطة السكك الحديديَّة ويبلغ مجموع المصاريف الَّتي ينفقها أهل لندن في كل عام مائتي مليون جنيه تقريباً ويبلغ عدد السفن الَّتي تدخل ميناها كل عام عشرين ألفاً وتبلغ قيمة التجارة الَّتي تصدر منها على نهر التيمس كل سنة مائة مليون جنيه

هذا والأعمال العظيمة والمباني الفخيمة الجاري انشاؤُها في لندن بقصد تسهيل المرور ومراعاة النظامات الصحيَّة تجري كلها تحت مناظرة مجلس مخصوص مركب من ٤٦ عضوًا ولا يخفي كثرة المصاريف الَّتي تستلزمها هذه الأعمال الجسيمة من انشاء شوارع وفتح طرق وتوسيع الحارات القديمة وغير ذلك وأعظم أعمال الطرق هو انشاء البالوعات الَّتي ابتدِئ فيها سنة ١٨٥٩ وانتهت في سنة ١٨٧٣ وبلغت مصاريفها ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه وقد كانت الاقذار قبل ذلك تُلقى في نهر التيمس فكان يتصاعد منها ما يضر بالصحة فإن مقدار ما كان يلقى منها يومياً في الجهة الشماليَّة ٣٠٠ ألف متر مكعب وفي الجهة الجنوبيَّة ١٢٠ ألف متر مكعب أما الطريقة الحالية في ذلك فهي عبارة عن بلاليع عظيمة تنصب فيها بجار فرعيَّة صغيرة ثم تسير بحذاء نهر التيمس مسافة ٢٢ كيلو متر فتصب في النهر على بعد من البلد بعد ان عَرَضَ عليها قبل وصولها اليهِ أعمال كثيرة لتنظيفها وإعدام العفونات الَّتي فيها على أَنَّ مسألة البالوعات لم تزل موضوعاً للبحث والنظر للتوصل الى حلِّها بكيفيَّة نهائيَّة وهذه الموجودة منها عبارة عن سراديب مبنيَّة

بالآجرّ عرضها ثلاثة أمتار و٦٠ سنتمتر وارتفاعها ثلاثة أمتار وهي مفتوحة عند مصبها ومجموع أطوالها ٨٥ ميلاً انجليزيًا عبارة عن ١٣٧ كيلو متر

والأرصفة المعمولة على نهر التيمس ليست بأقلّ من البالوعات في الأهمية والجسامة والمتانة والضخامة

اما توسيع الشوارع والحارات وقد ابتدئ فيهِ تحت مناظرة هذا المجلس من سنة ١٨٧٢ فكانت نتيجتهُ افتتاح شوارع كثيرة وتوسيع حارات عديدة حتى صارت أنحاء جميع هذه المدينة متصلة ببعضها وكل شوارعها تنفُذ الى بعضها

وتحت إدارة المجلس المذكور مصلحة اطفاء الحرائق وما يلزمها من الطلومبات والأدوات والعُدد ورجالها في غاية الانتظام يبلغ عددهم ٦٠٠ و يصرف على هذه المصلحة وحدها في كل عام مائة الف جنيه

والتعليم الابتدائي في هذه المدينة موكول امرهُ الى مجلس مركب من ٥٥ عضوًا ينتخبهم سكان المدينة وقيمة المبالغ التي يصرفها هذا المجلس سنويًا تزيد على مليون جنيه وعدد الأطفال الذين يتعلّمون تحت رعايتهِ ار بعمائة الف تقريبًا

ونختم هذا الفصل بذكر عادة من عادات هذا البلد وهي استراحة يوم الأحد وذلك أنهم يتركون جميع الأعمال والتجارات و يغلقون الدكاكين ومحلات الطعام ومحلات الشرب طول نهار يوم الأحد المذكور

وهذه العادة مرعيّة كل الرعاية لا يجترئ احد على الإخلال بها كبيرًا كان اوصغيرًا عظيمًا او حقيرًا بل كلهم في ذلك شرع واحد وان اختلفوا في المذاهب فتبقى الحوانيت وجميع المحال مغلقة طول النهار في وسط المدينة — سيتي — وتفتح في غيرهِ من الساعة الاولى بعد الظهر الى الساعة الثالثة حتى ان اعمال البوستة في هذا

اليوم لا تكاد يشتغل بها فالاحسن بالغريب ان يخرج للتنزه في ايام الآحاد ويقصد الفلوات البعاد هذا والغريب لا يُرَدُّ اذا طلب مأكلاً او رغب مشرباً في هذا اليوم الاَّ نادرًا ولكن يستحيل على الانجليزي أن ينال شيئًا من ذلك اثناء الاشتغال بالاحتفالات الدينيَّة في هذا النهار

وكانت لهم عادات قديمة وأخلاق عتيقة غير هذه العادة حصل تلاشي كثير منها وأعظم العادات الباقية عندهم الى الآن الابتهاج بتنصيب امين البلد الجديد فإنهم يذهبون معهُ الى سراي الحاكم في موكب حافل ليحلف اليمين عن وظيفتهِ المستجدة وبعد ذلك يُولم وليمة حافلة في مساء يوم ٩ نوفمبر احتفالاً باحتلالهِ هذا المنصب الجديد يدعو اليها امراء القوم ورجال الحكومة

﴿ الإقامة بلندن ﴾

قد علم مما سبق ما عزمنا عليهِ من التفرج على البلد وما يمكن من ضواحيها صحبة أصحابنا الذين التقينا معهم فتوجهنا اول يوم من أيام الاقامة الى محل كوك وتقابلنا مع الدليل واتفقنا معهُ ان يحضر الينا بالعربة في صباح اليوم التالي وانصرف كلٌّ منا لحالهِ في ذلك اليوم فقضينا بعض مصالح من بنك كريدي ليونيه وتفرجت مع سيدي الوالد بالبلد حسب ما امكن ثم توجهت معهُ الى "بِرِيتِش مُوزِيُومْ" المتحف البريطاني وسيأتي عليك بيانهُ ثم تفرجنا في اليوم التالي مع الدليل على ما امكن من محلات المدينة وتوجهنا في الليل للتفرج على "كِرِسْتَل بَالِيس" قصر البلور وسيأتي بيانهُ وتفرجنا في اليوم الذي بعدهُ على قسم آخر من المدينة وقضينا بعض لوازم وعدنا الى المتحف لإكمال التفرج وتفرجنا في الليل

على "محل مَدَامْ تُوسُّو" وكانت تمت الاقامة بهذه البلد ثلاثة ايام الأربعاء والخميس والجمعة ٢١ — ٢٢ — ٢٣ اغسطس سنة ٨٩ فبارحناها في صباح اليوم التالي ـ السبت ٢٤ اغسطس سنة ٨٩ ـ الى حيث تعلم بالفصل الآتي

واسمع الآن ما يُتلى عليك من مشاهداتنا بهذا البلد وما رأيناهُ فيها على سبيل الاختصار ولا اظنك بعدهُ تحتاج الى تفصيل ما فيها من الطرق والشوارع وانتظامها وما بجوانبها من العمارات فإن هذا امر يكفيك فيهِ العلم بأن شوارعها متسعة منتظمة أرضها معمولة بالأخشاب او الأحجار بها حركة مستمرة لا تنقطع في الليل ولا في النهار وإن عماراتها غير ملتزم فيها شكل واحد من العلوّ وزيادة الارتفاع كدور باريس بل الغالب فيها أنها قليلة الارتفاع غير كثيرة الطبقات تتخللها متسعات وتحيط بالبعيدة منها عن مركز المدينة بساتين وهذا هو الموجب لزيادة مساحة لندن جدًّا عن باريس والأ فكان يكفي لسكانها اقل من المساحة الّتي هي عليها الآن وقد اصاب اصحاب لندن في ذلك فان المتسعات هي من مستلزمات الصحة لكثرة تخالل الهواء بين مساكنها ولأن تباعد المساكن عن بعضها بواسطة هذه المتسعات وقلة الطبقات الّتي يسكنها كثير موجبٌ لقلة الاختلاط الذي ربما تسبب عنهُ فساد الأخلاق على ما لا يخفى من كثرة اجتماع الفتيان مع الفتيات وغير ذلك من التحاسد والاطلاع على الاسرار

(بِرِيتِشْ مُوزِيُومْ) — المتحف البريطاني — وينقسم الى سبعة اقسام قسم المطبوعات وقسم ما كتب بخط اليد وقسم الرسومات والتصاوير وقسم الأنتيكات الشرقيّة وقسم الأنتيكات البريطانيّة والقرون الوسطى والمتعلقة بعادات الشعوب وقسم الأنتيكات اليونانيّة والرومانيّة وقسم المسكوكات والميداليات

واول من تسبب في إيجاد هذا المتحف الجامع ورثة الطبيب "هنس سلون" المتوفي سنة ١٧٣٥ فإنهم عرضوا على الحكومة الكتب والمجموعات التي كان يمتلكها مورثهم بمبلغ عشرين ألف جنيه وكانت تساوي خمسين الف جنيه لا أقل فقبلت منهم الحكومة ذلك وضمت الى ما أخذتهُ ماتفرق في مواضيع أُخر ووضعت الجميع في إحدى السرايات ثم ضُم اليهِ مجموعة أنتيكات مصرية تبرع بها الملك جيورج الثالث في سنة ١٨٠١ أحضرتها جيوشهُ من مصر ثم الكتب التي أهداها جيورج الرابع سنة ١٨٢٣ وكان جمعها والده وبسبب كثرة توارد الهدايا استلزم الحال بناء محل كبير فتقرر تشييد المحل الذي بهِ المتحف الآن وشُرع فيهِ في سنة ١٨٢٣ الى أن تم في سنة ١٨٥٢ وهو غاية في العظم وجهتهُ ذات جناحين امتدادها ١١٢ مترًا أمامها سقيفة مرتفعة على عمد عظيمة تعلوها الرسوم والتماثيل.

ويدخل هذا المتحف خلائق لا تحصى تقصدهُ من جميع الجهات وقد بلغ عدد من دخلهُ في سنة ١٨٨٦ـ٥٠٤٨٩٣ شخصًا مع أن بعض محلاتهِ لا يمكن زيارتها الاَّ بتصريح خاص

وهو مركّب من طبقتين كل واحدة منهما تشتمل على قاعات حسب لزوم الأقسام السبعة السالف ذكرها

ويشتمل قسم المطبوعات على مليون ونصف من المجلدات ويزيد هذا العدد كل عام نحو ٣٠٠٠٠ مجلد

ويشتمل قسم ما هو مكتوب بخط اليد على غرائب وبدائع مرصوصة في عدة خزانات منها خزانات المكاتيب المكتوبة بخط يد منشئيها من أشهر رجال الانجليز مثل "لوتير" صاحب المذهب البروتستانتي وكلوين وباكون واسحق نيوتن وغيرهم

ومرلبروج وروبنس وراسين وكُورْنِيْ ومُولْيير وڤولتير ونابليون الاول ومنها خزانة المكاتيب التي انشأها ملوك الانجليز وكتبوها بخطوط أيديهم مثل ريشارد الثاني وهنري الرابع وهنري الخامس وشارل الاول وكرومول والملكة الحالية حيث يوجد امضاؤها منذ صغرها ومنها خزانة مكاتيب رجال السياسة والقواد في الدولة الانجليزية مثل ولسي وپيت ونلسون وپلمرستون ومنها خزانة كتب مشاهير المؤلفين والموسيقاتية مثل رشاردسون وجولد سميت وجونسون ومنها خزانة الصكوك الأثريه والمكاتيب التاريخية التي بخط أصحابها الى غير ذلك من الخزانات والآثار

وفي وسط قاعة الكتابة الخطية هذه ما لا يحصى من الخطوط الأوروبية والمشرقية مرتبة بحسب تواريخها ليستدل منها على كيفية تقدم الخطوط وتحسنها تدريجياً حتى وصلت من حالتها الأولية الى حالتها الحالية

ويتبع القسمين المذكورين قاعتان متسعتان جليلتان تحتوي إحداها على الكتب التي أهداها جيورج الرابع كما تقدم وهي عبارة عن ثمانين الف مجلد عظيمة الصنف والتجليد وتحتوي الأخرى على الكتب التي أوصى بها للمتحف توماس جرونقيل وتشتمل على ٢٠٢٤٠ مجلدًا

وأما باقي أقسام المتحف المخصصة بالأنتيكات المشرقية واليونانية والرومانية والمسكوكات والرسومات فتحتوي من بدائع الآثار ونفائس الأحجار على ما تحار منهُ الأفكار بين رومانية ويونانية وآسيوية الى غير ذلك من مصنوعات الأمم القديمة العهد العريقة في الحضارة والمجد ومن الآثار المصرية والأشورية والصينية والهندية ومخلفات الأمم البائدة وتصاوير القبائل والشعوب الحالية ومصوغات

الذهب والميداليات ومصنوعات الزجاج وغير ذلك مما لا يُحيط بهِ الحصر ويضيق عن بيانهِ الوصف وإِنما يقدُره العارفون بهِ قدرهُ ويُوَفُّونهُ من الوصف والمدح حقهُ ويكفي القول بأَن اقسام هذا المتحف جمعت من الغرائب والنوادر ما عساه لم يجتمع في غيرها من البلدان وقد تكفلت مطولات الكتب بشرح هذه النفائس وتعهد مشاهير السياح ببيانها حق البيان ولنكتفِ بما ذكرناهُ

وانما نذكر بعض كلمات تتعلق بأَنتيكات مصر لانها تهمنا اكثر من غيرها فنقول على سبيل الاختصار ونهاية الايجاز

إِن هذه الانتيكات تشغل ثلاث قاعات من الطبقة الأَرضيَّة وثلاثاً من الطبقة العليا والجميع في غاية السعة وهي مرتبة في هذه المحلات بحسب ترتيبها التاريخي تنبئُ عن أَلفي سنة قبل الميلاد الى ٦٤٠ سنة بعدهُ

ويشتمل قسم من القاعة الجنوبيَّة بالطبقة الأَرضيَّة على آثار كانت في زمن الرومانيين وقسم على آثار البطالسة وفي وسط هذه القاعة "حجر رشيد" المشهور الذي كان مفتاح اللغة الهيروجليفيَّة وهو من الصوان الأَسود وعليهِ ثلاثة أَنواع من الكتابة

وتشتمل القاعة الوسطيَّة على بعض آثار زمن رمسيس الثاني الكبير منها تمثال رمسيس المذكور وصورة الملك سيتوس الأَول مصنوعة من الخشب

وتشتمل القاعة الشماليَّة على آثار من آثار العائلة الثامنة عشرة وقد بلغت مصر في زمنها منتهى المجد والرفعة ومن جملة ما فيها بالجهة اليمنى تمثال الإِله هوروس مصنوعاً من الصوان الأَسود وبالجهتين صورتان من صور الملك أَمينوفيس الثالث ومما بها ايضاً صورة الملكة موتمويا جالسة في فلك من الصوان هذا غير

الأنتيكات الصغيرة الموضوعة بالخزانات المحيطة بهذه القاعة

ثم يُصعد من دهليز أمام هذه القاعات بسلّم مغطاة جدرانهُ بورق البَرْدِي — پاپِيرُوسْ — المملوء بالكتابات الهيروجليفيّة حتى يتوصل الى قاعات الطبقة العليا

الاولى منها محتوية على عدة خزانات في إحداها تمثال "المشتري" وفي أُخرى تمثال " ما " الحقيقة و" را " الشمس وفي غيرها تماثيل بعض المعبودين وبعض الحيوانات المقدسة عندهم وبعض صور الملوك وكبار الموظفين مجسمة وفي غيرها الملابس وما يلزم للزينة حتى بعض شَعر مستعار فيدل على ان المصريات القدماء كنّ يستعملنَ ذلك للزينة كما تستعملهُ النساء في هذه الأَزمان

وفي بعض هذه الخزائن كثير من الخواتم والعقود والأَطواق وصور الجمارين مجسمة

والقاعة الثانية تشتمل على خِزانات بها كثير من الآنية المعمولة من الرخام الأَبيض والبرونز وغيرهما منقوشة بالنقوش المتقنة وكثير من الأَقمشة والعُلب والملاعق والأَسلحة والأَدوات المختلفة والآلات المتنوعة وعُدَد الموسيقي وكثير من الآنية من مدة البطالسة ومن زمن اليونان والرومان

والقاعة الثالثة بها كثير من المومياء — أجسام محنطة — وورق البَرْدِي وأجسام الحيوانات المحنطة وغير ذلك من الاشياء

هذا وقد فاتني عند ذكر قسمي المطبوعات والمكتوبات بهذا المتحف ان اذكر قاعة المطالعة مع انها أبهج وابهى المحلات التابعة للقسمين المذكورين وها أنا اذكرها الآن:

هي على شكل بيضاوي عظيم شُرِع في بنائها سنة ١٨٥٥ وانتهت سنة ١٨٥٧ ولها قبة من الحديد والزجاج يبلغ قطرها ٤٣ مترًا وارتفاعها ٣٢ مترًا ويمكن ان يجلس فيها ٣٦٠ شخصاً يشتغلون بالقراءة والكتابة مع الراحة وفي وسط القاعة كرسيٌّ عالٍ يجلس عليهِ المغيِّر وبقربهِ فهرست الكتب عبارة عن ٤٠٠ مجلد موضوعة على ست طاولات كبيرة حوالي المغيِّر وأمامهُ اوراق الاستعارات بيضٌ للكتب المطبوعة وخضرٌ للكتب التي بخط اليد فيكتب الطالب بورقة الاستعارة اسم الكتاب المرغوب ونمرتهُ التي بالفهرست ونمرة الكرسي الذي اختارهُ ونمرة الطاولة التي يجلس أمامها ثم يضع الورقة في سبت مخصوص ويذهب الى مكانهِ فيجيئهُ المغيِّر بالكتاب في الحال وفي هذه القاعة ما يزيد عن ٢٠٠٠٠ كتاب غير المبينة بالفهرست وكلها قواميس وانسكلوپيديات وكتب تواريخ وجغرافية وغير ذلك من الكتب التي يُحتاج اليها على الدوام وهذه يمكن الانسان مراجعتها دون ان يطلب ذلك من مستخدمي الكتبخانة وفي الليل تُضاء هذه القاعة بالنور الكهربائي — وفي سنة ١٨٥٨ التي افتتحت فيها هذه القاعة كان عدد المطالعين بها على التعاقب ١٩٠٤٠٠ وكان عدد الزائرين في تلك السنة ٥١٩٥٠٥ وعدد الكتب التي طلبت المطالعة فيها ٨٧٧٨٩٨ وفي سنة ١٨٨٦ بلغ عدد المطالعين والزائرين ١٧٦٨٩٣ — ولا يجوز الاشتغال في هذه القاعة الاَّ لمن كان عمرهُ ٢١ سنة فاكثر بشرط ان يُقدِّم طلباً بذلك لرئيس عموم المتحف مبيناً بهِ اسمهُ وصنعتهُ ومحل اقامتهِ وان يكون الواسطة لهُ شخصاً يعرفهُ الرئيس المذكور

وقد أردنا ان نتفرج على قسم الكتب العربيَّة ووجدنا انهُ من الاقسام التي يلزم للتفرج عليها تصريح مخصوص فاستحصلنا عليهِ من نفس المتحف بكل سهولة

حيث قابلنا الرئيس أحسن مقابلة واعطانا إيّاهُ ليومين اي لاكثر ممّا طلبناهُ بمجرد ما تفرسهُ فينا من الملابس ان ذلك القسم يخصنا اكثر من غيرهِ ولكن كاد النهار ان يمضي وكنا نتوهم أن بحثنا في ذلك القسم يستغرق زمنًا طويلاً لما كنا نسمعهُ بالاشاعة من ان هذا القسم العربي يحتوي من نفائس الكتب المشرقيّة وغرائبها على ما لم تحوهِ عواصم الشرق على العموم فانصرفنا على ان نعود في اليوم التالي .

فلما عدنا وجدنا هذا القسم يُضاهي مثيلهُ في كتبخانة پاريس من حيث عدم ترتيب الفهارس فيهِ على الوجه المرغوب وزاد على قسم پاريس ان المغيّر فيهِ — وان كان غاية في الملاطفة وحسن التهذيب — لا يُحسن اللغة الفرنساويّة ولا يتكلم بالعربية وان كان يفهمها قراءةً على ما فهمناهُ منهُ

وكنت أقصد التفرج على فهرست الكتب لعلي أعثر على غرائب منها و يقصد سيدي الوالد العزيز كتباً معلومة ولكن حال بيننا و بين ذلك سوء الحظ

اما التفرج على الفهرست فلم يفدنا المقصود لعدم انتظامهِ ولتفرق أوراقهِ حتى ان كل جملة منها في درج كان يأتي لنا بهِ المغيّر فلا نقف منهُ على حقيقة

واما الكتب المخصوصة التي كان يحب سيدي الوقوف عليها فلم نهتدِ اليها ايضاً لعدم فهم المغيّر ما نقصدهُ وعدم فهمنا غالب ما هو مكتوب على أوراق الفهرست باللغة الانجليزيّة فضلاً عن عدم ترتيبها وانتظامها كما تقدم

انما لاجل عدم ضياع الفرصة طلبنا بعض كتب دلّنا عليها بالصدفة بعض كتابة باللغة العربيّة في بعض الأوراق وأردنا ان نعلم مقدار الكتب العربيّة الموجودة في هذا المكان ففهمنا من المغيّر المذكور باللغة الفرنساويّة بعد الجهد ان عددها من أربعة آلاف الى خمسة آلاف كتاب

واني أتذكر من الكتب التي طلبناها كتابين " الصراح من الصحاح " وهو كتاب في اللغة العربيَّة مترجمة بالفارسيَّة تأليف جمال القرشي طُبع بكلكتا في سنة ١٢٢٢ الموافقة سنة ١٨١٣ و " المقامات الاثني عشر " لاحمد بن محمَّد المُعَظَّم المولود بالري احدى مدن فارس عارض بها مقامات الحريري طبع پاريس سنة ١٢٨١

وربما كان يمكننا الوقوف على كيفيَّة ترتيب الفهارس بكثرة الممارسة مع هذا المغيّر المهذب والاستعانة بهِ على ما نريدهُ منها لو لم نرد صرف الوقت في التفرج على باقي المدينة مع قلّتهِ

هذا وقد رأيت ما سرّني ونحن نتفرج على تلك الفهارس أمام هذا المغيّروهو أني وجدت تجاههُ "المقامة الفكريَّة في المملكة الباطنيَّة" تصنيف سيدي الوالد و"جغرافية مصر" تصنيفي فسألتهُ كيف وصول هذين الكتابين الى هذه الكتبخانة وما السبب في وجودهما على مكتبتهِ مع كونهما بغير لغة البلاد فأجاب أنهما اشترِيا من المحروسة من مدة على ذمة هذه الكتبخانة وأنهُ مشتغل بمطالعتهما وأنهُ فهم كثيرًا منهما فسألتهُ بلطف عن بعض معانيهما فوجدتهُ فاهمًا لذلك بل وجدتهُ في تفهيم مقصودهِ منهما أقدر عليهِ من تفهيمهِ لنا ما في الفهارس فأنساني ما خالج نفسي من السرور بسبب رؤية هذين الكتابين الأسفَ على ما فاتني من عدم الاهتداء بالفهارس إلى ما اردناهُ كما أنساني الفرحُ بتفهيمهِ لي مقصودَهُ من هذين الكتابين التأثّرَ من عدم اقتدارهِ على الكلام الذي كان يوقفنا بهِ على المرام

ثم إني تمنّيت عند تفرجي على هذه الكتبخانة ان لو انتخبت حكومتنا بعض

من لهُ خبرة بالكتب العربيّة وارسلتهُ الى كتبخانات اوروبا لانتقاء الكتب النافعة التي لم توجد عندنا ونسخها فإِنهُ يترتب على ذلك فوائد جزيلة ومنافع عميمة جليلة لأبناء الوطن وقد أخبرني صاحبنا العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمَّد محمود الشنقيطي أنهُ لما أُرسل من الأستانة الى اوروبا لمثل هذا الغرض وجد بكتبخاناتها كثيرًا من الكتب العربيّة القديمة العهد العظيمة النفع المعدومة الوجود في بلاد الشرق على العموم

(كنيسة القديس بولس الكاتدرائيّة) هي أفخم المباني التي تستوقف الأنظار وتحار عندها الافكار قائمة على مرتفع يشاهد من بعيد وكان بمكانها في الأصل هيكل لعبادة بعض الآلهة في الأزمان الخالية ففي سنة ٦٠٣ بنى بعض الملوك فيهِ كنيسة استمرت الى سنة ١٦٦٦ فاحترقت بتمامها وبقي المحل خاليًا تسع سنين حتى شُرع في وضع أساس هذه الكنيسة الحالية يوم ٢١ يونيوسنة ١٦٧٥ وانتهت في سنة ١٧١٠ بعد أن ضربت الدولة لأجل اتمامها ضريبة على معادن الفحم الحجري وبلغت نفقاتها نحو ٧٤٨ ألف جنيه

وهي على هيئة صليب تشابهُ كنيسة القديس بطرس في رومه وان كانت أصغرَ منها ويبلغ طول صحنها ١٥٢ مترًا وعرضهُ ٣٦ مترًا وارتفاع قبتها من الداخل ٦٨ مترًا ومن الخارج ١١١ مترًا

وهي اكبر الكنائس بعد كنيسة القديس بطرس برومه كما تقدم وبعد كنيسة ميلانو الكاتدرائيّة والناظر اليها من قريب لايتحقق جسامتها لإحاطة الأبنية بغالب أطرافها فلايتحقق من ذلك الاَّ اذا كان بعيدًا عنها

ومنظر وجهتها من الخارج جميل جدًّا عرضها ٥٥ مترًا وأمامها سقيفة محمولة

على اثني عشر عمودًا من الرخام يُصعد اليها بسلّم له اثنان وعشرون درجة وبمقدّمها بَنِيَّةٌ مثلثة بها صور كثير من القديسين ناتئة في الحجر من صنع أَحسن الصناع واشهرهم

أَما من الداخل فهي خالية من النقوش والزخرفة كعادة البروتستانت في كنائسهم وبها كثير من قبور مشاهير الإنجليز وقوادهم جريًا على عادتهم في دفن المشاهير من موتاهم في الكنائس تعلو قبورهم فيها الصور والتماثيل فمن ذلك قبر الأَميرال رودني وبجوار قدميهِ تمثالا شخصين يحكي احدهما للآخر حديث غزوات الأَميرال المذكور على قصد ان الحاكي هو النصر والمحكي لهُ هو التاريخ

ولا يُمنع انسان من التفرج على ما بهذه الكنيسة من التحف والآثار في كل وقت غير اوقات الصلاة ويُعمل بها في كل سنة احتفالان عظيمان في شهري مايو ويونيو أولهما لمساعدة أَرامل القسس وأَيتامهم والثاني لمساعدة المدارس المجانيَّة

(سراي عموم البوستة) هي عبارة عن دار مشيدة يبلغ طولها ١٢٠ مترًا بوسطها قاعة طولها اربعة وعشرون مترًا في عرض ١٨ وفي شمال هذه القاعة مكاتب المراسلات التي برسم الخارج عن لوندرة وفي جنوبها قلم المكاتب التي برسم المدينة ذاتها وبها قلم المكاتيب المكتوب عليها "پُوسْتْ رِسْتَانْتْ" وهي مكاتيب ليس عليها بيان مقر المرسلة اليهِ لكن تبقى في البوستة الى ان يجيءَ صاحبها يسأَل عنها وبهذه السراي قلم المراسلات المرتجعة وبجانبهِ جدول يشتمل على عنوان اصحاب المكاتيب الذين لم يستدل عليهم وهناك صندوق التوفير المختص بالبوستة وغير ذلك وهاك بيان صادرات البوستة بأَنحاء المملكة اعني انجلتره واسكوتلانده وايرلانده

المراسلات — ٩٦٢ مليونًا في سنة ١٨٧٤ و١٠١٩ مليونًا في سنة ١٨٧٦

و١٤٥٩ مليوناً في سنة ١٨٨٦—٨٧

تذاكر البوستة — ٧٩ مليوناً في سنة ١٨٧٤ و٩٣ في سنة ١٨٧٦ و١٨٠ في سنة ١٨٨٦—٨٧

الكتب والجرائد—٢٥٩ مليوناً في سنة ١٨٧٤ و٢٩٨ في سنة ١٨٧٦ و٥٢٠ في سنة ١٨٨٦—٨٧

طرود البوستة — وهي من المستحدثات — ٣٢٨٦٠٠٠٠ في سنة ١٨٨٦—٨٧

اما المبالغ المرسلة بموجب حوالات على البوستة فهي باهظة جدًّا ولو ان التحويل لا يجوز ان يكون بأزيد من ١٠ جنيهات هذا فضلاً عن انتشار استعمال الشيك وهو نوع من السفاتج عندهم وذلك ان مصلحة البوستة في سنة ١٨٨٢—٨٣ اعطت تحاويل يبلغ عددها ١٥٠٩٠٨٥٨ بمبلغ قدرهُ ٢٧٥٩٧٨٨٣ جنيهاً انكليزيًّا فلما انشئت بونات البوستة قل استعمال الحوالات فصار عددها في سنة ١٨٨٦—٨٧ ٩٧٦٢٥٦٢ حوالة فقط ولكنهُ في نظير ذلك كان عدد البونات المرسلة في هذه السنة ٣١٦٠٨٧١١ بمبلغ قدرهُ ١٢٩٥٩٠٠٠ جنيه انكليزي

ويبلغ عدد النقود المودعة الآن في صناديق التوفير الخاصة بالبوسته التي انشئت في سنة ١٨٦١—اربعة وخمسين مليون جنيه انكليزي

وقد كان صافي الايراد في مصلحة البوستة في سنة ١٨٨٦ — ٨٧ ٢٥٩١٠٥٧ جنيهاً انكليزيًّا

وبجانب مصلحة البوستة (مصلحة عموم التلغرافات) وهي عبارة عن عمارة عظيمة ابتدئ فيها سنة ١٨٧٠ وتمت في سنة ١٨٧٣ وطول القاعة الكبيرة فيها ٩٠ مترًا وعرضها ٥٧ مترًا وتحتوي على ٥٠٠ جهاز تلغرافي وتحت أرض هذه

العمارة يوجد ثلاث آلات بخارية قوة كل واحدة منها خمسون حصانًا وهي ترسل ما ورد اليها من التلغرافات في مكاتيب الى مكاتب التلغراف بالمدينة في مواسير مفرغة من الهواء بواسطة الضغط على المكاتيب المذكورة

وبلغ عدد التلغرافات الصادرة عن مصلحة عموم التلغرافات هذه في سنة ١٨٨٨ — ٨٩ — ٢٠٢٣٦٥٣٩ تلغرافًا برسم لونده و٥٧٧٦٥٣٤٧ تلغرافًا برسم باقي انحاء المملكة

(كرِيسْتِس هُوسْپِتَال) بمعنى "مستشفى المسيح" وليس هو محلاً تُعالج بهِ المرضى كما يفيدهُ الاسم بل أَصل انشائهِ بواسطة جمعية تأَلفت في عهد الملك إدوار السادس سنة ١٥٥٣ لأَجل تربية اليتامى وأَولاد الفقراء وتعليمهم وهو الآن لا يقتصر على ذلك بل هو مدرسة للأَحداث مطلقًا يتعلم فيها ١٢٠٠ تلميذ وقد حافظت على العادات الَّتي كانت في زمان انشائها حتى الملابس والأَزياء الَّتي كانت وقت ذاك من جوارب صفراء وسراويلات وجبب زرقاء

وايراد هذه المدرسة في السنة الواحدة سبعون أَلف جنيه انكليزي ولا يُقبل فيها الاَّ الغلمان الَّذين ليس عمرهم أَقل من سبع سنوات ولا اكثر من ٩ ويتمون دروسهم في السنة الخامسة عشرة من عمرهم ويخصص منهم البعض بالاشتغال بالتجارة والبعض بالمدارس الجامعة بالنسبة لاستعدادهم وآخرون بالرياضيات وكان لهذه المدرسة امتيازات كثيرة بقي بعضها الى الآن منها أَن أَولاد الملك كانوا يُقابلون في رحبتها يوم رأْس السنة باحتفال عظيم وفي يوم الاثنين من عيد الفصح يذهب جميع التلامذة في موكب كبير الى دار البورصة وفي يوم الثلاثاء يذهبون الى اللورد أَمين المدينة فيهدي الى كل واحد منهم شلنًا مضروبًا حديثًا ونجباء التلامذة

يخطبون في مواضيع شتى بقاعة المدرسة الكبيرة يوم عيد القديس ماتيو — متّى — وهو يوم ٢١ سبتمبر وقد نبغ بهذه المدرسة كثير من العلماء وتخرج بها جم غفير من الفضلاء

(سجن نِيُوجِيتْ) هو اكبر السجون في لندن وكان في الاصل مُعَدًّا لحبس الذين لا يدفعون ديونهم ثم خصص بالذين يرتكبون الجرائم ويقترفون الآثام وطول وِجهتهُ الاصليَّة ٩٠ مترًا وقد حول هذا السجن من الداخل الى حبوس انفراد في سنة ١٨٥٨ فصار يسع ١٩٢ مسجونًا وقد كانوا يشنقون الأَشقياءَ المحكوم عليهم بالموت أمام هذا السجن ثم بطل اشهار هذه العقوبة على رؤوس الاشهاد

وبالقرب من هذا السجن (محكمة الجرائم) وهي قسمان محكمة الجنايات ومحكمة الجنح وجلساتها علنيَّة ولكنهُ قد يتعذر في بعض الأَحيان وجود محل يجلس فيهِ الانسان بالنسبة لكثرة الازدحام

(مستشفى سان بارتِلْمي) بالقرب من مستشفي المسيح المتقدم وهو من أقدم المحلات الخيريَّة التي تأَسست سنة ١١٢٣ بِاوندرة ومن أَغناها وبناؤهُ الذي هو عليهِ الآن قد تم سنة ١٧٣٣ وشرع فيهِ قبل ذلك بثلاث سنوات ولهُ مدخلان كبيران فوق أحدهما تمثال الملك هنري الثامن وبجانبهِ صورتا مريض ومُقْعَدٍ مجسمتين وفي داخل هذا المستشفي كنيسة صغيرة

وإِيرادهُ أَربعون أَلف جنيه في كل عام وفيهِ ٦٧٦ سريرًا وعدد المرضى الذين يُعالجون فيهِ كل عام ٦٠٠٠ ويُرسَل الأَطباءُ منهُ لعيادة ١٤٠٠٠٠ مريض في منازلهم واذا عرض للانسان أمر قُبِل فيهِ حالاً في اي ساعة كانت في الليل أو النهار وعولج مجانًا وقد اشتغل بالمعالجة في هذا المستشفى من الأَطباء من خلدوا

اسمهُ وابقوا ذكرهُ دهر الداهرين فمنهم هارڤي الذي اكتشف نواميس دورة الدم ومنهم أبيرنيثي الجراح الشهير وغيرهما من حذاق الأطباء ومشاهير الحكماء وهناك محل للتدريس ومتحف للتشريح والنبات وكتبخانة عظيمة جدًّا ومعمل كيماوي وغير ذلك

وبالقرب من هذا المستشفى (سوق اللحوم) ومكانهُ في الأصل كان ملعباً خارج سور المدينة وكان قتل المحكوم عليهم بالاعدام يحصل فيهِ ثم صار سوقاً لبيع البهائم والأنعام الى ان ضاق بها المكان فانتقلت الى مكان آخر سنة ١٨٥٥ وجُعل هذا المكان سوقاً للحوم كما ذكرنا وكان الشروع في بنائهِ في سنة ١٨٦٢ والفراغ منهُ في سنة ١٨٦٨ وهو بناء أنيق وفي جوانبهِ الأربعة صروح أربعة وطولهُ ١٩٢ مترًا وعرضهُ ٧٥ وارتفاعهُ ٩ أمتار ومسطحهُ يقرب من ١٥٠٠٠ متر مربع وتحتهُ مخازن للسكة الحديد وهي متصلة بسكك المدينة الحديديَّة وفي وسط السوق بستان بديع بهِ فسقيَّة جميلة

وبجوارهذا السوق أسواق تجددت بعدهُ منها (سوق الطيور) ومنها (سوق الفواكه) ومنها (سوق الخضروات) ومنها (سوق السمك)

ويقرب من هذه الأسواق المكان المسمَّى (تشارترهاوس) وهو في الاصل دير ثم صار ينتقل من حالة الى حالة الى ان اشتراهُ بعضهم في سنة ١٦١١ وجعلهُ مدرسة لتعليم ٤٠ طفلاً وتكيَّة لثمانين شيخاً هرماً من الذين عضهم الدهر بنابهِ دون ان يكون لهم يد في حصول الفقر الذي حلَّ بهم

وايراد هذا المكان ٢٩ ألف جنيه كل عام وفي سنة ١٨٧٢ نقلت المدرسة الى مكان آخر لاسباب صحيَّة واشترى مكانها طائفة تجار الخياطين و بنوا فيهِ

مدرسة بديعة

(دار بلديّة المدينة) "جلْدْهُول" شيدت هذه الدار أولاً من سنة ١٤١١ الى سنة ١٤٣١ وخصصت بجلسات مجلس البلديّة ومجالس الطوائف ثم احترق معظمها في الحريقة الهائلة التي كانت في سنة ١٦٦٦ وأُعيد بناؤها في سنة ١٧٨٩ ووِجهتها على الطرز الغوطي بُنيت في ثلاث سنوات ابتداؤها سنة ١٨٦٥ وفوق بابها طراز المدينة وشارتها وعنوانها مكتوبٌ بالقلم اللاّتيني ترجمتهُ "يامولانا أرْشِدْنا"

وبهذه الدار قاعة كبيرة طولها ٤٦ مترًا وعرضها ١٥ مترًا وارتفاعها ١٧ صُرف على ترميمها فقط ٣٠٠٠٠ جنيه في سنة ١٨٦٥ وهي معدة الآن للانتخابات والاجتماعات المختصة بالنظر في شؤون المدينة ولها سقف من الخشب في غاية البهاء والرونق وفي جميع أنحائها تماثيل فاخرة لعظماء الرجال الذين نبغوا من الانجليز

وفي ٩ نوفمبر من كل سنة يعمل اللورد الذي تولى وظيفة أمين المدينة — لوردمير — وليمة فاخرة يدعو اليها رؤساء المصالح وارباب الحل والعقد ورجال الحكومة ويبلغ عدد الذين يحضرونها ألف مدعو وتكون عقب استلامهِ مقاليد هذه الوظيفة وفي هذه الوليمة يتلو الوزراء وغيرهم خطباً تتناقلها جرائد العالم ويكون لها تأثير مهم في امر السياسة

ولم يبقَ من البناء الاول لهذه الدار الاّ طبقة تحت الأرض بها كثير من أعمدة الرخام اللطيفة

وفي هذه الدار كتبخانة تحتوي على ستين الف مجلد بها الكتب والخرائط

والرسومات المتعلقة بلوندره وارباضها وكثير من النفائس

وبالطبقة الارضيَّة منها متحف للآثار الرومانيَّة العتيقة الَّتي وُجدت بلوندرة وغير ذلك من التحف الَّتي تركها كبار القوم من القرون المتوسطة فضلاً عما فيها من الدواليب المرصوصة الَّتي بها كثير من خطوط مشاهير الانجليز مثل الشاعر شِكْسبِيرْ الشهير وكرمويل ووِلِنْجتُون ونلسون وغيرهم

وبالقرب من هذه الدار (مدرسة جِرِيشِم) أُضيفت الى اسم مؤسسها الذي شاد أركانها في سنة ١٥٧٩ وخصصها بتدريس الشرائع والحقوق واللاهوت والطب والبلاغة والهندسة والفلك والموسيقي وتسع قاعة الدراسة فيها ٥٠٠ طالب وكان في وصيَّة مؤسسها أَن الدروس تكون في وقت الزوال وباللغة اللاتينيَّة ولكن القوم رأَوا جواز الاخلال بهذا الشرط فصار التدريس بها في الساعة السادسة بعد الزوال وباللغة الانكليزيَّة

(دار طائفة الصاغة) معمولة على شكل أَنيق جدًّا فيها سلَّم فاخر عليهِ صور كثير من الملوك وفي القاعة الَّتي تجلس فيها لجنة الادارة محراب روماني عثروا عليهِ اثناء بناء هذه الدار وفيها ايضاً صورة اللورد أَمين المدينة ميدلتون الذي هو أَول من جلب الى لوندرة الماء الصالح للشرب فانهُ حفر ترعة "نِيُوريفِرْكنَال" وصورة الملكة فيكتوريا والبرنس البرت وتماثيل الملك جورج الثالث والرابع وغليوم الرابع وكيلوبتره وغير ذلك وفي هذه الدار يُعمل الجشني عن جميع مصوغات الذهب والفضة المصنوعة في انكلتره وتوضع عليها التمغة فيها

(كنيسة سانت ماري لي بُوْ) وهي بالغة في البناء نهاية الاتقان وبيت الناقوس فيها يبلغ ارتفاعهُ ٧١ مترًا وهو متوج بتِنِّين طولهُ ثلاثة أَمتار وجميع

الأَولاد الّذين يُولدون بالجهات الّتي تقرب من هذه الكنيسة بحيث يُسمع الناقوس في مكان ولادتهم يعتبرون من ابناء مدينة لندن البلديين

(بنك انكلترا) هذا البنك عبارة عن عمارة كبيرة طول وجهتها الجنوبيّة ١١١ مترًا والغربيّة ١٣٤ مترًا وبينهما بيعة على هيئة معبد قديم وبداخل تلك العمارة ثمانُ رحبات بها محلات عظيمة الاتساع جُعلت مكاتب لعمال البنك ومحلاتٌ مشيدة خصصت برجال إِدارتهِ ومساكنُ لسكنى مستخدميه كل ذلك بطبقة ارضيَّة عالية البناء منعزلة عما يجاورها ليس بها نوافذ الى الخارج بل يصل الضوء الى محالها من رحباتها الّتي بالداخل وتحت هذه الطبقة كهوف وقاعات ومساحة الأَرض الّتي تشغلها هذه العمارة ستة عشر الف متر مربع وجميع بنائها على حالة لا تتأثَّر بالحريق

ومن قاعاتها قاعة الصرف وهي متسعة طولها ٢٤ مترًا وعرضها ١٣ مترًا وفوقها ساعة عجيبة الصنع فريدة في بابها وُضعت في هذا المحل سنة ١٨١٢ تتفرع منها قضبان من النحاس مجموع اطوالها ٢١٥ مترًا تتصل بست عشرة ساعة موزعة في انحاء العمارة فتمشي بواسطتها هذه الساعات ومن أَغرب ما في هذه القاعة ماكينة لإِفراز الجنيهات متحركة بالبخار فتفرز في الدقيقة الواحدة ٣٣ جنيهاً فما كان وزنهُ تامًّا وضعتهُ في ظرف مخصوص وما كان ناقصاً وضعتهُ في آخر

وتحت هذه القاعة كهف ممتلئ خزائن حديديَّة جُعلت لحفظ الأَمانات الّتي يُودعها أَحاد الناس بهذا البنك وأَول من أَسس هذا البنك رجل من الاسكتلانديين اسمهُ ويليام پاتِرْسُنْ في سنة ١٦٩١ وكان رأْس المال فيهِ ١٢٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي وقد تضاعف هذا المبلغ الآن الى اثني عشر ضعفًا وعدد

المستخدمين بهذا البك ٩٠٠ مرتباتهم من ٥٠ الى ١٢٠٠ جنيه ومجموع هذه المرتبات ٢١٠٠٠٠ جنيه ويوجد في خزائنهِ عادة سبائك من الذهب والفضة من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه وقراطيسهُ المتداولة تبلغ قيمتهامن ٢٠ الى ٢٥ مليون جنيه ويقبض هذا البنك من الحكومة ٢٠٠٠٠٠ جنيه في السنة نظير إدارتهِ ديون المملكة التي تبلغ ٧٧٠ مليون جنيه ويشتغل فيما عدا ذلك بجميع مهام البنوكة من حطيطة وإقراض وغير ذلك وهو ملزم بشراء كل سبيكة ذهبية ترد اليهِ باعتبار قيمة الأوقية ٣ جنيهات و١٧ شلنًا و٩ پنسات ومتوسط المبالغ المنصرفة منهُ والواردة اليهِ كل يوم مليونا جنيه وهذا البنك قائم بأمرهِ شركة مساهمة وهي أقدم شركة من هذا القبيل في لندن وقد مُنح امتيازًا ملوكيًّا بأن يكون بنكًا عموميًّا دون غيرهِ في مدينة لندن واستمرَّ ذلك الى سنة ١٨٣٤ فتأسس غيرهُ "بنك لوندره" "وبنك وِيستِمينستِرْ" الى غير ذلك وفي هذه الأيام ليس لغيرهِ من البنوكات ان يصدر اوراق المسكوكات التي يُتعامل بها مثل النقود

وعدد أوراق المسكوكات المذكورة التي تُطبع فيهِ كل يوم يبلغ ١٥ ألفًا وكثير منها تبلغ قيمتهُ ألف جنيه بل منها ما قد تكون قيمتهُ ٥٠ ألف جنيه بل مائة ألف وقيمة ما يدفعهُ البنك في كل سنة الى الحكومة في رسوم التمغة ينيف على ٧٠٠٠٠ جنيه وقد تبلغ خسائرهُ كل سنة من جرَّاء التزوير وما اشبه ذلك ٤٠٠٠٠ جنيه ثم ان اوراق المسكوكات التي ترد الى البنك لاتخرج منهُ ثانيًا بل تُلغى كلها بلا استثناء ومنها ما لا يمكث في المعاملة يومًا واحدًا اعني أن بعض الأوراق ترد للبنك في ذات يوم صرفها ولا تصرف ثانيًا وهذه الأوراق تحفظ في مكان مخصوص مدة عشر سنوات لإبرازها أمام المحاكم عند اللزوم وفي نهاية هذه المدة

تخرق وكمية الأوراق التي تخرق كل شهر عظيمة جدًا بحيث إنها تملأ تنورًا ارتفاعهُ متر وخمسون سنتمتر وقطرهُ ثلاثة أمتار وفي هذا البنك دفاتر بنك نوت تحتوي على امضاءات كثير من مشاهير الناس ومن الغرائب التي فيهِ ورقة من الأوراق التي تقوم مقام النقود قيمتها مليون جنيه ويخفر البنك ليلاً قره قول من العساكر

ومعاملات هذا البنك فائقة جدًا حتى ان مجموعها في سنة ١٨٨٧ بلغ ٦٠٧٧٠٩٧٠٠٠ جنيه

(البورصة) هي واقعة أمام البنك المتقدم ذكرهُ وقد شيدت عمارتها الحالية من سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٤٤ في المكان الذي كانت بهِ البورصة التي قبلها المنشأة سنة ١٤٦٤ وبلغت مصاريف الحالية هذه اربعة ملايين ونصف مليون فرنك وطول وجهتها من جهة الشرق ٥٣ مترًا ومن جهة الغرب ٥٧ مترًا وطول جميعها ٩٤ مترًا

ومدخلها مرتفع عن الأرض بتسع درجات أمامهُ اثنا عشر عمودًا لطيفة الصنع وفوق هذه الأعمدة بنية مثلثة مشتملة على نقوش وتماثيل بالحجر تمثل التجارة وفي يدها حجة الامتيازات التي انفردت بها البورصة وعن يمينها صور تمثل اللورد أمين المدينة ورجال الإدارة البلدية ورجلاً من العرب وآخر من الهنود وغيرهُ من اليونان وواحدًا من الاتراك وعن يسارها صورة تجار من الانكليز ورجال من الصين وآخرين من العجم والزنوج وغير ذلك وتحت البنية كتابة منقوشة باللغة الانكليزية وهذا تعريبها "الله يرثُ الأرضَ ومن عليها"

وبداخل البورصة رحبة مربعة تحفُّ بها مماشٍ متسعة محمولة سقفها على عمد توصلها ببعض قناطر وفي وسط الرحبة تمثال الملكة فيكتوريا وفي زاويتها

الشماليَّة الشرقيَّة تمثال الملكة إليصابات وفي زاويتها الجنوبيَّة الشرقية تمثال الملك شارل الثاني وعلى جوانب القناطر صور شارات بلاد مختلفة من اوربا وامريكا وصُور أشهر محاصيلها وفي شرقي البورصة برج ارتفاعهُ ٥٥ مترًا وفيهِ ساعة دقاقة عظيمة

وبجهة البورصة من الشرق سلم يصعد فيهِ الى مكاتب شركة اللويد وهي مركز كل ما يختص بالملاحة والتجارة والتأمينات البحريَّة واخبار السفن من اي نوع كانت

وليس بلوندرة هذه البورصة فقط بل بها برص كثيرة غيرها منها المخصص بتجارة الحبوب والمخصص بتجارة الفحوم وغير ذلك حتى ان القراطيس الماليَّة العموميَّة وغيرها من الأوراق التجاريَّة لها بورصة غير هذه ايضاً

والميدان الواقع أمام البنك والبرصة هو ملتقى خطوط عربات الأومنيبوس في لوندره والغريب اذا رآهُ تعجّب غاية العجب من كثرة الحركة فيهِ والازدحام وأمام البورصة تمثال وِيلنجتُون القائد الانجليزي الشهير بمجارباتهِ مع نابليون الأول ممتطياً جوادًا وبجانبهِ فسقيَّة ماء لطيفة وفي جنوب البورصة الشرقي تمثال رولاندهيل للتوفي سنة ١٨٧٩ وهو الذي نظَّم مصالح البوستة وخفّف اجرها تخفيفاً عظيماً وخلف البورصة تمثال پيبودي وقد اقيم تذكارًا لهذا الرجل الخير في سنة ١٨٧١ بواسطة اكتتاب عمومي وكان من اغنياء التجار الامريكانيين وقد اقام مدة طويلة بلوندره وتبرع بمبالغ تقرب من مليون جنيه لبناء عمارات لسكنى العَمَلَةِ بأُجر رخيصة لانقاذهم مما كانوا يعانون قبل ذلك من الأُجر الباهظة مع ضيق ذات يدهم ويبلغ عدد الساكنين في هذه العمارات ٢٠٠٠٠ شخص تقريباً وتدفع

كل عائلة ٤ شلنات و ينسين في كل اسبوع ولجميعهم الحق في الاستحمام بالحمامات وغسل ملابسهم بمحال الغسيل من غير مقابل وقد أسس ايضاً هذا الرجل محلات خيرية كثيرة بأمريكا وانفق عليها الأموال الطائلة رغبة في راحة الضعفاء وحبًّا في فعل الخير ونفع النوع الإنساني

(كوبري لوندره) لم يكن بالمدينة كوبري غير هذا على نهر التيمس منذ مائة سنة تقريباً وهو الآن أهم وأفخم ما استحدث بعده من المعابر والقناطر وقد كان للأمم المتقدمة معابر من الخشب في مكانهِ ولكن مياه التيمس طغت عليها في اوقات مختلفة فدمّرتها وفي بعض الاحيان امتدت اليها ألسنة الحرائق فالتهمتها فلما كانت سنة ١١٧٦ شرع الملك هنري الثاني في بناء قنطرة من الحجر ولكنها لم تتم الا في عهد ابنهِ في حدود سنة ١٢٠٩ وأقيمت في وسطها بيعة برسم القديس توما وبنيت الدور على حافتيها حتى صارت شبيهة بالطرق المعتادة وكان على كلٍّ من طرفيها باب محصن بالاستحكامات وكانت الحكومة تشهر على شرفات هذه الأبواب رؤوس المجرمين الذين اقترفوا الآثام الكبيرة وخانوا الوطن والدولة وقد هُدمت هذه القنطرة في سنة ١٨٣٢ بعد ان انشئ الكوبري الحالي على بعد ٣٠ متراً منها وتم من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٣١ و بلغت مصاريفهُ مليوني جنيه وطولهُ ٢٨٣ متراً وعرضهُ ٢٦ وهو مرتكز على خمس عيون نصف بيضاوية من الصوان المعروف بالجرانيت فتحة الوسطى منها تبلغ ٤٦ متراً وبحاجزيهِ من الجانبين شمعدانات كبيرة ذوات فروع من البرونز الذي أصلهُ من المدافع الفرنساوية المأخوذة من اسپانيا وقد قدَّروا أن عدد الاشخاص الذين يمرون كل يوم فوق هذا الكوبري يزيد على مائة الف شخص وعدد العربات يزيد على ٢٥ ألفاً وينبغي للغريب ان

يتوجه الي هذا المكان لينظر النشاط العجيب ويرى الحركة العظيمة واشتداد الزحام وكثرة المرور حتى انهُ ينبهر مما يراهُ ويستولي عليهِ الذهول والدهشة وأحسن الاوقات للتفرج على هذا الكوبري هو ما بين الساعة العاشرة قبل الظهر والساعة السادسة بعدهُ ومع كثرة الازدحام لا يحصل فيهِ ارتباك لمهارة الشرطة وتسيير كلٍّ من المارّة على نظام مخصوص فعربات الحمل لكونها تسير الهوينا تمر بجانبيهِ وعربات الركوب تسير في الوسط منهُ وللمشاة مماشٍ مخصوصة ذهاباً واياباً واذا قلَّب المارُّ طرفهُ ذات اليمين او ذات الشمال او الى الخلف او الأمام في ايام الصحو او الضباب والشمس ساطعة او يسترها حجاب من السحاب لا يرى الاَّ ما هو كالغابات من صواري السفن وفي الجهة العلويَّة من النهر يراهُ وقد تغطَّى سطحهُ بالزوارق

وبالقرب من هذا الكوبري عمود اذا صعد فوقهُ الانسان رأى معظم المدينة كأنها تضطرب وتموج واستجمع نظرهُ حركة مَنْ بالكوبري والميناء والمخازن البحريَّة وما حول جميع ذلك وارتفاع هذا العمود ٦١ متراً ويسمونهُ الأثر وقد أُقيم في سنة ١٦٧٧ بعد ان تم العمل فيهِ مدة ست سنوات تذكاراً للحريقة الهائلة التي دمرت معظم لونديره في سنة ١٦٦٦ فقد امتد لهيبها على ٤٦٠ شارعاً واحرقت ٨٩ كنيسة وأربعة أبواب من أبواب المدينة و ١٣٢٠٠ منزل وبداخل هذا العمود سلَّم يُصعد منهُ الى أعلاهُ عدد درجاتهِ ٣٤٥ درجة فيصل الانسان الى مكان متسع بهِ اناء مذهب ارتفاعهُ ١٣ متراً كانما يخرج منهُ لهب وبدائرهِ سور من الحديد

(دار طائفة بائعي السمك) هي بجانب الكوبري جدد بناؤها سنة ١٨٣١

لكن الطائفة المذكورة قديمة وهي من أغنى الطوائف في لوندره ودائماً هي من حزب الأحرار كما ان طائفة التجار الخياطين لم تتحول قط عن التشيع للمحافظين وفي أعلى سلم الدار تمثال أحد أمناء المدينة وقد كان عضواً بالطائفة وفيها غرائب كثيرة وذخائر تاريخية نفيسة من جملتها بساط مما يعبر عنهُ عندهم ببساط الرحمة من ايام هنري الرابع وهو في غاية البهاء والجمال وكرسي مصنوع من قطعة خشب أصلها من احدى أساطين قنطرة لوندره القديمة وقد مضى عليهِ الآن اكثر من ٦٥٠ سنة

(الكمرك) وداره بالقرب من الدار المتقدمة بنيت من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨١٧ ولها وجهة بديعة على رصيف عظيم بشاطئ نهر التيمس طولها ١٤٨ متراً لها ثلاثة مداخل بجانبي كل مدخل ستة عمد أوسط هذه المداخل بارز عن مجاوريهِ تعلوهُ خرجة بها ساعة كبيرة وفيهِ تؤخذ الرسوم على البضائع الداخلة في مينا لوندره ومقدار هذه الرسوم في السنة الواحدة اكثر من ١٢ مليون جنيه او ٣٠٠ مليون فرنك وهذا المبلغ يوازي جميع المتحصل من الكمارك في كل مواني انكلتره ويوجد في مصلحة الكمرك هذه اكثر من ٢٢٠٠ مستخدم والبضائع المضافة لجانب الديوان بسبب تهريبها تحفظ في مخزن منعزل وتباع في كل ثلاثة شهور ويبلغ الايراد المتحصل منها خمسة آلاف جنيه في السنة وبالكمرك متحف خاص بجميع الآلات والجهازات التي اخترعت لتهريب البضائع من الرسوم وغير ذلك

(بورصة الفحوم) وهي امام الكمرك بنيت في سنة ١٨٤٩ على الطرز الطلياني ولها برج ارتفاعهُ ٣٢ متراً وداخلها مزين برسوم جميلة كلها لها علاقة

بصناعة استخراج الفحم وأرضها مفروشة بخشب يبلغ عدد قطعهِ اربعين الفاً ومقدار الفحم الذي تستهلكهُ لونده في كل عام ١٥٠ مليون قنطار

(كوبري بلاك فرايارس) وهو من الحديد تم عملهُ في سنة ١٨٦٩ وطولهُ ٣٨٧ متراً في عرض ٢٤ ولهُ خمس عيون قائمة على أساطين من الصوان وطول فتحة العين الوسطى ٥٦ متراً واذا وقف الانسان على هذا الكوبري يرى مناظر بهجة ومن ضمن ما يشاهدهُ كنيسة القديس بولس ذات القبة العجيبة ونُسب هذا الكوبري الى اسم دير قديم كان هناك

(رصيف ڤكتوريا) يُبتدأُ هذا الرصيف من غربي الكوبري السابق ويمتد على الضفة اليسرى لنهر التيمس حتى يصل الى كوبري ويستمينستر وطولهُ اكثر من كيلو مترين وقد استحدث جميعهُ في مجرى النهر من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧٠ وجعل بهِ طريق من الوسط خاص بالعربات عرضهُ عشرون متراً وطريقان من الجانبين للمشاة عرض كلٍّ منها ستة أمتار

ويكتنف هذا الكوبري من جهة النهر صفَّان من الاشجار وسور من حجر الصوان سمكهُ متران ونصف بهِ فتحات على مسافات مختلفة يُنزل منها الى جانب النهر حيث جُعلت فيهِ محطات للسكة الحديديَّة المختصة بالمدينة وقد بلغت مصاريفهُ مليونين من الجنيهات الانكليزيَّة وتحتهُ سراديب كثيرة منها ما هو لمواسير المياه والغاز ولأسلاك التلغراف ومنها ما هو للسكة الحديديَّة الخاصة بالمدينة كما مر وبطرح النهر في جوار هذا الرصيف بستان ظريف بهِ تماثيل للكثير من مشاهير الانجليز

(مسلة كليوپاتره) نقلت من الاسكندريَّة الى لندن وأُقيمت بها في سنة

١٨٧٨ على رصيف فكتوريا السابق بيانهُ وقد كان المغفور لهُ جنتمكان محمَّد علي باشا أهداها الى انكلترا منذ مدة طويلة ولكنها لم تؤخذ اليها الاَّ في سنة ١٨٧٧ بواسطة مبلغ قدرهُ ١٠٠٠٠ جنيه تبرع بهِ الدكتور إيراسم ولسون أحد أغنيائهم لهذا الغرض وليست هذه مسلة كليوباتره الحقيقيَّة الأصليَّة الَّتي كانت قائمة بالاسكندريَّة ولكنها مسلة أُخرى كانت منبسطة على الأرض بجانبها أما هي فقد ارسلت الى امريكا وأُقيمت في الحديقة المركزيَّة "پارك سانترال" بمدينة نيويورك وكلتاهما واردتان من مدينة هيليوپوليس وهي عين شمس الَّتي محلها الآن لمطريَّة فإنها كانت ملأى بالمسلات في جميع الجهات وهذه الموجودة بلندن بها كتابة على مدينة عين شمس تَصِفُها بأنها "دار العنقاء" وارتفاعها ٢٠ مترًا و٩٠ سانتيمتر وعرضها بجانب القاعة متران و٤٤ سانتيمتر وارتفاع قاعدتها خمسة امتار ونصف ووزنها ١٨٢٥٤٠ كيلوجرام واما مسلة پاريس فارتفاعها ٢٢ مترًا و٨٣ سانتيمتر ووزنها ٢٥٠٠٠٠ كيلوجرام

(دار جريدة التيمس) وهي من الأماكن الغريبة الَّتي ينبغي مشاهدتها والتفرج عليها ولها وِجهة جميلة جدًا من الآجرِّ وفوقها رسم رمزي يدل على الزمن وفي يدهِ كتابان كتاب الحال وكتاب الماضي والمطبعة وراء مكاتب محرري الجريدة ولاجل زيارتها ينبغي تقديم طلب بالكتابة مشفوع بتوصية من أحد المعتبرين والتصريح يُعطى من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر الى قبل الطبعة الثانية للجريدة وينبغي الحضور في الساعة المعينة بالضبط والأحرم صاحب التصريح من مشاهدة الماكينة الغريبة الكبيرة المنسوبة الى "ولتر" أثناء تشغيلها وهي أغرب ما في ذلك المكان فإنها تطبع يوميًا ٧٠٠٠٠ نسخة من الجريدة وهي كما

لا يخفى أعظم وأفخم واكبر جرائد الدنيا كلها وكان تأسيسها في سنة ١٧٨٨ ويتيسر لهذه الآلة ان تطبع في الساعة الواحدة ٢٠٠٠٠ نسخة من الجريدة وطول ملفّات الورق العظيمة التي تطبع منها هذه الآلة أربعة أميال انكليزيّة اعني ٦٤٣٧ مترًا وهو طول بالغ في النهاية جدًّا ويستلزم الطبع بها في كل يوم من ٢٨ الى ٣٠ ملفًا ومن هذه الآلة تخرج الجريدة من الجهة الأُخرى مطبوعة مطوية مجهزة وكذلك آلة جمع الحروف فإنها من الغرائب التي يحار فيها الطرف وتستحق المشاهدة وفي المطبعة رجل مخصوص بإرشاد الزائرين واعطائهم الايضاحات والتفصيلات الكافية الكافلة

(جمعيَّة الكتاب المقدس) هي بجانب مطبعة التيمس الى جهة الشرق في دار تَمَّ بناؤها سنة ١٨٦٨ وقد تأسست هذه الجمعيَّة في سنة ١٨٠٤ وهي توزع في كل سنة اكثر من أربعة ملايين من الكتاب المقدس بلغات مختلفة ولهجات متعددة يبلغ عددها على قول ٢٨٦ لغة وقد بلغ عدد المجلدات التي وزَّعتها هذه الجمعيَّة منذ نشأتها ١١٦ مليون مجلد وتصرف في السنة الواحدة ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ الف جنيه انجليزي

(برج لندن) — "ذي تَوَرْ" — وهو حصن قديم كانت الدولة أَعدَّتهُ في سالف الزمان سجنًا لأَرباب الجرائم وهو عبارة عن مجموع عمارات مختلفة وبنايات غير منتظمة يحيط بها سور ذو شرفات وخندق عميق لا مياه فيهِ الآن وهو واقع على شاطئ نهر التيمس ويُظن انهُ كان في مكانهِ على عهد الرومانيين قلعة حصينة ولكن هذا البرج الحالي لا يتناهي في الاقدميَّة الَّا الى زمن غليوم الفاتح وهو الآن خزائن للأَسلحة ولا يزال القوم يصونونهُ ويحافظون عليهِ بصفة قلعة

من قلاع المدينة وشكلهُ مخمس الزوايا غير منتظم والمساحة التي يشغلها تزيد على خمسة هيكتارات ولهُ سوران فوقهما الحصون والأبراج وبعد المستحكمات من جهة نهر التيمس رصيف عرضهُ من خمسة وثلاثين الى اربعين مترًا

ولهذا البرج أربعة أبواب أولها يسمى باب الحديد والثاني باب الماء والثالث باب الخائنين وكلها تفتح لجهة نهر التيمس والرابع باب الأسود وهو المدخل الأصلي لهذا البرج وعلى هذا الباب قلم التذاكر التي يرخَّصُ بها لحاملها زيارة مجموعات الأسلحة القديمة وجواهر التاج الملوكي ويخفر هذا البرج من الداخل خفراء من قدماء العساكر يتسربلون بزي قديم كما كانت تتسربل العساكر مدة هنري الثامن

وعلى يسار الداخل من هذا الباب الأصلي مدفع من المدافع التركيَّة اهداهُ الى الحكومة الانجليزيَّة السلطان عبد المجيد خان سنة ١٨٥٧ فاذا استمر الداخل في طريقهِ سار على قنطرة مبنيَّة من الحجر مرتكزة على برجين يَعبُرُ عليها خندقًا هناك فتوصّلهُ من حيث المدخلُ الأوّلُ الى حيثُ سورُ البرج الخارجيُّ فيدخل من باب ثمَّةَ فيجد طريقًا دائرًا بجوار هذا السور بتمامهِ من الداخل

فاذا مشى السائر من حيث دخل الى الأمام وصل بعد سير مسافة الى باب آخر من أبواب البرج المطلة على نهر التيمس وهو المسمي بباب الخائنين وكان مخصصًا بإدخال المسجونين وتجاه هذا الباب من الداخل باب يُوصِلُ الى رحبة البرج الداخلة وفي وسطها الحِصنُ الأبيض قائم على مرتفع من الأرض وهو أقدم ما بهذا البرج فقد بني في سنة ١٠٧٨ أيام غليوم الفاتح وهو عبارة عن شكل مربع ضلعان منهُ كل واحد منهما ٣٥ مترًا وضلعان آخران كل واحد منهما ٣٩ مترًا

وارتفاعهُ ٢٨ متراً وسورهُ يبلغ سمك بعضهِ اربعة أمتار وسمك بعضهِ أربعة أمتار ونصفاً وفوق زواياهُ ابراج صغيرة وفي الطبقة الأُولى من الطبقات العليا منهُ قاعتان مغلقتان الآن يقال إنهما كانتا محبساً لمؤلف الشهير "والتر رالي" فصنف فيهما تاريخ العالم وفي الطبقة الثانية بيعة عظيمة الصنع تُعد من نفائس العمارات النورماندية وبجوارها قاعة كبيرة تحتوي على كثير من الآلات والأَسلحة مرصوصة على أوضاع لطيفة وفي الطبقة الثالثة "مجاميع الأَسلحة القديمة" وصُفَّت في قاعة معروفة بقاعة المجلس وهي التي تنازل فيها ريشار الثاني عن الملك وبجوارها قاعة بها تماثيل اثنين وعشرين شخصاً مجسمة لابسة ألبسة الأَزمنة القديمة الحربيَّة حسب ما كانت عليهِ على ترتيب تواريخها من عهد إدوارد الاول ملك انجلتره سنة ١٢٧٢ الى عهد جاك الثاني سنة ١٦٨٨ وبدائر هذه القاعة دواليب صُفَّ فيها كثير من الأَسلحة القديمة التي اختص بها بعض ملوك انجلترة السالفين كما أن بها كثيراً من الآلات التي كانت تستعمل للتعذيب وكثيراً من الأَسلحة الصينيَّة والعجميَّة واليابانيَّة والإفريقية وغيرها من الأَسلحة التي كانت الأُمم الخالية المختلفة على اختلاف هذه الأَسلحة وأشكالها .

وحوالي الحِصن الأَبيض هذا مجموعة من المدافع القديمة وبالقرب منهُ قشلاق كبير للعساكر معروف "بقشلاق وِيلِنجتُون" بُني سنة ١٨٤٥

هذا وجواهر التيجان الملوكيَّة موضوعة الآن بدولاب متين من البلور في احد الأَبراج الإثني عشر القائمة بالرحبة الداخلة من البرج الكبير وجميع هذه الجواهر هي من بعد عهد شارل الأَول أما التي قبلهُ فقد بيعت بعد قتلهِ

ومن هذه التيجان "تاج سانت ادوار" وقد عمل برسم شارل الثاني واستعملهُ

من بعده من الملوك ومنها " تاج الملكة ويكتوريا " وقد عمل في سنة ١٨٣٨ وهو من بدائع الصنائع ويشتمل على ٢٧٨٣ قطعة من الألماس وبأعلاه ياقوتة عظيمة وقد قدرت قيمته بمبلغ ١١١٩٠٠ جنيه ومنها " تاج البرنس ده جال " وهو من الذهب بدون ألماس ومنها غير ذلك من التيجان النفيسة الملوكيّة مرصعة وغير مرصعة وقدرت قيمة هذه التيجان بثلاثة ملايين من الجنيهات

وقد استعملت الاثنا عشر برجاً المذكورة سجوناً ثم مخازن ثم دفترخانات وقد حصل بغالبها حوادث تاريخيّة فظيعة نذكر بعضها فنقول إنهم يقولون ان الملك ريشار الثالث أمر بقتل ابناء ادوارد الرابع في البرج الدمويّ وان الملكة الياصابات سجنت اختها ببرج الناقوس قبل ان تتولى مقاليد الاحكام وإن " حنة — جين — جري " حبست في برج الآجرّ وان زوجها واباه واخوته سجنوا ببرج بوشان وان الدوك كلارانس أخا الملك ادوارد الرابع أغرقوه في برميل من نبيذ مالفوازيا في برج بوير وان هنري السادس قتل في برج ويكفيلذ هذا وفي برج الملح يوجد رسم غريب لمنطقة فلك البروج صنعه رجل عالم يدعي دريبر سجن به في سنة ١٥٦١ بتهمة السحر وببرج بوشان المبني من سنة ١١٩٩ الى سنة ١٢١٦ طبقتان يصعد اليهما بسلّم حلزوني وجدرانه كلها مغطاة بنقوش وكتابات رسمها المسجونون تقصد بالفرجة للسائحين

وبزاوية البرج الشماليّة الغربيّة كنيسة بجانبها مقبرة كان يدفن بها من يسجن في هذه الأبراج المدد المتطاولة فيموت شهيد الاستبداد بعيداً عن الأهل والخلان محاطاً بالأشجان والأحزان حتى قال احد المؤرخين من الانجليز " إنّه ليس في الدنيا مقبرة يتأثر من رؤيتها الانسان مثل هذه المقبرة اذا تذكر من دفن بها وما صار

لهم من الفظائع الناشئة عن الظلم والجور"

(دار الضرب) وهي بجوار البرج المتقدم بها آلات عجيبة تضرب الواحدة منها في الدقيقة الواحدة مائة قطعة وعشراً من النقود وفي قاعة الانتظار دواليب بها غرائب من مصنوعات المسكوكات وقد بلغ عدد العملة المضروبة بدار الضرب هذه في عشر سنين من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨٩ — ٩٢١٧٦٧١ جنيهاً و١٠٣٤٧٢٦٨ نصف جنيه و١٠٥٢٨٠٨٤٨ نصف كورون و١٦٩١٥١٤٠ فلورينو و٤٠٦٢١٦٨٠ شلناً وقيمة مجموع النقود التي ضُربت فيها من سنة ١٨١٧ الى سنة ١٨٨٠ — ٢٤٦ مليوناً من الجنيهات الانجليزية

(المينا ومخازن التجارة البحرية) إن مينا لندن ومخازنها المتناهية في الكثرة والاتساع هي من أعظم الغرائب التي بهذه المدينة وذلك لأنها مركز التجارة الانكليزية المنتشرة في جميع أنحاء الدنيا وتمتد هذه المينا مسافة ستة أميال ونصف ميل مبتدأة من كوبري لندن السابق بيانهُ متجهة الى جهة الشرق

ويرد اليها في كل سنة عشرون ألف سفينة ويصدر عنها كل سنة بضائع قيمتها مائة مليون جنيه انجليزي ويرد اليها أصناف التجارات وسائر المحصولات من جميع البلاد وكل الأمم يرسلون سفنهم فتفرغ ما هو مشحون بها بالمخازن بدون دفع رسوم للكمرك عند التفريغ وتبقى البضائع بهذه المخازن الى ان يتصرف فيها ملاكها او تبقى بالسفن حال كونها في الـ (دوك) او خارجها

والدوك حياض في غاية الاتساع ممتدة على ضفتي نهر التيمس حُفرت في الأرض بجوار النهر تمتلئ بالمياه منهُ وتدخلها السفن المشحونة بالبضائع من مداخلها التي تلي النهر فترسو على أرصفة متسعة بجوار المخازن

وهذه المخازن بها كهوف متسعة جدًّا تحت الأرض تحفظ فيها براميل النبيذ والزيت وما أشبه .ومحلات فوق الأرض يُوضع فيها ما عدا ذلك مما يُجلب الى كلٍ من جميع الأنحاء وهي تشغل مسطحًا فسيحًا جدًّا يَسع مدائن كبيرة

ثم كل حوض من هذه الحياض مع ما حولهُ من الأرصفة والمخازن يشملهُ لفظ "دوك" ويتميز كلٌ عن الآخر بما يضاف اليهِ

فمنها (دوك سانت كترينه) وقد أُعد للتجارة في عام ١٨٢٨ ومسطحهُ عشرة هيكتارات وكان مكانهُ قبلهُ ١٢٥٠ مسكنًا يسكنها ١١٣٠٠ نسمة ويمكن دخول البارجة الكبيرة التي حمولتها ٧٠٠ طن وخروجها منهُ بالسهولة ومخازنهُ تسع ١١٠٠٠٠ طن —والطن ألف كيلوجرام— وترسو في جانب منهُ البواخر الآتية من قارة أوروبا

ومنها (دوك لندن) وهو أهم ما بهذا الميناء وقد تمَّ عملهُ عام ١٨٠٥ وبلغت مصاريفهُ أربعة ملايين من الجنيهات وهو يشغل مسطحًا مقدارهُ ٤٨ هيكتارًا ولهُ من جهة النهر أربعة مداخل وتسع حيضانهُ ثلثمائة سفينة كبيرة غير السفن الصغيرة وتسع مخازنهُ ٢٢٠٠٠٠ طن من البضائع وكهوفهُ ٣٨٠٠٠٠ هيكتولتر من البُن ومخازن الدخان منهُ تشغل وحدها مساحة هيكتارين

وفي الصباح يجتمع عند باب هذا الدوك عدد عظيم من الخلائق لا يحصيهِ الا الله وكلهم ساعون لطلب الرزق من عرق جبينهم والذي يُطلب فيهِ كل ذي قوة واقتدار على العمل فترى هناك الكثير من جميع أصناف العالم ما بين أبيض وأسود وأسمر حتى انهُ يعمل فيهِ في اليوم الواحد ثلاثة آلاف نفس هذا ورأس مال شركة دوك لندن ودوك سانت كترينة هذين ثلاثة عشر مليون جنيه انجليزي

وبجوارها فرن عظيم لهُ مدخنة مرتفعة جدًّا حتى سمّاها العامّة مدخنة الملكة وهو معدٌّ لإحراق جميع البضائع المغشوشة أو التي أتلفتها الحوادث البحريّة

وسوى هذين (دوك الهند الشرقيّة) و(دوك الهند الغربيّة) وكثير غيرهما متعددة الأسماء مستوفاة اللوازم وتُضاء كلها بالكهرباء ثم اذا امعنت النظر اليها وما فيها من كثرة البضائع الواردة من المستعمرات الإنجليزيّة وأنحاء العالم أجمع كالشاي والبن والسكر والحرير والدخان والخمور والصناديق والبراميل والسحاحير والبالات والجوالق والعلب الى غير ذلك من الأشياء المتراكمة التي لا نهاية لها في المدد رأيتَ ما يحير الفكر ويذهل العقل ويتجاوز حدود النعت ويتعاصي على الإحصاء ويستحيل على البيان ولكنهُ ينطق بلسان صدق عن جسامة التجارة واتساع نطاقها في هذه المدينة الكبرى بل العالم الأكبر بما لا يُقْدَرُ ولا يُقَدَّر

(تُونِيلْ التيمس) وهو سرداب مبني تحت النهر يوصل الى كلٍ من ضفيتهِ بين الجهة الواقعة في جنوب دوك لندن والمحلة المقابلة لها الواقعة على شاطئ نهر التيمس الشرقي

والسبب في إعمالهِ تسهيل المواصلة بين ضفتي نهر التيمس في هذه الجهة وعدم مزحمة السفن الواردة الى المينا فإنهُ لو جُعل في هذه الجهة المملوءة بالسفن كوبريات فوق النهر لتعطلت بسببها ولم يتيسر تفريغها بالسرعة ولهذا السبب عملوا سردابًا آخر لخصوص المشاة أمام برج لندن

أما الأول فقد ابتدئ في اعمالهِ سنة ١٨٢٥ تحت أرض النهر بخمسة أمتار ولم يتم الّا في سنة ١٨٤٣ بعد عناء كبير حتى أُوقف العمل فيهِ مرارًا وكانت المياه تتدفق فيهِ من النهر فتستلزم إعادة العمل وتُميت بعض العملة وقد بلغت

مصاريفهُ خمسة عشر مليون فرنك وثلثمائة وخمسين ألف فرنك وهو عبارة عن ممشيين متجاورتين عرض كلٍ منهما أربعة أمتار وعشرون سنتيمتر وارتفاع سقفهما أربعة أمتار وثمانون سنتي متر وطولها ٣٩٦ مترًا وكان يُنزل الى هذا السرداب بسلّم مظلم ارتفاعهُ تسعة عشر مترًا فكان من يسلكهُ قليلاً مع كون الأجرة زهيدة وهي عبارة عن پنس واحد فلا يكفي ايرادهُ للصرف عليهِ وخسرت الشركة التي قامت بعملهِ حتى انها باعتهُ بستة ملايين فرنك لشركة سكة حديديّة اتخذتهُ مجازًا لقطاراتها فصار يمرُّ بهِ في اليوم الواحد اربعون قطارًا

واما الثاني ويُعرف (بتونيل البرج) فقد ابتدئ فيهِ سنة ١٨٦٩ وانتهى في سنة ١٨٧٠ وهو عبارة عن انبوبة عظيمة من الحديد طولها ٣٧٣ مترًا وقطرها متران وعشرون سنتي متر ويُنزل اليهِ في كل طرف بسلّم حلزوني درجاتهُ ٩٦ ولم تزد مصاريفهُ على ١٥٠٠٠٠ فرنك واجرة العبور نصف پنس

(الدفترخانة) شُرع في بنائها من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٦ على حالة لا تَعمَلُ فيها النيران لصيانة ما فيها من الأوراق وسجلات الدولة وفيها ١٤٢ غرفة طول الواحدة سبعة أمتار ونصف وعرضها ثلاثة امتار وستون سنتي متر وارتفاعها اربعة امتار ونصف وكل ما فيها من أرض وسقف وأبواب وشبابيك من الحديد وكانت الأوراق قبل بنائها موضوعة في محال متفرقة فجُمعت كلها في هذه الدار ومن جملة ما فيها "دفتر عقارات انجلتره" وهو كتاب كبير في مجلدين ضخمين مكتوب في جلود غزلان منذ زمن غليوم الفاتح سنة ١٠٨٦ ويوجد بها ايضاً الصك الذي تنازل فيهِ ملك اسكوتلاندة عن مُلكهِ لملك انكلتره ونسخة عقد الصلح الذي حصل بين هنري الثامن وفرانسوا الاول وغير ذلك من الصكوك

والعقود المهمة في تاريخ الدولة والأمة

(دار المحاكم) بُنيت من عام ١٨٧٤ الى عام ١٨٨٢ لجميع المحاكم البالغ عدد أنواعها تسعة عشر وهي سراي جميلة جدًّا صُرف في بنائها ٧٥٠٠٠٠ جنيه انجليزي وطول وجهتها ١٥٠ مترًا وأعظم محلاتها الايوان الوسطى طوله ٧٣ مترًا وعرضهُ ١٥ وارتفاعهُ أربعة وعشرون مترًا ونصف متر معمولة ارضهُ بالفسيفساء

(رحبة ترافلجر)وهي من أحسن رحبات لندن تجتمع فيها الاجانب والغرباء من كل جانب يقصدونها لذاتها بسبب اتساعها وحسن عماراتها وكثرة المارة فيها وسميت بذلك تخليدًا لذكر الاميرال نِلسون المشهور الذي مات موتًا مجيدًا في واقعة ترافلجر البحرية بعد ان حارب فيها اسطول الفرنساوية والاسپانيول وهزمها في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٠٥ وقد كان هذا الظفر واسطة في منع اغارة ناپليون على انكلتره بعد ان كان في نيتهِ ان ينزل بها ويتملكها اذ صار من المستحيل عليهِ بعد انكسار عمارتهِ البحرية مباشرة هذا المشروع وقد كان حشد لأجلهِ في بولونيا جيشًا جرارًا مركبًا من ١٧٢٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٩٠٠٠ فارس و ٢٤١٣ سفينة للنقل وهذا الذي جعل القوم ينظرون الى نلسون بعين الرضى ويعتبرونهُ منجي الوطن ومنقذ البلاد حتى انهم اقاموا لهُ عمودًا طولهُ ٤٤ مترًا في وسط هذه الرحبة سنة ١٨٤٣ وهذا العمود من الصوان الصلد وفوقهُ تمثال نلسون ارتفاعهُ خمسة أمتار وقاعدتهُ من البرونز وفيها صور بارزة تمثّل واقعة ابي قير المشهورة سنة ١٧٩٨ منها صورة نلسون هذا وقد شُجَّت رأسهُ ولم يرض هو بأن يُسعِفهُ الجراحُ الذي كان مشغولاً بمعالجة جُرح احد العساكر حيث قال لهُ العبارة المشهورة عنهُ "حتى يأتيني الدور "وفي شرقي القاعدة صورة واقعة كوپنهاج سنة ١٨٠١ وفيها نلسون

يُفضي على احد المدافع شروط الصلح الّتي منحها للدانيماركيين بعد ان هزمهم وفرّق شملهم وفي غربي القاعدة صورة واقعة سان فنسان سنة ١٧٩٧ وفيها نلسون مرسوم وهو يستلم سيف قائد الإسپانيول بعد هزيمتهم وفي جنوبها صورة واقعة ترافَلْجَرْ سنة ١٨٠٥ وفيها رسم نلسون وهو في حالة النزع وفي أسفل هذه القاعدة كلمات مأثورة عنهُ صدرت منهُ حال الموت في واقعة ترافلجر المذكورة وهذه ترجمتها " تعتمد انكلتره على ان كل واحد من ابنائها يقوم بما فرض عليهِ "

وبالرحبة في شرقي هذا العمود تمثال للجنرال غوردون وهو غوردون باشا الذي مات قتيلاً في خدمة الحكومة المصريّة بالخرطوم سنة ١٨٨٥

هذا وفي الجهة الشماليّة من هذه الرحبة الرواق الاهلي وفي جهتها الغربيّة مدرسة الطب ونادي الاتحاد وفي جهتها الشرقيّة كنيسة كبيرة ومن جهتها الجنوبيّة يتفرع طريقان احدهما يُسمى "وَيْتهُولْ" يوصّل الى سراي البرلمان والآخر يسمي "نُورْثُنْبَرْ أَوِينْيُو" يوصل الى رصيف ويكتوريا الذي مرّ بيانهُ وبالزاوية الّتي نشأت من الرحبة وهذا الطريق الآخر الفندق الشهير المسمى "جراند هوتيل" العظيم الاتساع وعلى يسار هذا الطريق بعد هذا الفندق بقليل محل تياتر وامامهُ الفندق الشهير "مترُوپُول هُوتيل"

وطريق وَيْتهُولْ المذكور عن يمينهِ اماكن وزارات البحريّة والخارجيّة والخزينة العموميّة والهند وعن يسارهِ محلات وزارات البوليس والتجارة وقصر وَيْتهُولْ ولا يزال يمتد بين أبنية فاخرة حتى يصل الى ميدان سراي البرلمان أو سراي ويستمِينسْترِ وكنيستها

ومن الجهة الشماليّة الغربيّة من رحبة ترافلجر يتفرّع طريق آخر في غاية

الاهميَّة وهو المسمى "پال مال" وبجانبيهِ النوادي المعتبرة وسراي وزارة الحربيَّة وبآخرهِ قصر سان جمس

وبوسط طريق پال مال هذا "رحبة واترلو" وفي وسطها عمود الدوك ديورك وقد شيد بواسطة اكتتاب عمومي من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٣ تخليدًا لمجد هذا الدوك وهو ثاني اولاد الملك جيورج الثالث وارتفاعهُ ٣٨ مترًا وارتفاع صورة الدوك القائمة فوقهُ أربعة امتار وربع متر

ويتفرع من رحبة واترلو هذه الشارع المسمى "ريجنْت ستريت" وهو من أحسن شوارع لندره ومحط رحال الأغنياء ومسكن الامراء والكبراء ومجمع محال الأكل الفاخرة والقهاوي الزاهرة يمتد على مسافة نحو ميل من هذه الرحبة

ويتقاطع من هذا الشارع الطريق المسمَّى "أوكسفورد ستريت" وهو من أطول طرق لندن ومن احسنها وضعاً وبهجة

وها نحن نريد ان نعود الى ذكر أهم ما استلفت انظارنا من هذه الشوارع والرحبات وغيرها على حسب السير الذي سلكناه في هذا الفصل ولكن قبل ذلك نذكر بعض كلمات عن محل رأيناهُ في احد الشوارع فبادرت بذكرهِ لما فيهِ مما يُمدح ويثنى عليهِ وهو محل (شركة إنقاذ الغرقى) وقد تأسست سنة ١٨٢٤ وصار لها الآن على شطوط انجلتره ٣٠٠ سفينة لإنقاذ الغرقى حتى تيسر لها في سنة ١٨٨٠ إنقاذ ٢٦ سفينة و ٨٠٠ رجل ويكفي هذه الشركة فضلاً ومؤسسيها فخارًا أنهُ حُسِب الأشخاص الذين أنقذتهم من الغرق من يوم وجودها فبلغوا ٣٤٠٠٠ نسمة وكل محطة جعلوها على الشطوط تبلغ مصاريفها ١٠٥٠ جنيهاً ومصاريف مستخدميها كل سنة ٧٠ جنيهاً حتى بلغ مجموع المصاريف في سنة

١٨٨٨—٥٣٢٧٠ جنيهاً انجليزياً

(قصر الصُّوَر الأَهلي) " نشنل جلري " وهو من أَحسن المتاحف الانجليزيَّة بعد بريتش مُوزِيوم بني من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٣٨ ثم في سنة ١٨٧٦ صار توسيعهُ كثيرًا وكذلك في سنة ١٨٨٥ وفي سنة ١٨٨٧ حتى بلغ طولهُ ١٤٠ مترًا ولهُ وِجهة جميلة جدًّا وهو معد لحفظ الصور والرسومات ولم يكن بهِ في أول امرهِ الاَّ ٣٨ لوحة ثم صارت اللوحات تزداد فيهِ بالشراء وبالوصايا التي كانت تُوصي بها القوم لهُ حتى بلغت المجاميع التي فيهِ الآن ١٢٠٠ تشغل ٢٢ غرفة وهذا المتحف مفيد جدًّا بالنسبة لدرس فن الرسم والتصوير فإن بهِ شيئًا كثيرًا من أَعمال أَساتذة هذه الصناعة الذين نبغوا بإيطاليا وغيرها

وغرفهُ كلها موزعة على جميع المذاهب في الرسم والتصوير وتحتوي كل واحدة منها على أَعمال مذهب من مذاهب التصوير وكلها صور غريبة وآثار عجيبة يحار فيها الطرف وتستغرق الوصف

(مدرسة الطب) بُنيت سنة ١٨٢٥ وهي عمارة عظيمة نذكر بمناسبتها وان كانت بشارع آخر (مدرسة الجراحة) وقد بنيت عام ١٨٣٥ وفيها متحف عظيم أَسَّسهُ رجل من الآحاد اسمهُ جُون هُونتر في سنة ١٧٨٧ ثم اشترتهُ الحكومة بعد موتهِ بمبلغ ١٥٠٠٠ جنيه وجعلتهُ للمدرسة وكان فيهِ اذ ذاك ١٠٠٠٠ من المجهَّزات التشريحية وفيهِ الآن منها ٢٣٠٠٠ وهو قسمان الأَول خاص بالفسيولوجيا والثاني بالباتولوجيا ويمتاز هذا المتحف بحسن انتساق الاشياء وكمال ترتيبها وتمام نظافتها وغاية المحافظة عليها فيهِ

وفي هذه المدرسة عدا ذلك مكتبة فيها ٣٥ أَلف مجلد

(متحف سُوِين ْ) وهو بالقرب من هذه المدرسة عُرِف باسم مؤسسهِ وفيهِ اشياء غريبة متنوعة جدًّا محفوظة بترتيب عجيب في ٢٤ حجرة غالبها صغير

فأول قاعة يُدخل اليها مزخرفة على الطراز الذي كان مستعملاً في مدينة بُومبيه وفيها اشياء كثيرة واردةٌ من حفائر هذه المدينة التي ردمها البركان ثم كثير من صور الهياكل القديمة معمولة من الجبس وفيها تمثال سُوِين ْ مؤسس هذا المكان مجسمًا و بعدها غرفة مشحونة بأعمدة وتماثيل وعلى يمينها رواق الصور والرسوم وفيهِ على صغرهِ ١٨٠ لوحة وغرفةٌ أُخرى ملأَى بالتماثيل والقطع المنقوشة بالنحت وغير ذلك حتى إن الانسان لا يمر بينها الاَّ بغاية المشقة فاذا اجتازها وصل الى سرداب متسع فيهِ قبر زوجة من أسس هذا المكان وفي غرفة أُخرى تابوت مصري قديمٌ عثر عليهِ سنة ١٨١٦ من جهة باب الملوك في صعيد مصر بالقرب من موقع مدينة طيبة القديمة وهذا التابوت من أغرب وأبدع ما في هذا المتحف وهو قطعة واحدة من الرخام طولها متران و ٨٠ سانتي متر وعرضها متر واحد و ١٠ سانتيمترات وعمقها ٨٠ سانتي متر وكلهُ مملوء برقوم الهير وجليف من الداخل والخارج وهو شفَّاف بحيث اذا وُضع في داخلهِ قنديل امكن رؤيتهُ مع أن سمك جدرانهِ يبلغ ٦ سنتيمترات والرقوم الهيروجليفيَّة التي بهِ تتعلق بالملك سيطو الأَول ابي الملك رمسيس الاكبر المعروف عند اليونان بسيز وستريس

وفي هذا المتحف سوى ما ذكر اشياء كثيرة وذخائر نفيسة من صور العمائر والهياكل ومن الرسوم والتماثيل الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيلهُ وبهِ مجموعة كتب ثمينة من أقدم الكتب المنسوخة بخط القلم معرضة للأَنظار في الطبقة الاولى من الدار

(سوق الفواكه والأزهار والخضراوات) هو من أعظم الأسواق التي من هذا القبيل بل هو من أحسن أسواق الدنيا في ذلك خصوصاً قسم الأزهار منهُ فإنها تنعش الأرواح بروائحها الذكيَّة وتبهج الانظار بمناظرها البهيَّة وقد انشئ منذ سنة ١٦٥٦ وهو عبارة عن ثلاث مماشٍ متجاورة متسعة مستطيلة تمتد من الشرق الى الغرب

((قصر وَيتهُولْ) هذا القصر كان متسع الأرجاء بعيد الأكناف يمتد على نهر التيمس الى داخل المدينة امتداداً عظيماً وقد كان في أول الأمر ملكاً للرئيس "هوبرت بورج" فأعطاه بملحقاتهِ وكل ما يتعلق بهِ للرهبان الدومينيكانيين فباعوهُ بعد ذلك الى رئيس اساقفة يورك فجعلهُ مستقرًّا لهُ ولمن يخلفهُ في هذه الوظيفة واستمرَّ الحال على هذا المنوال حتى غضب الملك هنري الثامن على نديمهِ "الكاردينال وُلزِي" الذي كان رئيس اساقفة يورك فأُضيف الى الأملاك الملوكيَّة وصار توسيعهُ كثيرًا ·

وفي بعض السنين احترقت منهُ قاعة الولائم فعزم الملك جاك الأول ان يَشيد في مكانهِ قصرًا يكون من أفخر القصور فلما ابتدأوا في البناء انتشبت الحرب الاهليَّة ولم يتم منهُ سوى قاعة الولائم ثم احترق ما بقي من القصر القديم سنة ١٦٩٧ ولم يبق سوى قاعة الولائم الجديدة وهي فاخرة جدًّا طولها ٣٤ مترًا وعرضها ١٧ وارتفاعها ١٧ وسقفها مزدان بنقوش بديعة ورسوم جميلة فلما جاء الملك جورج الأول حوَّلها الى كنيسة ملوكيَّة ولا تزال كذلك الى الآن توزع فيها الملكة الصدقات على الفقراء والمساكين يوم خميس العهد من كل سنة

وإن لتاريخ هذا المكان تاثيرًا على الإِنسان لاتحدثهُ مشاهدة ما هو عليهِ

الآن فقد كان الكردينال وُلزي يقيم بهِ الأفراح والمهرجانات الّتي لم تر مثلها عيون الزمان وفيهِ قُبض على إِليصابات بأمر من الملكة اختها وسيقت الى برج لندن وفيهِ أُخذ الملك شارل الأول الى الشارع الذي قُتل فيهِ ومرُّوا بهِ من نقب احدثوهُ في الحائط

ولما اطفئت نار الثورة أقام في هذا المكان الملك شارل الثاني ومات فيهِ سنة ١٦٨٥ واستمر فيهِ بعدهُ خلفاؤهُ حتى احترق في سنة ١٦٩٧ كما مر فنُقل المقر الملوكي الى سراي سان جمس

وبعد هذا القصر على طريق وَيتهول المتقدم (قصر إِدارة البوليس) وبهِ مجموعة غريبة في بابها مشتملة على اشياء كثيرة من الّتي استعملت في الجنايات ومن ثم سموها (المتحف الأسود)

ثم (سراي ديوان البحريّة) ثم (سراي قائد عموم الجيش) ثم (سراي الخزينة العموميّة) وطولها ٩٠ مترًا بُنيت في عهد الملك جيورج الأول وبها محل إِقامة الوزير الأول وأقلام نظارة المعارف العموميّة ومجلس شورى الدولة وديوان التجارة

ثم (سراي الوزارات) وهي عبارة عن عدة أبنية جميلة متسعة جدًّا أُنشئت من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٣ وبلغت مصاريفها خمسمائة ألف جنيه وبها وزارة الخارجيّة ووزارة المستعمرات والهند

(سراي البرلمان (ويقال لهُ) (وِيستمنستر) كان في محلهِ قصر قديم بهذا الاسم ولكنهُ احترق في عام ١٨٣٤ وبُني هذا مكانهُ سنة ١٨٤٠ وبقي يسمى باسمهِ كما يسمى باسم البرلمان ومسطح الأرض الّتي يشغلها الآن ٣٢٣٧٣ مترًا

مربعًا وفيهِ إحدى عشرة رحبة ومائة سُلَّم في جهات مختلفة و١١٠٠ حجرة وقد بلغت مصاريف انشائهِ ثمانين مليونًا من الفرنكات ومع هذا لم يتم احد اقسامهِ الى الآن

ووِجهتهُ الأَصليَّة شرقيَّة متجهة نحو نهر التيمس وطولها ٢٨٧ مترًا وتنتهي في كلٍّ من طرفيها بجناح بارز وما بين الجناحين ينقسم الى ثلاثة أَقسام متساوية تفصلها عن بعضها بروج صغيرة وبين نوافذ هذه الوِجهة صُفَفٌ مرصوصة عليها صور ملوك انجلتره مجسمة منذ غليوم الفاتح حتى الملكة ويكتوريا محاطة تلك الصور بشعار هؤلاء الملوك وبالنقوش البالغة حد النهاية في الزخرفة والاتقان

وبزاوية هذه الوِجهة من جهة الشمال برج الساعة وارتفاعهُ ٩٨ مترًا وللساعة أَربعة وجوه كلٌّ منها قطرهُ سبعة أَمتار وميقاتيُّها أَحد علماء الفلك المشهورين ويُعرف بها فضلاً عن معرفة الساعة اليوم والشهر والسنة وجرسها اكبر أَجراس انجلترة بل من اكبر أَجراس العالم يسمع رنتهُ أَهل قسم كبير من المدينة وزنتهُ ٢٦٠ قنطارًا

وبزاوية الوِجهة الجنوبيَّة من جهة الغرب "برج ويكتوريا" وهو بناء عظيم مربع من اكبر أَبراج الدنيا طول ضلعهِ ٢٣ مترًا وارتفاعهُ ١٠٤ أَمتار وفيهِ صُفَّة كبيرة بها صورة الملكة ويكتوريا مجسمة تحفها النقوش والرسوم ولذلك نُسِب الى اسمها وهي تدخل من جهتهِ الى السراي عند افتتاح المجالس النيابيَّة واختتامها

وبين البرجين برج متوسط ارتفاعهُ ٩٢ مترًا

أَما الوِجهة الغربيَّة وان كان طولها مقدار الشرقيَّة الَّتي على النهر الَّا إنها مركبة من عدة أَبنية على طرازات مختلفة

وظاهر هذه السراي كباطنها في الزينة والجمال وكلما فيها يشعر بكمال ذوق منشئها وعلو قدرها وأن لها في الكون شأنًا يذكر ولا غرو فهي من أفخر العمارات المعمولة على الطراز الغوطي وجديرة بان يفتخر الإنجليز بها

ويصعد اليها الزائرون من السلّم الكبير على يسار برج ويكتوريا فيصلون الى ممر فسيح يدخلون منهُ الى الغرفة التي تلبس فيها الملكة ملابسها الرسميَّة يوم حضورها لافتتاح البرلمان وجدرانها منقوشة بصور بديعة تمثل الفضائل والأدب والتقوى وعلو الهمة والإحسان

وبعد هذه الغرفة القاعةُ المعروفة بالقاعة الملوكيَّة أو قاعة ويكتوريا وطولها ٣٤ مترًا وتمر الملكة منها باحتفال زائد الى مجلس البرلمان يوم افتتاحهِ وأرضها مبلطة بالفسيفساء البديع وجدرانها خصصت برسومات الوقائع المتعلقة بتاريخ انجلتره

وبجانب هذه القاعة غرفة تسمى غرفة البرنس وهي غاية في الرونق بها كثير من صور ملوك انجلتره مجسمة وبها تمثال الملكة ويكتوريا جالسة على عرش المملكة وبكلٍّ من جانبيها مدخل يدخل منهُ الى قاعة مجلس اللوردات

وهذه القاعة في غاية الزينة والزخرفة معمولة على الطراز الغوطيّ طولها ثلاثون مترًا وعرضها ١٤ مترًا وارتفاعها كذلك ويدخلها الضوء من اثنتي عشرة نافذة مرسوم عليها صور الملوك الذين حكموا انجلتره منذ غليوم الفاتح وفي وسط القاعة مقعد من صوف أُعِدَّ لجلوس الرئيس عليهِ وعلى مقربة منهُ مقاعد أُعدت للوردات على شكل مُدرَّج وفي الجنوب عرش الملكة على مرتفع وعلى يمينهِ مقعد البرنس دُهْ غال وأمام العرش شبه منبر يرتقي اليهِ من الوزراء من يخاطب اللوردات وفي جانب من هذا المحل اماكن جلوس مخبري الجرائد والمسموح لهم

بالدخول من الناس وعلى مقربة من العرش ذات اليمين وذات اليسار مقاعد السفراء وكبار الأمراء وفي صُفَف بدائر القاعة ثمان عشرة صورة مجسمة وهي صور البارونات الذين اكرهوا الملك جان سانتير على إصدار أول قانون أساسي لانجلتره

وبجوار قاعة الأعيان رواق فسيح معمولة أرضهُ بالفسيفساء والرخام وبهِ أربعة شمعدانات ارتفاع الواحد منها خمسة أمتار وبشرقيهِ محل للطعام ومحل للشراب ومحل الكتبخانة وبغربيّهِ محل تُوضع فيهِ ثياب اللوردات وبشمالهِ ممشى يوصل الى الرواق الوَسَطِيّ ومنهُ الى قاعة مجلس النواب

والرواق الوَسطِيّ مثمَّن الزوايا قطرهُ ثماني عشر مترًا وارتفاعهُ ٢٣ مترًا مسقَّف بالحجر وبهِ عدة أبواب الى جهات مختلفة منها باب يُدخل منهُ الى دهليز موصل الى قاعة النواب وباب يُدخل منهُ الى قاعة مجلس اللوردات وباب يُدخل منهُ الي "قاعة الشعراء" سُمّيت بذلك لاشتمالها على كثير من الرسومات المستخرجة من تآليف أعاظم شعرائهم

اما قاعة مجلس النواب فطولها ٢٣ مترًا وعرضها ١٤ مترًا وارتفاعها كذلك وزينتها أقل من زينة قاعة اللوردات ومحل جلوس الرئيس مرتفع جهة الشمال منها وأمامهُ مقاعد خصص ما على يمينهِ منها بالوزراء ووراءهم حزب الحكومة وما على يسارهِ برؤساء أحزاب المعارضين ووراءهم احزابهم من النواب وبالقرب من الرئيس غرف خصصت بمخبري الجرائد والأجانب الذين يُصرَّح لهم بالدخول وفي الوسط طاولة يجلس اليها كتبة المجلس ثم وراء ذلك رواق مُشتَغلٍ مخصص بالنساء مغطًّى بشبكة من حديد

وبداخل قاعة مجلس النواب غرفتان إحداهما على يمين الرئيس والاخرى

على يساره يستعملان في تعيين عدد الأَصوات كثرة وقلة اذا حصل شك في عددها فيدخل الأَعضاء الَّذين من رأيهم " نعم " الى اليمنى والَّذين من رأيهم " لا " الى اليسرى و يُعَدُّون في حال خروجهم فتتبيَّن نتيجة الاقتراع بالأَغلبية من غير شبهة و يظهر عدد الأَصوات بالضبط في كل رأْي فيُعمَل بالرأْي الذي جمع أَغلب الأَصوات

هذا ومن أَهم ما يتفرج عليهِ بهذه السراي (قاعة و يستمنستر) وهي ما بقي من سراي ويستمنستر القديمة وقد بنيت على الحالة الَّتي هي عليها الآن سنة ١٣٩٨ و هي من اكبر القاعات الَّتي لم يُحمل سقفها على عمد وطولها ٧٣ مترًا وعرضها ٢١ مترًا وارتفاعها ٢٨ مترًا وصناعة الخشب بها تُعد من أَبدع الصنائع

وقد حصل بها كثير من الحوادث التاريخيَّة فقد اجتمع فيها أَولُ پرلمانات انجلتره ومن عجيب الاتفاق ان الملك الذي بناها وهو ريشارد الثاني نُودي فيها من النواب بسقوط حقوقهِ في الملك وقد احتفلَ فيها ملوكُ انجلتره الى جيورج الرابع باجراء رسوم تتويجهم واحتفلَ فيها ادوارد الثالث بجان الثاني ملك فرنسا و بداود ملك اسكوتسيا أَسيريهِ وفيها صدر الحكم بقتل الملك شارل الأَول ومن عجائب المقدور ان كرُمْوِل تولى حكم البلاد في هذه القاعة ثم مالبث بعد ثمان سنين من توليتهِ أَن أُخرجت جثتهُ من قبرهِ وكان تحت هذه القاعة وجرَّدها القوم في الطين والوَحَلِ وعلقوا رأْسهُ على رمح في هذه القاعة وبقيت معلقة ثلاثين سنة الى غير ذلك من الحوادث التاريخيَّة الكثيرة الَّتي لايتحمل تفصيلها هذا المقام وآخر احتفال حصل فيها هو تتويج الملك جيورج الرابع

هذا والمجالس النيابيَّة الإِنجليزيَّة تتأَلف " من مجلس الأَعيان " " ومجلس النواب "

أما "مجلس الأعيان" فاعضاؤهُ الآن ٥٠٠ منهم ٢٦ عضواً من الروحانيين وجميعُ أعضاء هذا المجلس متساوون في حقوق الاقتراع لكن يتميَّز بعضهم عن بعض في تقدم الواحد منهم على الآخر في الجلوس والاحتفالات كما هو مبين في لائحة خاصة بذلك

ومداولات هذا المجلس ومناقشاتهُ تُعتبر سريَّة كمداولات مجلس النواب ومناقشاتهِ ايضاً غير ان ذلك لايمنع حضور الأجانب ومخبري الجرائد واعضاء المجلس يكتفون في اتباع قانونهِ في هذا الشأن بتجاهلهم حضور هؤلاء الأجانب معهم كذلك النساء ممنوعات بمقتضى القانون من حضور مداولات هذه المجالس ومناقشاتها غير أن ذلك لا يمنع حضورهنَّ بحجة جعلهنَّ وراء شَبَكَةٍ من الحديد فكأنهنَّ غير موجودات في المجلس

واللورد رئيس مجلس اللوردات يجلس على مقعد من صوف كما تقدم إشارة الى أن غنى البلاد الانجليزيَّة ورفاهيتها منشأُهُ التجارة الَّتي من لوازمها ذلك والمحل الذي يلي هذا المقعد الصوفي مباشرة لا يعتبر في عرفهم جزءًا من مجلس اللوردات حتى ان الرئيس لو أراد التكلم في موضوع نزل من هذا المقعد وجاوز الجزء القريب منهُ الى محل جلوس اللوردات حتى يعد داخل المجلس وعند ذلك يتكلم

وانتخابُ اعضاء "مجلس النواب" يكون بواسطة أهالي المقاطعات والمدن والبلاد وثلاث مدارس جامعة وهي مدرسة اوكسفورد وكَيمْبِريجْ ودوبلين ومن لهُ الانتخاب لابد ان يكون لهُ مِلْك يختلف كثرة وقلة بحسب اختلاف الأمكنة

ورئيس هذا المجلس يجلس تحت مظلة في آخر القاعة وليس لهُ صوت في المجلس الَّا اذا انقسم الأعضاء الى قسمين متساويين فيرَجّحُ رأي احدهما حين ذاك

وعادات مجالسهم النيابيّة منع الخطب المكتوبة فمَن أَرد ان يتكلّم يقف حيث هو ويلقي الكلام على الأَعضاء مخاطباً الرئيس مشافهة

(كوبري ويستمِنستِرْ) أُعيد بناؤُهُ من سنة ١٨٥٦ الى سنة ١٨٦٢ وطولهُ ٣٥٣ مترًا وعرضهُ ٢٦ مترًا ولهُ ٧ عيون من الحديد مستندة على قواعد من الصوان وفتحة العين الوسطى ٣٧ مترًا والأُخرُ فتحة كلّ ٍمنها ٣٥ مترًا وهذا الكوبري من أَظرف واجمل كباري المدينة وبجوارهِ على النهر من جهةٍ رصيف ويكتوريا ومن الجهةِ الأُخرى رصيفُ أُلبِرت

(كنيسة ويستمِنستِرْ) هي موضع دير قديم بناهُ أَحد ملوك الساكسون على ما يقال في حدود سنة ٦١٦ باسم بطرس الحواري وسماهُ بالاسم المتقدم لوقوعهِ غربي المدينة الأَصليَّة وقد انهدم فبُنيت هذه الكنيسة مكانهُ وتمّت على الحاله الّتي هي عليها الآن سنة ١٢٥٤

وقد اكثر الأَغنياء من التبرعات على هذه الكنيسة حتى صارت من أَغنى الكنائس ولكن صادرتها الدولة في أَملاكها كباقي الكنائس والديور ومنعت عنها أُمناء الديانة ثم رجعت عن ذلك وأَعادت اليهم أَمرها وسلطانهم عليها

ومحل التعبد فيها مبني على هيئة صليب وبالجانب الغربي منهُ برجان في غاية البهاء والجمال وداخل هذا المعبد يعجب الناظرين لما هو عليهِ من جمال التناسب وحسن التناسق وتكامل الانتظام وبديع الزخرفة وبهاء الرونق وفيهِ أُرغن عظيم عُمل في عام ١٨٨٤ وبالمعبد اكثر من عشرين شباكاً منقوش زجاجها بالرسوم والتصاوير

وبها قبور للعائلات الملوكيَّة ولكثير من أَعاظم القوم وامرائهم وتماثيل كثيرة

ولذلك تنظر الانجليز هذه الكنيسة بعين التجلة والاحترام و يعتبرونها محرابهم الأَهلي المقدس بحيث لو دُفن أَحدهم فيها عدُّوا ذلك اكبر شرف واعظم فخار فمن ذلك قبور الوزير وليليام پتْ واللورد تْشَتَمْ وتمثال الوزير پت المذكور في حال خطابتهِ وتحت قدميهِ التبصر والشجاعة و بينهما انجلتره وعلى يمينهِ ويسارهِ البر والبحر وتمثال اللورد بيكونسفيلد ثم پالمرستون متحلياً بنشان الساق وتمثال الجنرال جون مَا لْكُمْ وهو الذي ثبَّتَ دعائم السلطة الانجليزيَّة في الهند ووسَّعَ نطاق أَملاكها هناك وتمثال اللورد مانْسفيلد أَحد مشاهير قضاتهم وعلى يمينهِ العدالة وعلى يسارهِ الحكمة وتمثال الاميرال جُونْ بالْشِنْ وكان قد غرق في بحر المانش مع أَلف رجل في عام ١٧٤٤ وتمثال الطبيب شِمبرْلين نائماً في تابوت وعلى يمينهِ الصحة وعلى يسارهِ صناعة الطب وقبر اسحق نيُوتن ذلك الرياضي الطبيعي الفلكي المشهور المتوفى سنة ١٧٢٦ وقبر داروين الطبيعي صاحب المذهب المشهور المتوفى سنة ١٨٨٢ وقبر الفلكي العظيم جون هِرْشِلْ المتوفى سنة ١٨٧١ وتمثال سِپنْسر پرْسِيڤِلْ رئيس ادارة المالية الذي مات مقتولاً في البرلمان سنة ١٨١٢ وذلك على هيئة رجل نائم تحفهُ القوة والصدق والاعتدال مع نقوش تصور الخيانة الَّتي أَوردتهُ موارد الهلاك وقبر جُون هنترْ الجراح الغني بشهرتهِ عن البيان وتمثال لَيِلْ الجيولوجي المشهور وتمثال شارل جا كيز فُوكْسْ الوزير الكبير الذي توفي سنة ١٨٠٦ يُصَوِّرُهُ وهو يقضي نحبهُ بين ذراعي الحرية وعلى ركبتيهِ ورجليهِ السِّلم وتحت قدميهِ رجل من الأَرِقَّاء قد أُطلق من قيود الاستعباد و بجانب هذا التمثال قبر هنري جرْاتَّان المتوفى سنة ١٨٢٠ وهو من مصاقع الخطباء في ايرلانده وكبار رجال الدولة بها وتمثال اللورد هولاند من رجال الدولة المشهورين وتمثال جمس كُورْنُويلْ على هرم

من الرخام الأبيض أمامهُ كهف منهُ عليهِ نقوش تصور واقعة طولون الحربيَّة الَّتي توفي فيها وعلى اليمين صورة الفخار وعلى اليسار صورة انجلتره وتمثال الماجور جون أندرِي الذي قُتل في امريكا بصفة جاسوس والى جانبهِ صورة انجلتره لابسة عليهِ شعار الحداد وقبر ليڤنجستُون رحالة افريقيَّة الشهير الذي توفي سنة ١٨٧٣ وقبر ستيفنسُون المهندس الطائر الصيت وبجانبهِ قبور كثير من المهندسين المعماريَّة الَّذين شادوا الأبنيةَ العظيمة وعملوا الأعمال الفخيمة وتمثال شيكسبيرْ الشاعر الفيلسوف الى غير ذلك من قبور وتماثيل كثير من الأعاظم والاكابر والشعراء والعلماء والقسس وابناء و بنات وزوجات الملوك وغيرهم مما يطول شرحهُ ويستعصي على اللسان بيانهُ

و بهذه الكنيسة سوى المعبد المتقدم كثير من المصليات والبيع أهمها بيعة هنري السابع بُنيت سنة ١٥٠٢ وعلى أبوابها أزهار الورد تذكارًا لاقتران هنري السابع هذا رأس عائلة تيودور بإليصابات بنت ادوارد الرابع وزعيمة بيت يورك وقد كان في هذا الاقتران اجتماع شمل البيتين وانتهاء الحرب الشهيرة "بحرب الوردتين" وفي هذه البيعة كراسيُّ من البلوط ذات صنع دقيق عجيب بها تصاوير ورسوم لطيفة كل كرسي منها مختص برجل من حاملي نشان باث "الحمَّام" حين يجتمعون في هذا المكان باحتفال عظيم وقبة هذه البيعة لطيفة جدًّا من حيث جمال عقودها و بهاء نقوشها ورسومها و بها قبور بعض مشاهير الملوك وتماثيل كثير من بنيهم و بناتهم وزخرفتها الفائقة تُعدُّ من أعجب العجائب وقصارى القول أن بهذه الكنيسة كما اشرنا اليهِ آنفًا بيعًا ومصليات كثيرة و كلها يوجد بها آثار لعظماء الرجال وقبور لبعض الكبراء مما يضيق عن استيفائهِ حجم هذا الكتاب

وبغربيها عمود يُعرف بعمود ويستمنستر طوله ١٩ مترًا أُقيم في سنة ١٨٥٩ تذكارًا لتلامذة مدرسة ويستمنستر الذين ماتوا في حرب القرم وفي الهند وبأسفلهِ أربعة أُسود وفوق ذلك صورة مؤسس هذه الكنيسة وصورة الملكة إليصابات مؤسسة المدرسة المذكورة وباعلاه صورة الملكة ويكتوريا

اما المدرسة المذكورة فقد انشئت في عام ١٥٦٠ وفيها اربعون تلميذًا داخليّة ويسمَّوْن تلامذة الملكة و١١٠ تلامذة خارجيّة وقد نبغ بها كثيرٌ من العلماء

وبشمال الكنيسة من جهة الغرب محل عظيم كان معدًّا في سالف الزمان لحبس المجرمين والاشقياء بني في سنة ١٧١٩ وهو الآن مستشفى للمرضى بهِ مائتا سرير

وبالقرب من هذه المدرسة المحل المسمى (رُويال إكوِيريُومْ) وهو عبارة عن عمارة من الآجرّ طولها ١٨٣ مترًا فيها حياض كبيرة ملأى بمياه البحر وأُخرى بمياه النهر لاجل حفظ الأَسماك وتربيتها بحرارة معلومة توافق حرارة البلاد المجلوبة منها الاسماك وهناك بساتين شتويّة وصيفيّة وتياترو ومحال ملاهٍ وغرف للمطالعة ورواق للصور والرسوم

(المدرسة الجامعة) المعروفة باسم " يُونِيڤِرْسيتي كوليج " وهي من المدارس العالية كان انشاؤها عام ١٨٢٨ ويتعلم بها التلامذة من جميع المذاهب والأَديان وفي سنة ١٨٨١ ضُم اليها ملحقات ولها قبة جميلة ويُدخل اليها من باب معمول على الطراز الكورنثي بجانبهِ عشرة أَعمدة وهو في وسط وجهتها البالغ طولها ١٣١ مترًا وفيها معمل كيماوي وغرف متسعة للتدريس العام وتُعلَّم فيها العلوم الرياضيّة

والتاريخ الطبيعي واللغات القديمة والحديثة والآداب والتاريخ والحقوق والطب وفيها مكتب صغير للأحداث الذين لا يتجاوز سنهم ١٦ سنة وبها ثلاثون استاذًا والف وستمائة تلميذ ولها مستشفى أمامها وهو عبارة عن كلينك القسم الطبي بها يعالج فيهِ اساتذة هذا القسم في كل سنة نحو ١٩ الف او ٢٠ ألف مريض

(بستان ريجنتس پارك) هو من أعظم بساتين لونده ومسطحهُ يبلغ ١٨٩ هكتارًا وفيهِ بيوت كثيرة لآحاد الناس ولثلاثة من الشركات فيهِ حدائق ناضرة وهي شركة علم الحيوانات وشركة النباتات وشركة الرُّماه

فاما حديقة الحيوانات فهي بالجهة الشمالية الشرقيَّة وفيها حيوانات كثيرة منها ما يختفي بالنهار في أوْجِرَتهِ ومضاجعهِ وفي الماء او في داخل الآجام ولا يخرج الَّا وقت الاكل فلذلك كان أحسنُ وقت للتفرج عليها هو وقت اعطائها الغذاء وهي انواع مختلفة كالبشروش وثعالب الماء والطيور الجارحة والحيوانات الكاسرة وعجول الماء والطيور الغطاسة والزواحف وغير ذلك من الطيور المجلوبة من اوستراليا والهند وامريكا الجنوبيَّة ويوجد منها مائتا نوع وفيها قصر للقرَدَةِ وبجانبهِ محل للخُفاش وتجاهه مكان البجع وأَمثالهِ والديوك الهنديَّة بأَصنافها والخنازير والطيور المائية وأَساد البحر والأَيايل والضباع والذُّباب والدِّباب والذِّئاب والضِّباب والجمال والبوم والبط وأَصناف الحداء وقط الزبد وغير ذلك من الحيوانات المجهولة والمعروفة مما يفوق الوصف

وأَما حديقة النباتات فبالجهة الجنوبيَّة وهي روضة أنيقة يوجد فيها جميع النباتات وتُعرض فيها الأَزهار باصنافها في شهري مايو ويونيو ثلاث مرات يجتمع فيها الاعيان واهل التجمُّل من ساكني المدينة والى جانب هذه الحديقة حديقة شركة

الرُّماة وهي الثالثة

(قصر سِنْت جِمسْ) مبني بالآجرّ بناهُ هنري الثامن سنة ١٥٣٢ وزاد فيهِ شارل الاول زيادة عظيمة جداً حين احرقت النيران سنة ١٦٩٧ سراي وَيتْهُولْ وصار من حينئذٍ مقرًّا ملوكيًّا ولا زال كذلك حتى تولى الملك جورج الرابع فحدثت بهِ حريقة اتلفت كامل جناحهِ الشرقي وذلك في عام ١٨٠٩ ولم يبقَ من آثار القصر القديم سوى الباب المطل على شارع سان جِمس والبِيعة الملوكيَّة وغرفة الاستقبال القديمة

وداخل هذا القصر في غاية الزخرفة ونهاية الزينة وفيهِ تصاوير بديعة وما زال القوم يسمونهُ بما يدل على أَنهُ مقر الملك وان كانت الملكة تركت السكنى بهِ وفيهِ كنيسة يسمونها البيعة الملوكيَّة تحضرها الملكة وكبار الأَعيان أَحياناً للصلاة في ايام الأَحاد

وكانت الملكة ويكتوريا تقابل الرجال والنساء في هذا القصر الى وفاة البرنس زوجها فصارت بعد ذلك تقابل الرجال فيهِ فقط وتقابل النساء في سراي بوكنهام وهذان الاستقبالان لهما شأن كبير عندهم ولهذا تُنبِئ بهما الصحف قبل مواعيدهما بوقت فتحضر النساء متجملات بأَفخر الملابس متزينات بأَبهى الحلل وتأْتي الرجال لابسين كساوي التشريف الرسميَّة موشاة بالقصب والذهب والخدم متزيين بازيائهم الخاصة بهم وعليهم شرائط وظائفهم وعلى رؤُوسهم قلنسوات مخصوصة وفي أَرجلهم جوارب من الحرير وشعورهم محملة بالپودرة الكثيرة وفي أَيديهم باقات كبيرة من الرياحين والأَزهار ويلبس سائقو العربات ملابسهم المعروفة وترى العربات الباهرة تجرها الجياد الفاخرة وتلتفُّ الأَقدام بالأَقدام

وتحار العقول من هذا الازدحام وتصدح موسيقي الحرس الفرسان تحت شبابيك الملكة بالنغمات الحسان ثم تأتي الجرائد في ثاني يوم على ذكر اسماء الغادات اللاتي تشرفن بمقابلة الملكة فإذا تشرفت بلاقاتها احدى الفتيات كان لها بذلك الشرف الباذخ ودخلت بسببهِ في عِداد السيدات المعتبرات

(حديقة سنت جمس) نظَّمها على ما هي عليهِ الآن الملك جورج الرابع وفيها الخمائل الملتفة والازهار الكثيرة المستاطفة وبركة بديعة بها المياه لصفائها كأنها مرآة من الباور تشقها الطيور فتزيدها بهاء بالوانها التي تروق النواظر وتسر الخواطر والخلاصة ان هذه الحديقة الأنيقة من أبهى رياض لوندرة الزاهرة وفيها قنطرة عظيمة الصنعة توصل بين شارع سنت جمس والميدان المسمى "كوين سكوير"

(قصر بوكنهام) فيهِ مُقام الملكة وهو مشيد على الجانب الغربي من حديقة سنت جمس وقائم على موضع سراي بوكنهام التي بناها في سنة ١٧٠٣ جون شفيلد دوك بوكنهام ثم اشتراها الملك جورج الثالث وسكن بها سنة ١٧٦١ فلما جاء خليفتهُ جورج الرابع غيَّر معالم البنيان الى ما هو عليهِ الآن وبقي القصر مع ذلك خاليًا الى سنة ١٨٣٧ فأختارتهُ الملكة ويكتوريا لإقامتها بهِ وطول وجهتهِ الشرقيَّة المتجهة الى جنوب سنت جمس ١١٠ أمتار وبهذا القصر دهليز يحتوي على عدة أعمدة من الرخام وينتهي الى رحبة بها قاعات الاستقبال فيدخل الإنسان قاعة التماثيل المزينة بصور وتماثيل العائلة الملوكيَّة ورجال الدولة وبعد ذلك قاعة الكتبخانة وهي مطلة على الحديقة وعلى شمال الدهليز سلَّم من الرخام العجيب الصناعة سقفهُ منقوش بنقوش من صنع الرسام الشهير تاونسند تمثل الصبح والنهار والمساء والليل

وبالطبقة العليا من القصر في وسط الجانب الشرقي منها القاعة الخضراء التي طولها ١٥ مترًا وارتفاعها عشرة أمتار ثم قاعة العرش الملوكي وطولها عشرون مترًا مغطاة جدارنها بالحرائر مزركشة بالنقوش الذهبيَّة وبجهة السقف منها إفريز من الرخام بهِ صور تُمثّل حرب الوردتين من صنع بيلي ثم القاعة الكبيرة التي هي قاعة الرقص في الجهة الجنوبيَّة منهُ وطولها ٣٤ مترًا وعرضها ١٨ مترًا ثم قاعة الرسومات وطولها ٥٥ مترًا وتحتوي على مجموعة ألواح رسومات وتصاوير قليلة العدد لكنها عظيمة الأهميَّة ويمكن التفرج على هذه المجموعة في غيبة الملكة عن القصر بإذن من اللورد الموكل بالسراي

وخلف هذا القصر بستان يحتوي على كشك مزيَّن بالنقوش والتصاوير البديعة التي عمِلها كبار الحذاق من الصناع والى جنوب القصر الإصطبلات الملوكيَّة والعربه خانات وفيها نحو ٤٠ عربة لخدمة الملكة وفيها عربة للاحتفال مصنوعة صنعاً عجيباً ومنقوشة نقشاً بالغاً نهاية الحسن وغاية الجمال وقد صُرف في اعمالها ٧٦٦٠ جنيهاً

(جرِين پارك) حديقة بهجة يحدها قصر بوكنهام وحديقة من جهة الجنوب وشارع پيكادلّي من جهة الشمال ويبلغ مسطحها ٤٨ هيكتارًا

(هَيْد پارك) بستان عظيم في غاية الاتساع على مقربة من الحديقة المتقدمة مساحتهُ ١٥٨ هيكتارًا غُرست أشجارهُ أيام هنري الثامن وكان قبل ذلك يُصطاد فيهِ الأيل والتيس البري ثم صار ميداناً للسباق وأقبل عليهِ القوم للرياضة وارتياح الخاطر ثم نقلبت عليهِ الأيام حتى صار بلقعاً يتبارز فيهِ المتخاصمون وأشهر مبارزة حصلت فيهِ مبارزة اللورد مُوهَن مع الدوك هاملتُون وقد سقط

الاثنان قتيلين في هذه المبارزة وكان ذلك عام ١٧١٢ ثم حفرت فيهِ بحيرة كبيرة متسعة اتصلت بعد ذلك بنهر التيمس

وهذا البستان الآن محاط بدرابزين من الحديد يُغلق عند منتصف الليل وصار من أعظم منتزهات لندن ولهُ أبواب كثيرة لدخول المشاة وتسعة أبواب أصليَّة لمرور العربات وبجانب أحدها قوس فخّارٍ عبارة عن عقد عجيب لباب غريب يحتوي على نقوش ورسوم في غاية الجمال وأرض هذا البستان كأنها مفروشة ببساط من سندس أخضر وفي كثير من جهاتها تجد الأشجار ملتفة بعضها على كيفيَّة بديعة والجهة القريبة من البحيرة يجتمع للتنزهِ فيها أهل الثروة والجمال فتسير في طريق منها العربات والمشاة وفي أخرى الفرسان فإذا كان الوقت صحوًا والجو معتدلاً رأيتَ هنالك منظرًا شائقًا ورأيتَ في الجنوب عربات متواصلة وكلها فاخرة تجرها أحاسن الخيول وسائقوها متزينون بملابس لطيفة وفيها السيدات متشحات بأفخر الديباج متحلّيات بالطف الزينة ورأيتَ في الشمال الرجال والنساء ممتطين صهوَة الجياد الأصائل متجملين بأحسن الثياب وجدير هذا المكان ان يُدعى بستان التباهي والإعجاب

ومنظر هذا البستان في ايام الصيف لايخلو مما يوجب ابتهاج النفس وانشراحها وذلك أنهُ قبل الساعة الثامنة من الصباح و بعد الساعة الثامنة من المساء يُرفع علَم في احد المواضع فيتهافت الصبيان على البحيرة التي تقدم ذكرها ويخلعون ثيابهم ثم يسبحون مدة من الزمان حتى اذا أُنزل العلَم تسارعوا الى الخروج من الماء و بعد ذلك بربع ساعة لا ترى لهم أثرًا في هذا المكان

وفي الشتاء تجمد المياه في البحيرة المذكورة فيأتي جماعة من الناس ويلعبون

أُلعبة معروفة عندهم وهي أنهم يلبسون قباقيب مخصوصة وينزلقون بها على وجه الجمد ويكون المتفرجون كثيرين جدًّا وحينئذٍ ترى اللاعبين ينهمكون في لُعبتهم من غيران يلابسهم شيء من الخوف وذلك لأنَّ هناك جمعيةً اسمها الجمعية الانسانيَّة ولها محل بجانب البحيرة وخَدَمةٌ مخصوصون وآلات مستعدة لتخليص من يغرق من اللاعبين

وكثيرًا ما تُعرض الجنود في فسيح هذا البستان بل كثيرًا ما تجمهرت العامة فيهِ واكثروا اللغط يُحسِّنون او يُقبِّحون تدبيرًا سياسيًّا ما واكبر تظاهر حصل من هذا القبيل هوالذي وقع في عام ١٨٦٦ فإن الساخطين اقتلعوا من الدرابزين الحديد ٤٠٠ متر وجرحوا ٢٥٠ شرطيًّا جروحًا بليغة

وترى حول هذا البستان دور الاكابر والأعيان ولاخفاء ان هؤلاء القوم قد رُزقوا من الثروة ما لايحيط بهِ الأعلام الغيوب وقد اعتاد اكثرهم على ان يقضوا معظم السنة في مزارعهم المتسعة التي يمتلكونها في أنحاء بريطانيا العظمى ولكن العائلات الكبيرة تتخذ لها في لندن قصورًا شامخة تسكنها مدة فصل معلوم وكثير من هذه القصور جدير بالزيارة لما حوتهُ من الزخرف الفائق وما اشتملت عليهِ من أعمال الصناعة الغريبة والنقش والتصوير اللطيف

(ألبِرت مِمُورْيَالْ) هو أثر عظيم شيدهُ الانجليز تذكارًا للبرنس البرت زوج الملكة ويكتوريا المتوفى سنة ١٨٦١ وبلغ ما صرف عليهِ ثلاثة ملايين من الفرنكات تحصل نصفها باكتتاب من الأهالي طوعًا واختيارًا

وهو بناء ارتفاعهُ ٥٣ مترًا بهِ قاعدة لها درجات من جميع الجهات مرسوم عليها ١٦٩ صورة من المرمر تُمثِّل مشاهير الصناع في كل زمان فالموسيقيون في

الجنوب والرسَّامون في الشرق والمعماريون في الشمال وصانعو التماثيل في الغرب وفي الأركان الأربعة صور الزراعة والصناعة والتجارة والعمارة وفوق هذه القاعدة تمثال البرنس جالساً متحلياً بالملابس الخاصة بنشان الساق وارتفاع هذا التمثال الذي هو من البرونز المموّه بالذهب يبلغ أربعة أمتار ونصفاً وفوقهُ قبة قائمة على أعمدة من الصوان وكل هذا الأثر مملوءٌ بالتماثيل من المرمر والبرونز والأحجار الملونة والفسيفساء البديعة المصنوعة على صفحات الزجاج وارتفاع هذا البناء جميعهُ يبلغ ٥٣ متراً وفي أسفلهِ تماثيل رمزيَّة في الأركان الأربعة تصوّر اوربا وآسيا وافريقية وامريكا

(المتحف الهندي) يحتوي هذا المتحف على كثير من النفائس الهنديَّة وفي داخلهِ رحبة متسعة بها صور كثير من العمائر الهنديَّة مجسمة منها وجهة دار ووجهة حانوت ووجهة مسكن من مساكن أحمد آباد وبهذا المتحف صور من آلات الزراعة وغيرها وتماثيل كثيرة لمعبودات تلك البلاد ودواليب من الزجاج تشتمل على الغنائم المأخوذة من برمانيا وخصوصاً ملابس التشريف التي كان يلبسها الملك "تيبو" وفي الطبقة العليا المنسوجات الهنديَّة والأمتعة ومصنوعات الأخشاب واصناف الأسلحة والخزف والجواهر والسجاجيد وغير ذلك من أصناف الديباج والأقمشة الثمينة والمصنوعات الغريبة وملابس الرجال والنساء وعُددِ الخيول والأغطية المزركشة والشماسي وسروج الفيلَةِ ومصنوعات المعادن

(مقابر لونده) لا تستحق عناية كبيرة لأن الانجليز اعتادوا على دفن اكابرهم ومشاهيرهم في الكنائس المعتبرة ولكن مقبرة كنسل جرين تستحق الذكر مع ذلك لأن لها منظراً بديعاً وقد انشئت في سنة ١٨٣٢ ومساحتها تبلغ ٢٤ هيكتاراً

وتحتوي على سبعين ألف قبر وغالب الآثار فيها عبارة عن حجارة كبيرة ساذجة الآ التي بالجهة العليا منها ففيها كثير من الآثار المتقنة النقش والتمثيل

(معمل البيره) ومما هو جدير بالتنبيه عليهِ ويجمل بالسائح التوجه اليهِ من حيث غرابتهُ معملُ بيرة "بَارْكلي" و "بيرْكنز" وشركائهما وهو من اكبر المحلات الصناعيَّة التي بلندن والذي يجعلهُ مستحقًّا للزيارة والتفرج إنما هو حسن تنظيمه وجمال ترتيبهِ مع سعتهِ وجسامتهِ فانهُ يشغل مسطحاً من الارض قدرهُ خمسة هيكتارات و يشتمل على عدد كثير من العمارات والأبنية والدور ومخازن الحبوب والرحبات والشوارع والحارات والعربخانات وعند مدخلهِ مكاتب تكتب فيها الزوار اسماءهم ويدخل الانسان ومعهُ دليل يُطلعهُ على ما فيهِ من الغرائب والعجائب وفي كل محل منهُ تشم رائحة البيره فتحدث نوعاً من التخدير خصوصاً في القاعات التي يُبرَّد فيها هذا الشراب عقيب اصطناعهِ فينبغي الاحتراس من شم الغاز الذي يتصاعد منهُ في هذه القاعات

هذا والآلات والدنان والقزانات وغيرها من الأدوات التي بهذا المحل في غاية الجسامة ونهاية العظم وزيادة الكثرة

واما مقدار ما يُصنع فيهِ من الشراب فشيءٌ يفوق الحد والعد ويكفي في معرفة كثرتهِ العلم بان اصحاب هذا المعمل يدفعون الى الحكومة من الضرائب مائة وثمانين الف جنيه سنويًّا ومرتب رئيس العملة الف جنيه سنوياً و باصطبلاتهِ ١٥٠ حصاناً لنقل البيرة في العربات الى داخل المدينة

(مستشفى جَايْ) انشأهُ رجل اسمهُ جَايْ سنة ١٧٢١ ومن ثم نسب اليهِ وكان يتجر في الكتب فحصل على ثروة عظيمة واموال جسيمة فبنى هذا المحل

وهو يشتمل على سبعمائة سرير وعشرة وايراده السنوي أربعون ألف جنيه ويتيسر بذلك قبول خمسة آلاف مريض يعالجون فيهِ ومعالجة ثمانين الفاً من المدينة في منازلهم بواسطة اطبائهِ

وفي رحبتهِ تمثال مؤسسهِ من البرونز مجسماً و بكنيستهِ تمثال آخر من المرمر اعلاءً لشأن هذا الرجل الخيّر وتأييداً لمجدهِ

(متحف مادام توسُّو) عبارة عن بناء عظيم ذي طبقتين العليا منها مخصصة بتماثيل مشاهير الرجال والنساء من الشمع مجسَّمة لابسة ملابسها المعتادة موضوعة بجهات هذه الطبقة يفصلها عن المتفرجين فاصل و بعضها مجعول على الكراسي المعدة لاستراحة المتفرجين حتى إن الرائي يخال انهم اشخاص من المتفرجين جالسين على هذه الكراسي فاذا انتظر هنيهة ولم يجد منهم حركة الحياة جَسُر على لمسهم فعرف انهم تماثيل

وهذه التماثيل تجمع مشاهير الملوك وعائلاتهم وكبار السياسيين والعلماء والكُتَّاب وتُمثِّل المجتمعات الشهيرة على هيئاتها التي كانت عليها

والطبقة السفلى خُصصت قاعة منها بصور كبار المجرمين والأشقياء مجسمة وقاعة أُخرى ببعض آثار تاريخيَّة مثل ملابس نابليون الأول وعربة أخذها منهُ البروسيان كان يركبها يوم واقعة "واترلو" اشترتها صاحبة هذا المتحف بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه انجليزي وقاعة نصبت في وسطها الآلة المسماة جيليوتين التي قطعت بها رأس لويس السادس عشر ورأس امرأتهِ الملكة ماري انطوانيت وقت الثورة الفرنساويَّة وكان مسيرنا الى هذا المتحف ليلاً بالسكة الحديديَّة التي تحت الأرض من إحدى محطاتها القريبة من الفندق الذي كنَّا بهِ

(قصر البلور) المسمى "كرِسْتَال پَالِسْ" هو على مقربة من مدينة لندن يُذهب اليهِ بالسكة الحديد يقوم برسمهِ قطار كل نصف ساعة وهذا القصر مصنوع جميعهُ من البلور والحديد قام بأمرهِ مهندس المعرض العام الذي انعقد بلندن سنة ١٥٨١ فجمع اكثره من مواد ذلك المعرض حتى أتمهُ في سنة ١٨٥٤

وهو عبارة عن شكل مستطيل ذي جناحين طولهُ ٤٩٠ مترًا تكتنفهُ في بعض الجوانب محلاتٌ وجهة الشمال منهُ قد احترق بعضها في سنة ١٨٦٦ وجهة الوسط وجهة الجنوب منهُ جعل في كلٍّ منها رحبة وطول رحبة الوسط ١١٧ مترًا وعرضها ٣٦ مترًا وارتفاع سقفها ٥٣ مترًا وطول رحبة الجنوب ٩٥ مترًا وعرضها ٢٢ مترًا وارتفاع سقفها ٣٣ مترًا وبجانب هذا القصر في كل من ذات اليمين وذات اليسار برج ارتفاعهُ ٨٦ مترًا وقد بلغت مصاريف هذا القصر وبرجيهِ وبستانهِ الواقع على الجهة الشرقيَّة منهُ مع ثمن الأَرض مليونًا ونصف مليون جنيه انجليزي عبارة عن سبعة وثلاثين مليونًا ونصف مليون من الفرنكات

ولهُ مداخل متعدّدة يدخل اليهِ منها دخلنا من الذي على جهة الجنوب منهُ في طريق مغطاة بالزجاج طولها ٢٢٠ مترًا وذلك لأَن هذا المدخل تجاه المحطة الَّتي جئنا منها ولأَن كتاب الدليل دلَّنا على ان منظر القصر منهُ أَحسنُ المناظر

وقد صدق اذ بدخولنا من الباب الى رحبة الجنوب امتد نظرنا منها الى سائر أَنحاء القصر وهو مصنوع من البلور والحديد كما مر تُغطي بعضهُ نباتات الأَزهار وفي جانبيهِ بغير الرحبات محلات عدة في غاية التنظيم والبهاء مخصص بعضها بتمثيل أَحاسن الأَبنية عند الأَقدمين وبعضها بعرض حاصلات الصنائع الأَهليَّة على من يريد الشراء تحيط بهذه المحلات الصور المجسمة والتماثيل المنتظمة على

أحسن وضع واكمل اتساق يعلو ذلك جميعهُ قبة القصر البلوريّة الّتي لا تحجب منظر السماء وان حجبت تأثيرات الجوّ والهواء

وفي رحبة الجنوب كثير من صور الملوك مجسمة منقولة من التماثيل الموجودة في سراي البرلمان وفي وسط هذه الرحبة صورة الملكة المالكة الآن ممتطية جوادًا وفيها بعدها الفسقيّة الشهيرة الّتي كانت بمعرض سنة ١٨٥١ في جهة هيذ پارك ونُقلت منهُ الى هنا تزينها النباتات المائيّة فتزيدها بهجةً وجمالاً

ورحبة الوسط في كل من جهاتها الاربع محل الأول من جهة الغرب محل الموسيقي وبوسطهِ أرغن مشتمل على ٤٥٦٨ أنبوبة يحرك ما ينفث فيها آلة تتحرك بالماء ويَسَعُ هذا المحل أربعة آلاف شخص وقبتهُ قطرها ٦٦ مترًا الثاني تجاه الأول وهو قاعة كبيرة بها مدرج "أنفتياتر" شهيرة بما يلقيهِ فيها كبار الأفاضل ومعتبرو الخطباء من المقالات الثالث من جهة الشمال وهو محل الأوپرا تُمثّل فيهِ الروايات ويسع الفي نسمة الرابع من جهة الجنوب محل الأناشيد والغناء وهو قدر المحل الذي قبلهُ تطرب الحضور فيهِ مشاهير المغنين وتسمع فيهِ أحاسن القطع الموسيقيّة في أيام معلومة من كل اسبوع وكلٌّ من هذه المحال الثلاثة تعلوهُ قبة كالاول والجميع تحت قبة القصر الّتي ذكرناها المرتفعة نحو عنان السماء

وبين رحبة الوسط وجهة الشمال المحترق بعضها محلات أبنية الأقدمين من الجانبين كما ان واقعة محلات عرض المصنوعات الاهليّة واقعةٌ بين رحبة الوسط المذكورة ورحبة الجنوب من الجانبين

وكل بناء من الأبنية المذكورة عمارة قائمة بذاتها بوجهة مخصوصة بها فوقها سقف يناسبها

فالعمارة المصرية تشتمل على اشياء كثيرة من تقليد آثار المصريين القدماء من ذلك تقليد عمد الكرنك وتقليد قسم من معبد بُنِيَ زمن البطالسة قبل الميلاد بثلثمائة سنة وتقليد قبر عُثر عليهِ بجهة ابي سنبل من بلاد النوبة وعلى الجدران رسومات منقولة من معبد رمسيس الثالث بجهة طيبه وبمقابلها تمثيل محاصرةِ حصن ومحاربةٍ حاصلةٍ أمام ذلك الحصن في قديم الازمان

ويلي العمارة السابقة عمارة يونانية ثم عمارة رومانية اشتملتا على كثير من تقليد آثار هاتين الأُمتين

ثم عمارة الحمراء وهي تقليد قسم من قصر الحمراء مقر الملوك بغُرناطة من بلاد الأندلس وهذا القسم عبارة عن رحبة القصر وقاعات ملوكية بدائرها وهذه الرحبة كانت تُعرَف عندهم برحبة السباع لأن بها سباعاً على فسقية نقل تقليدها مع سباعها في هذه العمارة ومن قاعاتها قاعة تسمى قاعة الحكم وقاعة تسمى قاعة ابن سراج

وتجاه هذه العمارات من الجانب الآخر عمارة من تقليد عمارات رومة القديمة ثم يليها عمارة من عمارات القرون الوسطى ثم عمارة من عمارات الأزمان التالية لها ثم عمارة من العمارات الإيطالية وبها تقليد كنيسة القديس بطرس الشهيرة مجسمة

ثم اذا انتهى المار من هذه العمارات وصل الى جهة الشمال وهي وان احترق بعضها كما سبق لكن بها رحبة فسيحة فيها فسقية عظيمة تزدان بالنباتات المائية المجلوبة اليها من البلاد القاصية

واذا مرّ المتفرج من الرحبة الوسطية الى جهة الجنوب رأى بالمحال من الجانبين بدائع المصنوعات الاهلية من مصوغات وصيني وبلور وزجاج وكتب

وورق وأدوات كتابة وموسيقي ونسيج الى غير ذلك من المصنوعات المختلفة الاصناف معرضة كما سبق للبيع

ثم فوق بعض محال القصر أماكن خصصت بالرسومات والتصاوير

وبهذا القصر غير ما ذكرناهُ من محلات الملاعب والملاهي ما لا يحصي وفيهِ محال متعددة للمأكولات بحسب حال الآكلين في الثروة والميسرة بين مرتفعة الأثمان وغيرها

وقد اكلنا من أحسن المآكل في أحسن المحلات ولم يخص الواحد منا على تعدد أصناف ما أكل الأ نحو ست شلنات اعني ثلاثين غرشًا صاغًا

ثم بعد الاكل اخذنا نتفرج من خَرْجَةٍ في القصر مطلة على بستانهِ المحاذي لوجهتهِ الشرقيَّة على النيران الصناعيَّة المتخذة من البارود التي هي من ضمن ما يتفرج عليهِ في هذا المساء

وهذا البستان مجعول على الطراز الانجليزي والطلياني بمعنى انهُ كثير المتسعات المكسوة بالنبات الأخضر ومساحتهُ تبلغ اكثر من ثمانين هيكتارًا

وانهُ ليحار الطرف في أحاسن هذا البستان ويعجز اللسان والقلم عن وصف ما فيهِ من الأشياء الحسان وإن من أبهج ما فيهِ سوى المتسعات المزينة بالاخضرار والمظلات المكللة بالأزهار والأشجار وخضرتها والنباتات ونضرتها أشكال الماء وتنوع هيئاتهِ عند اطلاقهِ بالحياض في ارتفاعهِ وانخفاضهِ فإن ارتفاعهُ يبلغ خمسة وسبعين مترًا إذا أُطلق من الحياض المنحطة وخمسة واربعين اذا أُطلق من الحياض المرتفعة ويبلغ مقدار ما ينطلق منهُ في الدقيقة الواحدة ٥٥٥ مترًا مكعبًا

وفي البستان كثير من التماثيل وعدد غير قليل من الأقفاص المشتملة على القردة والطيور بأصنافها

ومنظر هذا البستان من الخرجة التي تفرجنا منها على النيران الصناعية المتقدمة هو من أحسن المناظر لا يعلوهُ غير منظرهِ من احد البرجين القامين على يمين القصر ويسارهِ فإن الناظر إذا علاهما يمتع نظرهُ بما حوالي البستان من الغياض الى غاية البصر ومنتهاهُ فضلاً عن تمتعهِ بمناظر البستان

السفر من لندن

قد عرفت من الفصول المتقدمة مقدار هذه المدينة العظيمة بحسب الإمكان وقد أقمنا فيها ثلاثة أيام كاملات غير يوم الوصول ويوم السفر وها نحن على أهبة السفر منها اليوم قاصدين صوب المأمورية ولكنا أردنا التعريج على هولاندة لمشارفة بعض بلادها والتفرج على مدينة لَيْدِن وكتبخانتها المشهورة بالآثار والكتب المشرقية وعزمنا على التوجه اليها من أبعد الطرق البحرية لنجتاز بحر المانش من جهة متسعة غير التي اتعبتنا كما علمت عند مجيئنا لان البحر كلما كان متسعاً كان تسلطُ الأهوية فيهِ أقلَّ منهُ في غيرهِ واخترنا أن نسافر اولاً من لندن بطريق البر الى هَارْوِتْش ومنها بالبحر الى روتردام ومنها بالبر الى لاَهي ومن هذه الى لَيْدِنْ لنبيت بها ليلة بعد الإقامة فيها يوماً ثم نسير منها برًّا الى أَمْسْتَرْدَام

فقمنا من لندن يوم السبت ٢٤ أغسطس سنة ٨٩ والساعة ٨ بعد الظهر بالسكة الحديدية من محطة "ليفربول ستريت" وسرنا حتى وصلنا هَارْوِتْش وهي اسكلة البحر المراد السفر منها بعد قيامنا بساعة وثلاثة ارباع ساعة

والمحطة على مقربة من محل مرسى السفينة في هذه المدينة البالغ عدد سكانها ٧٥٠٠ نفس فركبنا السفينة إذ كانت مستعدة في الحال وإذا بها من السفن الكبيرة المعتاد سفرها في البحار العظيمة لا كالتي جئنا فيها الى لندن وأذهبت منا كل صبر كما مرّ

فسرنا على بركة الله والساعة عشرة وثلث وكان الجو هادئاً من الأهوية والسماء صحواً ففاجأنا الجوع فأكلنا وشربنا وتمتعنا بلطف النسيم وأمضينا وهناً من الليل في مطالعة صحف الأخبار ومجاذبة أطراف الحديث حتى جاء وقت النوم فنمنا بغاية الراحة الى ان أصبح الصباح

الوصول الى روتردام

رسا الوبوار بنا في ميناء هذه البلدة التي هي من أعمال هولاندة والساعة ثمانية وثلث من صباح يوم الأحد ٢٥ أغسطس سنة ٨٩ فكانت المسافة من هاورتش اليها عشر ساعات

وقبل ذكر التفرج فيها أذكر لك بعض ايضاحات على مملكة هولانده فأقول إن هذه المملكة تحتوي على ٤٣٩٠٨٥٧ من السكان وعاصمتها مدينة أمستردام ولكن ملكتها تسكن مدينة لاهي فتأوي اليها الحكومة والمجالس النيابية بالتبعية لها

وهي تنقسم الى احد عشر اقليماً ويتبعها كثير من المستعمرات منها الجاوه وصوماترا وبورنيو وكوراسو وغيرها بحيث تبلغ سكان مستعمراتها ٢٨٠٠٠٠٠٠ من السكان

وقد عُدّت بواخرها التجاريّة فبلغت سنة ١٨٨٣ ستًّا وتسعين باخرة حمولتها ٢٨٨٠٠٨ طونولاطات وسبعمائة سفينة وواحدة شراعيّة حمولتها ٥٨٧٤٧٣ طونولاطة وقُدِرت قيمة الواردات اليها في سنة ١٨٨٢ بمبلغ ٩٩٢١٠٨٠٠٠ فلورينو[1] وقُدّرت قيمة الصادرات منها في السنة المذكورة بمبلغ ٧٥٢٠٦١٠٠٠ فلورينو

وجيشها مؤلف من ٦٥٠١٤ رجلاً غير الحرس الأهلي والجيش الأحتياطي أما جيش مستعمراتها فمؤلفٌ من ٣٠٠٠٠ رجل

ودونمتها الحربيّة كانت في سنة ١٨٨٤ مؤلفة من ٢٣ مدرعة و٩٣ سفينة بخاريّة غيرها وعدد ملاحيها ٦٨٠٠ نفس

ومدن هولانده تَشقها الخلجان في جميع جهاتها كما تَشقُّ غير المدن من أرضها وفوقها القناطر والسكك التي بشواطئها تحفها الأشجار غالباً

واكثر منازلها غير معتنى بزخرفة منظرهِ من الخارج ومبني بآجرٍ أسود مبيَّضٍ ما بين أطرافهِ بالجِص وتتعدد طبقاتهُ في المدن الكبيرة الى ست طبقات وان كانت قليلة الارتفاع

وجميع نواقيس كنائسها تقرع في كل ربع ساعة بحيث يتضرر من ذلك من لم يتعوَّد عليها في أول الأمر

ومساكنها في غاية النظافة لأنها تغسل أرضها وسُقُفها وجدرانها وشبابيكها من الداخل والخارج وتمسح مرة بالأقل كل اسبوع وشملت النظافة شوارعها وحاراتها حتى عُدت هذه البلاد أنظف بلاد العالم اجمع

---

(١) الفلورينو يساوي ثمانية غروش و٣ بارات بالعملة الصاغ كما تقدم في غير هذا المحل

وأرض هولانده منخفضة عن باقي القارة الأُوروبيَّة حتى سُميت بما ترجمتهُ "البلاد المنحطة" ومن ثم كانت أَعمال الجسور والسدود معتنىً بها عندهم كل الاعتناء لدرء غوائل البحار واتقاء أَخطار الأَنهار فيصرفون في انشائها المصاريف العظيمة وفي ترميمها والمحافظة عليها كل سنة من خمسة ملايين الى سبعة ملايين من الفلورينات

والخلجان كثيرة في هذه البلاد كما مرَّ فتستعمل أَولاً للمواصلات فإن كل جهة تتصل بجميع الجهات المجاورة لها بواسطتها وثانياً لصرف المياه المستغنى عنها فتكون مصارف وثالثاً لان تكون حدوداً بين الأَطيان والعقارات والمساكن فتُحيط بالملك لتحدهُ عن غيرهِ كما يحاط في بلادٍ غير هذه بسياج من الحطب أَو الجدران

وغالب الخلجان فيها عرضها نحو عشرين متراً وعمقها نحو مترين وقد تكون أَرض مجرى الخليج مرتفعة عن سطح الأَرض المجاورة لهُ في بعض الاحوال وأَعظم خلجان هذه البلاد خليج الشمال فإِن طولهُ اكثر من ٨٠ كيلو متر وعرضهُ ٣٦ متراً وعمقهُ من ستة الى سبعة امتار

هذا وقسمٌ كبير جداً من هذه البلاد كان في الأَصل مستنقعات وبحيرات فصار إِخراج الماء منهُ وتجفيفهُ بواسطة سدٍ متين بينهُ وبين الجهة التي يرد الماء منها اليهِ ثم بإِخراج الماء منهُ بآلات رافعة تصبهُ في البحر او في خلجان يصل بواسطتها اليهِ وأَرض هذه المستنقعات والبحيرات خصوصاً القريب منها الى البحر متى أُخرج منها الماء الملح وأُزيلت منها حشائش البحر واعتني في زراعتها تكون من أَجود الأَرض وأَخصبها

وقد عزم القوم اليوم على تجفيف "زُوِيدِرزِي" وهو خليج كبير جدًّا من البحر الملح داخل في البلاد جهة شمالها من الغرب فمتى صار صالحًا للزراعة زادت هولانده بسببهِ اقليمًا جديدًا مساحتهُ ١٧٦٠٠٠ هيكتار وقد قدَّروا مصاريف هذا العمل بمبلغ ١٢٠ مليون فلورينو اعني ٢٥٢ مليونًا من الفرنكات فيا للهمم ويا للرجال

ويا ليت أهل بلادنا يهتمون عشر معشار هؤلاء القوم في ما يعود عليهم بالمنافع الجمة من اشتغالهم في اصلاح ارضهم مع خصوبتها وعذوبة مياهها وكثرتها حتى كانوا يحوزون بذلك الخير الكثير والنفع الغزير وليس ذلك عليهم بمستصعب اذا حصل التعاون عليهِ بشركات كما تصنع أهل هذه البلاد وهو من التعاون على البر والتقوى الذي أمر بهِ الشرع واستحسنهُ العقل وظهرت ثمراتهُ للحس والعيان وقام عليهِ واضح البرهان"

واذ قد عرفتَ هذه البلاد بوجهٍ ما وفهمتَ هم رجالها الساعين في خير أنفسهم المجدّين في توسيع نطاق ثروتهم وعلمتَ أنهم قد اخذوا من البحر الملح بالرغم عنهُ ما سمعتَ وهم مُتحفظون عليهِ من غدرهِ محدّقون العيون اليهِ خوفًا من وخيم امرهِ وادركتَ ان بلادهم أنظف البلاد وأن أرضهم صارت من أخصب الأرض بسبب هممهم العالية ودريتَ استيلاء اهلها مع هذه الأتعاب في بلادهم وقلة عددهم على كثير من المستعمرات مع إصلاحها والقيام بمصالحها البالغ عدد سكان هذه المستعمرات اكثر من ستة اضعاف الهولانديين فحينئذ سر معي حتى نتفرَّج على روتردام التي وصلناها الآن قبل قيام الوابور بنا الى حيث نقصد بعدها من البلاد

مدينة روتردام هذه يبلغ سكانها ١٩٠٥٠٠ نسمة وهي ثانية مدن المملكة في المتجر قائمة على الضفة اليمنى من نهر "موز" حيث يصب فيهِ نهر "روت" ومن ثم سميت روتردام اي "سد الروت" وهي تبعد بنحو خمس ساعات عن بحر الشمال ويخترقها كثير من الخلجان العميقة المتسعة بحيث يتيسر بواسطتها لأكبر السفن أن ترسو داخل المدينة بجوار مخازنها وحوانيتها ومنازلها وقد ترتفع مياه هذه الخلجان بحسب المدّ والأهوية زيادة عن ارتفاعها المعتاد من متر ونصف الى مترين ونصف

ويُتوصل من جهة الى اخرى في المدينة بواسطة العبور على كوبريات مختلفة الاشكال والهيئات مقامة على هذه الخلجان تفتح لمرور السفن كلما اقتضي الحال ذلك

ويدخل ميناء روتردام نحو اربعة آلاف سفينة في السنة واكثر ما يُجلب اليها البن والسكر والأرز والدخان والشاي والحبوب

ويوجد بضواحي المدينة معامل مهمة لعمل السفن وفابريقات للسكر ولتقطير المشروبات الروحيّة وعمل الدخان وتجهيزهِ ومعامل لصنع الماكينات شهيرة باوروپا

واهم محطات السكة الحديديّة فيها محطة البورصة وهي في وسط المدينة قائمة على معبر شهير غالبهُ من الحديد اتساع كل من حناياهُ ستة عشر متراً

وبجوار هذه المحطة البورصة وهي بناء قديم عظيم عُمل في سنة ١٧٢٢ بداخلهِ رحبة متسعة تكتنفها مماشٍ مرتفع سقفها على خنايا تحملها عمد

وبقرب هذه البورصة من جهة الغرب محل البوستة والتلغراف ثم سوق كبير لبيع السمك يُدخل اليهِ من ميدان البورصة الذي هو اكبر ميادين المدينة

ومن اشهر ميادين هذه المدينة الميدان المعروف بالسوق الكبير وغالبهُ فوق قنطرة وفيهِ تمثال يُمثّل أحد رجالهم الشهيرين ممسكاً بيدهِ كتاباً وتعتقد العامة أنهُ يقلّب كل ليلة ورقة منهُ اذا دقَّ جرس المدينة الكبير دقة نصف الليل

وبشمال هذا السوق السوق المسمى "هُوجِستْراتْ" اي الطريق المرتفع وهو اكثر جهات المدينة حركة

وبالمدينة متحف للرسم والتصوير يحتوي على كثير من النفائس ومتحف للفُرُش القديمة والأَواني والأَدوات المصنوعة من البلور والصيني والأَسلحة وحديقة للحيوانات فيها من الطيور غريبها ومن الحيوانات المفترسة عجيبها وكنيسة قديمة مبنيَّة بالآجُرّ سنة ١٤٧٧

وأَعظم منتزهاتها الحديقة الواقعة في غربيها على شاطئ نهر موز والرصيف الممتد على النهر بعدها المسمى "ده بُومپيس" ومعناهُ رصيف الأَشجار الصغيرة نسبة الى ما غُرِس فيهِ ويوجد عند هذا الرصيف دائماً مئات من الوابورات للسفر الى باقي بلاد هولانده والى بلاد پروسيا وفرنسا وانجلتره والروسية وسواحل البحر الأَبيض المتوسط مما يزيد هذا الرصيف بهجة ولطفاً

وفي منتهى هذا الرصيف كوبريان يمتدان منهُ على النهر ويمران على جزيرة في وسطهِ الى ضفة النهر الأُخرى أَحدهما ممر السكة الحديديَّة وقد عُمل في سنة ١٨٧٧ ويرتكز على تسعة عمد وثانيهما معد للمارَّة والعربات وقد عُمل في سنة ١٨٧٨ ولا يرتكز الَّا على أَربعة عمد مع أَن طولهُ ٨٥٠ متراً

ومما يستحق الذكر بهذه البلد معامل شركة بحريَّة تصنع السفن المطلوبة لها وما يلزمها من الماكينات فيعمل فيها اكثر من أَلف صانع

فلمَّا دخلنا هذه المدينة وتفرجنا فيها اكثر من ساعتين ونصف راكبين عربة قصدنا المحطة بعد ذلك وركبنا منها وابور البر قاصدين لَيْدِنْ فقام بنا والساعة ١١ و٣٢ دقيقة قبل الظهر وذلك بعد وصولنا الى روتردام باكثر من ثلاث ساعات

وبعد مسير نصف ساعة وصلنا لاَهي ولم يقف الوابور عندها غير ثلاث دقائق وهي محل إقامة ملكة هذه البلاد وحكومتها ومجالسها النيابيَّة وإن كانت العاصمة أمسْتِرْدَام كما مرَّ وعدد سكان لاَهي هذه ١٤٢٣٦٠٠ نسمة وتبعد عن بحر الشمال بنحو أربعة كيلومتر وهي أقل حركة من مشاهير مدن هولانده في التجارة والصناعة ولكن ما بها من الطرق المنتظمة والميادين المتسعة والمنتزهات الفسيحة والمباني العظيمة جعلها من أحسن مدن أوروبا

ثم استمرَّ بنا السير الى أن وصلنا مدينة لَيدِنْ بعد الظهر بأربعة وعشرين دقيقة من يوم الأحد ٢٥ أغسطس سنة ٨٩ فكانت مسافة السير من لاَهي اليها سبع عشرة دقيقة

الوصول الى لَيْدِنْ

وبمجرد وصولنا ركبنا عربة واخذنا ما يلزم الليل من الملابس أما باقي الأمتعة فتركناه بالمحطة وقصدنا أحسن فنادق المدينة المعروف لنا من كتاب الدليل فوصلناهُ وهو وإن كان لا يماثل الفنادق التي رأيناها قبلهُ في العواصم الكبيرة لا من حيث الاتساع ولا من حيث الزخرفة والزينة خارجاً وداخلاً الاَّ إنهُ لا ينقص عنها في شيء من حيث الخدمة والنظافة ولا من حيث جَوْدَة المآكل كما اتضح لنا من طعام الغداء وإن كان اقل ممَّا في تلك من حيث التعدد وكثرة الألوان

واول شيء سألنا عنهُ من صاحب الفندق كتبخانة المدينة فأخبرنا أنها مغلقة في أيام الأحاد دائمًا ولمّا رأى منا التكدر من ذلك وفهم ممّا كتبناهُ في دفترهِ بمقتضى الأصول المتبعة في جميع الفنادق من بيان الأسماء والالقاب والوظائف والبلاد الأصليّة والجهات المقصودة أننا لم نسأل على تلك الكتبخانة الّا للتفرج عليها قبل توجهنا الى المؤتمر وقد قرب وقت انعقادهِ تفكرّ ذلك الرجل الذكي في الحال أنهُ لو أخبر السيودُ مجُويهَ الاستاذ الشهير في هذا البلد بمعرفة المشرقيات بحضورنا وبما نقصدهُ من التفرجِ على الكتبخانة العموميّة لامكنهُ أن يُسَهّل لنا ذلك فأرسل اليهِ في الوقت منْ أخبرهُ بالأمر فما فرغنا من تعاطي الطعام حتى جاء يُبشرنا أنهُ اخبر هذا البروفسور بغرضنا وأنهُ وعدهُ بأن يحضر مفتاح الكتبخانة ويفتحها لنا وانهُ ينتظرنا ليكون معنا حال التفرج في الساعة الثالثة بعد الظهر وكان الوقت قرب من ذلك فما شربنا القهوة واسترحنا قليلاً حتى أحضر لنا صاحب الفندق من يدلّنا فسرنا معهُ الى حيث ينتظرنا البروفسور مارّين من شوارع البلدة وهي مبلطة بالآجرِ الأحمر تكتنفها الخلجان من كل الجوانب توصلها الى بعضها القناطر العديدة والناس تتكاثر حولنا ويهرعون الينا من كل فج بغاية الإسراع حتى يُحيطوا بنا للتفرج على هيئتنا المشرقيّة الغير المعهودة عندهم فإنهم لبعد بلدهم عن البحر وكونها غير تجاريّة يندر ورود الأجانب اليها خصوصاً الشرقيين المتزيين بالزي الشرقي من قفطان وعمامة وكان ذلك زي اثنين من رفقائنا ومن طربوش وكان زي الباقيين

والذي يظهر من تكاثرهم علينا وانبهاتهم من هيئاتنا أن القوم كأنّهم لم يروا أحدًا بالزي الشرقي عندهم قبلنا حتى وقت المؤتمر السادس الذي انعقد بهذا البلد

للمستشرقين في سنة ١٨٨٣

وان كانوا ملتزمين حالة الأدب الكامل والسكون التام تاركين لنا مكاناً نمشي فيهِ ولم يبدُ لنا من هيئاتهم ما يدل على عدم الاعتبار او الاستهزاء لكن حصل لنا مع ذلك من تكاثرهم علينا و إحداقهم بنا واستمرار شخوص أبصارهم الينا مضايقة لا مزيد عليها حتى كنا نسأل الدليل مراراً هل قرب المكان الذي نقصدهُ الى أن قابلنا الاستاذ دُه جُويَهْ وقدحضر لمقابلتنا من حيث كان ينتظرنا لانهُ استبطأنا فسلم علينا مع البشاشة والترحاب كأن لهُ بنا معرفة سابقة ومحبة قديمة وقد توسّم مضايقتنا ممن يحيط بنا فأخذ يعتذر لنا عنهم ويحمل ذلك منهم على غرابة الأمر عندهم وانهم لم يروا هذا الزي منذ خلقوا الى الآن وطلب منهم ان يبتعدوا عنا ما امكن مفهماً إياهم تأثرنا منهم وهم على هذه الحالة فلبوا طلبهُ في الحال وابتعدوا وسرنا ولكن ما لبثنا ان قرب منا غيرهم وعاد الحال الى ما كان فكلما ابتعد فريق بأشارتهِ تلاهُ فريق آخر الى ان وصلنا الى الكتبخانة ففتحها لنا هذا الأستاذ ودخلناها جميعاً وهي بالمدرسة الجامعة الشهيرة في هذه البلدة

ومن الحديث المأثور عند أهل هذه البلد أن احد امرائها المتقدمين مكافأةً لأهليها على مقاومتهم اشد المقاومة هجمات الإسپانيول عليها في سنة ١٥٧٤ خيّرهم بين أمرين بين ان يعفيهم من الضرائب على الاطلاق مدة سنين معلومة وبين تأسيسهِ مدرسة جامعة لهم في نظير صبرهم و إقدامهم ومدافعتهم العدوّ عن وطنهم فاختاروا الثاني دون الاول فأسس لهم هذه المدرسة

ومهما كان الأمر في صحة هذا الحديث فإنهُ من الثابت ان هذه المدرسة الجامعة شُرع في بنائها سنة ١٥٧٥ وما تمت وابتُدِئَ في دروسها حتى أخذت تتوارد

اليها الناس من سائر الجهات وعمّ صيتها وانتشرت شهرتها في اوروبا جميعا وجاء اليها أحسن علماء تلك الأعصر فدرّسوا فيها ونبغ فيها جم غفير من العلماء المشاهير وهي باقية الى الآن على شهرتها العتيقة خصوصاً قسمي الطب والعلوم الادبيّة ففيهما من الأساتذة ستة وار بعون ومن الطلبة نحو الثمانمائة وكثير من الأساتذة المقررين بها يدرّسون في منازلهم ولا يدرّس بقاعة التدريس فيها الاّ القليل منهم وبجدران هذه القاعة صور جميع أساتذة المدرسة منذ انشئت الى الآن

والكتبخانة التي بهذه المدرسة أقدم كتبخانات هولانده واجمعها للكتب وتشتمل على ٣٠٠٠٠٠ مجلد مطبوع و٥٦٠٠ كتاب بخط اليد أغلبها من الكتب النفيسة والآثار العتيقة منها كثير من الكتب العربيّة النادرة بالخطوط القديمة والحديثة وكثير من كتب الجاوه وغيرها من الجهات المشرقيّة

وبعد ان مكثنا مدة من الزمان بهذه الكتبخانة ومعنا البروفسور دُه جُويَة وتفرجنا على ما بها خرجنا منها فدعانا الى منزلهِ لشرب السجارة فتوجهنا معهُ اليهِ فأجلسنا في كتبخانتهِ وهي حسنة الترتيب والوضع وتحادثنا معهُ في أعمالهِ العلميّة وتصحيحاتهِ في الكتب التي تطبع عند بريل وغيرهِ وكنت اتكلم معهُ باللغة الفرنساويّة وأترجم منهُ لسيدي الوالد ومن معنا بالعربيّة ومنهم اليهِ بالفرنساويّة وهو يُجيد التكلم بها ولا يتكلم بالعربيّة مع أنهُ يُحسن كتابتها وقراءتها ولهُ تدقيقات فيها شأنهُ في ذلك شأن أغلب المشتغلين باللغات المشرقية حيث يتعلمونها قراءةً وكتابةً لا تكلماً وذلك بسبب عدم مخالطتهم لمن يتكلم بالعربيّة حتى اخبرنا أحدهم في المؤتمر وهو من المشهورين بالاشتغال بالعلوم العربيّة انهُ لم يسمع من يتكلم بها قبلنا وكان يعتذر لنا الفاضل دُه جُويَة هذا في عدم قدرتهِ على التكلم بها بعدم اجتماعهِ على

من يتكلم بها من أهلها

وقد رأيت للاستاذ دُه جُويَهْ هذا كتابات كثيرة تدل على تضلعهِ في فهم المعاني العربيَّة أذكر منها ما قالهُ وطبع في آخر كتاب " عجائب الهند " بخصوص جزيرة " واق واق " التي ذكرت كثيراً في هذا الكتاب وملخص ذلك أنهُ فنَّد زعم المخرفين القائلين ان اسم تلك الجزيرة سببهُ شجر بها يثمر ثمراً على شكل طير ينادي بما هذا الاسم صوتهُ فذكر نصَّ المؤلف العربي الذي أتى بهذه الخرافة وأردفهُ بنصوص كثيرة لمؤلفين وُجدوا في اجيال مختلفة مفندة هذا الزعم ثم أخذ يستدل من كتبهم على موقع هذه الجزيرة الجغرافي حتى أثبت أنها جزيرة اليابان وأيّد ذلك كلهُ بان ذكر ان اسم هذه الجزيرة اعني جزيرة اليابان في لغة من لغات اهلها " واق واق " فكان ما ذكرهُ قاطعاً للنزاع وقد أراني مراسلات لهُ من المفارقات مع احد تلامذتهِ سماهُ لي وهو الآن مقيم بيطرسبورغ سلك فيها مسلك المرحوم الشيخ حسن الآلاتي الشهير بكتاباتهِ في المفارقات

وبعد مجاذبة أطراف الحديث معهُ والائتناس بهِ خرجنا من منزلهِ وهو معنا قاصدين مطبعة بريل المشهورة بالمطبوعات العربيَّة وكان قد أرسل الى رئيسها أن يفتحها وينتظرنا فيها فإنها كانت مغلقة بسبب يوم الأحد فدخلناها وقابلنا صاحبُها بالبشر والسرور وتفرجنا على المخازن وآلات الطبع والكتب العربيَّة النفيسة واشترينا منها الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني ولم نكن نعلمهُ قبل وأهدى الينا هذا الرئيس كتاب فهرست المطبوعات العربيَّة عندهُ وقد احتوى على كثير من الكتب العربيَّة النادرة الوجود ببلادنا ولم يطبع منها شيء عندنا الى الآن

ثم ودَّعنا صاحبنا البروفسور وصاحبَ المطبعة بعد أن أخبرانا بعزمهما على حضور المؤتمر وانصرفنا راكبين عربة التخاص مما شاهدناه قبل وكنا أغلقنا نوافذ المطبعة المطالة على الطريق لاحتجاب العالم عنَّا فسرنا بالعربة نتفرج في شوارع البلدة حتى وصلنا الفندق وكان ذلك بعد الغروب فبتنا بهِ الى صباح اليوم الثاني فركبنا عربة الى المحطة وقمنا من روتردام والساعة سبعة و ١٨ دقيقة صباحاً من يوم الاثنين ٢٦ اغسطس سنة ٨٩ قاصدين أمستردام وكولونيا

وها أنا أصف لك مدينة لَيْدِنْ

هي من أقدم مدن هولانده عدد سكانها ٤٥٥٠٠ وان كانت تسع اكثر من ذلك ويخترقها نهر رين العتيق ويتشعب فيها تشعبات عديدة تكون خلجاناً وقد رأت أوقات شدةٍ لامزيد عليها أعظمها من الإسبانيول من اكطوبر سنة ١٧٧٣ الى مارس سنة ١٧٧٤ كما أنها رأت من أوقات الهناء والصفاء أيام حظها في الصناعة ما لا مزيد عليهِ

وأقدم بناءٍ في هذا البلد هو القصر القديم القائم على اكمة في وسطهِ ويوجد غيرهُ في ضواحي البلد كنيسة قديمة بُنيت في القرن الخامس عشر من الميلاد

واعظم شوارعها الشارع المسمى "بْرِيْدِ سْتِرَات" ومعناهُ "الشارع المتسع" ويخترقها من أولها الى آخرها وبهِ ديوان بلديَّة المدينة ومتحف الآثار القديمة

ويشتمل هذا المتحف على احدى عشرة قاعة مملوءة بنفائس الآثار القديمة من يونانيَّة ورومانيَّة ومعبودات هنديَّة وآثار مصريَّة من الموميات والتوابيت والأحجار المكتوبة بالكتابة الهيروجليفيَّة ذات اللون البهج كأنما عُملت الآن مع أنها من قبل المسيح بأزمان كثيرة ومن الطيور والحيوانات المصبَّرة والحلي وأدوات

الزينة والصور الصغيرة المصنوعة من الحجر والخشب ومن أوراق البرديّ المكتوبة والأدوات والآلات المصنوعة من البرونز والفخار فيحق لهذا المتحف ان يباهي أحسن المتاحف الأوربيّة

وبهذا البلد متحف للتاريخ الطبيعي شهير بما حواهُ من الاشياء الصينيّة واليابانيّة وغيرها المجلوبة من بلاد العرب ومن بلاد الهند الشرقيّة

وبالمدينة حديقة للنباتات جُلبت اليها سائر النباتات من الأقطار البعيدة كبلاد الهند وغيرها وجُعل في محال مغطاة بالزجاج ما يحتاج منها لحرارة اكثر من حرارة هذا الاقليم الطبيعيّة فغُرس فيها شجر القرفة والكينا والبن والقطن والكافور وكثير من أشجار النخل وغير ذلك من الأشجار الغريبة عن هذه البلاد

وبجانب حديقة النباتات الرصدخانة الغنيّة بشهرتها عن الذكر

ويوجد بالبلدة غير ذلك دار آثار تُدعى "بالمتحف البلدي" تحتوي على جميع الآثار البلديّة العتيقة

وفي المدينة الاسبتاليات المنتظمة وفضلاً عن مدرستها الجامعة التي سبق ذكرها توجد بها مدرسة للبحريّة ومدارس غيرها كثيرة

﴿ الوصول الى امستردام ﴾

بعد خروجنا من ليَدِنْ في صبيحة هذا اليوم كما مرّ وصلنا امستردام والساعة ثمانية ونصف اي بعد مسير ساعة واحدة واثنتي عشرة دقيقة فقط فتركنا أمتعتنا بالمحطة وركبنا عربة وأخذنا نجول في شوارعها وأطرافها اكثر من ساعة ونصف وهي عاصمة بلاد هولانده وان لم تكن مقر حكومتها كما سبق قائمة على فرضة

صغيرة من خليج "زو يدرزي" اسمها "إِي" عند مصب نهر "أمستل" وعدد سكانها ٣٧٨٧٠٠ نسمة وتبلغ بضواحيها ٤٠٠٠٠٠ نسمة وتجارتها كانت من أعظم متاجر العالم في القرن السابع عشر والثامن عشر ولا تزال مهمة جداً فقد بلغت السفن بمينائها سنة ١٨٨٢ م ١٧٠٢ حمولتها ٩٠٠٠٠٠ طن وهي من اهم المراكز التجارية بأوروبا بالنسبة للحبوب والغلال والحاصلات الزراعية التي تجلب اليها من مستعمراتها في الهند خصوصاً الدخان والبن الوارد من جاوه والسكر والأرز والروائح العطرية والصناعة فيها مهمة ايضاً اذ بها شيء كثير من فابريقات السكر ومعامل الدخان والسجائر ومصانع الألماس ونحته ومحلات صنع الكافور ومعامل الماكينات والآلات وصنع الشموع وغيرها

ويخترقها كثير من الخلجان في جميع انحائها فتقسمها الى ٩٠ جزيرة تتصل ببعضها بواسطة ٣٠٠ قنطرة وعمق هذه الخلجان المشغول بالماء من متر الى متر وثلث ومثل ذلك من الطين والوحل تحته وتنصرف مياهها في بحر الشمال بواسطة خليج يصب في ترعة موصلة الى هذا البحر تسمى "كنال بحر الشمال" ثم تتجدد مياهها مراعاة للصحة بعد رفع أوحالها بواسطة كراكات

ومنازلها مرتفعة لكنها ضيقة غالباً مبنية بالآجر الأحمر وهيئتها الخارجية ساذجة

وقسم البلدة القديم يمتاز عن الجديد بضيق سككه وكونها أقل اعتدالاً وانتظاماً من سكك القسم الجديد منها

وهذه المدينة بأسرها قائمة عماراتها على أوتاد غليظة من خشب تختلف في الطول من اربعة أمتار الى ستة

وذلك لأن أرضها الفوقية عبارة عن أوحال ورمال غير ثابتة فاحتيج الى

هذه الأوتاد للتوصل الى الأرض الثابتة الصلبة ليعتمد البناء عليها ويكون بذلك متيناً وان استلزم ذلك كثرة المصاريف فان ما يصرف على ما تحت الأرض في العمارات النصف من مصاريف العمارة كلها وهذا فضلاً عما في هذه الأخشاب من الأخطار فإنّ باختلال بعضها في سنة ١٨٢٢ حصل وقوع مخزن عظيم من مخازن الغلال الى الماء وتلف جميع ما كان فيهِ مع ان هذه الأوتاد عرضة لحيوانات صغيرة جداً تأكلها من الأسفل فتعرض مساكن المدينة الى اخطار عظيمة لا تقل عن الأخطار التي تتهددها من جهة البحر وهجماتهِ لانخفاضها عنهُ ولهذا أُقيمت السدود المحكمة وجُعل لها القناطر الضخمة والخُلجان المهمة والهمة مبذولة دائماً في التحفظ عليها حتى ان ما يصرف للتحفظ على هذه السدود والقناطر والخلجان مبلغ ألف فلورينو كل يوم من الأيام

وميناء هذه المدينة هو فرضة "إي" القائمة هي عليها وقد تغيرت معالمها من سنة ١٨٧٢ فبنيت فيها الأرصفة الجسيمة والسدود المحكمة وصارت من أعظم المينات التجاريّة الأوربيّة وفي هذه الميناء أُنشئت جزيرة صناعيةَ أُقيمت فيها المحطة المركزيّة للسكك الحديديّة ويكتنف هذه الجزيرة جزيرتان صناعيتان وجُعلت الجهات الشماليّة من هذه الجزر الثلاثة رصيفاً متسعاً ترسو اليهِ السفن المخصصة بمواني هولانده ومواني انجلتره بخلاف السفن الكبيرة المعدة لمواني الهند وامريكا فانها ترسو على أرصفة بعيدة عن هذا بقليل وبقرب هذه الأرصفةِ الأرصفةُ المهيأة لمرسى سفن الحكومة الحربيّة

وما يصرفهُ الأهلون والحكومة والشركات التجاريّة في هذه الاعمال النافعة المهمة وما ينفقونهُ من النفقات توصلاً الى انتفاع بلدهم هذا بالاستكشافات

لستجدة النافعة التي تظهر في عالم الموجودات العلمية جدير أن يزيد في شأن
ؤلاء القوم ويخلد لهم في تاريخ الهمة أحسن الذكر

وقد لاحظ القوم بُعْدَ المسافة والمخاوف في طريق الوصول الى هذه
عاصمة ومنها بحرًا بواسطة خليج زُويدِرزِي وأرادوا قرب الوصول وازالة
مخاوف فأنشأوا كنالاً من سنة ١٨١٩ الى سنة ١٨٢٥ وصرفوا عليه ثمانية ملايين
لورينو وجعلوا اتساعهُ من ٣٥ مترًا الى ٤٠ مترًا وعمقهُ اكثر من ستة أمتار
هو يخترق هولانده الشمالية كلها متجهاً نحو الشمال حتى يصب عند مدينة
لدِرْ الواقعة على مدخل خليج زويدرزي من بحر الشمال ومن ثم سُمّي هذا
كنال "نُوردهُولاّندِشْهْ كنال" اي كنال الشمال

ثم رأوا بعد ذلك ان هذا الكنال غير كافٍ بالنسبة لاحتياجات الملاحة
تجارية واتساعها يوماً بعد يوم فعزموا في سنة ١٨٦٢ على توصيل أمستردام بالبحر
ن أقرب طريق وأخذوا في سنة ١٨٦٥ في حفر كنال آخر فلم يأتِ أول نوفمبر
نة ١٨٧٦ الاَّ وقد تمَّ وسموهُ "كنال بحر الشمال" لأنهُ وصّل أمستردام الى
ر الشمال وطول هذا الكنال ٢٥ كيلومتر وعرضهُ من ٦٠ مترًا الى ١٠٠ متر
سب اختلاف المواضع (كنال السويس عندنا عرضهُ من ٨٠ مترًا الى
١٠ متر) وعمقهُ من ٧ أمتار الى ٨ وارتفاع المياه فيهِ أقل من ارتفاع المياه
ستردام بخمسين سنتيمتر وقد جُعل في مدخل هذا الكنال ثلاثة أهوسة تمنع
ندمات الأمواج عنهُ أحدها عرضهُ ٢٢ مترًا والآخران عرض كل واحدٍ منهما
د عشر مترًا وجُعل أمامهُ من جهة البحر أرصفة من الأحجار ممتدة الى مسافة
١٤٠ متر لدفع طغيان البحر عنهُ وبُني في مدخلهِ فناران وقد بلغت مصاريف

هذا الكنال ٣٥ مليونًا من الفلور ينوا اختصت منها مدينة أمستردام بستة وتحصل عشرة ملايين من بيع الأرض التي على حافتيهِ ومدخلهِ واختصت الحكومة بباقي المبلغ

هذا وأهم ميادين هذه المدينة الميدان المسمى "دَام" وهو في وسطها متسع جدًّا وبجوانبهِ البورصة والكنيسة الجديدة والسراي الملوكيّة وتتفرع منهُ السكك المهمة والشوارع الاكثر حركة وبهِ أهم مواقف عربات الترامواي وبالقرب منهُ محطة بحريّة للوابورات التي تذهب الى الميناء

أما البورصة فبناء عظيم بُني من عهد غير بعيد فإنهُ تمَّ في سنة ١٨٤٥ وأُقيم على ٣٤٦٩ وَتِدًا ويشتمل داخلهُ على رحبة مسقفة بالزجاج تُحدق بها مماشٍ مرفوعة السُّقف على عمد عظيمة وهذه البورصة جديرة بالتفرج عليها خصوصًا في أوقات الأشغال بالأعمال التجاريّة فيها ومن العادة ان يترك هذا المحل للاطفال حديثي السن يلعبون فيهِ اسبوعًا في كل عام من شهر أغسطس أو سبتمبر وسبب ذلك على ما يُحكى ان الأطفال اكتشفوا في سنة ١٦٢٢ على مكيدة للإسبانيول كانوا يريدون بها إحراق البورصة وانبنى على اكتشافهم المكيدة عدمُ تمكين العدو من اجرائها فكوفئوا بذلك كل سنة

واما الكنيسة الجديدة المذكورة فمن أحاسن مباني هولانده الدينيّة

واما السراي الملوكيّة فكانت دارًا لبلديّة المدينة وقد ابتدئ في بنائها سنة ١٦٤٨ وتمت سنة ١٦٥٥ وهي قائمة على ١٣٩٥٦ وَتِدًا وطولها ٨٠ مترًا وعرضها ٦٣ مترًا وارتفاعها ٣٣ وارتفاع برجها ٥١ مترًا وقد أهدتها المدينة سنة ١٨٠٧ الى لويس بونابارت ملك هولانده وجعلها مقرًّا للملكهِ وهي مزينة

من الداخل والخارج بأحسن النقوش وابهى الرسومات والصور

ومن جنوب هذا الميدان يتفرع شارع "كَلْفرسْترَات" وهو من أهم شوارع البلدة تحفهُ الدكاكين المزخرفة والفنادق العالية والقهاوي المنتظمة وحركة المارة فيهِ لامزيد عليها خصوصاً في الليل لامتناع سير العربات ليلاً فيهِ

ومدرسة هذه المدينة الجامعة تشتمل على خمسين استاذاً وستمائة طالب وهي في غاية الاستعداد خصوصاً بالنسبة للعلوم الطبيعية فإن معامل الكيماء والطبيعة وحديقة النباتات معتنىً بها كل الاعتناء فيها وكتبخانة هذه المدرسة شهيرة في بابها لما احتوت عليهِ من نفائس الكتب وغرائبها وفيها نحو مائة ألف مجلد

ولأهل هذا البلد اعتناء لامزيد عليهِ بفن الرسم والتصوير فإنهم لم يكتفوا بما في متحف المدينة العمومي من غرائب الرسومات ونفائس التصاوير التي رسمها اشهر أساتذة الهولانديين وغيرهم بل حصل بعض الآحاد منهم على مجموعات عديمة النظير فأهداها الى المدينة مثل " فُودُورْ " فإنهُ أهدى الى المدينة مجموعة عظيمة صرف في جمعها مبالغ وافرة وأهداها فوق ذلك مالاً كثيرًا تبني بهِ محلاً لوضعها وتستغل من باقيهِ إيراداً للصرف عليها فبنتهُ وسمتهُ "متحف فُودُورْ" وبعضهم أبقى ما حصل عليهِ من المجموعات في عائلتهِ يتوارثونها بعدهُ جيلاً بعد جيل مع المحافظة عليها مثل مجموعة "سِكْس" التي في دارهِ على ذمة ورثتهِ من سنة ١٦٩١ انما لم يكن في هذه الطريقة ما في الطريقة الأولى من الابقاء فإن احد الشركاء في مجموعة سِكْس هذه باع نصيبهُ منها في سنة ١٨٧٧ وهو وإن كان استحصل من هذا البيع على مبلغ ٣١٧٥٠٠٠ فرنك الا إن المجموعة حُرمت هذا الجزء الذي باعهُ

ومتحف المدينة العمومي السالف الذكر قائم على ١١٠٠٠ متر مربع ومحاط

يستان يحدق بهِ درابزين من الحديد ويشتمل فضلاً عن الرسومات والتصاوير المجسمة وغير المجسمة على كثير من الآثار النفيسة التي كانت قبل بنائهِ — من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٥ — متفرقة في متاحف متعددة. وجهات مختلفة وعلى كثير من الآثار العتيقة المتعلقة بالصنائع في بلاد هولانده من قديم التاريخ الى حديثهِ مما يطول في شرحهِ المقال ولا يتيسر استيفاؤهُ في مثل هذه العجالة على كل حال

ومما ينبغي ان يُعرف ان بهذه البلد حديقة للنباتات وحديقة للحيوانات وكثيرًا من المنتزهات كما ان بها مخزنًا بحريًا لإبداع البضائع من قبيل محلات "الدُوك" التي مر ذكرها بلندن تصلهُ اكبر السفن البحرية ويحتوي على ما لا يحصى من البضائع الهندية وغيرها ثم ان هذه المدينة مشهورة بكثرة الشركات الخيرية فيها حتى ان عددها بلغ اكثر من مائة تعمل لاحتياجات المرضى والشيوخ والأيتام والأرامل والمجانين وعديمي البصر وغير ذلك ومن أعظم هذة الشركات الشركة المسماة "شركة المنفعة العامة" ويُقصد بها تعليم طبقة الفقراء من الناس وتحليتهم بحسن الأخلاق والآداب وهي منتشرة في جميع مدن المملكة بل وفي غالب مستعمراتها ويبلغ عدد اعضائها ١٧٤٠٠ نفس يدفع كل واحد منهم من ٥ فلورينو الى ٢٥ في السنة ومجلس أدارتها بأمستردام وهو مؤلف من عشرة مديرين ومن كاتب سرعام ويجتمع أعضاؤها بهذهِ المدينة مرة في كل سنة بهيئة جمعية عمومية في ثاني ثلاثاء من شهر أغسطس وقد أتت هذه الشركة بفوائد جمة منها تحسين حالة التعليم بنشر الكتب المدرسية اللائقة بالتلامذة والأساتذة وبتشكيل كتبخانات عمومية أهلية وبانشاء مدارس صناعية للفقراء ومدارس للتعليم في أيام الآحاد وبتنظيم حال أبنية المدارس القديمة وبتشكيل جمعيات للقراءة والمطالعة ومنها

تشكيل جمعيات للاقتصاد وصناديق للتوفير ومنها اعطاء مكافآت على أفعال المخاطرة بالنفس في سبيل انقاذ الغير من التهلكة وعلى أعمال الهمة والمروءة

﴿ الوصول الى كولونيا ﴾

قمنا من أمستردام والساعة عشرة وربع صباحاً من يوم الأثنين الموافق ٢٦ أغسطس سنة ٨٩ فوصلنا كولونيا والساعة أربعة و٤٠ دقيقة بعد الظهر بعد ان سرنا نحو ست ساعات ونصف ساعة ومررنا على أودية نضرة و رياض خضرة وبلدان عامرة وانحاء زاهرة

وكولونيا هذه مدينة قديمة جدًّا تبلغ سكانها ١٦١٢٠٠ نسمة وهي سادسة مدن الإمبراطوريّة الألمانية اتساعاً وإن كانت من أعظمها أهميّة حربيّة قائمة على الضفة اليسرى من نهر "رين" تشبه نصف دائرة متسعة ويقابلها على الضفة الثانية من النهر بلدة "دُوِيتْسْ" وتبلغ سكانها ١٧٠٠٠ نسمة وتتصلان بكبريين ممتدين على النهر احدهما للمشاة وهو غير ثابت مؤلف من سفن والثاني ثابت معمول من الحديد لمرور قطارات السكك الحديديّة وللمشاة والراكبين من الناس طوله ٤١٢ مترًا

وأهم محل يتفرج عليه فيها و يتوارد اليهِ السياح كنيستها الكاتدرائيّة فبمجرد وصولنا الى المدينة نزلنا بالفندق المسمى "هوتيل هولاّند" ومعناه فندق هولانده على مقربة من النهر وتركنا الامتعة بهِ وركبنا عربة للتفرج على هذه الكنيسة وباقي المدينة

وقد شُرع في بناء الكنيسة المذكورة سنة ١٢٤٨ ولم يتم محرابها الاَّ في سنة

١٣٢٢ واستمرَّ العمل الهوينا فيها الى ان تعطل بالكلية في القرن السادس عشر ولم يُرجع اليهِ الاَّ في سنة ١٨١٧ واستمرَّ من ذلك الوقت الى سنة ١٨٤٨ فتمَّ البناء على الحالة التي هو عليها الآن متسع الوضع جميل الصنع مرتفع القباب محلاة جدرانهُ داخلاً وخارجاً بتماثيل القدّيسين وصور المعتقِدين من أحسن رسم حُذَّاق الرسامين يكتنفها من الجانبين برجان عظيما الارتفاع لا يعادلهما في العلو برج من أبراج كنائس الدنيا بأسرها اذ يبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥٩ مترًا

وأعظم شوارع هذه المدينة الشارع المسمى "هُوخِشْتَرَاسِهْ" حيث تحفهُ الدكاكين المظيمة والعمارات النظيمة وأعظم ميادينها الميدان المسمي "نُويْ مَارْكتْ" ومعناهُ السوق الجديد وباحد جوانبهِ كنيسة الحواريين وهي من أبنية القرن الثالث عشر للميلاد ذات ثلاثة بروج وقبة عظيمة

وبهذا البلد فضلاً عن ذلك كثير من الكنائس الشهيرة ومتحف يشتمل على جم غفير من الآثار العتيقة وعلى رسومات من عمل رسأمي كولونيا الشهيرين وديوان البلديَّة فيها من الأبنية المشهورة وبها حديقة للنباتات وحديقة للحيوانات واعظم التماثيل التي بميادينها ثلاثة احدها صورة فريدريك غليوم الثالث راكبًا جوادًا تحفهُ رجال الدولة والقواد والآخران في مكان آخر أحدهما صورة البرنس بسمارك والثاني صورة المارشال مُلْتُكْ رجلا السياسة والحرب

وبهذه البلدة صنائع كثيرة أخصها صناعة الأقمشة من الحرير والقطن وصناعة الدانتيلات وصناعة الخزف والصيني باصنافها واشهر صنائعها وأرفعها صيتاً صناعة الروائح العطريَّة اللطيفة المعروفة "بماء كولونيا" —ماء الملكة— وقد اخترعها في القرن السابع عشر "حنا ماري فارينا" ويوجد منها كثير في جميع المخازن والحوانيت

وخصوصاً في الفنادق التي هي محال تردد الأجانب ويباع منها مبلغ جسيم في سائر انحاء الدنيا

وسكك هذه المدينة وطرقها مع ما أُدخل فيها من الإصلاح والتنظيم لا يزال اكثرها كثير الأعوجاج وما ذلك الّا لبقاء كثير منها على قدمهِ

ومنظر النهر فيها يأخذ بالالباب ويورث العجب العجاب فلو انت وقفتَ على احد الكوبريين ونظرتَ الى هذا النهر واتساعهِ ورأيتَ الوابورات البخارية منتشرة فيهِ مع الكثرة التي لا تدخل تحت العد متوجهة من الغرب الى الشرق ومن الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب وعلمتَ قلة اجرة النزول فيها واقبال العموم عليها لذلك وتسهيلها الوصول من المدينة الى الضواحي ومنها الى المدينة وربح الشركات القائمة بأمرها مع هذا لتذكَّرتَ وقوفك على كوبري قصر النيل وتوجه نظرُك الى مرأى النهر الحسن نحو اليمين واليسار الى ما لا يحُدُّهُ البصر مع كونهِ خالياً من أمثال ما رأيتَ بهذه الجهة اللهمَّ الّا وابورات كوك الراسية هنالك وانت تعلم أنها ليست للأهلين وانها لم تكن مجعولة لسهولة الوصول من المدينة الى الضواحي ولا منها الى المدينة ولتمنيتَ انتشار أمر الشركات في بلادنا فانها سبب الخيرات ومصدر التيسيرات ومعدن البركات

هذا وبعد ان تفرجنا على ما تيسر لنا التفرج عليهِ بهذه المدينة عدنا الى الفندق وتعاطينا طعام العشاء فوجدنا الطعام نظيفاً متقن الصنع واعجبنا انتظام المحل وترتيبهُ

وفي المساء أراد بعض الرفاق شراء جوارب من الصوف لاتقاء البرد الذي أخذنا نستشعر بهِ فخرجت معهُ الى السوق وما وصلنا الى منتصف الطريق حتى أحاط بنا القومُ من كل جانب يتفرجون على ملابس الرفيق وطربوشي

ويتأملون كل التأمل ويستغربون كل الاستغراب حتى سُدَّت الطرقات وتعطلت العربات وهال امر الزحام البوليس فأتى مسرعاً من اماكن عديدة حتى وصل الينا والناس محدقون بنا يسيرون حيث نسير ففرَّقهم عنا كل التفرق ولكن ما لبثنا ان جاءنا بعدهم اكثر ممن كانوا وصاروا كلما تفرق جمع تلاهُ آخر حتى سلَّم الله ووصلنا لأول دكان توسمنا ان فيها ما نطلبهُ فدخلناها وقد أحدق بها الناس واشترينا منها ما أردناهُ بالإشارة لعدم وجود من يتكلم بالفرنساويَّة فيها ونحن لا نتكلم بالالمانيَّة وذلك ان اشرنا الى الجوارب وكانت البائعات من النساء ففهمنَ اشارتنا فأحضرت احداهنَّ الينا جوارب من القطن فافهمناها بالاشارة الى قميص من الصوف اننا نريد جوارب من صنف هذا فاحضرت جوارب من الصوف الرقيق وكنا نرغب الثخين فأشرنا اليها بما يُفهم ذلك فأحضرتهُ لنا كل هذا والناس حول الدكان يتفرجون علينا والنسوة البائعات محيطة بنا فيهِ يتفرجنَ ايضاً ونعمت المتفرجات فإن جمال الألمانيات يبهر الناظر وبعد ان اخترنا ما اعجبنا احببنا ان نعرف الثمن فلم نجد طريقاً الى ذلك الَّا ان نضع نقوداً كثيرة امام البائعة لتأخذ منها ما تريد فأخذت منها قدر الثمن اللازم وقد فهمنا نحن بعد الحساب بيننا انها لم تأخذ الَّا الثمن المناسب ثم انصرفنا واسرعنا في المسير الى الفندق اذ كنا عارفين بهِ بخلاف مجيئنا للشراء فإنا كنا نبحث عن الدكان الَّتي نطلبها فكنا نمشي الهوينا

وقد عرفتُ في فسحتي بالنهر ووابوراتهِ في صباح اليوم التالي ان سبب الزحام في امس اليوم كانت ملابس رفيقي فاني لم أرَ اليوم ما رأيت البارحة من الازدحام الجسيم .

من كولونيا الى كوبنهاج

قمنا من كولونيا برًّا والساعة واحدة وعشر دقائق بعد الظهر من يوم الثلاثاء ٢٧ اغسطس سنة ٨٩ قاصدين مدينة هامبورج لنبيت بها فمررنا على محطة دُوِيتْسْ وهي التي سبق ذكرها في الفصل المتقدم بأنها امام كولونيا على الضفة الثانية من نهر رَيْن ثم محطة أُوبِرْهَاوُسِنْ (وسكانها تبلغ نحو ٢٠٠٠٠ نسمة وبجوارها معادن حديد مهمة) ثم محطة مُونستِر وعدد سكانها ٤٤٠٠٠ نسمة (وهي عاصمة اقليم وستفاليا على نهر صغير وقد حافظت على هيئتها في القرون الوسطى وعلى ما فيها من الأبنية القديمة والكنائس المهمة خصوصاً في ميدانها المعروف بالميدان الكبير) ثم محطة أُسْنَبْرُوكْ (وعدد سكانها ٣٥٠٠٠ نسمة وقد اسسها شارلمان سنة ٧٨٣ على قولٍ) ثم محطة برِيمَنْ (وعدد سكانها ١١٨٦٠٠ نسمة وهي اهم مدن بلاد المانيا الشمالية في المتجر بعد هامبورج قائمة على ضفتي نهر ويسبر فقسمها القديم على الضفة اليمنى والجديد على الضفة اليسرى والعمارات القديمة الموجودة في الاول تشهد بعظم المدينة في القرون الوسطى ولطافة مباني الثاني واتقانها وتشييدها تشهد بعلو مقام هذه البلد بين المدن الشهيرة اليوم باوروبا) ثم محطة هَارْبُورج (وعدد سكانها ٢٢٣٠٠ نسمة على ذراع نهر إِلْبْ الأيسر ذات تجارة كبيرة بحرية) ثم وصلنا بعد ذلك مدينة هامبورج والساعة ٩ و٤٥ دقيقة اي بعد مسيرنا من كولونيا بنحو ثمان ساعات ونصف ساعة

ولكننا لم نبت بهذه المدينة كما كنا عقدنا النية تعجيلاً للوصول الى محل المأمورية فسرنا منها في الساعة العاشرة افرنكية اي بعد وصولنا اليها بربع ساعة

واني مع ذلك نظرًا لأَهميَّة هذه البلد أذكر بعض تعليقات عليها من كتاب الدليل حيث قال ما ملخصهُ :

إن هامبورج من أهم مدن المانيا واعظم مدن اوروبا تجارة بعد لندن وليفربول وعدد سكانها يبلغ ٥١٠٦٠٠ نسمة بمن في ضواحيها ووضعها على نهر إِلْب حيث تُصعد اليها في وقت المد السفن الكبيرة الَّتي تحتاج الى ستَّة أمتار في الماء جعَلَها الواسطة في التجارة بين انحاء البلاد المختلفة وبين جميع المدن الَّتي يصلها هذا النهر أو تُوَصّلها بهِ السكك الحديديَّة

وهي مؤلفة من بلدة عتيقة وبلدة جديدة وضواحٍ ويجري بها نهران آخران "ألسترْ" "وبيلَّهْ" يتصلان بنهر إِلْب بواسطة فروع وخلجان تخترق المدينة من جهات عدة

ومما يدل على سعة تجارة هذه البلد وأَهميتها وعظمها ميناؤُها المتسعة مع ما تشتمل عليهِ من الأَحواض والمخازن والأَرصفة والأَعمال الصناعيَّة العظيمة حتى ان جزءًا من هذه الميناء يزيد عن مساحة البلدة بأَكملها وقد بلغ عدد سفنها في سنة ١٨٨٧ م ٢٠٥ سفن بخاريَّة حمولتها ٢٨٥٤٦٢ طنًّا ونحو ٣٠٠ سفينة شراعية وبلغت قيمة البضائع الَّتي وردت اليها في سنة ١٨٨٥ ما قيمتهُ ٢١٤٧٠٠٠٠٠٠ مارك (١) وأَهم أَصناف التجارة فيها البن والسكر والمشروبات الروحيَّة والمواد الصناعيَّة والنبيذ والحديد والحبوب والزبدة والجلود وأَدوات الزينة والزخرفة والخمسة الأَخيرة من هذه الأَصناف أَهم مما قبلها خصوصاً بالنسبة للصادر عنها وقد ركب البحرَ من مينائها في سنة ١٨٨٦ م ٨٨٦٣٣ مهاجرًا لأَقسام الدنيا المختلفة

(١) المارك يساوي اربعة غروش و٣٥ فضة بالعملة الصاغ

ومن وقف بمينائها رأى منظرًا بهجًا كأنهُ ينظر الى غابةٍ ملتفة بالأشجار من كثرة صواري السفن تعلوها الاعلام المختلفة على اتساع النهر البالغ من سبعة كيلو مترات الى ثمانية

ومركز تجارة المدينة البورصة وتجتمع فيها من الساعة ١ الى الساعة ٣ بعد الظهر نحو الخمسة آلاف شخص يشتغلون بالمتجر

وأحسن مواقعها الداخلية جهتها المسماة "بِينِّنْ أَلْسْتِرْ" ومعناهُ أَلْسِتِرْ الداخلي وهو عبارة عن بحيرة ممتدة من نهر أَلْستر محيطها ١٧٥٠ مترًا يحدق بها من جهاتها الثلاثة أبهى دور المدينة رونقًا وجمالاً وابهةً وجلالاً ويتصل بها من جهتها الرابعة "أوسِنْ أَلْسترِ" ومعناهُ أَلْستر الخارجي وهو بحيرة ممتدة من النهر المذكور ايضًا الَّا إنها اوسع من تلك باضعاف يفصل بينهما أسوار المدينة القديمة وقد تحول موضع هذه الأسوار الى حدائق وبساتين مزخرفة بأحاسن الأزهار والرياحين هذا فضلاً عما يمخر بالبحيرتين من السفن البخارية والشراعية التي لاتحصي

وبالمدينة كثير من الحدائق النباتية والحيوانية والمتاحف العمومية والخصوصية

هذا وبعد مسيرنا من هامبورج هذه ببعض دقائق مررنا على مدينة أَلْتُونَا فوقف الوابور عندها قليلاً

وهي مدينة تجارية صناعية زاهية زاهرة على الضفة اليمنى من نهر إِلْبْ تحيط بها البساتين والقصور اللطيفة من كل جهاتها وسكانها ١٠٤٧١٩ نسمة

ثم فارقناها الى كِيلْ لكن تركنا العربات التي كنا راكبيها وركبنا في قطار آخر فوصلناها والساعة ١٢ و٤٧ دقيقة بعد نصف الليل اي بعد مسافة ساعتين و١٨ دقيقة من مسيرنا من هامبورج

وكِيل هذه سكانها تبلغ ٥١٧٠٠ نسمة وهي آخذة كل يوم في الازدياد
والنمو إذ أنها من أحاسن ثغور أوروبا وأهم ميناء المانية حربيَّة وبها مركز قائد
محطة البالطيك البحريَّة وقد عملت الحكومة فيها استحكامات مهمة للغاية وبنت
فيها معامل للسفن ومخازن كبيرة للتجارة البحريَّة — دوك — تحيط بها الأرصفة
فتأتي السفن والبضائع اليها

وبوصولنا الى كِيل هذه كنا نظن أنا سنستمر في السير برًّا نحو الشمال قبل
ركوب البحر لكننا وجدنا جميع من بالوابور نزلوا منهُ وأخذوا أمتعتهم واتجهوا نحو
الشرق فسألناهم عن الطريق الذي يقصدونهُ فما فهم كلامنا احدٌ ولم نفهم كلام أحد
فسألنا من بالمحطة من رجالها فكان الحال كذلك فألهمنا ان نذكر لهم اسم البلدة التي
نقصدها ونستفهم منهم بالاشارة عما اذا كان الطريق الذي أمامنا يوصل اليها
وتلفظنا بلفظ "كوپنهاج" وحيث ان اسماء الأعلام لا تتغير فهم منا القوم ما
قصدناهُ واشاروا الينا ان الطريق الذي هم سالكوهُ يوصل اليها وان نتبعهم

فاتبعناهم وأخذنا نعدو وراءهم ولم نجد من يحمل شنطاتنا كأن المحطة ليس
بها حمالون أو أخذهم من سبق فحملناها بانفسنا اتباعاً لمن رأيناهم فعلوا ذلك من
الذين كانوا بالوابور فأما من كان منا متاعهُ خفيفاً كما ينبغي ان يكون في الاسفار
لا سيما الطويلة مثل هذه فإنهُ حملهُ بسهولة وعدَا وأما من كانت حملتهُ ثقيلة فإنهُ
تململ وتضجر ولم يمكنهُ العدو فخشية انقطاعهِ عنا في الطريق اخذنا منهُ بعض
المتاع ومع ذلك ثقل عليهِ ما بقي ولم يُطق حملهُ فان المسافة طويلة وحملتهُ ثقيلة وقد
سبقنا القوم كثيرًا فكنا نراهم على مد البصر وهم يهرولون والى وابور البحر يتسابقون
أمل الحصول على غرف فيهِ بها يبيتون لأن غرفهُ لا تكفي سائر المسافرين كما علمنا

ذلك بعد فتضرر رفيقنا من ثقل الحملة ولضرره تضررنا وتضجر كثيرًا ولضجره نضجرنا والقى بحمله لمَّا لم يقم بحمله وصرخ مستصرخًا وصاح مستوقفًا فوقفنا وأخذنا بيده وشجعناه على ما بنا من تعب العدو ومشقة الحمل الى ان هوَّن الله علينا ووصلنا الى البحر

فوجدنا الغرف أخذها من سبق فقنعنا بالصالة وجلسنا حيث انتهى بنا المجلس وقد سرَّنا فيها ما وجدناه بها من لطائف المآكل والمشارب فأكلنا ما اشتهينا وشربنا واسترحنا وحمدنا الله ونمنا وقد سار بنا الوابور منذ نزلناه

فما استيقظنا في الساعة السابعة صباحًا الَّا وقد رسا الوابور بمينا كُورسيرْ وكانت مسافة سيرنا من كيل اليها خمس ساعات ونصفًا

وكورسير هذه بلدة لطيفة من اعمال الدانيمارك سكانها ٣٠٠٠ نسمة ومحطة السكة الحديديَّة بها قريبة من مرسى الوابورات جدًّا ومدخل مينائها ذو منظر بهج

فركبنا وابور البر بعد ان انتظرنا وقت قيامه قليلاً وأجلنا الطرف في محاسن ومنازه هذه البلد الصغيرة اللطيفة وسار بنا في جزيرة سيلاند اكبر جزر الدانيمارك متجهًا نحو كوپنهاج عاصمتها حتى وصلناها في ساعتين وثلث ساعة وكان جميع سفرنا من كولونيا حيث قمنا بعد ظهر الثلاثاء بساعة وعشر دقائق كما مرَّ الى كوپنهاج حيث وصلناها والساعة عشرة ونصف قبل الظهر من يوم الاربعاء ٢٨ اغسطس سنة ٨٩ اثنتين وعشرين ساعة وثلثًا



كوپنهاج

هي عاصمة الدانيمارك على درجة ٥٥ ونصف تقريباً من العرض الشمالي قائم بعضها على الطرف الشرقي من شمال جزيرة سيلاَند وبعضها على الطرف المقابل من جزيرة أماجِرْ ويفصل بينهما بوغاز ضيق من بحر سُوند هو ميناء المدينة ومجتمع السفن التي ترسو عليها ويبلغ عدد سكانها بضواحيها ٢٧٣٣٢٣ نسمة

وقد تأسست في القرن الثاني عشر للميلاد في موضع قرية حقيرة كانت هنالك لبعض الصيادين ولا زالت تنمو حتى اتخذها الملك كرستوف مقرًّا لملكهِ سنة ١٤٤٣ واستمرَّ في تحسينها من أتى بعدهُ الى زمن الملك كرستيان الرابع فإِنهُ انشأ فيها القسم القائم على طرف جزيرة أماجِر كما مرَّ وسمّي كرستيانْسَهافِنْ نسبة لهُ واقام فيها العمارات الشهيرة وشيد فيها المحال العديدة وذلك من سنة ١٥٨٨ الى سنة ١٦٤٨ واخذ بعدهُ التحسين مطرداً فيها والتنظيم ملازماً لها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن من النجاح والغنى وصارت مركز ثروة المملكة ومقر تجارتها ودل الاحصاء على أن لأهاليها ٤٥٧ سفينة تجاريَّة منها ١٥٧ بخاريَّة فتنقُل تجارتها الى البلاد البعيدة مثل الحبوب والجلود والصوف والزيت والسمن وغيرها كما انها تنقُل حاصلاتها الصناعيَّة ايضاً مثل المصنوعات الخزفيَّة والفخاريَّة والماكينات البخاريَّة ومصنوعات الورق وغير ذلك

وقد نزلنا في فندق "كُونجِنْ أُفْ دَا نمْرَكْ" اي فندق ملك الدانيمارك وهو من أعلى الفنادق وأشهرها بهذا البلد في أحسن بقعة من بقاع المدينة وبعد ان استرحنا برهة وتناولنا الطعام ركبنا عربة وخرجنا للتفرج في المدينة ومشارفة محلاتها وسككها وعماراتها

فوجدناها يتخلل بعض جهاتها خلجان متفرعة من البحر تكتنفها الأرصفة العظيمة بجانبيها وتعلوها القناطر المحكمة وقد اتخذت كل جهة متسعة من هذه الخلجان بمثابة ميناء تدخل السفن اليها وترسو بالبضائع عليها

ورأينا الميناء وأرصفتها والدكاكين القائمة على هذه الأرصفة في حركة عظيمة تدل على اتساع التجارة ورواج سوق الأخذ والعطاء في هذه المدينة

وتوجهنا بعد ذلك نحو وسط المدينة فوصلنا الى المحل المسمى "لُونجِنْس نُوتُورِي" ومعناهُ سوق الملك الجديد وهو ميدان عظيم في وسطهِ صورة كرستيان الخامس على حصان مجسمة ويتفرع منهُ ثلاثة عشر شارعاً منها الشارع المسمى "أُوسْتِرجَادِه" وهو اكثر شوارع البلد حركةً

وعلى يمين هذا الميدان المحل المعروف بقصر شَارْلُوتِنْبِرْج وهو مقر أكاديمية الفنون المستظرفة منذ سنة ١٧٥٤

وبجنوبهِ التياتر الأهلي وهو بناء عظيم يسع ١٧٠٠ نسمة على يمين الداخل فيهِ تمثال أشهر شعرائهم مصنوعاً من البرونز وعلى يسارهِ تمثال أشهر كتابهم كذلك

وبالقرب من هذا التياتر البنك الأهلي على مقربة من القنطرة الموصلة الى جهة "قصر كرسْتيانسبُرْج" وبينهما ميدان في وسطهِ صورة الوطني الشهير بُووِل مجسمة من البرونز ووجهة هذا الميدان عبارة عن فندق ملك الدانيمارك الذي نزلنا بهِ وفندق آخر

وقصر كرِسْتيانسبُرْج هذا اشبه بقسم من أقسام المدينة قائم بذاتهِ في وسط جزيرة وقد احترق غير مرة وآخر حريقهِ سنة ١٨٨٤ ولم يبقَ الَّا بعض أقسام منهُ والعزم معقود على تجديدهِ ثانياً ويوجد أمامهُ صورة الملك فريدريك السابع على

جواد وهو الذي منح الدانيمرك القانون الأساسي وتحيط بصورته هذه جملة صور مجسمة تمثل القوة والحكمة والصحة والعدالة وكان هذا القصر قصر المجالس النيابية والمجلس العالي قبل ان يحترق

وبجواره "الكتبخانة الملوكية" وقد أسسها كرستيان الثالث في أواسط القرن السادس عشر وهي معدودة من أعظم كتبخانات أوروبا وتحتوي على ٥٥٠٠٠٠ مجلد منها عشرون ألفاً بخط اليد

وعلى شرقي هذا القصر بالمينا "البورصة" وقد تجددت حديثاً وأصل بنائها من سنة ١٦١٩ الى ١٦٤٠ وهي ذات برج ارتفاعه ٤٧ متراً وفي وسطها قاعة المعاملات التجارية وحواليها حوانيت للتجارة المهمة وفوقها محلات اكبر البنوكة وأشهرها وأعظم شركات السيكورتاه وغيرها

ووراء البورصة كوبري عظيم يوصل الى قسم المدينة المسمى كرستيانهافن القائم بالضفة الثانية من البوغاز على جزيرة أماجر كما تقدم ومن هذا الكوبري يرى الانسان برج الكنيسة المعروفة "بكنيسة المخلّص" الشهير ذلك البرج بالارتفاع وحسن الهيئة وله سلّم من الخارح ذو درابزين من الحديد يشتمل على ٣٩٧ درجة يصعد فيه الى ذروته حيث صورة المخلّص اي المسيح عليه السلام مجسمة ويمتد الناظر من هذه الذروة الى شاطئ بلاد السويد

وبالشمال الغربي من قصر كرستيانسبورج دار التحف المعروفة "بمتحف تورفالدسن" وقد بنيت من سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤٨ لحفظ آثار هذا الرجل الذي اشتهر من اهالي هذه البلاد في فن الحفر والنقش في الحجر والتصوير فيه وتخليد ذكره وجعل قبره في وسط آثاره فيها ووجهتها ذات عمد متقنة يعلوها

شكل مثلث من الحجر صُوِّرَ فيهِ تمثال الظفر والنصر ناتئاً في البناء نقلاً عن أحد التماثيل التي عملها في هذا المعنى كما ان وجهات البناء متزينة بالرسوم الناتئة التي تمثل استقبال الأهالي لهُ واحتفالهم بهِ أيام عودتهِ من ايطاليا اخرة مرة لهُ سنة ١٨٣٨

على أنهُ في أبتداء أمرهِ وهو صغير كان حقيرًا فقير الأب يعمل في عمارة السفن بمعامل ميناء كوبنهاج هذه مع أبيهِ حتى بلغ سن الإحدي عشرة فدخل في مدرسة النقش والحفر والتصوير — سكُلتُور — وتحصل بجدهِ واجتهادهِ في سنة ١٧٩٣ على أعظم مكافأة تُعطي للماهرين ومن لوازمها أن الذي ينالها يكون لهُ حق السياحة في بلاد ايطاليا على مصاريف الحكومة لإتقان الفن الذي أُعطي المكافأة لاجلهِ وهو مع ذلك لم يسافر اليها حالاً بل بقي ثلاث سنين بعدها يداوم الاشتغال بعمل تصاوير الاشخاص مجسمة وعمل التماثيل ناتئة في الحجر — بارُولْيِيف — والبناء حتى أبحر الى ايطاليا سنة ١٧٩٦ فوصلها بعد سفر طويل وأخذ يجتهد للوصول الى الغاية المقصودة بكل ثبات ونشاط غير مبال بالمصاعب ولا ملتفتٍ الى المتاعب ولم تَثْنِ عزمتهُ معاكسة الزمن ولم تثبطْ همتهُ طوارئ المحن ولا غرو أن على مقصودهِ حصل "فكل من سار على الدرب وصل" وقد قيَّض الله لهُ في سنة ١٨٠٣ توماس هُوبِهْ أحد اغنياء الانجليز فأوصاهُ على عمل صورة فأعجبتهُ فأوصاهُ على غيرها واستمرَّ مقيماً في ايطاليا وبلغت الشهرة منهُ ان عدَّهُ العلماء أعظم استاذ في هذا الفن — سكُلتُور — بأوروبا وأهم اعمالهِ واشهرها هي التي عملها من سنة ١٨٠٣ الى سنة ١٨١٩ ثم عاد الى بلدهِ في هذه السنة واشتغل فيها بعمل التماثيل الدينيَّة بالكنائس وانكب عليهِ العظماء يطلبون صورهم

منهُ مجسمة بالنظر لشهرتهِ وصيتهِ ثم سافر ثانيةً الى رومة فقابلهُ عظماؤُها بكل تكريم وتعظيم ومكث بها سنين حتى بلغ الهرم فعاد الى وطنهِ سنة ١٨٣٨ ولكنهُ اعتزل العمل ولزم الراحة الى ان بلغ الأَجل المحدود تاركاً نحو نصف الأَلف من آثارهِ المشهورة

وانما اتينا على هذه التفصيلات لبيان وصول هذا الرجل من درجة الآحاد الى تلك الرتبة الرفيعة الَّتي وصل اليها بمثابرتهِ على العمل بالجد والاجتهاد

وقد عرف مواطنوهُ قدرهُ أَيام حياتهِ وبعد مماتهِ أَما ايام حياتهِ فلاقبالهم عليهِ وحرصهم على اقتناء أَعمالهِ وأَما بعد مماتهِ فلما شادوا لهُ من هذه الدار الَّتي نحن بصددها فإِنهم بنوها بخصوصهِ مركبةً من طبقتين ذات قاعات عدة تزيد عن الأَربعين بها جميع آثارهِ تحيط برحبة وفي وسط هذه الرحبة قبر هذا الأُستاذ

ولا عجب ان تقدَّمت وبلغت أَكبرَ درجات الثروة بلادٌ عرف أَهلوها قدر علمائهم وفضلائهم ولا بِدْع أَن تمادت على الانحطاط بلاد اتَّبع أَهلوها ضد هذا فلم يجد المؤَلف من يشتري تأْليفهُ ولا من يكافئهُ ولم يجد الصانع الماهر من يبذل القليل من المال في اقتناء بدائع صنعتهِ ومساعدتهِ على ذلك

ولا شك أَن أَهل بلادنا لهم غاية الاستعداد والقابليَّة للمعارف والآداب والصنائع والأَمل وطيد والرجاء اكيد أَنهم بمشيئتهِ تعالى سيبلغون الغاية القصوى في التقدم والنجاح ما داموا مرموقين برعاية ولي الأَمر حفظهُ الله مشمولين بسامي همهِ موجهة أَنظارهُ العالية نحو تشييد اركان العلم والحث على انتشارهِ والعناية بالمستحقين من ابناء الوطن مكافأَةً لهم وتنشيطاً لغيرهم

هذا وبالجنوب الغربي من قصر كرستيانسبورج المتقدم ذكرهُ السراي المعروفة

"بسراي البرنس" وكانت سكنًا فيما مضى لولي العهد وفيها الآن :

اوّلاً . متحف انتيكات الشمال وقد جمع سنة ١٨٠٧ واستمرَّ التوسع فيهِ حتى صار اكبر متاحف الدنيا الّتي من نوعهِ بعد متحف استكهلم وهو مهمٌّ جدًا بالنسبة لمن يريد معرفة التمدن في البلاد الاسكندينافيَّة بالازمان العتيقة ويشتمل على ٤٠٠٠٠ أثر فيحتوي على الأسلحة والأدوات والآلات اللازمة في الصنائع وفي المنازل وعلى مواد الصيد في البر وعلى كثير من توابيت الأموات في تلك العصور الخالية وعلى اشياء كثيرة غيرها

ثانيًا متحف خصوصيات الشعوب وأخلاقهم وعاداتهم وهو مقسم الى خمس وثلاثين قاعة بحسب الأزمان والبلاد فمنها المخصص بالازمان القديمة من آثار أوروبيَّة وأسيويَّة وافريقيَّة وأميريكيَّة ومنها المخصص بالازمان المتأخرة من آثار الامم الّذين لا يزالون على الحالة الأصليَّة من عوائدهم في المعتقدات والملابس والأسلحة والأدوات والآلات والفنون والصنائع

ثالثًا متحف الأنتيكات الغير الشماليَّة من مصريَّة وآشوريَّة وفينيقيَّة ويونانيَّة ورومانيَّة وهو قليل الأهميَّة بالنسبة لما رأيناهُ من نوعهِ في غير هذه البلد

رابعًا متحف المسكوكات والمداليات ويحتوي على ثلاثين الفًا منها

ثم بالشمال الغربي من سراي البرنس المتقدمة الطريق المسمى "رَادُوسْتِرَادِه" ومنهُ يتوصل الى الجهة المعروفة بالسوق الجديد والجهة المعروفة بالسوق القديم ومن هذا يتفرع شارع "نُوجَادِه" وهو كثير الحركة ومن أعظم الشوارع اهميَّة واعتبارًا ينتهي الى ميدان "كُونجِنس نُوتُورْف"

وبهذا الميدان سراي الحاكم وبلديَّة المدينة وعلى مقربة منهُ الكنيسة

الكاتدرائيّة بُنيت حديثاً مكان كنيسة احرقتها قنابل الانجليز مذ ضربوا هذه المدينة وهي على السذاجة من الداخل ليست مزينة بالنقوش سوى ما رسمهُ تُورْفَالْدسنْ الذي مرّ ذكرهُ لما وهو في رومة وحفر بعضهُ بنفسهِ من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٧ عند عودتهِ من رومة

والمدرسة الجامعة قائمة على الجهة الشماليّة منْ هذه الكنيسة وقد بنيت من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٣٦ بعد احتراق مدرسة قبلها بنيرلن القنابل الانجليزيّة سنة ١٨٠٧ واول من أَسس هذه المدرسة بكوپنهاج كرستيان الاول سنة ١٤٧٩ عقب سياحة ساحها في ايطاليا وتنقسم الى خمس مدارس اساتذتها سبعون وتلامذتها ١٢٠٠

وكتبخانة هذه المدرسة الجامعة تحتوي على اكثر من مائتي الف مجلد منها اربعة آلاف مجلد مكتوبة بخط اليد من نفائس كتب الهند والعجم القديمة

ومما يستحق الذكر بهذه البلد الكنيسة المعروفة بكنيسة التثليث بالنظر لبرجها المسمى بالبرج المستدير فان قطرهُ خمسة عشر متراً وارتفاعهُ ٣٦ متراً فيتمتع الصاعد فوقهُ برؤية سائر جهات المدينة وضواحيها وبحر السُّوند جميعهُ وميناء السويد وسواحلها

ومما ينبغي ان يذكر هو ان طريق " فُلْدِجادِهْ " يفصل المدينة القديمة عن المدينة الّتي استحدثت مكان الأَسوار القديمة حتى صارت مدينة علياء وجنة فيحاء بشوارعها النضرة ومنتزهاتها العطرة ومتسعاتها الخضرة وهي ذات اربعة اضلاع تحيط بها الأَبنية المزخرفة من جوانبها الأَربع على اشكال تروق الناظر وتسر الخاطر

وعلى هذا الطريق " قصر رُزِنبُرج " وهو بناءٌ متسع محاط بأبراج اعلاها ارتفاعهُ ١٠٠ متر بناهُ كرستيان الرابع سنة ١٦٠٤ فسكنهُ وسكن بهِ خلفاؤهُ من بعدهِ وصار كلٌّ منهم يجمع اليهِ ما يناسب زمنهُ من الفرش وأدوات الزينة والزخرفة والأسلحة والملابس حتى صار يحتوي الآن على احسن المجموعات المتعلقة بالزينة والرونق من المصنوعات الوطنيَّة وهو من ابهى ما يتفرج عليهِ وبحديقتهِ صورة كرستيان الرابع مجسمة من عمل تُورفا لدِسِن

واذ أقبل الليل وطال الامد في هذا التفرج واحتجنا الى تناول الطعام عدنا الى الفندق عازمين على الخروج ليلاً للتفرج على حال المدينة فيهِ وللتوجه الى منتزه اسمهُ " تيفُولي " أعلمنا بهِ بعض من عرفناهُ في هذه المدينة لكن لم يتيسر لنا ذلك بعد لأَنهُ فاجأَنا المطر بغتة بكثرة واشتد البرد معهُ حتى بلغت درجتهُ بالفندق ١٢ فوق الصفر ولم نرَ بباريس وصولهُ الى هذا الحد

فنزلت الى القهوة التي تحت الفندق المسماة بالقهوة الويانيَّة نسبة الى ويانه وإدارتها لصاحب الفندق وهي في غاية الانتظام على الطراز الفرنساوي فيها جرائد العالم الشهيرة فقرأْت منها بعض الصحف الفرنساويَّة

وانتهزت فرصة قلة المطر فركبت عربة الترامواي وهي مارَّةٌ أمام القهوة وسرت بها الى حيث انتهى في آخر المدينة وعدت بها ثانياً فحصل بذلك التمتع برؤْية هذه المدينة الزاهرة ليلاً وتركنا تيفولي الى العودة ان تيسر

وفي الصباح ركبنا عربة وقصدنا نحو الساحة المساة " جرُونِجن " ومعناهُ ساحة القلعة وهي من أعظم المنتزهات وألطفها بهذه البلدة يشرف المتفرج منها على بوغاز سُوند فيرى السفن الراسية في مدخل الميناء فينبهر من جسامتها وكثرتها

وسرنا بعد ذلك في بعض أطراف البلدة وما قرب من المحلات الخارجة عنها قليلاً من ضواحيها وهي في غاية الجمال والبهاء والرونق والازدهاء حتى قرب وقت قيام الوابور الذي يسافر من هذه العاصمة الى مدينة مالْمُو ميناء السويد فعدنا الى الفندق وتحاسبنا مع صاحبهِ وتركناهُ قاصدين المسير الى السويد

﴿ من كوپنهاج الى مالْمو ﴾

قمنا من كوپنهاج في يوم الخميس ٢٩ اغسطس سنة ٨٩ والساعة ١١ و١٥ دقيقة قبل الظهر في وابور البحر بقصد ثغر مالْمُو واخترنا هذا الوابور دون سواهُ وان كان يقوم من كوپنهاج الى هذا الثغر وابورات عدةٌ في اوقات كثيرة من النهار لانهُ يصل حسب التعريفة الى مالْمو قبل قيام وابور البر منها بوقت كافٍ يتيسر لنا معهُ التفرج في ذلك الثغر ثم نركب وابور البر بعض النهار وطول الليل فنصل الى استكهلم مقر المأمورية في صباح اليوم التالي

ومالمو هذه أقرب اسكلة من أساكل السويد الى كوپنهاج يفصلها بوغاز سُونْد على مسافة نحو عشرين كيلومترًا بحيث يرى من في برٍّ منها كلٌّ من في البرّ الآخر بالنظّارة اذا كان الجو صافياً والهواء هادياً

والوابورات التي نزلنا بأحدها ترسو بلصق الأرصفة في الميناءين بحيث يصل المسافر اليها بغير واسطة زوارق وهي تشبه في الحجم وابورات النيل ذات طبقتين يجد الانسان في احداها محلاً متسعاً فيهِ مائدة عليها أحسن المآكل وانظفها فيأكل ما يشتهي من الأطعمة بدون احتياج الى خادم يخدمهُ لأن الأطباق المعدة للاكل بها مرصوصة حول المائدة والأطباق المشتملة على ما يؤكل

مرصوصة في وسطها فيجلس الإنسان الى المائدة اذا وجد متسعاً والاَّ أخذ ما يُريد من الأَطباق وجلس أينما يريد وهذه الطريقة مسلوكة في وابورات هذه الجهة وجميع جهات السويد والنرويج كما رأيناهُ بعد فاكلنا مريًا وشربنا هنيًا بعدُ ان سرنا من كوپنهاج وتفرجنا على مدخل مينائها وكيفيَّة شكلها وبنائها ولما اتممنا الأَكل ودفعنا ثمنهُ عن كل واحد منَّا كورونًا ونصفًا [1] طلعنا على سطح الوابور للتمتع بمنظر البحر وما لبثنا ان قار بنا مَالْمو فوصلناها بعد مسير ساعة وربع ساعة من قيامنا

وقد اطَّلعنا في صالة الأَكل على اعلان مطبوع بالفرنساويَّة والانجليزيَّة والالمانيَّة ترجمة عنوانهِ "الى حضرات اعضاء مؤتمر المستشرقين باستكهلم" ومضمونهُ ان المسيو هِلْدِبْرَانْد مدير الآثار العتيقة بالسويد والنرويج مستعد للقيام بجميع ما يلزم الأَعضاء في ثغر مالمو من الخِدَم والتسهيلات وهو ينتظرهم بهِ لهذا الغرض عند عودتهِ من معرض باريس فمن شاءَهُ لذلك فليسأَل عنهُ من المحطة فعزمنا على مقابلتهِ

الوصول الى مَالْمو

مَالْمو هذه سكانها ٤٤٥٠٠ نسمة وهي رأس اقليم سكانيا من بلاد السويد المشهور بالخصوبة وكثرة الحبوب من الحاصلات الزراعيَّة وهي شهيرة بالتجارة وبها معامل تَصنع كثيرًا من الاشياء أخصها الأَلدوان — القفاز — وليست شهرتها بالتجارة حديثة بل هي كذلك من زمن القرون الوسطى فانها اشتهرت بها خصوصاً في السمك المسمى "هَارَانْ" وكان يصيدهُ من جهاتها عالم لا يحصى ولكنها انحطت

(١) الكورون يساوي خمسة غروش و١٦ فضة بالعملة الصاغ

بعد تلك الأزمان بسبب نقص صيد الأسماك المذكورة وتحوّل التجارة عنها الى مدينة كوپنهاج حتى تنازل عدد سكانها في أواخر القرن السابع عشر الى أقل من الفي نسمة الّا إنها أخذت في النمو من أواخر القرن الثامن عشر حتى بلغت الى ما هي عليهِ الآن من الاتساع والعُمران

وميناؤها واقعة بجهة الشمال منها وهي في غاية الانتظام ترسو السفن على أرصفتها العظيمة القريبة من محطة السكة الحديديّة

و بوصولنا الى البر قابلنا احد محرري الجرائد فاحتفل بنا لما رآهُ من هيئتنا المشرقيّة التي علم منها ما نحن بصددهِ من قصد المؤتمر وساعدنا في اجراءات الكمرك ولم تُفتح صناديقنا وتوجه معنا حتى سلمناها بمحطة السكة الحديد وأخذنا بوليصة بها الى استكهلم وسألناهُ عن المسيو هلدبراند فأخبرنا انهُ لم يحضر من پاريس الى الآن وقال اني مستعد لسائر الخِدَم التي تحتاجون اليها واخذ منا تذاكر عُضويّة المؤتمر التي كنا اشترينا الواحدة منها من مصر بعشرين فرنكاً ولحاملها حق النزول بالسكة الحديد من مالمو الى استكهلم بنصف الأُجرة المعتادة فضلاً عما يكون لهُ بواسطتها من حقوق العضويّة وامتيازاتها في المؤتمر وقدَّمها لناظر المحطة فقصَّ منها جزءًا وسلمهُ الباقي واعطاهُ تذاكر الوابور بنصف الأُجرة لنا

واذ كان باقياً على قيام الوابور من المحطة نحو الساعتين ذَاكَرَنا هذا المحرر المهذب في التفرج على المدينة ومشاهدة ما فيها في هذه المسافة فقلنا لهُ ذلك ما كنا أردناهُ من قبل وسرنا معهُ من الشمال الى الجنوب قليلاً فوصلنا ميداناً عظيماً هو ميدان البلد الكبير على جهة منهُ دار بلديّة المدينة وعلى جهة اخرى قصر المحافظة وكلاهما من الحسن بمكان

وسرنا بعد ذلك نتفرج بالطرقات وهي منتظمة نظيفة معتدلة متسعة وعماراتها حسنة مرتفعة وفي الاثناء كنا نتجاذب أطراف الحديث مستفهمين منهُ عن بعض ما يُهمنا من الأَشياء حتى دنا وقت السفر فمدنا الى المحطة وودعناهُ وقام بنا وابور سكة الحديد والساعة ٢ و ٤٠ دقيقة بعض الظهر من يوم الخميس ٢٩ اغسطس سنة ١٨٨٩

وها أنا اذكر قبل ذكر الوصول الى استكهلم وما شاهدناهُ في الطريق اليها بعض اجماليات على السويد والنرويج فأَقول

اجماليات على السويد والنرويج

بلاد السويد والنرويج واقعة في شبه جزيرة اسكنديناڤيا الذي هو اكبر شبه جزائر اوروپا ويشتمل على السويد في شرقيهِ وعلى النرويج في غربيهِ وعلى قسم من الروسيا في الشمال الشرقي منهُ وهو بين ٧١ درجة و١٠ دقائق و ٥٥ درجة و ٢٠ دقيقة من العرض الشمالي وبين درجتين و ٤٥ دقيقة و٢٨ درجة و١٥ دقيقة من الطول الشرقي لپاريس فيمتد بمقتضى ذلك على ١٦ درجة من درجات العرض وعلى ٢٦ درجة من درجات الطول أما عرضهُ فيختلف بين ٤٢٠ و ٧٠٠ كيلومتر ومسطحهُ ٧٥٩٠٠٠ كيلومتر مربع وطول سواحلهِ ٣٣٠٠ كيلومتر منها الفان للنرويج ويتخلل هذه السواحل عدة خلجان تدخل أَرضها على أَبعاد طويلة بحيث لو قيس امتداد السواحل باعتبار هذه الخلجان وشواطئها فيهِ لبلغ اكثر من ضعف الطول الذي ذكرناه

ويحُدّ مملكتي السويد والنرويج شمالا الاوقيانوس الشمالي وشرقًا روسيا

وخليج بوثنيا وبحر بالطيق وجنوباً بحر بالطيق المذكور وبوغاز كاتيجات وسكاجرراك وغرباً البحر الشمالي والأوقيانوس الاطلانطيقي

ويفصلها عن بعضها سلسلة الجبال الاسكنديناوية وطريق عريض يمتد في الجبال المذكورة

وبهذه البلاد غير السلسلة المذكورة كثير من الجبال ترتفع على سواحل النرويج بصفة تكاد ان تكون عمودية ثم تنخفض من جهة السويد تدريجيًا ويتخللها في جهاتها أودية كثيرة ومرتفعات عظيمة وصخور عديدة بحيث شبّهها بعضهم بموجة من أمواج البحر كبيرة تحجّرت وهي ترغي وتزبد

والقسم الشمالي من هذه البلاد كثير الصخور جباله قفرة تغشاها الثلوج ولا ينبت فيها الّا أشجار قليلة من الصنوبر ولا تنمو كثيرًا ويتخلل هذا القسم بحيرات وأجام هائلة أما القسم الجنوبي وإن كثُرت فيهِ الأجام لكن تكثر فيهِ المزروعات ايضاً وهو معتدل وخصب بالنسبة الى الأول

ونظرًا الى وضع الجبال الطبيعي السالف بيانهُ تكون مياه الأنهر في جهة الغرب شديدة التيار سريعة الانزلاق بخلاف مياه الجهة الشرقيّة فانها ليست كذلك بل تكون على هيئة بحيرات مستطيلة الشكل تتصل يبعضها احيانًا بشلالات يختلف ارتفاع انصباب الماء منها بحسب اختلاف الأمكنة

والسبب في كثرة عدد البحيرات في هذه البلاد كثرة الأمطار وعدم كفاية حرارة الشمس في تبخير جزء كبير منها ووضع الأرض نفسها على هيئة سطوح مُتَقَعِّرةٍ في بعض جهاتها فلا تنصرف منها المياه الى جهة أخرى وعدم قابلية الأرض بطبيعتها لكثرة ترشّح المياه

وسواحل هذه البلاد يتخلل سائر جهاتها خلجان صغيرة ضيقة لا يقل عمق المياه فيها غالباً عن نحو ١٢٥٠ متراً وتنتهي بتشعبات وتفرعات عديدة الى جهة البحر

ويوجد على السواحل المذكورة بينها وبين البحر جزر صغيرة وصخور في البحر عديدة تجعل الملاحة في تلك الشطوط على أخطار ومخاوف ولكنها كثيرة النفع في أزمان الرياح البحرية والزوابع حيث تلتجئ السفن الى هذه الخلجان فتحتمي فيها بواسطة منع الصخور والجزر غوائل البحر عنها

وكبار هذه الجزائر تكون الى جهة القطب وجميعها كثيرة الجبال غريبة الهيئة ذات اشكال عجيبة صنعتها يد القدرة صنعا لا يقدر عليه الا الله تعالى فإحداها كأنما هو قصر هائل وأخرى تسمى "تورجو" تمر بجوارها السفن فيراها الناظر صخرة بها مغارة على ارتفاع ١٢٥ متراً عن سطح البحر نافذة الى الجهة الأخرى طولها ١٦٣ متراً وارتفاعها من ١٩ الى ٦٢ متراً وعرضها من ١١ الى ١٧ متراً الى غير ذلك من الجزر ذات الأشكال البديعة والهيئات الغريبة

وهذه الخلجان والجزر التي على شاطئ بلاد النرويج اكثر البلاد المذكورة حركة بالنظر لمساعدة الصيد فيها على أسباب المعيشة حيث يوجد على القرب من جزر "لوفوتن" كثيب يكثر فيه السمك المشهور بالحوت "مورو" فيذهب لأجل صيده خصوصاً في أيام الشتاء لأنه يكثر فيها كثير من الصيادين يزيد عددهم على ٢٥٠٠٠ راكبين نحو ٦٠٠٠ سفينة من السفن الكبيرة ويشتغل في أعمال هذا السمك وتجهيزاته نحو ١٠٠٠٠٠ نفس اي $\frac{٥}{١٠٠}$ من سكان نوريج جميعهم ويتحصل منه ما قيمته من ٥٥ الى ٦٠ مليون فرنك في السنة ويوجد في تلك

الجهات سوى هذا أصناف من السمك كثيرة وان كانت أقل منهُ أهمية منها السرطان البحري المسمى "هُمار" ويصدر منهُ في السنة الواحدة بقيمة مليون ونصف من الفرنكات الى انكلترا وحدها ومما يصاد عندهم ايضاً المحار بأصنافهِ أما السمك المسمى "صومون" فيصاد من كثير من الأنهر والبحيرات الداخلة في البلاد على ذمة ملتزمين يلتزمونهُ من الحكومة وهواء هذه البلاد بارد نظراً لموضعها من الشمال ولكن درجة البرد فيها ليست على صفة واحدة فإنهُ يكثر في جهة الشرق والوسط زيادة عن جهة الغرب على سواحل الأطلانطيق بسبب تيَّار الخليج الذي هناك ولذلك لاتتجمد المياه في الخلجان الصغيرة الّتي على ذلك البحر بسواحل النرويج الآ في آخرها من جهة القارّة بخلاف الجهات المضاهيةِ لها في العرض من بلاد سيبيريا فإنها تكاد ان لا تسكن وبخلاف البلاد المقابلة لها في شمال امريكا فإنها بسبب البرودة تلفت فيها ارساليَّة فرنكلن العالم الشهير حتى لو نظرنا الى استكهلم الواقعة في جهة الشرق وقارنَّا بين درجة الحرارة فيها وفي "سْكُودِسْنَاسْ" الواقعة في جهة الغرب ببلاد النرويج على ارتفاع استكهلم لوجدنا ان درجة الحرارة في سْكُودِسْنَاسْ متوسطها ١،٥ فوق الصفر في شهر ينابر و١٣ في شهر يوليو فيكون الفرق بين المتوسطين ١١،٥ أما استكهلم فان درجة الحرارة فيها متوسطها ٤ تحت الصفر في ينابر و١٧،٥ فوق الصفر في يوليو فيكون الفرق بين المتوسطين ٢١،٥ على ان الفرق اكبر من ذلك في جهة الشمال من السويد فناحية يُوكْمُوكْ مثلاً متوسط الحرارة فيها ١،٦ تحت الصفر سائر السنة ولكن الدرجة فيها ١٦ تحت الصفر في ينابر و١٤،٤ فوق الصفر في يوليو فيكون الفرق ٣٠،٤

والحاصل ان درجة الحرارة تختلف في هذه البلاد باختلاف الجهات فهي

غاية في البرودة من جهة بحر البلطيق واقل منها على سواحل النرويج

والجهة الشمالية منها تستديم فيها الشمس مشرقة شهرين ونصفاً صيفاً لا تغرب وتستديم شهرين ونصفاً شتاء لا تُشرق ويبقى الشتاء فيها تسعة اشهر فلا فصل ربيع فيها

وكثرة الأمطار وقلتها في هذه البلاد انما هي بحسب درجة الحرارة فيها فهي في داخل النرويج اقل منها على الشواطئ واكثرها في السويد في الجهة الواقعة بين جِفلِهْ وجُوتنبورْج واقل الاشهر امطارًا شهر مارس واكثرها شهر أغسطس خصوصاً في جهة الشمال فينتج من هذا ان انسب الأوقات لزيارة السويد وشرقي النرويج هو شهر يونيو وشهر يوليو

هذا والزراعة في هذه البلاد لا يمكن ان تكون احسن ولا اكثر مما هي عليهِ فيها بالنظر الى قلة الحرارة بها على ان زراعتها خير من زراعة غيرها من البلاد الواقعة على منطقتها والغابات فيها متسعة حتى تبلغ مساحتها اكثر من ٦٦٠٠٠ كيلو متر مربع ويتحصل من اشجار الصنوبر والراتينج فيها مقدار وافر من الخشب ويصدر جانب عظيم الى الخارج منهُ ومن اخشاب البلوط والزان والدردار وشجر السندر

وفي هذه البلاد كثير من اشجار الفاكهة فالتفاح منها يوجد الى درجة ٦٥ والبرقوق الى درجة ٦٤ والكرز الى درجة ٦٦ من درجات العرض اما اشجار الكشمش — عنب الذئب — والشليك والتوت الشوكي فتنبت في جميع جهات هذه البلاد حتى يُرى منها بجهة الرأس الشمالي

وينبت فيها الحنطة الى درجة ٦٤،٥ والشعير الى درجة ٧٠ وليس ببلاد

النرويج من أرض الحراثة اكثر من ٢٧٥٠ كيلومترو يوجد بالسويد نحو عشرة أضعاف هذا القدر

وينبت في جهة الشمال من هذين الجهتين من غيراستنبات نبات مخصوص يسمى عندهم "أكسيِزيا رِينيفُورْمِيس" يستعمل عدة استعمالات منها خلطهُ مع الدقيق و يُعمل منها نوع من الخبز يسمى "فلادِبرُودْ" وهذا النوع يعمل في البلاد الجنوبيةْ من الحنطة والشعير مضافاً عليهما دقيق البطاطس اودقيق البسله

ومن الغريب ان الشعير ينمو وينضج بهذه الجهات على درجة سبعين من العرض الشمالي في تسعين يوماً كنضجهِ في بلاد فرنسا و بلاد مصر ولعل السبب في ذلك طول النهار في بعض اشهر السنة ببلاد الشمال فتستمر الحرارة والضوء فيها زمناً يعادل في التأثير على النبات تأثير درجة الحرارة في غير هذه الجهات ولكن لابد من تطبيع الحبوب وتعويدها في هذه البلاد فلا يصح فيها من اول وهلة الشعير المجلوب من بلاد أشدّ منها في الحرارة

ومما يلاحظ في هذه البلاد ان اوراق الاشجار اكبر في جهة الشمال منها في جهة الجنوب وما ذلك ايضاً الاَّ من تأثير كثرة الضوء لطول النهار

ومن حيواناتها ذوات الأربع الدُّب الأسمر والذئب والثعاب والوَعِل والسمُّور والأرنب والرنة وهو عند اهل الشمال بمنزلة الجمل عند غيرهم

ومن طيورها النسر والبازي والبجع والبط والأوِز وتكثر الطيور الشاطئيَّة على ساحل البالطيق وخليج بوثنيا

وأهلها الآن كثيرو الاعتناء بتربية الحيوانات الأهليَّة كالأغنام والخيول وقد احضروا في بلادهم كثيراً من الحيوانات الأجنبيَّة

ومن معادنها النحاس والرصاص والحديد وليس لهُ مثيل في حديد العالم أجمع والتوتيا والفضة والذهب والكوبلت والنيكل والمغنسيا

واهل هذه البلاد أشداء ذوو شجاعة وبأس لا يهابون الحرب كرام أمناء أولو حشمة وبشاشة وهم يشربون البيرة — الجعة — اكثر من غيرها من المشروبات واكثر طعام الفلاحين منهم اللبن والجبن والسمك وفي بعض الأماكن اللحم وخبز الحنطة ويغلب عليهم شُقْرة الألوان واصفرار الشعور وتوسط القامة وشدة حب أوطانهم والتعليمُ عندهم معتنى بهِ ومنتشر للغاية

ويقال إن قبائل يدعون الإسكنديناوية فتحوا هذه البلاد وقهروا العشائر الفينيَّة الذين كانوا مستوطنين بها وسكانها الآن من نسلهم وكانوا تحت حكم الدانيمرك في الجيل الرابع عشر فقام "غسطاوْوَازا" وحرَّر السويد من تلك العبودية فاختارهُ اهل البلاد ملكاً عليهم وظهر بها في اول الجيل الثامن عشر الملك كارلوس الثاني عشر وكان من أشهر أبطال العالم افتتح فتوحات عظيمة وفعل أفعالاً يكل اللسان عن وصفها لكن قهرهُ الروسيون اخيراً بعد ما فتح كثيراً من بلادهم واما النرويج فكانت تابعة لولاية الدانيمرك ثم أُضيفت الى مملكة السويد من سنة ١٨١٤

ولا تزال الجهتان الى اليوم منضمتين لبعضهما تحت سلطة ملك واحد ولكن لكلٍّ منهما مجالس نيابيَّة ووزارة وجيش وعساكر بحريَّة وميزانيَّة وسياسة قائمة بذاتها منفصلة تمام الانفصال عن الاخرى حتى منعت القوانين ان يُقيم جيش سويدي في النرويج او نرويجي في السويد مهما كانت الحالة

والحكومة في كلٍّ منهما مَلِكيَّة مقيدة شورويَّة يقوم بتنظيم القوانين في كل

واحدة منها مجلسان يُعينان بالانتخاب

وعاصمة السويد استكهلم وعاصمة النرويج كرستيانيا ويقيم الملك في اولاهما وينوب عنهُ في الثانية احد اولادهِ

ولغة كلٍ من الجهتين تخالف الاخرى وكلٌّ منها يقرب الى الالمانيَّة اكثرَ من غيرها إن كان البعد يسمى قرباً والأجنبي الذي يتجول فيهما يكفيهِ معرفة اللغة الفرنساويَّة لوجود من يعرفها في المدن الكبيرة من متنوّري القوم حتى كانت لغة المخاطبات الرسميَّة

وقد بلغ عدد سكان السويد في الاحصاء الذي حصل اخيرًا في سنة ١٨٨٤ ٤٦٤٤٤٤٨ نسمة وبلغ عدد اهالي النرويج في الاحصاء المذكور ١٩١٣١٠٠ نسمة

وطرق المواصلات كثيرة متنوعة في هذه البلاد فمنها الوابورات البحريَّة لأسفار شطوطها والسفرِ منها الى بلاد أُخرى والوابورات النهريَّة في البحيرات والانهار الكثيرة جدًّا ومنها وابورات السكك الحديديَّة متجهة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ومن كل جهة من هذه الجهات الى الجهات الاخرى ومنها العربات الَّتي تسير بالخيل في الجهات الَّتي لم تصلها السكك الحديديَّة وهي على صنوف مختلفة وأشكال متعددة تتفاوت اتساعاً وصغرًا وكبرًا كما تختلف في عدد الخيول الَّتي تقودها سواءٌ كان لها سائق او لم يكن بل ساقها المسافر نفسهُ

وحيث فرغنا من ذكر هذه الاجماليات الَّتي نَعُدها ضروريَّة لمعرفة ما نحن قادمون عليهِ من البلاد فلنستمر في السير الى استكهلم واملنا ان يلقانا بمحطتها صاحبنا

الذي وعدنا بذلك حتى نكون في هذه البلدة كما نكون في بلدتنا الأَصلية وأَحسن على ما فهمناهُ منهُ وقد أَرسلنا اليهِ تلغرافًا من كوپنهاج بميعاد حضورنا لاستكهلم بينًا فيهِ اليوم والساعة وكان سبق منّا كتابٌ حررناهُ اليهِ من احدي مدن ايطاليا ردًا لخطاب وصلنا منهُ قبيل قيامنا من مصر سيأتي الالماع اليهِ

من مالمو الى استكهلم

سرنا من مالمو والساعة ٢ و ٤٠ دقيقة بعد الظهر من يوم الخميس كما مرَّ فسار الوابور قليلاً بمحاذاة خليج سُونْدْ ونحن ننتظر من مرتفعاتهِ البحر ثم انثنى نحو الشرق فمرَّ بمحطة أَكَّارْب حيث مدرسة الزراعة الشهيرة المسمَّاة مدرسة "أَلْنَرْب" ونعمت الجهة التي انتخبت لهذه المدرسة الزراعيَّة فان أَرضها يخال الماشي فيها انهُ سائر في وسط حديقة غناء اعتني صاحبها في تنظيمها وتحسينها فأَتقن وأَبدع وأَحسن

ولا زلنا مارّين بها حتى عبرنا نهر "هُويهْ" ذي الماء النمير ووصلنا مدينة "لُونْدْ" بعد ان سرنا نصف ساعة من مالمو اليها

ولُونْدْ هذه بلدة اشتهرت بالمدرسة الجامعة المنسوبة اليها من قديم الأَزمان يبلغ عدد سكانها الآن ١٤٨٠٠ نسمة وفي السابق بلغ عددهم مائتي أَلف نسمة على ما يقال

وهي وان لم ننزل بها أَصِفُهَا بعض الوصف لشهرتها بالنسبة لمدرستها ولنزول أَحد اساتذة هذه المدرسة البروفسور "تِجنْرْ" عند محطتها معنا بالوابور وانهُ لفي

غاية اللطف والذكاء وقد نفعنا كثيرًا في هذه الطريق وفي طول مدة الاقامة باستكهلم كما سيجيء

على ان هذه البلدة على لطفها ليست كبيرة فلا يحتاج وصفها الى تطويل وذلك ان الانسان اذا نزل من محطة السكة الحديد واتجه نحو الشرق وصل في بعض دقائق الى "الميدان الكبير" وهو اكبر ميادين المدينة .

فيجد على هذا الميدان الكنيسة الكاندرائيَّة وهي ألطف أبنية أسكندناوية وأجملها في رأي البعض أُقيمت الشعائر فيها منذ سنة ١١٤٥ يكتنف وِجهتها من الجانبين برجان عظيمان تتخللها النقوش اللطيفة متسعة من الداخل طولها ٦١ وعرضها ٣٦ وارتفاعها ٢١ مترًا

وفي شمال هذه الكنيسة منتزهٌ عمومي تحيط بهِ الاشجار العظيمة من سائر الجوانب وفي وسطهِ المدرسة الجامعة السالف الاشارة اليها وقد أُسست منذ سنة ١٦٦٨ وتشتمل على بناءين منفصلين احدهما المدرسة القديمة والآخر المدرسة الجامعة الجديدة ويتردد على هذه المدرسة من الطلبة نحو ٨٠٠ طالب وبها متحف شهيرٌ للاشياء التاريخية

وشرقي هذا المنتزه على نحو الشمال الشرقي من الكنيسة تمثال البروفسور تِجْنِر مجسماً وتحتفل الطلبة بيوم دخولهِ في هذه المدرسة وهو يوم ٤ سبتمبر من كل سنة احتفالاً يليق بمقامهِ

وذلك ان تِجْنِرْ هذا نشأ في هذه المدرسة وصار شاعرًا معدودًا ذا تآليف محبوبة (ولد سنة ١٧٨٢ وتوفي سنة ١٨٤٦) فأقاموا له هذا التمثال تخليدًا لذكرهِ ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا الدار التي سكنها مدة اقامتهِ بهذا البلد من سنة ١٨١٣

الى سنة ١٨٢٦ من محلات الآثار المعدودة حيث ألّف فيها تآليفهُ الشعريّة الشهيرة ووضعوا عليها لوحة بها كتابة تدل على ذلك وهي على الطريق الموصل من محطة السكة الحديد الى الميدان الكبير

وبهذه المدينة بعض المتاحف الحيوانيّة والحدائق النباتيّة للوازم الدراسة فضلاً عما يحدق بهذه البلد من البساتين النظيمة والمتنزهات العظيمة وينكشف للرائي من احدها بجهة الشمال الشرقي من المدينة بوغاز سوند ومدينة مالمو ويمتد النظر منهُ حتى يرى ابراج مدينة كوبنهاج فيبتهج بعظم هذه المناظر ولطفها خصوصاً اذا صادف وقت غروب الشمس وتأثير أشعتها على تلك الجهات البالغة غاية البهاء

وقد سبق أنهُ نزل معنا من لوندْ هذه البروفسور تجنر ونظن انهُ لكثرة من كان يحيط بهِ في المحطة حين مبارحتهِ المدينة من المحتفلين بهِ والمجتمعين لوداعهِ من نسل تجنر ذلك الذي تقدم ذكر تمثالهِ والالماع ببعض اثارهِ وهو شاب ابيض اللون خفيف الروح لطيف الخَلق والخُلق لا يتجاوز سنهُ الاربعين تصحبهُ امرأة مُسِنّة علمنا أنها والدتهُ يريد ان يوصلها الى بلد معلومة تنزل بها ويستمر هو في السير الى استكهلم لحضور المؤتمر ومجتمعاتهِ

وقد حضر الينا بالعربة التي نحن بها اثناء الطريق اذ علم من ملابسنا اننا نقصد المؤتمر فعرّفنا بنفسهِ وبقصدهِ وعرض علينا باللطف وكمال الظارف ان يقوم بما يلزمنا من الخدمة في الطريق وصار يجلس معنا مرة ومرة مع والدتهِ حتى اذا أنزلها بالمحطة التي تقصدها اقتصر على جلوسهِ معنا واشتغالهُ بأمرنا

وصرنا اثناء الطريق نتبادل الحديث معهُ باللغة الفرنساويّة على ما نراهُ من المواضع وما نشاهدهُ من المناظر وما نبصرهُ من النباتات والمياه وما نلحظهُ احياناً

من صلابة الصخور والأحجار وعدم إنباتها مع احاطتها بالنبات الزمردي من كل جانب دون ان يُكسَى جسمها الصخري بشيء منهُ

وانجر بنا البحث الى ما أجهد أنفسهم بهِ هؤلاء القوم من التغلب على المستصعبات وقطع العقبات في سبيل انشاء هذه السكك الحديدية اذ لا يخفى ما تستلزم في هاته البلاد الحجرية من الصعوبة والعناء وصرف طائل المال فانهم قد يضطرون الى قطع الجبل المرتفع مسافات طويلة بالألغام لاعتدال الطريق وقد يُقيمون الجسور العظيمة من التراب والأحجار في اواسط البحيرات العديدة على مسافات طويلة لوضع الخطوط الحديدية عليها هذا فضلاً عما يقيمونهُ من الكوبريات على الأنهار والهويات والمنخفضات مع ما يلزمها من اعمال البناء

وقد مررنا بعد مفارقتنا لوند باكمة مرتفعة عليها شكل هرمي صار تشييدهُ تخليدًا لذكر الصلح الذي حصل بين السويديين والدانماركيين بعد حرب لوند

ثم على محطة إِسلُوف بالطرف الجنوبي من غابات اسكونيا وعندها تتفرع السكك الحديدية الى جهة الجنوب والغرب والشرق

ثم على غابات لطيفة من شجر الزان الى ان وصلنا على محطة "هِسلهلم" على الجهة الغربية من بحيرة "فنجا" ويتفرع منها فرع بجهة "هلسنجبورج" نحو الغرب وآخر لجهة "كرِستيانستاد" نحو الشرق

ثم مررنا بعد ذلك بجهة مملوءة بالغابات والصخور تسمى عندهم "سكوج" ومعناه "الغابة" مشهورة في الاشعار الاهلية ببلادهم كما ان "لند" معناها الغياض

واستمر السير بعد هذه الجهة على جهات كثيرة بين نجود واغوار وجزر في وسط بحيرات واكمات في وسط غابات ومستبحرات ومستنقعات تتخللها ارض

مزدرعة ومراع متسعة أُقيمت في وسطها مساكن منقوشة باللون الأحمر غطت سقفها الحشائش وكنائس صغيرة ومعامل وطواحين تدار بالماء على سواحل البحيرات التي بها تيار والوابور يقف على محطات بين منخفضات ومرتفعات حتى وصلنا الى محطة " نِسْيُو " ويتفرع منها فروع كثيرة لعدة جهات وكانت الساعة ٩ و ٣٧ دقيقة بعد الظهر اي بعد مسير نحو سبع ساعات

وكان قد بلغ الجوع منَّا حدهُ قبل وصولنا الى هذه المحطة وفهم ذلك صاحبنا البروفسور فدلنا في اثناء الطريق على من اشترينا منهُ بعض بسكويت ولقيمات منتظرين الوصول الى هذا المحل حيث يوجد بهِ من الطعام ما تشتهيهِ الأنفس ونزل معنا هذا الصاحب الى قاعة الاكل بالمحطة بعد ان أفهمنا ان الوابور يقف بها عشرين دقيقة وأن لا حاجة للاستعجال واذا هي محل مستطيل في غاية الاتساع بوسطهِ مائدة ممتدة آخذة جزءًا عظيماً من طولهِ ملأى بالمآكل الفاخرة من لحوم مشويَّة وغير مشويَّة من ضأن وطير وسمك وألوان من الأطعمة بين سخنَة وباردة وحلواء يحيط بها أطباق صغيرة يأخذ فيها الانسان ما يلذ لهُ منها ويجلس على هذه المائدة إن أراد اذا وجد متسعاً او على موائد غيرها بدائر المحل أَو يَقِفُ بأي محل يتكلم مع رفيق وهو يأكل واذا أراد طعاماً آخر أحضرهُ بنفسهِ لنفسهِ فانهُ لا خادم ولا مراقب ثمة فمن أراد شرب بعض المسكرات لا يجد الاَّ البيرة فيفتح من القناني ما يريد اما اللبن والشاي فيجد منها على مائدة مخصوصة كثيراً فاذا اكل وشرب خرج من هذا المحل من غير أن يعارضهُ احد من الناس وتوجه من تلقاء نفسهِ الى صاحب المحل حيث هو في محل خارج لا يرى الآكلين ولا يعرف ماذا اكلوا فيخبرهُ الإنسان بما أكل أو شرب بالأمانة سواء اكل

اكلة كاملة او شرب قدح شاي او ابن او بيرة فان اخبر انهُ اكل اكلة كاملة أُخذ منهُ عن اكلتهِ كوروناً ونصفاً وان أخبر انهُ شرب قدحاً من الشاي او اللبن او البيرة أُخذ منهُ ثمنهُ فقط ولما خرجنا الى صاحبة هذا المحل اخبرها صاحبنا اننا اكلنا اكلة كاملة واعطيتها قطعة من العملة فاعطتني باقيها الآ كوروناً ونصفاً فتعجبنا من ذلك اقلة ما أُخذت بالنسبة الى ما اكلنا وكنا أربعة فأخبرها صاحبنا ان الآكلين أربعة فاعتذرت عن غلطها بأنها ظنت أَن الآكل واحد واخذت الباقي متشكرة أَما صاحبنا البروفسور فكان شرب قدحاً من اللبن والشاي فقط فأَعطاها ثمنهُ ليس الآ مع أنهُ كان معنا داخل المحل

فانظر الى هذه الأَمانة وهذا الائتمان ولعمري لو اتُّبعت طريقة هذا المحل في غير هذه البلاد لما استمر اسابيع حتى يُغلَق فان الناس يكونون بين من يكذب وبين من يهرب ولكن أَبَتْ مروءة هؤلاء القوم الآ الأَمانة فأَصحاب أَمثال هذا المحل في راحة بال واطمئنان خاطر لا يخشون خيانة ولا خسائر

وبعد ان عدنا الى الوابور اخذنا نتذاكر مع صاحبنا في هذا الشأن ونطيل التعجب منهُ فأَخذ يعرّفنا حال الأَمانة عندهم واستحالة السرقة ببلادهم لأَنهم يستقبحونها ويعدونها من العيوب العظيمة فلا يقدمون عليها أَصلاً حتى اخبرنا أَنهُ لا يغلق على دراهمهِ باباً ولا على ما في منزلهِ من الاثاث وان غيرهُ كذلك

وساقنا الحديث في أَمانة اهل هذه البلاد الى ان سأَلناهُ عما رأيناهُ بكتاب الدليل من ان السائح في نواحيها اذا الزم لهُ شيء وعجز عن تفهم ثمنهِ لعدم معرفتهِ بلغة اهلها اخذ هذا الشيءَ ممن يبيعهُ فلاحاً او تاجراً واعطاهُ كيستهُ فيأْخذ البائع منها قدر الثمن لا غير فاخبرنا بصحة ما ذكرهُ ذلك الكتاب ولعمري ان هذا

لغاية ما يفتخر بهِ

وقد اشرنا الى صاحبنا أننا نريد قهوة فطلب من أحد خدم قهوة المحطة ان يأْتينا بقهوة فاحضرها في صينيَّة بها فناجيل بقدر عددنا وما أَخذنا في الشرب حتى سار الوابور وبقيت عندنا أواني القهوة ولم ندفع ثمنها الى ان وصلنا الى المحطة التالية فحضر خادم قهوتها وأَخذ الأَواني والثمن ونعمت العادة

وكان آن وقت النوم ورأَى صاحبنا منا ارادة ذلك فأَخذ يرينا أَن المجالس الَّتي نحن عليها تُمَدُّ فتزيد الى ان تلتقي بالمجالس المقابلة لها حتى يتكوَّن من الجهتين سرير عظيم يسع من ينام

هذا وان اتعب المسافر طول جلوسهِ في محل واحد فإِن لهُ أَن ينتقل ويتمشى من أَول القطار الى آخرهِ وذلك لأَن العربات فيهِ على الطراز المستطيل المستعمل عندنا في بعض القطارات بجوار غرف الجلوس فيها ممشي طويل ممتد من عربة الى أُخرى حتى يصل الانسان بواسطتهِ من اول القطار الى آخرهِ بدون أَن يُؤْذي احدًا فإِن كل غرفة من العربة مغلق بابها على من فيها وبدون ان يتأَذّى هو من البرد او المطر فإِن الممشي مغطاة مغلقة نوافذها فلا يتأَثر من فيها ببرد ولا مطر ولا هواء وهذا كلهُ فضلاً عن اتقان العربات وحسن هيئتها ورونق فرشها وانتظام محلات الأَدب بها مع سهولة الوصول اليها مما جعل هذه العربات تماثل عربات أَحسن البلاد الَّتي سرنا بها الى الآن

ولا شك أَن هذا الطراز في العربات أَحسن طراز لا سيما في الأَسفار الطويلة بخلاف الطريقة الَّتي تكون فيها العربات منفصلات كل واحدة منها مقسمة الى عدة عيون منفصل كلٌّ منها عن الأُخرى تُفتح أَبوابها على الرصيف من

الجهتين كالمستعملة عندنا غالباً فإنها لا توافق حالة البرد لانهُ بمجرد خروج الشخص منها وفتحهِ الباب يدخل الهواء العربة فيملأها ولا يخفى تضرر الرفاق من ذلك ولأن الانسان لا يتأتى لهُ المشي فيها ولا الانتقال اثناء سير الوابور منها الى عربات أُخرى للالتقاء بعارف او للفسحة أو لداعٍ آخر الاَّ عند الوقوف بالمحطات وقد يضطر مع ذلك لأن يبقى ما بين المحطة التي نزل منها الى المحطة التالية لما عند صاحبهِ الذي سار اليهِ لعدم طول مكث الوابور بالمحطات وقد لا يكون بعربتهِ محلٌّ خالٍ وقد يكون المطلوب للمنتقل لا يستلزم طول مسافة ويكون بين المحطتين مسافة طويلة ولأن محلات الأدب فيها قد لا توجد أو توجد مع المشقة في الذهاب اليها والاياب منها والمكث عندها كما في القطارات الفرنساوية فان العربة المخصصة بذلك فيها مجاورة للعربة الموضوعة بها الأمتعة وهي التي يليها الوابور ولا يتأتى الذهاب اليها الاَّ عند الوقوف بإحدى المحطات فإذا دخلها الانسان اضطر الى المكث بها حتى يقف الوابور ثانياً والسبب في ذلك أن مدة وقوف الوابور بالمحطة لا تسع الذهاب اليها والدخول فيها وقضاء الحاجة والعودة منها الى المحل الاصلي نعم يجد القاصد أمام المحل المعهود مكاناً مفروشاً بفرش حسن وربما وجد بهِ رفاقاً اضطرهم الى البقاء فيهِ ما اضطرهُ لكن لا يخفى ان المكث في مثل هذا المحل غير مستحسن ولو قصرت المدة

وأحسن العربات المنفصلة ما رأيناهُ منها في ايطاليا او السويسره وهوان الواحدة منها وان كانت منفصلة عن غيرها الاَّ إن غرفها متصل بعضها ببعض ويوجد في احداها المحل المعهود بدون المشقة السابقة

وأحسن العربات كلها راحة ما يسمى "واجُونْ لي" ومعناهُ عربةُ سريرٍ

فإن الانسان له بها نهارًا محل متسع يفرش عليهِ فراش ليلاً فيكون سريرًا لنومهِ كأنما هو في دارهِ وذلك متيسر في جميع قطارات الأسفار البعيدة لكن بزيادة على الأجرة المعتادة

هذا وقد فعلنا كما أعلمناه صاحبنا البروفسور تجنر من تمديد ما كنا جالسين عليهِ واتصالهِ بما قابله فكان كما قال وكان معنا عباءة ومنسوج من الصوف يسمى "كوفر پيپهِ" وهو كثير النفع في الأسفار يوضع على الأرجل فيدفئها وجعله في الأصل لذلك كما هو ترجمة اسمهِ وان كان ينفع لغير ذلك مثل ان يتغطى بهِ الانسان وقت البرد ليلاً في مثل هذه الأسفار وفي فنادق لم يكن بها الغطاء كافياً الى غير ذلك مما ينبغي ان يستصحبه الانسان له وثمنه مع ذلك غير كثير فإنه يكون من عشرة فرنكات الى مائة فرنك فاكثر بحسب اختلاف أصنافهِ فاخذه سيدي الوالد واختصصت بالعباءة كالمعتاد وتغطينا ونمنا مع الراحة ولولا الليل وظلامه والنوم وأحكامه لتمتعنا بالمناظر الحسان المحدقة بنا من كل مكان فانا اذ ذاك كنا سائرين في أرض من اخصب أرض السويد واحسنها منظرًا يحدها من جهة الغرب بحيرة "ڤتِرْ" ومن جهة الشرق بحر البلطيق وتتخللها الأنهر والبحيرات الكثيرة والشلالات العظيمة الكبيرة ثم لم نفق من النوم الأ لبعض دقائق واذا قد وقف بنا الوابور على محطة "لنكوپنج" وهي بلدة متسعة على ما ذكر في كتب الأدلة تتعلق بها وقائع حربيَّة مشهورة في تاريخ السويد يبلغ سكانها اكثر من ١١ ألف نسمة ولكننا مع ذلك لم نميز منها شيئاً وما لبثنا ان بارحها الوابور وعدنا الى النوم

وما استيقظنا ثانياً الأ وقد وصلنا الى "نورْكوپنج" البلدة العظيمة الأهميَّة

الشهيرة في السويد بالتجارة والصنائع ومعامل الجوخ والصوف والقطن ومعامل السفن الحربيّة والتجاريّة حتى سميت "منشستر السويد" البالغ عدد سكانها ٢٨٥٠٠ نسمة يخترقها نهر "مُوتالا" حيث مصبهُ خليج "برَبِفك" الممد من بحر البالطيق فاهميتها ناشئة من اتصالها بهذا البحر واختراقها بذلك النهر ففارقناها واستمر بنا السير حتى وصلنا محطة "كَتْرِنْهُلْم" وقد طلع الفجر فبهرتنا مناظر البحيرات وكثرتها والمزروعات ونضرتها والمساكن وبهجتها وكلما تقدمنا بعد ذلك وتقدم النهار وانتشرت أشعة الشمس زادت المناظر بهجةً وحسناً حتى وصلنا مدينة "سُودِرتسليه" الزاهرة ومتعنا الطرف بما يحيط بها من المرائي الباهرة وما تشتمل عليهِ من القصور الفاخرة التي يسكنها اغنياء استكهلم في غير فصل الشتاء وما لبثنا أن تجاوزناها سائرين الى ان مررنا بمنفذ في الجبل طولهُ ٢٧٧ متراً ثم اجتزنا بحيرة "أرسْنافيك" على جسر ممتد عليها طولهُ ٢٧٠ متراً وعن يسارهِ بحيرة "مِيلار" الشهيرة ثم مررنا بمحطة استكهلم الجنوبيّة القديمة دون ان نقف بها بل سار بنا الوابور بعد ذلك في منفذ تحت الأرض طولهُ ٤١٧ متراً ثم على كوبري من الحديد ممتد على بحيرة "مِيلار" طولهُ ٢٢٢ متراً واصل الى جزيرتي "سْتَادِن" و "رِيدَّارْهُلْمِن" في وسط البحيرة وعليها جزء من المدينة ثم منها على كوبري آخر من الحديد طولهُ ٢٤٧ متراً مارّ بالبحيرة ايضاً حتى وصلنا الى محطة استكهلم المركزيّة والساعة سبعة وخمس دقائق صباحاً من يوم الجمعة ٣٠ أغسطس سنة ٨٩ بعد ان سرنا من مالمو اليها اكثر من ست عشرة ساعة قطع الوابور فيها ٦١٦ كيلومتر

فلما نزلنا من الوابور لم نجد بالمحطة صاحبنا الذي كنا نظن أنهُ ينتظرنا بها عند حضورنا ولا أحداً من قِبلَهِ ولم نعلم هل حجز لنا غرفاً في أحد الفنادق مع أنهُ

وعدنا وهو بمصر أنهُ يُرسل من ينتظرنا في حدود السويد وأن يكون دليلنا بها فضلاً عن الانتظار بمحطة استكهلم وأنهُ يُرسل الينا بمصر قبل مبارحتنا لها و بعد سفرهِ منها بمسافة قليلة الخرائط وكتب الأدلة التي تلزمنا في جميع سياحتنا وأخذ بذلك مُذَكِّرَة فلم يصلنا شيء مما وعدنا بهِ اللهمَّ الاَّ كتاباً عربي العبارة تاريخهُ ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٩ موجوداً عندي الى الآن أرسلهُ الى سيدي الوالد طلب فيهِ ان يتوسط لهُ في منحة من الجناب العالي فقام سيدي لدى سموهِ بالتوسط فيها فأجاب سموهُ ووعد بإنجاز ذلك لهذا الصاحب في المستقبل فكتب سيدي الوالد اليهِ ونحن في اثناء السفر بإحدى مدن ايطاليا كتاباً أخبرهُ فيهِ بما ذكر وما كنا نظن أن ذلك يوجب حنقاً وغيظاً مع ما كان يظهرهُ لنا من خالص الود والمحبة

ولكن عوَّضنا الله بَدلهُ صاحبنا الفاضل البروفسور تجنرفانهُ فضلاً عن نفعهِ لنا في الطريق كما تقدم هوَّن علينا الأمر بلطف محادثتهِ وحسن مؤانستهِ وصحبنا الى المدينة وأنزلنا "بجراند أوتيل" أحسن فندق فيها وصار يتردد الينا و يدلنا على أهم مواضع المدينة وأماكن الآثار ومحالّ التفرج والتنزه ويخرج معنا ويصحبنا في ذلك وقد تجدد لنا أصحاب آخرون من أفاضل اعضاء هذا المؤتمر كانوا كثيري التردد الينا والاحتفال بأمرنا والدلالة على ما يسرنا والحرص على مُصاحبتنا اثناء مجتمعات المؤتمر وخلال ولائمهِ واحتفالاتهِ ليلاً ونهاراً باستكهلم وغيرها من بلاد السويد والنرويج التي ذهبنا اليها

وكان الأولى من هؤلاء جميعاً صاحبُنا القديم نظراً إلى ما كان بيننا بمصر من التوددِ وسابق العشرة والتردد

وقد تذكرتُ حال هذا الصاحب عند كتابتي هذا الموضعَ وقارنت سابق

أقوالهِ بلاحق أفعالهِ وما أمّلتهُ فيهِ بما رأيتهُ منهُ وقابلت وعودهُ بخلفها وعهودهُ بخفرِها فعاد لي التأثر القديم ورأيتُ القلم جنح الى التفصيل والإطناب والتطويل والاستيعاب فامسكت عنانهُ خشية أن ينجرّ الى ما لا يستطاب وقلت ليس هذا بأول صاحب فيهِ الأمل خاب

وصف مدينة استكهلم

قد خصصتُ هذا الفصل بوصف مدينة استكهلم وما اشتملت عليهِ لا باعتبار تفرّقهِ على أيام اقامتنا بها لان ذلك أجمعُ للذهن ولنتفرغ بعدهُ لذكر المؤتمر ومقابلاتهِ واجتماعاتهِ وجميع متعلقاتهِ ان شاء الله تعالى

استكهلم عاصمة بلاد السويد وهي مدينة يسكنها ٢١٥٠٠٠ نسمة واقعة على ٣٤ً ـ ٢١َ ـ ٥٩ْ من العرض الشمالي وعلى ١٩ً ـ ٤٣َ ـ ١٥ْ من طول شرقي باريس قائمة على مصب بحيرة "ميلار" ـ العذبة الماء ـ في خليج عميق من خلجان بحر البلطيق يسمي "سَاتِسْيُون" ومعناهُ البحيرة الملحة وهو للمدينة بمثابة ميناء عظيمة وان كانت تغطيهِ الثلوج مسافة اربعة أشهر او خمسة في السنة

وبناؤها قائم على جزر وسهول ومرتفعات تجعل منظرها غريباً عجيباً بحيث يصح تشبيهها بمدينة وينيسيا او جنَوَه أو غيرهما من مدن اوروبا الجنوبيّة الشهيرة بالمياه والمناظر اللطيفة

وتنقسم الى ستة أقسام

الاول القسم المسمى "سْتَادِنْ" اي المدينة القديمة وهو قائم على اكبر جزر بحيرة ميلار يتوسطها وبهِ القصر الملوكي ويتبعهُ جزيرتان احداهما جهة الشمال منهُ

واسمها "ريَدّارْهاُمِنْ" والاخرى جهة الغرب منهُ واسمها "هلجنسهأمِن" وهذا القسم أهم بقْعَةٍ في المدينة بالنسبة للتجارة

الثاني قسم "نُورْمَلْم" وهو شمالي المدينة والبحيرة ويتبعهُ جزيرة "بلاَزِيهُولمْن" وهو أجمل أقسام المدينة وانظمها وبهِ الشوارع المتسعة والميادين الفسيحة والمحطة المركزيّة الّتي نزلنا بها والفنادق المعتبرة

الثالث قسم "أُوسْتِرْمَلْم" وهو شرقي القسم الثاني ومشابه لهُ في الانتظام واتساع الشوارع

الرابع قسم "كُونجِسْهلْم" وهو غربي القسم الثاني وفيهِ كثير من المعامل والمصانع والمستشفيات

الخامس قسم "سُودِرْمَلْم" اي الناحية الجنوبيّة فانهُ جنوبي البحيرة والمدينة وهو اكبر الاقسام اتساعاً وان كان اقلّ أهمية من باقي الاقسام

السادس قسم "سَالْستِيُو إِرْنِهْ" اي قسم جزر البحيرة الملحة ويشتمل على جزر "سْكِيپسْهلْمِن" وكَسْتِلْهلْمِن" و"دِيُورْجَارْدِسْتادِنْ" ويتصل بها جزيرة "بِكْهلْمِن"

وأقسام المدينة يُتوصل من بعضها الى بعض بكوبريات أهمها الكوبري المعروف بكوبري القناطر وهو يوصل من قسم "سْتَادِن" الى قسم "سُودِرْمَلْم" ثم كوبري "نُورْبْرُو" اي القنطرة الشماليّة وهو يوصل من قسم ستادن المذكور الى قسم نورملم ثم كوبري "وازا" وهو يوصل بين هذين القسمين ايضاً من جهة اخرى

ولنتكلم على هذه الأقسام مبتدئين بقسم "سْتَادِن" ثم نأتي بعدهُ على اقسام

الشمال الثلاثة ثم قسم الجنوب ثم قسم جزر البحيرة المحة

(قسم سْتادِنْ) يتوصل الى هذا القسم من كان بالاقسام الشماليَّة الَّتي بها الفندق الذي نزلنا فيهِ بواسطة الكوبري المسمى "نُوزْبُرُو" الممتد على أحد محال انصباب بحيرة "ميلار" بخليج "سَلْتَسْيُون" وهو مبني من الحجر الصوان فوق عمد منهُ بهِ سبع قناطر مشغولة جهتهُ الغربيَّة بدكاكين يُباع فيها كثير من الاشياء وجهتهُ الشرقيَّة بحديقة و يقصدهُ الناس فيرَوْن أحسن مناظر استكملت حركةً وتجارةً وظرْفًا ونضارةً

وبالجهة الشرقيَّة من هذا القسم رصيف مبني بالحجر الصوان في غاية العظم والمتانة ترسو عليهِ المراكب التجاريَّة

وتجاه هذا الكوبري القصر الملوكي في الزاوية البحريَّة الشرقيَّة من الجزيرة على مرتفع من الصخر وقد ابتُدِئَ في بنائهِ سنة ١٦٩٧ ولم يتم الاَّ في سنة ١٧٥٣ بعد ان تعطل العمل فيهِ زمناً لمناسبة بعض الحروب و يشتمل على طبقة أرضية وعلى ثلاث طبقات أعلى منها وشكلهُ مستطيل طولهُ ١٢٣ متراً وعرضهُ ١١٦ متراً في وسطهِ رحبة متسعة مربعة تقريباً وسُقُفهُ غير محدّبة فلا تظهر للرائي من الخارج ولوِجهتهِ الشماليَّة والجنوبيَّة جناحان طالت بهما هاتان الوِجهتان حتى قارب طولها بسبب هذين الجناحين ضعف الأَصل و يصعد الى وِجهة هذا القصر الشماليَّة من جهة الكوبري بمنحدر متقن الصنع يسمى "مطلع الأَسدين" نظراً الى صورتي أَسدين مجسمتين موضوعتين في أَول هذا المطلع من صنع أَحسن المصوّرين الوطنيين وللقصر مدخلان غير هذا أحدهما من جهة الغرب وهو مدخلهُ الأَصلي والثاني من جهة الجنوب

وأحسن محلاتهِ "قاعات المواسم والاحتفالات" وهي في الطبقة الثانية منهُ فمنها قاعة "ضباط الحرس" منقوشة بأحسن النقوش وصور الأسلحة المختلفة ومنها "قاعة الرقص والموسيقى" "وقاعة الاستقبال" "والقاعة الحمراء" وسقوف جميعها وجدرانها فيها رسوم وقائع تاريخيَّة متعلقة بالبلاد ومنها "القاعة الكبيرة" وطولها ٤٨ مترًا وعرضها سبعة أمتار "وقاعة الاحتفالات" وطولها ٤١ مترًا وعرضها ٣٥ مترًا وهما منقوشتان بأحسن النقوش والصور ويكثر فيهما التذهيب والزخرفة

وفي الطبقة الأولى "قاعة سيرافين" نسبة الى أرقى النياشين السويديَّة وأعلاها (وهي التي قدّم واحدًا منها في ١٩ ابريل سنة ١٨٩١ الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣٠٨ صاحبُ المقام السامي ولي عهد الحكومة السويديَّة وهو بمصر الى المغفور لهُ الجناب العالي الخديوي محمَّد توفيق الأول) وفي هذه الطبقة ايضاً قاعة "المجالس الشورويَّة" وهي التي يفتتح فيها الملك المجالس المذكورة ثم "قاعات سكنى الملك اسكار الثاني المعظَّم" وبجوارها "قاعات سكنى الملكة قرينتهِ" وفيها ايضاً من الجهة الشرقيَّة محلات سكن صاحب المقام السامي ولي العهد وقاعات سكن حرمهِ المحترم وبجنوب رحبة السراي كنيسة القصر

وتجاه وجهة القصر الجنوبيَّة ميدان واصل الى البحيرة بانحدار أُقيمت فيهِ مِسلة ارتفاعها ثلاثون مترًا تذكارًا للوفاء الذي لقيهُ الملك غوستاوْ الثالث من اهالي استكهلم في حروب فنلانده من ١٧٨٨ الى ١٧٩٠ حين انحراف أشرافها عنهُ وانتصارهم لأعدائهِ وقد أقام هؤلاء الأهالي لملكهم هذا في مقابلة ذلك تمثالاً مجسماً على الميناء

وغربي هذا الميدان "الكنيسة الكبيرة" — انشئت سنة ١٢٦٤ — وتحتوي

على نقوش نفيسة وأعمال بديعة بالفضة والعاج والأبنوس وعلى شمعدان ذي سبعة فروع من النحاس أهداهُ اليها بعض الملوك في القرن الرابع عشر ولوحتين كبيرتين من الرسم تمثّل إحداها يوم الحشر والحساب

فإذا مشى الانسان من هذا الميدان قليلاً وصل الى "الميدان الكبير" وهو واقع في منتصف هذا القسم وأعلى محل فيهِ وبإحدى جوانبهِ محل البورصة وقد بنيت من سنة ١٧٦٧ الى سنة ١٧٧٦

وقد حصلت في هذا الميدان حوادث كثيرة سفكت فيها الدماء وقتل في احداها الملك "مانيوس لادولاس" سنة ١٨٢٠ ثلاثةً من عائلتهِ وأبشعها الحادثة الشهيرة "بحمَّام الدم" فان كرستيان الثاني ملك الدانيمارك قتل فيها في يومي ١٠ و ١١ نوفمبر سنة ١٥٢٠ خلقاً لا تُحصى طمعاً في تثبيت سلطتهِ على بلاد السويد ولكن ما لبث ان حبط سعيهُ وزال ملكهُ عن هذه البلاد وخلّصَ غستاوْ وازا ملكَها من يدهِ سنة ١٥٢٣ لنفسهِ ولعائلتهِ بعدهُ

وفي الجهة الغربيَّة الشماليَّة من هذا القسم "ميدان رِيدَّارْهُوسْتْ" قائم بهِ تمثال غوستاوْ وازا مخلّص هذه البلاد من أيدي الدانيماركيين أقامهُ لهُ الاشراف عام ١٧٧٣ المتمّ مائتين وخمسين عاماً من حين تخليصهُ البلاد من الدانيماركيين

وعلى هذا الميدان "سراي رِيدَّارْهُوسْتْ" المعروفة ايضاً بسراي الاشراف — بنيت من سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٦٧٠ — وفي الطبقة العليا منها قاعة الأشراف كان يجتمع فيها مجلسهم النيابي الى سنة ١٨٦٦ محلًّى جميع جوانبها بشعائرهم وفي الطبقة الأرضية قاعة كبيرة مثلها فيها صور الماريشالات الذين كانوا من اعضاء المجلس النيابي من سنة ١٦٢٧ الى سنة ١٨٦٥

وهذه السراي هي التي تخصصت بعقد جلسات المؤتمر فيها عام حضورنا بهِ وسيأتي تمام الكلام عليها عند ذكر انعقاد المؤتمر وتجتمعاتهِ

وفي منتهى هذا الميدان كوبري يوصل الى جزيرة " ريدّارهُلْم " الصغيرة

واشهر ما بهذه الجزيرة كنيسة ريدّارهُلْم ولها برج عالٍ يبلغ ارتفاعهُ تسعين مترًا وقد جُعلت منذ زمن مقبرةً لملوك السويد وعظمائهم وبجدرانها نقوش شعائر الذين حازوا نياشين " سيرَافين " من اهل هذه الديار في حياتهم

وبها ايضاً سراي المجالس النيابيَّة وسراي المجلس العالي السويدي فاذا جاوز الانسان هذه الجزيرة الى الكوبري الممتد منها الى جهة الشمال وتعدّاهُ وجد جزيرة صغيرة أُعدت بها مدرسة لتعليم السباحة من طرف البلديَّة منذ عهد قريب سيأتي الكلام عليها في فصل مخصوص

(الأَقسام الشماليَّة) وهي ثلاثة كما تقدم قسم الشمال الوسطي وشرقيهُ وغربيهُ ولنبدإِ الكلام فيها بالفندق الذي نزلناهُ بالقسم الوسطى

وهو على رصيف متسع تجاه القصر الملوكي يفصل بينهما قسم من البحيرة الملحة بناهُ رجل فرنساوي اسمهُ كاذْيِيه بترغيب الملك لهُ وتشجيعهِ عليهِ وقد اعتني في تشييدهِ كل الاعتناء فجاء مماثلاً لأَحاسن فنادق أُوروبا المعدودة من الدرجة الأُولى وسماهُ " جرانْدْ اوتيلْ " وجعلهُ ذا خمس طبقات بعد الطبقة الأَرضيَّة ويشتمل على مائتين وخمسين حجرة وعلى نحو عشر صالونات للمسافرين الأَعاظم وخمس للأَكل والمجتمعات والمواسم والولائم يسع الواحد من هذه نحو مائتي نفس وفيهِ كثير من المُرْقِيَاتَ ومحلات المطالعة والاستراحة وحمامات متعددة ومحل قهوة ومحل للجرائد من سائر جهات العالم وبهِ الحلاقون كل ذلك

بغاية الزخرفة فالصالونات المخصصة بعظماء المسافرين والعمومية مزينة مذهبة مفروشة بأبهى الفرش وأغلاها وأبهج البسط وأعلاها وجميع محلاته مرونقة متقنة الطلاء فكأنما هو قصر ملوكي وقد صرف عليهِ منشئهُ مبالغ طائلة فقد بلغت مصاريف البناء والفرش واللوازم ثلاثة ملايين من الكورونات وبلغت أثمان أدوات المائدة وما يتعلق بها مليونين فبلغ الجميع خمسة ملايين فإن قيل إن في الرواية بعض غلو قلنا انهُ ليس بعجيب ان يُصرفَ هذا المبلغ في شؤون محل وشراء أرضهِ وانشائهِ معدٍّ لان يسع القدر الوافر جدًّا من الناس مع ما يلزم لهم من الاستعدادات مستضاء جميعهُ بأنوار الغاز ووجهتهُ قد وُضعت فيها المواسير من سائر جهاتها من الأسفل الى الأعلى لتُستضاء بها متى استلزم الحال ذلك فتصيرها كرابعة النهار وتسطع على ما جاورها من البحور والأنهار مستعدٍّ لنزول الملوك والامراء والعظماء واتقان صنعهِ والاعتناء بشأنهِ وكثرة خدمهِ وجعلهِ في أحسن موضع من المدينة تُضاهي هيئتهُ في الحسن والجمال هيئة القصر الملوكي القائم أمامهُ بل تزيد لولا ما يتصورهُ الخيال في ذلك القصر من الأبهة والجلال

واذا مشى الانسان على الرصيف المذكور متجهاً نحو الغرب مرّ بمتنزهٍ على البحيرة معروف "بحديقة السلطان" في قسمهِ الذي من جهة الميناء صورة كارلوس الثاني عشر مجسمة وفي قسمهِ الآخر صورة كارلوس الثالث عشر وهو أحب ملوك السويديين اليهم وبوسطهِ فسقية عظيمة

واذا تخطَّى هذا المتنزه وسار قليلاً على الرصيف وصل الى "ميدان غستاوف ادلف" وهو أمام القنطرة الشمالية التي سبق ذكرها وسمي بذلك نسبة الى الملك غستاوف أدُلف لقيام تمثالهِ فيهِ سنة ١٧٩٦ ويجتمع بهذا الميدان في اليوم السادس

من شهر نوفمبر كل سنة الذي هو يوم وفاتهِ جموع كثيرة ينشدون الأَناشيد الوطنيَّة ومنها نشيدهُ الذي أَلَّفهُ ايام حرب لهُ مشهور

وعلى يمين هذا الميدان قصر يعرف " بقصر ولي العهد " وقد بني من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ وعلى شمالهِ فندق ريدربرج وهو لصاحب الفندق الذي نزلنا بهِ ايضاً معدود من أَحسن فنادق البلدة وعلى يمينهِ التياتر الكبير بناهُ الملك غستاوْ الثالث من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٢ وكان محباً للأَدب وأَهلهِ معتنياً بشأنهِ محط رحال الادباء والشعراء والعظماء ومطمح انظار المشتغلين بفن الموسيقى والاناشيد فتقدمت في زمنهِ الادبيات السويديَّة تقدماً عظيماً

ويتفرع من ميدان غوستاو ادلف هذا طريق " فِريدِسْجَاتِنْ " ومعناهُ طريق الصلح وهو كثير الحركة توجد بهِ اكاديمية الفنون المستظرفة ومحل البوستة العمومي

ويتفرع من الميدان والطريق المذكورين كبار طرق استكهلم واكثرها اتساعاً ونظاماً اخصها " درُوتْنِنْجَاتَنْ " طريق الملكة " ورِيجِرنْجِنْجاتَنْ " طريق نائب الملكة

وعلى طريق الملكة هذا بعد مجاوزة أَولهِ ببعض دقائق " المتحف الشمالي " والمقصود منهُ معرفة احوال الشعوب في الشمال من سويديين ونورويجيين وعوائدهم وطبائعهم كيف كانت في الأَزمان الغابرة وكيف كانت فيها ملابسهم وآلات زراعتهم وصناعتهم وأَسلحتهم وهو وإِن كان حديث الانشاء لأَنهُ انشئَ في سنة ١٨٧٣ لكنهُ اجتمع فيهِ من الاشياء ما لم يتيسر بغيرهِ في أَزمان طويلة وهو كل يوم مع ذلك في ازدياد حتى إِنهُ زيد على محلاتهِ الأُولى اماكن أُخر كثيرة

ويحتوي هذا المتحف على كثير من القاعات رُصت فيها الاشياء بحسب كل صنف من الملابس والأدوات والآلات والأسلحة والفروشات كل مع مثلهِ وبحسب التواريخ حيث رُوعي في ترتيبها أن يكون الشيء مع معاصرهِ في التاريخ وبحسب البلد والإقليم ففُصلت فيهِ الاشياء المتعلقة ببلدٍ أو إقليم عن غيرها فيا لهُ من متحف بديع جمع فأوعى ويا لهُ من منبيء يخبر الانسان من أهل هذه البلاد كيف كان أهلهُ يصنعون في الأزمان الخالية وكيف كانوا يتعيشون وكيف كانوا يلبسون وكيف ترقى بهم الحال الى ما وصلوا اليهِ في المآل ولا شك انهُ اذا قارن الحال بالماضي يظهر لهُ الفرق ويعجبهُ حالهُ ويَنْعَمُ بالهُ ولكنهُ وقد علم ان الجد في السعي واسطة النجاح يجتهد في العمل الى بلوغ الأمل ويَحُثُّ نفسهُ على الاستمرار في التقدم الى الأمام حتى ينال من السعادة أوفاها ومن الثروة أقصاها ومن المعيشة أهناها ومن الأماني أرقاها

وعلى هذا الطريق ايضاً سراي اكاديمية العلوم وقد تأسست سنة ١٧٤١ وكان اول رئيس لها ذهْ لِينِّيهْ النباتي الشهير وعدد اعضائها الآن ١٧٥ عضواً منهم ١٠٠ سويديون ونروبحيون

وينتهي هذا الطريق بمحل الرصدخانة وهو على مرتفع يرى الرآئي منهُ أحسن المناظر

وبهذه الجهات البستان الشهير باسم "هُمْلْ جِبرْدِنْ" انشئ في القرن السابع عشر ويحتوي على كثير من الاشجار اللطيفة

وفي القسم الجنوبي من هذا البستان "الكتبخانة الاهليَّة" وقد بُنيت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٦ وتحتوي على اكثر من مائتي الف مجلد منها ثمانية آلاف

بخيط اليد وفي هذه كثير من الغرائب والكتب النادرة منها نسخة توراة باللاتينية عليها هوامش بخط لُوتيرْ صاحب مذهب البروتستانت المشهور

هذا وبشرقي الفندق الذي نزلنا بهِ "نَشيُونال مُوزيتْ" — المتحف الأَهلي — وقد بني من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٦٥ وهو بناءٌ مرتفع متقن لهُ وجهة عالية يشتمل على طبقة أَرضيَّة بها "المتحف التاريخي" "ومتحف الميداليات" وعلى طبقة أَعلى منها بها "متحف الصناعات" "ومتحف الصور المجسمة" وعلى طبقة ثانية بها "متحف الرسومات والتصاوير"

وأَول ما يستوقف النظر بالطبقة الأَرضية ثلاث صور مجسمة كبيرة في الدهليز تمثل معبودات اهل الشمال الثلاثة في الأَزمان القديمة وهي "أُودِينْ" و"تُورْ" و"فْرِيَرْ"

ومجموعة "المتحف التاريخي" ابتدئ في جمعها في القرن السابع عشر ولكنها زيدت كثيرًا في هذه الايام بهمة المسيو هِلْدِبرَانْد رئيس المتحف الملوكي وهو الذي ذكرنا إِعلانَ انتظارهِ لأَعضاء المؤتمر بثغر مَالْمو عند وصولنا اليهِ وتشتمل هذه المجموعة على جميع الآثار العتيقة التي عُثر عليها بالسويد من الأَسلحة وأَدوات المهرجان والزينة والأَدوات المنزليَّة وهي من أَجمع المجموعات التي من هذا القبيل

ويحتوي "متحف مصنوعات الفخار والصيني" على ٤٥٠٠ مصنوع من صنيع أَشهر الصناع في سائر الأَمكنة والبلدان كالصين والهند واليابان والبندقيَّة وفرنسا والنمسا والروسيا والمانيا الى غير ذلك من البلاد على اختلاف الازمان

ويشتمل متحف الصور المجسمة من الحجر او البرونز او غيرهما من المعادن على عجائب الغرائب

و"متحف الرسومات والتصاوير" بهِ اكثر من ١٣٠٠ لوحة من صنع أعظم الرسَّامين من بلاد السويد وغيرها قديمهِ وحديثهم

هذا وفي الرحبة الَّتي أمام المتحف صورة شخصين مجسمة من البرونز تُمثّل "المبارزة بالسكين" جديرة بأن يُتفرج عليها وهي تعبّر عن شخصين يتبارزان بالسكين على الطريقة الَّتي كانت متبعة عند الأُمم الاسكندناوية من أهل هذه البلاد قديمًا وذلك أن يربط المتخاصمان برباط من الجلد بحيث يكون صدر كلٍ منهما لصدر خصيمهِ وتُعطي لكلٍ منهما سكين قصيرة يمسكها بيدهِ اليمنى ويضرب بها خصيمهُ كيف شاء حتى ينتهي الحال بموت أحدهما لا محالة أو بموت كلٍ منهما وقد رُسمت على جوانب القاعدة الَّتي جُعلت عليها صورة المتخاصمين صورٌ ناتئة في الحجر رمزًا الى سبب المبارزة وما يترتب عليها تُمثّل واحدة منها السكر فإنهُ يُذهب العقلَ وواحدة الغيْرة المتسببة عن الحب وواحدةٌ حزنَ امرأةِ القتيل وأهلهِ

(قسم الجنوب) — وموقعهُ بالأرض القارَّة من جنوب جزيرة ستادن يتوصل منها اليهِ بكوبريين من الحديد قائمين على ملتقى بحيرة ميلارْ بالبحيرة الملحة ويمتاز عن غيرهِ من أقسام المدينة بارتفاع سككهِ بمناسبة علُو أرضهِ عن باقي المدينة حتى إنهُ يُصعد من شاطئ البحيرة اليهِ بالتدريج مسافة

ولاجل ان يسهل الصعود اليهِ انشأُوا عام ١٨٨٣ برجًا من الحديد "هيسِّن" على شاطئ البحيرة ارتفاعهُ مساوٍ لارتفاع أرض القسم عن الشاطئ جعلوا بداخلهِ مرْقيًا يتحرك بالبخار يوصل الى سطح البرج في نصف دقيقة بأجرة قدرها ٥ أورْ (١) في الصعود وثلاثة في الهبوط فيجد الانسان بهِ محلاً للأكل

(١) الاور هو جزء من عشرين من الكورون

والراحة ان أراد ويتوصل من هذا السطح بكوبري من الحديد امتداده ١٥٠ مترًا الى مستوى القسم بميدان "مُوزِيباكِهْ" وهو اكبر ميادينهِ بأحد جوانبهِ مدخل حديقة "مُوزِياكه" وهي محل تنزه وتفرج مشهور

وقد صحبنا الى هذا القسم صاعدين بهذا المُرْقي صاحبنا المسيو هيدين في يوم من الأيام وتفرجنا بدلالاتهِ على هذه الحديقة الغناء

وهو شاب من اهل السويد يبلغ عمره نحو خمس وعشرين سنة أحب السياحة في بلاد المشرق ورغِبَ في اهليها حتى ساح في بلاد العجم وتركستان والبصرة و بغداد وغيرها من بلاد آسيا الوسطى مع ما في السياحة في هذه البلاد من الصعوبة والمشقة وكتب رحلةً في سياحاتهِ وتعلمَ في اثناء أسفارهِ لغة الترك الأصليَّة التي يتكلم بها اهل أذربيجان وغيرها من هذه البلاد القاصية وهي غير محلاة بما دخل في اللغة العثمانيَّة الحديثة من الألفاظ العربيَّة والفارسيَّة وغيرها حتى إنهُ ينطق بها كما ينطق أصحابها من التفخيم والهيئة وقد تعرَّف بنا منذ حضورنا الى استكهلم بمناسبة عضويتهِ في المؤتمر فكان من ضمن من يفرّجنا على المدينة وضواحيها أوقات الفراغ من أعمال المؤتمر واجتماعاتهِ الرسميَّة وغير الرسميَّة مع اللطف وكمال الانسانيَّة احتفالاً بشأننا لاسيما مع حبهِ للشرقيين وولوعهِ بمعرفة لغاتهم وآدابهم وقد كان يحتفل بنا سواهُ أفاضلُ اعضاء هذا المؤتمر وأعاظمهم كما اشرنا الى ذلك آنفًا وسيجيء لهُ بعض تفصيل

وقد رأينا ونحن بسطح البرج وبحديقة مُوزيباكهْ المذكورة مناظر استكهلم وضواحيها وأرباضها على هيئة لا ننساها للطفها وبهجتها وحسن رونقها وكانت البحيرة الملحة "سَالتِيسْيُونْ" يمنة منا والبحيرة العذبة "ميلار" يسرة فكنا نبتهج

برآها وما فيها من الجزر الكبيرة والصغيرة والسفن البخارية والشراعية كذلك ما بين سفن راسية ووابورات صغيرة تنقل الركاب والاشياء من طرف الى آخر ومن جهة الى غيرها من جهات المدينة وضواحيها مما تحار منهُ العقول وتنبهر منهُ النواظر ويشهد لأهل هذه العاصمة بعلو الهمة وحسن القيام بمهام السعي في أمر المعاش واكتساب الثروة والغنى

وبمناسبة ذكر النقل بهذه السفن نتعرض الى ذكر وسائل النقل بهذه المدينة وهي العربات على اختلاف اصنافها فتسير في المدينة وضواحيها بالخيل او البخار ودفع اجرة الراكب فيها مما يُستغرب ويُتعجب منهُ فإنها اما ان يكون لها موظف لاستلام الاجرة فيتقدم امام الراكب ويُقدِّم اليهِ صندوقاً بيدهِ مغلقاً مثقوباً من أعلاهُ بقدر ما يسع قطع النقود فيضع الراكب اجرتهُ بالصندوق في ذلك الثقب من غير مراقبة عليهِ واما ان لا يكون لها موظف لذلك فهذه موضوع بجانب بابها صندوق مغلق مثقوب كالاول فيضع الراكب اجرتهُ بهِ بدون مطالبة ولا مراقبة واذا اراد صرف نقد لدفع الأجرة منهُ أعطاهُ للموظف او السائق حسب الحالتين المذكورتين فيعطيهِ ما صرفهُ بهِ من النقود جميعها في ورقة مختومة فيفضها الراكب ويضع منها الأجرة بالصندوق بنفسهِ وعلى كل حال كان يمكنهُ أن لا يضع شيئاً او يضع أقل من الأجرة حيث لا رقيب عليهِ ولكن المروءة وعلو الهمة وشرف النفس تمنعهُ من الخيانة وهذا نظير ما ذكرناهُ فيما سبق بإحدى المحطات في الطريق من أمر ترك الطعام لمن يأكل بدون مراقبة عليهِ مع دفع ثمن ما اكل او شرب بحسب إخبارهِ صاحب الطعام فيا عجباً لأمانة اهل هذه البلاد وائتمانهم

ومن وسائل النقل ايضاً الوابورات فمنها المخصصة بالنقل في داخل المدينة

من شمالها الى جنوبها ومنها الى الجزر وبعكس كلٍّ وهذه الصغيرة ومنها المخصصة بالنقل من المدينة الى ضواحيها على شواطىء البحيرة العذبة او البحيرة الملحة وهذه كبيرة بالنسبة الى الأُولى ومنها المخصصة بالنقل الى سواحل المملكة وغيرها من البلاد الأَجنبيَّة وهي اكبر من الأُوليين وإن اختلفت في نوعها كبرًا او صغرًا حسب اللزوم

(قسم جزر البحيرة الملحة) ويشتمل على جزيرة "سْكيپسْهُلْمِنْ" وأَهم ما بها دار للعساكر الطوبجيَّة وهي بناء مشيد يحيط بهِ اربعة بروج ومدرسة للحربيَّة وقدوضع امامها حجر تذكارًا للارساليَّة الَّتي اجتاز بها العالم الشهير "اليروفسور نُورْدُنْشُلْد" من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨٠ البحر المتجمد الشمالي في السفينة المساة "ويجا".

وعلى جزيرة "كَسْتِلْهُلْمِن" وتتصل بالسابقة بكوبري من الخشب وتُقصد بالتنزه لجمال مناظرها وما جاورها

وعلى قسم "دِيُورْ جيرْدِسْ سْتَادِن" من جزيرة "دِيُورْ جيرْدِنْ" في جهة الغرب منها وهو جزء المدينة الذي لم يزل باقيًا على بنائهِ بالأَخشاب

وعلى جزيرة "بِكْهُلْمِنْ" وهي جزيرة صغيرة بالقرب من هذا الجزء بها معامل كثيرة لصنع القطران

هذا وسكان هذه العاصمة لهم ميل كبير الى اكتساب العلوم والمعارف وقد شيدوا كثيرًا من المكاتب والمدارس وسعَوْا في تأْلُّفِ جملة جمعيات علميَّة منها جمعيَّة المعارف وجمعيَّة الفنون المستظرفة واكاديمية الثمانية عشر السويديَّة الشهيرة الَّتي من ضمن اعضائها صاحبنا الفاضل اليروفسور تِجْنِرْ الذي تقدم ذكر مقابلتنا بهِ بالسكة الحديد ومنها مدارس للمعارف والطب والمساحة والتجارة والتصوير حتى

مدرسة للصم البكم

وتجارتها في غاية الرواج وكذلك الصناعة منها صناعة الساعات والآلات المستعملة في الفنون الطبيعية والرياضية وصياغة المصوغات والحلي وفيها جملة معامل للدخان والجوخ ونسج القطن والكتان والحديد والحرير وتكرير السكر وعمل الزجاج والخزف والصباغة وعمل السفن وما يلزمها

﴿ التوجه الى محل المؤتمر ﴾

بعد ان نزلنا بالفندق المتقدم ذكره واخذنا ما يلزم لنا من أحاسن الغرف وصالونا للاستقبال رعاية لحالتنا الرسمية واسترحنا زمانا قليلا اجتمعنا في اثنائه بجناب الكونت ده لاندبرج فانه كان نازلا هو وحضرة الكونتيسه حرمه بهذا الفندق ايضا وقد أوصلنا مكاتبات عديدة وردت اليه من لدن اهلنا بمصر ليسلمها الينا كما كنا عرفناهم بذلك فحصل لنا الاطمئنان وزال اشتغال بالنا من جهتهم ركبنا عربة وقصدنا سراي "ريدارهوست" التي خصصت باجتماع المؤتمر لنتعرف الحال قبل انعقاده ونستفهم عما عساه ان يلزمنا بخصوصه من السكرتارية فوصلنا هذه السراي في بعض دقائق لقربها من الفندق فإذا هي محل مشيد متقن البناء له طبقتان أرضية وعلوية لكن الأرضية مرتفعة بدرج عن أرض الميدان الذي أمام السراي وسألنا عن محل السكرتارية لنكتب اسماءنا اتباعا لما ذكر بالوجه العاشر من "پروجرام المؤتمر" وكان قد طبع ووزع علينا بمصر قبل سفرنا منها وهو مشتمل على بيان الاجراآت التي تلزم الاعضاء وبيان أعمال المؤتمر وكيفياته باستكهلم وكرستيانيا عاصمتي السويد والنرويج من أولها الى آخرها ومبين فيه اليوم والساعة وسنأتي

على ذكر بعض فقرات من هذا البروجرام حسب اللزوم

فوجدنا محل السكرتارية هذا قاعة متسعة جدًّا فيها كثير من الكتبة وبعضُ اعضاء المؤتمر الّذين سبقونا فقابلونا جميعاً بالترحيب والاحتفاء وعرّفنا بهم أول من تعرّف بنا من كتبة السر وهو رجل لطيف الأخلاق يعرف العربيّة وأرانا ثلاثة دفاتر للكتابة فيها

أولها دفتر الاسماء فكتب كلٌّ منا فيهِ اسمهُ وبلدهُ ومحل اقامتهِ باستكمالهِ

وثانيها دفتر قيد الكتب التي تُقدَّم لسموّ الملك اسكار الثاني بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر من المؤلفات الجديدة وغيرها طبقاً للوجه الحادي عشر من البروجرام وقد كنت أحضرت معي نسخة من كتابي "جغرافية مصر" الذي ألّفتهُ سنة ١٨٧٩ لإهدائهِ لسموّ الملك فوجدت حضرة الكونت دهلاندبرج أهدى عني نسخة منهُ كنت أهديتها اليهِ قبل مبارحتهِ مصر فأهديت اليهِ النسخة الّتي كنت أرغب تقديمها بدل ما أهدى عني وشكرتهُ على ذلك[1]

(١) وقد ورد لي بعدُ من جناب رئيس سكرتارية سموّ الملك كتاب بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩ معلن بقبول سموهِ لمؤلفي المذكور ونشكرهِ لي على اهدائهِ وهذا تعريبهُ

"سيدي

"انهُ بناء على امر جلالة الملك أتشرف باحاطة جنابكم علمًا بوصول مؤلفكم الذي تفضلتم باهدائهِ الى جنابهِ الملوكي بصفة كونهِ حامي حمى مؤتمر المستشرقين الثامن الدولي ورئيس شرفهِ وقد كُلفتُ من حضرتهِ الفخيمة بابلاغكم جزيل ممنونيتهِ ومزيد مسرتهِ من تلك الهديّة النفيسة التي قدمتموها الى سدتهِ العليّة وحضرتهِ الملوكيّة

وتفضلوا يا سيدي بقبول فائق احترامي وأكيد اعتباري لحضرتكم

الامضا

رئيس سكرتارية

جلالة الملك

ده سلسنغ

ثالثها دفتر لبيان المواضيع التي يُريد عرضها الاعضاء على المؤتمر ليكون لهم حق التقدّم في العرض على من كتب بعدهم ما عزم على عرضهِ

فكتب سيدي الوالد كتابهُ المسمى "بعجالة البيان في شرح ديوان حسّان" وكتابهُ المسمى "الكلام على حال التعليم الجاري الآن بمصر في المكاتب والمدارس والجامع الأزهر"

وكتبت رسالتي المعنونة "بنبذة في إبطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربيّة الصحيحة باللغة العاميّة في الكتب والكتابة"

وكتب حضرة الشيخ حمزة فتح الله رسالتهُ المسماة "بباكورة الكلام على النساء في الإسلام"

وكتب حضرة محمود افندي عمر كتابهُ المسمى "أمثال المتكلمين من عوام المصريين"

وبعد المحادثة والمؤانسة مع من لقينا من الأعضاء وغيرهم والتفرج على محال السراي ومعرفة المعد فيها لافتتاح المؤتمر وجلساتهِ العموميّة قصدنا العودة الى الفندق فقابلنا حضرة الكونت دُه لاندبرج وأَخبرَنا أن سموّ الملك سيشرف محل السكرتاريّة بسراي المؤتمر في هذا اليوم الساعة ٣ بعد الظهر ويرغب ان يتعرّف بنا بهذه المناسبة قبل مقابلتنا المقابلة الرسميّة في اليوم التالي وطلب منا حضرتهُ بناء على ذلك ان نكون بمحل المؤتمر في الساعة التي عيّنها لنحظى بشرف التعرّف بسموّ ملك تلك البلاد فانصرفنا الى الفندق على ان نتغدّى ونستريح ونعود قبل الوقت الذي تعين

﴿ أوَّل مقابلة سمو الملك المقابلة الغير الرسمية ﴾

قصدنا سراي المؤتمر قبل الوقت المعينَّ للمقابلة فوجدنا بها حضرة الكونت دهلاندبرج فأعاد تفرجنا على القاعة المعدة لافتتاح المؤتمر وانعقاد جلساتهِ العمومية وهي مُستطيلة مرتفعة السقف جدرانها ملأى بشعائر الامراء السويديين رسماً عليها تسع نحوستمائة نفس يُدخل اليها من بابٍ في وسطها وفي صدرها مرتفع بنحو أربع درجات يتوسطهُ سرير الملك وعن يمينهِ و يسارهِ ومن خلفهِ كراسي معدَّة لاعضاء عائلتهِ ووزراء حكومتهِ وسفراء الدول لدى عظمتهِ وأمامهُ ترابيزة كبيرة عليها ما وسعتهُ من الكتب التي قُدِّمت اليهِ بمناسبة المؤتمر وبجانبها الأيمن ملاصقة كرسياً رئيس المؤتمر وكاتب اسرارهِ وبابعد عنها يميناً و يساراً كراسي قليلة أخبرنا حضرة الكونت ان التي على اليمين منها خصصت بجلوس وفد جلالة الخليفة الأعظم ووفد العجم وان التي على اليسارِ منها خصصت بجلوس الوفد المصري

ويلي هذا المرتفع من جهة اليسار مرتفع اقل منهُ علوًّا منفصل عنهُ وعن باقي القاعة مما يليهِ بحاجز خصص هذا بمندوبي الحكومات الرسميين لدى المؤتمر ومندوبي بعض المدارس الجامعة

وما عدا هذين المرتفعين من القاعة يجلس بهِ باقي اعضاء المؤتمر وقد خصص بالنساء فيها محل مرتفع يُشرف على الجالسين ويُصعَدُ اليهِ بسلمٍ من خارجها يسع نحومائة وخمسين

وقد أعطى حضرة الكونت كلَّ واحدٍ منا علامة العضوية في المؤتمر وهي

شبه وردة من قماش لمّاع ملوّنة بالالوان الّتي في علَمَي السويد والنرويج مثبتة في زِرٍ يُجعل في عروة السترة فوضع كلٌّ منا علامتهُ في الموضع المعد لها ثم نزلنا الى قاعة السكرتاريّة فوجدنا بها كثيرًا من الأعضاء مشتغلين بكتابة اسمائهم وما يريدون من الاستعلامات وغيرها ووقع بصرنا على واحد من بين الحاضرين لابس طربوشًا طويل القامة كامل الجسم كثّ اللحية اسودها رَحْب الصدر عظيم الوجه فأحدقنا نحوهُ النظر فرأيناهُ محدقًا نظرهُ الينا كذلك فاذا بنا كأن قوةً جذبتنا اليهِ وجذبتهُ الينا فتسارع كلٌّ منا الى الآخر وتصافحنا تصافح احباب طالت غيبة بعضهم عن بعض وقد تفرّس فينا اننا مندوبو مصر وتفرّسنا فيهِ لهيئتهِ أنهُ مندوب جلالة سلطاننا المُعظَّم وعرف كلٌّ منّا صاحبهُ واذا هو العالم الفاضل المحرر الشهير صاحب السعادة احمد مدحت افندي رئيس تحرير جريدة "ترجمان حقيقت" وصاحب التآليف المشهورة فأعدنا المصافحة وأخذنا باطراف الأحاديث بيننا وكنا متجهين الى باب القاعة واذا بداخل طويل القامة ذي لحية كثيرة الشيب حسن الطلعة تلوحُ عليهِ سيمي الهيبة والوقار لابس البسة ملكيَّة بإحدى يديهِ عصا وبالأُخرى قبعتهُ ووراءهُ رجال لابسون ملابس ملكيَّة ايضًا ففهمنا من احتفال القوم بهِ أنَّهُ الملك اسكار الثاني قد حضر كما اخبرنا حضرة الكونت وكان يصافح باليد بعض من بمرّهِ فلما انتهى الينا وكان صاحب العطوفة مدحت افندي أولنا من جهتهِ قدمهُ لسموهِ حضرة الكونت فصافحهُ باليد ومنحهُ تلطفاتهِ العالية والتفاتاتهِ السامية

ثم قدَّمنا الكونت الى سموّهِ يَقدُمنا سيدي الوالد فصافحهُ واخذ يخاطبهُ ممسكًا بيدهِ طول المخاطبة مسافة طويلة سألهُ في اثنائها عن صحة الجناب العالي

الخديوي الافخم قائلاً كلما ذكرهُ " مُونْ أَمي لُوكِيدِيوْ " اي حبيبي الخديوي وفي خلال محادثتهِ لسيدي الوالد صافحني بيدهِ الاخرى وطلب مني ان اكون ترجمانهُ لسيدي الوالد وان أُعيد الاستفسار منهُ عن صحة مولانا الخديوي واوضح تشكرهُ على ارسال الوفد المصري ومزيد سرورهِ من جعل سيدي الوالد رئيسهُ فشكرهُ سيدي الوالد على التفاتهِ وتعطفاتهِ وبلغهُ من مولانا الخديوي تسليماتهِ وتحياتهِ فافهمتهُ ما قال فتلقاهُ بمزيد البشر كل ذلك بغاية البشاشة وكمال الملاطفة وحسن الرعاية حتى إنهُ كان يستفسر من سيدي عن حال رحلتهِ ويتنزّل للاستفهام عن حالتهِ واختتم حديثهُ بانهُ سيقابلنا في الغد المقابلة الرسميَّة وودَّعنا قائلاً " أُورْ ُوفْوارْ " اي ان شاء الله نتلاقى وصافح بعدنا رفيقنا حضرة الشيخ حمزه فتح الله وحضرة محمود افندي عمر ثم خرج وما لبثنا ان خرجنا بعدهُ

اما سيدي الوالد فتوجه مع حضرة الكونت لمقابلة جناب ناظر الخارجيَّة وهو رئيس مجلس الوزراء ثم عادا الى الفندق فأسرع جناب ذلك الرئيس برد الزيارة اليهِ بهِ

واما انا فخرجت للتفرج في انحاء المدينة مع أَحد من تعرفت بهم اليوم من العلماء المستشرقين ولما قرب الغروب عدت الى الفندق فأَخبرني سيدي بزيارة رئيس الوزراء وبما لقي منهُ من لطف السجايا ولين الجانب وكمال الاعتبار ولا يُستغرب ذلك من أَهل هذه البلاد حسب ما رأَيناهُ من الاحتفال والبشاشة والتكريم والتعظيم لشأننا من جميعهم خصوصاً ما رأَيناهُ من سموّ مليكهم الجليل من الملاطفة والتعطف والالتفات في مقابلتهِ لنا هذا اليوم

ثم جاء وقت العشاء فخرجنا الى قاعة المائدة فوجدنا بها محلاً معدًّا لنا

فجلسنا فيهِ ومعنا باقي وفدنا وجلس معنا فيهِ حضرة الفاضل مدحت افندي وحضرة الكونت واثنان من أفاضل العلماء المستشرقين عرَّفنا بهما حضرة الكونت الموما اليهِ وهما حضرة البروفسور جلْدِتسيِّرْ الأُستاذ بمدرسة بوداپست الجامعة في عاصمة هنكاريا كما هو احد أعضاء أكاديميَّة العلوم المنكاريَّة وحضرة البروفسور أُوجست مُوللر معلم الأَلسنة المشرقيَّة بدار المعارف بكونكسبرج من أعمال المانيا

اما الاول منهما وهو البروفسور جلْدِتسيِّر فانهُ يحسن التكلم بالعربيَّة وهو أفصح من رأيناهُ يتكلم بها من العلماء المستشرقين ولا غرابة في ذلك فانهُ اخبرنا أنَّهُ اخذ العلوم العربيَّة عن علماء الجامع الازهر بهِ حتى تلقب بالازهري وعلى ما اظن انهُ اخبرنا ان من ضمن مشايخهِ بالازهر حضرة العلامة الفاضل الجهبَذ الكامل الشيخ محمَّد الأَشموني وهو مهذب الى الغاية حسن الاخلاق ربما لا يتجاوز سِنُّهُ الاربعين على ما يظهر وهو متوسط القامة ذو لحية بها بعض شعرات بيض واضع نظارة دائمًا على عينيهِ معلقة في سلسلة من الذهب دقيقة وقد حضر بهذا المؤتمر مندوبًا من قِبلِ حكومة النمسا

واما الثاني اي البرفسور أُوجست موللر فهو أَسودُ اللحية واسع الجبهة ويظهر أنهُ يعادل الاول في السن ولكن لا يفصح بالعربيَّة مثلهُ الَّا إِنهُ يحسن كتابتها وقد كتب اليَّ في ورقة زيارةٍ تحت اسمهِ بالعربيَّة ما لفظهُ "المعروف بابن الطحان" فلعلهُ كان بمصر لتلقي العلوم العربيَّة كصاحبهِ المتقدم الذكر فسمى نفسهُ بابن الطحان ويمكن ان يكون هذا اللفظ ترجمة اسمهِ الحقيقي ثم هما متلازمان في الصحبة لا يكاد أحدهما يفارق الآخر

فتجاذبنا مسافة الأكل كلها ومسافةً بعدها مع هؤلاء الأفاضل أطراف الحديث في مواضع كثيرة حتى انجرَّ الكلام الى المقارنة بين المشرق والمغرب والشرقيين والغربيين وطال البحث في ذلك

هذا وكنا قرأنا في الجرائد ونحن بمصر ان حضرة الفاضل العلامة الشيخ محمَّد محمود الشنقيطي تعيَّن مع حضرة صاحب العطوفة مدحت افندي مندوباً من قِبَلِ الجناب السلطاني فلما انا بهِ من سابق الصحبة وارتباط الالفة سألنا عنهُ حضرة الموما اليهِ فأفادنا أنهُ بارح دار الخلافة الى پاريس في مأموريَّة وترك حضرة الشيخ بالاستانة وأنهُ يمكن ان يحضر هنا قريباً

ثم بعد ذلك انصرف كلٌّ منا الى محلهِ وصرنا نتردد منذ هذا الوقت الى هؤلاء الافاضل وهم يترددون الينا ونزورهم ويزورونا حتى انتهاء المؤتمر

مقابلة الملك المقابلة الرسميَّة

لما كان الميعاد المحدد لهذه المقابلة الساعة الثانية بعد الظهر في يوم السبت ٣١ اغسطس سنة ٨٩ التالي ليوم قدومنا اجتمعنا قبلهُ بقليل نحن ورفيقانا في الوفد بصالوننا في الفندق لابسين ملابسنا الرسميَّة فحضر عندنا حضرة صاحب العطوفة مدحت افندي ثم أتى حضرة الكونت ده لاندبرج وكانا لابسين ملابسهما الرسميَّة ايضاً فاخبرَنَا حضرة الكونت بحضور عربات السراي الملوكيَّة لتوصلنا اليها

وهذه السراي وان كانت أمام الفندق لا يفصل بينهما الاَّ الميناء كما ذكرناهُ في وصف مدينة استكهلم لكن يلزم للوصول من الفندق اليها الاتجاهُ الى جهة

اليمين مسافة الى أن يصل الانسان الى الكوبري الموصل الى جزيرة سنادِنْ ثم ينثني بعد العبور عليهِ الى جهة اليسار حتى يصل الى مدخل هذه السراي

فركب سيدي الوالد وحضرة مدحت افندي في صدر العربة الأُولى وامامها الكونت ده لاندبرج وركب معي في العربة الثانية حضرتا الشيخ حمزه ومحمود افندي عمر وسرنا جميعاً بين اناس مصطفين مِن الجانبين يزيد عددهم عن عشرة آلاف جميعهم يحيينا الرجالُ برفع القبعة والنساء بإِشارات التحيَّات مع إِظهار البشاشة والبشر كل ذلك ورجال البوليس منتشرون بالطريق يحيوننا ايضاً ونحن نرد تحيات الجميع بالإِشارة حتى وصلنا الى السراي فقابلنا اولاً بعض الياوران ثم بعض رجال التشريفات ثم رئيس التشريفات في قاعة الاستقبال الكبرى وكلهم بملابسهم الرسميَّة ونياشينهم وما منهم احد الاَّ قابلنا بالتعظيم والتكريم وبعد ان انتظرنا بعض دقائق بهذه القاعة أمام المحل الذي فيهِ الملك مستعدًّا لملاقاتنا (والسر في هذا الانتظار على ما يخطر بالبال إِفادة القادم مهلة الراحة وازالة الدهشة حتى يكون اللقاء على أتم ما يكون من التأهب) اتى رئيس التشريفات واخبرنا بما كان اخبرنا بهِ الكونت ده لاندبرج أولاً من ان سمو الملك سيقابل حضرة مدحت افندي على انفرادهِ ثم يقابل الوفد المصري بعدهُ فتوجه حضرة مدحت افندي معهُ للمقابلة وبقينا ننتظر ورجال الحاشية الملوكيَّة يؤانسوننا حتى خرج مدحت افندي فدخلنا ومعنا الكونت ده لاندبرج فوجدنا جلالة الملك واقفاً مستعدًّا لمقابلتنا لابساً ملابسهِ الرسميَّة متحلياً بالنشان العثماني من الدرجة الأُولى فصافح السيد الوالد باليد وصافحنا كذلك فسلم اليهِ سيدي الوالد المحرر الخديوي الكريم المرسل برسم سموهِ وخاطبهُ بالخطاب الآتي نصهُ :

﴾ مولاي ﴿

" أُقدم لجلال مقامك الرفيع الشأن تحايا التعظيم والإجلال والثناء الفائق من لدن مولاي خديو مصر المُعظَّم مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموهِ المنطوي على خالص المودة المتضمن تعييني وتعيين رفاقي الماثلين بين يدي عظمتكم للحضور في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكيَّة الى انعقادهِ في هذه المملكة العامرة لما يترتب عليهِ من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمهِ واتحادهِ باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيهِ ولم يكن ذلك ليتأتى الاَّ بتوجيهِ همة الملوك اليهِ فلك يامولاي الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل وأختم قولي بتقديم واجبات تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكيَّة لاسيما في هذا الموقف النبيل لازال موقف إجلال ومنتهى كمال "

فبعد ان ترجم حضرة الكونت الى جنابهِ العالي مقالة سيدي الوالد أجاب سموُّهُ بما يفيد اظهار الممنونيَّة والمسروريَّة من قدوم هذا الوفد المصري للحضور بمؤتمر المستشرقين من قِبَل حكومة الجناب العالي الخديوي متشكراً من ذلك الجناب العالي على اعتنائهِ بإرسال الوفد المصري وجعلهِ تحت رياسة سيدي الوالد وعلى ما أهداهُ من الكتب التي ارسلها الى سموّهِ وقد قدَّم سيدي الوالد اليهِ فهرست هذه الكتب المهداة مكتوباً بخط أحسن خطاطي نظارة المعارف مشتملاً على اسماء الكتب وما أُلفت فيهِ واسماء مؤلفيها وهي ١٤١ مجلداً من نفائس الكتب العربيَّة في فنون شتى قد اعتُنِيَ في تجليدها وتذهيبها وقد سبق ارسالها الى حضرة الكونت على يد قنصل السويد والنرويج بالاسكندريَّة كتعريفهِ لنا قبل سفرهِ ثم أخبرنا عند قدومنا استكهلم بوصولها اليهِ على التمام

وبعد المكث معهُ هنيهةً كرر فيها سموهُ السؤال عن خال مولانا الخديوي المُعظَّم وتنزَّل الى ملاطفتنا انصرفنا وقوبلنا بمثل ما قوبلنا بهِ اولاً من الاحتفاء والاحتفال وركبنا العربات الرسميَّة والجموع تحيينا الى ان وصلنا الفندق ممتدحين سمو الملك شاكرين حسن تعطفاتهِ مسرورين مما لاقيناهُ من حاشيتهِ ممنونين مما حيَّتنا بهِ تلك الجموع في الذهاب والإِياب

ولا غرابة في ذلك من هذا الملك العظيم المتأسِّي بهِ حاشيتهُ وأهل بلدهِ اذ الناس على دين ملوكهم فانهُ قد تربى في مهد الفضل وتغذَّى بلبان العرفان وصرف نفيس عمرهِ في تحصيل العلم حتى سما ذكرهُ وارتفع صيتهُ بين الملوك وقد وُلِدَ سنة ١٨٢٩ ومن حين جلس على أريكة الملك وهو مجدٌّ في تشييد أمر العلم وانتشار المعارف ببلادهِ حتى صارت تباهي أحسن الممالك واكبرها في التقدم والمعلومات واشتهر بين العلماء بتآليفهِ وسابق المصنِّفين بتصانيفهِ والشعراء الوطنيين بأشعارهِ وأناشيدهِ حتى تُرجمت مؤلفاتهُ الى كثير من اللغات وتسارعت الجمعيَّات العلميَّة والنوادي الأدبيَّة الى اثباتهِ في عداد أعضاء الشرف منها

ولا شك أن من كانت هذه أوصافهُ ومزاياهُ حسنت معاملاتهُ وكرمت أخلاقهُ واتجهت أفكارهُ الى نفع رعاياهُ وتوجهت رغباتهُ الى جلب ما فيهِ الصالح لبلادهِ كما هو حال هذا الملك ولذا صار معظماً عند الجميع محبوباً لأحزاب المملكتين على السواء

هذا وبعد أن عُدنا الى الفندق واستبدلنا ملابسنا الرسميَّة بالملابس المعتادة خرجنا للتفرج بالمدينة ثم عدنا في المساء وبتنا وما زلنا بعد ذلك في تفرُّج واشتغال بما يلزم حتى كانت الساعة السابعة بعد الظهر من اليوم التالي يوم الأحد أول

سبتمبر سنة ٨٩ المخصصة باجتماع اعضاء المؤتمر اجتماعاً وُدِّياً بقاعات فندق جراند اوتيل الذي نحن بهِ للتعارف فتوجهنا الى هذا المجتمع لهذا الغرض

﴿ الاجتماع الودي ﴾

جُعل هذا الاجتماع كما قلنا لتعارف اعضاء المؤتمر بعضهم ببعض قبل اجتماعهم الرسمي في اليوم التالي فتوجه البعض كما توجهنا بصفة وديَّة وملابس غير رسميَّة الى قاعات من الفندق أُعِدَّت لذلك وهي قاعة وسطيَّة وأربع قاعات بجانبيها في غاية الاتساع بحيث يسعن نحو ثمانمائة نفس

وأعضاء المؤتمر ينقسمون الى اعضاء رسميين مندوبين من قبل حكومات او مدارس جامعة كبرى او جمعيات علميَّة شهيرة والى اعضاء غير رسميين وإلى ضيوف الملك

اما ضيوف الملك فمنهم وفد العجم ورئيسهُ حضرة محسن خان معين الملك وكان سفير الشاه لدى الخليفة الأعظم بالاستانة واعضاؤهُ حضرة الفاضل نجف علي خان وكان مأمور الشاه السياسي بالقطر المصري ونيروز خان وحسن خان كاتبا سر سفارة العجم بالاستانة ومنهم بعض علماء من اوربا بصفة أحباب الملك الخاصّين

واما الاعضاء الرسميون فاثنان عن جلالة الخليفة الأعظم وهما حضرة الفاضل مدحت افندي وحضرة الاستاذ العلامة الشيخ محمَّد محمود الشنقيطي وتسعة عن حكومة أُوستريا هنكاريا وواحد عن حكومة بَاذ وثلاثة عن بَاڤَارْيا واثنان عن

بُوسْنه وهرسك وواحد عن البريزيل واثنان عن مملكة الدانيمرك واثنان عن فرنسا واثنان عن حكومة الهند وثلاثة عن ايطاليا وواحد عن اليابان واربعة عن هولانده وواحد عن البرتغال وواحد عن رومانيا واثنان عن روسيا وواحد عن مملكة ساكس وواحد عن مملكة سيام هذا فضلاً عن مندوبي حكومة مصر الأربعة

وأما مندوبو المدارس الجامعة الكبرى فستة من ألمانيا وخمسة من أوستريا هنكاريا واثنان من باڤاريا واثنان من الدانيمرك واثنان من الممالك المتحدة بأميريكا وواحد من فنلانده وستة من بريطانيا الكبرى وواحد من الهند وواحد من ايطاليا واثنان من روسيا وواحد من القزان واثنان من السويد

وأما مندوبو الجمعيات العلميّة فثلاثة من المانيا وخمسة من أوستريا هنكاريا وواحد من بلجيكا واثنان من الصين وواحد من الولايات المتحدة بأمريكا وواحد من فنلانده وأربعة من فرنسا وعشرة من بريطانيا وواحد من الهند وثلاثة من ايطاليا وأربعة من هولانده والهند التابعة لها وواحد من روسيا

ومجموع الاعضاء الذين صار الاكتتاب منهم بالاشتراك في هذا المؤتمر ٦٤٦ عضواً منهم السويديون والنرويجيون حسب ما اتضح كل ذلك من المطبوعات التي وُزعت علينا ببيان أعضاء المؤتمر عند وصولنا هذا المجتمع في هذه الليلة

فاذا استنزلنا من هذا العدد الأعضاء النرويجيين وعددهم كما يتضح من المطبوعات المذكورة آنفاً ثلاثة واربعون وفرضنا ان الذين اكتتبوا بعضوية المؤتمر ولم يحضروا ومن ذلك بعض الجمعيات العلميّة وعددهم من ٥٠ الى ١٠٠ كان عدد الحاضرين في مجتمع هذا المساء من ٥٠٠ الى ٥٥٠ عضواً

وفي المطبوعات التي أخذناها عند الدخول النسخة الأولى من "يومية اخبار المؤتمر" بيّن فيها ما سيصير اجراؤه في احتفال غد بغاية الايضاح وكل يوم يُعطى للأعضاء نسخة بما سيصير في اليوم التالي محررة بقلم سكرتارية المؤتمر

وكُتِبَ في هذه النسخة الأولى أن افتتاح المؤتمر سيكون غداً ثاني سبتمبر سنة ١٨٨٩ بسراي "ريدارهوسْتْ" وأن الصعود الى قاعة الافتتاح وهي المعروفة "بقاعة الشعائر" يكون من السلّم الكبير والدخول اليها من الباب الذي بالجهة اليمنى وأن اعضاء المؤتمر مرجو حضورهم الى هذه القاعة والجلوس بمحلاتهم المعدة لهم فيها قبل الساعة ١١ و ٤٥ دقيقة ليكونوا مستعدين لحضور سموّ الملك وأنهُ لا يقدم الى سموّهِ الّا الاعضاء المندوبون من قبل الحكومات الأجنبية ومن يتفضل بقبولهِ من غيرهم وانهُ ليس لاحد ان يتكلم في هذه الحفلة غيرُ الذين تقرر بالسكرتارية انهم يتكلمون اذ زمن هذه الحفلة محدود ولا يتأتى إطالتهُ زيادة عن اللازم وأن قسماً من الكتب المهداة الى سموّ الملك قد وُضع على الطاولة الموجودة أمام سموّهِ الجالس عليها رئيس المؤتمر وكاتب اسرارهِ وباقيها وُضع في قاعة القسم الثاني من الفصل الأول مع غيرهِ من الهدايا إذ قاعة الافتتاح لا تسع ان تُوضع فيها جميعها وانهُ بعد انفضاض الحفلة ومبارحة سموّهِ الجلسة يتوزع الاعضاء على القاعات المخصصة بالفصول التي اختصوا بها لانتخاب الرؤساء والوكلاء وكتاب الأسرار لكل فصل ما عدا اعضاء الفصل الرابع والفصل الخامس فإنهم لعدم وجود محلات كافية مع قلتهم يبقون بقاعة الاحتفال فينتخبون فيها من ينتخبون وأنهُ وضعت كتابات على كل محل لبيان ما خصص بهِ من الفصول وان مخبري الجرائد يقفون عند حفلة الافتتاح بنوافذ القاعة ويكون المخبرون الأجنبيون

وراء السفراء والمخبرون السويديون وراء مندوبي الحكومات الأجنبية وأن اعضاء المؤتمر مرجوٌّ منهم كل الرجاء ان يستديموا واضعين الوردة التي اعطيت لهم بألوان علمي السويد والنرويج في صدورهم ولا يغني عنها التزيي بملابسهم الرسمية ونياشينهم اذ صدرت التنبيهات الشديدة على سائر المستخدمين بان لا يُدخلوا من لم يكن حاملاً لهذه العلامة وأن أعضاء المؤتمر من أجانب وسويديين هم ونساؤهم يدعوهم سموّ الملك الى الحضور بالاحتفال الذي سيحصل اكراماً لهم بقصر "درُوتننجهلم" الملوكي في مساء يوم الاثنين ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩ فيركبون لذلك في وابورات ثلاثة "تيسَّان" "وفيكتوريا" "وفكسهلم" تنتظرهم على رصيف جزيرة "رِيدَّارْهلْم" فتسير بهم في الساعة السادسة مساء نحو ثلاثة أرباع ساعة حتى تصل بهم الى القصر المذكور وتعود بهم نحو الساعة تسعة ونصف الى حيث أحضرتهم وأن الرجال في احتفال الافتتاح يكونون بكساوي التشريف والنياشين ويكونون ايضاً كذلك في احتفال درُوتننجهلم ونساؤهم في هذا الاحتفال الاخير يكنّ بالملابس المعتادة ويلبسن القبعة

هذا ما جاء في يومية اخبار المؤتمر عن اجراءات اليوم التالي وستستمر على الظهور لكل يوم يومية حتى ينتهي المؤتمر وينفض مراعاةً لضبط الأعمال واعلانها لعموم الأعضاء قبل الوقت بمسافة تسع استحضارهم لها واستعدادهم لما يطلب منهم اجراؤهُ وهي محررة باللغة الفرنساوية

وبعد مطالعتنا ما جاء بهذه اليومية واطلاعنا على جدول أسماء اعضاء المؤتمر دخلنا الى حيث الاعضاء مجتمعون فوجدناهم متفرقين في قاعات الاستقبال يتحدث كل منهم مع آخر ويتعارفون ببعض بمبادلة أوراق الزيارة المكتوب عليها اسماؤهم

وبمجرد دخولنا رأينا منهم اقبالاً علينا واتجاهاً لجهتنا واعتناء بشأننا واحتفاء واحتفالاً بنا وصار من نعرفهُ منهم يعرّفنا بمن لم نعرفهُ ويعرّفهُ بنا حتى تكاثرت اصحابنا وتعددت معارفنا

وقد وجدنا بهذه الحفلة صاحبينا اللذين أكلا معنا أمس وهما الپروفسور جُلْدتسِيِر "الازهري" والپروفسور مُولِّر "بن الطحّان" وصاحبنا هيدين الشاب الذي تعلّم لغة الترك في السياحة بآسيا الوسطى مع ما في السياحة بتلك البلاد من مشاقّ السفر ومخاوفهِ وعدم دوام تيسر الركائب وعدم انتظام محلات النوم وعدم الاستعداد في الاكل وقد سبق لنا الثناء على هذا الشاب وذكرنا انهُ كثيرًا ما صاحبنا في استكهلم وضواحيها

فساعدنا هؤلاء الصحب ايضاً على التعرّف باعضاء المؤتمر فعرفنا منهم عددًا عظيماً ودامت الصحبة واستمرّت روابط الأُلفة مع بعض من عرفناهم في هذا المساء وبعدهُ ممن ساعقد لبيان بعضهم فصلاً مخصوصاً بعد هذا تحت عنوان "من تعرّفنا بهم في المؤتمر"

واقتصر الآن على ذكر ما أدهشني وأعجبني من اجتماع هذه الخلائق وقد بلغ عددهم ٥٥٠ نسمة كما تقدّم يموجون في هذه القاعات وينتقلون من قاعةٍ الى أخرى ومن محلّ الى آخر وكأس حديثهم دائرٌ بينهم مع كونهم وافدين من أطرافَ الدنيا مشرقها ومغربها جنوبها وشمالها وفيهم من سائر أصناف العالم أبيضهم وأسمرهم على اختلاف مذاهبهم واعتقاداتهم بين مسلمين ومسيحيين ويهود ومجوس وعَبَدَة أوثان وعلى اختلاف ملابسهم فالهندي لابسٌ ملابس بيضاء من أوّلها الى آخرها حتى القَلَنْسُوَة حسب الشكل المخصوص بطائفتهِ والعجمي متزيٍّ بقلنسوة

سوداء والتركي والمصري بطربوش أحمر والأزهري من المصريين بقفطان وجبةٍ وفرجيّة وعمامة والقسيس بملابس مَذهبِهِ والعربي الجزائري بملابس صوف بيضاء على الشكل البدويّ والجركسي بقلنسوة مخصوصة وسترة ذات فتحات بارزة في صدرها معدّة لوضع الأسلحة والبارود وعلى اختلاف اللغات وتعدُّدها بين عربي وتركيّ وفارسيّ وچركسيّ ويونانيّ وهنديّ وماليّ ويابانيّ وعبرانيّ وفرنساويّ وانجليزيّ والمانيّ وطليانيّ وسويديّ ونرويجيّ الى غير ذلك

وأخص من هؤلاء الأقوام المشتغلين باللغات العربيّة فقد بالغوا في اكرامنا والاحتفاء بنا وكثيرًا ما أخبرونا بإسلامهم وبمعتقداتهم السُّنيّة حتى "إن أحد اصحابنا" حين عرّفنا بأحدهم قال "هذا مسلم قح" وهم لازمونا وسيّدي الوالد وصاروا يُقدّمون اليهِ من يحُبّون ان يتعرّف بهِ ونتبادل أوراق الزيارة الّا ان النساءَ كنّ لا يكتفينَ في الغالب بهذه الأوراق المطبوعة بل يطلبنَ من السيّد الوالد ان يكتب اسمهُ بخطهِ في مذكّراتهنّ ليبقى ذلك أثرًا لهُ عندهنّ وتذكارًا لهنّ

ولمّا جاءَ وقت تعاطي الطعام وكان نصف الليل بالتمام فُتحت أبواب قاعة كبيرة فيها موائد متعدّدة على الطراز الوطني في هذه البلاد أعني ان المآكل مرصوصة في وسطها على طولها في اطباق مناسبة لها في الكبر والصغر تحيط بها اطباق صغيرة معدّة للاكل فيها وملاعق وسكاكين وشوك وسائر لوازم الاكل فالآكل يأخذ ما يستحسن ويختار لنفسهِ ما يحلو ويأكل اينما يريد على الموائد الوسطيّة ان وجد فسحة او على إحدى الموائد الموضوعة في جوانب القاعة ان وجد سعة او واقفًا يتحدّث ويتسامر مع من يريد وكيفما يُريد فان فرغ صنف اخذ غيرهُ وهكذا حتى يكتفي والمآكل التي أُعِدّت في هذه الليلة أعدّها

منظمو المؤتمر على نفقاتهم إكراماً للاعضاء وهي من قبيل ما يسمّى "بالاطعمة الخفيفة" فإنها كانت تشتمل على مأكولات باردة من لحم الضأن والطيور والدجاج وعلى حلوآت وبعض مشروبات خفيفة ليس الاّ

فأجهد العلماء المستشرقون انفسهم وأفرغوا جهدهم في خدمة سيّدي الوالد فمنهم من أوسع لهُ محلاً يجلس فيهِ ومنهم من كان يسألهُ عما يريد فيحضرهُ اليهِ ومنهم من كان يسألهُ عما يرغب ان يشرب من المياه المعدنيّة أو العاديّة فإنهم تحاشوا شرب غير ذلك إجلالاً لهُ وجلسوا بجانبهِ وبجانبنا نأكل ونتسامر فيما يكون في الغد بحفلة الافتتاح وبعدها وفيما يكون في الاجتماع بالفصول والحديث ذو شجون فكنا ننتقل من موضوع الى غيرهِ وكل ذلك مما يدل على شدة رغبة هؤلاء الأفاضل في خدمتنا والتفضّل بمساعدتنا ومما يشف عن رغبتهم في استماع التكلم بالعربيّة واجتهادهم في ان يتكلموا بها وإجهادهم انفسهم في تفهيم مقصودهم منها فمنهم من كان يصل الى فهم ما يُلقى اليهِ بتأنٍّ كامل ولفظ واضح ومنهم من كان يرغب في ان يُفيد ما في ضميرهِ بالعربيّة فلا تمكّنهُ عجمتهُ منهُ وليس ذلك بغريب فقد أخبرنا بعضهم اننا أول من سَمِعَهُ يتكلم بالعربيّة أما من جاء منهم الى بلادنا ومكث بها زمناً مثل البروفسور جلدتسيّر ومثل الاستاذ شِيفِر رئيس مدرسة الألسنة المشرقيّة بباريس فكان كلٌّ منهم يتكلم بالعربيّة ويُحسن النطق بها وفهمها وتفهيمها وكنت اترجم لمن لا يفهمها تكلماً ونطقاً ولمن يفهما ولا يتكلم حتى انتهى قسم كبير من الليل ولم ينتهِ الكلام فودعنا صحبنا وتفرق كلٌّ الى مضجعهِ

من تعرّفنا بهم في المؤتمر

تقدم الكلام في أننا تعرّفنا بحضرة الفاضل احمد مدحت افندي مندوب السلطنة السنيّة العثمانيّة بهذا المؤتمر وهو مدير المطبعة العامرة بالاستانة ومن أعضاء مجلس الصحة والكورنتينات وباشكاتبهِ ورئيس تحرير جريدة "ترجمان حقيقت" وحائز لرتبة بالا الرفيعة ومن مشاهير المؤلفين العثمانيين وأعظم محب لوطنهِ وساعٍ في اعلاء شأنهِ وكذلك في أننا تعرّفنا بالپروفسور جلْدتسيِرْ "الأزهري" والپروفسور أَوجُسْتْ موللر "بن الطحان" وبالشاب هِيدِيِنْ واذكرهنا غيرهم ممن صار الاجتماع معهم والتعرف بهم في مجتمعات المؤتمر حسب ما اتذكر

فممن عرفناهُ وفد العجم ورئيسهُ محسن معين المُلْك خان وكان سفير العجم في الاستانة وهو رجل مهذب عالم عارف بالسياسة ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الجسم يعرف بعض اللغات الأجنبيّة وأعضاؤهُ حضرة الفاضل الجنرال نجف علي خان وكان معتمد دولة إيران السياسي لدى حكومة الجناب الخديوي المُعَظَّم وهو معروف بالفضل وسعة الاطلاع وحضرتا حسن خان ونيروز خان من كتبة السر بسفارة العجم بالأَستانة وقد سبق ان هذا الوفد الرسمي من ضيوف ملك السويد أعني ان مصاريف إقامتهم على حساب سموّهِ وان كانوا نازلين بإحدى جهات الفندق الذي نحن بهِ

وممن عرفناهُ وفد فرنسا وهو مؤلف من جناب المسيو شِفِر أحد أعضاء المجتمع العلمي الفرنساوي ورئيس مدرسة الألسنة المشرقيّة بپاريس وهو يُحسن التكلم بالعربيّة والتركيّة وقد سبقت لهُ الإقامة بمصر مدة بصفة مترجم بالقنصلاتو

الجنراليّة الفرنساويّة فيها زمن جنتمكان محمّد علي باشا وبعده كما انهُ أقام مدة في بلاد الدولة العليّة وعرفنا مع هذا الفاضل ابنهُ ومن المسيو أوبير أحد أعضاء المجتمع العلمي ايضاً وأحد أساتذة المدرسة الشهيرة "بكوليج ده فرانس" وهو يعرف اللغة التركيّة ايضاً وان كان تكلمهُ بها أقل من رفيقهِ المومأ اليهِ

وممن عرفناهُ وافد الجزائر وهو حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ شعيب بن عبدالله قاضي تلمسان سنهُ نحو الستين وربما زاد ملابسهُ من الصوف الأبيض كما هو الحال في لبس المغاربة هو والشيخ بشير كاتب محكمتهِ وقد أتى معهُ ليكون ترجماناً لهُ

وممن عرفناهُ وفد بوسنة وهرسك وهو مؤلف من خلوصي افندي محاسبجي الأوقاف ومن الدكتور كِرسميريك

وممن عرفناهُ جناب البارون ده كريمر أحد وافدي النمسا من اعضاء المجتمع العلمي بها وكان وزير ديوان التجارة هناك وقبل ذلك كان من اعضاء صندوق الدين العمومي بالقطر المصري وهو مهذب الأخلاق الى الغاية ويحسن التكلم باللغة العربيّة وقد بلغنا انهُ توفي ببلدهِ بعد انفضاض المؤتمر بقليل

وممن اجتمعنا معهُ جناب البروفسور برُوكش باشا من وافدي المانيا الشهير بمعرفة اللغات المصريّة وكنا نعرفهُ بمصر مذ كان ناظر مدرسة اللغات القديمة بها وقد أقام فيها زمناً طويلاً ويحسن التكلم بالعربيّة وغيرها من اللغات المشرقيّة كالتركيّة والفارسيّة

وممن عرفناهُ حضرة البروفسور مكس مُولّر من اساتذة مدرسة دار العلوم في اكسفورد من اعمال انجلتره وهو مشهور في أوروبا وغيرها باستكشافاتهِ العلميّة وتعمقهِ في معرفة ألسنة الهند والصين يبلغ من العمر نحو الستين سنة أبيض اللون

مُشَرَّبٌ بحمرة لحيتهُ وشارباهُ محلوقة الّا ما جاور الأُذن تصحبهُ امرأتهُ وهي تعرف اللغة الالمانيّة والفرنساويّة فضلاً عن الانجليزيّة

وممن عرفناهُ من الاعضاء الروسيين الأُستاذ كُوتوَال مدير كتبخانة دار المعارف بقازان وهو شيخ هرم يبلغ عمرهُ نحو الثمانين تصحبهُ ابنتهُ مدام كِره لِلْنبِزج لمساعدتهِ على السفر ومعاونتهِ فيهِ وسيدة من الروسيات متوطنة ببلاد القازان اسمها الذي اشتهرت بهِ في المؤتمر كِلنار والحقيقي لِبِهْ دُف اما الشيخ الهرم كوتوال او "يوسف كُوتوَال" كما كتب ذلك بيدهِ في ورقة أعطاني اياها تذكارًا باسمهِ فهو من أحسن من رأيناهُ محبًّا للإسلام والمسلمين ومتبحرًا في العلوم الإسلاميّة ولهُ معرفة تامة بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة فضلاً عن معرفتهِ كثيرًا من اللغات الأُوربيّة كالفرنساويّة والألمانيّة زيادة على لغتهِ الأَصليّة الروسيّة ولهُ تلامذة كثيرون في مدن الروسيا وفي مدارسها الجامعة الكبيرة وأخبرنا انهُ طبع وصحح كثيرًا من كتب العقائد الإسلاميّة المستعملة ببلاد التتار وأنهُ كثير الاختلاط بعلمائهم مشغوف بصاحبتهم حتى إن حُسْن الظن في عقيدتهِ لا يختلف فيهِ اثنان في تلك البلاد

واما بنتهُ مدام كِرَه لِلْنبِرْج ويبلغ سنها نحو الخمسين فهي طويلة القامة سمراء اللون لا تعرف غير لغتها وبعض الفرنساويّة وقد أتت لمساعدتهِ وخدمتهِ في السفر كما أسلفناهُ تاركةً اولادها عند زوجها

وقد صاحب سيدي الوالد هذا الشيخ وكلما طالت الصحبة راقهُ حديثهُ واعجبتهُ دماثة اخلاقهِ وظهر لهُ حسن اعتقادهِ وقد سألهُ ذات يوم عن الشيخ محمَّد عيَّاد الطنطاوي من أعاظم علماء الازهر المتبحرين في علوم الأدب صاحب التآليف العديدة والشعر الرقيق وكان توجه الى بلاد الروسيا وأقام بها هل هو حيٌّ او ميتٌ

وهل أعقب ذرية او لم يعقب فأخبره الشيخ كوتوال كما قيدته وقت ذاك في ورقة محفوظة عندي أن الشيخ محمد كان بالمدرسة الكبرى و بديوان الخارجية بسان بطرسبورج معظماً غاية التعظيم محترماً الى النهاية مرتباً له معاش عظيم وكان له ولد وزوجة وأنه مات في سنة ١٨٦٢ على ما يتذكر ومانت بعده زوجته وكانت من مصر علوية و بعدها توفي ولده وكان اسمه أحمد على ما يظن وان الشيخ محمداً المؤما اليه دفن في بطرسبورج حيث قبور المسلمين بها وقبره معلوم هناك وكذلك قبر زوجته وابنه

وأما مَدَام كلنار او مَدَام "أولجاده لِبْهْ دُفْ" فروسية من عائلة غنية ولها أملاك متسعة في قازان كانت تستعمل فيها كثيرًا من العملة التتاريين فعرفت منهم بعض كلمات رغبتها في تعلم التركي فتعلمته وأحبت أهله حباً شديدًا وتعلمت ما يدخل فيه من العربي والفارسي وهي تعرف مع ذلك زيادة عن لغتها الأصلية الروسية اللغة الانجليزية والالمانية والرومية والفرنساوية وتجيد فن الرسم والتصوير مع ان سنها على ما يظهر لا يتجاوز الاربعين وقد اخبرتنا أنها لشغفها بمحبة العثمانيين تلبس في القازان ملابسهم وتلبس أولادها الطرابيش وهي في غاية الاطلاع وفرط الذكاء ذات رقة وملاطفة وكثيرًا ما تحادثنا معها في عوائد الشرق والشرقيين وقد طلبت من سيدي الوالد ان يكتب لها ابياتاً يذكر فيها اسمها فأنشأ لها ابياتاً كتبها لها بخطه ضاعت مني صورتها وعندي من آثار هذه المحترمة المحبة للشرق وأهله ورقة بها صورتها وتحت الصورة كتبت بخطها بالعربي هذه الكلمات :

"لجناب الحضره عبد الله فكري باشا في " ١٦ محرم سنة ١٣٠٧ تذكارًا من مخلصنك

"كلنارلبه دف"

ومن عرفناهُ حضرة الكونت أنجلو دي جوبرناتس الأُستاذ بدار المعارف العليا بفلورانسا ووافد حكومة ايطاليا بهذا المؤتمر وهو زيادة عن تضلُّعهِ في العلوم الشرقيَّة خطيب بلغتهِ بليغ تأخذ الفاظهُ بالالباب لزيادة رقتها ووفور انسجامها وحسن إلقائها

ومن اجتمعنا بهِ صاحبنا البروفسوردُه جُويه الأُستاذ بدار معارف ليَدِن وقد سبقت لنا ملاقاتهُ بالمدينة المذكورة كما تقدم وقد حضر معهُ الى المؤتمر أحد اصحاب مطبعة بريل التي مرَّ ذكرها بليدن

ومن عرفناهُ المسيو دِيرِنهيم رئيس هذا المؤتمر عن السويد وهو رجل لطيف الأخلاق مشهور في بلادهِ بسعة المعارف والاطلاع متوسط القامة بلحيتهِ شيب يتكلم بالفرنساويَّة وقد كان من الوزراء وهو وقت المؤتمر رئيس دار المعارف بأُپسالا ورئيس المجتمع العلمي الزراعي

ومن عرفناهُ المسيو هِلدِبرَاند وهو رئيس متاحف المملكة الأثريَّة كثير التضلع في التاريخ وآثارهِ

ومن عرفناهُ المسيو ذه بيلجرِ من وافدي ألمانيا وهو شاب كثير المعارف والتحبب الى الشرقيين بسبب خدمتهِ بقنصلاتو ألمانيا في سلانيك وسياحتهِ في البلاد العثمانيَّة وقد تودَّد الينا كثيرًا وانتظرنا في برلين فتفرَّجنا معهُ عليها في العودة كما سيأتي الكلام عليهِ

ومن عرفناهُ شاب من الانجليز سكن مصر مدَّة اسمهُ المستر لِيُون غاب عني لقبهُ المميِّز لهُ ولم أعثر على ورقة زيارتهِ في أوراق الزيارات التي عندي ولكن لم أنسَ ما عرضهُ على احد اقسام المؤتمر مما زعمهُ نافعًا لدفع الصعوبة التي يجدها

الأَجانب في تعلُّم العربيَّة من جهة عدم الشكل في حروفها وذلك ان تُستبدل الحروف العربيَّة بحروف أجنبيَّة ويستبدَل شكلها بحروف اجنبيَّة تدلُّ على الشكل بحيث إن الباء مثلاً يوضع بدلها الحرف الذي يقوم مقامها في الحروف الافرنكيَّة ثم يوضع بعدهاما يدلُّ على الشكل من الحروف فيكتب للدلالة على الضمة O وللدلالة على الفتحة A وعلى الكسرة i أمَّا الحروف العربيَّة الَّتي لا يوجد لها نظير في اللغات الاجنبيَّة فيشار اليها بحرف يقاربها أَو يماثلها من حروف اللغة الاجنبيَّة ويُوضع تحتهُ علامة تميّزهُ عن أَصلهِ الموضوع لهُ فالثاء مثلاً يشار اليها بحرف التاء تحتهُ نقطة مثلاً وكذلك الحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف يشار اليها بما يقاربها أَو يماثلها ويجعل تحتها العلامة المميّزة لها عن اصلها الموضوعة هي لهُ وهو يُريد ان تسير هذه الطريقة الَّتي اخترعها بالنسبة لسائر اللغات الَّتي تُكتب بالحروف العربيَّة كالفارسيَّة والتركيَّة وقد عثرتُ في الاوراق على مذكرتهِ الَّتي قدَّمها الى المؤتمر بهذا الصدد ممضياً عليها باسم ليون والغالب على الظن انهُ من الاغنياء الَّذين لا شيء يشغلهم في تقضّي أَوقاتهم فيتخذون التسيُّح لقضاء العمر فتعرض لهم في سياحاتهم أَفكار قد تكون نافعة وقد تكون مثل هذه الفكره

ومِمَّنْ عرفناهُ البروفسور أُدَلْبَرْط مَرْكس الأُستاذ في دار معارف هدابرج من أَعمال المانيا

وممن عرفناهُ جناب الفاضل الأُستاذ لِيتنِرْ رئيس المدرسة المشرقيَّة سابقاً في لاهور من اعمال الهند والآن هو رئيس المدرسة والمتحف الشرقيين في وُوكين بقرب لندن ومعهُ ابنهُ شاب فاضل

وهذا الدكتور الشهير يَعرِف خمسةً وعشرين لساناً ويتكلَّم بها وقد

اشتهر بمحبته للمسلمين والذب عنهم والتعرض لإزالة ما داخل أفكار بعض الأوربيين على غير حقٍ من جهتهم ولهُ في ذلك آثار مشهورة وأفعال مبرورة منها الجامع الذي قام بتشييده خدمة للمسلمين بووكين بالقرب من لندن بمصاريف جمعها من المسلمين ومن احبابهِ الانجليز أرانا رسمهُ فاذا هو متسع بهج وهو على نيَّة الاستمرار في هذا السير والحث على تشييد غير هذا الجامع في غير هذه المدينة مع ترتيب دروس اسلاميَّة في الجوامع الَّتي ينشئها ومنها انشاء جريدة عربيَّة سمَّاها "الحقائق" أهدانا الجزء الصادر منها في يوليه سنة ١٨٨٩ وقد جاء فيهِ تحت اسم الجريدة انها "مجلة علميَّة ادبيَّة تصدر مرة كل ثلاثة اشهر من مركز إدارة انشائها ووكين من اعمال بلاد الانجليز من دار الشرفاء المشرقيين لترويج العلوم المشرقيَّة" واذكر منها رسالة بحروفها انشأها هذا الفاضل وهي

﴿ الإسلام ومدارسهم ﴾

"لحضرة العالم العلامة الدكتور ليتنر المشهور"

"وُفِقْتُ بما ندر ان يكون لمسيحي بان قد درست العربيَّة في مدرسة جامع من جوامع الأستانة قبل الحروب الروسيَّة الَّتي اضطرمت نارها من سنة ١٨٥٤ الى ١٨٥٦ وبعدها ايضاً

"ثم كان لي بعد ذلك أن أناظر مئات من مدارس اسلام الهند — وما قصدت في كتابة هذه المقالة أن اذكر التقارير المسهبة التفصيل الَّتي قد رفعتها الي ألوف منها وإنما اظهاراً للحق ودفعاً للزور ودرأً للغرور ولإقامة الحجة على الَّذين وَهِموا فقالوا إنها قد اصبحت بيوت الإثم لا بيوت العلم الى غير ذلك مما رشقوها

صيانة عرضهم والمحافظة على شرفهم ويكرمون الأرملة التقيَّة إكراماً لائقاً ويتخذونها لهم مثالاً حسناً وقدوة صالحة وهم ينظرون الى الحيوانات بعين الحنو والشفقة ويتقون الله بسلامة القلب وخلوص النيَّة ونقاوة الضمير وقد كان الأولى بدعاة الدين المسيحي ان يسعوا في ان يوفقوا بينهم وبين النصارى وان لا يلقوا التنافر والتباغض بين الأمتين بالجدال الذي لا فائدة منهُ . وانني ارى انهُ من الواجب على الحكومة اذا شاءت المحافظة على السِلْم والسكينة ان تجعل الدين من أعظم الأمور المهمة لنجاحها وتأييد كلمتها وتوطيد سلطنتها اذ السياسة وحدها لا تمكّنها مما فيهِ ترغب واليهِ تميل وانما يرتاح خاطرها وتقرُّ عينها عندما تسعى في رفع أعلام دين رعاياها بسعيها في إحكام سياستها وتعزيز قوَّتها اذ الحكومة والدين توأمان ولا نجاح بلا دين كأُمةٍ بلا شرف وبلا شهامة صار بها الحال الى الخراب العام . وقد برهن لنا الاختبار ان معاضدة المسلمين ليست بذات اهميَّة من جهة الدين فقط بل من جهة السياسة ايضاً فان معاضدتنا للدولة العليَّة العثمانيَّة قد عادت علينا بعميم النفع وجليل النجاح — وانني لأنصح للحكومة ان تبذل الجهد في تهذيب ابناء مسلمي الهند وتعليمهم الفنون الحربيَّة وان تمنحهم حقوقاً ذات شأن في الجنديَّة فان في ذلك تعزيزاً لسلطتها وتثبيتاً لوطأتها فإن قوَّتها العسكريَّة تصير أضعاف ما هي عليهِ الآن فتمكن من توطيد ما لها من النجاح والفلاح

"وما تجاسرت على تأليف هذه الرسالة الاَّ بعد ان اختبرت واطلعت على افكار كثيرين من رجال الحزم والذكاء من نخبة المسيحيين الَّذين قد بحثوا عن خفيات المشاكل ودقيق المسائل البحث العميق فكان لهم ان يعرفوا غوامض

الامور وكنه مكنونات السياسة اذ قد ادَّبهم الدهر وحنكتهم الأَيَّام والله الموفق الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل " اه

﴿ افتتاح المؤتمر ﴾

تقدم أن افتتاح المؤتمر سيكون وقت الظهر من يوم الاثنين ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وأن الحضور اليهِ يكون بالملابس الرسميَّة

فقبل الوقت أَحضَرْنا عربتان ركب في احداهما حضرة مدحت افندي وسيدي الوالد وركبنا نحن الثلاثة باقي الوفد المصري في الأُخرى وقصدنا سراي "رِيدَّازهُوسْت" مارّين بين أُلوف مِن الخلائق مصطفين على جانبي الطريق بغاية الانتظام والاحتشام مع التعظيم للمارة والاكرام حتى وصلنا ميدان "وازا" الذي تُشرف عليهِ السراي فوجدنا الازدحام أَشد والعالم لا يحصى لهم عد بحيث لا يتيسر المرور من غير المحل الذي خصصهُ البوليس بمرور الأَعضاء وهم يتواردون أفواجاً ويتوافدون فرادى وأَزواجاً مشاةً وركباناً ظرافات ووحداناً

ووِجهة السراي مزينة بأَعلام الأُمم المختلفة تخفق من جميع الجهات مغطاةٌ بالرياحين والأَزهار مرسوم بأَعلى هذه الوِجهة صورة الأَهرام وأَبي الهول إشارة الى مصر وتعظيماً لأَمرها يحيط بهما غيرهما من رسوم التماثيل المشهورة في الهند والصين والبلاد النائيةِ والممالك القاصية

والسُلّمُ الذي يُصعد فيهِ الى قاعة الافتتاح مصطفٌ عليهِ العسكر لابسين أَحسن ملابسهم متحلّين بأَجود أَسلحتهم منتخبين من طوال الرجال ذوي الهيئة والشهامة يُسلّمون على الأَعضاء السلامَ العسكري للتعظيم والاحترام

فصعدنا فيهِ حتى وصلنا الى تلك القاعة وقد سَبَقَنا اليها كثير من الأعضاء ثم جلسنا بالمحل المعدّ لنا وما زالت الاعضاء تتوارد والسفراء تتوافد والامراء العظام واكابر المملكة الفخام حتى غصّ المكان وبلغ عدد من بهِ من الأعضاء وغيرهم من السفراء وعظماء المملكة نحو ستمائة نسمة غير النساء المتفرجات وهنَّ جالسات بالمرتفع الذي وصفناه آنفاً فكان المنظر بهجاً لاتساع المحل وزينتهِ وزخرفتهِ وتحلّي من بهِ بالملابس الرسمية على اختلافها مزركشة بالقصب مجمّلة بالذهب تعلو صدورهم نياشين الفخار ويلوح عليهم سمات الهيبة والوقار

وبينما الحاضرون على هذا الحال من السرور والابتهاج بهذا الاجتماع والساعة اثنتا عشرة اذ صدحت الموسيقي عند باب السراي ونادى منادٍ بهذا النداء الملك آتٍ فقام الناس للتعظيم واتجهت الأنظار الى ذلك القادم الكريم فدخل متحلياً بملابسهِ الرسمية متجملاً بنياشينهِ الملوكية يقفوهُ ولي عهدهِ ويتبعهما رجال معيتهِ الكرام ووزراؤهُ العظام لابسين الملابس الرسمية وأخذ الملك يتقدم شيئاً فشيئاً ماسكاً قبعتهُ بيدهِ مشيراً بالسلام على الحاضرين طَلْق الوجه مبتسماً حتى وصل الى درج المرتفع ثم الى سريرهِ المعدّ لهُ بعد ان صافح المندوب العثماني ومندوب شاه العجم وانثنى الى جهتنا فصافح سيدي الوالد وصافحنا بعدهُ وجلس على السرير لحظة ريثما استراح ثم قام فقام القوم لقيامهِ فخطب بالفرنساوية بصوت مرتفع خطبة ملخص ترجمتها لفظهُ:

"يا حضرات اعضاء المؤتمر

"لقد حصل لي مزيد السرور حينما اجاب مؤتمر العلوم الشرقية مذ كان مجتمعاً بويانه دعوتي للاجتماع هذه المرة في عاصمة بلادي وزاد سروري اليوم اذ رأيت

اجتماع العلماء المشرقيين والمستشرقين الأفاضل حاصلاً بالفعل على هذه الهيئة الواجب تبجيلها واحترامها وتعظيمها وتكريمها

"وانكم قد أتيتم يا حضرات الأفاضل من بلادكم البعيدة وقطعتم المسافات الطويلة تاركين اقطاركم المشمسة لتنشروا أشعة المعارف وتبثُّوا منها التالد والطارف في هذه البلاد المعدودة من الممالك المتحلية بالآداب من قديم الزمان

"ولا غرو في ذلك فأنوار المعارف المنتشرة في هذا العصر ثمار أفكاركم ومنشآت اعمالكم ونتيجة معاناتكم ومكافحاتكم فأنتم مبددو جيوش ظلمات الجهل بما تحملونهُ من أسلحة العِرفان والفضل وأنتم الأحق بما خاطب بهِ نابليون عسكرهُ قائلاً " إن اربعين عصراً تتباهى بأعمالكم " فإنكم بتأسيساتكم العلميَّة وأبحاثكم الاستكشافيَّة في هذه الايام أمطتم اللثام عما أكنَّتهُ تلك العصور الخالية في اعماقها من المخبئات والأسرار

"وقد دلَّت التواريخ الشرقيَّة في رواياتها العديدة على ما كانت تبذُلهُ الملوك في سبيل العلم والعلماء من المال تشجيعاً وترغيباً حتى إن النعمان كان يملأ فم النابغة الشاعر الشهير باللؤلؤ والمأمون كان يجيز على البيت الواحد من الشعر الجيّد بألوف من الدنانير ونحن ملوك هذا العصر وان كنا لا ننقدكم تلك اللآلئ العظيمة والدنانير الجسيمة لكن نعوّضكم عنها محض محبتنا وكامل مودتنا ونعضدكم حسب طاقتنا في اعمالكم النافعة للجنس البشري السائرة بهِ نحو الإسعاد والتقدم الدائمي ونقتدي بالخلفاء والملوك الأقدمين في ان نَشد أزرَ العلماء ونقتفي أثرَ الحكماء في استكشافاتهم العلميَّة فنتمسك بحبالها ونتعلق بأذيالها ونرغب في اقتنائها ونَشَوّق الى انتشارها فانا نجد فيما تعثرون عليهِ من كنوز الآثار ما ينبئنا

عما خلا من الأعصار

وإنَّا وان لم نتمكن في هذا القرن التاسع عشر يا حضرات أفاضل الشرق واوروبا وأمريكا من أن نؤدّي لكم الضيافة على وجهها كما كانت تؤدى اليكم لو جئتم هذه الديار قبل الآن بألف سنة لكننا نعوضكم عنها التمتع بمناظر ما حوتهُ بلادنا هذه من جبالها المرتفعة وبحيراتها المتسعة وخلجانها وأنهارها وعظم أشجارها ونضرة أزهارها وغرائبها الطبيعيَّة وبدائعها الخلقيَّة واني أؤمل انهُ بعد مشاهدتكم بلادنا وهيئاتها ووقوفكم على محاسن صفاتها يبقى لها في ألسنتكم الذكر الجميل وينطبع لها في مفكرتكم وقع جليل لا تُنسيهِ كرور الأيام والعصور ومرور الأزمان والدهور

"واني ارجو لكم كمال التوفيق في المذاكرات الّتي تدور عليها ابحاثكم في هذا المؤتمر مؤدّياً واجب الترحيب والتأهيل على تشريفكم هذه البلاد معلناً بافتتاح المؤتمر الثامن للعلوم المشرقيَّة"

فلما فرغ الملك من خطبتهِ اكثر الحاضرون من التصفيق استحساناً وتشكرًا ثم جلس وجلسوا

فقام المسيو دِ. رِنْهَيمْ رئيس المؤتمر عن السويد وألقى مقالة بالفرنساويَّة وجَّه فيها الكلام الى سموّ الملك وأعضاء المؤتمر ملخصها :

"ان بلاد السويد والنرويج كانت علماؤها مشتغلة قديماً في مكاتبها المدرسيَّة ومجتمعاتها العلميَّة بالعلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة اكثر من غيرها ولم تتجدَّد الرغبة في تعلّم الألسن والعلوم المشرقيَّة الّا من نحو عشر سنين فجدُّوا فيها ومن جدَّ وجد وها نحن نترجّى ان تزداد نجاحاً وتُصيب فلاحاً وتكثر الرغبة فيها لدى الخاص

والعام بانعقاد هذا المؤتمر في بلادنا واشراق علوم المشرق بأرضنا وأن الاهالي جميعهم صغيرهم وكبيرهم يتشكرون لوفود حضرات الاعضاء الفضلاء الى هذه الانحاء ويَعُدون انعقاد المؤتمر في عاصمتي بلديهم من اكبر الحظ والسعد لديهم"

ثم قام بعد هذا الخطيب حضرة الكونت ده لاندبرج وتلا خطبة بالفرنساوية خاطب بها سموّ الملك واعضاء المؤتمر عربنا منها ما يأْتي قال:

" مولاي إِني لأَعجِز عن ذكر ما خالج قلبي من المسرة والحبور لرؤية تحقق آمال السنين الطوال كيف لا وعلماء الشرق والغرب قد اجتمعوا في عاصمة المملكة الاسكندناوية وقد اصبح الشرق الذي هو مهد علوم آبائنا منتعشاً بنشأة جديدة بناء على ما صرفهُ ملوكهُ من العناية وقد هرع علماء الشرق من اقاليم مختلفة طبقاً لأَوامر مواليهم الى هذا الاحتفال الذي يُعَدُّ عيدًا من اعياد العلم فكان ذلك جالباً لتمكين العلاقات بين الشعوب التي فرّقت بينهم المسافات الطوال والعوائد المتباينة وقد حضر الكثير من المشتغلين بالعلوم الشرقيَّة من علماء أُوروبا لتبادل افكارهم مع علماء الشرق خدمة المعارف وتقوية لصلات المودة فيما بينهم

"وقد ساح في بلاد الشرق منذ اربعين سنة جلالة الملك الآمر بانتظام هذه الجمعيَّة باحثاً كما هو دأبهُ الآن عما طاب من جليل الآثار فشغفتهُ حباً بلاد الشرق التي لا يعدم المتجوّل فيها فوائد جمة من اجل فوائد تاريخ الازمان الغابرة وهو من عهد ان تبوّأَ اريكة الملك لا يزال ميّالاً الى ما احبهُ في عنفوان شبابهِ وقد افتتح علماء هذا الزمن الفتوحات العلميَّة الجمة فاصبح طريق تاريخ الشرق معلوماً مسلوكاً بعد ان كان مجهولاً متروكاً واستمر جلالة الملك بعد جلوسهِ على سرير الملك كما كان في اثناء شبابهِ متتبعاً تقدم العلم الشرقيِّ رغماً عن اشتغالهِ بمهام

حكومتهِ وقد قال احباؤنا سكان وادي النهر المقدَّس "إن من ذاق ماء النيل لا يسلوهُ فلا بد لهُ من الرجوع الى مصر" وهذا المثل يصدُق على العلماء فإن من ذاق منهم لذَّة البحث وحلاوة العلوم الشرقيَّة كان كمن يطرُق طريقاً لا يجب الخروج منهُ وللشرق محاسن لا تَشُوق عامة الناس فقط بل تأخذ بألباب ملوك الأرض وأقيالها ولذا ترون جلالة الملك مشتركاً معنا في البحث عن العلوم الشرقيَّة وهو لم يجمعنا في عاصمتي مملكتهِ الّا ليبرهن على أنهُ لا يزال مستنيرًا بأنوار الشرق

"نعم أيها السادة إن هذا المؤتمر لم ينتظم الّا لشمولهِ بعالي أنظار جلالة الملك اسكار وجعلهِ تحت ظل حمايتهِ وقد صرَّح لي جلالتهُ منذ سنين برغبتهِ في استقبال العلماء المستشرقين ثم أمرني بان أبلّغ رغبتهُ في ذلك الى مؤتمر ويانه ولا يخفاكم ما كان من تلبية دعوتهِ الملوكيَّة بمزيد السرور وهذه الجمعيَّة الشهيرة برهان على ما قُوبلت بهِ تلك الدعوة من حُسْن الاجابة والمبادرة اليها

"مولاي — إنني لما كُلِّفت من قبل جلالتكم بتأليف هذا المؤتمر بناءً على ما فوَّضهُ اليكم مؤتمر ويانه قد اشتغلت بذلك تحت أنظاركم العالية ومدد كرمكم الذي لا يُحد وعين عنايتكم الّتي لا تنام وتلقّيت من جلالتكم الأوامر والتعليمات الّتي يقتضيها الحال وقد تفضلتم كرماً منكم ذكّرني مكارم الخلفاء بتحقيق أقصى أمنيتي الّتي هي تقديم زملائي الغربيين والشرقيين بين يدي مليك وطني المُعَظَّم فاسمح لي ايها الملك الجليل أن اقدم لذاتكم الفخيمة جزيل الشكر في حضرة مندوبي الشعوب المختلفة عوائداً وأدياناً وإن صدقَ وَلائي لوطني وحسن إخلاصي لمِلكي يقضيان عليَّ بان اكون نافعاً لهما مدة حياتي ولهذا قبلت خدمة العلم متطوّعاً واني لأفتخر اليوم برؤْية أهلهِ يقدّمون أمام كرسي جلالتكم عبارات

الشكر ويتقرّبون اليكم بصفاء الاخلاص

"سادتي — كان من اللازم مراعاةً للعادة المتبعة في المؤتمرات السابقة ان اكلمكم في شأن علماء السويد المستشرقين ولكنني أُعافيكم من ذلك لأَنهُ لا يحسن بالانسان ان يتكلم عن نفسهِ ولأَن احد ابناء وطني كفاني موُنة ذلك بما كتبهُ أخيرًا في هذا الموضوع بإحدى المجلاَّت السويديَّة وإِني مع ذلك لا أرى بُدًّا من ان استاذنكم في التكلم عن موُتمرنا وعنكم فاقول إِن عامة الناس لا يفرقون في المعنى بين كلمتي الشرق والمستشرق وقد انتدبتُ يومًا للتكلم في موضوع شرقي فتعرض لي شخص حَسَن الملبس وسأَلني أَين موقع الشرق من الدنيا وقد كان أَحد الساسة الأَجانب يظن ان المستشرقين كناية عن عَصَبات متجمعة لفتح الشرق ولا شك أَن كلام هذا السياسي الساذجِ في جهالتهِ لا يخلو عن بعض صحة لأَننا يا حضرات السادة لم نخرج عن كوننا عَصَبَةً موُلفة لحل مسأَلة الشرق العظمى فإِننا بما لدينا من عُدَد الحرب الهائلة نهدم قلاع الأَفكار الفاسدة والغلطات الكاسدة حجرًا حجرًا ولأَننا نبعث بأَحكام الانتقاد ودقتهِ نورًا يصل الى أَقاصي تاريخ البشر وقد تكلمَ جلالة الملك عن ميدان حربنا هذه بما ينطبق على الحق وذلك الميدان مفتوح لجميع الناس ونحن نحارب في صفوف الشرقيين لمصلحة الشرق مسجّلين في صفحات التاريخ الذي نحن قائمون بتحريرهِ أُصولهُ وتمدنهُ وعظمتهُ ومسراتهُ وأَحزانهُ فكيف لا يكون الشرقيون حلفاءَنا في تلك الحرب وكيف لا يمدُّون الينا يد المساعدة لكشف الغِطاء عما لا تصل اليهِ انظارنا ونحن لا نعادي أَحدًا ولا نتكلم في شأن الأَديان بالاعتراض عليها ولكننا نُعجَبُ بنور العلم أَينما سطع ولا نتعرض لمعتقَد خشية أَن يتناول ذلك طرَفًا من تلك الحقائق التي نبحث عنها في الشرق

" هذا والعلم معظّمٌ في الشرق كما هو محترمٌ في أوروبا فإن العلماء عند المسلمين موعودون بالأجر في الدار الأخرى كما جاء ذلكَ في القرآن

" ثم معلوم أن المسلمين والنصارى صلّوا معاً في جامع الأمويين بدمشق مدة سبعين عاماً وأن النصارى كانوا مقبولين في جميع الوظائف وقد قضى دين الاسلام بقبول الإسلام منهم او بدفعهم الجزية ولم يُعهد بالأزمنة المتأخرة من التسامح بقدر ما كان في تلك الأزمان وهذه الحروب الصليبيّة الناشئة عن الجنون وفساد العقل والقساوة قد جمعت بين محبي المخاطرة وارتكاب الأهوال وبين الجهّال والمتدينين الّذين أضرّوا بصلات الغرب مع الشرق وأحدثوا التنافر السياسيّ الذي لا يزال شيءٌ منهُ الى الآن والمسلمون ليسوا اكثر تعصباً من النصارى فإنني عائش بين ظهرانيهم منذ ١٧ سنة ولم أجد منهم الّا كل محبة ولطافة وشأنهم في عدم التعصب حد السير بُولوَرْ سفير بريطانيا في القسطنطينيّة الى ما كتبهُ الى اللورد روسل بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٦٤ حيث قال ضمن كتابهِ " وفي الحقيقة فإني لا يمكنني الّا الإذعان بروح التسامح وعدم التعصب اللذين يبديهما الدين الحاكم قِبل البروتستانت فإن ذلك التسامح وعدم التعصب يندُر وجودهما حتى في الممالك النصرانيّة "

" واني اناشد النصارى بذمتهم بأن يقولوا الحق فيعترفوا بأنهم طالما نسوا ما قالهُ المسيح من جهة الأمر بالمساواة والتحابب

" وقد اخطأ من زعم أن الاسلام يمنع التقدم الجديد اذ بنى حكمهُ على آراء بعض علمائهِ فإن الإسلام الحقيقي يبعد عن تشدّق هؤلاء العلماء بُعدَ النصرانيّة عن تعاليم قسس القرون الوسطى

" ويرغب بعض الناس تغيير كل شيء في الشرق حسب افكارنا في طرفة عين غير مفكر أن الشعوب اعتادت على ما يرغب تغييره منذ آلاف من السنين فهذه تركيًا الجديدة قد أدخلت اصلاحات في بلادها وهذه مصر التي يُقدِّسها التاريخ محكومة بقوانيننا فهلاَّ يجب علينا ان نخالف تلك الأُمم عوضاً عن مناواتها ولست أُوجه ما أقول الى علماء السياسة ولا الى السياسيين ولكن أُخاطبكم بهِ ايها السادة فإِن بيدكم الطريقة التي يكون بها ارتباط الشرق والغرب ألا وهي طريقة العلم وهي تجذب الشرقيين الينا للاشتراك معنا في عمل واحد ومساعدتنا في أبحاثنا وباستشارتهم والانتفاع بهم تُزال العقبات الكثيرة التي تمنعنا عن نَيل المقصود فتكون اعمالنا سهلة نافعة وقد وجد مستشرقو الانجليز بالهند زملاء فضلاء من أهالي تلك البلاد فينبغي ان نقفو أثرهم وليس ملوك الشرق مبغضين لما ندرسهُ فان أبحاثنا لا تعود على بلادهم الاَّ بالفخر فهذا جلالة السلطان وهذا شاه العجم وهذا خديوي مصر قد اثبتوا لنا ذلك بإرسالهم الى هذا الموسم العلمي" خلاصة علمائهم وبرهنوا بذلك على أنهم ورثة الخلفاء والامراء الذين كان دأبهم من قديم الزمان حماية العلم والآداب ولا شك أن عناية الملوك والامراء قُدوة تقتدي بها الشعوب فمتى نظر ملوك الشرق الى احباب الشرق بعين العناية كان ذلك مؤدياً الى نجاح مشروعاتنا

" وإِن مؤتمراتنا نحن معاشر المستشرقين لا تشابه المؤتمرات الأُخرى ولذا كانت أعمالنا لا تُضاهي بغيرها من الأَعمال فان قصدنا البحث عن أقدم بلاد الدنيا الخارجة كلها عن حدود أُوروپا ومشتملة على عدد عديد من الشعوب المختلفة ولذا كان علمنا حقيقاً بأن يسمى أجنبياً وحيث كنا لا نختلط مع هؤلاء الشعوب

الاَّ فيما ندر كان ذلك يلجئنا الى التنقير عما نحن بصددهِ في نقوشهم وكتبهم ولما كان كل تمدن من تمدن تلك الشعوب مخالفاً لتمدننا وصعب الفهم كان من اللازم الذهاب الى الشرق للاطلاع على ما بقي من آثارهِ كي يسهل بذلك فهم ما يستصعب منهُ»

ثم أطال الشرح في ذكر الشرق والمستشرقين الى أن قال:

«إن جلالة الملك أسكار قد أمر في ٨ يناير سنة ١٨٨٦ بانشاء جائزتي شرف ليكافئ بهما من يؤلف أحسن تأليف في موضوعين مهمين أولهما تاريخ اللغات الساميَّة وثانيهما تاريخ حالة تمدن العرب قبل الاسلام ولم يعزُب عن جلالة الملك صعوبة الخوض في مسائل مثل هذه وكانت اللجنة التي ألفها جلالاته للنظر فيما يُقدَّم من التآليف في هذين الموضوعين قليلة الأمل في تأديةوظيفتها فإن اول الموضوعين المطلوب التأليف فيهِ صعب جدًّا لأن حالة معلومات الإنسان الآن وقلة كفاءتهِ لا تسمحان لهُ بأن يُحيط بجميع اللغات الساميَّة فمن ذا الذي يمكنهُ ان يحيط كل الإحاطة باللغة العربيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة والحبشيَّة ويُحيط بما كان للأشوريين من العلم والتمدن وما كان لتلك الملل المتقدم ذكرها من الآداب ان ذلك ليكاد يستحيل وجودهُ في شخص واحد فالمستشرقون من العلماء لم يُخاطروا بأنفسهم في سبيل تأليف تاريخ اللغات الساميَّة وقد قال أُستاذ مدينة ستراسبورج نفسهُ إنهُ ليس في وُسعهِ ان يشرع في تأليف مثل هذا أمَّا الموضوع الثاني فربما كان أسهل من الأول ولكن الأسانيد فيهِ عديمة الوجود نعم إنهُ قد يمكن تأليف التاريخ بطريق التقريب بالاستنباط مما بقي من أشعار وتآليف الأقدمين ولكنَّ المستعربين من العلماء يُفضّلون الانتظار حتى تنتشر التآليف الموجودة بخزائن كتب أُوروبا

والشرق ومن ثم كانت اللجنة آسفة على أن لم يتقدم لها اي مؤلف أوروبي من المستشرقين في الموضوعين الآنفي الذكر أما العرب فقد كانوا اكثر إنتاجاً اذ ألفوا ستة تآليف بلسانهم وأرسلوها الى اللجنة ومن ضمن تلك التآليف تأليف واحد جدير باستلفات نظر اللجنة عنوانهُ "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" ألفهُ الشيخ محمود شكري افندي الآلوسي من بغداد وهو وان لم يكن مستوفي الشرائط التي اشترطتها اللجنة الا إنهُ كثير المزايا حتى استحق ان يُعرض شأنهُ الى جلالة الملك أما باقي التآليف فكانت عبارة عن مجموعات عديمة الجدوى مستنبطة من كتب من الدرجة الثانية والثالثة وكانت كلها خالية بالكليَّة من أفكار وانتقادات مؤلفيها وكان البعض منها مشوباً بمسائل دينيَّة لا محل لها في مواضيع سابقة على الإسلام وذلك هو الذي الجأ اللجنة الى الصفح عن ذكرها والذي يدل على اعتبار أوروبا لكل عمل خالٍ من الأفكار الدينيَّة يقوم بهِ علماء الشرق هو ما أمر بهِ جلالة الملك من منح مؤلف "بلوغ الأرب" الميدالية الذهبيَّة المعدة للفنون والعلوم ليحملها على صدرهِ معلقة في شريط وازًا وسترسل تلك الميدالية الى الشيخ الألوسي بواسطة سفير مملكتي السويد والنرويج ولم يُضيّع جلالة الملك فرصة هذا الموسم العلمي بدون أن يبرهن على حسن التفاتهِ وشدة ميلهِ الى علم الشرق فإن جلالتهُ لمَّا لم يتقدم مؤلف ما الى اللجنة وجهَ أنظارهُ الى مؤلفات أُلّفت ونشرت وهي في المواد المتعلقة بالمواضيع التي عُرض التأليف فيها على العلماء فأنعم بالميداليتين الذهبيتين الى اثنين من أشهر العلماء خدما اللغات الساميَّة بما نشراهُ من التآليف فأول هذين العالمين هو "تِيودُور نُولدِيكْ" المدرس بمدرسة ستراسبورج الغني عن المدح الذي كل تأليف من تآليفهِ يُعد من جليل المؤلفات ولكنهُ لسوء الحظ لم

يمكنهُ ان يحضر هذا المؤتمر لموانع صحيَّة وكان يود جلالة الملك ان يسلمهُ الميدالية في حضرتكم ايها السادة العارفون فضل استاذنا وصديقنا هذا واني مكلَّف من قِبَلِ جلالتهِ بان أؤدي الى المسيو نولديك شعائر احترامهِ لهُ وأسفهِ من عدم حضورهِ بهذا المؤتمر

"وقد كنت بدمشق منذ سبع عشرة سنة فصادفت بها شاباً هنكارياً عالماً كثير التواضع اسمهُ الياس جُولدتسيهر يُحسن التكلم بالعربيَّة وكان يجدهُ الإِنسان في الأَسواق والحوانيت والقهاوي وفي كافة الأَنحاء وكان هذا الشاب العالم تلميذاً لشيخنا الطيب الذكر بمدينة ليپزيج وقد حذا حذوَ أُستاذهِ وفتح أَبواباً جديدة لمعرفة دين الإِسلام وآدابهِ ولغتهِ وكان يُحب العربيَّة حبًّا شديدًا فنبغ فيها الى درجة عظيمة وكان أَول من اهتدي الى معرفة أَسرار الاسلام وهو الآن مقيم في مدينة بودا پست في حارة هوللووتسا الصغيرة وقد أَرسل الينا جملة مؤلفات جليلة القدر من تآليفهِ ونشر في هذه الأَيام مؤلفاً جديدًا محكم التحرير في العرب قبل الاسلام وهذا العالم الجزيل الفضل الواقف على نظامات العرب هو الذي أَنعم عليهِ جلالة الملك بالميدالية الذهبيَّة الثانية وانكم أَيها السادة تعرفون حياة المسيو جُولدتسيهر ومقامهُ وتعرفون أَن من يقصد مؤلفاتهِ يجد فيها شذور الذهب الإِبريز وغاية القول ان طبع هذا العالم المفطور على الصدق والإِخلاص واعتدال مشربهِ في الانتقاد اكسباهُ أَصدقاء مخلصين في وطنهِ وفي جميع البلاد الَّتي تحترم العلم — وإِني ارجو المسيو جُولدتسيهر ان يتقدم ليستلم الجائزة المنعم بها عليهِ من يد جلالة الملك الشريفة

"وإِني اختتم ذكر محبي العلم باسم الامير الشرقي الغزير المعارف محب علم

بلاده ولغتها الذي أراد أن يثبت لكم انهُ يقدر خدامات علماء أوروبا للعلوم الشرقيَّة حق قدرها الَّا وهو سموّ خديو مصر محمَّد توفيق المعظَّم فإنهُ أنعم على الأستاذ دُهجُويَهْ بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم بالنشان المجيدي من الدرجة الثانية مكافأةً لهُ على تآليفهِ الَّتي نشرها في تاريخ العرب وجغرافية بلادهم وإذعاناً بما صرفهُ من الهمة في نشر تآليف الطبري وإني ارجو المسيو دُهجُويَهْ بان يتقدم ليستلم من يد جلالة الملك النشان والأمر السامي بمنحهِ اليهِ

"وإنني ايها السادة لم اذكر الى الآن سوى المؤلفين على انني لا يمكنني ان أنسى فضل من يعممون فوائد المؤلفات بطبعها ونشرها بين الناس فإننا معشر المستشرقين يجب علينا أن نقرلهم كل الاقرار بجليل خداماتهم وممن يستحق الذكر من بينهم بيت "بريل" بمدينة لَيْدِنْ الذي تأسست باسمهِ المطبعة الشهيرة تحت رياسة الموسيو فَانْ أُورْديتْ والموسيو دُهسْتُوپْلَارْ وهي مفتوحة الأبواب للمستشرقين فلا تردّ لهم طلباً غير مهتمة بسوى خدمة العلم مقدمة صالحهُ على منافعها الخصوصيَّة وان لها على المستعربين من بين باقي العلماء اليد الطولى الَّتي تستوجب خالص الشكر والثناء فإنها بعناية المسيو دُهجُويَهْ قد نشرت من كبار المؤلفين مؤلفاً مشتملاً على عشرين مجلداً للطبري غير واثقة بالحصول على ما انفقتهُ في سبيل نشرها وذلك ما دعا الى الإنعام على المسيو فَانْ أُورْديتْ بالنشان المجيدي من الدرجة الثالثة من لدن سموّ الخديوي الساهر على مكافأة من يقدمون خدمة الى مملكة جلالة الخليفة الأعظم وإني اهنئ حضرة المسيو الموما اليهِ بهذا الانعام وأرجوهُ ان يتقدم ليستلم من يد جلالة الملك الفخيم ذلك النشان والأمر السامي الموذن بمنحهِ اليهِ"

ثم تلاهُ حضرة الفاضل محسن خان سفير سموّ شاه العجم بالاستانة العليّة ومندوبهُ بهذا المؤتمر وتلا مقالة بالفارسيّة من انشائهِ ضمنها شكر سموّ اسكار الثاني على عنايتهِ بالمعلومات المشرقيّة وتخلّص فيها الى ذكر آداب الشرقيين وسعة علومهم ومعارفهم فصفق لهُ الحضور استحساناً كما صفقوا لمن سبقهُ من الخطباء وأثنى عليهِ سموّ الملك

ثم تلاهُ مندوب الحضرة السلطانيّة جناب الفاضل مدحت افندي فألقى باللغة التركيّة مقالة بليغة يخاطب بها سموّ الملك ملخصها :

" حشمتپناها (ياملجأ الحشمة والاحترام)

" إن متبوعي الأعظم وسلطاني الافخم صاحب الشوكة الغازي عبد الحميد خان حامي حمى المعارف العثمانيّة القائم بشعائر العلوم المليّة تلقّى بكمال المحظوظيّة طلب سموّكم اشتراك السلطنة السنيّة العثمانيّة في أعمال المؤتمر الثامن الذي تقرر اجتماعهُ للمستشرقين بعاصمة بلاد سموّكم وقد أعلى — ادام الله ملكهُ — شرف أحقر عبيدهِ هذا وزاد قدر عاجزيتهِ بانتخابهِ لحضور هذا المؤتمر وعدّهِ من المنسوبين الى المعارف ببلادهِ المحروسة

وإن انتخابي لهذه المأموريّة من مليكي العلي الشأن أعدُّهُ في ذاتهِ من حسن الطالع ومزيد الإسعاد ويزيد عندي هذه المحظوظيّة ويُعلي شأنها كونهُ وسيلة لي في أن أعرض أسنى التبجيل والتعظيم بذاتي على سموّ أسكار الثاني مليك السويد والنرويج المعظَّم أمير العلماء وعالم الأمراء الذي زين تاريخ العلوم والفنون بما وهبها من حمايتهِ ومنحها من عنايتهِ

" يا عالي الجناب "

"إن من حضر هذا المؤتمر من سائر انحاء العالم ووُجد في هذا الجمع الحافل من العلماء والفضلاء يشاركني في المحظوظية بالحضور لدى سدتكم ويضيء ضميرهُ ما يُضيء قلبي من السرور والحبور بالمثول بين يدي عظمتكم وإن هذا القرن التاسع عشر لجدير بان تحسدهُ الأعصر الخالية والأزمان الماضية لما شمل العلم والعلماء فيهِ من رعاية الملوك لهما وعناية السلاطين بهما وقد يتيسر لأهل العلم وأصحاب الفضل ان يجتمعوا اخواناً حول منصة المباحثة يتذاكرون فيما يُعلي شأن الانسان ويوجب سعادتهُ"

"وليس من المتصور ان فرداً من أفراد العالم لا يقدر هذه النعمة حق قدرها او يتأخر عن القيام بواجب شكرها"

"فمن أجل ذلك أرى من وظائفي المقدسة الابتهال الى الحق جلّت قدرتهُ وعلت كلمتهُ ان يُطيل بقاء جميع الملوك المحامين للمعارف المشوّقين لأربابها وان يمنح سموكم من بينهم كمال الصحة وطول العمر ودوام العافية كما أرجو أن جميع ابناء النوع الإنساني يشاركونني في هذا الدعاء ويعترفون معي بقدر هذه النعمة وحقيَّة ذلك الثناء ويتّحدون معي في التأمين — آمين"

فلمّا فرغ من خطبتهِ صفق القوم استحساناً وتشكروا لهُ وأثنى عليهِ جلالة الملك ثم قام بعدهُ سيدي الوالد وانشد قصيدتهُ هذه:

اليومَ أسفرَ للعلوم نهارُ ... وبدت لشمس سمائها أنوارُ
وزهت فنون العلم وازدهرت بها ... أفنانها وتناسقت أنوارُ
وغدت لأرباب المعارف دولةٌ ... غرّاء صاحبُ ملكها أُسكارُ
اسكارُ الثاني الذي اعترفت لهُ الا ... أقطار وارتفعت بهِ الأقدارُ

وَرَعى حقوق العلم يُعلي قدرَهُ ... فَنما بهمتهِ لهُ مِقـــدارُ
وَدَعا لهُ الفضلاءَ دعوة ناصرٍ ... للعلم فهو بهم لهُ أَنصارُ
هي دعوةٌ طنَّت بآذانِ العُلى ... وتناقلت اخبارَهَا السُّمَّارُ
عَرَفت بقيمتها البلاد وأَهلها ... وملوكها وتسامع الأَقطارُ
أَمرٌ أَميرُ المؤمنين أَعارَهُ ... نظرًا وأَنظارُ الكبارِ كبارُ
فسرى بهِ في مصر من توفيقهِ ... نورٌ ومن بركاتهِ أَسرارُ
واذا المليك أَراد يُنجح مقصدًا ... نالتهُ من توفيقهِ آثارُ
مولىً لهُ في كلّ مكرمةٍ يدٌ ... ولكل موقع مقصد أَنظارُ
وأَعان كلُّ زعيم مملكةٍ لهُ ... بشؤُون أَهل بلادهِ استبصارُ
يحدو إلى ارض السويد أَماثلاً ... من قومهِ أَمثالهم اخيارُ
مستظهرين بدعوة الملك التي ... عَمَّت وما لسماعها إِنكارُ
فتسارع العلماءُ تلبيةً لهُ ... بالطوع تسبقهم لهُ الأَخبارُ
يقتادُهم صيتٌ يشوق سماعهُ ... ويسوقهم شوقٌ اليهِ مثارُ
سمعوا بشهرتهِ وصيت ثنائهِ ... سمعًا يذكّرهم بهِ التكرارُ
وسما بهم في أُستُكلُمَ بأمرهِ ... نادٍ تشاخص دونهُ الأَبصارُ
جمعتهُ من شرق البلاد وغربها ... وجنوبها وشمالها الأَقدارُ
أَلقت بأَفلاذ الكبود اليهِ من ... ابنائها في حبّهِ الأَمصارُ
نادٍ بهِ احتفل الأَفاضلُ حفلةً ... بحديثها تتقادم الأَعصارُ
جُمعت لثامن مرةٍ معدودةٍ ... في الدهر لا ينسى لها تذكارُ
جمعتهم الأَقدار جمع سلامةٍ ... والله في أَقدارهِ مختارُ

متألفين بعيدُهم بقريبهم والفضل أقرب وُصلة تُمتارُ
من كل فيّاض القريحة وِردهُ عذبٌ وبحر علومهِ زخّارُ
تتدفق الافكار نحو يراعهِ فيفيضُ من أنبوبهِ تيارُ
من كل معنًى شفّ عنهُ لفظهُ كالخمرِ نمّ بها الزجاجُ تُدارُ
ومؤزّرٍ بالفضل مشتمل بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودِثارُ
حبرٌ إذا وَلِيَ اليراعَ بنانهُ زان الطروس بوشيها الأحبارُ
ويغوص أعماقَ المباحثِ باحثاً عن كشف كل فريدةٍ تُختارُ
دُرَرٌ يروقُ الطرفَ منها رونقٌ بهجٌ تحار بوصفهِ الأفكارُ
لذَوِي المفاخر من حلاها زينةٌ تبقى ولا يَبلى لمن فخارُ
لازال مُلْكُ الفضل معمور الذُرى بذويهِ ممدوداً لهُ الأعمارُ

فصفق القوم وابتهج العارفون باللغة العربيّة والفنون الأدبيّة وتشكر لهُ سموّ الملك وأثنى عليهِ الأعضاء وطلب منهُ كاتب المؤتمر نسخةً من القصيدة وطلبها كثيرٌ سواهُ وقد نسخوا منها عدة نسخ بعد الحفلة منهم حضرة الفاضل الجنرال نجف علي خان مندوب سموّ الشاه لدى سموّ خديوي مصر ووافدهُ لدى المؤتمر قد كتب نسخة منها لنفسهِ ونسخة لرئيس وفد العجم والظاهر انهُ ارسل صورتها لجريدة "أختر" التي تطبع بالفارسية في الاستانة فاننا وجدناها بعد عودتنا الى مصر مطبوعة في عدد هذه الجريدة الصادر بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣٠٧ الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨٩

ثم قام بعد سيدي الوالد حضرة الكونت ده لاندبرج وتلا خطبة عربيّة جواباً لصاحب العطوفة مدحت افندي مندوب جلالة الخليفة الأعظم ولسيدي الوالد

مندوب سموّ الخديوي الافخم وهي هذه :

" مضت القرون المتوالية وحمى المعارف ملحوظ بعنايات الخلفاء اذ كانوا يستجلبون رجالها الى نواديهم بما يبذلون لهم من واسع النفقات وما يسنون من الجوائز حتى تكاثرت وفود العلماء على ساحاتهم وازدحمت أفواج الأُدباء بأبوابهم ممَّا كان باعثاً لهم الطالبين على النشاط حتى عمت الفائدة وانتشرت المنفعة . هذا المفضل الضَّبي والأَصمعي وأَبو عبيدة وأَضرابهم ممن تقدمهم أَو تأخر في الزمان عنهم لولا تلك الجوائز الهائلة الَّتي حصلوا عليها من المهدي والرشيد وغيرهما ما وصلت العلوم المأْثورة عنهم الى ما نراها عليهِ اليوم من انتشارها بين الخافقين وفي جمع المأْمون للعلماء ومناظرتهُ إِياهم المرة بعد الأُخرى في عدة من أَنواع العلوم العالية ما يكفي حجة لأَن العلم كان اذ ذاك تحت حماية الخلفاء ونحن الآن في عصر لا جَرَمَ يذكّرنا بذلك الزمن المبارك فهذا سلطان الوقت صاحب الجلالة عبد الحميد الثاني لا يزال يبدي من غيرتهِ على المعارف ما يجعل أَيامهُ بالأَيام الماضية أَشبه فلقد أَرسل الى مجتمعنا هذا حضرة الفاضل مدحت افندي الجامع في كتابتهِ بين حسن السبك وقوة المعنى ولا ريب ان في انتخاب مثلهِ لهذا المجتمع حجة دامغة على معرفة الباعث برجال الأَهليَّة واللياقة وهذه أَول مرة أُرسل فيها من قِبَلِ الحضرة السلطانيَّة العالية لأَجل اللغة التركيَّة رجل تركي بحث حرّ الفكر والقول فهو نخبة الترك علماً بفضل المرسل وتكرمةً للمرسل اليهِ فنحن نشكر جلالة السلطان الاعظم على هذه العناية الفاضلة راجين ان يدوم اتحادنا مع جلالتهِ في المقاصد الخيريَّة لانا لا نسعى الاَّ لما يسعى اليهِ من نفع الشرق واهليهِ قائلين جميعاً بوحدانيَّة رب العالمين

"وحبذا لو ان جلالتهُ جعل المعارف في الشرق تحت حمايتهِ السلطانيّة فان لهُ يداً لا تعلو عليها يد والعلم متى حُفظ جانبهُ اشتدت رغبة الطالبين فيهِ وهذا ممَّا يوجب انتشارهُ بين أفراد الرعيَّة الَّتي ترى يقيناً ان جلالتهُ لها أب شفوق يسرهُ ان يجد ابناءهُ كلهم راتعين في بُحبوحة الكمالات الانسانيَّة على ان جنابهُ الأعظم أنبهُ في مثل هذا من أن يُنبه فإنهُ بالحقائق اعلم من كل عليم ثم اني أُوجه الآن خطابي الى صاحب السعادة العلامة الشهير الفاضل عبدالله فكري باشا رئيس الوفد المصري ووزير المعارف بمصر سابقاً فكلنا يعلم ان مصر من أقدم الممالك في المدنيَّة وآثارها أعيان تشهد بفضلها القديم ولها فخر الأسبقيَّة على اكثر بلدان المعمورة فيجب علينا الآن نبخسها اليوم حقها ولا نسقطها عن منصبها الكمالي فلقد اصبحت على تقهقر البلاد الشرقيَّة منبع المعارف ومظهر الآداب ولا سيما منذ استولت العائلة العلويَّة على عرش الحكم فيها فهذه علوم اللغة والنحو والفقه في مصر لا تزال تقرُّ بها العيون وتطيب النفوس على فقدانها او جزءٍ عظيم منها فيما عداها من الأقطار وتلك مدرستها الكبرى الجامعة المعروفة بالأزهر أشهر مدارس الشرق قاطبةً فلذلك ما برح وفود الطلاَّب اليها من كل حدَب من شاسع النواحي ينسِلون حتى من مكة والمدينة الشريفتين وذلك لكمال معدات العلوم فيها ولا خفاء ان صاحب السموّ الخديوي المُعظَّم هو الحامي لها الغيور عليها المعتني بتكثير وسائلها في بلادهِ ما أمكن فهو أيَّدهُ الله بفضلهِ لا يجد طريقاً لتقدم المعارف في مصر الآ مهّدها للطالبين فانتهجوها صراطاً مستقيماً لا يلحق مجتازهُ عثور كما هو رغبة الحضرة العليَّة السلطانيَّة

"وان عاصمة مصر وهي القاهرة لا شك ان لها من اسمها نصيباً فنرجو لها دوام

التقدم حتى تكون قاهرةً بعلومها لما دونها من البلاد ومثل هذا القهر لا يعاب فإن الغاية منهُ حَسَنة ورب متعقّب ينكر علينا معاشر الأوروبيين عنايتنا بالمعارف الشرقيّة والآداب الإسلاميّة زاعماً ان لنا في ذلك غايةً سيئة معاذ الله فإنما مقصدنا الحقيقي أنما هو ايقاف الغربيين على كنهِ ما في الشرق مما لا يزال مجهولاً لديهم لكيلا يغتروا بظاهر ما في بعض الكتب الّتي أُلِّفت في احوال الشرق على عدم روئية مؤلفيها إياهُ ومع ذلك فإن طلب العلم مندوب اليهِ قال الله تعالى "وقل رب زدني علماً" وفي الحديث الشريف "العلماء أُمناء الله على خلقهِ" فنحن نضرع الى الله تعالى ان يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أَحسنهُ وان يصل مقاصدنا بالنجاح فهو نعم المعين"

ثم خطب المسيو "شِيفِرْ" وافد فرنسا بالفرنساويّة ثم الكونت "أَنْجِلُو ده جُوِبِرْنَاتِسْ" وافد ايطاليا بالايطاليّة ثم خطب عالم انجليزيّ بالانجليزيّة ثم يابانيّ باليابانيّة ثم راهب هنديّ بالهنديّة ثم وثم الى ان انتهي جميع الخطباء ممن استقرَّ عليهم الرأي بالأَمس والجميع يصفق للخطيب عقِبَ خطبتهِ والملك يشكرهُ على حسن مقالتهِ حتى انفضت الحفلة والساعة ٢و١٠ دقائق بعد الظهر وانصرف الملك بعد ان صافح بعض الأَعضاء ومنهم الوفد المصري فتوجه الأَعضاء الى المحال المخصصة بانعقاد الفصول لانتخاب رؤسائها وكتبة اسرارها وتوجهنا نحن الى قاعة الفصل الأَول من القسم الأَول المخصص بلغات الأُمم الاسلاميّة وآدابها فإنهُ اللائق بنا والمناسب لنا من بين سائر فصول المؤتمر الّتي سيأتي الكلام عليها وهناك عرض حضرة الكونت ده لاندبرج ان لاتكون الرياسة منحصرةً في شخص واحد لعدم توهمّ التمايز وان تكون دائرة بين عدة اشخاص بالمناوبة وهم المسيو

ذُه كْرِيمِرْ وافد النمسا والمسيو شِيفِرّ وافد فرنسا والمسيو ده جُويَة وافد هولانده ويظهران هذا العرض كان على سابقة اتفاق بين الكونت وباقي الأعضاء بدليل اقرارهم على هذا المقترح بدون مناقشة وهكذا كان الحال في الانتخاب بالنسبة لغير هذا القسم من الأقسام والفصول على ما نُمي

ثم دار الحديث بعد هذا الانتخاب و بعد تعيين كاتب سر الفصل في معرفة ما إذا كنا نبدأ في العمل اليوم من الساعة ٣ الى الساعة ٥ بعد الظهر كالمقرر في البروجرام المطبوع أو لا نبدأ فانحط الرأي بعد مداولة على ماراه الاستاذ جُلْدِتْسِيِرّ من ان لا بُداءة في هذا القسم اليوم وان يكون بدء العمل في اليوم التالي فعدنا الى الفندق لتغيير ملابسنا الرسميَّة واستبدالها بالملابس المعتادة ابتغاء الاستراحة حتى يأتي وقت لبسها ثانية عند التوجه الى دعوة الملك بقصر دُرُوتْنِنْجْهُلْم حيث تسير الوابورات من المينا اليهِ والساعة ٦ بعد الظهر من هذا النهار

وما لبثنا ان عدنا الى الملابس الرسميَّة وركبنا العربات قاصدين رصيف رِيدَارْهُلْم فوجدنا الوابورات في انتظارنا وركبناها وأقلعت بنا سائرة في بحيرة ميلار قاصدة ذلك القصر في الساعة المعينه

دعوة الملك

بقصر مصيفهِ في دُرُوتْنِنْجْهُلْم

يتوصل الى هذا القصر بطريق البر بالعربات وبطريق البحيرة بالوابورات ونقوم عدة مرات في اليوم من المحل الذي نزلنا منهُ فتصل الى موقع هذا المصيف في نحو ثلاثة أرباع ساعة فقط بأجرة نصف كورون

اما نحن اعضاء المؤتمر فقد ركبنا الوابورات الملوكيَّة الَّتي كانت في انتظارنا وسارت بنا تمخر في بحيرة ميلار نمتع النظر بما على شاطئها من الأَشجار والأَزهار وبما بها من الجزائر اللطيفة والمناظر الظريفة وهذه البحيرة ملأَى بالجزر لا تخلو جهة منها من جزيرة صغيرة او كبيرة فصرنا نُسَرِّحُ الطرفَ فيها أَماماً وخلفاً وذات اليمين وذات الشمال بما اشتملت عليهِ من الرونق والبهاء وما كسيت بهِ فطرة من كمال الازدهاء وما حوتهُ من محلات مصيف الأَغنياء ومنتزهات الامراء والعظماء حتى جاوزنا فرع هذه البحيرة الذي يتجه نحو أُبسَالاَ واستمر بنا المسير الى الأَمام ننتقل من جزيرة الى جزيرة والشواطئ ملأَى بالأَهالي يحيوننا بالاشارة والعبارة رافعين أَصواتهم وقبعاتهم ومناديلهم إِشارة الى الفرح بالاستقبال وأَمارة على السرور والابتهال حتى وصلنا الى جزيرة "لوفون" احدى هاتهِ الجزر القائم عليها قصر دُرُوتَنْنْجهُلْم

وهو بناءٌ رفيع ذو طبقتين وِجهتهُ متجهة نحو البحيرة بينهما ميدان فسيح ووراء القصر حديقة متسعة متقنة النظام تناظر أَحسن منتزهات أُوروبا المشهورة في البهجة وحسن الرونق والإِحكام

وقد تأسس هذا القصر في أَواخر القرن السادس عشر بأَمر الملكة "كاترينه ياجِلُّون" واحترق بعد ذلك فأُعيد انشاؤهُ بعد مائة عام ووجه الملوك منذ ذلك الحين أَنظارهم اليهِ فزينوهُ ببديع الرسومات وجميل الصور وحسَّنوا في حديقتهِ وطرقاتها وسككها وسائر جهاتها حتى بنى أَحدُهم أَدولف فريدريك سنة ١٧٧٠ في هذه الحديقة بناءً لطيفاً على هيئة معابد الصينيين وزيَّنهُ ببديع آثارهم ومنتخبات تحفهم وأَراد أَن يُهدي هذا البناء الى قرينتهِ يوم عيد ميلادها ولكن أَسرَّ ذلك في

نفسهِ ولم يُبدهِ لأَحد ليكون اهداؤهُ لها مفاجأة على غير سابقة انتظار منها ليزيد بذلك سرورها و يتم بهِ حبورها

و يشتمل القصر المتقدم على كثير من المحلات في طبقتين أَهمها في الطبقة الأُولى دهليز فسيح مزخرف موصل الى اربع قاعات متسعة يُتوصل بباب من كلٍ منها الى الأُخرى و هي قاعات المقابلات الرسميَّة والاحتفالات التشريفيَّة وجميع محالّهِ منورة بما لا يحصى من المضيئات وكذلك ميدانهُ وحديقتهُ مزينان بأَحسن الزينة منوران بأبهج أَنوار الكهرباء

وقد قابلَنا حال وصولنا رجال تشريفات الملك فصعِدوا معنا الى القاعات الَّتي ذكرناها وأَخذنا نمشي فيها ونمتّع الطرف بما حوتهُ من الصور والرسومات الَّتي تُمثِل وقائع السويديين الحربيَّة برًّا وبحرًا مع الروسيين والأَلمانيين والفرنساويين الى ان انتقلنا الى أَحسن هذه القاعات إِتقانًا واكثرها زخرفة واعظمها اتساعًا وقد رُسم فيها صورُ مَن ملك أُوروبا من الملوك قبل اربعين سنة ومنها صورة السلطان المُعَظَّم المرحوم عبد المجيد خان والد الخليفة الأَعظم الحالي مولانا السلطان عبد الحميد خان فجعلنا نتفرج على صور هؤلاء الملوك ونأْتنس بمن لقيناهُ من الأَساتذة المستشرقين ونتحادث معهم حسب مقتضيات الأَحوال فتارةً في زينة هذا القصر واستعدادهِ وأُخرى فيما ينجر اليهِ الحديث بالمناسبة من اخبار المتقدمين الغربيين والشرقيين والجنوبيين والشماليين ومسامرة هؤلاء الأَفاضل لا يملها السمع ولا يكل منها اللسان وملاطفتهم لا يستطيع وصفها الإِنسان

و بينما نحن في هذا الائتناس نتفرج على الزينة الَّتي أُعدت بحديقة السراي وميدانها والَّتي أَعدَّها الأَهلون بالوابورات الصغيرة الَّتي اكتَرَوها وركبوها ورسوا

بها في أطراف البحيرة أمام القصر على مد البصر وهي مئات واكثر من مئات وإذا بالملك رسا بوابور صغير على الساحل — وبمجرد نزولهِ الى البر اشتعلت الصواريخ التي أعدت في ميدان القصر وتبعها ما أعدهُ الأهلون في وابوراتهم من ألعاب البارود حتى كان المنظر بالغاً في العظم ما لا يوصف والأهالي تصيح بما معناهُ "يعيش الملك يعيش" قائلة "هورّاه" اربع مرات على حسب عادة البلاد مما يسمع ضوضاؤهُ من مسافات بعيدة ومما يؤكد ما لهذا الملك الفاضل في قلوب رعاياهُ من الحب والمكانة وأخذت الموسيقى الملوكيّة وكانت على باب القصر في اداء السلام ولكنها لم تطل ليتمكن الملك من تحية ضيوفهِ فصار يُحيّي الجميع ببشاشة وجه ويصافح البعض ويزيد على ذلك بعض كلمات لمزيد الإكرام حتى وصل الينا فصافحنا مبتدئاً بالسيد الوالد ملتفتاً اليهِ كل الالتفات حتى خاطبهُ بما لفظهُ "فانطزيه كثير" مردفاً ذلك بالاستفسار منهُ عما يقول فيما يراهُ وعن أحوال صحتهِ واقامتهِ وراحتهِ في هذه الديار فشكر سيدي الوالد سموهُ على التفاتهِ اليهِ بما يليق بعالي مقامهِ من واجبات الشكر والتعظيم وقد تشرفت بالقيام بترجمة ما دار بينهما من الخطاب الملوكيّ والجواب التشكريّ اتباعاً لما اشار اليَّ الملك بهِ في أول مقابلة من ان اكون الترجمان بين سموهِ وبين سيدي العزيز

واستمر سموهُ بعد الفراغ من تحيتنا يُحيي من لقيهُ من ضيوفهِ نساءً ورجالاً وسمح بان نقدّم اليهِ الاعضاء الغير الرسميين الذين لم يُقدّموا اليهِ الى الآن فنالوا شرف المثول بين يديهِ وحصلوا على التفاتهِ ودام هذا الحال نحو ساعة والموسيقى الملوكيّة تصدح بأحسن الانغام حتى أُعدت موائد الطعام

فأخذ الملك في النزول الى الطبقة الأرضيّة من القصر وتبعهُ الضيوف والامراء

البالغ عددهم نحو سبعمائة نفس وفيهم من النساء نحو مائتي نفس حتى دخلوا قاعات الأكل وهي تحت القاعات العلوية على اتساعها والاطعمة مرصوصة على موائد في وسطها حسب عوائد البلاد يأخذ منها الانسان ما أراد ليتعاطاه في اي موضع شاء غير ملتزم في ذلك ترتيب الأطعمة ولا ملزم به

فأخذ الملك يأكل والضيوف كلٌ على حسب راحته ومايشتهيه وأحاط بسيدي الوالد جماعة من فضلاء الاصحاب التزموا خدمتهُ في الطعام ومسامرتهُ في الكلام وأخذنا نحن تارة نأكل وتارة نخدم من نساء هؤلاء الفضلاء زوجة هذا وأخرى زوجة ذاك فنناول هذه صنفاً تشتهيه ونناول تلك شيئاً تبتغيه وذلك من أعظم مراتب الشرف عند الغربيين فهم يوجبون خدمة النساء وتعظيمهنَّ وأداء مايوجب راحتهنَّ لأن الرجل يقوى بطبيعته على ما لا تقوى عليه المرأة من مشاقّ الأعمال ولما كانت عوائدهم ظهور النساء في مجامع الرجال التزموا خدمتهنَّ والقيام بمعاونتهنَّ وملاطفتهنَّ

على أن تلك الأميرات عالماتٌ فاضلاتٌ وكل من حواهُ هذا المحل من النساء في هذا المساء كنَّ لابسات ملابس في غاية الاحتشام مغطاةً صدورهنَّ الى الرقبة مستورة أيديهنَّ بعيدات عما يكنُّ عليه في جمعيات الرقص والمخاصرة وما شابهها فإنهنَّ يكنَّ فيها مكشوفات الصدور والأيدي وبعض الظهور الى حالة لا يستحسنها من كان على غير هذه العوائد وكنَّ بهيئتهنَّ الكماليَّة في هذه الليلة حيث يتباحثنَ في العلم مع العلماء ويتجاذبنَ حديث الفضل مع الفضلاء بعيدات عن هيئاتهنَّ في ليالي الرقص والمخاصرة حيث يلتف الذراع على الذراع ويقرب الصدر من الصدر والوجه من الوجه ويدور الحديث المناسب لهذه الهيئة الموافق

لمقام هذه المخاصرة اثناء الرقص وحالتهِ والطرب ومزاحمتهِ .

هذا وقد كان الملك في اثناء الطعام يشرب على صحة الملوك الذين أرسلوا الوفود الى المؤتمر وكلما شرب على صحة ملك صدحت الموسيقي بسلام ذلك الملك وهكذا لما شرب سموّهُ على صحة الخديوي المُعَظَّم صدحت الموسيقى بالسلام الخديوي .

ولما فرغ الملك من الشرب على صحة من تقدَّم أراد أن يشرب على صحة جميع أعضاء المؤتمر جملةً فرفع القدح وأشار بالاصغاء وقال :

"يا حضرات أعضاء المؤتمر الكرام

"إنني وان كنت وجدت نفسي كثيرًا ولله الحمد مذ عشت في أوقات سعادة وهناء إلاَّ إني لم أجد نفسي قط في حالة أسعد من التي أنا عليها الآن إذ لا سعادة تعادل حظ الوجود في مجتمع مثل مجتمعكم انتم يا خلاصة العرفان . ويا ثمرة فضيلة الإنسان

" فقياماً بشكر هذه النعمة ووفاء بالواجب لهيئتكم الجديرة بالاحترام والإعظام أشرب هذا الكاس"

ثم شرب فصاح الجميع بالدعاء قائلين ما معناهُ " ليعش الملك " مرارًا وأردفوها "هُورَّاه "أربع مرات حسب لغة البلاد كما تقدم وقَصَدَ وفدٌ من اكبر الأَعضاء سِنًّا في الحال صوب الملك نيابة عن جميع الاعضاء وفي يدهم الأَقداح فلما قربوا منهُ رفعوها فوق رؤُوسهم مكررين الدعوات ووافقهم باقي الأَعضاء حتى اذا فرغوا من الدعاء بالمرة الرابعة شرب الجميع الكاس على صحة الملك وكانت الساعة تسعاً ونصفاً وقد آن وقت الانصراف فخرجوا جميعاً وركبوا الوابورات

التي كانت لا تزال في انتظارهم وسرنا عائدين الى استكهلم

وكانت الشواطئ جميعها من القصر الى المدينة ملأى بالأهالي واقفين وبأيديهم المضيئات البارودية تسطع بسائر الألوان يحيُّون اعضاء المؤتمر ويصيحون بما معناه "يعيش اعضاء المؤتمر" متبعين ذاك بقولهم هُورّاه أربع مرات معيدين ذلك كلما صاح واحد منهم بذلك أو صاح من بالوابورات بمعني يعيش السويديون و يعيش الملك او غير ذلك

وكانت الزينات تتبعها الزينات في القصور القائمة على الجزر التي في ممرنا وفي الأشجار بأشكال تدهش الألباب حتى صوّر احدهم برج ايفل بالبارود الملون فكان يخيل للرائي أنهُ ذلك البرج في ليالي زينتهِ وصوّر بعضهم بعض رايات الدول بالقناديل وبالبارود ذي الألوان فيحسب الرائي انهُ يرى راية الدولة المعهودة لهُ في غاية الوضوح وما زال الوابور يسير الهوينا والأهالي تبتهج فرحاً وسروراً والمصابيح تسطع نوراً حتى وصلنا في اكثر من ساعة الى الرصيف الذي نزلنا منهُ والمدينة كلما قاربناها تبينّا زينتها الباهية وأنوارها الزاهية والأهالي في انتظارنا على غاية الازدحام يبلغ عددهم الألوف المؤلفة وفي أيديهم المصابيح المنورة بالبارود الملوّن تسطع أشعتها على مسافات بعيدة وهم مع هذه الكثرة في غاية الانتظام موسعين للاعضاء طريقاً فسيحة يرون فيها من الرصيف الى الشوارع فتراهم بجانبي هذه الطريق مصطفين كأنهم بنيان مرصوص لايبدون مزاحمة ولا يبدو منهم غير شارات الترحيب بالاعضاء والاحتفال بهم صائحين "فليعش المؤتمر فلتعش اعضاؤهُ"

ولم تكن زينة المدينة من الداخل في هذه الليلة ابتهاجاً بافتتاح المؤتمر بأقل

من زينة الخارج فكنا نرى الدور العالية والقصور المشيدة على تعدد طبقاتها وشدة ارتفاعها منارة بأزهى ما يكون وأبهى ما يتصوره المتقن المتفنن في فنون الزينة والزخرفة والتنظيم

فتفرجنا بالمدينة ومتعنا الطرف بهذه المناظر المدهشة والأنوار المنعشة والناس يحتفلون بنا ويكررون تعظيمنا ونحن نظهر لهم علامات السرور على هذه الالطاف حتى عدنا الى الفندق فوجدنا وِجهتهُ الطويلة العريضة العظيمة الارتفاع مزينة من أولها الى آخرها بأنوار الغاز على اشكال بديعة وأفانين غريبة بواسطة أنابيب متفرعة في سائر جهات الوِجهة موضوعة بطريقة متينة تدل على أنها وُضعت مع البناء فدخلنا الفندق وأردنا قبل النوم ان نتفرج على الزينة فنظرنا من خرجة الصالون المطلة على الوِجهة زينة الميناء وأنوارها الساطعة وقدر مَدِّ البصر وابورات على سطح البحيرة تعلوها الرايات متغيبة في الأضواء المنبعثة أشعتها منها والميدان والرصيف الواقعين أمام الفندق مزدحمين بالأهالي ينتظرون عودة من بقي من الأعضاء ليؤدوا لهُ واجبات الترحيب والإكرام وقد لمحونا بطربوشينا في الخرجة فصاحوا هُورّاه وتبعهم غيرهم وأعادوا ذلك مرارًا ونحن نكرر الشكر لهم حتى دخلنا وقد مضى قسم كبير من الليل



﴿ بعض تفصيلات ﴾

في

تقسيمات المؤتمر واعماله

ينقسم المؤتمر بالنسبة لأعمالهِ الى خمسة اقسام

القسم الأَول قسم الأَلسنة الإِسلاميَّة والساميَّة نسبة الى سام بن نوح وفيهِ فصلان الفصل الأَول يختص بلغات أَهل الإِسلام وآدابهم والفصل الثاني يختص باللغات الساميَّة غير العربيَّة

القسم الثاني قسم الأَلسنة الأَريَّة أي أَلسنة الآريين وهم أُمم أَصلهم من بلاد الهند ومن نسلهم أَهل أُوروپا الحاليون

القسم الثالث قسم الالسنة الأَفريقيَّة ومنها اللسان المصري القديم

القسم الرابع قسم آسيا الوسطي والشرق الأَقصى

القسم الخامس قسم ماليزيا وپولينيزيا

وقد جُعلت رياسة الفصل الأَول من القسم الأَول للبارون دهٔ كريمِرْ والمسيو شيفِرْ والمسيو دهٔ جُويَهْ بالمناوبة بينهم وعُيِّن لكتابة السرفيهِ المسيو مكس برِخَم

وجُعلت رياسة الفصل الثاني منهُ للمسيو فِيرْ وجعل لهُ نائبان المسيو كُولْسُنْ والمسيو أُوپِيرْ على التعاقب بينهما وعُيِّن لكتابة السرفيهِ المسيو نُولاندِرْ والمسيو بِنْسِينْ

وجُعلت رياسة الشرف في القسم الثاني لحضرة محسن معين الملك خان

وافد العجم ورياسة العمل فيهِ المسيو مكس مولّلرْ والمسيو وِيبيرْ والمسيو شپيجلْ على التناوب بينهم وعُين لكتابة السر فيهِ المسيو لَنْمَنْ والمسيو يُوهَانسُون

وجُعلت رياسة القسم الثالث لسعادة بروكش باشا

وجُعلت رياسة القسم الرابع والخامس للمسيو شليجلْ وجعل لهُ نائبان وهما المسيو كُوسْت والمسيو كُورْدِيهْ وعُين لكتابة السر فيهما كلٌّ من المسيو بُول والمسيو سْتُوْايِهْ ثم انفصل القسم الخامس وجعل المسيو كِرْن رئيساً لهُ والمسيو كُوسْتْ نائباً للرئيس والمسيو سْتُولْپْ كاتباً للسرّ فيهِ

واللغات الرسميّة التي لا يجوز استعمال غيرها في جلسات المؤتمر العموميّة وهي التي تجتمع فيها جميع أعضاء سائر الأقسام هي الفرنساويّة والنمساويّة والانجليزيّة والطليانيّة واللاتينيّة واللغات الشرقيّة وأما في جلسات الأقسام فللرئيس ان يقبل وغير اللغات المذكورة

هذا وتعدُّد اللغات في هذا المؤتمر وعدم تكلم أعضائهِ في ما يخص كل لغة بلسان أهل تلك اللغة جعل الكثيرَ من الأعضاء لا يفهمون ما يُلقيهِ العلماء فيهِ من الكلام والمقالات فهؤلاء من علماء أوروبا الذين تكلموا في العربيّة وفي الحديث وأُصولهِ وفي التاريخ ونتائجهِ التي استنتجوها منهُ وغير ذلك من متعلقات العرب وآدابهم لم يتيسر لنا معشر الوافدين المصريين ان نقف حق الوقوف على أبحاثهم في مواضيعها حتى نتمكن من مناقشتهم في نفس الجلسات ومبادلة الأفكار معهم في شأن ما ألقوهُ فإنّ غالبهم تكلم بلغاتهم الأوروبيّة الغير المعلومة لنا ولم يتكلم واحد منهم في الجلسات بالعربيّة في تعبير ما أرادهُ فلو اقتصرنا على حضور الجلسات ولم نصطحب مع من اصطحبنا منهم صحبة خصوصيّة لما تيسر لنا أن نفهم

بعض ما عرضوهُ ولما تمكنّا من مبادلة افكارنا معهم بشأنهِ وابداء ملحوظاتنا وآرائنا لهم فيهِ

فكان الواجب أن يكون الكلام بلسان القوم الَّذين يتكلم الباحث في لغتهم فيكون بالعربيَّة إذا كان كلامهُ يختص بلُغَةِ العرب او بالحديث و بالتركيَّة اذا كان كلامهُ يختص بلغة الأتراك قديمة وهي لغة جيغتَاي أو حديثة وهكذا

والاَّ فكيف يتسنَّى لأرباب الفصل الأول من القسم الأول مثلاً الذي كنا من اعضائهِ ان يفهموا المباحث الَّتي أُلقيت في اثنائهِ المتعلقة بلغة أهل الإسلام وآدابهم وقد أُلقيت بلغات مختلفة غير العربيَّة بعضها بالفرنساويَّة وبعضها بالانجليزيَّة و بعضها بالنمساويَّة وبعضها بالطليانيَّة الى غير ذلك من اللغات الأوروبيَّة فهلا كان الأجدرُ أن يكون الكلام بلغة العرب الَّتي جرى البحث فيها فالواجب أن يُعتبر هذا في المؤتمرات المستقبلة

وبمناسبة ذكر المؤتمرات أذكر تواريخ المؤتمرات الماضية قبل هذا ومحلات اجتماعها :

فالمؤتمر الأول بباريس سنة ١٨٧٣

و " الثاني بلندن سنة ١٨٧٤

و " الثالث بسان بطرسبورغ سنة ١٨٧٦

و " الرابع بفلورانسه سنة ١٨٧٨

و " الخامس ببرلين سنة ١٨٨١

و " السادس بلَيْدِن سنة ١٨٨٣

و " السابع بويانه سنة ١٨٨٦

هذا وقد تقرر ان تكون جلسات هذا المؤتمر في الأقسام بمحال مخصوصة غير قاعة الافتتاح وأن جلساتهُ العموميةّ تكون بالقاعة المذكورة وتجتمع فيها اعضاء جميع الأقسام وهي ثلاثة جلسة الافتتاح وجلسة الاختتام وجلسة بينهما وتقرر أنهُ لا يزيد الكلام من العضو في هذه الجلسات على عشرين دقيقة

على ان الكلام في الجلسات العموميةّ او الخصوصيةّ لايكون الاّ بعد أن يُقيد طالبُ الكلام رغبتَهُ في ذلك بسكرتاريةّ المؤتمر ويُبيّن الموضوع الذي يريد أن يبحث فيهِ وليس لهُ أن يتكلم مع ذلك عموميةً كانت الجلسات او خصوصيةً الاّ على حسب الترتيب الذي قيد طلبهُ فيهِ بحيث لا يتقدّم على غيرهِ في ذلك

وقد وُزّع على الاعضاء قوائم طُبع فيها جميع المواضيع على حسب الترتيب الذي قيدوا طلبهم فيهِ وجُعل فيها باب لكل قسم ذكر فيهِ اسماء طالبي التكلم على حسب ترتيبهم وتبين أمام اسم كلٍ منهم الموضوع الذي يرغب البحث فيهِ فبلغت المواضيع في الفصل الأول من القسم الأول ٢٤ وفي الفصل الثاني منهُ ٢٦ وفي القسم الثاني ٢٢ وفي الثالث ١٩ وفي الرابع ١١ وفي الخامس أربعة

وبمناسبة ذكر عدد المواضيع اذكر ما تيسر من المواضيع التي خطب فيها الأعضاء باقسام المؤتمر على سبيل الإجمال بدون ان أتعرض للتفصيل والاحاطة وذلك لأن الاحاطة بهذه المواضيع المتعددة في اللغات المتنوعة والآداب المختلفة تكاد ان تكون مستحيلة يعجز عنها كبار العلماء على ان كاتب اسرار المؤتمر نفسهُ تعهد رسمياً ان يطبع تفاصيل أعمالهِ مستعيناً في ذلك بالأفاضل الذين بحثوا فيهِ وخطبوا في مواضيعهِ فإنهُ طلب من كل واحد من اعضاء المؤتمر بحث في موضوع أن يُعطي السكرتاريةّ ملخص ذلك الموضوع بالكتابة وليس عندي

في بيان المواضيع غير مذكراتٍ مختصرة جدًّا ولم يكن حضوري في غير الفصل الاول من القسم الاول الَّا متفرجاً ومع ذلك لم يمكنني ان أُحيط بتفاصيل ما أُلقي بهِ لما مرَّ من ان غالب التكلم فيهِ كان بغير اللغات التي أَعرفها فمن أَراد زيادة الوقوف على المواضيع ومعرفة التفاصيل فلينتظر الكتاب الذي وعد بهِ حضرة سكرتير المؤتمر

وهذا ذكر ما وعدنا بهِ اجمالاً وهو انهُ تكلم في الفصل الاول كثير من الأَعضاء ومنهم الوفد المصري وسيأْتي الكلام فيهِ فخطب الموسيو مُولْلِر خطبة تكلم فيها على تاريخ الحكماء لابن القفْطي وأَلقى المسيو إِيتيه مقالة تكلم فيها على معجم الأُدباء لياقوت وعلى فهرست اعتنى بجمعهِ والتزم فيهِ ذكر جميع المؤَلفات العربيَّة التي بخط اليد وخطب المسيو هُومِلْ في أَصل اشتقاق كلمة رونق وتكلم الأُستاذ لِيتنِرْ على الجامع الذي سعى في بنائهِ ببلاد الانجليز وعرض على الأَعضاء رسومات مأْخوذة بالفطوغرافيا عن بعض محلات ذلك الجامع وقرأَ المسيو جُلْدتسِيِّرْ ما كتبهُ على أُصول الحديث وما كتبهُ صاحبهُ المسيو شرَيْنِرْ على انتشار مذهب الأَشعريَّة وتلا حضرة الفاضل الشيخ شعيب بن عبد الله قاضي تلمسان ووافد الجزائر قصيدة من نظمهِ في مدح سموّ الملك أُسكار الثاني صاحب السويد والنرويج ومدح المؤتمر وخطب المسيو دِرِيرَهْ في انهُ ينبغي طبع أَشعار الشاعر التركي الشهير المدعو باقي وألقى المسيو جِرْونيرتْ مقالة في كيفيَّة الكلمات المركبة في اللغة العربيَّة وأَبدى المسيو لِيتْ ملحوظات على كتاب عجائب الهند الذي طبعهُ اخوان بريل في لَيْدِن وخطب البروفسور كارلو كِرِسْپُو مُنْكَادَا الطلياني خطبة في فلاسفة العرب الذين كانوا مع فردريكو الثاني في صِقِلّيه وتكلم

المسيو هِلْدِبْرَانْد على المسكوكات الشرقيّة القديمة التي عثر عليها ببلاد السويد وخطب الخواجه جرجس بَلِيطْ خطبة في لسان العرب

وتكلم كثيرون في فصل اللغات الساميّة فخطب منهم المسيو أُوپيّرْ خطبة تتعلق بالعلوم الفلكيّة عند الكلدانيين وتفاسير عبارات كثيرة من عباراتهم في الفلك والتنجيم وتكلم المسيو سِيمِنْسِنْ على بعض كتابات مكتوبة بلغة تَدْمُر هي الآن بتحف كوپنهاج وخطب المسيو مُونْتِيهْ خطبة في ما يعتقدهُ بنو سام في الحياة الآخرة وكيف وصل اليهم هذا الاعتقاد وفي اي وقت وألقى المسيو هَلِيڤي مقالة في "سيروس" أحد ملوك الفرس وأملاكهِ بحسب ما استنتجهُ من الكتابات القديمة التي استخرجت من بابيلون ومنْ التوراة وألقى مقالة ثانية في أَداة التعريف في اللغات الساميّة ومقالة ثالثة في حالة فلسطين قبل سِفْر الخروج وخطب غير هؤلاء في غير ذلك

وتكلم كثيرون في القسم الثاني اي قسم الأَلسنة الآريّة فخطب البروفسور جُوبِرْنَاتِس في بعض المعبودين عند الهنود فتكلم على معبودهم "إِنْدرا" وعلى معبودهم "جانيسا" وأطلعَ الأَعضاء على رسومات مستخرجة من جهات كشمير استدل منها على وجود معبود بتلك الجهة غير هذين وتكلم المسيو هِلْدِبْراند على الأَصل في لغات الساmanيين ومعناها وتكلم المسيو بُورْچِيسْ على تقدم الاستكشافات التاريخيّة في بلاد الهند وخطب المسيو كَازْلُوِيتْشْ في طرق الديانات الوثنيّة ومذاهبها وما يتعلق بمعبوداتها وآلهتها والاستاذ لِيتْنِرْ في لغة هُنْزَهْ واهلها والبروفسور تِجْنِر تكلم عن حرف اللام في اللغات الهنديّة الأُوروبيّة والقى المسيو كَارُولِيدْ مقالة في لغات آسيا الصغرى الأَريّة وخطب غيرهم في لغة البراهمة وتكلم غيرهم

في غير ذلك

وتكلم كثيرون في القسم الثالث أي قسم الالسنة الافريقية فخطب المسيو بورجار في كيفية النطق بالكلمات المصرية القديمة وتكلم المسيو پيل في مقالة بملحوظات له على بعض الإشارات والرموز الهيروجليفية وفي أخرى على الكتابات الهيروجليفية الواقعة على الآثار التي بمتحف استكهلم وفي مقالة أخرى بملحوظات عمومية متعلقة بالقاموس الهيروجليفي وبالكيفية التي يجب ان يكون عليها هذا القاموس بالنسبة لحالة العلم الآن باللغة المصرية العتيقة وفي مقالة غيرها على سيرة المستشرق السويدي أوكربلاد الشهير وتآليفه وخطب بروكش باشا خطبة بين فيها كيفية استكشافه طريقة المقاييس عند قدماء المصريين وفصلها وقارنها بالطرق التي كانت توجد عند غير المصريين من الأمم القديمة وتكلم المسيو ديدركند في الجيش الذي جرده أحد الفراعنة على يهوذا وقدم المسيو كوست رسالة كتبتها السيدة ادواردس بخصوص الاستكشافات التي استكشفها فلندر پتري بالفيوم وتكلم بعد ذلك المسيو سايس على بعض آثار جهات الفيوم ثم تكلم بعده السنيور ماروكي على نتيجة أبحاثه في الكتابات والآثار الهيروجليفية الموجودة بكتبخانة الفاتيكان برومة وأعلن تصميم حضرة البابا على طبع جميع هذه الآثار المصرية ونشرها ثم تكلمت السيدة هربرت على بعض آثار بالفيوم وقال السنيور سكياپارلي مقالة تكلم فيها على كتابة في زمن أمونفيس الأول هو أول من عثر عليها وقدم المسيو أميلينو تقريراً في حالة المعابد المصرية القديمة مرفوعاً من جران بك الى ناظر الاشغال العمومية بمصر في سنة ١٨٨٨ وقرأ رسالة حررها المسيو ماسپيرو برسم المؤتمر في كتابة هيروجليفية وجدها بوادي الحمامات ثم ألقي

مقالة في الأَشعار والأَدبيات القبطيَّة وتكلم غيرهم في غير ذلك

وتكلم كثيرون في القسم الرابع أَي قسم آسيا الوسطى والشرق الأَقصى فخطب المسيو پُول بُول خطبة في كيفيَّة كتابة الكلمات الصينيَّة وكتب المسيو هَارْلتس في الفلسفة عند الصينيين وكتب المسيو إِبْنُويِيَهْ على اختلاف الفلاسفة الصينيين بالنسبة لطبيعة الإِنسان والمسيو ليون فِيرْ على الصنائع الَّتي تحرّمها الديانة البوديَّة وخطب جناب أَمير خان ينتس في انتشار اللغة الجغتائيَّة في الخمسة القرون الأَخيرة وقدم المسيو "دَايِهْ" رسالة كتبها في العوائد الَّتي تستوليها الحكومة على الأَرض في الصين وقدَّم غيرهم خطابات ورسائل وخطبوا خطباً غير هذه

وتكلم كثير في القسم الخامس اي قسم ماليزيا وپولينيزيا فقدّم المسيو كَارُولِنسْفِيلْد رسالة في أَلسنة أُوستراليا وتكلم البروفسور فانْ دِيرْ ليت على كتاب عجائب الهند وأَتى ببراهين يُريد ان يثبت بها ان الحكايات الَّتي احتوى عليها ذلك الكتاب على لسان سياح العرب والعجم ليست من قبيل الخرافات بل هي حقيقيَّة وكتب المسيو أَرْستِيدْمار في لغة الجاوه وفي لغة ماليزيا وقدّم قاموساً بلغات ماليزيا ومدغشقر وكتب غيرهُ وخطب في غير ذلك

هذا وقد ورد في الفقرة السابعة من پروجرام المؤتمر ما ترجمتهُ :

"المرجو كل الرجاء من كتَّاب الأَقسام ان يقدّموا الى كاتب السر العمومي بعد كل جلسة ملخص المواد الَّتي اشتغل بها القسم في الجلسة المذكورة وبيان المواد الَّتي ستعرض في الجلسة التالية لها والمرجو من أَعضاء المؤتمر ان يقدموا الى كاتب القسم الذي هم من اعضائهِ ملخص ما سيعرضونهُ عليهِ وان يقدّموا لكاتب السر العمومي ملخص ما سيعرضونهُ على الجلسات العموميَّة"

وجاء في الفقرة الثامنة من الپروجرام المذكور :

" أعمال المؤتمر ستطبع وتنشر على مصاريفهِ لكن لا يدُرج فيها الاَّ ما قدَّمهُ الأَعضاء فيهِ وقت انعقادهِ وكان لهُ أهميَّة علميَّة "

وهذا هو مصداق ما ذكرناهُ آنفاً من أن أعمال المؤتمر سينشرها كاتب سرهِ وأن من اراد التفصيل ينتظر وقت نشرها

وكاتب السر العمومي هو حضرة الكونت ده لاندبرج قنصل جنرال السويد والنرويج في القطر المصري وتحت أوامرهِ كتاب اسرار عديدون

ويحسن بنا قبل اتمام هذا الفصل ان نبين أسماء اعضاء الشرف بالمؤتمر واسماء رؤسائهِ للسويد والنرويج ولجان تشكيلهِ بهاتين المملكتين مقدّمين على ذلك كلهِ اسم رئيس الشرف بالمؤتمر وحامي حماهُ ألا وهو سموّ أسكار الثاني ملك السويد والنرويج المعظم

فأعضاء الشرف هم :

سموّ امبراطور البرازيل دُونْ پدْرُو ده القنطره وحكومة البرازيل الآن جمهوريَّة وكانت في وقت المؤتمر أمبراطوريَّة كما لا يخفى

وسموّ شاه العجم ناصر الدين وسموّ ولي عهد السويد والنرويج البرنس غستاف وصاحب المقام الملوكي جران دوك ده ساكس شارل الكسندر وصاحب المقام السامي جران دوك ده ساكس كوبورج اي جوتا إرنست الثاني وصاحب المقام الامبرارطوري الملوكي الأرشيدوك رِنْيِيه — وسموّ خديو مصر الأفخم — وصاحب المقام الملوكي البرنس شارل السويدي — وصاحب المقام الملوكي البرنس أوجين السويدي والپرنس اوسكار برنادوت

اما رئيس المؤتمر في السويد فهو المسيو دِيرِنهيم وكان من وزراء الدولة السويدية وهو الآن رئيس داري المعارف في أوپسالا وفي لوند ورئيس الأكاديمية الزراعية الملوكية

وأما رئيس المؤتمر في النرويج فهو المسيو سَفْرُدْرُوپ وزير المعارف بالمملكة النرويجية ووكيلهُ المسيو لِيبْلَين مدرس اللغة المصرية القديمة بدار المعارف في كرستيانيا

واما لجنة تشكيل المؤتمر في السويد فقد تألفت من المسيو أَلْمِكْفِيست الدكتور في العلوم الأدبية وأستاذ اللغات بدار معارف أوپسالا — والمسيو فِيرْ الدكتور في العلوم الأدبية ورئيس مجمع القسس بمدينة استكهلم — والمسيو هنس هِلدِيبْرَانْد الدكتور في العلوم الأدبية ورئيس متاحف المملكة — والكونت كارلو ده لاندبرج — والمسيو إِزَايَسْ تِجنِرْ الدكتور في العلوم الادبية ومدرس اللغات السامية بدار معارف لوند وأحد أعضاء الاكاديمية السويدية الثمانية عشر

واما لجنة تشكيل المؤتمر في النرويج فقد تألفت من المسيو بليكس الدكتور في العلوم الادبية وكان وزير المعارف بالدولة النرويجية وهو أحد أساتذة دار معارف كرستيانيا الآن — والمسيو بُوجِهْ الدكتور في العلوم الأدبية ومعلم اللغات بدار معارف كرستيانيا — والمسيو كَاسْپَارِي الدكتور في العلوم الدينية والأدبية ومعلم العلوم الدينية بدار معارف كرستيانيا — والمسيو لِيبْلَين مدرس اللغة المصرية القديمة بدار معارف كرستيانيا — والمسيو سَيْپل الدكتور في العلوم الأدبية ومدرس اللغات السامية بدار معارف كرستيانيا

مقالة سيدي الوالد

عند

تقديمهِ للمؤتمر شرح اول قصيدة من ديوان سيدنا حسّان
وذكر من تلاهُ من الخطباء

في يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وهو اليوم التالي ليوم الافتتاح اجتمع اعضاء الفصل الأول من القسم الأول من أقسام المؤتمر وهو كما سبق المختص بلغات أهل الإسلام وآدابهم في المحل المخصص باجتماعهِ وكان عدد الحاضرين من اعضاء ومتفرجين نساء ورجالٍ يبلغ نحو مائة وخمسين فأشار الرئيس الى سيدي الوالد بالتكلم من جهة شرحهِ على ديوان حسّان بن ثابت رضي الله عنهُ وقد سمّاهُ "عجالة البيان على ديوان حسّان" فصعد منبر الخطابة والأبصار شاخصة اليهِ والحواس متجهة لهُ وبيدهِ شرح القصيدة التي شرحها من ديوان سيدنا حسّان ليُقدّمهُ الى المؤتمر وأعرب عن ذلك بمقابلة أسعدني الحظ بأن كتبت منها ما أمكنني وقت القائها وهو هذا :

"بسم الله وحدهُ"

"قدّمت للعرض على علوّ أنظار حضرات الأماجد الحضار من كبار أصحاب الأنظار ولُباب أرباب الآثار انموذجاً من شرح ابتدأتهُ على ديوان سيدنا حسّان ابن ثابت الأنصاري رضي الله عنهُ

"وهذا الأنموذج عبارة عن شرح أول قصيدة من ديوانهِ

"وهي من أشهر قصائدهِ الطويلة اولها :

"عفَتْ ذاتُ الأصابع فالجِواءُ الى عذراءَ باطنُها خَلاءُ"

" فان اتسع الوقت والأجل لبلوغ الامل بإتمام هذا العمل سلكت في سائر الشرح على النسق الذي نسقتهُ في الانموذج الذي نمقتهُ والأصحّ ان يكون شرحاً مستقلاً للقصيدة المذكورة

" فكثيرًا ما رأينا القصيدة من كلام المتقدمين أو المتأخرين يفردُها الواحد والكثير من العلماء بالتأليف والتصنيف مثل لامية العرب للشنفرى واللامية المعروفة ببانت سعاد لكعب بن زهير رضي الله عنهُ ومن كلام المتأخرين اللامية المعروفة في مقابلة لامية العرب بلامية العجم للطُغرائي وكذلك لامية ابن الوردي وهكذا البديعيات الميميات وغيرها

" وانما اخترت الشعر لانهُ ديوان العرب وسجل أخلاقهم وعاداتهم ودفتر وقائعهم وغزواتهم ومعاملاتهم ومجاملاتهم وقاموس كلماتهم ولغاتهم من مفرداتهم ومركباتهم وهو الحجة في إثبات كلامهم في نثرهم ونظامهم

" بخلاف نثرهم فإنهُ ليس بهذه المثابة لأنّ القائل منهم يجعل لما يقول من شعرهِ من تأنقهِ فيهِ وترويهِ لهُ واحتفائهِ بهِ واحتفالهِ لأجلهِ ما ليس لنثرهِ لكون الشعر أيسرَ على الألسنة وأسيَرَ الى أقاصي الأمكنة فللشعر ما ليس للنثر من فضل الانتشار والاشتهار والاستمرار والاستقرار على ممر الأعصار فلهذه الخصائص زادت بهِ عنايتهم و بعُدت فيهِ غايتهم

" واخترت من بين دواوين العرب ديوان حسّان بن ثابت رضى الله عنهُ لمكان شهرتهِ في الجاهليّة والإسلام حتى صار شاعرَ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الذابّ عن حضرتهِ المناضل لعدوه من جهتهِ حتى أفحم الفصحاء وأسكت البلغاء ونال عندهُ اليد البيضاء والدرجة العلياء "

"وسلكت في شرحهِ أن أتكلم على ما قد تمس الحاجة اليهِ من بيان مفرداتهِ والاستشهاد عليها بما أجد من شعر العرب وما قالهُ ثقاة علماء اللغة فيها وأتكلم على الإعراب فيما قد يختلف المعنى باختلافهِ أو ما عساهُ يخفى على بعض المبتدئين وعلى القواعد عند اقتضاء الحال وقد اتعرَّض لذكر الخلاف وتفصيل القول فيهِ وعلى حل المعنى بحسب ما أراهُ في غير ما قد يُستغنى عنهُ لظهورهِ أو سَبْقِ ما يدل عليهِ واذكر ما قد أشار لهُ الناظم رضى الله عنهُ أو سيق الكلام لاجله من الوقائع وسائر الأغراض مستشهدًا عليها بما يناسبها من شعر وما يدل لها من نقل الى نحو ذلك مما يعلم بالاطلاع على ذلك الانموذج ليكون الشرح جامعاً بين اللغة والتاريخ والرواية مضافاً الى ما يستفاد من أصل المتن وسياق الكلام من أخلاق العرب وعاداتهم وطباعهم وما يمدح ويذم ويُحَبُّ ويكرهُ عندهم ولا يخفى أن حسَّان رضي الله عنهُ من المخضرَمين الذين عمَّروا جاهليَّةً وإسلاماً وشعرهُ الموجود في ديوانهِ بعضهُ من كلامهِ قبل الإسلام وبعضهُ في الإسلام فجمع كلامهُ بين الحالتين حتى ربما وُجد ذلك في القصيدة الواحدة كالقصيدة التي شرحناها في هذا الانموذج وهذا ايضاً أحد الأوجه التي حملتني على إيثارهِ على غيرهِ واختيارهِ دون سواهُ

"وقد وجدت نسخاً متعددة من شعرهِ في مصر القاهرة وفي القسطنطينيَّة دار الخلافة السنيَّة وغيرهما في جملة روايات ومنها نسخة برواية أبي عبدالله العدَوي مكتوبة في سنة ٤١٩ مكتوب في آخرها أنها منقولة من نسخة قرئت عليهِ سنة ٢٥٥ من الهجرة وقيَّدتُ عندي ما وُجد في النسخ من اختلاف رواية ونقص وزيادة الَّا ما وجدتهُ ساقطاً بالمرة بعيدًا عن مظنة الصواب لا يستحق الاثبات فتكامل من ذلك ما يكفي مجموعهُ لأن يتحرر منهُ سِفر يكون بقدر الامكان أصحَّ

واجمع ما رأيت من نسخ الديوان"

فصفق الحاضرون استحساناً لما قال وتبعهم في ذلك من لا يفهم العربيَّة منهم اعتماداً عليهم وطلب بعضهم من حضرة الاستاذ الفاضل الوطني العالم الكامل من هو من اكبر المحبين لدولتهِ واكثر الناشرين لمحامد ملتهِ صاحب العطوفة مدحت افندي وافد الدولة العليَّة ان يُلَخِّص لهم هذه المقالة بالفرنساويَّة فلخصها لهم أحسن تلخيص واكمل توضيح فزاد استحسان الحاضرين وفَهِمَ من لم يفهم أولاً ممن لا يعرف لسان العرب وقد أحب بعض العلماء المشتغلين بالعربيَّة من الحاضرين وأظنهُ الأستاذ دُهجُويَهْ أن لو قرأ عليهم سيدي الوالد شيئاً من شرحهِ فقرأ عليهم شرح بيتين حسب ما اتفق بالصدفة عند فتحهِ الكتاب فاستحسن ذلك الجمع وأعادوا التصفيق وزادوا في الاستحسان وطلب أحدهم أن يقرأ شرح بيت أخر فقرأ فزاد السرور وعلا التصفيق وأعرب لهُ الاستاذ دُهجُويهْ زيادة تشكر الجميع لهُ بالنيابة عنهم فصادقوا على تشكر هذا الفاضل باظهار علامات القبول والرضاء من تصفيق الجميع عند ذلك ثم نزل سيدي الوالد من المنبر فأخذ كاتب السر شرح القصيدة منهُ ليجعلهُ ضمن أعمال المؤتمر التّي ستطبع وتنشر

وتلا السيد الوالد على منبر الخطابة كثير من العلماء وجم غفير من الفضلاء وتكلم كل في موضوعهِ الذي أراد بلغتهِ التّي اعتاد وكان عند فراغ كل من كلامهِ يسأل الرئيس الحاضرين عما اذا كانت لديهم ملاحظات في الموضوع الذي تكلم فيهِ الخطيب فكان يتقدم البعض الى ابداء الملحوظات ويُجيبهُ الخطيب حتى اذا أتمَّ كلامهُ تلوهُ بالتصفيق والاستحسان

واستمرَّ الحال على ذلك الى ان جاءت نوبة حضرة رفيقنا الشيخ حمزه فتح

الله فقدّم رسالتهُ الّتي جمعها في حقوق النساء وسمّاها " باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام " فصفّق لهُ الحاضرون

وبهذه المناسبة اذكر قصيدة حضرة رفيقنا الموما اليهِ الّتي امتدح بها مليك هذه البلاد وان كان انشادهُ لها في غير هذه الحفلة وهي قصيدة طويلة ضافية الذيول رنانة الحجول مطلعها

حَمْدُ السُّرى يا أُخيَّ العَوْدِ والنابِ أنساكَ وعثاء إغبابٍ وإخبابِ

وقد أبدع فيها الناظم وأغرب وأرقص وأطرب فأتى فيها من غريب الألفاظ وعجيب الكلمات بما دلّ على تعمقهِ في اللغة فمن اطلع على أبياتها وكان ذا فطنة تمكّنهُ من فهم معانيها وحل مبانيها علم ان مذهب حضرة الناظم ليس كمذهب من يرى استعمال الالفاظ القريبة المأخذ من الشعراء كالبحتري حيث قال

وركبنَ اللفظَ القريبَ فأدركْ نَ بهِ غاية المراد البعيد

هذا و" السُّرى " سير عامَّة الليل و" العَوْدُ " الجمل المسن الذي جاوز في السّن البازل والمخلف و" الناب " الناقة المسنة سمَّوْها بذلك حين طال نابها وعظم و" الوَعْثاء " المشقة كما في القاموس وفي اللسان " ووعثاء السفر مشقتهُ وشدتهُ وروى عن النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ كان اذا سافر سفراً قال اللهمَّ انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلَبِ اي شدتهِ ومشقتهِ " انتهى

ولفظ وعثاء مضاف الى لفظ اغباب المعطوف عليهِ اخباب وهما إن كانا بكسر الهمزة أو بفتحها ليسا بمعنى السفر او الأسفار اذ لم نجدهما بهذا المعنى في جميع ما بأيدينا من كتب اللغة مع كثرتها وغاية ما يمكن حمل الاغباب عليهِ إن كان بكسر الهمزة أنْ يكون الاغباب مصدرَ أَغبَّ الماشيةَ صاحبُها اي جعلها ترد

يوماً وتظمأ يوماً أو تظمأ يوماً وليلتين وترد بعد ذلك وهذا وان كان يمكن في غير السفر لكنهُ في السفر اكثر وفي اللسان " وغبَّ بمعنى بَعُدَ "لكنهُ لم يأت لهُ بمزيد حتى كان يقال إن الإغباب بمعنى الإبعاد — وان كان بفتح الهمزة ان يكون من قولهم مِياهٌ أغبابٌ اي بعيدةٌ أوْ يكون جمع غُبٍّ بالضمّ اي الغامض من الأرض — والاخبابُ بكسر الهمزة مصدر أخَبَّ الدَّابةَ صاحبُها أي جعلها تسير الخَبَبَ وهو نوع من العَدْوِ وبفتحها إما جمع خَبَبٍ بالمعنى المذكور او جمع خُبٍّ بالضم بمعنى الأرض الغامضة

والمعني أنَّ حمدَ سير عامة الليل يا أخا البعير المسنّ والناقة المسنة الصغيرَ أنساك مشقة جعلك مطيَّتك ترد يوماً وتظمأ يوماً أو تظمأ يوماً وليلتين وترد بعد ذلك ومشقةَ جعلِك مطيتك تسير الخبب هذا على حمل الاغباب والاخباب بكسر الهمزة وعلى جعلها بفتحها أنساك مشقة المياه البعيدة أو الغوامض من الأرض ومشقة سَيْرات الخَبَبِ أو الغوامض من الأرض

هذا ما أمكن حمل الاغباب والاخباب عليهِ على الكسر او الفتح وقد يكون حضرة الناظم أراد غير ذلك فإنهُ بعيد مرامي النظر سديد المرام إذا نظم أو نثر

فانظر أيُّها القارئ نفثاتِ هذا السحر الذي أودعهُ هذا الفاضل مطلع قصيدتهِ وتأمَّل كيف استعمل التجريد الذي هو من المحسّنات البديعيَّة إذ جرد من نفسهِ شخصاً مصاحباً للبعير والناقة مؤاخياً لهما كناية عن كثرة الأسفار وموالاة الترحال رغبةً في بث علوم الشرق بين أهل الغرب وكيف جاء حفظهُ الله في استهلال كلامهِ بالصعب الممتنع ليناسب بين وُعُورة الالفاظ وَوُعورَة الأسفار فجاء الكلام ملائماً للمقام مع مراعاة براعة الاستهلال

ولا يفوتنَّك ما في هذا الكلام من الطِّباق الذي هو من المحسّنات البديعيَّة حيث جمع بين الأُنثى والذكر من الجِمال في بيت واحد على ما بينهما من التَّضاد وقد أتى في هذا البيت وفي غيرهِ من أَبيات القصيدة بما يُفيد أَن سفرهُ كان على الجِمال جرْياً على سُنَّة العرب في أَسفارهم ليفيد أَهل الغرب عادات العرب في أَشعارهم مع انهُ منذ خرج من مصر الى حين وصل الى عاصمة السويد لم يركب غير عربات البر وسفن البحر

وأَمَّا ما دُوِّنَ في الكتب من انهُ ينبغي انتقاء الأَلفاظ السهلة المتداولة والابتعادُ عن الغريبة فلعلهُ بالنسبة الى من قصرُ عن التبحر في اللغة وأَفانينها لا بالنسبة الى أَمثال حضرة الناظم الفاضل

وجل القصيدة جارٍ على هذا المثال منسوجٌ على ذلك المنوال مشحونٌ من أَشباه العَوْد والناب والإِغْباب والإِخْباب بما يؤَكد للقارىء ان حب اللغة حَقَّر في عين حضرة الناظم وعثاء هذا الكلام

ولنسرد لك بعض أَبيات من هذه القصيدة لتكون عنواناً على باقيها قال بعد المطلع

فأَنت إِن هوَّدَتْ وجناكَ أَووخَدَتْ فما حَما دَاكَ الاَّ حمدُ أَغباب

ومنها

حيا الحيا مهرةً عني وأَينُقها بصالحٍ مِنْ أَجشِّ الصوب مِسكاب

ومنها

فيا حُداةُ أَغِذُّوا السير حيث وميض الثغر منها بإِرْقالٍ وإِرقاب

ومنها

وحاديَ الركب نشوانَ الحُدَاء فتنْسيار الهُوَينا بهِ تسيارٌ ميقاب

ومنها

والعِيسُ شِنشِنةٌ فيها اذا اتَّأَدَتْ بهـا حداةٌ سراها عَوْد أَوَّاب

ومنها

فأَوْمأَت للبنان الرَّخصِ خَضَّبهُ قَانٍ من الدمع وكَأَّفٍ بِميزاب

ومنها

لا يُبْعِدَنْكِ عني سَيْرُ بأَئكةٍ تفلي نواصيـ بيداء بجوَاب

ومنها

كم خلَّب سَحَّ عنهُ صيِّبٌ غدقٌ أَحيا الثراءَ لِذيـ جِدٍّ وَدَعَّاب

ومنها

والبينُ لا عاد قلبُ النِّيب لا نعمت لا قلب أَغربة سيمت بِتَنْعاب

ومنها

وَلَم أُجاوز شُبَيثًا في لُبانتهـا ولا الأَحَصَّ فما عذري لِعتَّاب
علَّ الامانيَّ قد هامت رَكيتُها بفتح ما كان دون الحاج من باب

ومنها

ان الثَّواءَ ثواءٌ والقصورَ قبو ر العـاجزين ولا إِبراءَ للخابي [1]

ومنها

أَسكار الثانـ قد أَحيا الملوم بها فأَصبحت كخضمٍ بين أَثغـاب
اسكار الثـاني قد أَحيا مآثركم يا عرب بَاحةَ فيهـا بعد أَحقاب

وبعد فراغهِ من انشادها صفَّق لهُ الحاضرون استحسانًا وابتهاجًا

---

(١) سبقهُ الى [illegible] ت ابن درّج حيث قال
أَلم تعلمي [illegible] الثَّوَى وأَن بيوت العاجزين قبور

﴿ مكتب السباحه ﴾

بعد فراغنا من اعمال المؤتمر في هذا اليوم يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى مكتب السباحة لحضور الاحتفال الذي هيّئَ فيهِ إكراماً لأعضاء المؤتمر فوصلناهُ في الوقت المحدد لذلك وهو الساعة الخامسة بعد الظهر وهذا المكتب على مقربة من سرايـے المؤتمر قائم بلصق جزيرة سترُمسبارج الصغيرة شبيه بحمامات الاسكندريَّة البحريَّة وهو عبارة عن ممشى عريضة دائرة حول الماء مرتفع سطحها عن سطحهِ بنحو مترين أو ثلاثة وفي الجهة المقابلة للباب تجاه الداخل محلٌّ من الخشب مرتفع بهِ عدة طبقات ملاصق طرفهُ لطرف الممشى من جهة الماء الذي في الوسطِ يُصعد الى طبقات هذا المحل في سلّم بداخلهِ وليس لهذه الطبقات حواجز من جهة الماء الداخل فتترامى التلامذة منها الى الماء كلٌّ بحسب تقدمهِ في معرفة السباحة فمنهم من يهبط الى الماء من الطبقة الأُولى رمياً بنفسهِ ومنهم من يهبط مما فوقها وهكذا الى آخر الطبقات

وقد صُفّت الكراسي على الممشى حوالِيَ الماء لجلوس أعضاء المؤتمر ونسائهم وكان جلوس الملك وولي عهدهِ بجهة الباب تجاه المحل ذي الطبقات المذكور

وقد لبس التلامذة ذكوراً وإناثاً ألبسة من الفلانيلة ملصقةً بالجسم كالتي يلبسها اللاعبون في الألعاب البدنيَّة ولا تمتاز الإناثِ عن الذكور الا بطول [illegible]رهنَّ وانكشاف بعض صدورهنَّ وجزء من أيديهنَّ وظهورهنَّ وكون سراويلهنَّ [illegible] أبدانهنَّ لاتساعها بالنسبة لسراويل الذكور وذلك لمن احتاج الى [illegible] عنهُ حسن الوجوه الفتان واعتدال القدود الحسان

[illegible]كلون على الماء باجتماعهم اشكال مثلثات ومربعات

ومنها

والعِيسُ شِنْشِنةٌ فيها اذا اتَّأَدَتْ بها حداةٌ سراها عَوْد أَوّاب

ومنها

فأَوْمأَت للبنان الرَّخْصِ خَضَّبهُ فَانٍ من الدمع وَكّافٍ بمِيزاب

ومنها

لا يُبْعِدَنْكِ عني سَيْرُ بائكةٍ تفلي نواصيَ بيداء بجوّاب

ومنها

كم خُلَّب سحَّ عنهُ صيِّبٌ غدقٌ أَحيا الثراء لِذِي جِدٍّ وَدَعَّاب

ومنها

والبينُ لا عاد قابُ النِّيب لا نعمت لا قلب أَغربة سيمت بِتَنْعاب

ومنها

وَلمِ أُجاوز شُبَيْثاً في لُبانتها ولا الأَحَصَّ فما عذري لِعتّاب

علَّ الاماني قد هامت رَكيتُها بفتح ما كان دون الحاج من باب

ومنها

ان الثَّواء ثواءٌ والقصورَ قبو ر العاجزين ولا إِبراء للخابي(١)

ومنها

أَسكار الثانِ قد أَحيا الملوم بها فأَصبحت كخضمٍ بين أَثغاب

اسكار الثاني قد أَحيا مآثركم يا عرب باحةَ فيها بعد أَحقاب

وبعد فراغهِ من إِنشادها صفّق لهُ الحاضرون استحساناً وابتهاجاً.

(١) سبقهُ الى معنى هذا البيت ابن درّج حيث قال

أَلم تعلمي أَن الثواء هو الثَّوَى وأَن بيوت العاجزين قبور

مكتب السباحه

بعد فراغنا من اعمال المؤتمر في هذا اليوم يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى مكتب السباحة لحضور الاحتفال الذي هُيِّئَ فيهِ إكراماً لأعضاء المؤتمر فوصلناهُ في الوقت المحدد لذلك وهو الساعة الخامسة بعد الظهر وهذا المكتب على مقربة من سرايے المؤتمر قائم بلصق جزيرة ستُرمسبارْج الصغيرة شبيه بحمامات الاسكندريَّة البحريَّة وهو عبارة عن ممشى عريضة دائرة حول الماء مرتفع سطحها عن سطحهِ بنحو مترين أو ثلاثة وفي الجهة المقابلة للباب تجاه الداخل محلٌّ من الخشب مرتفع بهِ عدة طبقات ملاصق طرفهُ لطرف الممشى من جهة الماء الذي في الوسط يُصعد الى طبقات هذا المحل في سلَّم بداخلهِ وليس لهذه الطبقات حواجز من جهة الماء الداخل فتترامى التلامذة منها الى الماء كلٌّ بحسب تقدمهِ في معرفة السباحة فمنهم من يهبط الى الماء من الطبقة الأُولى رمياً بنفسهِ ومنهم من يهبط مما فوقها وهكذا الى آخر الطبقات

وقد صُفَّت الكراسي على الممشى حوالِيَ الماء لجلوس أعضاء المؤتمر ونسائهم وكان جلوس الملك وولي عهدهِ بجهة الباب تجاه المحل ذي الطبقات المذكور

وقد لبس التلامذة ذكوراً وإناثاً ألبسة من الفلانيلة ملصقةً بالجسم كالتي يلبسها اللاَّعبون في الألعاب البدنيَّة ولا تمتاز الإناث عن الذكور الا بطول شعورهنَّ وانكشاف بعض صدورهنَّ وجزء من أيديهنَّ وظهورهنَّ وكون سراويلهنَّ أقلَّ التصاقاً بأبدانهنَّ لاتساعها بالنسبة لسراويل الذكور وذلك لمن احتاج الى التمييز بما ذكر ولم يغنهِ عنهُ حسن الوجوه الفتان واعتدال القدود الحسان

فرأينا التلامذة يتشكلون على الماء باجتماعهم اشكال مثلثات ومربعات

ودوائر ومنحنيات على اختلاف الأوضاع في ذلك كله ومع هذا لا يظهر منهم حراك ولا ترى أجسامهم الا ساكنة كأنهم مثبتون في الماء بأوتاد

ولا غرو في كون أهالي هذه البلاد اعتنت بأمر السباحة كل الاعتناء واتقنته غاية الاتقان لأن بلادهم تحفها البحار المائلة فضلاً عما يتخلل سائر انحائها من البحيرات والأنهار مع ملازمتهم ركوب البحر للصيد والاتجار

وقد رأينا من الأشكال وشاهدنا من الجراءة والترامي من الطبقات العالية في الماء تارة بالرأس ومرةً بالقدم او بالأيدي او بأي جزء من أجزاء الجسم ونظرنا من القدرة على السباحة مع الراحة في الحركات والسكنات ما يحير الألباب ويوجب الاستغراب

ومما يقضي بالعجب العجاب أن رأينا شابة لابسة الملابس المعتادة جالسة وسط المتفرجات ومعها شمسيةٌ مفتوحة تحجب عنها الشمس إسوة غيرها منهن وإذا بها وقعت في البحر وصاحت صيحةً اضطربت لها الحاضرات وطلبنَ لها الإغاثة وقاربنَ الأخذ في الولولة والبكاء لولا أن انكشف الغطاء وظهر أنها من تلامذة السباحة أرادت إظهار المهارة في الفن وقد طفت على وجه الماء عائمة ممسكة بشمسيتها لم تخلع شيئاً من ملابسها فصفق لها الجميع استحساناً

وتالله إن آخر منظر لا يخرج لي من بال ولا يعزب عني بحال أن عاينت نحو الخمسين من ربات الجمال شكلن ثلاث دوائر وسط الماء في غاية الانتظام كل واحدة منها بداخل الأخرى بحيث إن كل شابةٍ ممسكة بيديها رجلي أخرى والجميع وجوههن الى السماء وظهورهن الى الماء ساكنات لا يبدين حراكاً من أنفسهنَ وانما يتحركنَ بحركة الماء من غير أن يتغير لهن وضع وترى شعورهن

الذهبيَّة تتقلب من خفض الى رفع

فوا أسفاهُ على قلة الاتساع في صناعة الشعر وقصر الباع في الإنشاء والنثر فإن هذا أمر لو استوفاهُ من رآهُ ووفاهُ حقهُ من يهواهُ لأبدع واجاد وأتى بما يُعْرِبُ عن المراد فهذه الوجوه النضرة والماء والخضْرة والجموع المتحابة والهواء المعتدل وصفاء الوقت مما يشرح الصدور ويستوجب مزيد الحبور

وكان الجميع محدقين بالأبصار الى هذه المرائي الحسنة والأشكال المستحسنة تبدو عليهم علامات الاستغراب والاستحسان منذهلين مما يرَوْنهُ حتى إنهم لم يشعروا بالليل وغِشْيانهِ والظلام وإتيانهِ الَّا بعد انتهاء السباحة فكان ما استولى على كاتب هذه الأحرف من الانبهات قد استولى على جميع المتفرجين والمتفرجات

ثم خرجنا جميعاً والكل يتحدث بما رآهُ مظهراً للسرور والابتهاج حتى وصلنا الفندق وأخذنا نستعد لضيافة الكونت والكونتيس ده لاندبرج حرمهِ في هذا المساء

ضيافة الكونت والكونتيس ده لاندبرج

الكونت والكونتيس قد أعلنا بهذه الضيافة في پروجرام المؤتمر الذي طبع قبل انعقادهِ بأشهر واستعدَّا لها تمام الاستعداد فجاءت مستوفيةً أسباب السرور مستكملة دواعي الحبور وهذه ترجمة التذكرة التي ارسلاها للدعوة اليها قبلها بقليل:

" الكونت والكونتس ده لاندبرج يدعوان حضرة...... أن يشرفهما بالسهر

عندها في يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر الساعة الثامنة مساء

والتشريف يكون بقاعات الاحتفالات بفندق جراندا وتيل والرجاء الإفاده"

فقصدنا هذه القاعات بالفندق وهي فسيحة تسع عدداً كثيراً مزينة بأحسن زينة مزخرفة بألطف زخرف نُقلت اليها الاشجار الغريبة وغير الغريبة حتى كأنَّ بها حديقة غناء هُيئت من سنين طوال قطوفها دانية وأزهارها زاهية تُبهج الناظر وتسر الخاطر والخدم القائمون بخدمة المحل ونظامهِ جميعهم لابسون الملابس الشرقية ولا يخفى ما في ذلك من المناسبة فإن المدعوّين من المستشرقين والضيافة من الكونت كاتب سرهم ووظيفتهُ السياسية في البلاد المشرقية فكأنهُ أحضر هؤلاء الخدم معهُ من الشرق

وقد أُحضر في هذه الضيافة موسيقى تياتر الأُوپرا ومشاهير راقصاتهِ فإذا رقصنَ رقص مصر لبسنَ ملابس راقصاتها وإذا رقصنَ رقص بلاد السودان أو غيرها من بلاد المشرق لبسن ما اعتادهُ راقصات هذه البلاد

وكان المدعوون منتشرين بهذه القاعات بين متفرج على الراقصات ومحاسنهن وما يبدين من فنونهنَّ وبين متأمل لما حواهُ هذا المكان من الزخرفِ والزينة ومن فيهِ من صنوف العالم وبين متحدث مع صاحبهِ من المستشرقين أو صاحبتهِ من المستشرقات وبين مشتغل بتعاطي المرطبات والجميع في غاية الاحتشام وكمال الوقار والرجال لابسون ملابس سوداء كعادتهم في الولائم والاحتفلات متحلون بالنياشين والنساء لابساتٌ ما اعتدن لُبسهُ في ذلك

كل ذلك والكونتيس ده لاندبرج تقابل ضيوفها بمزيد البشاشة وكمال الانشراح .

وهي ألمانية الأصل ورثت من أبيها ما لا تقدّره بعضهم بخمسة عشر مليوناً من الفرنكات حسنة التربية مهذبة الأخلاق محبة للخير تساعد كثيراً من الجمعيات الخيرية وآحاد الفقراء تعرف وتتكلم بكثير من اللغات كالفرنساوية والألمانية والانجليزية والطليانية مع أنها ربما لا يتجاوز سنها الأربعين

وكان الفندق مزيناً من الخارج بسواطع الأنوار كالليلة السابقة والرصيف أمامهُ مملوءٌ بالخلائق الذين أتوا لرؤية أعضاء المؤتمر وكبار رجال الحكومة المدعوّين وانتظار تشريف سموّ الملك الى هذه الدعوة

وما لبث أن حضر سموّهُ لابساً ملابس سوداء متحلياً بنياشينهِ يقدم حاشيتهُ من الوزراء والأمراء فصدحت الموسيقى بالسلام الملوكي الخاص ولما دخل حيَّا المدعوّين الى أن وصلني فحيَّانا وسأل عن خاطر سيدي الوالد بواسطتي

وصار بعد ذلك يحيّي باقي الحاضرين ويسلم عليهم نساءً ورجالاً حتى جاء وقت تعاطي الطعام ففتحت محلاتهُ واذا بالموائد على طراز البلاد المتقدم ذكرهُ مراراً الا مائدة الملك فإنها على الطراز الأوروبي المعروف فجلس الملك على مائدتهِ وجلس معهُ عليها الوزراء والأمراء والكونتيس دهلاندبرج وبعض السفراء

وكان الملك حال دخولهِ الى الأكل وخروجهِ عنهُ آخذاً بيد الكونتيس أما الملكة حرمهُ فلم تكن باستكهلم اثناء احتفالات المؤتمر جميعها بل كانت متغيبة في داخلية البلاد تبغي تغيير الهواء لاعتدال المزاج وإزالة الأسقام

وبعد خروجهِ من محل الأكل الى محل الاحتفال أخذ يتمشى والراقصات ترقص والموسيقى تصدح الى أن صدحت بالسلام الخديوي وتبعهُ غيرهُ والناس في ابتهاج والليل مجد في السير حتى خفنا ان يدركنا الصباح فانثنينا الى محلات

النوم نبتغي الراحة لننشط لأعمال الغد

وذلك أنه من مقتضى البروجرام ويومية المؤتمر ان يشتغل اعضاء الأقسام في المحال المخصصة بهم من الصباح الى وقت الظهر وأنهم بعد ذلك يسافرون في الساعة الثانية بعد الظهر بقطار خصوصي مجاني مارين بمدينة أُبسالا الى جملا أُبسالا أي أُبسالا العتيقة وهي تبعد عن الأولى بمسافة عشر دقائق وبها تستقبل الأساتذة والتلامذة اعضاء المؤتمر بالاحتفال اللائق ويقدمون لهم "رحيق الآلهة" على قبور "أودين" و"تور" و"فريز" معبودات هذه البلاد قديماً ثم بعد هذا يهدى للمؤتمر باسم الملك أثر يخلد ذكر هذا المجتمع بين العلماء الى الأبد وذلك بحضور جميع موسيقات استكهلم الحربية

ثم تكون العودة بعد هذا الى مدينة أُبسالا وبها يضيف أهل المدينة وتلامذة دار المعارف أعضاء المؤتمر ويسمعونهم انغام الموسيقي الصوتية التي يترنمون بها من غير آلة

ثم تكون العودة من أُبسالا على القطار المذكور والساعة عشرة وربع مساء والوصول الى استكهلم يكون والساعة ١١ و٥٦ دقيقة أما الملابس فتكون الملابس اليومية المعتاده

المسير الى أُبسالا القديمة ثم الى أُبسالا الجديده

وضيافة الطلبة والبلدية بها

سار اعضاء المؤتمر على قطارين متعاقبين والساعة الثانية بعد الظهر من يوم الاربعاء ٤ سبتمبر سنة ٨٩ الى جملا أُبسالا اي أُبسالا القديمة وكان الوصول

اليها بعد مسير نحو ساعتين فوجدنا في انتظارنا هنالك خلقاً لا يحصي عددهم نقلتهم الوابورات الى ذلك المحل من استكهلم وغيرها من سائر انحاء المملكة

وأپسالا القديمة الآن قرية لا تذكر بعد ما كان لها من المجد في الأزمنة الخالية فإنها كانت مقرًا للملوك السويد أيام عبادة الأوثان وكان معبدها الشهير قائمًا حيث الكنيسة الصغيرة التي بها اليوم

وبجوار هذه الكنيسة عدّة أكمات اكبرها ثلاثة قطر الواحد منها ٦٠ مترًا وارتفاعهُ ١٨ مترًا تُنسب الى معبوداتهم الثلاثة "تُور" و"أُودِين" و"فْرَيّر" وقد كانت قبورًا لهم كما دلّت على ذلك الاكتشافات التي حصلت اخيرًا

ومع شدة الازدحام بهذا الاحتفال كانت الأكام الثلاثة خالية منهُ لتخصيص اثنين منها بأعضاء المؤتمر والاحتفال بتقديم رحيق الآلهة لهم "إِيدْرُوميلْ" بهما وتخصيص الثالث بتلامذة دار المعارف البالغ عددهم نحو ١٦٠٠ تلميذ لابسين ملابسهم الرسميّة وهي عبارة عن بنطلون أسود وسترة سوداء ذات زرائر صفر وقبعة بيضاء قصيرة حاملين راياتهم وهي ثلاث عشرة راية حسب عدد فرقهم في العلوم التي يتلقونها تحيط بهم موسيقات استكهلم العسكريّة مستكملات العَدد والعُدد

وبوصول الأعضاء أخذ الأهالي جميعًا يقابلونهم بالترحيب والتحيّة وكذلك التلامذة وصدحت الموسيقات وتحرّكت الرايات إشارة الى السلام فكانت تسمع الأصوات من مسافة قاصيه

وصعد غالب الأعضاء على أكَمَةِ أودين فألقى حاكم أپسالا مقالة تشكر فيها للحاضرين الّذين شرفوا المكان وتلاهُ حضرة الكونت دُه لاندبرج فخطب خطبة معناها أن سموّ الملك كلّفهُ بان يقدم من طرفهِ الى المؤتمر تذكارًا يخلّد الى

الأبد على شرط ان يتناقلهُ رؤساء المؤتمرات جيلاً بعد جيل وهو قرن من الخرتيت طولهُ نحو نصف متر مكسوٌّ بالفضة والذهب على شكل القرون التي كانت الآلهة القديمة تشرب فيها مشروبها المسمى إيدرُوميل وهو من جنس ما يقدَّم منهُ للأعضاء

وتلاهُ رئيس دار المعارف بأُپسالا فخطب بالترحيب والتأهيل وتلاهُ غيرهُ من الأعضاء والموسيقى تصدح بعد كل خطبة وجميع الحاضرين يصفقون ويرفعون أصواتهم بالاستحسان

وبعد الفراغ من الخطاب دار على الأعضاء شراب الإيدروميل في قرون على شكل القرن الذي أهداهُ سموّ الملك

وشراب الآلهة هذا مزيج مصنوع من عسل وماء وبيرة لطيف الطعم والمذاق الاَّ إنهُ على ما يقال شديد الإسكار ويوجد منهُ في أُپسالا عند باعة المشروبات على الدوام في سائر الأزمان أمَّا في غيرها من بلاد السويد فلا يوجد الاَّ بالتوصيةِ ولكن لا يحتاج تجهيزهُ الاَّ الى ثوانٍ من الزمان لأن الاجزاء التي يتركب منها متيسرة في كل مكان

وبعد الفراغ من الشرب قصد الأعضاء أُوپسالا الجديدة لحضور ضيافة التلامذة والأساتذة وأهل المدينة فركب بعضهم في الوابورات وبعضهم في عربات حسب ما أحبُّوا ومن لم يتيسر لهُ من الأهالي ما يركبهُ توجه اليها ماشياً وان كانت المسافة للماشي تبلغ الساعة على ما يقال

وكان معنا بأُپسالا القديمة والجديدة صاحبنا المسيو هيدين الشاب الذي ساح ببلاد الترك وغيرها على ما سبق

وكانت عودتنا الى أُپسالا الجديدة بالسكة الحديدية فوصلناها في مسافة عشر دقائق ويتوصل اليها من استكهلم بالسفن في فرع من بحيرة ميلار كما يتوصل اليها بطريق السكة الحديدية الذي سلكناه ويخترقها نهر فُوريزيه من الجنوب الى الشمال

وعدد سكانها نحو عشرين ألف نفس وهي آخذة في الاتساع يوماً فيوماً وشهرتها بدار المعارف التي بها

ودار المعارف هذه بناء فاخر متسع مشيد بني في عشر سنين من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٦ وبها من الأساتذة المقررين خمسون ومن المساعدين لم نحو ذلك وعدد التلامذة فيها ١٦٠٠ منقسمون الى ثلاثة عشر قسماً بحسب ما يتلقونهُ من العلوم كما مرّ ويسكن كل قسم غالباً في جهة مخصوصة بهِ في المدينة بمساكن يُدير حركتها أُناس منهم يُعينون لذلك بانتخابهم

وبهذه البلد نظراً الى وجود دار المعارف بها كتبخانة من أجلّ كتبخانات السويد تحتوي على ٢٣٠٠٠٠ مجلد منها سبعة آلاف بخط اليد فيها من نفائس الكتب وبدائع الآثار ما تباهي بهِ أحسن الكتبخانات وأهم غرائبها نسخة إنجيل ترجمها القسيس أُولفِيلاس في النصف الآخير من القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة بحروف من الذهب والفضة على مائة وسبعة وثمانين قطعة من الجلد حمراء

هذا والضيافة التي أعدّها لأعضاء المؤتمر التلامذة وأساتذتهم وشاركتهم فيها بلدية أُپسالا قد جُعلت في قاعة التدريس الكبيرة بدار المعارف

وهي متسعة جدًّا تعلوها قبة في غاية الارتفاع جميعها مع هذه القبة مذهّب بصنوف التذهيب العجيب تسع لا أقلّ من خمسة آلاف نفس جُعلت فيها

مدرّجات تجلس عليها الطلبة ولكنها رُفعت من محالها لمناسبة هذا الاحتفال ولم يبق منها الاّ ما لاصق الجُدران وقد صار تنوير المحل بالأَضواء الكهربائيَّة وأَضواء مصابيح الغاز مما جعل الليل أَبهجَ من النهار

واجتمع الناس من كل فج الى هذا المجتمع وصارت الموسيقات تصدح بأَنغامها المطربة وتشدو بأَحسن ما اخترعهُ أَرباب فن الموسيقى الى أَن أَتت نوبة السلام الخديويّ في وقتها المعين لها بالپروجرام فغنت بهِ الموسيقى وتبعهُ التصفيق وارتفاع الأَصوات من جميع الحاضرين يقصدون بذلك أَداء مراسم التحية لنا أَرباب الوفد المصري بتعظيم سلام متبوعنا الفخيم

ولقد وجدتُ عند ذلك اريحيَّةً وبالحواسّ انتعاشًا وفي القلب انشراحًا واستولى عليَّ الطرب والابتهاج لما سمعتُ ورأَيتُ من تعظيم وطني من هؤلاء القوم المجتمعين من مشارق الأَرض ومغاربها بسبب تعظيم صاحبهِ وأَميرهِ

ثم أَخذت الخطباء تخطب فمن وطني يتشكر للوافدين ومن وافد شرقي او مستشرق يثني على الأَهلين ويبث مكارم اخلاقهم ويُطنب في حسن سيرتهم وان كانت الضوضاء مانعة السمع عن اكثر ما يقال لكن التصفيق لم يمتنع عقب ختم كل خطيب المقال

واستمرت الخطابة حتى جاء وقت استماع انغام الموسيقى الصوتيَّة من التلامذة يترنمون بها كما تقدم من غير آلة وهي عالية الصيت والذكر في أُوروبا فأَصغي الحاضرون وأَخذ التلامذة يترنمون حتى كأَنهم موسيقى كاملة الآلات بالغة غاية الاستعداد وعددهم يزيد على مائة وخمسين ثم صعدوا بعد مسامتة الى البالكون المطل على القاعة مشرفين على من بها لزيادة تمكن استماع من فيها وهنالك

أنشدوا ما أخذ بالألباب وقضى بالعجب العجاب

ثم آن وقت تعاطي الطعام وقد اصطفت موائده في المحلات المعدَّة له خارج قاعة الاحتفال فأخذنا التلامذة اليها وتولَّوا مؤانستنا وأخذنا نأكل ونشرب حلالاً طيباً وكانت الخادمات لنا نساء اكابر القوم وأمرائهم وقد تزيَّنَّ بالزي الوطنيّ وتولَّيْنَ خدمة هذه الموائد الموضوعة على الطراز البلديّ إشارة الى كمال الاحتفاء وشدة الاعتناء

فالطعام كان لذيذاً وأصحاب الضيافة يبالغون في الإكرام وهؤلاء الأميرات لا يعادل ملاطفتهنّ وتواضعهنّ ومزيد التفاتهنّ وتمام رعايتهنّ الّا جمالهنّ الفائق ولطفهنّ الشائق فتبارك الله أحسن الخالقين

وقد أراد التلامذة الموسيقيون ان يشاركوا الجمع في تحيتنا ومؤانستنا فجاؤا ليسمعونا في اثناء الطعام نغماتهم المطربه

وبعد الفراغ من الأكل أخذنا نتأهب للمسير فإن اكثر الليل قد مضى وموعد السفر قد انقضى والوابورات في انتظارنا فركبناها وسرنا حتى وصلنا استكهلم

فأخذنا في النوم والراحة بقلوب منشرحة مرتاحة لأستعد في اليوم التالي أن ألقي على اعضاء الفصل الأول من القسم الأول من أقسام المؤتمر ما كتبتهُ في الموضوع الذي اخترتهُ

﴿ نبذة ﴾

في إبطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربيّة الصحيحة
باللغة العاميّة في الكتب والكتابه

في صبيحة يوم الخميس ٥ سپتمبر سنة ١٨٨٩ توجهنا الى سراي المؤتمر وقصدنا المحل المخصص بالفصل الأَول من القسم الأَول وكانت الأَعضاء حاضرة بهِ فألقيت عليهم النبذة التي أَلفتها " في إِبطال رأي القائلين بتعويض اللغة العربيّة الصحيحة باللغة العاميّة في الكتب والكتابه " فكان لي الحظ الأَوفى الأَوفرُ لأَن نالت من هؤلاء الأَعضاء الأَفاضل مزيد القبول والاستحسان والسعدُ الأَتم لأَن شكرني الرئيس عليها وخطب الأُستاذ البارون ده كريمر خطبةً في مدحها واستصوابها وبيان المقصود منها والفخارُ الأَكمل لإِجماع الحاضرين على الإِقرار عليها والسرورُ الأَكبر بتصفيقهم عند انتهائها وتهنئتهم لي بتأْليفها وهي هذه :

" ذهب بعض الناظرين في اللغات المشرقيّة من رجال أُوروبا الى أَن اللغة العربيّة المستعملة للتخاطب اليوم في البلاد التي يُتكلم فيها باللسان العربي قد صارت في غاية البعد عن اللغة العربيّة الفصيحة الأَصليّة حتى صح أَن تُعَدَّ كل منها لغةً مستقلة عن الأُخرى بحيث لو فرض أَنهُ أَتى الى جهة يتكلم أَهلها باللغة المستعملة الآن كمصر وسوريّة من لا يعرف الَّا اللغةَ الفصحى لم يمكن ان يفهموا منهُ أَو يفهم منهم الَّا بعد طول المعاشرة والمخالطة

قالوا وغاية ما يمكن لقائلٍ ان يقول في النسبة بين اللغة العاميّة المستعملة بين العرب اليوم وبين اللغة العربيّة الفصيحة هو أَن اللغة الفصيحة أَصل لهذه اللغة العاميّة وان هذه فرع تلك كما يقال إِن اللغة اللاَتينيّة أَصل للغة الطليانيّة

وإن هذه فرع تلك

ثم رأى اهل هذا المذهب أن اللغة العامية وافية بحاجات أهلها في التفاهم ولهم أن يستعملوها في جميع أنواع المعاني عالية ودانية علمية وأدبية وصناعية وشرعية وسياسية وبالجملة في كل ما يراد من معنى له مكان من ضروريات الإنسان اوحاجيَّاته او كمالاته ولهم ان يستعملوها كتابةً وتأليفاً كما يستعملونها نطقاً اما اللغة الفصيحة فهي من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم في ضرب من ضروب المعاني اللهمَّ الَّا اذا انفقوا في تعلّمها أزماناً طِوالاً وبذلوا في دراستها ما استطاعوا من جُهْدٍ وقوة

وبَنَوْا على ذلك أن اختصاص العلوم والآداب وفنون الصنائع واصول الشرائع ونحو ذلك باللغة الفصيحة ممَّا يقضي على أهل اللغة العربيَّة بالحرمان من التقدم في معارفهم وآدابهم بجميع أنواعها

وقد قال بعض مشاهير السياسة في الكلام على مصر ما نصهُ "وإخالُ أن أمل التقدم ضعيف ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربيَّة لغة القرآن كما في الوقت الحاضر بدل أن تتعلم اللغة العربيَّة المستعملة لأنَّ نسبة اللغة المصريَّة الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاَّتيني والإغريقي الحديث الى الإغريقي القديم . وعربيَّة الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة للحصول على النتائج الفعليَّة من المدارس المتعددة التهذيبيَّة لاستمر الجيل الجديد كسابقهِ غيرَ صالح لخدمة وطنهِ سواءٌ كان في القيادة العسكريَّة أو في الصنائع او في الخدم العامة وتَظَلُّ عبارة — مصر للمصريين — كما كانت اسماً بلا مسمًّى" انتهى كلامهُ

وبالجملة قد قالوا إن الأمة العربيَّة اذا بقيت علومها وآدابها مُخْتَزنةً في عبارات الفصيحة كانت كأَنها في لغة أُخرى غير العربيَّة ولا يصل آحاد الأُمة الى حاجتهِ من ذلك الاَّ بعد ان يصرف الجزء الاهم من عمره في تحصيل اللغة فلو ان العلوم نُقلت الى اللغة العاميَّة وهي لغة الاب والام وجميع الخلطاء يتعلمها الصبي كما يتعلم المشي والاكل والشرب لكان عندهُ من فضل الزمن ما يصرفهُ في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصبا وكان الزمن الذي يستغرقهُ في تعلّم اللغة الفصيحة محفوظاً للتوسُّع في العلوم والآداب وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة لحاجات الامة وبثها في انفس جميع احادها بدون استثناء فان اغفلت هذه الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون ولا لتحسين التربية العامة وهكذا لج هذا الوهم بار بابهِ حتى كاد يلتحق بالاراء المعتد بها

اما نحن فنخالفهم ونذهب غير مذهبهم لوجوه

الاول ان ما يجدونهُ من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون واستئثارها بالكتابة سيجدونهُ في نقل العلوم الى اللغة العاميَّة بل يجدون في الثاني ما هو اشد من الاول

فان اللغة العاميَّة تختلف باختلاف الاقطار والبلاد بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامي والفصيح بل ربما زاد فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة اذا ورد الى بلد من بلاد العرب الَّتي يتكلم فيها باللغة العاميَّة وحالهِ مع اهل ذلك البلد وحال اهل البلد معهُ يكون بعينهِ او اكثر في مصري ذهب الى بلاد المغرب الاقصى او الجزائر او سوريَّة وهكذا من يجيءُ من تلك الجهات الى مصر اذا كان لم يدخل المكاتب ولم يسبق لهُ مخالطة اهل البلاد الَّتي جاءها

وإنّا لا نشك في انك اذا قلت لمصري عامي "كيف حالك" باللغة الفصحى من غير لحن تجده يفهم من هذه العبارة ما اردت بخلاف ما اذا قال له المغربي "آشنِك" او "آشِنْتَايا" وكذلك فهم المغربي العامي اذا قلت له "كيف حالك" اسهل من فهمهِ لقول العامي المصري "إزَّيَّكْ" وهكذا يفهم المصري قول العربيّ الفصيح "ما هو" بخلاف قول المغربي (آشْنُوَّا) او (شِيهُو) او قول السوري (شكْلُو) وكذلك يفهم المغربي والسوري من قولك ما هو اكثر من قول المصري "إيهِهُوَّا"[1] او "هُوَّا ايه" وكذلك قولك للمصري "هذا الوقت" اسهل عليهِ فهماً من قول المغربي "تَوَّا" او "دِرْوَق" او "دِرْوَك" او قول النابلسي "هَالْقِيتْ" وقول البيروتي "هَلَّأْ" بتفخيم اللام والطرابلسي "هَلَّأْ" بترقيقها وقولك "عِمَامَه" أسهل عليهِ من قول المغربي "كَشْطَهْ" او الشامي "لفَّهْ" فإنهُ لا يفهم اللفّه الاّ بمعنى الثوب الذي يُلَفُّ فيهِ الطفل الصغير وهو رضيع غير مفصّل عليهِ وقولك "النَّعل" او "النعال" اسهل من قول المغربي "الصبَّاط" و"كثير" اسهل من قوله "ياسر" او "بِالزَّاف" و"العطفه" اسهل من "الزَّنقه" و"سفينه" اسهل من "شَقَف" او "شَقُوف" و"رواق" اسهل من "بُرْطال" وقولك "امضا" اسهل من قوله "خنفوسه" وقولك "امضيت الكتاب" اسهل من "خَنْفَسْت الكتاب" "والكتاب مخَنْفَس" وقولك "هل عندك ساعه" اسهل عليهِ من قول المغربي "ثَمَّاشْ مِنْقَالَه"[2] وقولك "كم الساعه" اسهل عليهِ من قول المغربي

(1) قوله (إيه هُوَّا) الهمزة في مثل هذه الكلمة والتي بعدها تُقرا ممالة بين الفتحة والكسرة

(2) قوله "منقاله" هذه القاف تُقرأ عندهم كالقاف في نطق اهل صعيد مصر وكالجيم في نطق اهل القاهرة اي غير معطشة وانظر ما يكتب بهِ مثل هذه القاف اذا أريد نقل

قَدَّاش التعديل" و "حُمُّص" اسهل عليهِ من قول الشامي "أَضَامَة" وهكذا
ا يطول إِيرادهُ ولا ينحصر تعدادهُ

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات العاميَّة وغيرها بان نقول إِن
اصريَّة أَسهلُ أَو أَرجح من السوريَّة أَو المغربيَّة مثلاً أَو إِحداهما أَسهل أَو أَرجح
ن المصريَّة بل أَردنا ان نُبيّن أَن اللغة الفصيحة بعد أَن يُجتنب منها في تعليم الفنون
الصنائع الغريبُ وغير المأْلوف استعمالهُ هي بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات
لعاميَّة المختلفة أَسهلُ وأَقرب تناولاً من اللغة الخاصةِ بغيرهِ ممن لم يخالطهُ فاللفظ
لعربي الفصيح بالنسبة للعاميّ المصري أَقربُ من العاميَّة المغربيَّة والسوريَّة
و بالنسبة للعامي المغربي أَقربُ من العاميَّة المصريَّة والسوريَّة و بالنسبة للسوري
أَقربُ من العاميَّة المصريَّة والمغربيَّة لما يطْرُقُ أَذآن الجميع من سماع أَلفاظ
القرآن والحديث والمواعظ وغير ذلك مما يعم الجميع كما سيأْتي

وقد اتَّفق لي من نحو سنتين أَنني جُلت في بعض بلاد الشام مع سيدي
الوالد فلقينا كثيراً من فضلاء نبلائها ونجباء أُدبائها منهم الفاضل الشهير الشيخ
عبد المجيد افندي الخاني الخالدي النقشبندي فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة
بخلافنا في التكلم مع العامة السُّوقة فكثيراً ما كانوا لاسيما اذا أَسرعوا في التكلم
يَسْتَبْهِم علينا وعليهم الكلام وينسد الباب دون فهم المرام حتى يترجمَ لنا الاستاذ
الخالدي المشار اليهِ وكان يلازمنا أَيام مقامنا بدِمَشق في كل آن ومكان فقد

الكتابة الى اللغة العامية انكتب بالقاف وهي لا ينطق بها كالقاف المعروفة في قرأة القرآن
فيلزم تمييزها عنها ام نكتب بالجيم فيلزم تمييزها عن الجيم الحقيقيَّة والاَّ كيف يتميز مثل قولنا
(قدُّه) اذا كتبت بالجيم من قولنا (جدُّه) ومثل هذا كثير جدًّا

جمع بيننا وبينهُ من اللغة الصحيحة ما لم تجمعهُ اللغة العاميَّة بيننا وبين العاميّ البحت وما ذاك الَّا لأَن لغتنا العاميَّة المصريَّة غيرُ لغتهم العاميَّة الشاميَّة

واتفق في سفرنا هذا الى هذه البلاد أَني دخلت أَيام مكثنا بمدينة باريس عاصمةِ بلاد فرنسا الى أَحد محال التجارة بها وهو المعروف بمخازن اللوفر مع السيد الوالد المشار اليهِ ورفيقينا بهذا المحفل النبيل من مصر فَلَقِينَا هنالك بحكم الاتفاق من غير قصد رجلٌ من باعة البضاعة بذلك المحل سبق لهُ إِقامة مدة مديدة في بلاد الجزائر حتى اعتاد التكلم باللغة العاميَّة المتداوَلة بها كأَهلها فلما توسَّم في زِيّ ملابسنا أَننا من أَهل اللغة العربيَّة وتحقق ذلك بالسوأَل منا وهو إِنما يعرف من اللغة العاميَّة المغربيَّة ما عَرَفهُ ببلاد الجزائر أَخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع طلاقة وذلاقة لسان غير أَن كثيراً من كلامهِ كان يُشكِل علينا فما يفهمهُ منا الَّا رفيقنا الشيخ حمزه وكذلك كان كلامنا بالنسبة للرجل حتى يُفهِمَهُ الشيخ المومأ اليهِ وذلك لأَن الشيخ أَقام سنين من عمرهِ في بلاد المغرب وتونس فكان يترجم بيننا وبين الرجل الى ان جاءَت النوبة الى شراء ما يختص بي ورأَيت التفاهم بيني وبين الرجل لا يتيسر الَّا بواسطة الترجمة فوجدت الأَقربَ تناولاً والأَقل زمناً أَن يكلِّمني بلغتهِ الفرنساويَّة ورجوتهُ في ذلك فأَجاب وسهل تعاطي الكلام بيني وبينهُ فكانت اللغة الفرنساويَّة الأَصليَّة بالنسبة لهُ الطارئة بالنسبة لي أَقربَ لي وكولاً من اللغة العربيَّة المغربيَّة العاميَّة لمكان التباعد بينها وبين العاميَّة المصريَّة تناذا كان الحال مع من لَقيناهُ غيرهذا الرجل من اهل المغرب من الحديثي العهد بالإِقامة في بلادنا لاسيما إِن كان من اهل المغرب الأَقصى فإِن لغتهُ العربيَّة المغربيَّة تكاد أَن تكون بالنسبة لنا رَطَانَةً أَجنبيَّة ولو تكلم بالعربيَّة الصحيحة لكان

فهمها حتى بالنسبة الى العامي منا أقربَ من تلك بكثير

وأخبرني السيد الوالد أنهُ لما سافر الى البلاد الحجازيَّة لأداء فريضة الحج كان فهمهُ لكلام أهلها بل أعراب باديتها أقربَ وأسهلَ مما مر بكثير جدًا لقربهِ الى اللغة الفصيحة وقد تُستَغرَبُ الكلمة في استعمال أحدهم فيرجع اليها من يَستغرِبها في كتب اللغة كالقاموس فتوجد نصاً مثل لفظ الضِلع بمعني جانب الجبل قال وقد سألت عاميًّا من أعرابْ البادية هناك عن معني الضلع فقال الضلع ضلع الجبل وأشار اليهِ وضلع الإِنسان وأشار الى ضِلع نفسهِ فلما وافقت لغتهم العاميَّة صحيح اللغة العربيَّة في البعض وقربت منهُ في البعض سهل فهم ما وافق المستعمل في لسان العامَّة ووجود غير المستعمل فيهِ بكتب اللغه

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلاً قول الشامي في عاميّتهِ الشامية "قَالْشِين" او "قُمْبَاز" او "مِنْتان" او لم يفهم الشامي قول المصري في عاميّتهِ المصريَّة "شرَاب" او "قفطان" او "عنتري" بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها او لم يفهم كلاهما من المغربي قوله في عاميّة المغربيَّة "سَبْنِّيه" بمعنى مِنديل "وسَقْلِي" اذا كان مشغولاً بالفضة و"تَشْمير" بمعنى قميص ويقولون في جمعهِ "تَشَامِير"[1] او لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كلٍّ من الشاميّ والمصريّ فاين يجد الواحد منهم بُغيتهُ اذا جاءَ الى أحد هؤلاء كتاب من غير لغتهِ العاميَّة فيهِ شيءٌ من ذلك وربما لم يكن في بلدتهِ او بلدة قريبة منها أحد من أهل تلك اللغة ولا معرفةَ بها عندهُ

(١) كذا سمعت من بعض افاضل المغاربة وسمعت من غير واحد منهم انهُ يقال عندهم الواحد "تْشامير" وللجمع "تْشاميرات" وكلاهما ينطقون بهِ ساكن التاء اولهُ وهم كثيرًا ما يبدؤُن بالساكن

ولا في شيء من كتب اللغة يجد قصده

فاذا كنتُ مثلاً في قرية من قرى مصر من غير مراكزها المختلطة بها أصناف الامم وأتاني كتاب من أحد أصحابي في الشام او في المغرب على لغته وفيه ما لا أعرف فما ذا أصنع أأهمله بالكلية وربما كان في حاجة ضرورية مهمة أم أسافر الى موضع أجد فيه من يفهّمني ذلك ولو كنت في أقصى الصعيد ام ابعث بهِ الى عارف باللغتين يترجمهُ لي كما تُترجم اللغات الأجنبيَّة فقد اصبح كل منّا إذا تركنا اللغة الصحيحة الجامعة بالكلية لاقدّر الله اجنبياً عن الآخر من ذوي لغته وبني جلدته بعد ان كان بيننا جامعةُ اللغة

هذا ومما قدَّمناه من اختلاف اللغة أنهُ قد يوجد في إحدى اللغات العاميّة ما يخالهُ من ليس يعرفهُ شتماً او عيباً اوما يُستحيى منهُ بالنظر الى لغته وقد وقع من ذلك لكثير من الناس ما لا يحصى فما ظنك بمصري نزل بالشام في دار وتعهدت لهُ شامية اوشامي بعمل الأكل فقال المصري ما ذا آكل فقيل لهُ "كِبَّة" والكبة في العامية المصريَّة مما يستعمل في فظيع الدعاء على الغير اذ هو فيها الخرَّاج الطاعونيّ والعياذ بالله تعالى وفي امثالهم العاميّة "سنة الكبة يدلَّع لخَّطْ" يُضرب لمن يعجب بنفسهِ وهو حقير في ذاتهِ لدى عدم وجود من يعتد بهِ كقول القائل

خلت البقاع من الرِّخاخ   فتفرزنت فيهـا البيادق

والكبة في عامية سوريَّة طعام معروف لدى أهلها من أطيب ما يستلذ عندهم واذا قال المصري للمغربي "بصْ" فهي عند المصري بمعنى انظر وعند المغربي بمعنى من المعاني المستهجنة للغاية

وكثيراً ما توجد في عامية بعض الجهات ألفاظ تعد عند غير اهل الجهة

سخفاً وفحشاً بل من أفحش السخف وهي عند اهلها معروفةٌ مألوفة ليست في شيء من ذلك لا تستحيي منها العذراء في خدرها

وقد اتفق لي من ذلك يوم دخلنا القدس في السياحة الشامية أن سألت امرأة صادفتها في الطريق عن موضع هناك وهو الفندق الذي نزلناه وكنت قد اشتبه عليّ الطريق اليهِ فأرادت ان تقول ما معناهُ "هاهو هنالك" فاشارت الى موضع الفندق وقالت كلمتين ارادت بهما ذلك المعنى يقضي بسببها الوهم ممن لم يألف تلك اللغة أول وهلة ان المرأة من فواحش الفواجر المتهتكات فعجبت من جهرها بذلك الكلام على قارعة الطريق بمسمع غيرها من فتيات من النساء وكنت رأيتها متقدمة في السنّ وذلك مما حملني على اختصاصها بالمخاطبة والسؤال خيفة ما قد يلحقُ الغريبَ من سوء الظنّة فتأملتها ثانياً لمّا استغربت ذلك منها فإذا هي كما رأيت اولاً مسنةٌ عليها سَمْت وقار وسمة كمال وهي في أبعد حال مما كان قد ذهب بي اليهِ الوهم وسوء الفهم فلما تكرر سماع ذلك من بعض الفتيات بعد هذه المرة لم اجد سبيلا لسوء الظن ولا اريد ان أصرّح بامثال ذلك وفي هذا كفاية لمن شاء ومن اراد ذلك فربما وقع لهُ اذا تجاذب الكلام مع من لم يسبق لهُ وفادة على مصر وجرّت المناسبة الى ما هو من هذا القبيل

و كل ما ذكرناه هو بالنسبة للحال الحاضرة اليوم امّا لو نقلنا الكلام الى ما قبل عشرين سنة مثلاً لنقيس عليهِ ما بعد مثل هذه المدة لكان الامر اكبر لما نراه في العامية من التبدل والتغير بتغيُّر الاعصار وعدم الثبات والاستقرار

فلو فرضنا الكلام في سوريّ مثلاً جاء الى مصر او مصري ذهب الى سورية قبل نحو تلك المدة لوجدنا المصريّ لا يفهم من السوري ولا كلمة واحدة فان

المصري لو سمع من امرأة سوريّة او رجل سوري من ذوي السن ممن لم يدخل المكاتب هذه العبارة وهي " سكلت الحئيم أَلْ لي أَل إِينا " لم يفهم ماذا يُريد منها والمراد " سأَلت الحكيم قال لي كُل كينا " بل لو سمع شاب مصري شاباً سورياً من اهل بيروت يقول اليوم " وَعأت على إِجري " لم يفهم ماذا يريد ومراده " وقعت على رجلي " وكذلك لو قال السوري للمصري " انطُرني هَلّأ بجي " لم يفهم منهُ انهُ يقول " انتظرني حالاً أَجيء " ولو اراد احد احصاء ذلك للزمهُ ان يكتُب سفرًا كبيرًا هو قاموس اللغتين السوريّة قبل عشرين سنة مع بعض السوريّة اليوم والمصريّة اليوم

فمن اراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العاميّة لزمهُ ان يحول بين السوريين والمصريين والبغداديين والتونسيين والمراكشيين وغيرهم ممن يتكلم باللسان العربي ويجعل لكل فئةٍ منهم لغة خاصة بهم في معارفهم وعلومهم وآدابهم ويُصبح المصري اذا كتب كتاباً لا يفهمهُ السوري والسوري اذا كتب كتاباً لا يفهمهُ المصري وهكذا سائر الاقوام العربية فيفقد العرب ما عساهُ يكون بينهم من التعاون على العلم والأدب ويصيرون الى حال من الفرقة اشنع مما هم فيهِ اليوم

بل من دقَّق النظر في احوال البلاد العربيّة يجد أَن البلاد المصريّة نفسها يختلف بعضها عن بعض بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة واهل اللغة الفصيحة الصحيحة فإِن اهل الصعيد الأَعلى يستعملون من الأَلفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمهُ اهل البحيرة بل لأَهل مديريّة الشرقيّة مثلاً من الأَلفاظ ما لا يفهمهُ أَهل مديريّة الدقهليّة الملاصقة لها الآَ من تكرر سماعهُ لها بل لأَهل المديرية الواحدة في بعض البلاد الفاظ تخالف ما هو مستعمل في معناها بالبعض الآخر

والعربان كذلك

وهكذا نجد في سائر البلاد العربيّة في ما نعلمُ ولا نطيل في ايراد الأَمثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر

فمن أَراد نقل العلم الى اللغة العاميَّة لزمهُ أَن يفرق بين أَهل الاقاليم في معارفهم وأَدابهم وباعد بين افكارهم وانقلبت الأُمَّة بسعيهِ الى أُمم مختلفة لا يفهم الأَفراد من إِحداها ما يقول الأَفراد من الأُخرى وهم اهل شريعة واحدة وفي سلطان حاكم واحد وكل واحد منهم في حاجة الى معونة الآخر في أَقل الضروريات وأَجلها

فان قال اهل ذلك المذهب إِننا نضع كتاباً يحتوي على جميع اللغات العاميَّة في الأَقطار العربيَّة او يحتوي على جميع الأَلفاظ المصريَّة مثلاً مرتبة على الحروف والأَبواب ويُعيّنُ فيهِ لغة كل ناحية من النواحي وتُفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي فاذا عثر أَحد من أَهل الغربيَّة مثلاً على لفظ في كتاب لأَحدٍ من أَهل جهة اخرى راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مرادهُ

قلنا لو تسنّى ذلك لنا بالفرض لم يكن ذلك بأَسهل من مراجعة الكتب اللغوية الّتي بأَيدينا اليوم على أَنَّا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعيَّة والفنيَّة الّتي يحتاج اليها عامة الناس على الموافق للاستعمال الحاليّ والقريب اليهِ من العربي الصحيح وتركنا الغريب والبعيد عن المستعمل لسهُل الأَمر جدًّا كأَن نستعمل في تلك المؤلفات بدل لفظ " اللُّجين " مثلاً لفظة " الفضة " بمعناهُ فان الثاني مع كونهِ لفظاً صحيحاً فصيحاً في هذا المعنى هو كما تراهُ قريب من اللفظ العاميّ المستعمل لا فرق بينهما الاّ كسر الفاء في الصحيح وفتحها في العامي فلهذا يفهمهُ العاميّ وغيرهُ بخلاف

الأَول ولذا ندعهُ ونستعمل الثاني وكذا نستعمل بدل لفظ " العَسْجَدِ " مثلاً لفظ " الذهب " لقرب الثاني من اللفظ العامي لا يفرق بينهما الاَّ بالدال منقوطةً في الصحيح والدال غير منقوطة في العامي فلذا لا يتعسر فهمهُ وهكذا . ومن هذا القبيل ما قصدناهُ على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي المنقوطة وغير المنقوطة في هذه العبارة بدل لفظتي المعجمة والمهملة الغالبتين في المؤَلفات ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناهُ هنا لاننا نكتب للخواص لا للعوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناهُ اعني الاقتصار في المؤَلفات الَّتي تحتاج اليها عامة الناس كما ذكر لاخاصتهم على مأْلوف الاستعمال لم يبق من حاجةٍ غالباً الى مراجعة الكتب اللغويَّة الاَّ بالنسبة لمن نصب نفسهُ للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها من العلماء والأُدباء ومن يريد اللَّحاق بهم والترقي في درجات البلاغة الى درجاتهم وما ذاك بمتعيّن على عامة الناس ولا تدعو اليهِ ضرورة بالنسبة اليهم ومن ارادهُ ممن تسمو بهِ نفسهُ عن تلك الطبقةِ للتوسُّل بهِ الى علوم التفسير ونحوها وإِجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها وجد الكتب الَّتي يحتاج اليها في ذلك حاضرة والطريق مسلوكة والطريقة سهلة والمرام على طرف الثُّمام بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربيَّة في النطق والمكاتبة والتأْليف كلياً وهجرناها ملياً فإِن ذلك تندثر بهِ تلك الكتب وتتناسى ويضمحل أَمرها ويتلاشي وبتداول الزمن يُصبح الوصول الى ذلك المراد أَصعبَ من خرط القتاد

على ان العمل في جمع متفرق اللغات العاميَّة وتمييزها مما يصعب نجاحهُ كلَّ الصعوبة فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع لا يصل الى الغرض منهُ حتى يخالطَ اهل كل اقليم بل كل ناحية ويسمعَ كلامهم في جميع المقاصد والاغراض

ليتسنّى لهُ بذلك الاحاطة بجميع الالفاظ وهذا يستغرق من الزمن والنفقة ما لو صُرف بعضهُ في حمل الناس على التكلم بالفصيح لأتى بالغرض المطلوب على أتم وجه واكمله

هذا كلهُ اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العاميَّة وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش فإن نظرنا الى هيئآت التراكيب التي تختلف ايضاً باختلاف الأقطار والنواحي لاحتجنا الى فن نحو خاصٍ بكل قطر أو بكل ناحية ولكان على العربيّ منا أن يتعلم كل نحو وُضع لكل لغة حتى يتمكن من فهم ما يكتب في اللغة العاميَّة من اي بلد من بلاد العرب وهذا يكلفنا من المشقات اضعاف ما يكلفنا تعلمُ نحو اللغة العربيَّة الفصيحة

ونحتاج ايضاً الى وضع علم لِرَسْم كلمات هذه اللغة العاميَّة لتكون كتابة كل جهة جاريةً على اصول مضبوطة وطريقة واحدة والَّا صار كل واحد من أفراد الناس يكتب بهوى نفسهِ على حسب ما يَعِنُّ له من غير قاعدة مقررة ولا قانون ضابط فمثل "إلّي" في العاميَّة بمعنى "الذي" في الصحيحة هل تكتب بلام واحدة مثل ما يكتب "علِّي" في اللغة الصحيحة بلام واحدة مشدَّدة جرياً على قاعدة الإدغام المرعيَّة عند أربابها في النطق والرسم ام تكتب "إلْلِي" بلامين بناءً على أن تلك القاعدة خاصةٌ باللغة العربيَّة الصحيحة لاغيرها كما تكتب "قِلْلِي" من اللغة التركيَّة بمعنى ذي شعر بلامين و (أَلْلِي) من التركيَّة ايضاً بمعنى خمسين بلامين كذلك لعدم عارية الادغام عندهم واختصاصهُ باللغة العربيَّة الأصليَّة الصحيحة ومثل "قَلْ لي" المحرفة من "قال لي" هل تكتب بلام واحدة مشدَّدة ام تكتب بلامين متصلتين او منفصلتين وعلى كلٍّ هل تكتب بألف بين القاف واللام

على الأَصل للتفرقة بينها وبين "قُلْ لي" المركبة من فعل أمر وجار ومجرور أم تُترك الأَلف من الرسم لسقوطها في النطق وعلى كل تكتب بالهمزة بدل القاف "أَلْ لي" أَو "آلْ لِي" أَو "أَلْلي" أَو "أَلّي" أَو غير ذلك ثم على كل هل تكتب بالهمزة في أولها بدل القاف لأَن النطق بها كذلك في العاميَّة في بعض البلاد مثل القاهرة او بالقاف الحقيقيَّة لأَن النطق بها كذلك في بلاد اخر كرشيدا او تكتب بالجيم رعاية لحال النطق بها في بعض أُخرَ كالصعيد لأَن أَهله ينطقون بها بما يشبه جيماً غير معطشة كالجيم العاميَّة المعتادة في القاهرة او تكتب بالقاف ويرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقيَّة او بالجيم مرموزاً لها بما يميِّزها عن المعطشة او يُوضع لها حرفٌ جديد

وبالجملة يلزم وضع عِلْم للرسم في هذه اللغة العاميَّة اذا نقلنا اليها الكتابة والفنون لتتحد الكتابة فيها والاَّ انتشر في كتابتها الخلاف وعمل كل برأيهِ وعلى حسبما يراهُ الصواب

ويتسع الاختلاف كثيرًا في رسم الكلمة الواحدة في بلدين مثلاً بل في بلد واحد بحسب اختلاف الانظار فيما هو الصواب في الرسم وهلمَّ جرًا الى سائر ما يلزمنا استحداثهُ من الفنون لنقل التآليف والكتابة الى هذه اللغة العاميَّة وبعد هذا كلهِ نرجع ونقول إِن الزمن الذي يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العاميَّة من نحوٍ ورسم وغيرهما يكفينا لتعلم لغتنا العربيَّة الصحيحة ونربح وَحْدَةَ اللغة وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أَسلافنا فوق أَلف سنة مع الاقتصار على الضروري من تلك القواعد اللغويَّة بقدر ما يلزم لعامة الناس لا خاصتهم كما مرَّ

فإِن قال احدٌ من اهل هذا المذهب لا يلزم وضع قواعد لهذه اللغة العاميَّة

لأنها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين اهلها قلنا لو كان الامر كذلك لما اضطرت كل أمَّة من الامم المتمدنة الى وضع قواعد لضبط لغتهم التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم ومفضولهم مثل معرفة عامتنا للغتنا العامية في الأقل ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها حسماً لما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد وقد بينّا بعضهُ

فان قالوا إن الطريق الذي سلكهُ المتقدمون في الإحاطة باللغة العربيَّة الفصيحة وحصر موادها وضبط قواعد النطق بها نسلكهُ فيما نُريد من ذلك للغة العاميَّة قلنا كانت اللغة العربيَّة وصلت الى حد الكمال واستقرت على حالة رسخت في الاذهان وثبتت في القرائح واختلط أهلها من جميع أطراف البلاد العربيَّة حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين فكان البدويّ من أهل اليمن يخاطب الحضريّ من اهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق بهِ الآخر الَّا ان يكون لفظ طرأ من لغة اجنبيَّة فعرَّبهُ التوليد وهو مما لا يلتفت اليهِ في لغة واسعة ثم انقرضت الطبقة التي كان يُعتد بلغتها ويُستشهد بكلامها في اثبات مفردات اللغة وعلومها واستقرت لغة القوم على ما كانت عليهِ الى ذلك العهد لاتقبل تغييرًا ولا تبديلا ولهذا سهُلَ على واضعي قوانينها وحفاظ موادها ان يحيطوا بأطرافها ويأتوا على كل جوانبها وأفادها الشرع الشريف تأييدًا وتأييدًا وأمدّها أمدادًا مديدًا بخلاف حال العربيَّة العاميَّة المستعملة اليوم فهي عرضة للتغيير والتبدل فحال العربيَّة في هذا الزمان مخالف لحالها في تلك الازمان كما ان حال اهلها الآن يختلف عن حال الاسلاف كمال الاختلاف

الوجه الثاني ان اللغة العاميَّة لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة في موادها ولا في هيئات

تراكيبها حتى يعولَ عليها وتوضعَ فيها العلوم والآداب وانما هي تحريف لغة أُخرى ولهذا نرى التبديل والتغيير فيها كما ذكرنا لا ينقطع وما ذكروه من المثال غير صحيح ولن يصح فان اللغة التليانيّة او الإغريقيّة الحديثة لغة استقرت وثبتت وصارت ملكة فى الناطقين بها لا ينحرفون عنها كلهم متفقو الكلمة فيها غير متوفرة عندهم اسباب التغيّر كما عندنا ولهذا بعثهم الباعث الطبيعيّ على اعتبارها مدار التخاطب في جميع المقاصد وليست الحال عندنا كذلك والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح لا نحتاج في بيانهِ الى الاسهاب والاطناب في هذا الباب وانما نُلِمُّ بهِ بعض الالمام وندع ما وراء ذلك الي تدبر من ينعم النظر في مجاري الاحوال الطبيعيّة وترتب المسببات على الأَسباب فنقول :

كانت أُمة العرب قبل الاسلام منحصرةً في بلادها غير منتشرةٍ في آفاق الأَرض نُريد انتشار الجماهير المجمهرة والأُلوف المؤلفة للغلبة والاستيلاء والفتوح لا انتشار الأَفراد أَو الجماعات القليلة للتجارة ونحوها من الأَسباب فإن الثاني لا ينشاء عنهُ أَثر ذو بال وأَهميّة بخلاف الأَول ثم ظهر فيها الدين المُبين الإسلاميُّ وكثر وانتشر وقَوِيَ أَهلهُ وسارت الدعوة اليهِ على يد القائمين بهِ الناصرين لهُ الناشرين كلمتهُ إِلى من جاورهم ومن قاربهم ومن بَعْدَهُمْ وغيرهم وتوالت على أَيديهم الفتوح حتى انتشروا في مشارق الأَرض ومغاربها مؤيدين بالظفر ظافرين بالنصر وأَسلم معهم من أَهل البلاد الّتي احتلوها من أَسلم فصار منهم وانقاد من لم يُسلم فدخل في ذمتهم وأَقام في كل صُقع ناس منهم للقيام بالأَمر وتقرير أَحكام الشرع وتعليم أُصول الدين وفروعهِ وحفظ البلاد الّتي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم واختلطوا مع أَهل تلك البلاد على حكم الضرورة في المعاشرة

والمحاورة وسائر ما تستتبعهُ المساكنة والمجاورة وأُمور المعاملة والتصق أَهل تلك البلاد بهم واختلطوا معهم وتعلَّموا من لغتهم وعادتهم وسرى من كل فريق منهم اشياءُ الى الآخرِ بحكم المخالطة وتوالي الأَيام والأَعوام عليها وانتقل ذلك الى الابناءِ بعد الاباءِ والأَحفاد بعد الأَجداد الى ان صار أَهل تلك البلاد الَّتي دخلوها واستولوا عليها مزيجاً مركَّباً صدق فيهِ ما "قيلَ نَبَطٌ استعربوا[1]" "وعرب استنبطوا" وان يقال "عجم استعربوا وعرب استعجموا" وثبتت اللغة العربيَّة في البلاد الَّتي كانت تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن كمصر مع ما طرأَ عليها من التحريف والتغيير وازداد بطناً بعد بطن وقرناً بعد قرن لا سيما بعد ان تقلصت ظلال دولة العرب وخَلَفهم على البلاد غيرهم من أُمم مختلفة وأَصناف من الناس متباينة تداولتها واستولت عليها كما دخلها ايضاً ولا يزال يدخلها أَخلاط من الأُمم للتوطن والاقامة كثير منهم موافق لأَهل البلاد في أَصل اللغة ومطلق التحريف مخالف لهم في كيفيتهِ فيأْخذون مما عند الأَهلين ويأْخذ الأَهلون مما عندهم وهكذا صار وقوع التغيير بهذه الأَسباب طريقة غير متغيرة عرَفها من عرَفها ولا ينكرها الاَّ من جهل أَمرها

فما ذكروهُ من المثال غير منطبق على الحال كما قلنا لِلأُمور كثيرة منها أَنك ترى الايتاليانيين مثلاً إِذا دخل عندهم رجل من أُمة أُخرى للاقامة بينهم فلغتهُ غير لغتهم فهو اذا خاطبهم أَو كاتبهم فإِما ان يخاطبهم ويكاتبهم بلغتهِ وهو نادر مع من يعرفها او بلغتهم المباينة للغتهِ فلا يحصل من التداخل في الحالين بقدر ما عندنا اما نحن فاذا دخل عندنا الصوري او المغربي مثلاً فأَصل لغتنا ولغتهِ واحد ولكنهُ

(١) النَبَطُ بفتحتين والنَبِيط قوم ينزلون بالبطائح والعجم خلاف العرب

عنده تحريف وعندنا تحريف آخر فيقع التداخل والتبادل الى غير ذلك مما قدمناه كما يعلم بالتامل وصحة النظر فظهر أن المثال غير واقع موقعه والقياس غير مصادف محله ولا يقاس المثل الأ على المثل ولا يصح القياس الأ عند عدم الفارق" والفرق مثل الصبح ظاهر"

ثم ان من تتبع أحوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد أنها كما تختلف باختلاف الأزمنة تختلف ايضاً باختلاف الاشخاص والامكنة فانك تراها ترتقي الى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم وعند البعض ممن يخالطون العلماء وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد وكما أنك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة تراها تسفل وتنحط عن الفصيح عند من لا يعرفون سواها ولا حركة للسان الجرائد فيما بينهم وتتغير هيئات المواد وصيغها وهيئات تراكيبها بحسب اختلاف الاشخاص ومراتبهم في المعرفة بلا تكلف لذلك ولا قصد اليه ولا تجد لفظاً له هيئة ثابتة عند العامة بحيث لو غيرت تلك الهيئة لعدّ لحناً عندهم وغلطاً بل اللسان فيها مطلق عن كل قيد يذهب في الألفاظ حيث يشاء الناطق فلو أردنا تقريرها ونقل العلوم اليها لعسر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب وكان حمل الناس على التزام تلك الهيئة أشدّ عسراً — ولكونها تعد تحريفاً لا لغة وليس لها هيئة ثابتة ولا سلطة لنا على لسان العامة مادام التحريف له عادة نقول اننا مهما حرصنا على هذه العادة التي سميناها لغة لا نأمن ان نراها بعد قرن واحد قد صارت الى ما لا نتصوره الآن ويأتي اهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة وهكذا يستمر التغيير والتبديل في اللغة العامية فاما أن يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة كل زمان قرناً

بعد قرن وجيلاً بعد جيل تبعاً لتغير نطق اللسان كما يريدون ان يكون الآن حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الاجيال ولا يفهم لسانهم من يأتي بعدهم ويصير كل جيل منهم امةً قائمة بنفسها منفردة بذاتها وحدها عمن قبلها ومن بعدها وهذا الامر فضلاً عما يتبعهُ من طول العمل فيهِ وكثرتهِ وتكرره والعناء في تقريره عصرا فعصرا لا يخفي ما فيهِ

وإِما ان لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل في النطق تغييرٌ وتبديل في الكتب والكتابه بل تبقي الكتب والكتابة ثابتةً على ما يتقرر اول مرة — لو حصل — مهما تغيَّر التكلم وتبدَّل وحينئذٍ نرجع الى ما نحن فيهِ من ان الكتب تكون على لغة والنطق على غيرها ويضيع التعب سُدىً ويصير العمل عقيماً عن الفائدة بل يزيد على ذلك أنا نكون بهذا العمل قد استحدثنا لغة زائدة فيزيد الطين بلة وتكون المؤلفات القديمة المؤلفة في اكثر من الف سنة في آفاق العالم وأقطار الدنيا مبنيَّة على لغة مهجورة حينئذٍ وهي العربيَّة الصحيحة وتكون الكتب الَّتي تستحدث الآن على لغة غيرها وهي العاميَّة المستعملة الآن الَّتي ستهجر بعدٍ ويكون التكلم على لغة أُخرى وهي الَّتي تحدث للنطق بعد جيل مثلاً فان تبِعَ تغيرُ الكتب تغييرَ النطق والتكلم على الوجه الأَوَّل تكون لغةٌ رابعة فان تغير بعد ذلك ايضاً تستجد لغة خامسة وهكذا تتسلسل اللغات الى ما لا يتناهى لو حصل ذلك (لا حصل)

فان قيل إِن اللغة العاميَّة الحالية انما كانت عرضةً للتغير والتبدّل لعدم تقييدها بالكتابة وتركها هملاً تتبع كل ريح بخلاف ما لو قيدت بالكتابة ودوّنت فيها الكتب وجرى عليها العلم والتعلم واستمر الحال جارياً على تلك الحال فانها

بذلك ترسخ وتثبت ولا يعتريها التغير

قلنا هيهات فان اللغة الصحيحة ايضاً كانت مقيدة بالكتابة مدوّنة فيها الكتب جارياً عليها التعلم والتعليم مؤيدةً فوق ذلك بانها لسان الشرع والديانة ثم انقلبت الى لغةٍ اخرى على ما يقولون فلم لا يجوز على غيرها وهو دونها ما جاز عليها وهي بهذه المثابه

فإن قالوا يلزم بعد تقرير هذه اللغة العاميّة وتقييدها بما ذكر ان نمنع العوام بالحكم والالزام عن التغيير والتبديل في الكلام ونلزمهم الاستمرار على الحالة التي تتقرّر الآن وعدم العدول عنها حتى ترسخ وتثبت وتصير لغةً مستقرّةً وعادةً مستمره

قلنا إن الوصول الى تلك الغاية لو امكن الحصول عليهِ انما يكون على ذلك بصنع المتصنع لا بحكم الطبيعة ولا شك أن حصول الشيء بالصنع لا يكون كحصولهِ بالطبع ثم هذا المنعُ والالزام انما يمكن لو امكن ويتم لو تم في الاجيال الطويلة وبالنسبة للاهالي خاصة وفي المجامع والمواقع الرسميّة خاصة وفي المكاتبات والمخاطبات التي تقصد بها الحكومة خاصة والاَّ فكيف ومن اين يتأتى التحكم على الناس بالمنع والالزام في شيء من الكلام في المحاورة والمحادثة بين افرادهم ومع اهلهم واولادهم وعائلاتهم وقراباتهم وصحابتهم وسائر ذوي تعلقاتهم وفي خلَواتهم وجلواتهم ومزارعهمْ ومصانعهم ومحال حرفهم وصنائعهم حتى تصير القاعدة عامة والفائدة تامة هذا ضرب من المحال وأَمرٌ انما يتصور في الوهم والخيال لا يخرج من القوة الى الفعل ومن القول الى العمل

والغرض الذي يقصدونهُ من تسهيل العلوم لا يزال مفقودًا في جميع

الأَحوال فإِن لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ولاسبيل لتقويمهِ الاَّ التربية والتثقيفُ فإِن كان الواضع نفسهُ ساعياً في ترويج التحريف واللسان مندفع اليهِ فلا ممسك لهُ عنهُ ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ويعود الإِشكال بعينهِ فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر

الوجه الثالث أَن اللغة العامية جملة مواد اختزِلت من اللغة الفصيحة وأُضيف اليها بعض الفاظ اجنبيَّة من لغات الأَقوام الَّذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا اللَّحاق باهلها وانما حُفظ منها ما اشتدَّت اليهِ حاجة المتكلمين بها للتفاهم في الاغراض المعاشيَّة الظاهرة اما العلوم والآداب فلم يكن لهذه اللغة حظ منها فلو أَردنا نقل العلوم اليها لكنا في حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة وصوغها في تراكيب تناسبها حتى تتم الفائدة فان لم نفعل احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم والآداب نضمها الى اللغة العامية الموجودة ونسمي المجموع لغة عربيَّة عاميةً تحاكي لُغتي الايطاليين والاغريقيين الحديثتين وانا نجد بعض الكتب الَّتي ترجمت او أُلفت في سورية وفي مصر بعبارة تقرب من العامية لعجز المترجمين لها عن استعمال الفصيح في المفردات والتراكيب قد صار بمنزلة الموجود في لغة اجنبيَّة ولا يجد المطالع سبيلاً الى فهمهِ الاَّ بالاستفهام من مترجمهِ او مؤلفهِ فاللغة العاميَّة لغةٌ قاصرة ولا سعة فيها للعلوم ولا للشرائع ولا للآداب ولا للسياسة فكيف يمكن الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة

ولو أَردنا الاطالة في ابطال هذا الرأي وايضاح الفساد في مقدِماتهِ لاتينا بتفصيل يحويهِ سفرٌ طويل وغرضنا الآن عجالة تثبت رأْينا فان دعا داع للتفصيل واستيفاء الادلة والاكثار من الامثلة رجونا ان نفي بالغرض من ذلك

والذي نراهُ ان اللغة العامية خصوصاً في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب لم تبعد عن الفصيح بما تصير بهِ لغةً مستقلة فان المواد هي المواد الاصليَّة بعينها الاَّ ما زاد عليها وهو قليل لا يلتفت اليهِ في تكوين لغة وهيئات التراكيب ترجع الى الهيئات المعروفة في تركيب الكلام العربي — غير انهُ قد عرض على المفردات تحريف وتغيير بنقص او زيادة لم يخف بها اصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة اوكمل من النقص او صُحِحَ من التحريف لم يستبهم معناهُ على العامي فان العامي الذي يضع "اللي" مكان "الذي والتي" فيقول "اللي يفعل الخير بينول ثوابهُ" لو قيل لهُ بدل هذه العبارة "الذي يفعل الخير ينال ثوابهُ" لفهمهُ كما يفهم لفظهُ العامي ولا يزال الكثير من العامة يضع الذي مكان اللي فيستعمل عاميتهُ مع الفصيح كانهُ مخير فيهما كاللفظين المترادفين ولفظ هِنا بكسر الهاء لا تختلف عن هُنا بضمها الاَّ بالحركة ولا ينقلب معناها عند العامي لو نطقت فصيحة وهذا هو الشأن في جميع الالفاظ المفردة وعلى نحوهِ يكون الخطأُ في التراكيب فان الذى يفهم "الراجل جه" يفهم "جاء الرجل" والذي يفهم "ما عليهش" يفهم "ما عليهِ شيءٌ" والذي يفهم "إيه ده" او "شوهاد" من مصري او سوري يفهم "ما هذا" "واي شيء هذا" وما شابه ذلك من الاستعمال الفصيح وقد تقدم شيءٌ من هذا في مقارنة اللغات العاميَّة فالتحريف وفساد التركيب لم يذهب بالعامة عن فهم الصحيح بالمرة بل هم يفهمون منهُ ما اتفق مع الفاظهم في المادة وانما يعمى عليهم فهم الغريب

واما قول ارباب ذلك المذهب "لو فرض أن اتى الى جهة يتكلم اهلها باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف الاَّ اللغة الفصيحة لم يمكن ان يفهموا منهُ او

يفهم منهم الى آخره " فمما يخالف العيان والمشاهدة فطال ما شوهد كثير ممن يأتون الى مصر يتكلمون بالعربيّة الصحيحة مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربيّة الاّ الفصحى وليس لهم كتابة الاّ بها وبعض المغاربة من اهل فلاتة وغيرهم فيتكلمون باللغة العربيّة الصحيحة فيقضون مآربهم ومن اعضاء هذا المؤتمر الحبر العلامة الشيخ محمَّد محمود الشنقيطي سمعناهُ يتكلم في مصر باللغة الصحيحة فيُفهم غيرهُ ويفهم من غيرهِ وجاء قبلهُ من أَهل سُقْطُو الشيخ عثمان بن جم ولم يكن يتكلم الاَّ بها وكان يُفهِمُ ويفهم حتى اعتاد بعض العامة على التكلم معهُ باللغة الصحيحة من كثرة المخالطة وأَمثال هذا كثير وكان العلماء لا يتكلمون الاَّ باللغة الفصيحة ولم يكن بينهم وبين العامة ترجمان وأَمَّا ما يحكي عن بعض العلماء من انهُ كان يسكن في بعض الاماكن المعروفة في مصر بالوكائل فقال للبواب ذات ليلة يأمرهُ بفتح الباب " فتحاً بوابُ مصدرٌ ناب عن فعلهِ " فلم يفهم البواب منهُ وظنهُ يشتمهُ وشكاهُ في صبيحة الليلة الى شيخ الجامع زمن العلامة الشيخ القويسني فما دُهي الاَّ من التشدق في الكلام ولو اقتصرَ على ان قال "افتح" لفهمهُ البواب بالسهولة ووافق العامي ولفظ القرآن وفهمهُ كل من سمعهُ من العامة بلا أَدنى صعوبة

وكيف لا يكون ما نقول وجميعهم يحفظون شيئاً من القرآن الكريم يتلونهُ في صلواتهم والغالب منهم يضم الى ذلك شيئاً من الأَدعية والأَوراد وشيئاً من الحديث يستشهد بهِ ثم هم في كل يوم جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصيحة وما من سامع منهم الاَّ تظهر عليهِ علامة الفهم بما يظهر على وجههِ وفي حركات بدنهِ ثم هم يسمعون الوعاظ في المساجد والكثير منهم يحضرون في دروس العلم فهم وان

لم يُحْسِنوا النطق في كلامهم جملةً فهم يفهمون اللهمَّ الاَّ ما كان من الغريب او معقد التركيب

وفساد النطق ليس من الملكات الّتي يلحق محوها بالمستحيلات كما يزعمون بل إزالتهُ ايسر من جعل اللغة العاميَّة لغة مستقلة يتفاهم بها في العلوم والاداب وتوضع لها القواعد وتؤسس لها القوانين وما على طالب ذلك الاَّ تعميم التعليم والزام المتعلم بتقويم لسانهِ عند النطق وتصحيح عبارتهِ عند الكتابة من مبدإِ التعليم الى نهايتهِ فان المواد لا اختلاف فيها الاَّ بنوع من التحريف كما قلنا وهيئات التأليف لا فساد فيها الاَّ بنوع من سوء الترتيب فاصلاح ذلك لا يزيد على اصلاح لغة الطفل اذ ينطق بها وهو في سن السنتين او الثلاثة محرفة سيئة التأليف ثم لا يزال يصلحها لها المصلحون حتى يكونَ كاحدهم وهو في الخامسة او السادسة من عمرهِ واما ما يرونهُ من صعوبة المسالك الى تحصيل اللغة العربيّة الصحيحة وتعسر نَيلها في الازمان الطويلة فذلك لا نراهُ الاَّ من اعوجاج طرق التعليم وفساد مذاهب بعض المعلمين فيهِ لا من بُعْدِ اللغة نفسها عن يد المتناول

فالذي نراهُ لتسهيل العلوم على العامة ان تصلح لغتهم بالتقويم على النحو الذي قلناهُ ثم تكتب الكتب في الاداب العامة والفنون الابتدائيَّة الّتي يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة كافة باللغة الفصيحة على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة في لغة العامة فيجمع في تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة فاذا اراد ان يقول "مغلق" مثلاً فلا يقول "مرتَجٌ" لانها بعيدة عن الاستعمال العامي وقد مرَّ شيءٌ من ذلك ولا يقول ايضاً "مقفول" من اقفل بل يقول منهُ مُقفلٌ ولا مغلوق ايضاً فإنها رديئة متروكة والفصيح "مغْلقٌ"

فاذا كان المعنى لا لفظ لهُ فيما يقول العامة فيأتي بلفظ عربي ثم يفسرهُ بما يوضح معناهُ ان لم يكن معروفاً وما دخل في اللغة العاميّة من الالفاظ الاجنبيّة يمكن طرحهُ منها واستبدالهُ بأفضل منهُ من اللغة العربيّة والأحسنُ والأقربُ للاعتماد والاعتداد ان يكون هذا بمعرفة جمعيةٍ علميةٍ تتألف من مشاهير الافاضل كما ذكرهُ سيدي الاستاذ الوالد في آخر كتابهِ الذي ألفهُ في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة فانهُ اذا كان اختيارُ اللفظ بمعرفة من يُوثق بهم ويعتمد بحسن اختيارهم قوبل بالقبول وتناولهُ الاستعمال ومتى استعمل عند بعض القوم سار في البقيةِ وتمكن في لغةِ الكافة كما نراهُ في لفظ اللجنة والمؤتمر مثلاً فانهما قبل عشرين سنة لم يكونا معروفين في معناهما الاَّ عند البعض من اهل العلم خاصة وقد صارا من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما واتباع اصحاب الجرائد لهُ على ذلك من الالفاظ التي لا يخفى مفهومها

هذا في المفردات اما هيئات التراكيب فتكون على اقرب ما يمكن من تآليف العامة على شرط الصحة والفصاحة ثم بعد ذلك ينظر في اللغة الفصيحة ويجلب منها ما يحتاج اليهِ في التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على ألسنة العامة في انواع الفنون والاداب لمن يبتغي الارتقاء فيها الى اقصى غاياتها فتكون سعة لغة الشخص على قدر سعة علومهِ ومعارفهِ أما البلغاء والفصحاء وأهل الطبقة العليا من الكلام فلهم في خطاب بعضهم بعضاً ما لا يكون لغيرهم ولا يجب على أحدهم ان يجتنب من الألفاظ وصور التراكيب الاَّ ما يُنكر عند علماء المعاني والبيان وأهل الذوق من حفظة اللسان وأما في مخاطبة العامي فيجمل بهم ان ينزلوا الى الطبقة التي يفهمونهُ بها فانهم يمكنهم ان ينزلوا اليهِ وهو لا يمكنهُ ان يصعد اليهم وبهذا تمتاز طبقة العامة

عن طبقة الفصحاء البلغاء مع اتحاد اللغة وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح في علوم العرب ولغتهم رجونا له النجاح اذا أنعم النظر في الطريقة التي ذكرناها وتكميلها وتعديل طريقة التعليم وتسهيلها حتى تكون أقرب الطرق للتوصل الى المقصود من نشر العلوم وتعميمها مع بقاء الوحدة في اللسان وانتفاع المصري بكتاب السوري والسوري بكتاب المصري وكليهما بكتاب المغربي وهلمَّ جرًّا واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر في أي قطر لأن المواد على هذا لا تختلف عما هو موجود في كتب اللغة المحفوظة عند جميع أهل اللسان فما استبهم من الألفاظ سهل مراجعة المعجمات لفهم معناه

ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح التي اشرنا اليها الاقتصار للمتعلم على اللازم الضروري دون سواه في غير الفن الذي هو بصدد أن يتخذه صناعة له وحرفة خاصة يستعين بها على معيشته وانتفاعه من وطنه وانتفاع وطنه منه مع كمال الاعتناء بمزيد تمكينه في ذلك اللازم بزيادة التمرين على الاستعمال وتطبيق العلم على العمل ثم مساعدة التعقل بالنظر والمشاهدة فيما يستدعيه ذلك مثل الطبيعة والكيمياء وليقس ما لم يقل فقليل يتقنه المتعلم ويتمكن منه حتى يصير له ملكة راسخة خير جدًّا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه من غير ان يعرف له معنى ويعيده على وجه ما سمعه كما يقول الببغا

واللازم الضروري من علم العربية لكل ذي حرفة سواه ليس بكثير يعطل عن غيره لغاية أن يختار من أجل ذلك ترك العربية الصحيحة بالكلية بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة العامية لو أريد ان يجمل لها علوم وقواعد كما يراه من

يذهب ذلك المذهب اذا أُتِيَ الأَمر من بابهِ وسُهِل سبيلهُ وأُزيل وعرهُ وما أوهم العسر وهوّل الأَمر الاَّ ما قد يكون من ركوب التعاسيف في التعليم وعدم الاعتناء برعاية ما تتاكد رعايتهُ من معاملة كل صنف من المتعلمين بما يليق بهِ ويناسبهُ بالنظر الى ما هو معدّ لهُ فاذا اعتُني بذلك سَهُل الأَمر ولم يبق بنا أدنى حاجة لترك لغتنا الجامعة لأَشتاتنا الموروثة عن أَسلافنا

ثم في هذه الطريقة الَّتي اخترناها ما يحفظ على العرب آدابهم وعلومهم الَّتي أُودِعَتها كتب الأَقدمين فان العامي متى تَقَوَّم لسانهُ كما يقوم لسان الصبي على ما قلنا وكتبت لهُ الكتب القيمة بالعبارة السهلة واستنار عقلهُ بما أُودعتهُ من الآداب والأَفكار الصحيحة رأَيتهُ على مقربةٍ من اللغة الفصيحة لا يبعد عنهُ تناوُل ما فيها فلا يحرم من تاريخ أُمتهِ ولا من أُصول شريعتهِ ولا من الآداب المودوعة في السنَّة النبويَّة ولا من الفوائد الجمة المطويَّة في الأَخبار العربيَّة كل هذا يكون قريباً من العرب جميعاً اذا سُلك بهم تلك الطريق القويمة ولا يحتاجون في علم ذلك الى العناء الشديد في نقل جميع علومهم المودعة في كتب لغتهم الى تلك اللغة الأُخرى الَّتي ظنها من ظن لغة جديدة لا سبيل لانتشار العلم الاَّ باعتبارها كذلك

وآخر الكلام أن اللغة العربيَّة الفصيحة هي سبيل تقدم العرب في جميع أحوالهم فان انبعث الناصر لها الى العمل من وجههِ أَشرقت على العرب انوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة واضاء عليهم من سَنَاها ما اضاء على أُمم العالم اجمعين عدة قرون لم يخفَ علم حالها على الناظر فيها والله أعلم" اه

وقدم حضرة رفيقنا الفاضل محمود افندي عمر كتابهُ الذي أَلفهُ في الأَمثال العاميَّة وسمَّاه "أَمثال المتكلمين من عوامّ المصريين" وقد ضمّنهُ كثيرًا من أَمثال

العامة مشروحة بما يناسبها من أمثال العرب والحكم والأشعار فنال من حضرات الأعضاء الرضاء والقبول كما هو المأمول وصفقوا له استحسانًا

وبعد الفراغ من اعمال هذا اليوم بالمؤتمر وتعاطي طعام الغداء انصرفنا نتمرج في انحاء المدينة مارين بشوارعها مستكشفين لمحاسنها وبدائعها الى قرب الساعة السادسة بعد الظهر فعدنا الى الفندق ولبس سيدي الوالد ملابسهُ الرسمية وبقي ينتظر في صالوننا حضور عربات السراي للتوجه بها الى الضيافة التي أعدَّها سموّ الملك في قصرهِ الملركي لرؤساء الوفود في هذا المساء وقد حضر الى الصالون حضرة الفاضل صاحب العطوفة مدحت افندي متحليًا هو ايضًا بملابسهِ الرسميَّة التشريفية وجلس معنا في الانتظار حتى بقي من الساعة السادسة بعد الظهر دقائقُ فحضر حضرة الكونت ده لاندبرج وأخذهما في العربة الملوكيَّة الى سراي الملك والناس مصطفون من باب الفندق الى السراي المذكوره

﴿ وليمة الملك الرسميَّة ﴾

لما وصل سيدي الوالد وصاحب العطوفة مدحت افندي الى القصر استقبلهما رجال التشريفات وصعدوا بهما الى قاعة الاستقبال وهناك وجدا من سبقهما من المدعوّين واقفين يتحدثون فسلّما على من عرَفاهُ وأخذا يتحدثان مع من أراداهُ والمدعوون يتواردون حتى بقي من الساعة السادسة نحو خمس دقائق فاقبل الملك لابسًا ملابسهُ الرسميَّة يتبعهُ وزراؤُهُ ورجال معيتهِ وياورانهُ وصافح ضيوفهُ وأخذ يلاطف كلاً بحسب ما يراهُ الى ان أتى رئيس الدائرة الخاصة وعرض على الملك ان مائدة الطعام قد هُيئت

فدعى الملك الحضّار ودخل معهم قاعة الطعام وإذا هي من أبهج المحلات تامّة الترتيب والنظام وجميع أواني المائدة من الفضة الخالصة فجلس المدعوون كل في الموضع المعدّ لهُ المرسوم عليهِ اسمهُ وكان عرّف كلاً منهم بذلك قبل الدخول رئيس التشريفات فكان عن يمين الملك رئيس وفد العجم حضرة محسن خان وعن يمين هذا البارون ده كر بر وافد النمسا وعن يمينهِ سيدي الوالد وعن يمين سيدي الوالد حضرة الكونت ده لاندبرج وكان عن يسار الملك وأمامهُ باقي رؤساء الوفود والوزراء ورئيسهم ورجال معيتهِ وبعض المعتبرين من علماء السويد مثل المسيو ديرنهيم رئيس المؤتمر عن السويد وقد بلغ عدد جميع الحاضرين في هذه الوليمة نحو الأربعين

فأكلوا والملك يلاطفهم بأحسن الكلام حتى شرب سموّهُ على صحة الجناب الخديوي الافخم فأجابهُ السيد الوالد متشكرًا مثنيًا علي سموّهِ الثناء الجميل وشرب سموّهُ على صحة من أراد من الملوك الفخام واستمر تعاطي الطعام الى انتهاء أصنافهِ وكانت متقنةً لذيذة وقد بلغت بين لحوم وطيور كما يتضح من القائمة المعمولة بها اثني عشر صنفًا سوى اصناف الحلواء والفواكهِ والمشروبات

وبعد الفراغ من تعاطي الطعام انتقل الملك والمدعوون الى كتبخانة السراي وشربوا القهوة بها والملك مستمر على المؤانسة والملاطفة ثم انصرفوا بملابسهم الرسميَّة الى تياتر الأوبرا الملوكي حيث دعاهم الملك وباقي اعضاء المؤتمر اليهِ

﴿ دعوة اعضاء المؤتمر الى الأوبرا الملوكي ﴾

لم تتم الساعة الثامنة من المساء حتى حضر الملك ومعهُ ضيوفهُ ووزراؤهُ ورجال معيتهِ الى التياتر وكانت تواردت اليهِ باقي أعضاء المؤتمر اذ كانوا دعوا من قِبَلِ الملك للحضور فيهِ كما مر

فجلس الملك في غرفتهِ المخصوصة بهِ مقابل جهة اللعب "السين" ومعهُ رئيس وفد العجم وجلس في الغرفة الّتي على يمينهِ صاحب العطوفة مدحت افندي مع الكونتيس ده لاندبرج وسفير ايطاليا باستكهلم وجلس السيد الوالد مع وافد فرنسا في الغرفة المجاورة لما وجلس غيرهم في باقي الغرف وفي المواضع الّتي أجلسهم فيها رجال التشريفات والجميع بالملابس الرسميَّة من وزراء وامراء واعضاء وكان المنظر في غاية البهجة واللطف والمكان على غاية ما يرام من الانتظام

وبتمام الساعة الثامنة ارتفع ستر التياتر عن لعبة "عائده" وهي لعبة وضعها مؤلفها برسم مصر منذ سنوات وأوَّل لعب بها كان بمصر وهي تشخص وقائع مصريَّة في زمن الفراعنة ولا خفاء في مناسبة ذلك بالنسبة للاعضاء المستشرقين وقد احسن في التمثيل المشخصون والمشخصات وأجادوا كل الاجادة في الرواية والإلقاء واطربت الموسيقى الحاضرين بالطف النغمات

وكانت تُقدم الى الاعضاء بين فصول اللعب المرطبات والمشروبات واستمر الأُنس والابتهاج الى فراغ التشخيص فصفق الحاضرون للملك تشكرًا واتبعوا التصفيق بهورّاه اربع مرات فأجابهم مشيرًا بيدهِ متبسماً وانصرف وانصرف كل الى مكانهِ وقد مضى من الليل نصفهُ

هذا وفي پروجرام المؤتمر و بومياتهِ أن جميع اعضاء فصولهِ سيجتمعون في

جلسة عمومية تحت رياسة سمو الملك في اليوم التالي وهو يوم يوم الجمعة ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٩ في الساعة ١١ قبل الظهر وأن الاعضاء مدعوون في الساعة ٤ بعد الظهر الى مركز ادارة التليفون للتفرج وسماع قطعة أوبرا بواسطة التليفون تُلعب برسمهم في التياتر الملوكي فيسمعونها بهذه الواسطة كأنهم في محل التياتر وانهم بعد ذلك مدعوون من طرف بلدية مدينة استكهلم الى منتزه هَسّنباكِنْ في الساعة ٧ بعد الظهر بالملابس الرسمية فيجدون الوابورات البحرية في انتظارهم عند رصيف فندق جراند اوتيل وان العَشاء سيكون الساعة ٩ والعودة من الساعة ١٠ الى نصف الليل حسب ما يرغب من ينصرف

اجتماع فصول المؤتمر بصفة جلسة عمومية

(تحت رياسة الملك)

اجتمعت اعضاء الفصول تحت رياسة الملك بقاعة الافتتاح في الميعاد المحدد لابسين ملابسهم العادية وقد أُحضر جسم من أجسام أموات المصريين القدماء "موميا" المحفوظة بمتحف استكهلم فتكلم بمناسبة ذلك نحو خمسة من الخطباء المشتغلين بالآثار واللغات المصرية ومنهم بروكش باشا الالماني الشهير الذي كان رئيس مدرسة اللغات القديمة بمصر وتلامذتهُ بها الى الآن فخطب احدهم في كيفية توصل قدماء المصريين الى حفظ اجسام امواتهم وجعلها لا تَبلى على ممر الدهور وامتدح مهارتهم في ذلك حتى إن علماء هذا الوقت لم يصلوا الى ما وصلوا اليهِ مع تقدم العلوم والمعارف الآن تقدماً زائداً مستدلاً بذلك على سعة اطلاع المصريين القدماء وزيادة معارفهم الى حدٍ لم يصل اليهِ غيرهم الى هذا الزمان

وخطب آخر في من يكون هذا الجسم وانجر كلامهُ الى تطريق الاحتمالات ثمَّ تلاهُ آخر متكلماً في شأن من سبق من الفراعنة وأحوالهم وعلوّ أعمالهم ثم غيرهم متكلماً في غير ما ذكر

وتكلم سوى هولاء من العلماء والبلغاء بما رأى ان يتكلم فيه بلغتهِ الّتي اعتادها وأنشد أحدهم وهو الراهب الهندي قصيدة بلغة البراهمة "سانسكريت" في مدح الملك والمؤتمر طرب لتلاوتها الجميع لما أبداهُ حال التلاوة من حسن النغمات

وكان الملك يثني على كل خطيب بعد الفراغ من خطبتهِ تشجيعاً لهُ وتعظيماً للعلم وذويهِ حتى انتهت الساعة الثانية بعد الظهر وانفضت الجلسة وانصرف الملك وانصرفنا بعد أن صافح من شاء من الوفود وكنا ممن نال هذا الحظ وقد سأل بواسطتي سيدي الوالد من باب الاعتناء بهِ عما اذا كان يريد التوجه الى وليمة بلديّة استكهلم في هذا المساء مختتماً ذلك بقولهِ فيها "فنطزيه كثير" مثل ما قال لهُ في وليمة قصر دروتننجهلم كما تقدم

﴿ التليفون في استكهلم ﴾

ان مدينة استكهلم لمن اعظم المدن التفاتاً لامر التليفون والاعتناء بشأنهِ وكثرة استعمالهِ فلما دعتنا شركة التليفون بهذه المدينة لبَّينا الدعوة بغاية القبول وتوجهنا الى محلها وهي طبقة عليا في بناء متسع وسط المدينة وبهذه الطبقة نساءٌ كثيرة يبلغ عددهنَّ نحو الخمسين تشتغل كل واحدة منهنَّ بتوصيل قسم من المشتركين الى الجهات الّتي يُريد التوصل اليها واشتغال كل منهنَّ بذلك مستمر لا ينقطع لكثرة الطلب فيمسكنَ في آذانهنَّ مسمعاً يسمعنَ بهِ الطلب بعد الاستفهام عنهُ

من الطالب فيوصلنهُ في طرفة عين الى الجهة الّتي أرادها ذلك الطالب

وان اعمال هذه النسوة لمن أصعب الأعمال وادقها وأوجبها الى الحركة والالتفات وهنَّ وان كنَّ يتبادلنَ هذه الاعمال مع امثالهنَّ في كل بضعة ساعات لكن عملهنَّ هذا يستلزم تأثُّرًا في السمع واللمس فتتأثّر الاعصاب من ذلك حتى ان بعضهنَّ يجُنَّ كما اخبرنا بذلك مدير هذه الشركه

فبعد ان تفرجنا على هذه الاعمال والمواصلات وكيفيتها دعانا المدير لتعاطي المرطبات ونقلنا بعد ذلك الى قاعة متسعة أعدَّها لسماع القطعة التياترية الّتي تُعطى في التياترو برسم هذا الاحتفال وقد أعدَّ فيها مسامع كثيرة فأخذ كل مسمعاً وكانت أتت ساعة البدء فسمعنا الموسيقى كأنها في المحل الذي نحن فيهِ وسمعنا غناء من يغنون ونغماتهم وحسن ألحانهم بطريقة واضحة تدل على تقدم أعمال التليفون في هذه البلاد

واذ قرب وقت الوليمة الّتي اعدتها بلديّة المدينة اسرعنا في العودة الى الفندق لنلبس الملابس المعتادة في الاحتفالات حسب ما ورد في تذكرة دعوة هذا المساء

❊ وليمة مدينة استكهلم لاعضاء المؤتمر ❊

(في منتزه هسّلباكِن)

أعدَّت المدينة هذه الوليمة احتفالاً باعضاء المؤتمر في منتزه هسلباكن وهو على جزيرة صغيرة تسمى "دِيُورْجيرْدِن" بشرقي العاصمة تبعد عنها قليلاً جعلوها منتزهاً واحداً في غاية الانتظام منتشرًا في انحائهِ محال الأكل والقهوة والبيرة والالعاب والتياترات فاستجمع أسباب الأُنس والصفاء وتكاملت فيهِ

دواعي المسرة والهناء حتى راه' بعضهم في نظره أجمل من "غابة بولونيا" بباريس والطف من "پراتِر" ويانه والحق الذي لا يختلف فيهِ اثنان أنّ هذا المنتزه من أحسن منتزهات الدنيا واجملها واكملها

وفي وسط هذا المنتزه العام منتزه خاص يعرف بمنتزه هسَلْباكِّن بهِ قصر مشيد البناء في غاية الزخرفة والزينة لهُ طبقتان يشتمل كل منهما على قاعات متسعة يرجّحهُ اغنياء هذه الديار وامراؤهم على غيرهِ في التنزه وتعاطي الطعام والشراب

وهذا القصر هو الذي أعدت البلديّة فيهِ الوليمة لاعضاء المؤتمر وانارتهُ هو ومنتزههُ بانوار الكهرباء والغاز حتى صار في غاية البهاء وجمعت فيهِ الموسيقات تترنم باحسن النغمات

وكان الأهلون مصطفين في المنتزه حوالي القصر حيث الموائد معدة لهم يأكلون و يشربون ويتمتعون بمناظر الزينة مبتهجين بالواردين من اعضاء المؤتمر مؤدين لهم شعائر الترحيب

واعضاء البلديّة يقابلون الوفود بكل تجلة واحترام ويكثرون لهم من الملاطفة والاكرام ويقدمون لهم المرطبات والدخان وانواع الشراب ويتعرفون بهم و يطارحونهم الحديث في عوائد البلاد ومقارنتها ببعضها والموسيقى تصدح بالانغام الى ان شرّف سموّ ولي العهد المقام

فاخذ يُقبل على الناس يحيّيهم ويحادثهم ويخاطب كلاً منهم بما يناسبهُ ولا غرابة في أن يشابه الابن الوالد "ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم"

واستمر الحال بين تأهيل وترحيب ومجاذبة حديث مع حضرات العلماء الفضلاء حتى آن الوقت المحدد لتعاطي الطعام فدخل ولي العهد في المحل المعدّ لهُ

ودخل معهُ الحاضرون واكلوا على طريقة البلاد وشرب من أراد

وقد رأينا معاشر الوفد المصري زيادة اعتناء بنا حتى إنهم رسموا على قوائم الأكل المبينة بها اصنافه والفصولُ الموسيقيَّة التي تصدح في اثنائهِ تمثالَ الهرم وبجانبهِ أبو الهول وبقربها أشجار نخيل كثيرة وقباب اولياء

وقد طال وقت الاكل بما تخالله من المحادثات والمحاورات وطاب بما اطرب السمع في اثنائهِ من نغمات الموسيقات فلما انتهي خرجنا لشرب القهوة والتفرج على ألعاب البارود التي أعدَّتها البلديَّة بمرأى من القصر فكانت من متممات السرور ومكملات الحبور واستمرت زمناً انتهى بهِ نصف الليل وانقضى بهِ السهر على أحسن حال

وعدنا كما جئنا بوابورات البحر في مسافة ثمان دقائق وطرقُ النقل في هذه الديار سهلة متنوعة فهذا المنتزه مع قرب مسافتهِ يتوصل اليهِ بوابورات البحر وعربات التراموى وعربات الكراء المعتادة وعربات المُلاَّك على أن الانسان يمكنهُ المشي اليهِ بغير ركوب لقرب المسافة بدون مشقه

اهداء سموّ الملك نشان "وازا"

لسيدي الوالد

لما عدنا من وليمة هَسِلْباكِنْ وجدنا بالفندق تذكرة من التشريفات الملوكيَّة هذه ترجمتها:

"تشريفاتي الجناب الملوكي يتشرف بأن يرجو سعادة عبد الله فكري باشا في الحضور الى السراي الملوكيَّة بجهة مُقام سموّ الملك منها في غدٍ وهو يوم السبت ٧

سبتمبر سنة ١٨٨٩ والساعة ١١ قبل الظهر

تحريرًا باستكهلم في ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٩"

فلما كان الميعاد المحدد توجه سيدي الوالد الى القصر الملوكي فوجد التشريفاتي في انتظارهِ وأخبرهُ ان القصد من حضورهِ اهداء الملك اليهِ نشانًا وما لبث ان أدخلهُ لدى جلالة سموّ الملك فأحسن مقابلتهُ وأعرب لهُ عن مزيد سرورهِ بحسن قيامهِ بمأموريتهِ وأنهُ يشكر الجناب العالي على انتخابهِ رئيسًا للوفد المصري ويرجو سيدي الوالد إحاطة شريف علمهِ بذلك كما سيحرر لجنابهِ الفخيم بهِ خصوصيًا وأنهُ اشارة الى وفور ممنونيتهِ وتذكارًا منهُ لسيدي الوالد عن مأموريتهِ يهديهِ نشانًا من أقدم نياشين دولتهِ تاريخًا وأكبرها اعتبارًا وارفعها مقاما

فشكر سيدي الوالد سموّهُ بما لاق وشكر الوفادة التي كانت السبب في مثولهِ بين يديهِ والاحتظاء بمقابلتهِ والشرف بمخاطبتهِ مع ما تبع ذلك من الاحتفاء بالوفد والاحتفال بهِ اتباعًا لرغبات سموّهِ وكرّر الشكر على ما لقيهُ من الاكرام مضيفًا الى ذلك أن هذه المأمورية يعدها من أحسن تاريخ حياتهِ واجمل اوقاتهِ

فأخذ سموّ الملك بهذه المناسبة يذكر ما حصل عندهُ من الابتهاج والسرور في هذا الاسبوع بمباشرتهِ أفاضل علماء المستشرقين الذين اجتمعوا في عاصمة بلادهِ ومخاطبتهِ لهم وأن هذا الاسبوع يعدهُ أحسن اسبوع قضاهُ في حياتهِ ثم استطرد الحديث في ان المؤتمر سينعقد في كرستيانيا بدون حضورهِ وأنهُ جعل ثاني أولاده نائبًا عنهُ في القيام بواجبات الاستقبال والاحتفال كما جعل ناظر معارف حكومتهِ بتلك المملكة رئيس المؤتمر فيها من حيث إدارة الأعمال ثم صافح سيدي الوالد مع مزيد التلطف وودعهُ هو بما يجب لمقامهِ الملوكي من واجبات الاحترام

والاجلال وانصرف من القصر بعد ان استلم نشان وازا من الدرجة الاولى العلي الشان ثم عاد الى الفندق في الحال لتغيير الملابس والاستعاضة عنها بكسوة التشريف ووضع النشان الجديد مع النشان الأَصلي المجيدي العظيم الاحترام والتوجه الى المؤتمر لحضور جلسة الختام فتوجهنا جميعاً الى محل المؤتمر بعد ان لبسنا ملابس التشريف ووصلناهُ قبل الساعة الثانية عشرة المحددة للالتئام فأَخذ الأَعضاء يهنئون السيد الوالد بما نال من الالتفات الملوكي الى ن شَرَّفَ الملك الجمع والساعةُ اثنتا عشرة بالتمام

جلسة ختام المؤتمر باستكمالهِ

شرف سموّ الملك قاعة المؤتمر في تمام الساعة ١٢ يتبعهُ وزراؤهُ ورجال حاشيتهِ والموسيقى تصدح بالسلام الملوكي وهو في اثناء ذلك يحيّي الناس الى ان وصل الى كرسيهِ المعدّ لهُ فجلس عليهِ وجلس الحاضرون وبعد هنيهة أَخذ يتلو مقالةً أَعدَّها باللغة اللاتينيَّة ضمَّنها ممنونيتهُ من المؤتمر وأَعمالهِ وسعود طالعهِ بانعقادهِ في بلادهِ

وتلاهُ المسيو دِيرِنْهِيمَ رئيس المؤتمر فتلا مقالة بليغة ضمَّنها الشكر لأَعضاء المؤتمر على ما قلدوا بهِ الأُمَّة السويديَّة من المنة لإِجابتهم دعوة الاجتماع في عاصمة بلادها ونَيْلها زيادة الشرف بذلك

ثم تكلم سمو الملك بالفرنساويَّة وقال ان الكتب التي أُهديت اليهِ بمناسبة المؤتمر وان كانت غالية القيمة سامية القدر بصفتها مهداة ويجب لاجل ذلك ان تبقى لهُ لكن النفع العام أَولى من ذلك فهو يُعلن أَنهُ إِيثارًا للصالح العام يُهديها الى الكتبخانات الأَهليَّة

ثم أُذِن بالتكلم لمن أراد فتكلَّم أفراد من كبار الفضلاء نيابة عن باقي أعضاء المؤتمر بالتشكر لسمّوهِ على حسن رعايتهِ ومزيد عنايتهِ وكان سمّوهُ يجيب كل متكلم متشكرًا ببعض كلمات باللغة التي تكلَّم بها فرنساويّة أو انجليزيّة أو المانيّة

وأعلن سمّوهُ بعد ذلك بختام المؤتمر في استكهلم وأنهُ سيجتمع بعد هذا بكرستيانيا فصاح الجميع "يعيش الملك" واردفوها بهورّاه أربع مرات مصفقين في خلالها ثم انصرف الملك بعد أن صافح من صافح وتكرم على الوفد المصري بمصافحة الوَداع

وبينما نحن منصرفون من قاعة الاحتفال اذ حضر حضرة الكونت ده لاندبرج الى سيدي الوالد وقدم اليهِ من قِبَل الملك صورة سمّوهِ الكريمة مرسومة بالفطوغرافيا كبيرة الحجم متقنة الوضع تُمثِّلهُ يقراء في كتاب وقد كتب تحتها اسمهُ الكريم بخط يدهِ الملوكي لمزيد الاعتناء فقبِل السيد الوالد هذه الهديّة راجيًا حضرة الكونت في أن يكون لدى سمّوهِ العالي معربًا عما يخالج ضميرهُ من الشكر الذي لا مزيد عليهِ والممنونيّة التي يقصر عن تعبيرها اللسان

وليمة مؤسسي المؤتمر

ابتدئت هذه الوليمة في الساعة الخامسة بعد ظهر هذا اليوم يوم السبت ٧ سبتمبر سنة ٨٩ في قاعات فندق جراند اوتيل المعدة للاستقبالات فصفت بها الموائد على الطراز الأوروبي وجلس اليها اكثر من خمسمائة مدعوّ دارت عليهم أصناف المآكل اللذيذة والاشربة الفاخرة واستمرت بينهم المحادثة والمسامرة حتى مضي جزء كبير من الليل وهم يأكلون و يشربون على صحة بعضهم بغاية

الأُلفة ومزيد المحبة والموسيقي الملوكيّة تصدح بأحسن الأَلحان وقد كان المؤسسون ترجّوا بعض الأَفاضل من المستشرقين قبل انعقاد المؤتمر بأشهرٍ ان يكتب كلٌّ منهم ما يَعِنُّ لهُ في طعام عَيَنوهُ أو شراب بَيَّنوهُ ليُجمع كل ما كتب ويُطبع في كُراسة على حسب ترتيب ما يُقدَّم من الأَطعمة في هذه الوليمة فكان كذلك وجعل أمام كل مدعوّ نسخة من ذلك على المائدة تقوم مقام القائمة المعتاد وجودُها في أمثال هذه الوليمة لبيان المآكل والمشارب

ولُفَّت كل كراسة في وقاية منفصلة عنها وجعل على ظاهر هذه الوقاية رسم الفندق الذي حصلت فيهِ الوليمة بوجهتهِ الى الميناء تجاهَ القصر الملوكي وجُعل في باطن هذه الوقاية رسم قاعات الموائد مع بيان موضع كل مائدة ومواضع من يجلس اليها

وجُعل لهذه الكُراسة غلاف من ورق ملوّن كُتب بأسفلهِ بحروف ذهبيّة ما ترجمتهُ "هذه قائمة المآكل والمشارب في الوليمة الّتي أُعدّت لأعضاء المؤتمر الثامن للمستشرقين بأستكهلم في ٧ سپتمبر سنة ١٨٨٩" ثم رُسم فوق ذلك صورة الاهرام وصورة أَبي الهول وبجوارهما رسم كثير من النخيل وفوق هذا رسم شِعار السويد والنرويج يتخلّل جميع ذلك ويُحيط بهِ نقوش بديعة ذات أَلوان بهجة ومنها الذهبيّة والفضيّة

وقد كان بجانبي على المائدة من جهة اليمين حضرة الأُستاذ الفاضل أدِلبَرْط مَرْكس وافد حكومة باد من أعمال المانيا الجنوبيّة وأُستاذ مدرسة هيدلبرج الجامعة الشهيرة وهو من اكابر المشتغلين بالعلوم العربيّة الّذين صحبتهم في هذه الرحلة وقد طلبت منهُ اثناءَ الحديث أثرًا يبقى عندي من كتابتهِ اتذكّرهُ بهِ وكتبت لهُ على

ظهر وقاية كُراستي ما نصهُ :

سيدي المحترم

ارجوكم ان تكتبوا اسمكم الشريف على هذه ليبقى عندي تذكاراً

فكتب ما لفظهُ

"تابعاً لمراد جنابكم اكتب الأحسن الذي عرفت فهوان الله ملك يوم الدين وانَّنا مقدرين بقدرة نعمتهِ أدَابَرْط مَرْكس"

ولم يزل هذا الأثر محفوظاً عندي وقد مشى في نصب "مقدرين" على لغة من ينصب بأن الاسمَ والخبرَ كقولهِ "ان حراسنا أُسدا"

هذا وقد اتحفتنا الموسيقى اثناء الطعام بالسلام الخديوي فقمنا تعظيماً واجلالاً لهُ كما فعلنا ذلك في كل مرة اتحفنا القوم فيها بذلك

وما زلنا نتناقل الحديث الى ان قرب وقت السفر فانصرفنا للتخلي من الملابس الاحتفاليَّة وملاحظة إنزال امتعتنا الى مدخل الفندق ليستلمها مستخدمو السكة الحديديَّة ويتعاهدوا توصيلها الى كرستيانيا حتى نجدها هناك كما علمنا ذلك من "يوميَّة المؤتمر"

وقد تقرر سفر قطارين بالاعضاء من استكهلم الى كرستيانيا اولهما يقوم والساعة عشرة ونصف وثانيهما والساعة احدى عشرة وعشر دقائق بعد الظهر ولم نتمكن من السفر باولهما فسافرنا بالثاني

هذا وقد ابتدأ حضرة الكونت ده لانبرج في كُراسة بيان المآكل والمشارب المذكورة آنفاً بعمل زجل بالعربيَّة العاميَّة على وزن "شرم برم حالي غلبان" في الـ(شنيس) السويدي وهو اسم يعم المشروبات الروحيَّة هذا نصهُ :

يا عمّ قَدّمْ بسم اللهْ ومِدّ إيدك واسلِهْ
وانظر بعينك واتملِّهْ تلقي العجب أشكال والوان
أشكال لطيفه من المزّه شغل البنات حادقه ومِزّه
يا ما كلِت منها مزّه ومات على شانها جِدْعان
يا صاحبِ الذوق ياسيدنا إحنا النهار دا اليوم عيدنا
قرّب بقي ودقها وفيدنا واشرب على سر الإخوان
برد البلاد دي شي معروف وبين جميع الناس موصوف
ودا السبب في الّي بتشوف لكل طايفه طبع وشان
اصحى تقول ما نيش عايز أشرب لأنهُ مُش جايز
اسمع كلامي تصير فايز واعرب لنا فيها قولان
وإن كان تقول دا شي بارد والعقل منهُ يتّأخذ
جرّبْ وخذْ لك كاس واحد تلقاه اقل من الدخان
فيه عندنا مزّه وشنَپْسْ يطلّعوا الفكره من الحبس
ان كنت خايف تبردْ بس إشرب تروح حالاً دفيان
إحنا مرادنا والمأمول فتح الشهيه للمأكول
حتى يكون في الذوق مقبول وينبسط منهُ الانسان

"كارلو لاندبرج"

ثم كتب بعدهُ في الشوربة الاستاذ جوستاف شلِيجلْ باللغة الصينية وكتب بعدهُ الاستاذ مكس موللر بلغة البراهمة "سانسكريت" في نوع السمك المسمى صومون وكتب آخر بلغة ما ليزيا في طعام من لحم الثور وآخر بالعبرانيّة في

صنف من الدجاج وآخر بلغة الجاوه في ديك وكتب حضرة الفاضل صاحب العطوفة مدحت افندي في الخروف الحولي الشواء باللغة التركيَّة ما ترجمتهُ :

" يقول الحولي ما أعطرَ رائحتي واذكى شذاها فهي لا تشبه رائحة الجسم المصبر الذي يحفظ بالتصبير لحمهُ من الانحلال ولكنها نكهة طيبة تسهّل لكم المضم

" فلا يظنَّن من يراني مطروحاً على الطبق ميّتاً في نعشهِ فليت الموتى مثلي لا يحزنون براَهم الحاضرين فإنني لطيف المنظر أدعو بطيب شذاي وحسن رائحتي شهيَّة الآكلين فخذوا من لحمي مِلْءَ الفم تعلموا علم اليقين صحة مادعاكم الى الأكل من حسن مرآى

" ولا تحزنوا اذا تذكرتم قول الشاعر الفارسي ما معناه نظماً

" وسرور الإنسان يمرح في الأر ض كورد يُشاب بالأكدار "

" فهو مثل الحوليّ يرتع والجز زار في رقبة لهُ وانتظار "

" فإنَّ من لا ينتهزون فرص هذه الحياة الفانية بالسرور والأفراح يذهبون من الدنيا فارغي الأيدي متى مسَّتهم يَدُ المقدور هادِمةُ اللذات "

" احمد مدحت "

وكتب المسيو أميلينو باللغة القبطيَّة في الخرشوف ما تعريبهُ حرفيًّا :

الخرشوف

" اسمحوا الى أن أستعيرَ كلمة من لغة أجنبيَّة فان اللغة القبطيَّة لسوء حظها لا تشتمل على الكلمة المراد التعبير بها عن هذه البقله

" سأطبخ خرشوف اليونان بسمن بلادي فاسمحوا لي بأن أستعير كلمة من

لغة أجنبيّة

" ومن الأسف أن مصر لم تعرف هذه البقلة فإن المصريين لو عرفوها لأمكنهم طبخها بأحسن طريقة لمالهم من المهارة في الطبخ

" ومن الأسف أن مصر لم تعرف هذه البقلة

" وفي الحقيقة أنهم كانوا أمهرَ الناس في جميع الأزمان فإن ماكير الإسكندري اصطنع من الرمل سليقا بدون أن يضع في القدر قمحاً ولا دقيقاً

" وفي الحقيقة أنهم كانوا أمهر الناس في جميع الأزمان

" أمَّا أنتم فإنكم لم تسكنوا الصحراء وأنتم من أكبر العلماء ولكن يقال إنهُ مع ما لديكم من العلم لا تستطيعون أن تعملوا مثلهم

" أما أنتم فإنكم لم تسكنوا الصحراء

" فهلموا كلكم واشكروا ملك هذه البلاد الجميلة فان كل الناس إخوانٌ على مائدتهِ وهو يحب العلم ويكرم من أمَّهُ ببشاشةٍ ولطافةٍ

" فهلموا كلكم واشكروا ملك هذه البلاد الجميله "

" أبِدايِنو "

وكتب المسيو لِيبلَين باللغة الميروجليفيّة في صنف من فطير الحلوا سمي فطيرة ويكتوريا ما يأتي ترجمتهُ

فطيرة ويكتوريا

" السلام عليكم أيها الكتَّاب والعلماء الذين أتوا من أنحاء الأرض بالسكك الحديديّة وبالبحرِ أطال الله عمركم ومنحكم حسن العافية وجعل طيب حظكم مثل طيب فطيرنا "

" لِيبلَين "

وكتب المسيو مُولِلرْ باللغة الحميريّة في الدوندورمه " الحلواء المثلجة "
وكتب المسيو أَلمكفيست بلغة البَشَارِ يّة في الجبنة ما لفظهُ :

" الجبنة مثل المرأة ولا مثل الوردة فطعمتها تطيب وريحتها تقبحَ "
" والجبنة مثل الوردة ولا مثل المرأة فانها تشكّ والقلب لا تجرَح "
" المكفيست "

وكتب الدكتور إيزُوبُول بلغة اليابان الفصحى في الحلواءات وكتب المسيو قامْبيري باللغة الجيغتائيّة في الفواكه وكتب الاستاذ دُه جُويَهْ من لَيْدِن باللغة العربيّة الفصحى في الشمپانية ما نصهُ :

" قيل للأَحنف بن قيس أيّ الشراب أَطيب فقال الخمر قيل لهُ وكيف علمت ذلك وأنتَ لم تشربها قال إني رأَيتُ من أُحلّت لهُ لا يتعداها الى غيرها ومن حُرِّمت عليهِ انما يدور حولها وحقّ لها ذلك فان الجبان اذا ركب فرسهُ الأشقر صار بطلا والعيّ فصيحاً وهي كما قال مسلم بن الوليد صريع الغواني

" تصد بنفس المرء عما يغمهُ وتُنْطِقُ بالمعروف أَلسنة البخلِ "

" ولذلك طمع فيها الناس طمعاً شديدًا كما قال ابو الهندي

" أَديرا عليّ الكأس اني فقدتها كما فقد المفطوم درّ المراضع "

" حتى ان قال ابو محجن

" اذا متّ فادفنّي الى أَصل كرمةٍ يروّي عظامي في التراب عروقها "
" ولا تدفنني بالفلاة فإنني أَخاف اذا ما متّ ان لا اذوقها "

" وينبغي ان تكون صافية معتّقةَ برائحة المسك والعنبر بلون كعين الديك او كالذهب المسبوك والاّ يشجها الماء حتى يغلب عليها كما قال أَبو نواس

" لا تجعل الماء لها قاهرًا "

" وما أحسن بنت بردال و بنت برغونية الإفرنجيين وما أطيب بنت وادى رَيْنِ الألمانيّة لكنّ الفضل على سائر الخمور للتي قال على لسانها بعض المحدثين

" شمپانيه مربعى ولى بقُرى ريمس مصيفٌ وأُمي العنب "
" ترضعني دَرّها وتلحقني بظلها والهجير يلتهب "

" فإنها مزبدةٌ لمن يحتلبها من قِنّينتها الزجاج ولا غروأنّها النّقطار الصريح الذى وصفها شعراء اليونان بشراب الآلهة ولها خاصية تقضي لها بالفضل على غيرها من الأشربة وذلك أن الخُمارَ لا يُداوى الّا بها قال بعض القدماء استعينوا على كل صنعة بأربابها ومن أرباب هذه الصناعة أعشي قيس في الجاهليّة وهو يقول

" وكأس شربت على لذة وأُخرى تداويت منها بها
" لكي يعلم الناس أني امرؤ أتيت المعيشة من بابها

" وأبو نواس في الاسلام وهو يقول

" دع عنك لومى فان اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء "

فانها بلا شك لم يعنيا الّا هذه الخمر الممدوحة المشهورة ولهذا كان من عادة كرام الندماء ان يبتدئوا منادمتهم بها ويختموها ولله در القائل

" أسقني والليل داجٍ قبل اصوات الدجاج "
" اسقني صفراء صرفًا لم تُدَنّس بمـــزاج "

" واما شأن الشاربين لها معها فإنهُ كما قال الآخر

" قلوب الندامي في يديها رهينة يصيدونها قهرًا وتقتلهم مكرًا "

" دُهجُويَهْ "

وكتب آخر بلغة بابل في النبيذ وكتب حبيب الأَصفهاني بالفارسيةّ أبياتاً تشكريةً مدحيةً في الوليمة وفي اعضاء المؤتمر وكتب غيرهم في غير ذلك

من استكهلم الى كرستيانيا

بعد تسليم الأَمتعة الى مستخدمي السكة الحديديةّ بمدخل الفندق باستكهلم ووضع اوراقٍ بمعرفتهم عليها أَلصقوها بها مكتوب فيها "و يكتوريا هوتيل" وهو اسم الفندق الذي حجزت لنا غرف بهِ في مدينة كرستيانيا بمعرفة سكرتاريّة المؤتمر لنجد تلك الأَمتعة بذلك الفندق عند وصولنا اليهِ — توجهنا الى محطة السكة الحديديّة فوصلناها قبل نصف الليل بساعة من يوم السبت ٧ سپتمبر سنة ١٨٨٩

وقد حضر لوداعنا بها خصوصاً جميع من تعرفنا بهم بهذا البلد وارتبطت بيننا و بينهم روابط الصحبة والمحبة وحضر لوداع اعضاء المؤتمر عموماً الجزء العظيم من أَهالي استكهلم من باب التبجيل والاحتفال وما سار الوابور في الساعة ١١ وعشر دقائق الاّ واخذوا في رفع الاصوات وذكر هُورّاه مرات متوالية حتى كنّا نسمع ذلك بعد ان بعد الوابور عن المحطة بمسافة قاصداً كرستيانيا عاصمة النرويج موعد المجتمع الثاني لهذا المؤتمر

وكان الزحام في هذا الوابور أَقلَّ منهُ في الذي سار قبلهُ بكثير كما علمناهُ بعد فتيسر لنا ان نختص بحجرة من عربة نحن الأَربعه

واخذنا نتحدث في ما رأَيناهُ بالمؤتمر وغيرهِ ونتبادل ملحوظاتنا في ذلك فيما بيننا و بين من حضر عندنا من الاعضاء والوابور مجدٌّ في سيرهِ مسرعٌ في جريهِ متجهٌ من الشرق الى الغرب يجتاز الغابات و يعبرُ الأَودية فلما انصرف من حضر

نمنا الى الصباح حتى أيقظتنا أشعة الشمس من الشبابيك فأخذنا نشاهد المناظر الطبيعيّة العجيبة ونتمتع برؤية الاشجار تحفها الانهار المتدة من البحيرات المتسعه

وقد تغير اتجاه سير الوابور ونحن نيام اذ بعد ان كان اتجاههُ من الشرق الى الغرب حتى وصل البلدة المسماة لاَكْسِهْ أخذ يتجه نحو الشمال الغربي قاصداً شَارْلُوتّنبرْجْ آخر بلاد السويد وحدّ النرويج في هذا الطريق وقد ذكر في يوميّة المؤتمر و پروجرامهِ أن الوصول اليها يكون والساعة ٩ و ٥٠ دقيقة قبل الظهر من يوم الاحد ٨ سپتمبر سنة ٨٩ فنتعاطى فيها بموجب تذاكر وزعت علينا قبل القيام طعام الصباح الذي أعدّهُ لنا بها موسسو المؤتمر

وفي أثناء الطريق بين لاَكسِهْ وهي على بعد ٢٢٩ كيلو متر من استكهلم و بين شارلوتنبرج وهي على بعد ٢٠٣ كيلو متر من لاكسه اخذنا نمر في اقليم ڤيرْمِلاَنْدْ الشهير بكثافة غاباتهِ وكثرة بحيراتهِ واتساع معادنهِ وانتشارها في ارضهِ خصوصاً الحديدية منها وقد اعلمنا كتاب الدليل انهُ صرف بالأزمان الاخيرة مبالغ جمة في سبيل فتحهِ للتجارة بتوصيل الترع الى بعضها فيهِ وانشاء السكك الحديديّة بهِ لتسهيل نقل حاصلاتهِ و اصدارها عنهُ الى جهات المملكة والجهات الخارجيّة

فوقف الوابور دقائق على مدينة كرستينهامن وبها من السكان ٥٤٠٠ نسمة ثم سار منها بجوار بحيرة "ڤينر" ينظرها الرائي تارة وتحتجب عنهُ أخرى ماراً على جسور استحدثت ومستبحرات رُدمت بمصاريف هائلة حتى وصل الى كارلستاد وهي رأس اقليم ڤيرْمِلاَنْدْ المذكور قائمة في موقع مرتفع ذي منظر بهج متسعة الطرقات مظللة سككها بالاشجار مشيدة العمارات جديدة البناء فانها كانت

احترقت في سنة ١٨٦٥ وتجددت بعد ذلك على هذا النظام وقد ساعد على ذلك كثرة انتشار التجارة فيها

ثم بارحنا "كرلستاد" هذه مستمرين في السير مجدّين فيه مارّين بأودية وغابات نقف في بعض المحطات واذا بالوابور قلّ سيرهُ ثم وقف فبعد الاستفهام علمنا انهُ انكسر ذراعاهُ وانقطع سيرهُ لذلك ولكن الله سلّم

ثم بعد ساعتين من وقوفنا بهذا المحل حضر الينا وابور من محطة شارلتنبرج التي كنا قاصديها اذ بمجرد الوقوف طلب رئيس القطار إرسال هذا الوابور من المحطة المذكورة بواسطة توصيلهِ آلة كهربائية في القطار عنده بسلك التلغراف المجاور للسكة الحديد فاستفدنا من هذه الحادثة معرفة زيادة همة هؤلاء القوم في تدارك الأمور وتسهيلها اذ بمجرد حصول الحادثة بلغ خبرها للمحطة التالية وورد الخبر منها ببيان ساعة وصول الوابور المسعف فاستراح الركاب واطمأنوا ونزلنا وأخذنا نتفرج على المراعي المجاورة وما بها على بعدها عن العمارة من الانتظام والاعتناء في تربية الماشية وتمام النظافة والاتقان في عمل الجبن والزبد وشربنا من لبن تلك الماشية الخالص اللذيذ ما أعاننا على ان نصبر عن الاكل الذي أوجب تأخيرهُ هذا الوقوف مع أنهُ لم يكن في الحساب

ثم سرنا نمتع الطرف بالمناظر الحسان من النباتات الطبيعيّة والغابات والاشجار والزروع والأنهار مارّين بقناطر جُعلت فوق الأنهار والبحيرات لعبور الوابورات عليها يبلغ طول واحدة منها فوق بحيرة "ڤيرملن" ٥٥٠ مترًا وزادت مصاريفها على خمسمائة ألف كورون مجتازين منفذا في الجبل طولهُ ٢٧٧ مترًا الى ان وصلنا شارلتنبرج الساعة ١١ و ٥٠ دقيقة اي بعد الميعاد الذي كان تحدد اولاً بساعتين

فوجدنا المآكل مصفوفة لنا بقاعات المحطة على طراز البلاد متعددة الالوان فاكلنا مع اللذة والهناء ومزّقنا الجوع كل ممزّق وكان في انتظارنا من ساروا بالقطار الأول من الأعضاء ليتقارب سيرنا الى كرستيانيا فنصلها في وقت متقارب

فسرنا من شارلتنبرج هذه بارض النرويج نقف بعض دقائق في كل محطة فنجد الاهالي ينتظروننا كما كان ينتظرنا اهالي السويد في كل محطة بأرضهم بيد ان اهالي السويد كان انتظارهم للوداع واهالي النرويج كان انتظارهم للاستقبال والجميع كانوا وقوفاً على الاقدام رافعين اصواتهم بالتعظيم والاحترام بين نساء ورجال وشيوخ واطفال وكلٌ يشير بقبعتهِ او منديلهِ إظهاراً لما عندهُ من الفرح والسرور بهذا الحضور وقد وُزّعت علينا في إحدى المحطات جريدة من جرائد البلاد اسمها " أفتنپوستن " مؤرخة في ٨ سبتمبر سنة ٨٩ جميع ما بها في اعمال المؤتمر ومواعيد اجتماعاتهِ وبيان اعضائهِ وفي مقدمة هذه الجريدة عبارة بالفرنساوية هذه ترجمتها:

" الى حضرات اعضاء المؤتمر الثامن للمستشرقين "

" ان عاصمة النرويج والمدرسة الجامعة فيها تقدمان في هذا اليوم العظيم الى زعماء العلوم المشرقية واجبات التحية والتكريم "

" وإن هذه البلد التي منها كرستيان لاسّين حلاّل رموز كتابات الفرس القديمة الذي قلدّ جيد العلم المنن العديدة بما وصل اليهِ من الاكتشافات وهذه المدرسة الجامعة التي هي أول من غذّى هذا العلَم الفرد ألبان العرفان هما أجدرُ وأولى بان نقابلاكم ونقدِما لكم واجبات الترحيب والاكرام "

" إنما يعرف ذا الفضـ ـل من الناس ذووه "

وأنتم المولودون في الاقاليم الجنوبيّة والبلاد المشرقيّة الكثيرة الثروة المتمتعة بالشمس واضوائها وقد وطئتم بأقدامكم اول مرة ارض الشمال فإذا قارنتم بين بلادكم المشمسة وهذه البلاد وما فيها من الجبال والغابات والانهار والخلجان التي تُنيرها شمس الخريف وجدتموها كابيةً بالنسبة لبلادكم "

" ولكن نحن ايضاً يُضيء فينا لهب نار العلم المقدس وشدة الشتاء لا تجمدُ قلوبنا كما سنثبت لكم ذلك بالفعل "

" الا سمعتم ارتفاع أصوات الامة باجمعها مرحبة بكم من الجبال والخلجان والأدوية وسائر الجهات قائلة مرحباً بكم في النرويج واهلاً وسهلا "

وما زلنا مجدين السير حتى قطعنا المسافة التي بين شارلُتنبرج وكرستيانيا وقدرها ١٤٣ كيلومتر في نحو اربع ساعات ونصف فكانت مسافة سيرنا من استكهلم الى كرستيانيا وقدرها ٥٧٥ كيلومتر نحو خمس عشرة ساعة وثلث فاذا ضممنا الى ذلك ساعتي وقوف الوابور بلغ مقدار المسافة جميعها نحو سبع عشرة ساعة وثلث وقد وصلنا كرستيانيا والساعة أربعة ونصف بعد الظهر من يوم الاحد ٨ سبتمبر سنة ٨٩ فوجدنا الألوف المؤلفة من الاهالي تنتظر بساحة المحطة و بالطرق التي مررنا فيها الى الفندق مرتفعة اصواتهم كالعادة بالترحيب والاجلال بهورّاه مكررين ذلك كلما مر عليهم بعض الاعضاء

ثم ركبنا عربة من المحطة الى الفندق المسمّى " ڤيكتوريا هوتيل " حيث الغرف التي حجزت لنا فيه بواسطة سكرتاريّة المؤتمر كما مرّ وهناك وجدنا أمتعتنا فاسترحنا بقية اليوم

مدينة كرستيانيا

هي عاصمة بلاد النرويج يبلغ عدد سكانها ١٣٠٠٠٠ نسمة غالبهم پروتستانت قائمة على اكمة بهجة المنظر على الجانب الايمن من نهر "أكِّرْسِلْف" مشرفة على الخليج المنسوب الى اسمها واقعة على درجة ٤٤ً—٥٤َ—٥٩ْ من العرض الشمالي وً١٠—٢٣َ—٨ْ من درجات الطول الشرقي لخط نصف نهار باريس

وقد اسسها كرستيان الرابع سنة ١٦٢٤ وجعلها عوضاً عن "أوسْلُو" عاصمته القديمة التي كانت على الجانب الأيسر من النهر قبلها واحترقت في السنة المذكورة وكان اهلها قد احرقوها قبل ذلك في سنة ١٥٦٧ حتى لا تقع في يد السويديين محاربيهم وقت ذاك ثم اعادوا بنيانها وبقي الى احتراقها الاخير

على ان كرستيانيا نفسها اخربتها الحرائق كثيراً في سنة ١٦٨٦ وسنة ١٧٠٨ وسنة ١٨٥٨ ولم تكن سكانها في سنة ١٨٥٥ أزيد من ٣٢٠٠٠ نسمة وبلغوا في سنة ١٨٧٥ — ٩٤٨٦٩ نسمة

وهي مقر الحكومة النرويجية ومجالسها النيابيّة ومجالس قضائها الأعلى والمدرسة الجامعة ويخرج منها في السنة بضائع من أصناف خشب العمارات والأسماك والكبريت والجعة وغير ذلك مما قيمة الجميع ٢٥ مليون كورون ويدخل اليها في السنة من أصناف الغلال والمنسوجات الصوفية والقطن والفحوم واللحوم والآلات وغير ذلك مما قيمة الجميع ٧٢ مليون كورون

وبلغ عدد سفنها التجاريّة سنة ١٨٨٤—٣٨١ سفينة منها ٧٠ سفينة بخاريّة حمولتها جميعها ١٢٢٠٠٠ طونولاطه

وبظاهر المدينة معامل للماكينات وعمل الجعة ونسيج الأقمشة وصنع

الورق غالبها على ضفاف نهر أكِيرْسِلف

وطرقها منتظمة متسعة ومناظرها بهجة تروق الناظر بسبب ماجاورها من البحر والأنهار والجبال الشامخة المكسوة بالنباتات الخضرة والأشجار وما يبدو في خليجها المزدحم بالجزر من كثرة السفن الشراعيّة والبخاريّة الصغيرة والكبيرة

واكبر طرقاتها وأحسنها الطريق المسماة "كَارْل يُوهَانس جادِه" وطولها يبلغ كيلو متر وابتداؤها من المحطة الشرقيّة متجهةً من الشرق الى الغرب حتى تصل الى القصر الملوكي

وعلى اليمين منها بعد مسافة قليلة من المحطة الميدان المسمى "سْتُورتُورْف" ومعناه الميدان الكبير وفي وسطهِ تمثال الملك كرستيان الرابع مجسماً

وبهذا الميدان من جهة اليمين الكنيسة المعروفة "بكنيسة المخلِّص" وقد بُنيت في القران السابع عشر ومن جهتهِ الشماليّة يتفرع طريق "تُورْف جادِه" وبأحد جانبي هذه الطريق المحل المسمى "دامپِكيُوكِّنْ" ومعناه المطبخ البخاري وهو بناء غريب في بابهِ مشتمل على طبقتين بكل منها موائد كثيرة من الرخام الأبيض جعل هذا البناء لغير الموسرين فيأكلون منهُ بدراهم قليلة وذلك أن يذهب الواحد منهم الى شباك بجهة المطابخ فيأخذ طبقاً بهِ ما يشتهيهِ من الأطعمة بمبلغ يختلف باختلافها من ٢٥ الى ٤٥ أوراي من ربع كورون الى أقل من نصفهِ وقد سبق أن الكورون يساوي ٥ غروش و١٦ بارة بالعملة الصاغ المصريّة ثم يدخل بهذا الطبق الى احدى قاعات البناء في ايِّ الطبقتين أراد ليأكل وينصرف وهذا البناء يأكل فيهِ كل يوم ألفا نسمة حتى إن إيرادهُ لا يكفي مصاريفهُ فتكملها بلدية المدينة ولا شك ان هذه الطريقة في غاية النفع للفقراء

والإعانة لهم وهي تدل على اعتناء أهالي هذه المدينة بغير الموسرين وإن دلّ عدد من يأكل منهم بهذا المحل على كثرتهم فيها بالنسبة لتعداد سكانها العمومي

فاذا استمر الانسان مصعدًا في طريق تُورْف جادِهْ المتقدمة وصل منها الى النهر وشاهد كيفيات انحدار الماء فيهِ المنتفع بهِ في إدارة فابريقات عديدة

وإذا عاد من هذه الطريق الى الميدان المتفرعة هي منهُ واستمر من هذا الميدان في طريق كَارْل يُوهَانْس جادِهْ المتقدم ذكرهُ قابلهُ من جهة اليسار محل ادارة البوستة والتلغرافات

وبعدهُ سراي مجلس النواب وهي حديثة البناء تمت سنة ١٨٦٦ وبداخلها عدة قاعات منها قاعة مجلس النواب تسع ١٥٠ من الأعضاء و٣٠٠ من المستمعين ومنها قاعة مجلس الأعيان وتسع ٤٠ عضوا و١٣٠ من المستمعين ومنها قاعة الكتبخانة ومنها قاعة لدفاتر المجلس ومحفوظاتهِ الى غير ذلك من القاعات

وامام وجهة هذه السراي ميدان فسيح بهِ بستان نضر في وسطهِ تمثال "ڤِيرْجلانْد" اشهر شعراء النرويج

وفي هذا الطريق بعد هذه السراي منتزه حافل تصدح فيهِ الموسيقي في زمن الصيف ويجتمع اليهِ المتنزهون من كل جانب

وتجاه هذا المنتزه سراي المدرسة الجامعة وهو المحل الذي خصص بانعقاد جلسات المؤتمر فيهِ

وهذه السراي بُنيت من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٥٣ وبجانبها بناآن تابعان لها احدهما على اليمين وقد خصص بانعقاد الاكاديمية فيهِ وثانيهما على اليسار وقد جعل دارًا للكتب ويحتوي على ٢٥٠٠٠٠ مجلد

اما المدرسة الجامعة فيدرس فيها ٥٢ أُستاذًا وبها من الطلبة اكثر من الف طالب وتنقسم الى خمسة اقسام باعتبار ما يدرس بها من العلوم والتعليم في جميعها مجانيٌ

وتشتمل هذه المدرسة على مجاميع عالية القيمة ومتحف للتاريخ الطبيعي ومتحف في علم اخلاق الشعوب وعاداتهم ومحل للطبيعة وأدواتها وتجاريبها وآخر للامور الطبيَّة وما يتعلق بها

ويتبع المدرسة متحف الفنون المستظرفة وقد بني على مصاريف صندوق الادّخار وأُهدى الى المدينة وينقسم هذا المتحف الى قاعات متعدِّدة إحداها للتصاوير المجسمة وأُخرى للرسومات الغير المجسمة من صنع الرسامين الدانماركيين والطليانيين والفلمنكيين ولغيرها من نفائس الآثار

وبعد هذا كلهِ بآخر الطريق السرايُ الملوكيَّة وهي بناء متسع مشيد جديد بني من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٤٩ مشتمل على عدة قاعات منها ما هو للاستقبال ومنها ما هو للاكل ومنها ما هو للنوم الى غير ذلك وبهذه السراي كثير من الرسومات من صنع مشاهير الرسامين الوطنيين أَهدوها الى الملك وفي جدران سلمهِ تمثالان بارزان في الرخام احدهما من جهة اليمين يمثّل شارل الرابع عشر حال كونهِ واضعاً اول حجر في بناء هذا القصر والآخر على اليسار يمثّل اسكار الثاني محتفلاً باقامة تمثال شارل الرابع عشر المشار اليهِ

وامام السراي تمثال شارل الرابع عشر المذكور من البرونز مجسماً عمل في سنة ١٨٧٥ "وهو شارل جان برنادوت" وفي قاعدة هذا التمثال كتب ما معناه: "حب الأُمة لي مكافأتي" وفي موضع آخر منها ما معناه ايضاً "أَقام هذا

التمثال الأُمة النرويجيةّ "

ويتفرع عن طريق كَارْل يُوهَانس جَادِهْ المذكور عدة طرق من اهمها "رادْهُوسْ جادِهِ" و"كُونْجِنس جادِهْ" ويتوصل منها الى الميدان المسمى ميدان البنك وعليهِ " تياتر كرستيانيا " وبالقرب منهُ " سراي المحافل الماسونيةّ " وهو الذي حصل فيهِ اول اجتماع وديّ بين اعضاء المؤتمر في مساء الوصول الى كرستيانيا كما سيأْتي وأُقيمت فيهِ الوليمة التي اعدتها المدينة اكراماً لهم وسيأْتي الكلام عليها في موضعها .

وهذه السراي على بعض خطوات من ڤيكتوريا هوتيل الذي نزلنا فيهِ وهو من أَعظم فنادق هذه المدينة وأَشهرها وقد اعتني في إعدادهِ لأَعضاء المؤتمر حتى أُقيم في رحبتهِ فسطاط ظريف مُجمَّل بالمرايا والفرش اللطيفة جعلوهُ لتعاطي الطعام بحيث يسع من نزل بهذا الفندق من الأَعضاء وزُيّن باقي الرحبة بالأَشجار والمظلات المختلفة الاشكال والالوان

وبالقرب من هذا الفندق قلعة " اكيرْ سِهُوسْ " الشهيرة في التاريخ بكونها حصينة الجانب مانعة من أَراد الاستيلاء عليها من الأَجانب وان كانت الآن ليس لها الأَهمية السابقة لحدوث ما يُستغنى بهِ عنها فهي من قبيل الآثار التاريخيةّ

ولنختم هذه الاجماليات بالكلام على " سَنْكِت هَانسهُوجِنْ " وهو أحد الجبال المجاورة المدينة لكنهُ يمتاز عن غيرهِ من الجبال بأَن بهِ بستاناً لطيفاً انشئ فيهِ للتنزه وفي وسطهِ حوض فسيح لتقسيم المياه وتوزيعها على المدينة وهذا البستان ينظر منهُ جميع جهات المدينة فيرى من بهِ شوارع المدينة وخططها ومنازلها منتشرة متفرقة تتخللها الحدائق سُلك فيها مسلك الطريقة الانجليزيّة بلوندرة بخلاف

استكهلم فانهُ سُلك فيها الطريقة الفرنساوية بباريس من تشييد العمارات وارتفاع أماكنها وقربها لبعضها وتعدد طبقاتها ويَرَى من بهِ ايضاً على مد البصر الميناء والسفن والجزر وضواحي المدينة وما بهذه الضواحي من المعامل والمصانع ويرى الوابورات مترددة على هذه العاصمة من الشرق والغرب في البر والبحر والنهر فيقضي بتقدم هذه المدينة واستمرار هذا التقدم ما دام أهلوها على ما هم عليهِ من الحركة والنشاط

﴿ الاجتماع الوُدي ﴾

بين أعضاء المؤتمر القادمين من استكهلم واعضائهِ النرويجيين
في "فِرِيمورِرْلوجِنْ" سراي المحافل الماسونيَّة

بعد وصولنا الى كرستيانيا في هذا النهار (يوم الأحد ٨ سبتمبر سنة ٨٩ والساعة اربعة ونصف بعد الظهر) واسترحنا قليلاً بالفندق الذي نزلنا بهِ ركبنا عربة وأخذنا نتفرج في أنحاء المدينة وشوارعها المهمة وكنا عرفناها من كتاب الدليل حتى أقبل الليل فعدنا الى الفندق وتعاطينا طعام العشاء في الفسطاط الذي مرَّ ذكرهُ وكان هذا الطعام من أحاسن ما أكلناهُ في هذه السياحة لعظيم اتقانهِ ونظافتهِ وشدة الاعتناء في صنعهِ لا سيما أنهُ أول ما هُيِّئَ لأعضاء المؤتمر بهذا البلد وقد طبعوا قائمة بيان أصنافهِ بحروف ذهبيَّة ورسموا بظاهرها ظاهر الفندق وبداخلها داخلهُ

ثم توجهنا الى سراي المحافل الماسونيَّة وهي على خطوات من الفندق كما تقدم فوجدنا بها اعضاء المؤتمر النرويجيين يصحبهم أعيان المدينة ومعتبرو أعضاء مجالسها النيابيَّة فحصل التعارف والتآلف وجرت المسامرات الوديَّة والمباحثات

العلميّة مجراها المعتاد واطربت الموسيقى الحاضرين ودارت عليهم الأشربة والمرطّبات حتى قرب نصف الليل فانصرفنا نطلب الراحة و بقي من بقي

وسراي المحافل الماسونيّة هذه محل في غاية الجمال مشيد الأركان عظيم البنيان ذو طبقتين مرتفعتين صعدنا الى العليا منها ومن قاعاتها قاعة في غاية الاتساع تسع ألوفاً من الناس يُشرف عليها محالٌ بدائرها تجلس فيها النساء والأجانب أيام الاحتفالات الماسونيّة الّتي يُسمح فيها بالحضور لغير الماسونيين

وهذه القاعة مخصوصة بالاجتماعات الماسونيّة العموميّة واحتفالاتهم السنويّة وما جاورها من الغرف والقاعات وما بأسفلها من المحلات مخصوص بعضهُ بإدارة العشيرة الماسونيّة و بعضهُ بالكتبخانة وبعضهُ بأقلام الكتاب و بعضهُ باجتماعات المحافل الخصوصيّة كلٌّ بحَسَب يومهِ المعدود وموعدهِ المحدود و بعضهُ مخصوص باجتماع الإخوان في غير أوقات العمل لمطالعة الجرائد والمسامرات ومبادلة الأفكار في الأدبيات هذا فضلاً عن محل خزينة النقود ومخازن اللوازم ومحلات إدارة اعمال الخير والاحسان المتعلقة بجمعيّة البنائين الأحرار

ولم يكن اجتماع اعضاء المؤتمر بهذا السراي في هذا المساء اجتماعاً ماسونيّاً بل وُدّيا فقط لأن مؤسسي المؤتمر في هذه العاصمة لم يجدوا لهذا الاجتماع الوُدي الذي تقرر في البروجرامات أنسبَ من هذا السراي لاتساعهِ ولِقُربهِ من الفندق الذي نزل فيهِ غالب الأعضاء فضلاً عن التيمُّن بهذا المحل المجعول للاجتماعات الأخوية فناسب ان يكون الاجتماع الوديّ المقصود بهِ التعارف بين الأعضاء واقعاً في المحل المخصوص باجتماعات الإخاء

ولا يبعد مع ذلك ان يكون الكثير من معتبري هذا البلد ومؤسسي المؤتمر

فيهِ من هذه العشيرة الأخويّة فاختاروا هذا المحل لذلك كما أنهُ لا يبعد أن يكون من ضمن أعضاء المؤتمر الحاضرين من الخارج والبلديين كثير ممن جمعتهم هذه الجمعيّة المؤسسة على الإخاء والمساواة والحريّة

والذي علمناهُ أن هذه الجمعيّة منتشرةٌ في بلاد النرويج وفي شقيقتها التي بارحنا عاصمتها كل الانتشار وأن ذلك من أسباب سرعة تقدمها في المدنيّة والعُمران

الافتتاح الرسميّ للمؤتمر في كرستيانيا
ووليمة أُسكارْ سِهالْ

حصل هذا الافتتاح في وقتهِ المحدود وهو تمام الساعة العاشرة قبل الظهر منْ يوم الاثنين ٩ سپتمبر سنة ٨٩ بقاعة الخطابة في المواضيع العلميّة من المدرسة الجامعة فاجتمع بها اعضاء المؤتمر بملابسهم الرسميّة وحضر عظماء القوم وامراؤهم وعلماؤهم ورجال الحكومة ورؤساء المجالس النيابيّة ثم حضر صاحب المقام السامي ثاني انجال الملك النائب عنهُ بهذه العاصمة

وهذه القاعة على شكل نصف دائرة محلات بالرسومات والنقوش جُعل فيها منبر للخطابة وصُفت بها الكراسي لجلوس الحاضرين وكانوا نحو ألف حتى غصّ بهم المكان وتعسر فيهِ الانتقال من محلٍ الى آخر وبدائر هذه القاعة محالّ مرتفعة مطلة على الجالسين جلست فيها النساء

وبمجرد وصول ثاني الانجال افتتح الحفلة المسيو سڤيرْدْرُوبْ رئيس المؤتمر للنرويج وناظر المعارف فيها بخطبةٍ من لغة البلاد ضمَّنها تهنئة نفسهِ وأهل بلادهِ

باجتماع هذا المؤتمر المشتمل على أفاضل العلماء وأكابر الفضلاء بعاصمة البلاد والاعلان بأنها ستقوم بشكر هذه المنة وتوفي الوافدين حقهم من الإعزاز والاجلال ولا تتأخر عن شقيقتها عاصمة السويد عن أداء هذا الواجب والقيام بهِ احسن القيام حاذية حذوها في جميع ما قامت بهِ من واجبات التعظيم والاكرام الى ان قال "وإني وان كنت اعترف بأني لم اكن من الاطلاع على لغات الشرق وعلومهِ بدرجةٍ تؤهلني لشرف هذه الرياسة ولكني اطعت امر سيدي الملك الذي ولاني هذهِ المهمة واولاني هذهِ النعمة فباسمهِ الشريف أُعلن بافتتاح هذا المؤتمر في عاصمة هذه الديار مختتماً مقالتي بالترحيب بكم والتأهيل لكم يا حضرات الفضلاء الانجاد"

ثم تلاهُ الاستاذ لِيبلَين نائب رياسة المؤتمر واستاذ العلوم المصريَّة القديمة بالمدرسة الجامعة فخطب بالفرنساويَّة خطبة خاطب فيها المستشرقين بما معناهُ إنهم وان لم يجدوا في النرويج علماء يماثلونهم في معرفة العلوم واللغات المشرقيَّة بسبب بعد بلادهم عن بلاد المشرق لكن سيجدون مع ذلك عندنا من يعرف فضلهم ويقدرُ لهم قدرهم على ان من وطنيّينا من كتب في اللغات الساميَّة كتابات اشهر من ان نذكرها وان منَّا من أَلَّف في اصول اللغة الآريَّة ما تُرجم الى سائر اللغات هذا والامل ان اجتماعكم بهذه البلد يزيد في استنهاض الهمم عندنا الى هذه المعلومات واجتناء ثمرات هذه الخيرات ويكون لكم الفضل في ذلك واليد الطولى فيهِ وانتم اول مَنْ شرفنا بعقد جمعيَّة مشرقيَّة في بلادنا فمرحباً بكم واهلاً وسهلاً شرفتم البلاد واهل البلاد

وخطب بعدهُ حضرة الكونت ده لاندبرج بالفرنساويَّة خطبةً ألمع فيها الى خداماتهِ في سبيل هذا المؤتمر واجتماعهِ مفتخراً بما اولاهُ سموّ الملك من المكافأة

على ذلك ثم اعلن فيها بما تفضّل بهِ سموّهُ من التبرع الى المدرسة الجامعة في هذه العاصمة بنصف الكتب المهداة اليهِ بمناسبة المؤتمر المتجاوز عددها الفين وذلك لمحبة سموّهِ لهذه البلاد وتوجه نظرهِ اليها

ثم خطب بعدهُ احد الاساتذة الانكليز ثم احد الاساتذة الالمانيين ثم الراهب الهندي ثم غيرهم من العلماء بما يتضمن التشكر على الترحيب بهم والتحية لهم حتى انقضت الجلسة وقت الظهر وتوجه كلٌّ الى محلهِ وانصرفنا الى الفندق وبقينا بهِ ولم نحضر مع الاعضاء حيث اجتمع اقسام المؤتمر الخمسة من الساعة ٢ الى الساعة ٤ بعد الظهر في المدرسة الجامعة كل قسم بمحل مدرسة من مدارسها الخمسة وذلك لانحراف صحة سيدي الوالد

كما انهُ لم يمكنا لأَجل هذا الانحراف التوجه الى قصر أُسكارسهال الملوكي الذي بجهة "بيجدُهْ" القريبة من كرستيانيا على مسافة يسيرة في البحر وقد دُعي الاعضاء الى التفرج عليهِ ومشاهدة الآثار القديمة النرويجية التي نقلها الى بستان ذلك القصر سموّ الملك اسكار الثاني وتعاطي طعام العشاء هناك من طرف الخاصة الملوكيّة وسماع الموسيقى والتمتع بمناظر الزينة التي تُجعل ثمّة

والذي علمناهُ ممن توجه من الأعضاء أنهم ركبوا وابورات أُعدّت لهم والساعة اربعة ونصف بعد الظهر فأَوصلتهم في مسافة ربع ساعة

وهناك استقبلهم باسم الملك المسيو "هُولنْت" احد ياورانهِ وحيّاهم تحية القدوم ومرّ بهم من البستان الى القصر ومازالوا يتفرجون معهُ على القصر وما فيهِ الى الساعة السادسة

وهذا القصر بُني برسم الملك أُسكار الاول من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥٢

وكلهُ مزين بالنقوش والرسومات من أعمال احسن الرسامين النروبجيين

وفي اثناء الزيارة شرّف صاحب المقام السامي ثاني انجال الملك فسار بالمدعوّين الى الآثار النرويجية الّتي نقلها والدهُ حفظاً لها من الدمار ووضعها في جهةٍ من بستان هذا القصر وهي على حالها الّتي كانت عليهِ بدون أدنى تغيّرٍ فيها يقصدها السياح من كل مكان وأهم هذه الآثار كنيسة مصنوعة كلها من الخشب كما كانت العادة عندهم في الأزمان الخالية صُنِعت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر وهي في غاية الإحكام والإتقان ومع قدمها لم تتغيّر الى الآن ومن هذه الآثار مسكنان من مساكن الفلاحين الّذين يسكنون شمال البلاد مع ما فيها من أثاث المنزل ولوازمهِ على الحالة الّتي كان هذان المسكنان عليها من قديم العهد وسالف الزمان وقد ألقى حينئذٍ المسيو دِيتْرِيكْسُون من أساتذة المدرسة الجامعة بكرستيانيا خطبة شرح للحاضرين فيها هذه الآثار وأبانها لهم أتمّ تِبيان وطبع هذه الخطبة مع رسم الآثار المذكورة ووزّعها على الأعضاء فأهداني أحد الأساتذة نسخة منها

وفي الساعة السابعة صار تعاطي الطعام وكانت في اثنائهِ وبعدهُ الى الساعة العاشرة يُطرب المدعوّين أشهر المغنين معرفةً بالموسيقى والألحان فضلاً عن الموسيقيات العسكريّة الّتي توجهت برسمهم الى تلك الجهة وكانت الزينة الكهربائيّة والغازيّة الّتي تزين بها القصر والبستان على أحسن حال وأتم نظام حتى آن وقت العود فركب الأعضاء الوابورات وأخذوا في الإياب الى كرستيانيا يتفرجون اثناء السير على الزينات الّتي أقامها الأهلون من كل جانب ببديع الأشكال وغريب الألوان بين ما هم يتهلون بارتفاع الأصوات للترحيب وإظهار الفرح

والسرور حتى وصلوا كرستيانيا نحو نصف الليل

أما درجة الحرارة في النهار بعد العصر من هذا اليوم في رحبة الفندق على ما علّقتهُ عندي فكانت ١٢ فوق الصفر وقد أخبرني بعض الأصحاب ممن حضر الوليمة انها في حال عودتهم كانت أقل من عشر درجات

﴿ شلالات هُونِه فُوس ﴾

من مقتضى پروجرام المؤتمر اليوم يوم الثلاثاء ١٠ سپتمبر سنة ٨٩ ان يجتمع الأعضاء بالأقسام كلٌّ وقسمهُ الذي اختارهُ من الساعة ٩ و٣٠ دقيقة الى الساعة ١١ و٣٠ دقيقة قبل الظهر وان يركبوا في الساعة ١٢ قطارًا مخصوصاً يذهب بهم الى شلالات هُونِه فُوس التي تتدفّق منها المياه تدفقاً عجيباً وانهم يتعاطون طعام العشاء في مدينة هُونِه فُوس بجوار هذه الشلالات البديعة وانهم يعودون منها في الساعة ٦ و٣٠ دقيقة بعد الظهر بقطار مخصوص يقف بهم على محطة مدينة دْرَامِنْ حيث تُقدِّم لهم نساء المدينة الشاي ثم يسيرون بعد ذلك حتى يصلوا الى كرستيانيا في نحو الساعة ١١ مساءً

ولم يتيسر لي في هذا اليوم لداعي استمرار انحراف صحة السيد الوالد حضور مجتمعات الأقسام ولاحضور وليمة الشلالات المذكورة غير أني تحصلت من الأساتذة الأصحاب على اخبار ما جرى في مجتمعات الصباح وأخبار الوليمة والشلالات مع ما أعانني على معرفة حقيقة هذه الشلالات وطريقها من كتاب الدليل

أمّا مجتمعات الصباح فلم يحصل فيها أمر ذو بال حتى اقتصر بعضهم على أن

كرَّرَ فيها ما قالهُ في استكهلم ولم تحدث مقالات مهمة في الفصل الإِسلامي غير مقالة ألقاها الأُستاذ ليتنرعن الجامع الذي شرع في انشائهِ ببلاد انجلتره بواسطة نقود استحصل عليها من أصحابهِ المسلمين والانجليز ومقالة ألقاها أحد أساتذة الروس ذكر فيها اكتتاباً قاموا بهِ لإِنشاء جامع في سان بطرسبورج للمسلمين من التتار وغيرهم تحصَّل منهُ عشرون ألف روبل وأنهم عما قليل يقومون بإِقامة الجامع وتشييدهِ وقد كان متولي رياسة هذا الفصل اليوم حضرة الفاضل الوطني المحب لملتهِ والخادم الصادق لدولتهِ صاحب العطوفة مدحت افندي فشكر هذين الفاضلين ومن أعان على هذا المشروع واتبع ذلك بالمقارنة بين حالة أُوروبا السابقة حتى في أوائل القرن الحاضر وقد كان أهلها ينقمون على غير المسيحيين وبين حالتها الآن من احترام اهلها سائر المعتقدات حتى قاموا بتشييد جوامع تقام فيها شعائر الدين المنيف ونسب الفضل في ذلك كلهِ الى العلماء المستشرقين حيث أبادوا بابحاثهم واستكشافاتهم ظلمات الاوهام وأبانوا فساد الاعتقادات التي كانت تنسب الى ديننا الحنيفيّ ما هو منهُ براء من الضلالات والخزعبلات .

واما السير الى الشلالات فقد أُعد للاعضاء قطار سار بهم متجهاً الى الغرب يمر بهم تارة على خليج كرستيانيا الشهير وينحرف عند اخرى ثم توجه نحو الجنوب وان كانت المدينة المقصودة وشلالاتها نحو الشمال الغربي لكن اعوجاج الجبال بهذا الطريق اوجب ذلك واستمر السير نحو الجنوب مسافة طويلة ثم اتجه الى الغرب نحو مدينة درامن التي سيتعاطون فيها الشاي اثناء العودة ثم جاوزها الى ما بعدها يخترق المنافذ ويعبر الانهار ويكتنف البحيرات ويصعد الجبال حتى وصل الى هُوجِسُوندومَّ بعدُ بشلالاتها ثم اتجه نحو الشمال

الشرقي واستمر على ذلك مسافة حتى وصل هونهٔ فوس

وقد أعدت موائد الطعام واجتمعت النساء من الجهات المجاورة يغنينَ اثناءَ الأكل بالانغام الأهليّة من غير آلات موسيقيّة مما فضلهنّ على تلامذة أپسالاَ لرخامة أصواتهنّ مع بديع جمالهنّ وحسن اشكالهنّ وزخرف ملابسهنّ

وبعد التفرج على الشلالات ورؤية تدفُّق المياه منها بقوة عجيبة وسرعة غريبة والنظر هنيهة الى مدينة هُونه فُوسْ التّي عدد سكانها ۱۱۵۰ نسمة انصرف الاعضاء عائدين الى كرستيانيا مارّين اثناءَ الطريق على دْرَامنْ لتعاطي الشاي الذي وعدوا بتعاطيهِ عند العودة وأن تُقَدّمهُ لهم النساء

"ودْرَامنْ" هذه بلدة ذات ثروة قائمة على شاطئ خليج "دْرَامنْ سِلفْ" نسبةً اليها عدد سكانها نحو ۱۹ ألف نسمة متسعة في التجارة خصوصاً في الاخشاب التّي تُجلب اليها من الغابات والجهات المجاورة لها بواسطة الأنهار والبحيرات فيصدر عنها من الاخشاب ما قيمتهُ خمسة ملايين كورون في السنة فضلاً عن الزنك والنيكل وبين طرفيها كوبري من الخشب على النهر طولهُ ۳۰۰ متر يقصدهُ في ايام الحر اهل المدينة للتنزه واستنشاق النسيم الخالص والتمتع بنظر الشلالات مع الانتفاع في العبور عليهِ الى كلّ من طرفي المدينة

وبعد ان شربوا الشاي وكان قد أُعدّ لهم بالمحطة على احسن اسلوب وقدّمهُ لهم نساءُ أكابر القوم متحليات بملابسهنّ الوطنيّة إجلالاً لهم والجهة مزدانة بأبهج الزينة وأبهى الأنوار وقد حضر في هذه الحفلة اكابر اهل المدينة ومعتبروها رغبة منهم في التعرف بالعلماء فمكثوا معهم فيها نحو نصف ساعة عادوا الى القطار وساروا حتى وصلوا كرستيانيا .

واخبر بعضهم ان درجة الحرارة في اثناء الطريق ليلاً كانت اقل من عشرة فوق الصفر اما في كرستيانيا قبل توجهم صباحاً فكانت ١٥ وكانت ١٢ بعد الظهر

اثر سيدي الوالد الذي قدَّمهُ

الى المؤتمر في امر التعليم الجاري بمصر
في المدارس الاميريَّة والمكاتب الاهليَّة والمدارس الدينيَّة

اجتمع اعضاء الفصل الاول من القسم الاول اليوم يوم الاربعاء ١١ سبتمبر سنة ٨٩ في المحل المعد لاجتماعهِ بالمدرسة الجامعة والساعة عشرة ونصف قبل الظهر فقدَّم سيدي الوالد الأَثر الذي كتبهُ على التعليم بمصر وعرض عليهم مقدمتهُ وتكلَّم اجمالاً على ما ضمَّنهُ إيَّاهُ مبيناً تقسيماتهِ بناءً على طلب افاضل الحاضرين خصوصاً ما يتعلق بالازهر منها فوقع ذلك منهم موقع القبول والاستحسان

أمَّا المقدمة فهذا نصها

"لا خفاء في ان مصر كان لها في ايامها الأُولى من التقدم والقِدَم ورسوخ القَدَم في العلوم والصنائع ما تغني الشهرة فيهِ عن ذكرهِ ويكفي منهُ ما يوجد اليوم في كل بقعة من أثرهِ ولسنا الآن بصددهِ ثم تحولت الحال وجرَّ عليها ما جرى في الأَزمان الطوال من صروف الأَحوال وصنوف الاهوال ما أَخذ يستنزلها عن رفعة مقامها ويسلبُها ما اكتسبتهُ في سوالف أَيامها حتى اندرست معالمها وعلومها وانطمست رواسيمها[1] ورسومها

(١) الرواسيم كتب كانت في الجاهليَّة

" ثم جاءها الفتح العربي بالدين الاسلامي على يد من وافاها بهِ من المسلمين الّذين سكنوها واستوطنوها ودخل معهم في دين الإسلام من دخل من أهلها بتوالي الأيام فنمت الألفة بين الأعراب الغرباء الوافدين والأهلين الأصليين وتمت المواصلة بين الفريقين وسرى الى أهل البلاد بواسطة المخالطة ما كان للقوم الفاتحين من اللغة والأخلاق والعادات وان لم يجبُروا أحداً على ترك لغتهِ أو عادتهِ ولكن جرت العادة بتقليد المغلوب للغالب ومتابعة الضعيف للقوي كما هو معلوم ومع تمادي الأيام انتشرت في بلاد مصر لغة العرب الى ان غلبت على اللغة القبطية وكادت تستأصلها بالكلية حتى لا يُرى في قبط مصر من أجاد معرفة لغتهِ واعتاد استعمالها في محاورتهِ ولو مع بني جلدتهِ الاّ القليل وأقل منهُ من تمكن في معرفة قراءتها وكتابتها وقواعدها أمّا اللغة المصريّة القديمة الّتي كانت مستعملة بين قدماء المصريين (وهي أصل اللسان القبطي السالف الذكر) وتُعرف كتابتها القديمة البربائيّة بالخط الهيروغليفي فلا يُوجد فيهم عارف بها و بقواعد قراءتها وكتابتها الاّ إن كان قد تعلم ذلك من بعض الأوروبيين بعد استكشافهِ في الأزمان الأخيرة كما تعلّمهُ ايضاً بعض المسلمين

"واللغة الغالبة المتداولة الآن في مصر بين متوطنيها وأهليها قبطها ومسلميها هي اللغة العربيّة مع بعض تحريف لا يمتنع معهُ الرجوع فيهِ الى الأصل الفصيح من العربي الصحيح وكذلك دخلها الدخيل من المولّد والمعرّب من اللغات الأعجميّة كالفارسيّة واليونانيّة ثم التركيّة ثم الإفرنجيّة بحسب تقلبات الأحوال وتداول الاستعمال وحاجة التخاطب والتفاهم لاسيما في الاشياء الحديثة العهد"

"ولما دخل هذه البلاد اللغة العربيّة والديانة الإسلاميّة معاً تبعهما ما تبعهما

من علوم القرآن والحديث كشرح الغريب وحل المعنى واستنباط الأحكام كالحلال والحرام والصحيح والفاسد الى غير ذلك من الأحكام والأصول والفروع الشرعيّة والعقائد وغيرها من المقاصد ووسائلها كعلم متن اللغة والنحو والصرف الى غير ذلك لا سيما بعد أن دُوِّنت هذه العلوم وتقررت قواعدها وتأسست أُصولها وتفرعت فروعها ثم لما اتسعت الدولة العربيّة وتمهد ملكها وعظمت سلطنتها تبع ذلك بالضرورة ما هو من توابعهِ ولوازمهِ من أمر الحضارة والتمدن ولحق ذلك ما يلحقهُ في مجرى العادة من تقدم العلوم والفنون والحرف والصنائع فبلغت دولة العرب في ذلك مبلغاً عظيماً كفانا الإطنابَ فيهِ التواترُ والشهرة ونبغوا في فنون كثيرة سوى العلوم الدينيّة واللغويّة كالحساب والجبر والهندسة والهيئة والطب والكيمياء والطبيعة وعلم المواليد الثلاث (التاريخ الطبيعي) الى غير ذلك وقاسوا الدرجة الأرضيّة وعملوا الأزياج والأرصاد والمباني الفنيّة والتجاريب الكيماويّة والطبيعيّة وكثيراً من الأعمال اليدويّة والعقليّة ونالت في خلال ذلك مصر حظّها من فنون المعارف وافياً ونصيبها وافراً وكثر بها العلماء والعلوم والصناع والصنائع ونقلت منها واليها المتاجر والبضائع وأُتقنت بها الأعمال وتفننت فيها العُمّال ونقلت بعض مصنوعاتها الى المشرق والمغرب وسائر الجهات وتنافست فيها الملوك وعظماء الناس حتى بلغت قيمة الثوب الواحد مما كان يُصنع بها ألف دينار وأعطى سيف الدولة الحمْدَاني [1] مرة للشاعرين المعروفين بالخالديين [2] في عطيّةٍ لهُ ثياباً من عمل

(۱) سيف الدولة هو علي الحَمْدَاني من ملوك بني حمدان مَلَكَ واسِطَ وأطرافها ثم امتد ملكهُ الى حلب ثم الى دِمَشق واكثر بلاد الشام وتوفي سنة ٣٥٦ هجريّة

(٢) الخالديان شاعران مشهوران كانا من خواص سيف الدولة المذكور قبلُ وهما ابو عثمان سعيد بن هاشم بن وعْلَةَ واخوهُ ابو بكر محمّد بن هاشم واشتهر ايضاً بابن وعْلَةَ وكانا يشتركان في كثير من الشعر منهُ ما ذكر في الأصل ونسبتهما الى الخالديّة وهي قرية من اعمال الموصل

مصر فقالا في شعر لهما يمدحانهِ

أَتت الوصيفةُ وهي تحمل بدرة　　وأَتى على ظهر الوصيف الكيسُ

وكَسَوْتنا ممَّا أَجادت حَوْكهُ　　مصرٌ وزادت حسنَهُ تِنّيسُ

وتنيس مدينة كانت بين الفرما ودمياط من شمال مصر ثم خَرِبت ودُرِست وفي خطط المقريزي " تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان اهلها مياسيرَ أَصحاب ثراء واكثرهم حاكة وبها يحاك ثياب الشروب التي لا يُصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال لهُ البدنة لا يدخل فيهِ من الغزل سداء ولحمة غير اوقيتين وينسج باقيهِ بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمتهُ أَلف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منهُ وهو ساذج بغير ذهب مائة دينار عيناً غير طراز تنيس ودمياط " انتهى وقس على ذلك ثم ضرب الدهر ضرباتهِ على جاري عاداتهِ فتقلص ظل الملك في مصر وكثر بها الخلل والفشل وعم الفساد واستتبع ذلك ما هو اخص لوازمهِ من تناقص العُمران وتقهقر أَمر العلم والتعلم والفنون والصنائع الى ان أَظل زمان حكومة العلَم الشهير والشهم الخطير نادرة الأَدوار وبكر الفلك الدوار افندينا الكبير محمد علي عليّ الشان نزيل دار الرحمة والغفران على حين تم الاختلال وفساد الأَحوال وانقرضت العلوم والفنون والصنائع ولم يبقَ من المعارف الاَّ ما كان منحصراً بمصر في الجامع الازهر وقد بقي فيهِ اذ ذاك بقيَّة من العلماء العظام والأَفاضل الاعلام ولم يبقَ في غيرهِ شيءٌ من ذلك سوى النزر اليسير والنادر لا حكم لهُ

" فلما استتبت الحكومة للمرحوم المشار اليهِ واستقام الأَمر واستراح خاطرهُ من المانع والمزاحم أَخذ في احياء موات العلوم والمعارف وتجديد دوارس الدروس

والمدارس وانشاء المعامل والمصانع لتقدّم الأعمال والصنائع فجدد المكاتب والمدارس للتعليمات الابتدائيّة والتجهيزيّة والعلوم الهندسيّة والطبيّة البشريّة والبيطريّة والفنون العسكريّة للبريّة والبحريّة واستحدث معامل الاسلحة وأدوات الحرب ومصانع لعمل السفائن لنهر النيل وفروعهِ وكذا السفن والبوارج للبحر الملح حتى صار عندهُ عمارة بحريّة عظيمة واسطول كبير وغير ذلك مثل معامل المنسوجات ملوّنة وغير ملونة من القطن والصوف فتحسنت الصنائع وانتشرت الفنون ونشأت دولة العلوم وخلفهُ أخلافهُ على ذلك تغمد الله الجميع برحمتهِ وغفرانهِ وكافأ كل صانع على حسن صنيعهِ بشامل إحسانهِ

" ثم افضت نوبة الحكومة الى حفيدهِ المعظم وواسطة عقد مجدهِ المنظم الذي نشأ في مهد العلم واغتذى بلبان الفضل وشبّ على حب المعارف خديوينا الاكرم خديو مصر الأعظم محمَّد توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمَّد علي المشار اليهِ نضر الله أيامهُ ويسر لهُ خير ما رامهُ فنشأ مجبولاً طبعهُ مصروفاً اهتمامهُ متوجهاً نظرهُ الى حب العلوم والمدارس ونشر المعارف وارتفاع درجة الفضل وشرف محلهِ وانتفاع اهلهِ فبذل غاية ما في وسعهِ ونهاية ما وصلت اليهِ يد امكانهِ في الاعانة على انتشار المعارف ببلادهِ وتقدم أمر التعليم والتعلُّم في أوطانهِ على ما هي عليهِ حالة الماليّة واقتدى بهِ في ذلك أرباب الأنظار من نظار الحكومة النبلاء وامناء الامراء ولا تزال انظارهُ السعيدة وأنظارهم وافكارهُ السديدة وافكارهم متجهة الى المساعدة في أمر المكاتب والمدارس والتعلم والتعليم جهد المستطيع ومدى الممكن وما زال التحسين حاصلاً والإصلاح متواصلاً وسيأتي الكلام على التعليم الجاري الآن في المكاتب والمدارس على اختلاف أنواعها وتنوع درجاتها وهذا المقام هو الغرض

المقصود بالكلام والله ولي التوفيق "

واما تقسيمات الأثر المذكور فهي هذه :

ويتبع ذلك جداول احصائية وبعض بيانات متعلقة بها مثل تعداد أهل الجامع الازهر وبيان مقدار المرتب لهُ من الجراية في كل يوم وبيان مرتبات

العلماء الجاري صرفها من المالية وقانون انتخاب من يطلب تعيينهُ في وظيفة القضاء او الافتاء وقانون امتحان من يُريد التدريس بالأَزهر والجاري في شأن تعيين الائمة والخطباء في المساجد وقانون الامتحان للاعفاء من القرعة العسكرية وعدد ارباب كساوي التشريف ودرجاتهم وبيان مصروفات المدارس والمكاتب والنقود المتحصلة من التلامذة وعدد التلامذة الحالي ومضاهاتهِ بما قبلهُ وبيان إجمالي التعليم بالقاهرة وجداول مقارنات احصائية بالمدارس والمكاتب والمتعلمين والمعلمين وعدد الأَهلين ثم جدول بخصوص الارساليات المصرية باوروبا ثم جداول بيان المدراس الحرة التابعة لجمعيات خيرية أَو دينية وجدول أَعداد تلامذة هذه المدارس الحرة بحسَب جنسية التلامذة ودياناتهم وجدول بيان المدارس الموجودة في الجوامع الى غير ذلك

﴿ ختام المؤتمر ﴾

لم تتم الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الأَربعاء ١١ سپتمبر سنة ٨٩ حتى تكامل ورود الأَعضاء والمأمورين بملابسهم الرسمية الى القاعة الكبرى بالمدرسة الجامعة وبتمام الساعة المذكورة انعقدت الحفلة تحت رياسة ناظر المعارف العمومية وكان الزحام بداخل المحل وخارجهِ لم يسبق لهُ مثال

فتكلم الراهب الهندي بلغة البراهمة "سانسكريت" مودعاً أَهل هذه البلاد شاكرًا إِفضالهم وإِفضال أَعضاء المؤتمر الكرام وتكلم بعدهُ سعادة بروكش باشا مع الإِيجاز في موضوع تاريخي مصري وتكلم الاستاذ ليتنر في الحث على تعلُّم اللغات المشرقية وأَنها الواسطة في زيادة معرفة ما انطبع عليهِ اهل الشرق من محاسن العادات

وأحاسن الصفات وتكلم غير هؤلاء موجزين بما يناسب المقام ثم خطب الرئيس خطبة مطولة ضمنها شكر أعضاء المؤتمر على تشريفهم هذه البلاد وسعيهم اليها من جميع الأنحاء مختتماً خطبتهُ باعلان ختام أعمال المؤتمر الثامن للمستشرقين

فقابل الاعضاء شكرهُ بالتصفيق مقابلة للجميل بالجميل وأردفوا ذلك بالدعاء لمليك النرويج والسويد وانصرف الجميع وانصرفنا والساعة ثلاثة ونصف بعد الظهر ثم اخذنا بعد استبدال الملابس الرسميّة العادية نتفرج بالبلد الى الساعة الخامسة بعد الظهر فتوجهنا الى الوليمة الّتي أعدتها البلدية لأعضاء المؤتمر في سراي المحافل الماسونيّة

وليمة مدينة كرستيانيا

ابتُدِئت هذه الوليمة والساعة خمسة بعد الظهر من يوم الأربعاء ١١ سبتمبر سنة ٨٩ بقاعة الاحتفالات الكبيرة من سراي المحافل الماسونيّة وقد زينت هذه القاعة بأصناف الزهور والرياحين والأشجار وحلِّيت بالتصاوير والرسومات وأعلام الدول المختلفة تخفُق فيها يتخلل ذلك مصابيح الغاز والكهرباء وتواردت اليها أعضاء المؤتمر وعظماء المملكة وامراؤها بالملابس الرسميّة والجميع يقابلهم رئيس المدينة واعضاء مجلسها البلدي بغاية الترحيب والإجلال وقد صفّت الموائد على الطراز الأوروبي وجلس كلٌّ مكانهُ الذي أعد لهُ ودارت عليهم الخدم بالمآكل والأشربة المختلفة الأصناف والألوان والموسيقى تصدح بالنغمات المناسبة للمقام وفي اثناء ذلك صدحت بالسلام الخديوي بعد سلام جلالة السلطان المُعظَّم وسموّ شاه العجم

ومما يستغرب في هذه الوليمة لحم الدُّب وقد هُيِّئَ للأَعضاء من باب الإِكرام وزيادة الاحتفاء ولم يسبق لهُ عندنا مثال بل ربما لم يسبق لهُ ذلك عند غيرنا من الأَعضاء من غير هذه البلاد وقد كنت رأيت بقائمة المآكل انهُ يقدم سابع أَصناف الطعام ومعهُ فراريج صغيرة وصنف من المربَّيَات الحُلوة وسلطة نرويجيَّة فلمَّا حضر مالت نفسي اليهِ وتهيأْت للأَكل منهُ لاسيما أَني رأَيت جلد دُبٍّ أَبيض منبسطاً على أَحد جدران قاعة الطعام ضمن ما زُينت بهِ ففهمت أَنَّ ما سيقدم سابع الأَصناف هو من لحم الدُّب الأَبيض الذي هذا الجلد لنوعهِ وزال ما عندي من الاشمئزاز الذي كان في نفسي من صنف الدُّب الذي رأَيتهُ بمصر البشع للمنظر المغبر اللون فتناولت منهُ قطعاً فوجدتها لذيذة الطعم أَشبهَ بلحم الحمام او الطير السُّمَانَى يضرب الى الحمرة متقن الشيِّ تميل النفوس اليهِ وترغب في الاستكثار منهُ

وكان أكلي منهُ لاعتقادي أَنهُ حلال اذ لم أَسمع في القرآن ذكر تحريمهِ فإِن آية سورةِ الأَنعام وهي قولهُ تعالى "قل لا اجد فيما أُوحيَ اليَّ محرَّماً على طاعم يطعَمهُ الَّا أَن يكونَ ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير فإِنَّهُ رِجْسٌ أَو فسقاً أُهِلَّ لغير الله بهِ" لم يصرح فيها بتحريم لحم الدُّب

اما سيدي الوالد فأَخبرني أَنهُ لم يأْكل منهُ وذلك أَنهُ كان بجانبهِ على المائدة جناب المسيو بُورْجِر يونْك القاضي النرويجي بمحكمة الإِسكندريَّة المختلطة وكان في بلادهِ بالإِجازة السنويَّة أَجلسهُ بجوارهِ ارباب الوليمة من باب الرعاية والإِكرام فأَخذ كلما حضر طعام يجتهد في تفهيمهِ إِياهُ فلما حضر هذا الصنف أَراد أَن يفهمهُ بهِ فذكر لهُ اسمهُ بالفرنساويَّة فلم يقم بخاطرهِ ما أَراد فأَشار الى الجلد

المنبسط على الجدار وأشار الى الطعام ففهم المقصود منهُ فامتنع من تناولهِ

هذا والحكم في أكل لحم الدُّب في مذهب الإمام مالك الإباحة أو الكراهة وفي شرح الخرشي على متن خليل أن المشهور في أكل لحم الدب الكراهة وقد حكى القولين المذكورين عن مذهب الإمام مالك الإمامُ الشعراني في الميزان الكبرى لهُ لكنهُ قدَّم في النقل عنهُ القول بالإباحة وذلك أنهُ قال اولاً ما معناهُ أن مذهب مالك اباحة أكل كل ذي ناب يعدُو بهِ من الحيوانات المفترسة وقال ثانياً ما معناهُ ايضاً أن مذهبهُ كراهة ذلك وقال إنَّ الائمة الثلاثة الباقين من الأربعة يقولون بتحريم ذي ناب يعدُو بهِ من الحيوانات المفترسة والدب ذو ناب يعدو بهِ من الحيوانات المفترسة وقد استدل الإمام مالك على عدم تحريم الحيوانات المفترسة ذوات الأنياب التي تعدو بها بالآية المتقدمة اعني قولهُ تعالى "قل لا اجد فيما أُوحيَ اليَّ" الآية

هذا واستمرت المؤانسة والمحادثة حتى قربت الساعة الثامنة من الليل فانصرفنا الى الفندق لاستبدال الملابس التشريفيَّة بملابس السَّفَر والاستعداد لهُ فسلَّمنا الأمتعة الى مستخدمي السكة الحديديَّة وقد أتوا الى الفندق لاستلامها وأعطَوْنا بوليصة بها لنتسلَّمها بمحطة مدينة جُوتِنبُورْج ثم ركبنا عربة الى المحطة والسكة مزدحمة بالأهلين للتوديع والمحطة مزدانة بالأنوار والأزهار ملأَى بالناس يَقدُمهم السادة والأمراء والوابور الثاني مستعد أما الأول فقد سار والساعة عشرة و١٦ دقيقة فسرنا في هذا الثاني بعد الأول بعشرين دقيقة ومقتضى البروجرام أنهُ يصل في صباح اليوم التالي الى شلاَّلات تْرُولْهِيتّن فيتفرج الأعضاء عليها وعلى ما استحدث هناك من التُّرعة والهويسات ويتعاطون الطعام

بجوار الشلال الكبير ثم يسيرون بعد ذلك والساعة اثنتان ونصف بعد الظهر بالوابور فيصلون جُوتِنبُورْج والساعة ٤ و٤٠ دقيقة بعد الظهر ويحضرون بعد التفرج على المدينة وليمة الوداع التي يصير إعدادها لم آخر احتفال في الساعة الثامنة بعد الظهر من ذلك اليوم وفي صبيحة اليوم التالي يسير كلٌّ الى حيث شاء

من كرستيانيا الى ترْوُلْ هِيتّنْ

اخذنا منذ سرنا نتحدث بما رأيناهُ في عاصمة النرويج من الإعزاز والإكرام وانجر الحديث الى ذكر جدِّ هؤلاء القوم واجتهادهم في تحصيل ما تحسن بهِ أحوالهم وتعظم بهِ ثروتهم مستشهدين على ذلك بما عاينّاهُ من كثرة إرسال التجار الإعلانات الينا بالفندق بما يوجد عندهم من الاشياء مثل اخوانهم تجار السويد مع كون الاعلانات المرسلة مزخرفةً برسم المدينة مزينةً بالنقوش الجميلة ممّا يدعو المرسلة اليهِ الى النظر اليها والتأمل فيها فاذا أعجبهُ الرسم أو النقش تشوّق الى الاطلاع على باقي الاعلان فيجد فيهِ الاشياء مفصلة على وجه حسن فيرغب التفرّج عليها وذلك هو مقصود التاجر فانهُ متى ذهب الى الدكان وتفرج على الاشياء التي بها وحُسْنِ ترتيبها وانضم الى ذلك تحسين التاجر لهُ فيها وبيان منافعها لم يجد بُدًّا من ان يشتري منها فقد نال التاجر بغيتهُ منهُ من حيث لا يدري

ثم انتقلنا من ذلك الى المقارنة بين همة هؤلاء ونشاطهم فيما يوجب ثروتهم وبين خمول أهل بلادنا وعدم اتخاذهم الطرق التي تروّج حال متاجرهم وتعرف الناس بها فترغبهم فيها وتجذبهم اليها ولو بإعلانها في الجرائد وكتابتها على الشوارع

وقد تذكرتُ عند ذلك ما رأيتهُ بالصدفة عند بعض الاحباب من المنسوجات اللطيفة المصنوعة بجهة بني سويف من بلادنا الّتي تصلح للفرش والستائر فأخبرتهم بذلك واني تمنيت ان لو علمتها قبل روءيتي لها فكنت آخذ منها فرشاً وستائر بدل ما أخذتهُ من مصنوعات البلاد الأجنبية

ولا شك ان مصنوعات بلادنا وحاصلاتها ما دامت مجهولةً ولم تعلم بها الناس يتطرق اليها الكساد وتفتُرُ هم صانعيها واصحابها وربما تركوا الاشتغال بها فتضيع وتُحرم منها البلاد بالمرة

ويا حبذا لو اتخذ الأهلون من أصحاب الصنائع والحاصلات في المدن المهمة من مدن القطر محلات يخصصونها بعرض نموذجات من حاصلاتهم ومصنوعاتهم مبيناً بها أثمانها فيعرفها الناس ويطلبها من اصحابها من يريدها

واستمر حديث الأسف والتمني الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ولما استيقظنا تمتعنا بالمناظر اللطيفة من أودية وغابات وانهار وبحيرات حتى وصلنا والساعة ٨ و٣٤ دقيقة قبل الظهر من يوم الخميس ١٢ سپتمبر سنة ٨٩ الى محطة ترول هِيتّن فوجدنا العربات الكثيرة في انتظارنا فركبناها وسارت بنا نحو ربع ساعة حتى اوصلتنا الى مدينة ترول هيتن المذكورة

﴿ ترُولْ هِيتّنْ وشلالاتها ﴾

مدينة ترول هيتّن هذه واقعة بالجهة الجنوبيّة الغربيّة من بحيرة وِينِيرْن حيث تصب في نهر جُوتِلف الموصل الى مدينة جُوتِنْبُورْج

وتلك مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة ولكن شهرتها إنما

هي بالنسبة للشلالات المنسوبة الى اسمها المتدفقة بسرعة عظيمة من بحيرة وينيرن المذكورة في نهر جُوتِلف المتقدم يسكنها الصناع والعمال المشتغلون بمعامل الخشب والورق والحديد التي تديرها قوة انصباب هذه الشلالات

وقُدِّرَتْ هذه القوة بقوة مائتين وخمسة وعشرين ألف حصان وارتفاع هذه الشلالات بأجمعها عن سطح النهر يبلغ ٣٣ مترًا متوزعة على انحدار مسافتهُ ١٥٠٠ متر

وتندفق هذه الشلالات في بعض الجهات بغزارة وقوة فتفوق بذلك جميع جهات أوروبا ولهذا تقصدها السياح من كل مكان

ونظرًا الى التمكن من السير ونقل الحاصلات بطريق بحيرة وينيرن ونهر جُوتِلف المذكورين من استكهلم او غيرها في داخل البلاد الى جوتنبُورْج ومن هذه الى داخل البلاد او الى الخارج اتجهت أنظار العلماء من قديم الزمان الى إعمال ما يمكن معهُ عبور السفن من البحيرة الى النهر ومنهُ اليها وكان المانع من ذلك العبور هو شلالات ترول هيتّن المذكورة لعظم ارتفاعها وقوة انصباب الماء منها فأشار أحد هؤلاء العلماء منذ مائة وخمسين سنة بإعمال ثلاثة أهوِسةٍ (إيكلوز) بجوار الشلالات فحفرت في الصخر واستعملت زمانًا ولما زادت حركة التجارة واتسع أمرها صارت هذه الأهوِسة غير كافية فأخذوا منذ سنة ١٧٥٥ في حفر ترعة "كنال" موازية لنهر جُوتِلف المذكور وجعلوا في آخرها ثمانية أهوسة وانتهى العمل في ذلك سنة ١٨٠٠ واستغنى بهذه الترعة وأهوسنها عن الأهوسة الثلاثة المتقدم ذكرها ثم مع مرور الأيام زاد اتساع أمر التجارة واحتيج الى عبور السفن الكبيرة فعملوا لأجل ذلك سنة ١٨٤١ أحد عشر هويسًا

سُمِّيت " بالأَهوسة الجديدة " مع استعمال الأَهوسة الثمانية في عبور السفن الصغيرة ايضاً

ويمر من هذه الترعة في السنة الواحدة من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ آلاف سفينة يتحصل عليها من العوائد نحو ٢٥ مليون كورون

وكيفيَّة المرور في النزول أَن السفن تأتي من جهة البحيرة مارة في الترعة بدون صعوبة لأَن المياه فيها على استواء مياه البحيرة حتى تدخل في أَول الأَهوسة من بابهِ الذي بجهة البحيرة ثم يُغلق هذا الباب ويُفتح جزء من الباب الموصل الى الهويس الثاني فيأْخذ الماء في الانصراف من الهويس الأَول الى الثاني ويستمر الى ان يتعادل فيهما وحينئذٍ يفتح الباب الثاني تماماً فتدخل السفينة مع الراحة في الهويس الثاني وهكذا يفعل عند ارادة دخول السفينة في كل هويس الى ان تصل الى نهر جُوتِاِلف وتكون فادت الشلالات

وأَما حال السفن في الصعود فإِن السفينة تدخل في أَول هويس من جهة النهر من الباب الذي يليهِ بكل سهولة لاستواء الماء فيها ثم يغلق هذا الباب ويُفتح جزء من الباب المقابل لهُ ليدخل الماء من الهويس الثاني الى هذا الهويس ويستمر حتى يستوي فيهما فيفتح هذا الباب المقابل للأَول تماماً وتدخل السفينة في الهويس الثاني مع الراحة وهكذا يفعل في كل هويس الى ان تصل السفينة الى الترعة ومنها الى مدينة ترول هيتن وتكون فادت الشلالات

ومَثَلُ السفن في هذه الأَهوسة نزولاً وصعوداً مثل النازل والصاعد في سُلَّم درجاتهُ هذه الأَهوسة والحياض

وبعد ان ذكرنا هذه الإِجماليات على المدينة وشلالاتها والترعة وما بها من

الحياض أذكر تفصيلات ما تفرجنا عليهِ في هذه الجهات

وذلك أنا بعد وصولنا الى المحطة ثم منها الى المدينة سرت مع سيدي الوالد وحضرة الفاضل مدحت افندي نتبع الناس في مسيرهم من الشمال الى الجنوب ثم الى جهة اليمين فاستمر بنا السير حتى قربنا من شلال "جُولُوهْ" وهو اول الشلالات وارتفاع مصب الماء فيهِ سبعة أمتار وهناك جزيرتان في وسط النهر بينهما كوبري يخيل للواقف عليهِ من سرعة جريان الماء وشدة انصبابهِ وإرغائهِ وإزبادهِ وارتفاع دَوِيِّ خريرهِ ان الكوبري يرتج فيخشى ان يقتلع هو والجزيرتان الموضوع طرفاهُ على طرفيهما ويذهب الجميع في الماء لكن لطف المنظر وبهجتهُ يُنسيانهِ تلك المخاوف

وبعد وقوفنا على هذا الكوبري هنيهةً متعنا فيها الطرف بتلك المناظر بارحناهُ قليلاً الى معمل ورق يُصنع من الخشب يُدير آلاتهِ تيَّار الماء يعمل فيهِ كثير من الصناع فيقدم الواحد منهم قطعة الخشب الى آلة فتقطعها قطعاً متساوية كل قطعة منها نحو ربع متر وتجرِّدها عن قشورها ثم تأخذها آلة اخرى فتحوّلها الى عجين أبيض اللون يخالطهُ ماء ثم تَبْسُطهُ على آلة ثالثة هي عبارة عن شريط عريض من القماش ترتج وتهتز فتكسب ذلك العجين شكلاً رقيقاً ثم يمر العجين المذكور بآلات تجففهُ وتذهب رطوبتهُ فيصير ورقاً ثخيناً او رقيقاً اسمر أو أبيض حسب ما يراد كل ذلك في أقرب وقت فالانسان اذا مشى مع الآلات من أولها حيث توضع الخشبة المأخوذة من الغابات الى آخر هذهِ الآلات وجد الخشبة المذكورة صارت ورقاً يستعملهُ حالاً فيما يُريد من الكتابة وقد عاينَّا ذلك وأخذنا منهُ قطعة ورق للتذكار

وبعد التفرج على المعمل عدنا الى أصل الطريق فصرنا نمر على معامل لنشر الأخشاب ومصانع لصنع الأوراق حتى وصلنا المصب المعروف بشلال "تُوبِيَّهْ" بجوار جزيرة صغيرة مضافة الى هذا الاسم يوصّل بينها وبين البر الذي نمر بهِ كوبري ممتد على الشلال أحرَجُ من الأول وأرقى منهُ فلا يسع الا شخصاً واحداً يمر عليهِ حال كونهِ مهتزّاً بهِ كأنهُ يرجف خوفاً من هول انصباب الماء بقوة تحتهُ على ارتفاع ثلاثة عشر متراً حتى ان الأرض ترتجّ من ذلك وتهتزّ فاذا نظر الانسان الى مصبين آخرين يتدفّق الماء منهما أحدهما بين الجزيرة المذكورة وجزيرة صغيرة مقابلة لها والآخر بين هذه والبر الغربي زاد عجبهُ واستغرابهُ وكثر تعظيمهُ للباري سبحانهُ خالق هذه الكائنات وموجد هذه الآيات البينات

ثم عدنا الى الطريق الذي كنا سلكناهُ ومررنا الى للامام فتفرجنا على كهف طبيعي في جزيرة هناك ابدعت فيهِ يد القدرة غاية الابداع وبالقرب منهُ احد الأهوسة الثلاثة القديمة التي عُملت في اوائل القرن الثامن عشر واستغني عنها كما مرّ

وبعد هذا وصلنا الى الشلال الثالث المعروف بشلال "سْتَامِسْتُرومْ" وارتفاعهُ متران ونصف وعندهُ اتسع النهر فكان كبركة متسعة

وما زلنا سائرين نتفرّج على ما نمر بهِ من المعامل والمصانع ويقابلنا من فيها بغاية الترحيب والتكريم ويجتهدون في تفهيمنا مصنوعاتهم بالإشارة الحسيّة حتى وصلنا الى معمل عظيم تصنع فيهِ وابورات السكة الحديديّة فدعانا اصحابهُ الى الدخول فيهِ والتفرّج فدخلناهُ واستقبلنا مهندسهُ وصار يفرجنا عليهِ وعلى ما فيهِ من الآلات الكبيرة الهائلة والصغيرة الدقيقة ويُطلعنا على المطارق المعدّة للضغط

على قطع من الحديد وزنها طونولاطات وعلى المقاطع المعدة لقَطع حديدٍ سَمكهُ اكثر من سَمك اليد في طرفة عين وما ذلك الاَّ لإِحكام الآلات وقوة البخار وهذا المعمل على ما اخبرناهذا المهندس يعمل فيهِ أيام كثرة الطلب أربعةُ مائةِ عامل بالأقل وفي غيرها مائتا شخص بالأقل وذلك لانهُ تُعمل فيهِ الوابورات اللازمة لمملكتي السويد والنرويج فضلاً عما تطلبهُ حكومتا الدنيمرك والمانيا من ذلك حتى انهُ لكثرة الطلب في فصل الشتاء يضطر العمال نظرًا الى ظلمة النهار في الفصل المذكور الى ان يستضيئوا بأنوار الكهرباء فيوقدون منها في هذا المعمل خمسمائة لامبة يصير بها الوقت اضوأ من ايام فصل الصيف وقد طلب منا المهندس الذي يصحبنا ان يكتب اسماءَنا في دفترهناك كما انهُ أعطانا ورقة باسمهِ هي امامي وقت كتابتي هذه الاحرف تذكرني لطفهُ ومؤَانستهُ مكتوبًا عليها "هرمان نيد كيڤيست" واني بهذه المثابة اخصهُ بوافر الشكر والثناء

ثم مشينا الهوينا بعد التفرج على المعمل المذكور في غابة من غابات أشجار الصنوبر وقد احكمتها يد القدرة كل الإِحكام وعند مفارقتها رأينا على بعدٍ محلاً مرتفعاً فوق اكمةٍ يعلوهُ شبه منارة فقصدنا هذا المحل واذا هو بناءٌ عظيم تباع فيهِ المرطبات وأصناف الاشربة والأطعمة وكثير من الفطوغرافيات المختصة بمواقع هذه الشلاَّلات وغيرها من الرسومات فشربنا بعض المرطبات ثم صعدنا الى أعلى البناء فرأينا مناظر بهجة في غاية الجمال منها شلال ماء يتدفق من ارتفاع ثمانية امتار هذا فضلاً عما ينكشف للرائي من النهر والكنال وما جاورهما من المتنزهات فأحببنا ان نطَّلع على ما هو أرقى من ذلك فصعدنا الى أعلى المنارة وهي ربما يبلغ ارتفاعها نحو خمسين مترًا وهنالك انكشف لنا من المناظر الحسنة

والمرائي البهجة ما لم نكن نتصور وجوده في هذا المكان ولا يقوم بوصفهِ حد البيان فنظرنا جليًّا وتمتعنا مليًّا وما أنزلنا من هذه المنارة الأ طلب تعاطي الطعام وقرب وقت السفر

فعدنا راجعين الى ان صادفنا عربة فركبناها ومرت بنا بمحاذاة الكنال ووُزِّعت علينا اثناء ذلك أوراق رسومات بالفطوغرافية اشتملت على أحسن مناظر النهر والشلالات وقد طبع بظاهرها بعض ايضاحات بالفرنساوية متعلقة بأطوال هذا الكنال وعروضهِ واتساعاتهِ واتجاهاتهِ وغير ذلك من أحوالهِ واستمر بنا السير بعد ذلك حتى وصلنا الى حيث أعد مديرو شركة هذا الكنال موائد الطعام

فأكلنا على الطراز الوطني "زمورغوزه" باشتهاء لم يسبق له مثال أوجبهُ كثرة المشي وتأخر الوقت واعتدال الجو وحسن منظر الشلالات البهج وطيب الهواء ثم استرحنا قليلاً حتى أتى وقت السفر فركبنا وابور السكة الحديدية بعد ان أوصلتنا الى المحطة العربات وسار والساعة ٢ و٣٠ دقيقة بعد الظهر قاصداً جُوِتمبُورْج والنفس تتمنى في كل موضع من مواضع الشلالات والكنال والأهوسة أن لو وجد أمثال هذه الحياض بجهة شلالات اصوان من بلادنا فإنها تكون سبباً في سهولة الملاحة وازدياد التجارة ونمو الثروة واتساع العمارة وتسهيل المواصلات الى غير ذلك من المنافع والخيرات ولكن راجعتني النفس بان هذه الفكرة سابقة وقتها فان وقتها هو وقت رجوع السودان الى مصر فاتجه التمني في الحال الى طلب هذا الرجوع وانحصر فيهِ الأمل والرجاء

السفر الى جوتمبورج ووليمة الوداع فيها

بعد مسيرنا من ترول هيتّن باكثر من ساعتين وصلنا جوتمبورج والساعة ٤ و٤٠ دقيقة بعد الظهر وكان سيرنا بين غابات لطيفة وأودية ظريفة فوجدنا في انتظارنا على المحطة وميدانها خلقاً لا يحصى عددهم يعلن الجميع بالترحيب والتأهيل فركبنا عربة وسرنا حتى وصلنا الى الفندق المسمى "جرّاند اوتيل هاجلوند" والطريق غاصة بالناس يشيرون الينا بالسلام والاكرام وهذا الفندق من أحسن الفنادق واكبرها وقد حجزت لنا غرف فيه منذ أيام وهذا كفانا مؤنة البحث عن غرف في الفنادق كما فعل غيرنا ممن لم تحجز له غرف قبل مجيئه

وهذا الفندق هو الذي أعدت فيه مدينة جوتمبورج الساعة السابعة في هذا المساء وليمة قامت بها وداعاً لأعضاء المؤتمر تحت رياسة حضرة الكونت صونوالسكي رئيس المدينة ومحافظ اقليم جوتمبورج

وما لبثنا ان خرجنا من الفندق نتفرج بأنحاء المدينة قبل أوان الوليمة ودخول الليل لأننا على عزم مبارحتها صبيحة الغد

واذا هي مدينة منتظمة الطرق متسعة الشوارع جيدة المباني فأوصلنا سائق العربة الى ميدان جوستاف أدولف الشهير وهو في النقطة الوسطى بها بين محطات السكك الحديدية والميناء وبوسطه تمثال جوستاف أدولف مؤسس هذه المدينة وأول بانٍ لها وبجهة الشمال منه بناء مشيد للبورصة له أعمدة متقنة الصنع تامة الإحكام وبجهة الغرب من هذا الميدان سراي بلدية المدينة وخلفها كنيسة سانت كريستين الشهيرة في هذا البلد وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الميدان

يتلاقى كنالان عظيمان احدهما "سْتُورَاهَامْنْ كَنَال" والآخر "أُوسْتَرَاهَامْنْ كنال"

فسرنا على شواطئها البالغة حد الاتساع وغاية النظام مع كثرة ما فيها من الحركة وفي الكنالين السفن الكبيرة المشحونة بين صادرة وواردة مما يجعل هذه البلدة تشابه مدن هولانده وقد اشتهر أنها من قبيلها ولا غرابة في ذلك فان العاملين في تأسيسها كانوا من الهولانديين تحت رعاية الملك جوستاف أدولف المتقدم ذكرهُ في سنة ١٦٢١

ثم تفرجنا على غير هذه المواضع وسرنا بجهة الميناء ورأينا ما بها من الحركة والنشاط والهمة والاجتهاد وسرّنا امتلاء أرصفتها المتسعة بأصناف العالم يشتغلون بالتجارة وما يلزمها من نقل البضائع والحاصلات ثم اجتزنا الطريق الشهير بالشارع الجديد "نُوَا أَلِين" وسرنا فيهِ نحو ربع ساعة مبتهجين باتساعهِ ولطف أماكنهِ وكثرة البساتين التي بجوانبهِ تزدان بها قصور الأغنياء وسرايات الأشراف والامراء وكبار التجار مثل سراي "أُوسكار ديكسُون" التاجر الشهير بإحساناتهِ وعطاياهُ ومساعداتهِ للعلماء خصوصاً على اكتشافاتهم جهات القطب الشمالي ثم سرنا بغير هذا الشارع فمررنا على كنيسة "هَاجَا" العظيمة التشييد وقد قام باكثر بنائها أحد مشاهير التجار واستمر بنا التفرج في السير حتى قرب وقت حضور الوليمة فعدنا الى الفندق وقد تاكد عندنا ما وصفهُ كتاب الدليل من عِظَم هذه المدينة واتساع دائرة التجارة فيها مما جعلها بالنسبة للمتجر تعادل كرستيانيا واستكهلم بل تفوقها ودلتنا العمارات العظيمة المشيدة بها للمدارس والمكاتب والكتبخانات والتياترات والمتاحف ومستشفيات المرضى وامكنة ايواء المعوزين والفقراء على كثرة ما يصرفهُ أهلوها من الأموال في سبيل تحسين مدينتهم وإتقان

نظامها مما صيرها تعلو على المدن التي يسكنها أضعاف من يسكن هذه وهم لا يزيدون على ٩١٠٠٠ نسمة الآن كما دلنا كتاب الدليل ايضاً على انتشار المعامل والمصانع بضواحي المدينة مشتغلة بعمل الأقمشة والماكينات والسكر والجعة والسفن البحرية بخارية وشراعية الى غير ذلك

وبعد أن عدنا الى الفندق استبدلنا الملابس العادية بالملابس الرسمية فإنها وان لم تكن مذكورة بأوراق الدعوة لكن أشار علينا بلبسها بعض الأصحاب ونعم ما أشار بهِ فاننا وجدنا المندوبين الرسميين لدى المؤتمر بملابسهم الرسمية ومثلهم امراء المدينة فأجلسونا الى مائدة مخصوصة على الطراز الأوربي مع المندوبين الرسميين وبعض أعاظم الأعضاء أمَّا الباقون فاكلوا على مائدة مرصوصة على طراز البلاد "زمورغوزة" وقد رأينا من هؤلاء الأعاظم ومن نسائهم في اثناء الأكل وقبله ونحن مجتمعون في رحبة الفندق (وسقفها مغطى بالزجاج وهي مفروشة بأجمل الفرش) كل الاكرام وان كان من يتكلم منهم اومنهنَّ بلغة الفرنساويين او غيرها مما نعلمهُ من اللغات قليلين فكانت المخاطبات التعارفية قاصرة في الاكثر على تبادل ورقة الاسم من المتعارفين مصحوبة بانحناءات الرأس والأيدي وغيرهما من الأعضاء وقد خص هؤلاء الأعاظم المصريين باكثرَ مما خصوا بهِ غيرهم من الوافدين زيادة في الإكرام والاعتناء حتى رسموا بقائمة بيان الأطعمة صورة ابي الهول والاهرام

واستمرت المحادثة والمؤانسة بعد الأكل الى قرب نصف الليل فودّعنا من عرفناهُ من الأعضاء وغيرهم وعلامات الكآبة مشتركة بين الطرفين لما رأى كل منهما في الآخر من جواذب المودة وعوامل الائتلاف ولا يدري كلٌ منَّا هل يرى

صاحبهُ بعد هذا الأوان في أي زمان وأي مكان وكان بعض الخطباء من أعضاء المؤتمر أبدى هذه التأثرات الوداعيّة اثناء الطعام وشكر بهذه المناسبة ما رآه عموم الأعضاء وخصوصهم من الأمتين السويديّة والنرويجيّة من مزيد الرعاية والعناية والاعزاز والاكرام

وبانتهاء هذه الوليمة انتهت المأموريّة فانصرفنا الى غرفنا واخذت قبل النوم في الاستعداد للسفر في اليوم التالي وحرّر سيدي الوالد في هذا الوقت كتاباً أرسلهُ الى صاحب الدولة الأمير الخطير رياض باشا رئيس وزراء الخديويّة المصريّة وقت ذاك يحيطهُ علماً بسير المأموريّة اجمالاً وبانتهائها وقد نشرت الوقائع المصريّة هذا الكتاب قبل عودتنا من السفر في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٩ وهذا نصهُ كما أخذتهُ من نسخة الوقائع المذكورة :

كتاب سيدي الوالد الى صاحب الدولة الامير الخطير رياض باشا

" دولتلو افندم حضرتلري

" أُقدم من تحايا التبجيل والتكريم ما يليق بذلك المقام الكريم داعياً بدوام ظلال الإقبال وجمال الأحوال وكمال الآمال أُعطِّر الأرجاء بأريج الثناء واستقبل قبلة الإجابة بخير الدعاء وقبل هذا حررت لسيدي الباشا عليّ الهمم مبارك الطلعة المحترم وذكرت بعض الجهات التي وردناها في طريق الوجهة التي قصدناها وكتبت ايضاً لبعض الأجلاء من السادة الأخلاء ولبثت انتظر ان

يجيبني احد بسطر أو بعض سطر ولو بقدر قلامة ظفر فما جاءني عن الدار ولا غيرها خبر حتى حررت بالتلغراف لبعض الأصدقاء فلم يظهر قبل وصولنا الى السويد أثر اللهمّ الاّ إني كتبت من باريس يوم العيد بالتلغراف للمعيّة السنيّة قياماً بواجب العبوديّة من التعييد والتبريك لجناب وليّ النعم الخديو الأعظم السعيد ابقاهُ الله ممتعاً بانجالهِ وجميع آلهِ بعمر مديد وحظ مزيد مهنأً بالأعياد والمواسم وثغور المسرة لهُ كمحياه السعيد بواسم يشيع الماضي مبروراً ويستقبل الآتي مسروراً ويكسوها من نورهِ نوراً فجاءني الجواب في بياض اليوم لم يتأخر مبشراً بالقبول والممنونيّة وذلك لدينا عيداكبر وحظ أوفر وسجدنا كلنا لله داعين ومؤمنين ومسرين ومعلنين ولم يزل دأبنا في كل موضع حللناهُ وموقع نزلناهُ نؤدي وظيفة الدعاء حَسَنِ الأداء وننشر ألوية مدائحهِ الجليلة عاطرة النشر ونخلّد في المسامع والمجامع طيب الذكر ونعدد ما نعلم من المآثر الغراء والمفاخر الحسناء تربو على الاحصاء ونستتبعها بذكر محاسن أُمراء رجالهِ الأُمناء الموازرين لهُ في اعمالهِ الناسجين على منوالهِ في محاسن خلالهِ وأقمنا في باريس نحو عشرين يوماً نراجع ما كتبناهُ بمصر من المواضيع الّتي حررناها للعرض على المؤتمر السويدي ونعيد عليها النظر وفي خلال ذلك نتردد على معرض باريس العام وغيرهِ من المواضع الشهيرة فشاهدنا من الصنائع والبضائع وأنواع البدائع والنظام والإتقان والإحكام ما يحتاج في إيضاحهِ من البيان وتقريبهِ للافهام الى مجلدات ضخام واستخدام أعوام وسنذكر في الرحلة ان شاء الله ممّا رأيناهُ في هذه العاصمة وغيرها ما يبلغهُ الجهد ويساعد عليهِ الحال وفي اثناء تلك المدة اردنا معاينة المدارس الموجودة هنا فصادفنا الوقت وقت عطلة فكانت كلها مقفلة معطلة فلم أحصل على الغرض من ذلك الاّ إني لم

آل جهدًا في تحصيل قدر كافٍ من پروجراماتها وقوانينها وترتيباتها عن أنواع متنوعة من ابتدائيةٍ وثانويةٍ وخصوصيةٍ بعضها بالشراء وبعضها بالاستهداء واحضرت جملة جداول وبيانات عن بعض ادوات التعليم واثمانها ومحلات بيعها وشاهدنا جملةً من المدارس المذكورة مختلفة الأنواع الاّ إنها خاليةٌ من الدروس والمدرسين والتلامذة ليس بها الاّ البواب وبعض الخدم فرأينا محلات التدريس وبعض ادوات التعليم وكان من جملة ما رأيناهُ مدرسة زراعيةٌ سافرنا اليها من پاريس بسكة الحديد ورجعنا في يومنا وكانت مغلقةً أيضاً ولم نجد مدرسة من التي رأيناها جارياً فيها العمل الاّ مدرسة خاصة بالأطفال الصغار من سن سنتين ونصف وثلاث سنين يقيمون بها الي سن ستة ويتولى أمرهم فيها معلمات قد صرنَ لهنَّ كالأمهات المشفقات يتحببنَ اليهم ويتحببون اليهنَّ ويراعينَ تعليمهم بطرق سهلة في غاية البساطة واللطافة والملائمة لحال الطفل لا يظنها الاّ من اللعب والمحادثة وقد احضرنا ترتيباً عنها مفصلاً وأعجبتني الطريقة المتبعة بها جدًّا ثم سرنا من پاريس الى لوندره وأقمنا بها أياماً ومنها الى محل المأمورية معرجين على روتردام ثم لَيْدِن ثم امستردام ثم كولونيا ثم هامبورج ثم كوپنهاج ثم مالمو وهي أول ثغور مملكة السويد وفي اثناء مسيرنا منها الى العاصمة صادفنا من معتبري البلاد من عرف من هيئة ملابسنا المشرقيةٌ من الطربوش والعمامة أننا من اعضاء المؤتمر الذين طوَّحت بهم الي بلادهم مرامي السفر فصاروا يتعرَّفون الينا ويتقرَّبون منا ويلاطفوننا غاية الملاطفة ويجملون لنا المقابلة والمعاملة الي ان وصلنا الى استكهلم ونزلنا الأوتيل وهناك اجتمعنا بالكونت لاندبرج فحضر وسلَّم علينا ومضينا معهُ الى مكتب المؤتمر محل أشغالهِ فأطلعنا على المحل المعد لانعقاد المؤتمر في جلساتهِ العامة

والخاصة ومواضعنا فيهِ وهي في جزء مرتفع عن باقيهِ بدرج وبهِ كرسي للملك وخلف ظهرهِ العائلة الملوكيَّة وعن يسارهِ موقف من يخطب وكراسي لجلوس الوفد المصري وعن يمينهِ بعض وزرائهِ وسفير العجم في الأَستانة العليَّة محسن خان والوفد العثماني وبقيَّة وفد العجم وبين يديهِ الكتب المهداة اليهِ وفي باقي المحل أَسفلَ من هذه الدرجة مواضعُ باقي الناس أَعضاء المؤتمر والمحل يسع فوق خمسمائة نفس وفي أَعلاهُ محل مرتفع مشرف عليهِ لجلوس النساء بهِ يسع نحو مائة وخمسين وأَعطي الكونت لكل واحد منا علامة العضويَّة في المؤتمر وهي شبه وردة من قماش لمَّاع ملوَّن بالأَلوان الموجودة في علَمَيِ السويد والنرويج مثبتة في شبه زر يجعل في عُروة السترة لبس الملك واحدة منها

"وقد حضر في اثناء وجودنا هناك فرآنا وعرَّفهُ بنا الكونت فسلَّم علينا بيدهِ واحداً واحداً وقابلنا بغاية البشاشة ولما سلَّم عليَّ أَظهر محبتهُ للجناب الخديو المعظَّم وشكرهُ على ارسال الوفد وسرورهُ بحضوري ولمَّا سلَّم على امين بيك قال لهُ أَنت ترجماني لوالدك وفي ثاني يوم وهو يوم الأَحد طلبنا الى سرايتهِ بعربات حضرت الينا لمقابلتهِ المقابلة الرسميَّة ولم تكن المقابلة الأَمسيَّة رسميَّة فتوجهنا بالكساوي التشريفيَّة والنياشين كما اشير علينا فلما دخلنا عليهِ وجدناهُ بالكسوة التشريفيَّة والنشانات ايضاً فأَعلن المسرَّة والممنونيَّة والثناء على الجناب الخديوي الفخيم وسلَّمت اليهِ المحرر الكريم الخديوي واجبت قائلاً :

"مولاي أُقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والإِجلال والثناء الفائق من لدن مولاي خديو مصر المُعظَّم مؤيِّداً ذلك بتقديم محرر سموّهِ المنطوي على خالص المودة المتضمن تعييني وتعيين رفاقي الماثلين بين يدي عظمتكم للحضور

في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكيّة لانعقادهِ في هذه المملكة العامرة لما يترتب عليهِ من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمهِ واتحادهِ باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيهِ ولم يكن ذلك ليتأتى الاَّ بتوجُّه همة الملوك اليهِ فلك يا مولاي الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل واختم قولي بتقديم واجب تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكيّة لاسيما في هذا الموقف النبيل لا زال موقع اجلال ومنتهى كمال" وكان ذلك يوم الأحد اول سبتمبر سنة ١٨٨٩

"وبعد ذلك انصرفنا وفي ثاني يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر وحضر الملك في الميعاد المقرر وحضر الناس وأخذ كلٌّ موضعهُ فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة ألقاها وأجاد فيها وفي حسن أدائها قال في ضمنها " إن السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد وليست الآن الاَّ للعلم " ومضى فيها حتى أتمها واقفاً والناس بين يديهِ وقوف ثم جلس وخطب بعدهُ المسيو كريمر وافد النمسا ثم سفير العجم فخطب خطبة باللغة الفارسيّة ثم وافد السلطنة العليّة العثمانيّة احمد مدحت افندي فتلا مقالة باللغة التركيّة ثم أُشير اليَّ فقمت وأَنشدت قصيدة كنت أَعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس فأَتممتها في الطريق وبيَّضتُها في استكهلم فابتدأْت أقول:

اليومَ أَسفر للعلوم نهارُ وبدت لشمس سمائها أنوارُ

ومضيت فيها الى آخرها وصفَّق الناس لكل من خطب وبالجملة لي لمَّا أَتممت الانشاد وخاطبني أُناس منهم باستحسانها في اليوم وحضر كاتب المؤتمر على أَثر الفراغ منها وسارَّني بطلب نسختها فأَخذها في الحفلة وخطب بعد ذلك اناس منهم المسيو شِفِر وافد فرنسا وكانت هذه الحفلة خاصةً بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علميّة ثم قام الملك وودَّع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا وقال حسناً وانصرف

وانصرفنا وانفضّت الحفلة وارفضّت الجمعيّة وبعد ذلك انقسم المؤتمر الى فصول متعددة فكنّا في الفصل الأَول المعدّ لِلّغة العربيّة وصارت الفصول تجتمع كل يوم وتقدم فيها الموضوعات المعدة للعرض عليها بعد ان يُقدَّم بيانها لكتّاب اللجنة اجمالاً ويكون في كل يوم بعد الظهر فسحة ووليمة ونزهة كل مرة في جهة وبكيفيّة غير التي قبلها واستمر الحال على ذلك الى ان انقضى المؤتمر وفي اثناء انعقاد جلسات فصولهِ المذكورة قُدِّمَ مني ومن جميع رفاقي ما أَردنا تقديمهُ مما أَعددناهُ لذلك وقُوبل ما عرض من كل واحد منا بالاستحسان والاعتبار وقد أَبقى كل واحد منا عندهُ نسخة مما عرضهُ بعد تقديم نسختهِ وأُعطي من معهُ نشانٌ من بلادهِ نشاناً من طرف الملك وأُعْطِيتُ نشاناً من النوع المسمى "وازا" من الدرجة الأُولى فشكرت للملك ودعوت لمولاي ولي النعم الخديو الاكرم

"وقبل قيامنا من استكهلم أَولَم الملك وليمة خاصة في سرايتهِ دعا اليها خواص أَعضاء المؤتمر الى مائدتهِ الخاصة وكنت من جملتهم وقبل الدخول الى محل المائدة أَعلم كل واحد بموضعهِ منها وموضع من بجانبيهِ فكان عن يمين الملك سفير العجم في دار السعادة وعن يمين السفير المشار اليهِ البارون دوكريمر الوافد من طرف النمسا وكنت عن يمين البارون دوكريمر وعن يميني الكونت دولاندبرج

"وفي اثناء الطعام شرب الملك على اسم الجناب الخديوي خاصة بعد الالتفات الى ناحيتي فقمت مؤدّياً رسوم التعظيم والشكر

وكان كلما صادفني في موضع من المواضيع يكلفني بإبلاغ سلامهِ وشكرهِ للحضرة الفخيمة الخديويّة وكرر القول بمحبتهِ للجناب الكريم وقال إنهُ اخي وعزفت الموسيقى بسلام الحضرة الخديويّة مراراً كان آخرها في آخر مدة المؤتمر بناحية خرستيانيا من

مملكة النورويج فكنا نقوم في اثناء السلام مؤدين شعائر التعظيم والاحترام وانتهى المؤتمر والمأمورية بحمد الله على خير وكل واحد ممن معنا في غاية الاستقامة والكمال وانتظام الأحوال والمحافظة على شعائر ديانته وحكومته وهيئاته وملابس بلاده واقامة صلاته داعين للخديو الأعظم ناشرين لمدائحه وقد أخذنا في الرجوع الى الوطن العزيز ووصلنا الى ناحية "جوتمبرج" ومنها نتوجه اليوم ان شاء الله الى "كوبنهاج" الى "برلين" الى "ويانة" الى "تريستا" الى "برنديزي" الى "اسكندرية" ناذرين بعض الصدقة والصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام اذا حظينا بتقبيل يد جناب خديونا المعظم ولي الإنعام ولقاء ساداتنا واخواننا واحبابنا الكرام ﻫ

في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩ عبدالله فكري

السفر من جوتمبورج الى كوبنهاج

بارحنا اليوم يوم الجمعة ١٣ سبتمبر سنة ٨٩ مدينة جوتمبورج والساعة عشرة و١٥ دقيقة صباحاً والطرق في غاية الازدحام وليس في المحطة ولا ما جاورها ما يسع قدماً والرصيف ممتلئ بالمعتبرين من الأهالي والجميع أتوا لوداع الأعضاء وما فارق الوابور المحطة حتى علت الأصوات وارتفعت المناديل والقبعات إشارة الى الوداع فسرنا بين خضرة ونضرة ومناظر تأخذ بالالباب متجهين من الغرب الى الشرق ثم منهُ الى الجنوب الغربي بحسب اتجاهات السكة الحديدية حتى وصلنا مدينة "هلمستاد" بعد اربع ساعات وربع من مسيرنا فوقفنا بها نحو الساعة اكلنا فيها على الطراز الوطني ما لذّ وطاب

ثم سرنا منها متجهين صوب الجنوب بموازاة البحر حتى وصلنا الى " هِلْسَنْبُورْج "
بعد مسيرنا من "هلمِستَاذ" مسافة تقل عن ثلاثة ساعات وهِلْسَنْبُورْج هذه مدينة
عظمية سكانها ١٥٢٠٠ نسمة قائمة على البحر تجاه الدانيمارك يفصلها بوغاز سُونْد
عن مدينة " هِلْسَنْجو " من مدن الدانيمارك على الشمال الشرقي من جزيرة
" سِيلاَنْد "

ووجدنا بهِلْسَنْبُورْج عربات مخصوصة تنتظرنا فنقلت من في القطار من
المحطة الى الميناء في بعض دقائق والأهالي منتشرة في المحطة وفي الميناء تبدي
اشارات السلام والوداع فركبنا وابورات البحر وسرنا في البوغاز المذكور مسافة
عشرين دقيقة في وقت لم يكن ألطف منهُ اذ السماء مصحية والرياح هادئة حتى
وصلنا الى مدينة " هِلْسَنْجُورْ " الزاهرة ذات التجارة الوافره

فركبنا منها وابور البر وسرنا والساعة ٧ و ٤٥ دقيقة مساء قاصدين كوپنهاج
مارين على قصر " فرِيدِنْسبُورْج " دون ان نراهُ لظلام الليل ولكن أفهمنا بجهتهِ
من كان معنا من اهل البلاد وافادنا انهُ محل اقامة ملك الدانيمارك في فصل
الصيف وان بهِ وقت مرورنا امبراطور الروسيا والبرنس ده جال وملك اليونان
مع نسائهم بنات ملك الدانيمارك وان الجميع اعتادوا الاجتماع كل سنة نحو شهر
بهذا القصر في هذا الأوان في ضيافة ملك الدانيمارك

ثم استمرَّ بنا السير حتى وصلنا كوپنهاج والساعة ١٠ من الليل فنزلنا
بفندق " ملك الدانيمارك " الذي كنا نزلنا بهِ عند قدومنا الى السويد ونزل معنا
فيهِ حضرة المسيو شِيفِرْ والبارون ده كرِيرِزْ والأستاذ الفاضل مدحت افندي
وغيرهم من الاعضاء

وبقينا بكوبنهاج اليوم التالي للاستراحة ثم خرجنا ليلاً نتفرج بانحاء المدينة ومعنا صاحبنا المسترليون صاحب الطريقة المجانية التي ذكرناها فدخلنا المكان المسمى "تبڤولي"

وهو بستان عظيم في غاية الانتظام بهِ كثير من محلات القهاوي والجعة والاكل والتياترات وضروب اللعب فمشينا بأنحائهِ حتى وصلنا الى أُلعُوبةٍ مسماة "مونتاني رُوسْ" اي الجبال الروسيَّة وهي عبارة عن عربة تسع ستة اشخاص وتسير على قضيبين من الحديد من مرتفع الى منخفض ومنهُ الى مرتفع ثم ترجع الى المنخفض ومنهُ الى المرتفع وتستمر هكذا مدفوعة في النزول وفي الصعود بمحرّكات ميكانيكيَّة يساعدها على السرعة عِظَمُ الانحدار وهي مع ذلك في الاثناء تدور على نفسها دَوْراتٍ متعددة الى اتجاهات مختلفة فلما رأيناها ولم نكن نعرف حالها قال لنا صاحبنا المذكور هل تريدون اختبار هذه الالعوبة وكنت رأيت امرأةً وزوجها جالسين بالعربة فاستسهلت أَمرها لذلك ونزلت معهما ونزل معنا رابع فحرَّك الموكَّلُ بها آلةً فنزلت تهوي بنا الى المنخفض مع اعوجاجات وحركات في غاية السرعة ونهاية الشدة تمثل سير العربات التي لا عجل لها بجبال الروس المثلجة ومن ثم كان لها الاسم المتقدم فصرت استغيث ولا مغيثَ واستعين ولا معينَ واصرخ ولا سامعَ وانادي ولا مجيبَ ممسكاً بحواجز العربة القليلة الارتفاع بغاية ما بقي عندي من رمق الحياة وعشم النجاة حتى انقطع الأَمل وخاب الرجاء وايقنت بالهلاك وتخيَّلت ان هذا الزمن القليل مقدار سنين طوال ولكن اسعفنا الله بالفرج وفرغت الأُلعوبة بعد ان بلغت الرُّوح الحلقوم ووقفت العربة فنزلت منها كالسكران لا أَعي ولا اسمع ولا أُبصر

ولا اتمالك نفسي من شدة ما اصابني فاستندت الى جدار حتى افقت بعض الشيء ثم ساعدني من معي في المشي حتى وصلت الى أقرب قهوة فمكثت بها زمناً طويلاً الى ان استرحت ورجعت لي نفسي وزال بُؤْسي كل هذا وصاحبنا المستر لِيُون يعتذر ويتأسف ويندم ولكن لات حين مندم ولسان حالي يقول قبَّح الله ألعوبتك التي بها أشرت فاقبل اللوم عليها وألحِقْها يا صاحبي بطريقتك في المجاء فانهما سواء

من كوپنهاج الى ستّتِين

لما كان صباح يوم الاحد ١٥ سپتمبر سنة ٨٩ ودَّعنا من بقي معنا بهذا البلد من اصحابنا في المؤتمر ومنهم حضرة صاحبنا الفاضل مدحت افندي ثم خرجنا للفسحة في ضواحي المدينة ومنتزهاتها الى قرب الساعة الثالثة بعد الظهر وكنا أوصينا بأمتعتنا ان تحضر الينا على الرصيف المعدّ لسفر الوابورات فاتيناه قبل الوقت المحدد للسفر بقليل ووجدنا الأمتعة حاضرة فانزلت الوابور ونزلناه وسرنا من كوپنهاج في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر قاصدين ستتين ومنها الى برلين

وكان صاحبنا المسيو بيلجر احد اعضاء المؤتمر وهو من موظفي قنصلاتو المانيا بسلانيك قد وعدنا قبل انفضاض المؤتمر ان ينتظرنا في برلين ليفرجنا عليها تفضلاً منهُ وقياماً بحق الصحبة وواجب المحبة

وهذا الوابور الذي نزلنا بهِ يبلغ حجمهُ نحو ضعفي وابوراتنا النيلية فان مسافة السفر فيهِ طويلة بالنسبة الى غيرها اذ هي نحو ست عشرة ساعة وهو سريع السير منتظم المحالّ تام الزخرفة والزينة مستوفي اللوازم فسار بنا في بحر البلطيق والهواء

معتدل والسماء مصحية فكنا نتمشى بسطحهِ تارةً ونلعب الشطرنج مرة حتى آن وقت العشاء فاكلنا على اشتهاء تام مآكل لذيذة تامة النضج متعددة الألوان ثم خرجنا للفسحة وبعد ذلك أخذنا نقرأ كتب الأدلة لنستفيد منها معرفة الأماكن التي سنمر عليها حتى آن وقت النوم فنمنا بأحسن الأسرَّة على اكمل راحة وكنا أوصينا الخادم ان يوقظنا عند طلوع الفجر لنرى مدخل سِتِّين ومصب نهر "أودِرْ" القائمة عليهِ المدينة فقد دلنا كتاب الدليل ومن تعرفنا بهِ أثناء السير على أن ما بين مدخل مدينة ستتين من جهة البحر وبين المدينة المذكورة من البحيرة العذبة والنهر المستمدة منهُ المشرفة عليهِ هذه المدينة هو من أحسن ما يتفرج عليهِ

وعند ايقاظ الخادم لنا صعدنا الى سطح الوابور واذا نحن في مدخل البحيرة من جهة البحر يكتنف هذا المدخل جزيرتان احداها من جهة اليمين تسمى "أوزيدُوم" والاخرى من جهة اليسار تسمى "ڤُولِّين" بينهما فرجةٌ تدخل منها السفن وعليها استحكامات متينة لحماية هذا المدخل وهناك فنار لدلالة السفن فأعجبتنا هذه البحيرة العذبة على اتساعها ونضارة شواطئها واخضرارها واستمر بنا المسير فيها ساعتين ثم دخلنا النهر وهو وإن كان أقلَّ من البحيرة اتساعاً لكنهُ يسع السفن الكبيرة الكثيرة فأخذنا نمتع النظر بالبساتين اللطيفة والأشجار الظريفة المغروسة بجانبيهِ والمواني المعتبرة والقرى المشيدة المقامة عليهِ وكلما استمر السير زاد المنظر حسناً ورونقاً وبهاء حتى وصلنا في ساعتين أُخريين الى مدينة ستتين والساعة سبعة وثلث من صباح يوم الاثنين ١٦ سبتمبر سنة ٨٩

وسِتِّين هذه عاصمة إقليم پوميرانيا من أعمال المانيا وكانت مملوكةً للسويد

من سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٧٢٠ وهي قائمة على نهر "أودِرْ" المذكور وميناها مهم في التجارة بالنسبة لسائر بلاد ألمانيا الوسطى فتدخل اليها السفن الكبيرة من سائر انحاء العالم جالبة اليها أصنافاً كثيرة من الحاصلات منها زيت الغاز والأنبذة الفرنساويّة والشحوم والأسماك المسماة "هاران" ولها سفن خاصة بها يزيد عددها على ١٩٠ سفينة تأخذ منها مع غيرها من السفن الّتي تأتي من الخارج الحبوب والمشروبات الروحيّة فتوصلها الى غيرها من البلاد هذا فضلاً عما بهذه البلد من المعامل والمصانع الشهيرة لعمل السفن والماكينات وغيرها وسكانها تبلغ نحو المائة ألف نسمة

فأرسلنا امتعتنا الى محطة السكة الحديديّة وهي تبعد عن الميناء ثم ركبنا عربة جلنا بها في بعض الشوارع المهمة من هذا البلد حتى جاء وقت قيام الوابور فركبناه ولم تبلغ مسافة مكثنا بها غير ساعة واحدة اذ كان قيامنا منها والساعة ثمانية وثلث من صباح اليوم المذكور

السفر من ستّتين الى برلين

سار بنا الوابور في أماكن خصبة وأرض نضرة وجبال وأنهار وأودية وأشجار واستمرّ سيره مع مسافة وقوف المحطات ثلاث ساعات قطعنا فيها ١٣٤ كيلو متر فوصلنا برلين والساعة ١١ و ٢٠ دقيقة قبل الظهر

﴿ ست ساعات في برلين ﴾

بوصولنا الى المحطة وجدنا في انتظارنا بها صاحبنا المسيو بيلجز فركبنا عربة وجلنا في أهم شوارع هذه المدينة ثم تغدينا في احدى محلات الاكل بالشارع المسمى "أونترْدِين لِينْدِنْ" وبعد الغداء ركبنا السكة الحديدية الخاصة بهذه العاصمة فتفرجنا بواسطتها وبعربات معتادة ركبناها ايضاً على بعض جهات المدينة حتى قرب وقت قيام الوابور وها أنا أذكر ما شاهدتهُ في هذه المدينة العظيمة مع بعض ايضاحات متعلقة بها أخذتها من كتاب الدليل:

برلين هي عاصمة مملكة البروسيا ومقر إمپراطور المانيا يبلغ عدد سكانها مليوناً ونصفاً فلذلك كانت ثالثة مدن أوربا أهمية

وهي قائمة على نهر "سْپرِيه" تتصل بواسطتهِ وبواسطة السكك الحديدية التي تتفرع منها الى جميع الجهات وهذا مما جعلها أول مدن المانيا وهي من أهم مدن العالم في الصناعة والتجارة ففيها المصانع والمعامل العظيمة لعمل الماكينات وضروب المنسوجات من القطن والصوف والحرير فضلاً عن معامل الجعة والصباغة والملبوسات المجهزة والحُلي وادوات الزخرفة بسائر أصنافها وعن تجارة الحيوانات والحبوب والمشروبات الروحية وغيرها وعن أعمال البنوكة والصرافة مع ما يتبعها من عمليات النقود والأوراق التي هي في غاية الرواج والاتساع

ومسطح المدينة اليوم (سنة ١٨٨٩) ٦٣١٠ هيكتارات وهي كل يوم في اتساع وبعد ان كانت قاصرة على جزيرة صغيرة بنهر سپريه التي عليها القصر الملوكي الآن أخذت تمتد ذات اليمين وذات اليسار وجهة الشمال وجهة الجنوب حتى بلغت هذا المبلغ من انتظام الطرق واتساع الشوارع وإتقان العمارات مع

ارتفاعها وزُخرفها وزينتها ولا شك أنها تزداد في الاستقبال عمارة واتساعاً وتحسيناً وتشييداً ما دامت هم أهليها متجهةً الى هذا القصد منصرفة الى هذا السبيل

وبها من طرق المواصلات في البر والنهر من السكك الحديديّة والعربات العادية وعربات الترامواي والسفن النهريّة ما يُعين على تقدمها في ما ذكر

وأهم أجزائها واكملها وابهجها وأجملها "أُونتِرْدِينْ لِينْدِنْ" اي شارع اشجار الزيزفون المتقدم ذكرهُ ويمتد فيها من الغرب الى الشرق مبدأهُ الميدان التالي لباب بْرَانْدبُورْج ومنتهاهُ الى القصر الملوكي

وهو من احسن شوارع أُوربا غُرِس بكل من جانبيهِ صفان من اشجار الزيزفون والبلُّوط كما بُني بكل منهما القصور الفاخرة والدور العامرة والمساكن المشيَّدة المتجاورة تحتها الدكاكين المنتظمة المزينة المزخرفة وتفرعت من كل جهاتهِ شوارع على مد البصر تخترق المدينة من الشمال الى الجنوب مع اتساع هذا الشارع وطولهِ بحيث يبلغ عرضهُ ستين متراً وطولهُ الفاً وخمسمائة متر

وباب بِرَانْدبُورْج قائم في اول شارع الزيزفون من جهة الغرب بينهُ وبين منتزه "تِيرْجَارْتِنْ" الواقع غربي هذا الباب

وهذا الباب بناء مرتفع ذو خمسة فتحات تفصلها عن بعضها عمد شامخة بني من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٧٩٣ على طراز أَبنية أثينا القديمة ارتفاعهُ ٢١ متراً وعرضهُ ٦٢ متراً ونصف متر وفتحتهُ الوسطى مخصوصة بسير العربات الملوكيّة فيبلغ اتساعها خمسة امتار وستين سنتيمتر بخلاف باقي الفتحات فإنها لعموم الناس ولا يزيد اتساعها عن ثلاثة امتار وثمانية سنتيمترات وبأعلاهُ رسوم مجسَّمة

ناتئة في الحجر تمثّل النصر والظفر

وبين هذا الباب وشارع الزيزفون ميدان مربع يسمى "پارِيزِ پْلاَتْس" ومعناه ميدان پاريس بجوانبهِ قصور كثير من العظماء وبإِحدى جهاتهِ دار السفارة الفرنساويّة

ومن الأبنية القائمة بجانبي شارع الزيزفون يمنة ويسرةً سراي "الكونت رِيدِرْن" وهي تشتمل على مجموعة رسومات حديثة وقديمة وعلى كثير من الصور المجسمة ومنها سراي ديوان الداخليّة ومنها المحل المسمى "أَكْوَارْيُوم" وهو بناءٌ مشيد صنع فيهِ كثير من المغارات الصناعيّة ومحلات الطيور وحياض المياه جُلبت اليها الاسماك الّتي تعيش في الماء الحلو فوضعت في ماء عذب والّتي تعيش في البحار فوُضعت في ماء ملح كل منها يصل اليهِ البخار بواسطة أنابيب فيجعل حرارة الماء فيهِ بالدرجة المعتادة لهذه الحيوانات في مواقعها الطبيعيّة وكذلك جُلبت الطيور بسائر انواعها واصنافها الى محلاتها فيهِ كما أُحضر اليهِ كثير من الحيوانات البريّة وحشية وغير وحشيّة ومنها بعد هذا البناء "قيصر جالِيري" اي السوق الامپراطوري وهو بناءٌ مرتفع صار تشييدهُ من سنة ۱۸۲۹ الى سنة ۱۸۷۳ في داخلهِ كثير من الدكاكين والقهاوي ومحلات الطعام الّتي اكلنا في احدها كما تقدم وبهذا السوق المحل المسمى "پَانُوپْتِيكُوم" وهو اشبه شيءٍ بمحل مادام تُوشُو الذي سبق ذكرهُ بلندره فيهِ صور كثير من مشاهير الأُمراء والعظماء مجسمة بالشمع خُصِّصت إِحدى قاعاتهِ بصور الملوك بملابسها الرسميّة فرأَينا فيها صورة الخليفة الأَعظم مولانا السلطان عبد الحميد خان ومعهُ فيها امبراطور الروسيا وملك هولانده وامبراطور النمسا وملك ايطاليا وامبراطور المانيا وملك ساكس

وملك باڤاريا والبابا ليون الثالث عشر وفي قاعة أخرى رأينا صورة البرنس بسمارك والمارشال دهمُولتك وفي أخرى موتمر برلين على حالة اجتماعه بها وفي أخرى امبراطور المانيا على حالته المنزلية تحيط بهِ امرأتهُ الامبراطورة واولادهُ وفي أخرى ملكة انجلتره وامبراطورة الهند والبرنس دهغال بجانبها وزوجة امبراطور المانيا المتوفى الى غير ذلك من مشاهير الرجال في الحرب والسياسة والخطابة والكتابة ومجالس النيابة وبهذا المحل سوى ما ذكر قاعات بها بعض الآثار المحققة منها الآلة "جيليُوتين" التي قُطعت بها عنق ملك فرنسا وعنق الملكة امرأتهِ مدة الاختلال الفرنساوي

وبمناسبة هذا المحل اذكر هنا محلاً آخر تفرجنا عليهِ بمعرفة صاحبنا بِلْجِر ولكن لست متحققاً الآن أنهُ تابع لهذا المحل أولا وإن كان يغلب على ظني أنهُ تابع لهُ وقد سمّاهُ لنا "جارْدَان دِيرُوز" وترجمتهُ بستان الضلال وهو عبارة عن محلٍ يُصعد اليهِ بسلّمٍ يوصل الصاعد الى قاعة متسعة جدًّا سقفها وجميع جدرانها مَرَايا بها كثير من الأَزقّة المعوجّة ذات الاوضاع المختلفة فيرى الانسان فيها نفسهُ في أيّ جهة منها مرات متعددة يبلغ عددها ثلثمائة مرة بحيث تجعلهُ هذه المناظر مندهشاً مما يراهُ حائرًا مما يشاهدهُ ضالاً طريقهُ الذي سلكهُ أولاً فيستحيل عليهِ الرجوع الى باب القاعة والخروج منها الاَّ إِذا دلَّهُ احد من القائمين بشؤونها وهذا الذي جعلها تسمى بستان الضلال

هذا وبآخر شارع الزيزفون المذكور تمثال "فريدريك الاكبر" مجسماً متقناً وبعدهُ "ميدان الأُوبرا" مبتدأً من مكان هذا التمثال على اتجاهِ الشارع المتقدم حتى كأنهما واحد وبكلٍّ من جانبيهِ الابنية المعتبرة والسرايات الفاخرة

"كسراي الامبراطور غليوم الاول" "والكتبخانة الملوكيّة" "والأوبرا" "وكنيسة سانت هيذويج" "والمدرسة الجامعة" "ومحل الحرس الملوكي" الى غير ذلك

اما سراي الامبراطور هذه فهي التي مات فيها غليوم الاول في ٩ مارث سنة ١٨٨٨ وقد بُنيت من سنة ١٨٣٤ الى ١٨٣٦

واما الكتبخانة الملوكيّة وقد بنيت من سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٨٠ فتشتمل على مليون مجلد منها خمسة عشر الفاً بخط اليد فيها كثير من بدائع الآثار وغرائب النوادر التاريخيّة

واما تياتر الأوبرا وقد صار بناؤه سنة ١٨٤٣ بدلاً من المحترق قبلهُ المبني سنة ١٧٤٢ فيسع ١٨٠٠ متفرج

واما المدرسة الجامعة فكانت قبلُ قصرًا للپرنس هنري اخي فريدريك الثاني بناه منذ مائة واربعين سنة ويدرّس الآن فيها لنحو خمسة آلاف من التلامذة

وبالقرب من الأوبرا "قصر الامبراطوره فريدريك" وتجاه هذا القصر "متحف الأسلحة" يحتوي على كثير من الأسلحة الناريّة والبيضاء قديمها وحديثها مرتبة على حسب التواريخ كما أنهُ يحتوي على الأعلام والمدافع التي أخذها الالمانيون من اعدائهم في حروبهم وانتصاراتهم وهو محل في غاية الاتساع ونهاية حسن الترتيب

ثم اذا اجتاز الانسان ميدان الأوبرا هذا وتخطّى النهر وصل الى ميدان "لُوستجارتِن" وهو ميدان فسيح تظلهُ الاشجار عرضهُ مائتا متر وطولهُ مائتان وخمسون في وسطهِ تمثال فريدريك غليوم الثالث مجسّماً وبجوانب هذا الميدان القصر الملوكي والكنيسة الكاتدرائيّة وهي أهم كنائس المدينة والمتحفُ القديم

اما القصر الملوكي فقد انشأهُ فريدريك الثاني ثم تجدد وصار توسيعهُ مرات عديدة في تواريخ مختلفة بعدهُ وهو ذو طبقات أَربعة طولهُ مائتا متر وعرضهُ ١١٧ وارتفاعهُ ٣٠ و يشتمل على أَماكن عديدة كلها في غاية الزخرفة ونهاية الزينة ولا غرو فإِنهُ كان مقر ملوك پروسيا والآن مقر امپراطرة المانيا

واما "المتحف القديم" فبناءٌ عظيم على الطراز اليوناني القديم بوجهتهِ ثمانية عشر عموداً يوصلهُ الى المتحف الجديد على بعد منهُ ممشي وهما يشتملان على كثير من الآثار القديمة المتعلقة بالقرون الوسطى وما بعدها وما قبلها وعلى رسومات كثيرةٍ من صنع أَساتذة هولانده وايطاليا وغيرهم من البلاد الأَجنبيَّة ومن صنع الاساتذة الأَلمانيين المتقدمين وعلى عددٍ وافرٍ من التصاوير المجسَّمة من صنع الأَلمانيين وغير الأَلمانيين ممَّا جعل هذا المتحف يباهي اكبر المتاحف في الاتساع وغزارة المواد وحسن الترتيب

وفي جهة الجنوب من شارع الزيزفون المتقدم ذكرهُ خلف ما هو مشرف عليهِ اعظم أَقسام المدينة اتقاناً ونظاماً واكثرها حركة واتجارا وهو قسم "فِريدِريخشتات" واهم شوارعهِ "فرِيدِريخشتِراسِهْ" و "وِيلْهِلْمشْتِراسه"

اما "فِريدريخشتراسه" اي شارع فريدريك فهو اطول شوارع المدينة الأَصليَّة فان طولهُ يبلغ ٣٣٠٠ متر

واما "ويلهلمشتراسه" اي شارع غليوم فمبداؤهُ من جهة ميدان باريس المتقدم متجهاً نحو الجنوب وانتهاؤهُ الى ميدان الاتحاد حيث انتهاءُ شارع فريدريخشتراسهِ السالف ذكرهُ ايضاً

ويحتوي القسم الشمالي من شارع غليوم هذا على ما لم يحتوِ عليهِ غيرهُ من

القصور المهمة والسرايات الفاخرة ففيهِ سراي سفارة انجلتره وبها السير ادوارد مالت السفير وقد كان قنصل انجلتره الجنرال بمصر ايام الحوادث العرابيَّة وفيهِ ديوان الخاصة الإمبراطوريَّة ثم ديوان رئيس الوزراء ثم ديوان الحقانيَّة ثم قسم من أقسام نظارة الخارجيَّة ثم سراي البرنس بسمارك وسراي البرنس دُه پليس الى غير ذلك من القصور والسرايات العظيمة

وبالقرب من هذه الجهة "ليپتسيخِشْتِراسهْ" اسي شارع ليپزيخ وطولهُ ١٥٠٠ متر وانتهاؤهُ الى ميدان بُوتْسدَامْ ويُضاءُ قسم كبير منهُ بالكهرباء وبهذا الشارع سراي إدارة عموم البوستة وقد بنيت من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٣ وتشتمل على متحف يتعلق بشؤُون البوستة وما استعمل في المراسلات قديماً وحديثاً عند أمم العالم مع رسومات مكاتب البوستة المستعملة الآن بألمانيا واصناف من آلات التلغراف والتليفون والفونوجراف

وبهذا الشارع ايضاً سراي ديوان الحربيَّة وسراي مجلس النواب "رَيخِسْتَاجْ" وبالقرب من هذه سراي مجلس الأعيان "هِرِّنْهَاوُسْ"

"وميدان بُوتسدام" الذي ينتهي اليهِ شارع ليپزيخ المذكور كان في السابق جزءًا من الضاحية المسماة بوتسدام من ضواحي براين وهي الآن قسم من أقسام المدينة يهواهُ الأغنياء وكبار موظفي المملكة فشادوا فيهِ القصور الشامخة والأبنية الباذخة

وعلى مسافة نحو عشرين دقيقة من هذا الميدان بستان النباتات المعدود من أحسن بساتين اوروبا في نوعهِ

اما "ميدان الاتحاد" الذي تقدم ان شارع فريدريك وشارع غليوم ينتهيان

اليهِ فهو الآن بستان في وسطهِ عمود معروف بعمود السِّلم "فْرِيدِنْسُويلْه" وضع اساسهُ في سنة ١٨٤٠ لما استمرت الدولة قبل تأسيسهِ ٢٥ سنة وهي في سلم وعدم حرب

هذا ومما يستحق الذكر في القسم الشمالي من برلين على ما بهذا القسم من كثرة الآثار "قصر مونبيجو" ويشتمل على متحف "هُونْتسُولِرْن" نسبة الى العائلة الملوكيَّة بالمانيا وهو يحتوي على الآثار التي تتعلق بهذه العائلة وبهذا المتحف قاعة تعرف بقاعة الامبراطور غليوم والامبراطورة أُوغُسْتَا وفيها عدة صحف شكر وثناء رفعها الأَلمانيون الى الامبراطور غليوم المشار اليهِ وفيها ايضاً الترابيزة التي أَمضى عليها ناپليون الثالث في سراي سان كلو إِعلان حرب سنة ١٨٧٠ وقاعات أُخر بها اشياء كثيرة من الآثار احداها فيها صور العلماء وأُخرى صور كبار أُمراء الجيوش وأُخرى صور أَعضاء العائلة الملوكيَّة وأُخرى نياشين ناپليون الأَول وكثير من أَمتعتهِ التي أُخذت منهُ في واقعة واتِرْلو الى غير ذلك من الاشياء في باقي القاعات

ومما يستحق الذكر ايضاً "الميدان الملوكي" ويتوصل اليهِ من طريق يسمى طريق السِّلم على مقربة من باب بْرانْدبُورج المتقدم وهذا الميدانِ من أَحسن اماكن برلين بهِ البساتين وفسا قي المياه وفي وسطهِ عمود يعرف "بعمود النصر" مقام من الحجر والبرونز ارتفاعهُ احد وستون متراً ونصف مرسوم عليهِ حرب الدانيمارك في جانبٍ وواقعة صادُوَا في جانب وواقعة سيدان في جانب ودخول الجيوش سنة ١٨٧١ في جانب وهو من الآثار البديعة

وعلى يمين هذا الميدان سراي جارٍ بناؤها برسم المجالس النيابيَّة يظهر انها ستكون من أَعظم سرايات برلين نظراً لزيادة الاهتمام بأَمرها وانفاق الأَموال

الطائلة في سبيل تشييدها وتحسينها

ومما لابد من ذكرهِ ولا سبيل الى تركهِ منتزه "تِيرْجَارْتِنْ" الواقع غربي باب براندبورج يحدهُ نهر "شْپِرِيهْ" من جهة الشمال وقسم "پُوتْسدَامْ" من جهة الجنوب وهو احسن منتزهات برلين واكثرها ترددًا من الناس اليهِ واقبالاً منهم عليهِ فإنَّهُ في غاية الاتساع طولهُ ١٨٥٠ مترًا وعرضهُ يختلف بحسب جهاتهِ بين ٧٥٠ و بين ١١٠٠ وانهُ لروضةٌ غناء وحديقة فيحاء أُبقي فيهِ كثير من الآثار الخلقيةِ في كثيرٍ من مواضعهِ فزادهُ ذلك جمالاً و بهاءً والطريق الذي يسلكهُ المتنزِهون فيهِ اكثر من غيرهِ لاتساعهِ وحسن مناظرهِ طريق يسمي طريق النصر يقسمهُ شطرين من الشمال الى الجنوب

ومما ينبغي ذكرهُ ايضاً السكة الحديديةُ المختصة بهذه العاصمة "شْتَاذْبَانْ" المجمولة لتسهيل المواصلات فيها وهي تخترق المدينة كلها مرتفعة عن أَرضها ستة أمتار أَو سبعة فتجتاز النهر بها مع اعوجاجاتهِ وتمر بخنادق الاستحكامات القديمة وقد صار ردمها من أَجلها و بباقي نواحي المدينة على جسور وقناطر شيدت وأُحكم بناؤها على حسب الارتفاع الذي ذكرناهُ حتى لا تضر المارَّةَ بأَرض المدينة ولا المساكن ولا ساكنيها بأَي حال وانتهى العمل فيها بشهر فبراير سنة ١٨٨٢ بعد أن بلغت مصاريفها ٧٥ مليون مارك ولا بدع في ذلك بعد العلم بارتفاعها المذكور مع ان طولها يبلغ أَحد عشر كيلو متر ونصفاً منها ثمانية تقريباً جسور وقناطر من البناء و ١٨٠٠ متر قناطر وجسور من الحديد و ١٧٠٠ متر صار ردمها بعد أَن كانت حفائر منحطة وجملة القناطر بها سبعة وستون منها اثنتان كبيرتان وخمس وستون قنطرة صغيرة وعدد محطاتها إِحدى عشرة منها أَربعة للمواصلات الخارجة

عن العاصمة و باقيها لمواصلات العاصمة وحدها

فركبنا من محطة صادفناها من محطات هذه السكة حتى وصلنا الى أقرب نقطة للمحطة التي سنسافر منها الى ويانه ثم ركبنا عربة الى المحطة المذكورة وبها ودّعنا صاحبنا بليجر اذ انهُ كان معنا من حين أتينا برلين الى هذا الوقت ثم ركبنا وابور السكة الحديد الى ويانه عاصمة النمسا

من برلين الى ويانه

قمنا من برلين والساعة خمسة ونصف بعد الظهر من يوم الإثنين ١٦ سبتمبر سنة ٨٩ واستمر بنا السير بين أودية وانهار وجبال وأشجار وأزهار ورياض وغياض ومدن سامية ومبانٍ عالية واصلين الليل بالنهار حتى وصلنا ويانه والساعة ٩ صباحاً من اليوم التالي يوم الثلاثاء ١٧ سبتمبر سنة ٨٩ بعد مسير خمس عشرة ساعة ونصف

وفي اثناء السير مررنا بمدينة "جرُوسِنهين" الشهيرة بعمل الجوخ وتبلغ سكانها ١١٥٠٠ نسمة ثم بمدينة "دريسدين" عاصمة مملكة ساكس من ممالك المانيا ومقر حكومتها من قرون مضت وسكانها يبلغ عددهم ٢٤٦٠٠٠ نسمة وهي قائمة على نهر إلْب يقسمها الى قسمين متساويين فوقفنا بمحطتها بعض دقائق واقبل بعدها الليل واستمر السير حتى وصلنا الى مدينة "تتشين" بعد مسيرنا من برلين بخمس ساعات وهي اول بلاد النمسا تنتهي الى جهتها حدود المانيا فصار تفتيش الأمتعة بمحطتها مع غاية الملاطفة واستمر بنا السير حتى وصلنا الى مدينة پراج عاصمة بوهميا القديمة وتبلغ سكانها مع ضواحيها ٢٥٥٠٠٠ نسمة لطيفة المناظر ناضرة الضواحي

عامرة الأطراف والنواحي منعنا عن التمتع بمناظرها اقبال الليل واسدال ثوب سواده الحالك

فاخذ الوابور بعدها في السير ونحن نيام حتى اصبح الصباح فمتّعنا الطرف بالمرائي البهجة والمشاهد التي تأخذ بالمهجة والمياه الغزيرة والمدن الفسيحة الكثيرة حتى وصلنا الى ويانه في الميعاد الذي ذكرناه

فتركنا أمتعتنا بالمحطة بعد ان طلبنا من مستخدميها نقلها الى المحطة الأُخرى التي يُسافر منها الى تريسته اذ عزمنا على السفر اليها هذه الليلة ثم ركبنا عربة وطفقنا نجول في انحاء مدينة ويانه مبتدئين بمحل بيت كوك لأَخذ بعض اوراق منهُ واستعلامات

﴿ عشر ساعات في ويانه ﴾

بعد ان قضينا ما أردناهُ من محل كوك توجهنا الى فندق "مِيتْرُوپُولْ" اذ أخبرنا وكيل المحل ان الجناب الفخيم صاحب المقام السامي ولي عهد الخديويّة المصريّة اذ ذاك وهو الآن خديوينا الافخم المتحلي باسمهِ الكريم هذا الكتاب ومعهُ صاحب السموّ اخوهُ الماجد حضرا من سياحتهما بأنحاء اوروپا مدة إِجازتهما المدرسيّة السنويّة ونزلا اليوم في الفندق المذكور يستعدان لدخول مدرسة "ترِزْيَانُومْ" الجامعة الشهيرة بويانه

فحظينا بشرف المثول بين يديهما ونوال سَنيِّ التفاتهما وكمال سَميِّ تعطفاتهما وكان بمعيتهما سعادة عبد الرحمن باشا رشدي سر تشريفاتي خديوي وقت ذاك وحضرة احمد شفيق بك من موظفي السكرتاريّة الخديويّة في ذلك الوقت

وعرضنا عليها عزمنا على مبارحة هذه المدينة في هذا المساء الى تريستة ومنها الى الاسكندرية واستأذناها وانصرفنا متشكرين داعين بعد ان شرّفانا بمأمورية عرض واجباتها على الحضرة الفخيمة الخديوية

وسرنا نجول في أنحاء ويانه ونتنزّج على شوارعها وميادينها فأعجبنا اتقانها وادهشنا تمام نظامها وانشرحنا بلطف زينتها وحسن أبنيتها وتشييدها وتزيينها وابتهجنا بما شاهدناهُ من الحركة في طرقها وانتشار التجارة في سائر أطرافها واستحسنّا اتساع شوارعها خصوصاً الشارع الكبير المسمى "رِنْغِشْتْرَاسِه" وهو يحيط بالمدينة القديمة جُعل محل خنادق الاستحكامات التي كانت تحيط بها قبلاً على شكل شبه دائرةٍ جزءٌ من محيطها بجهة الشمال رصيفٌ متسع على كنال الطونه يُعرف برصيف فرنسوا جوزيف تُشرف عليهِ الأبنية المشيدة والعمارات العديدة وعرض هذا الشارع ٥٧ مترًا وطولهُ ٣٨٠٠ متر

ولكل قسم من أقسام هذا الشارع اسم يميزهُ عن غيرهِ فابتدأنا في المرور بهِ من جهة الطونه الى الجنوب من قسمهِ المسمى "شُوتِنْرِنْغ" فوصلنا الى دار للفقراء بناها الامبراطور فرنسوا جوزيف على مصاريفهِ في موضع تياترو رنغ الذي احترق بتمامهِ في دسمبر سنة ١٨٨١ ثم الى "سراي البورصة" وقد بنيت من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٧ وهي بناءٌ مشيد لهُ دهليز عظيم يوصل الى قاعة الاعمال التجاريةِ الشهيرة بالاتساع والاتقان وقد جُعل في احد محلات هذه البورصة متحف تجاري جمعت اليهِ سائر الأصناف المجلوبة من الشرق بأطرافهِ حتى الصين واليابان وخصص محل آخر منها بالمطالعة واليهِ تُجلب جميع صحف المشرق الخبرية

ثم مررنا بهذا الشارع تاركين الطونه خلفنا فوصلنا الى قسمهِ المسمى

" فرانتسينسرنج " الذي يحفهُ من الجانبين عمارات شهيرة صار تشييدها فيهِ حديثاً جعلتهُ أعظم شوارع المدينة وابهجها

فعلى اليمين " سراي المدرسة الجامعة " تشغل محلاً رحباً جداً بها قاعات كثيرة للتدريس وقاعة كبيرة ارتفاعها ارتفاع طبقتي السراي معاً وبهذه السراي كتبخانة تحتوي على ٣٢٠٠٠٠ مجلد من أعظم الكتب وأثمنها وقاعة عمومية للمطالعة في غاية البهاء والزخرفة ويبلغ عدد طلبة هذه المدرسة ستة آلاف وبها من الأساتذة ٣٣٧ وقد اشتهر قسمها الطبي شهرة عظيمة في جميع أنحاء أوروبا ويتبع هذه المدرسة الجامعة الرصدخانة والمعمل الكيماوي وبستان النباتات والمتحف الباتولوجي ومدرسة الإلهيات ومحل التشريح

وبالقرب من المدرسة الجامعة هذه " سراي بلدية المدينة " أمامها ميدان مملوء بالنباتات اللطيفة والأزهار وهي سراي في غاية الرونق والانتظام بلغت مصاريف بنائها ١٥ مليوناً من الفلورينات مزينة بكثير من التماثيل والصور المجسمة يعلو بابها برجٌ عظيم ارتفاعهُ مائة متر وبها من الداخل سبع رحبات الكبيرةُ منها محاطة بعمد في غاية الإتقان وأجمل قاعات هذه السراي وأهمها قاعة رئيس المدينة وقاعة اجتماع المجلس البلدي وقاعة الاحتفالات الشاهقة الارتفاع حتى إنها تساوي فيهِ ارتفاعُ طبقتي السراي وبها تماثيل عشرةٍ من رؤساء بلدية ويانه السالفين وبهذه السراي كتبخانة ايضاً تحتوي على ما لم تحتوِ عليهِ غيرها من الكتب المختصة بويانه وبالتآليف التياترية

وبالطرف الآخر من الميدان المذكور تجاه المدرسة الجامعة " سراي المجالس النيابية " وهي من أعظم وأجمل مباني هذه المدينة وتنقسم الى قسمين قسم مجلس

الأَعيان وقسم مجلس النوّاب و بداخل هذه السراي وخارجها كثير من التماثيل والصور المجسَّمة والأَعمدة المتخذ كلٌّ منها من قطعة واحدة من الرخام الثمين وعلى الجدران في الداخل والخارج صور كثير من الحوادث التاريخيَّة والوقائع الوطنيَّة وبكلٍّ من القسمين قاعة مخصوصة بانعقاد الجلسات والقاعتان متشابهتان في الاتساع والرونق والزخرف والزينة

وبالقرب من سراي المجالس النيابيَّة سراي المحاكم ومن أَهم ما فيها القاعة الوسطى وتمثال العدالة القائم بوسطها

ثم في قسم آخر من هذا الشارع "سراي المتاحف" وهي عبارة عن بناءين عظيمين مشيدين يفصلهما بستان فسيح بديع خُصَّ كل بناء منهما بقسم من الآثار وفي وسط ذلك البستان تمثال أُقيم للامپراطورة ماريا تيريزه سنة ١٨٨٨ وهو من أَتقن وأَحسن وأَعظم التماثيل مُثِّلت فيهِ مجسَّمة من البرونز جالسة فوق قاعدة من الرخام بحيث يبلغ مجموع ارتفاع القاعدة والتمثال ١٩ مترًا ومثِّلت حواليها امراء جيوشها مجسمين راكبين خيولهم وعلماء الوقت ومشاهير الساسة فيهِ الجميع مجسَّمون بهيئاتهم وقت ذاك

وعلى هذا الشارع سراي "الأُوپرا الملوكيَّة" وقد بنيت من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٩ وملئت بالزخارف وأَحاسن النقوش وتسع من الداخل ٣٠٠٠ نسمة وكلها محلاَّة بالطلاء الذهبي

ولا زلنا سائرين بهذا الشارع بين اماكن مشيدة وعمارات عديدة اقامها الامراء واعضاء العائلات الملوكيَّة واغنياء التجار حتى وصلنا الى "ستاذپارك" اي منتزه المدينة وهو بديع في بابهِ يحتوي على ما وصلت اليهِ يد الانسان من

الزينة ونهاية الإتقان تهرع اليهِ الناس من كل مكان خصوصاً في ايام الصيف واشتداد الحر في المساء فيستنشقون نسيمهُ العطريّ وعَرف زهرهِ النديّ ويغتنمون منظر ماء نهرهِ البهيّ جالسين على كراسي هيئت لهم بشاطئهِ وهذا النهر يسمى "ويانه" ويقسم هذا المتنزه شطرين ويصب في كنال الطونه بقرب قنطرة "أشْپِرْنْ"

وعند ذلك مبدأُ رصيف فرنسوا جوزيف العديم المثيل بسبب الاتساع واللطف والزخرفة والمتانة وبما اقيم عليهِ من الأَبنية العظيمة وبوارف ظل اشجارهِ النظيمة فمررنا بهذا الرصيف الظريف الى شارع "رِنْجِشْتَرَاسِهْ" حيث ابتدأْنا وما انتهينا من هذا الشارع العظيم حتى آن وقت الاكل فاكلنا في احد محلات الطعام فرأيناهُ في غاية النظافة والاتقان مع حسن الخِدْمة ومزيد اعتناء الخَدَمة

وبعد الأَكل والاستراحة أَخذنا نتفرج على ما لم نمر عليهِ من الأَمكنة فمررنا بأَماكن عديدة وميادين متسعة وشوارع رَحبة وقصور شائقة

ومن ذلك كنيسة "ستِيِفَانْسِكيِرْخِهْ" الكاتدرائيّة وهي من أَفخر مباني هذه المدينة وآثارها الشهيرة طولها مائة متر وثمانية وعرضها نيف وثمانون مترًا وبها مائة تمثال مجسمة وثمانية عشر عمودًا قطر الواحد منها ثلاثة أَمتار تحمل قبابها الشاهقة وقد شرع في بنائها سنة ١٣٠٠ وتمت سنة ١٥١٠ وتجدد إصلاحها منذ عشرين سنة

وعلى مقربة منها دائرة صغيرة يحيط بها درابزين من الحديد بداخلها جذع شجرة قديمة مغطي كلهُ بالمسامير يقال إنهُ جذع آخر شجرة من أَشجار الغابة التي

كانت بهذا المكان قديماً سنة ١٥٧٥ وتعتقد العامة أنها شجرة مقدسة

ونذكر بمناسبة كنيسة ستيفانسكيرخه هذه برجها العظيم وهو برج يبلغ ارتفاعهُ ١٣٦ متراً يتمتع الناظر منهُ بابهج مناظر ويانه وأزهى محالها وأبهى ضواحيها على مسافات بعيدة

وبقرب ميدان هذه الكنيسة شارع "جرابن" وهو من أحسن طرق ويانه وانظمها بناء واكثرها حركة وأهمها صقعاً وارغبها في السكنى والاقامة

ويقرب من هذا الشارع كنيسة سان ميشيل يتردد عليها للتعبُّدِ في الاكثر النساء وبها كثير من الصور الظريفة والزخارف اللطيفة

ويلي الأماكن المذكورة "السراي الامبراطورية" (بورج) وهي مسكن امراء بيت النمسا الملوكي منذ القرن الثالث عشر للميلاد وتشتمل على عدة أمكنة بنيت في ازمان مختلفة منها مساكن الامبراطور والامبراطورة وخزينة الامتعة الامبراطورية والكتبخانة الامبراطورية وكنيسة خصوصيّة وبها عدة رحبات فسيحة أهمها الرحبة المعروفة "برحبة فرنسوا" بها تمثال الامبراطور فرنسوا الثاني محاط بصور أربعة مجسمة تمثل الدين والسِلم والعدل والبسالة وأمام هذه السراي من جهة شارع رنجشتراسه الذي ذكرناه آنفاً ميدان كبير جدًّا يفصل بينها وبين هذا الشارع وبالجانب الأيمن من هذا الميدان "تمثال البرنس اوجين" وبالأيسر منهُ "تمثال الأرشيدوك شارل" ممسكاً بيدهِ علَماً كأنما يشير بهِ الى جيشهِ في واقعة "اسلن" "واسپرن" ولهذا الميدان من جهة الشارع المذكور باب في غاية العظم وجمال الهيئة بني سنة ١٨٢٢ لهُ خمس فتحات وبهِ اثنا عشر عموداً ضخمة أما "الكتبخانة الامبراطورية" ففي غاية النظام والزخرفة تحتوي على

نيف وأربعمائة الف مجلد منها عشرون الفاً بخط اليد تشتمل على كثير من التحف وغرائب الآثار من ذلك مجموعة الكتب المشرقية الشهيرة التي جمعها البارون "هير بورجشتال" المتوفى سنة ١٨٥٦ فقد حوت كتباً ثمينة عديمة المثال ومن ذلك ما كتب على رقوق أرجوانية بحروف فضية وذهبية وما كتب على أوراق متخذة من القطن والكتان والتوت وشجر النخل ومن ذلك قطع عليها أشعار من أشعار قدماء الشعراء بخطوطهم وكذلك منشئات بخطوط أصحابها ايضاً من انشاء عظماء الكتّاب المتقدمين ومن ذلك مصحف بشتمل على القرآن الكريم بتمامه بخط واضح جميل في شكل مثمن الأضلاع ارتفاعهُ خمسة سنتمتر وعرضهُ كذلك الى غير ذلك

وأما "خزينة الامتعة الامبراطورية" فمملوءة ايضاً بالتحف النفيسة والآثار المنيفة فمن ذلك علبة من الأبنوس بداخلها مفاتيح توابيت الامبراطرة السابقين المدفونين بكنيسة الكابوسين بمدينة ويانه ومن ذلك ساعة من أوائل القرن السابع عشر مهمة من حيث التاريخ ومن ذلك كأس من البلور محلاة بالحجارة الكريمة بديعة الصناعة وكثير من الأواني الذهبية والفضية منها مملحة فاخرة جداً كانت صُنعت لفرنسوا الأول ملك فرنسا ومن ذلك مجوهرات وحلى كانت تلبسها نساء العائلة الامبراطورية وتاج الامبراطور وردولف الثاني وصولجانهُ ومن ذلك مجموعة ألماس لا يُقدَرُ قدر قيمتها ومنها قطعة واحدة زنتها ١٣٣ قيراطاً وثلث يقال انها سقطت من الملك شارل أثناء حرب فالتقطها فلاح وباعها بفلورينو واحد ومنها قلادة بها مائة وخمسون قطعة من الألماس وواسطتها قطعة زنتها ٤٢ قيراطاً ومن ذلك مجموعة نياشين فيها نشان واحد بهِ ٥٤٨ قطعة من الألماس

الى غير ذلك من مرصعات الزمرد والياقوت ومن التحف التاريخيّة والآثار الغريبة سيف يقال انهُ سيف هارون الرشيد

وعلى مقربة من الخزينة المذكورة "قاعة النقود القديمة والمصوغات العتيقة" وفي احد اقسامها طبق عظيم من الذهب عليهِ شجرة النسب الامبراطوريّة وفي غير هذا القسم كثير من النقود والأَسلحة القديمة والغرائب الجيولوجيّة والتاريخيّة وبدائع الحليّ وأَدوات الزينة وتماثيل معبودات اليونان القدماء وتماثيل امبراطرة الرومان والبطالسة ملوك مصر وغيرهم من مشاهير أُوروپا واسيا وافريقيه

ومن المباني العظيمة بويانه ايضاً "قصر الأَرشيدُوك أَلْبِرْتْ" وقد بني من نحو مائة سنة وفيهِ الكتبخانة الأَلبِرْتينيّة المشهورة وهي تشتمل على نحو خمسين أَلف مجلد و٢٤٠٠٠ خريطة ونحو ١١٧٠٠٠ رسم وصورة منها ١٤٤ تُنسب الى رفائيل المصور الشهير الاَّ ان خمسين منها من صنعهِ يقيناً بخلاف الباقي

ومن مباني ويانه العظيمة ايضاً "كنيسة الكاپوسين" "وسراي الماليّة" وكانت قبل مسكناً للپرنس أُوجين و"سراي الدوك كوبورج" و"دار المطبعة الامپراطوريّة" والسراي المعروفة "بقصر سينا" وهي من اقدم مباني ويانه و"كنيسة مَارِ ياشْتِيفِن" وهي من اجمل المباني القديمة والسراي المسماة "هَرَاخ" وبها نحو اربعمائة صورة من أَجمل وأَبدع الصور ثم "دار البنك الأَهلي" الى غير ذلك من الأَبنية المشيدة والمحلات الفاخرة

وقد صارت ويانه بما شيد فيها من المباني حديثاً معدودة الآن من أَعاظم مدن أُوروپا الجميلة ولا غرو فإِنَّا لم يعجبنا بعد پاريس مدينة أَبهى وأَزهى منها

وان فاقتها لندره من حيث كثرة العمارة وتعداد الأنفس والاتساع في التجارة
وويانه لم تصل الى ما وصلت اليهِ الاَّ بصرف مبالغ طائلة على تحسينها
وتشييدها وتزيينها فازداد بذلك عُمرانها وكثرت سكانها حتى بلغت في سنة ١٨٨٩
مليونًا ومائتي ألف نسمة ولم تكن كذلك من قبل بسنين يسيرة

ويحق ذلك لمدينة أعدَّها الأهلون عاصمة بلادهم وساعدها على ذلك موقعها
الطبيعي من كونها على الطونة مارًّا بها وكون نهر وِيَانَهْ يخترقها صابًّا بقرب قنطرة
أشْپِرْنْ في الطونه

وليست عاصمة بلادنا بأقل أهمية بالنسبة الينا من هذه العاصمة وموقعها
الطبيعي من كونها على النيل وكونها محفوفة بالأرض الخِصبة مما يُعين على جعلها من
أحسن العواصم

فياحبذا لو حصل الاعتناء بتجديد شوارع متسعة بأماكنها الباقية على
حالها الأصليّ من ضيق الطرق واعوجاجها وعدم تحسين المباني واتساعها
وتشييدها وارتفاعها وامتناع تخلل الشمس والهواء في سائر بقاعها فإنَّهُ لو خصص
بذلك قدر من النقود في كل سنة لصار الحصول على ما ذكر بسهولة مع توالي
الأيام وما يُصرف في هذا الأمر لم يكن شيئًا مذكورًا بالنسبة لما يترتب عليهِ من
المصالح الجمة والمنافع المهمة واتساع العمارة وازدياد التجارة ووفور المدنيَّة وتقدم
الصحة العموميَّة

هذا وقد قصدنا قبل مبارحة هذه العاصمة ان نتفرج على منتزهها العموميّ
المماثل لغابة بولونيا في پاريس وتِيرْجارْتِن في برلين ومنتزهات لندره الفاخرة ألاَ
وهو منتزه "پْرَاتِر" فركبنا عربة وتوجهنا اليهِ

وهو حديقة فسيحة مساحتها ١٧١٢ هيكتارًا موقعها شرقي المدينة أعدّها الملك جوزيف الثاني لتنزه أهاليها منذ سنة ١٧٦٦ يتوصل اليها من سائر شوارع المدينة خصوصاً من الشارع المنسوب لاسمها المسمى شارع پْرَاتِرْ المنتهي الى ميدان متسع منسوب الى اسمها كذلك يتفرع منهُ جملة طرق تخترقها أهمها ثلاثة الشارع الكبير "هُويْتْ أَلِيهْ" وشارع المعرض "فِيْرْبُورْكْ أَلِيه" وشارع مكتب السباحة "شْفِمْشُولْ أَلِيهْ" فتقسمها الى اقسام ثلاثة

والشارع الكبير اهمها يكتنفهُ من الجانبين أربعة صفوف من شجر البلوط العظيم الارتفاع ويغلب فيهِ تنزه العظماء والأغنياء والأمراء والنساء اللاتي كذلك راكبين أحسن الركائب لابسين أجمل الملابس وتلك النساء يأخذن بمجامع القلوب لباهر جمالهنّ ورشاقة قدودهنّ وصباحة وجوههنّ وكحلِ عيونهنّ وظرف شعورهنّ مع لطف ملابسهنّ وحسن مراكبهنّ

وفي خلال هذا الشارع على مسافات متقاربة محال قهاوي ومآكل وأشربة وسماع ألحان الى غير ذلك

والقسم المتوسط من هذه الحديقة والذي يليهِ يغلب فيهما تنزه آحاد الناس فهما اكثر من الأول ازدحاماً وأقل منهُ انتظاماً

ومن أسعدهُ الحظ بوجودهِ في هذا المنتزه لاسيما والمتنزهون منتشرون في انحائهِ فلا شك في انهُ يرى منظرًا حسناً تنشرح لهُ النفوس وتنتعش بهِ الأرواح

وقد رأى الويانيّون في مجرى الطونة بداخل عاصمتهم ضيقاً واعوجاجاً فحفروا مجرى آخر للنهر حسب ما أرادوا من الاعتدال وما لزم لتسهيل الملاحة عندهم من الاتساع وأخذوا يبنون لهُ الأرصفة العظيمة ويجددون بجوارهِ الشوارع النظيمة

حتى ستكون هذه الجهات الجديدة من أبهى جهات المدينة لإشرافها على النهر الجديد ووقوعها على الشمال الشرقي من منتزه پراتر

هذا ويصل شارع مكتب السباحة احد الشوارع الثلاثة الى قنطرة على هذا النهر الجديد في غاية العظم والاتساع نسبت الى اسم ولي العهد رودولف في حياته وعلى يسارها حمامات السباحة وبها عدة حياض للسابحين تختلف بحسب اختلافهم في معرفة السباحة اكبرها طوله ٧٥ مترًا وعرضهُ ٤٤

واما شارع المعرض فيوصل الى حيث أقيم المعرض العام في هذا المنتزه سنة ١٨٧٣ ولم يبقَ من آثار العمارات التي أقيمت برسم هذا المعرض غير محلات قليلة تُستعمل الآن لمعارض خصوصيّة محليّة

وما انتهينا من هذا التفرج الّا وقد أقبل الليل وفاجأَنا الجوع فعدنا مسرعين الى المحطة التي سنسافر منها الى تريسته وقد بقي على قيام الوابور ساعة وربع وكانت مدة اقامتنا بالمدينة عشر ساعات فاكلنا واسترحنا واطّلعنا على صحف الاخبار حتى حضر الوابور فركبناهُ وسرنا

﴿ من ويانه الى تريسته ﴾

يبلغ طول المسافة بين ويانه وبين تريسته ٥٩٦ كيلومتر تقطعها السكك الحديديّة في نحو أربع عشرة ساعة وقد سرنا والساعة ثمانية وربع بعد الظهر من يوم الثلاثاء ١٧ سيتمبر سنة ٨٩ من الأُولى قاصدين الثانية

فمررنا على بعد مائتين وثمانية وعشرين كيلومتر من ويانه بمدينة "جراتس" وهي تخت اقليم إستيريا من المملكة النمساويّة يبلغ عدد سكانها ١٠٦٠٠٠ نسمة

وموقعها في غاية اللطف على ضفة نهر " مُورْ " يَعُدُّها أَغنياء النمساويين وكبار الموظفين محل نزهتهم وجنة أُنسهم أَوقات فراغهم من الأَعمال فزادت بذلك حسناً ورونقاً حتى صار يؤُمّها كثير من الأَجانب للتمتع بهوائها وطيب مائها وبها المتنزهات الجميلة تسر الناظر وتروق الخاطر وعلى الشاطئِ الشمالي من النهر فيها جبل مطل على المدينة يصعد اليهِ في مسافة عشرين دقيقة على قمتهِ برج يبلغ ارتفاعهُ ثمانية عشر متراً يشاهد منهُ الرائي منظر النهر والمدينة والقرى المجاورة على مسافة عظيمة وبضواحيها كثير من البساتين والرياض تهرع اليها الناس على اختلاف طبقاتهم طلباً للراحة وابتغاء التنزه

ولم نتمالك أَنفسنا مع محاسن هذه البلدة التي ذكرناها عن الأَسف حين وردناها على فقيدينا العظيمين الشهيرين المرحوم مُحمَّد شريف باشا والمرحوم محمَّد سلطان باشا اذ دهمتهما المنيَّة بها ولم يقصداها الاَّ طلباً لحسن هوائها وطمعاً في نفع مائها ولكن لا مردَّ لقضاء الله وقدرهِ

وعلى بعد اربعة أَميال بعد مسيرنا من جرَاتْس هذه يرى الانسان اذا كان النهار على هضبة هناك اطلال قصر أُوبِرْفِيلْدَنْ حيث كان تِيخُوبْرَايِهْ الفلكي الشهير يقضي بهِ الليالي الطوال والشهور والاعوام في رصد الأَجرام السماوية ومراقبة حركاتها

وبعد مسير ستين كيلومتر من هذا المكان وصل بنا الوابور الى مدينة مَارْبُرْج البالغ عدد سكانها نحو ثمانية عشر الفاً وهي الثانية من مدن إِسْتِيرْيا بعد جرَاتْس وفي كتاب الدليل ان بها كثيراً من شجر الكرم والزروع

ثم ان قطار السكة الحديدية سار بعد ذلك بضع دقائق في منفذ محفور في

الصخر حتى وقف على مدينة تسيلي وهي مدينة أصلها رومانية حسنة المنظر يبلغ سكانها ٥٤٠٠ نسمة وبها دار لحفظ الآثار والتحف الرومانية

وعلى بعد ٤٤٨ كيلومتر من ويانه مدينة ليبخ وهي رومانية الأصل ايضاً موقعها على نهر ليبخ في سهل رحب محاط بالجبال يبلغ عدد سكانها ٢٦٣٠٠ نسمة وبها قصور شاهقة وعدة من المباني الفخيمة

ثم بعد مسيرنا من مدينة ليبخ بمسافة على نحو ٣١٥ كيلومتر من ويانه مر الوابور على بعدٍ تجاه كهفٍ عظيم دلَّت التواريخ المتقدمة على وجودهِ في تلك الجهة منذ القرون الوسطى ثم بعد ان جُهل مدة طويلة عُثر عليهِ من نحو سبعين سنة وهو الآن معتني بشأنهِ غاية الاعتناء يقصده السياح من كل جانب لغرابتهِ وابداعهِ يضاء بالنور الكهربائي من أول مايو الى أول اكطوبر في كل سنة وقد أوصلوا السكة الحديدية الى نحو منتصفهِ ويبلغ طوله ٤١٧٢ مترًا وبهِ قبة ارتفاعها ٢٢ مترًا ويختفي باحدى جهاتهِ نهر "بيوكا" فيسير تحت أرضهِ مسافة طويلة ثم يظهر وبهذا الكهف مغارات عديدة عجيبة منها المغارة المعروفة بنسبتها الى الامبراطور فرديناند ويشتمل على عدة غرف جميلة أهمها المعروفة بغرفة الرقص ويبلغ ارتفاعها ١٣ مترًا فاكثر وطولها ١٤٨ مترًا ويحتفل فيها بليلة رقص في عيد العنصرة من كل عام تكون في غاية الرونق ومنها المغارة المعروفة بنسبتها الى اسم فرنسوا جوزيف إبليزابيت وهي من اكبر المغارات فان ارتفاعها يبلغ ٣٤ مترًا وطولها ٢٠٢ وعرضها ١٩٥

وعلى مسافة نحو اربعين كيلومتر من هذا الكهف كهف آخر عظيم يقصده السائحون للتفرج عليهِ

ثم أخذ الوابور في الانحدار تدريجاً صوب بحر الأدرياتيك الى ان أصبح الصباح فجعلنا نمتع الطرف بمنظر البحر البهج وأمواجهِ الفضية على صفحاتهِ الزبرجدية ناظرين على مد البصر قصر ميرامار بالبعد عن المدينة حتى وصلناها والساعة ٩ و ٤٢ دقيقة من صباح يوم الأربعاء ١٨ سبتمبر سنة ٨٩ فكانت المسافة من ويانه اليها ١٤ ساعة تقريباً

﴿ من تريسته الى الاسكندرية ﴾

نزلنا في تريسته بالفندق المسمى " أوتيل ده لاڤيل " وهو من أحسن فنادقها قريب من المحطة ومن الميناء ثم توجهنا الى محل إدارة البواخر النمساوية فأخذنا نمر الغرف التي أُعدت لنا بالوابور الذي يقوم من مينا تريسته هذه ظهر يوم الجمعة ٢٠ سبتمبر سنة ٨٩ وكنا طلبنا قبل ذلك بمدة بواسطة محل كوك حجز غرف لنا بالوابور الذي يقوم في اليوم المذكور خوف ان يسبقنا الغير الى أخذها فيوجب ذلك تأخرنا اسبوعاً الى الوابور التالي

هذا وقد كنا نسينا كتاباً لحضرة رفيقنا الشيخ حمزه بغرفةٍ من غرف الوابور الذي سافرنا فيهِ من الاسكندرية الى تريسته ولم نتذكرهُ الا في اثناء الطريق فكتبنا عنهُ الى مدير الشركة بهذا البلد وعرَّفناهُ اسم الوابور ونمرة الغرفة التي نسيناهُ بها وانهُ اذا وُجد يجعلهُ بمحل إدارة الشركة حتى اذا رجعنا نأخذهُ فوجدناهُ عند رجوعنا في هذا المحل واخذناهُ وهذا من عظيم الهمة وجميل الأمانة ومزيد الاعتناء بشؤون المسافرين وشدة انتظام هذه الشركة

وإذ كان قيام الوابور لا يكون الا في يوم الجمعة كما تقدم أقمنا بتريسته

يومي الاربعاء والخميس وإلى ظهر يوم الجمعة وقضينا هذه المدة في تنزه وتفرُّج واستراحة ولكن لم تقع عندنا هذه المدينة موقعها الاول عند حلولنا بها أَول مرة وذلك لما رأيناهُ بعدها من البلاد والمدن والعواصم وما فيها من الأَبنية المشيدة والميادين الفسيحة والمنتزهات المتسعة الارجاء وعجائب المتاحف وغرائب الأَنهار والانحاء حتى ان ميدانها الذي وصفناهُ آنفًا وما فيهِ من ازدحام الرجال والنساء الحسان ومحاسن الانغام لم يظهر في أَعيننا بحالتهِ الاولى من البهجة والرونق

ولقد كان انتظارنا للوابور هذين اليومين في هذه المدينة بمثابة أَشْهُرٍ أَوَ أَعوام لشدة ما نلقاهُ من كثرة التشوُّق وعظيم التلهف ومزيد الحنو الى الوطن العزيز ورؤْية الأَهل والأَحباب والأَخلاء والأَصحاب واجتماع الشمل بعد طول الاغتراب

ومن ثم هرعنا الى الوابور من صبح يوم الجمعة فركبناهُ وانتظرنا قيامهُ ولم نستطع الاقامة بالفندق الى قرب قيامهِ

فلما جاء الوقت سار بنا ومرَّ بالطريق الذي سلكناهُ أَولاً فلا حاجة الى إِعادة الكلام عليهِ وكان هو الوابور الذي ركبناهُ من الاسكندريَّة غير ان حالنا في السفر لم يكن كالحال الاول فإِنا كنا كلما تقدمنا الى الامام زاد الدِفْءُ بخلاف الأَول فكنا كلما تقدمنا زاد البرد وكان الهواء هادئًا والجوّ معتدلاً والسماء مصحية والبحر ساكنًا فلم نتكدر بشيءٍ من غوائلهِ فعظم اشتهاؤُنا للطعام وصرنا نأْكل ونشرب كثيرًا من غير منغصٍ على رغم متعهد الطعام فكان في هذه المرة الساخطَ على البحر وكنا الراضين على خلاف المرة الاولى فكان الراضي عليهِ وكنا الساخطين وقد تقدَّم أَن حسابهُ على كل مسافر باليوم أَكل او لم يأْكل فهو مع المسافرين على طرفي نقيض يُحب الشدة وهم يحبون عدمها

وما زلنا سائرين مع الدعة والراحة حتى وصلنا برنديزي نصف ليل يوم السبت وقمنا منها بعد خمس ساعات وسرنا والحال على ما ذكر حتى وصلنا الاسكندرية يوم الاربعاء ٢٥ سبتمبر سنة ٩٢ والساعة ٦ افرنكي صباحاً فوجدنا في انتظارنا مع كون وصولنا في بكرة النهار احباباً عزازاً استقبلونا أحسن استقبال فحمدنا الله على هذا الحال

المثول بين يدي الحضرة الخديوية بالاسكندرية

وعقب وصولنا توجهنا مع حضرة صاحبنا العزيز احمد توفيق قبودان وكيل وابورات البوستة الخديوية سابقاً الى منزلهِ فإنهُ كان متهيئاً لنزولنا عندهُ فاستبدلنا ملابس السفر بملابس تليق بالمثول بين يدي الحضرة الخديوية ثم قصدنا سراي رأس التين والساعة ٨ صباحاً فبمجرد الوصول اليها صدر الاذن لنا بالمثول وتشرفنا بلثم الأعتاب السنية وقصّ سيدي الولد على مسامع الجناب العالي نبأ الرحلة التي قضيناها والمأمورية التي أدّيناها وسموّهُ منشرح لذلك مسرور منهُ منعم بالتفاتهِ الينا محسن بتعطفاتهِ علينا وقد زاد ابتهاجاً بما قدّمهُ الى سُدّتهِ سيدي الوالد من القصيدة التي أنشأها ونحن عائدون في البحر من برنديزي وجعلها أشبه بتقرير عن المأمورية وما تم فيها فأمرهُ بتلاوتها فانسر بسماعها وأخذ نسختها ثم تفضّل تشجيعاً لنا وتنشيطاً لهممنا بإبداء إشارات السرور حتى تنزّل سموّهُ الى التشكر على حسن قيامنا بالمأمورية التي كلفنا بها ثم استأذناهُ في السفر الى مصر فأذن فانصرفنا الى منزل صاحبنا القبودان وانتظرنا بهِ موعد قيام الوابور حتى قرب فقصدناهُ وركبناهُ الى مصر

القصيدة

التي قدمها سيدي الوالد الى الحضرة الخديوية
في الذي تم بالمؤتمر والمأمورية

دَنَتِ الديارُ ودانت الأَوطارُ — هذا المنارُ وهذه الأَنوارُ
هذا المنـــار يلوح نجم هدايةٍ — للناظرين توءمهُ الأَنظـارُ
والثغر وضاحٌ[1] المباسمِ باسمٌ — للبشر في قسماتهِ[2] آثارُ
فَرِحٌ يبشرنا ببشر سرورهِ — أَن الخديو له بهِ استقرارُ
فاليوم نلثمُ من بنان يمينهِ — سُحُباً موارد فيضهنَّ غِزارُ
من كف فيّاض اليدين يمينهُ — يُمْن ويُسراهُ ندى ويَسارُ
ونُشنِّف الأَسماع من أَلفاظهِ — دُرًّا غدت أَصدافهُ الأَفكارُ
ونرى منار الحق فوق جبينهِ — كالشمس ليس وراءها أَستارُ
نورٌ تلألأَ في جبين موفَّقٍ — للحق في توفيقهِ أَسرارُ
مولاي قد سِرْنا بأَمرك نبتغي — لرضاك ما تسمو بهِ الأَقدارُ
نَصِل المغاربَ بالمشارق والسُّرى — بالسير لا مَلَلٌ ولا إِقصارُ
ونلُف[3] أَذيال الأَباطح[4] بالرُّبى — تنتابنا[5] الأَنجاد والأَغوارُ

(١) الوضَّاح ككتان ابيض اللون حسنهُ (٢) القسمات جمع قسمة بكسر السين وفتحها قال ابن الاعرابي هو ما بين الوجنتين والانف وانشد لمحرز الضبي ·

كأَن دنانيرًا على قسماتهم — وان كان قد شف الوجوه لقاء

(٣) لفَّ الشيء بالشيء ضمهُ اليه ووصلهُ بهِ وهو من باب ردَّ (٤) البَطح والبطيحة والبطحاء والا بطح مسيل واسع فيهِ دقاق الحصى والجمع أَباطح و بطاح و بطائح
(٥) انتابهم انتيابًا اتاهم مرة بعد أُخرى

لا البحر ذو الأمواج تخشى بأسهُ ... يوماً وليس البر فيهِ نضارُ
البحر برٌّ في رضاك يمن بهِ ... والبر من جدوى نداك بحارُ
ومدى[1] النهار صباح خيرٍ كله ... بسعود جَدِّك[2] والدجى اسحارُ
نطوي البلادَ بطيب ذكرك نشرهُ ... عبق ونفحة ريحهِ معطارُ
ونوَّرِج[3] الأرجاء باسمك مِدحة ... طابت بها الأسحار والأسمارُ
يهتز حاضرها بحسن سماعها ... طرباً ويُخبِرُ غائباً حضَّارُ
ويروح سامعها يميل بعطفهِ ... ثملاً كأنْ دارت عليهِ عُقارُ
نغشى بها صدر الندي ندية ... يحلو بها الإيراد والإصدارُ
نتلو مديحك معلنين بنشرهِ ... جهراً فلا كتم ولا إسرارُ
لا يعتري فحواهُ وصمة ريبة ... تُخشى ولا ردٌّ ولا استنكارُ
ثم امتطينا للسويد ركائباً ... لا الركض يُجهدها ولا التسيارُ
تسعى على عجلٍ الى غاياتها ... كالماء ساعد جريَهُ تيارُ
سُرُع الخطى لا السوط حل بجلدها ... يوماً ولا شُدَّت بها أكوارُ
تذَرُ الرياحَ إذا جرَيْنَ وراءها ... حَسْرى[4] طلائح[5] جريهنَّ عِثارُ
سرنا بهنَّ على العشيِّ فأصبحت ... في استكهلم وقد بدا الإسفارُ
ولقيت صاحب تاجها في قصرهِ ... والوفدُ ثم بصحبتي نظَّارُ
فَدَنا وصافح باليمين مردِّداً ... شكر الخديو يزينهُ التكرارُ

(١) مدى الشيء غايتهُ والمراد هنا جميعهُ مجازاً (٢) والجد البخت والحظ والحُظوة (٣) قولهُ ونوّرج هو مضعف أَرجَ الطيب كفرح يأرج بالهمز وتركيهِ بمعنى توهج ريحهُ (٤) حسرى جمع حسير تقول حسر كضرب وفرح فهو حسير اي مُعيٍ (٥) طلحَ البعير أعيا وطلح زيدٌ بعيرهُ كاطلحهُ أعياهُ وإبل طلّح وطلائح

فشرعت مقتصدًا اجاوبهُ بما   أرضاهُ لا قلٌّ ولا إكثارُ
ونحوت مؤتمر العلوم أؤمهُ   بالوفد تهوي نحونا الأبصارُ
حتى اذا احتفل النديُّ وأقبل الـ   ـعظماءُ والعلماءُ والأحبارُ
وتلا بهِ أسكار رب سريرهِ   قولاً بهِ لذوي النهى إسكارُ
وأجابهُ الخطباءُ كلٌّ مُحْسِنٌ   يزري بنظم الدر منهُ نثارُ
ودُعيت باسمي للمقال موفيًا   حق الوفادة والوفاءُ شعارُ
أقبلتُ ابتدر القريض يزينهُ   مولاي باسمك بهجةٌ ووقارُ
حتى استتمَّ الشعر فاصطفقت لهُ الـ   أيدي وذاك بمدحهِ إشعارُ
وتشعبت شُعب الفصول مقررًا   في كل فصل للفنون(١) قرارُ
فنحوت بالوفد الذين بصحبتي   خير الفصول وصحبتي أخيارُ
ما فيهم وَهِلُ الفؤادِ يهولهُ   حفل ولا واهي القوى خوَّارُ(٢)
كل أعد من المعارض ما اصطفى   للعرض ثمة جملة تختارُ
وأجاد فيما قد أفاد بمنطق   طوع المراد امدَّهُ استحضارُ
في لهجة العرب الفصيحة لفظهم   حرٌّ وهم في نفسهم أحرارُ
لا في مقالة قائلينا وقفة   عرضت ولا لمقولنا إنكارُ
كالقطر جاد بهِ غمام مُبرق   داني الهيادب(٣) عارض(٤) مدرارُ
نبدي الذي نبدي وكل مطرقٌ   سمعًا ومنطق ذي المقال جهارُ
حتى نتمَّ كما نشاءُ القولَ في   أمدٍ أعد لوقتهِ مقدارُ

(١) وفي نسخة للعلوم (٢) الخوّار ككتان الضعيف (٣) الهيادب جمع هيدب وفي الصحاح هيدب السحاب ما تهدب منهُ اذا اراد الودق كأنهُ خيوط (٤) العارض السحاب الذي يعترض في الأفق

فيقول صاحبهم أما من باحثٍ فيما يقول وقوله استفسارُ
وتصفق الحضار لاستحسان ما قلنا ويظهر فيهم استبشارُ
ها هم رجالك أيها المزلى ولا منٌّ عليك ونعم من تختارُ
لا أبتغي مدحاً لنفسي إنني بعُلاك افخر لا عداك فخارُ
هذي محاسن يمن طالعك الذي بسعوده قد ساعد المقدارُ
ثم انثنينا راجعين يسوقنا لحماك أشواق لهن أُوارُ
نأوي لخير حمى بعدلك كله أمنٌ وما للجور فيه جِوارُ
فاسلم لمصر وأهلها ليُرى بها لنماء غرس يمينك استثمارُ
واسلم لأنجالٍ وآلٍ كلهم خيرٌ وآل الخيّرين خيارُ
واليكها مولاي صنعة ليلةٍ لحِقَ العِشاءَ بوشيها الإسحارُ
حتى كساها الصبح رونق وجههِ حُسْناً وألبسها الضياء نهارُ

السفر من الاسكندرية الى مصر

سافرنا من الاسكندرية بعد الظهر يوم الوصول اليها وهو يوم الأربعاء ٢٥ سپتمبر سنة ٨٩ فوصلنا الى مصر بعد غروب اليوم المذكور فوجدنا الأحباء والأصحاب ينتظروننا بالمحطة فحمدنا الله على السلامة وجمع الشمل وكانت مدة غيابنا تسعة وستين يوماً

﴾ الإحسان على كاتب هذه الأحرف بالنشان العثماني ﴿

في صبيحة اليوم التالي ليوم الوصول توجهت الى نظارة الحقانيَّة للتشرف بمقابلة سعادة ناظرها إذ ذاك الفاضل حسين فخري باشا فبمجرد اللقاء قال إن تهنئتي لك اليوم مضاعفة فإني أُهنئك اولاً بالسلامة وأُهنئك ثانياً بالإحسان عليك من لدن الجناب العالي الخديوي بالنشان العثماني العليّ الشان مكافأَةً لك على حسن قيامك بالمأموريَّة التي تعينت لها بالمؤتمر العلمي ثم ناولني النشان ومعهُ البراءة الموذنة بهِ فشكرت تهنئة سعادتهِ بعد أن شكرت فضل مولى الإحسان وقد أَفهمني سعادتهُ أنهُ حضر الى الديوان اليوم قبلي بدقائق وأَنهُ ما كان يعلم حضورنا لأَنهُ لم يكن قرأَ الجرائد وما أَعلمهُ بهِ الاَّ حضور هذا النشان وقد ارسلهُ اليهِ سعادة رئيس الديوان الخديوي بإفادة رسميَّة منهُ لتسليمهِ اليّ وانحط الرأي على ان أُسافر الى الاسكندريَّة لأَداء واجبات الشكر للحضرة الخديويَّة الفخيمة وتصادف ان سعادتهُ على نيَّة التوجهِ إليها في الغد فحصل الاتفاق على السفر معهُ بوابور الإكسپريس الذي يقوم من مصر بعد الظهر

﴾ شكر الجناب العالي على إحسانهِ ﴿

لما كان الموعد المحدد للسفر ركبت الوابور مع صاحب السعادة المشار اليهِ وسار بنا حتى وصلنا الاسكندريَّة بعد الغروب فنزلنا معاً "بفندق أُوروپا" وبعد تعاطي الطعام توجهنا الى سراي رأس التين فتشرف سعادتهُ بالمقابلة وأَتم مأموريتهُ التي حضر من أجلها وبحال خروجهِ من لدن الجناب العالي صدر لي الأَمر بالمثول فنلتُ شرفَ تقبيل اليد الكريمة وشكرت الفضل وحمدت المِنَّة وأَثنيت على

الإحسان بما وصل اليهِ جُهدي وقَدَرَت عليهِ حواسي المفعمة سرورًا المملوءة فرحًا وحبورًا فتكرم سموهُ بما أعلى قدر هذا النشان عندي أن قال إنهُ أنعم عليَّ بهِ مكافأة على حسن قيامي بما عُينت لهُ بالجمعيَّة العلميَّة الَّتي كنت عضوا فيها عن الحكومة المصريَّة ببلاد السويد والنرويج فكررت الشكر وأعدت الثناء والحمد فتنزل سموهُ بأن قال لي "إنا اتعبناك بالسفر الينا مع قرب أسفارك الطويلة" فأجبت "إني يامولاي احب شيء عليَّ امثال هذه المتاعب فالله ارجو واليهِ التضرع ان يكثر لي منها" فتبسم سموه سرورًا ونلت حظ تقبيل اليد الكريمة ثانية وانصرفت ولقد كان هذا الدعاء مجابًا

وكنت قدمت الى جنابهِ الفخيم بيتين من انشاء سيدي الوالد أرسلهما معي الى سموهِ تشكرًا على ما أولانيهِ من الإحسان بالنشان وهما

لمولاي العزيز عليَّ فضلٌ	بنعمتهِ على ولدي الأمينِ
تحقَّقَ في مقام الشكر عجزي	فأثر أن أرى ولدي معُيني

﴿العودة الى الاسكندرية للتشكر على وظيفة قضاء الاستئناف﴾

﴿التي منحها سموّ الجناب العالي هذا الداعي والعود منها الى مصر﴾

وذلك أنهُ صدر الأمر بتعييني قاضيًا بمحكمة الاستئناف الاهليَّة بمصر في ٣٠ سپتمبر سنة ١٨٨٩ فعدت الى الاسكندريَّة للتشكر بعد أن وصلني الأمر وسلَّمت أعمال رياسة النيابة العموميَّة بمحكمة مصر الابتدائيَّة الأهليَّة ومثلت بين يدي الجناب العالي وشكرتهُ بقدر الاستطاعة على ما أولانيهِ من حسن الصنيع مضافًا الى سابق إنعامهِ وحلفت حسب اقتضاء القانون اليمين القانونيَّة لدى سموهِ بحضور سعادة ناظر الحقَّانيَّة وقدمت لجنابهِ العالي القصيدة التشكريَّة

الآتية من نظم سيدي الوالد فقابلها بالقبول ثم عدت الى مصر واستلمت مهام وظيفتي الجديدة وهذه هي القصيدة المذكورة :

ألا هل لساني اليوم طوعٌ لخاطري إذا أنا رُمت الشكرَ والقولُ ناصري

وهل لقوافي الشعر عونٌ على المنى اذا ما استمدَّتها قريحةُ شاعرِ

ويا ليت شعري هل يُراعي وسائلي يراعي اذا أمددته بالمعابرِ

وهل لبناني من بياني مساعدٌ بلفظٍ بديعٍ في معانٍ زواهرِ

لِأُبلغَ نفسي اليوم في الشكر حظها وأرقى الى غاياتهِ غيرَ قاصرِ

ومن لم يُؤدِّ الشكر للناس لم يكن لإحسان رب الناس يوماً بشاكرِ

وهل أستطيعُ الشكر أقضيهِ حقهُ قياماً بفرضٍ منهُ في الحال حاضرِ

وأنَّى وقد أربَتْ على العدِّ أنعمٌ تقاصر عنها ناظم قبل ناثرِ

وهل يبلغ الغايات من بات ليلهُ يُحاول عَدَّ النيّراتِ السوافرِ

أيادٍ أفادتها أيادٍ كريمةٌ أنافت على غرّ الغوادي البواكرِ

بها افتخرت أمُّ البلاد وشمرتْ بنوها لإنهاض الجدود العواثرِ

وأضحت اذا مدّت الى غايةٍ يداً أُمِدَّتْ بتوفيقٍ من الله باهرِ

همامٌ لهُ في كل شأوٍ الى العلا مَدًى دونهُ أقصى مجال النواظرِ

أجارَ على الأيام من عادياتها فليس لها في عهدهِ حظ جائرِ

وعمَّ بنور العدلِ كلَّ بلادهِ فليس ظلام الظلم فيها بزائرِ

اذا ما أساسُ المُلك بالعدل يُبتنى أقام على مر الدهور الدواهرِ

وقد شدَّ أزرَ الملك في مصر بالتقى وبالدين مولاها العفيفُ المآزرِ

وأجرى بها من فيض جدواهُ انعُماً سحبْنَ بأذيال السحاب المواطرِ

كريم السجايا واسع الفضل معربٌ بأفعاله عن فضل طيب العناصرِ
وَلُوعٌ بكسب الحمد والمجد والعلا وبذل الأماني وابتناء المآثرِ
اذا هام قومٌ بالكؤوس تُديرُها بَنانُ الحِسانِ البيض سودِ الغدائرِ
فإنَّ هواهُ في اتخاذ صنيعةٍ وإسداء معروفٍ وإحياء داثرِ
وان نام عن امر الرعيَّة غافلٌ عن الحزم أرعى قومهُ عينَ ساهرِ
بصيرٌ بكنهِ الأمر لا يستميلهُ وان خفيَ المكنونُ رسمُ الظواهرِ
أمولاي أدعو من قريبٍ وانت لي سميعٌ وما من غائبٍ مثلُ حاضرِ
سأشكر من نُعماك ما أستطيعهُ ولست على شكرِ الجميع بقادرِ
وابلغ حد الجهد والجهد غايةٌ وما بعدها الاَّ التماس المعاذرِ
وادعو بظهر الغيب لله مخلصاً وليس الذي يدعوهُ يوماً بخاسرِ
وقد خوَّلتني منةً بعد منةٍ يداكَ بوافٍ من نَداك ووافرِ
وجُدتَ على العبد الأمين بأنعُمٍ مواردها موصولة بالمصادرِ
فما تنقضي نَعماءُ الاَّ وصلتها بأمثالها تترَى الى غيرِ آخرِ
وقِدماً قد استخلصْتَنا من يد الرَّدَى وقد ظفِرت أظفارهُ بالحناجرِ
ولجَّ العِدَى في لُجَّةٍ بعد لُجَّةٍ من المين لم تخطر لدينا بخاطرِ
فالهمك الرحمن ما كان مضمراً من الحق تجلوهُ بنور الضمائرِ
فِراسةُ معمورٍ من الله قلبهُ بنور هُدًى مستودع في السرائرِ
ولولاك كنا في فم الغدر مُضغةً فريسةَ ناب في المَقاتِلِ غائرِ
تروح علينا الحادثات وتغتدي بكلِّ خفيٍّ من سُطاها وظاهرِ
فكفكفتَ عنَّا العاديات تردُّها بكفك عنا قاصرات الأظافرِ

وعلّمتنا كيف النهوضُ الى العُلا وكيف الترقي في مراقي المظاهرِ
وكيف يلذُّ المجدُ طعماً وتجتني ثمارُ المعالي من غروس المفاخرِ
وَأَوْلَيْتَنَا الآمال نقتاد سِربها بأرسانها طوع المنى والخواطرِ
إذا ما اشتهينا من ذُرى العز موضعاً تقاصر عن إدراكهِ حدُّ ناظرِ
منحتَ بأعلى منهُ ثم شَفَعْتَهُ بآخر أرقى في العَلاءِ وآخرِ
فلا زلتَ للدنيا جمالاً وللورى كمالاً وللإسلامِ نورَ بصائرِ

الى هنا انتهى ما أردت تحريرهُ من هذه الرحلة وقد عانيت فيهِ من المتاعب والمشاق ما لا يخفى مع ما انا فيهِ من الاشتغال بأعمال وظيفتي فإن وقع ماحرَّرتهُ لدى الناظرين موقع الاستحسان وكان لهُ عند أُولى الفضل مكان كنت بذلك قرير العين وحصلت منهُ على أُمنيتين أولاهما القيام بحق رغبة سيدي الوالد العزيز في تأليف رحلة في هذا الموضوع كما تقدَّم ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب وثانيتهما حُظوة كتابي بالقبول لدى العموم

وكان الفراغ من تصنيفهِ في بدء دولة حامي حمى المعارف المصريَّة وموجد نهضة الادآب الوطنيَّة صاحب المقام الجليل والظل الوارف الظليل أفندينا خديو مصر عباس الثاني لا زالت البلاد بوجودهِ واردة موارد الأماني قريرة العين بأيامهِ معزَّزة بعادل أحكامهِ

آمينَ حتى تقولَ الناسُ قاطبة والمجد والفخر والأيام آمينا

هذا وقد بقي عليَّ بعد ذلك واجبٌ سأشرع بعون الله فيهِ ولازم لازب أُؤديهِ وهو طبع آثار سيدي العزيز من منظومهِ ومنثورهِ ومكاتباتهِ وما يتيسر لي جمعهُ من مؤلَّفاتهِ

وسآخذ في هذا بلا توانٍ ان شاء الله تعالى فأطبع ما عثرت عليهِ من مكاتباتهِ وأشعارهِ في جزء ضاماً اليها بعض رسائل لهُ مثل " المقامة الفكرية في المملكة الباطنية " ورسالتهِ التي كتبها " في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة " ومثل " تحصيل الحاصل "

وأطبع في جزء آخر شرحهُ لقصيدة سيدنا حسَّان الهمزيَّة الذي قدمهُ الى المؤتمر مضيفاً اليهِ شرحهُ لبديعيَّة صاحبهِ الشاعر الأديب المرحوم محمود افندي صفوت التي مطلعها

سفح الدموع لذكر السفح والعلَم   أبدى البراعة في استهلالهِ بدمِ

مردفاً اياها بما علَّقهُ على منظومةٍ لعزيزهِ الطيب الذكر المرحوم احمد خيري باشا ضمَّنها حكماً ومواعظ وطلب منهُ شرحها فجاء على شرح بعضها بغاية الاستيفاء

وربما أردِفُ هذا كلهُ بجزء ثالث يشتمل على اشياء علَّقها وشوارد قيدها في كراريس سماها " الدفتر "

فإذا منَّ الله سبحانهُ عليَّ بانجاز هذا العمل اكون بعد القيام بأُمنيَّة سيدي الوالد العزيز من تحرير هذه الرحلة قمت برغبة أحبائهِ وأخلائهِ المولعين بنشر آثارهِ واني لموقن بان شغفهم بنشر هذه الآثار يبعثهم على موازرتي بالدعاء لتحصيل هذا المأمول اذ باتحاد القلوب وتوجهِ الخواطر تُنجَزُ الأعمال ويحسنُ المآل والحمد لله أولاً وآخراً حمد من اعترف بالربوبيَّة وعرف حق العبوديَّة وكان على الآلاء شاكراً وصلاتُ صلاةٍ يصحبها سلام على سيدنا محمَّد خير الأنام وعلى آلهِ وصحبهِ السادة الأعلام ما بُدِئَ عملٌ زانهُ حسنُ ختام

فهرست الكتاب

صحيفة

﴿ ٧٨١ ﴾ عشر ساعات في ويانه — ٧٨٣ وصف هذه المدينة — شارع رنجشتراسه واقسامة — قسم شوتنرنج — سرايـ البورصة — ٧٨٣ قسم فرانتسينسرنغ — سراي المدرسة الجامعة وكتبخانتها — سرايـ بلدية المدينة وكتبخانتها — سراي المجالس النيابية — ٧٨٤ سرايـ المتاحف وتمثال الامبراطوره ماريا تيريزه — سراي الاوبرا الملوكية "شتاد پارك" ايـ منتزه المدينة — ٧٨٥ كنيسة "ستيفانيسكيرخة" الكاتدرائية — جذع شجرة يعتقدها العامة — ٧٨٦ برج الكنيسة المتقدمة — شارع جرابن — "بورج" السرايـ الامبراطورية — الكتبخانة الامبراطورية وما بها من غرائب التحف — ٧٨٧ خزينة الامتعة الامبراطورية وتحفها ونفايسها — ٧٨٨ قاعة النقود القديمة والمصوغات العتيقة — قصر الارشيدوك ألبرت والكتبخانة الالبرتينية به — ٧٨٩ ملحوظات بشأن عاصمة بلادنا — ٧٨٩ منتزه پراتر ووصفه — ٧٩٠ مجرى جديد لنهر الطونه

﴿ ٧٩١ ﴾ من ويانه الى تريسته وما يتخلل هذا الطريق من المدن العامرة والمناظر الباهرة

﴿ ٧٩٤ ﴾ من تريسته الى الاسكندرية

﴿ ٧٩٦ ﴾ المثول بين يديـ الحضرة الخديوية بالاسكندرية

﴿ ٧٩٧ ﴾ القصيدة التي قدمها سيديـ الوالد الى الحضرة الفخيمة الخديوية في النديـ ثم بالموتمر والمأمورية

﴿ ٨٠٠ ﴾ السفر من الاسكندرية الى مصر

﴿ ٨٠١ ﴾ الاحسان على كاتب هذه الاحرف بالنشان العثماني

﴿ ٨٠١ ﴾ شكر الجناب العالي على احسانه

﴿ ٨٠٣ ﴾ العودة الى الاسكندرية للتشكر على وظيفة قضاء الاستئناف التي منحها سمو الجناب العالي هذا الداعي والعود منها الى مصر وقصيدة سيدي الوالد التشكرية في ذلك

انتهى

اصلاح خطاء

صحيفة	س	خطا	صواب
١٣	٨	فأن	فإن
٠٠	١٣	مأكل	مآكل
١٣	١٣	دلك	ذلك
١٨	٣	غيرهُ	غورهِ
٣٠	٩	وولايتها	وولاياتها
٣٥	١٩	سخرية	سخرية
٣٦	١٠	فأن	فإن
٤٥	٩	الأفاضلَ	الافاضلُ
٤٧	١٩	وارتفاع	وارتفاع
٤٩	٩	اليأس	البأس
٥٤	١٠	سيما	لاسيما
٥٥	١٤	ضوحيا	ضواحيها
٥٦	١١	مكسيمليان .	مكسيمليان
٠٠	١٦	مكسيلميان	مكسيمليان
٥٧	١١	ليولد	اللويند
٥٩	٩	ليولد	اللويند
٦٣	١٦	الأهداء	الإهداء
٦٣	٤	فأن	فإن
٠٠	١٦	جهتها	جهتيها
٦٤	١	عل ما	على ما
٦٤	١٤	ميدان	ميدانا
٦٥	٦	المجاررة	المجاورة
٦٥	١٩	بسكيبرا	پسكيبرا
٦٦	١	جعل	جعل

صحيفة	س	خطا	صواب
٦٩	١	بومو	بومة
٦٩	١٩	بورنا	پورتا
٧٠	١	بلانسو	پلانسو
٧٠	١٣	معطاة	مغطاة
٧٣	٣٠	فاينها	فانها
٨٠	٣	وجنبو	وجنبه
٨٣	٤	الألب	الالپ
٩٠	٨	بأويو	بأوى اليو
٩١	٣	للأفضال	للافضال
٩١	١٩	الميناه	الميناء
٩٥	٣٠	امرئ	امرأ
١٠٣	١٦	بو	بها
١٠٤	١٠	بنفذ	بنفذُ
١٠٥	٤	عُلمتُ	عَلِمْتُ
١١٠	٥	المتقدمان	المتقدمتان
١١١	١٣	جرء	جزاء
١٢٣	٣	ومنسوجاتو	ومنسوجاتة
١٢٣	٣	الحياكه	الحياكة
١٢٣	٣٠	كل من جهة	من كل جهة
١٤٣	٣	كارتيبه لأتان	كارتيبه لاتان
١٤٣	١٠	و بعدون	و يعودون
١٤٤	١٣	وغر	وعر
١٤٦	١٩	الثروة	الثورة
١٥٠	٨	على احدى	على احد

صحيفة	س	خطا	صواب
١٥٢	٧	كل منها	كل منها
١٥٩	١٧	البانيئون	البانتيون
١٦٤	١	فروع	فروعًا
١٦٦	٧	جيرناهم	جيرانهم
١٩٠	٩	امهُ	امهِ
١٩٢	٣	أيدروليكيًا	إيدروليكيًا
١٩٤	٣٠	المُسنِدةِ	المسنَدةِ
		١٣٦	٢١٦
٢٣٢	٣٠	محليًا	مجليًا
٢٣٠	٧	بالتعليم	بالتعلُّم
٢٣١	١٤	وعرضها	وارتفاعها
٢٤١	١٧	أكمةِ	أكمةُ
٢٤٢	٤	والفناء الكائن	والفناء الواقع
٢٦٠	١٧	هيكتار	هيكتارًا
٢٦٢	٥	سنة	السنة
٢٧٣	٤	طربق	بطربق
٢٨٠	١٥	والسابقة	والسابعة
٢٨٢	١٧	يحسد	يحسَدُ
٢٨٦	١٠	أسلوب	أُسلوب
٢٨٧	٩	أنوجرافي	إتنوجرافي
٢٨٨	٧	حسن	حبس
٢٨٨	١٦	نظم	نُظِمَ
٢٨٩	٣	بهاء الحركة والبها	بها الحركة والبهاء
٢٩٣	٣٠	اكثر	اكثر من
٢٩٧	٣	بانها	فإنها
٣٠٣	٨	خالاتلال	الاختلال

صحيفة	س	خطا	صواب
٣١٢	٤	كتابها	كنا بها
٣١٢	٦	إن	وإن
٣١٢	٧	الآجرّ الحديد	الآجرّ والحديد
٣١٧	١٣	ثم ترقى	ثم كيف ترقى
٣٣٧	١١	ونقشه	ونفشه
٣٣٩	٤	خمس	خمسة
		٣٤٣	٣٤٣
٣٤٣	٢	وكذلك أن	وكذلك نعرف أن
		٣٤٤	٣٤٤
٣٤٤	١٦	وفي ثاني	في ثاني
٣٤٨	٤	مِلكيّه	مَلكيّه
٣٥١	١٧	والبسط	البسط
٣٧٦	٤	مما	ممن
٣٩١	٤	بناء	نبأ
٣٩٦	٤	الازدخام	الازدحام
٤٠٥	١	مجارهُ	مجراهُ
٤٠٧	١١	التي تجزأ	التي لا تجزأ
٤٣٣	٦	على ما نذكر	على ما أتذكر
٤٣٣	١١	جعل	جَعَلَ
٤٣٣	٣	بالأرديةِ	بالأرديةِ
٤٣٤	١٤	التي يقف	التي لا يقف
٤٣٥	٢	الأنداء	الثدي
٤٦٣	١٤	قلم المكاتب	قلم المكاتيب
٤٧٣	٣٠	ببعض	ببعضها
٤٧٣	١٣	بمجاربانه	بمجار باتو
٤٧٣	١٥	للتوفي	المتوفى

صحيفة	س	خطا	صواب
٤٧٨	٧	لمطر يه	المطريّة
٤٨٥	١٥	مزحمة	مزاحمة
٤٨٧	١	الأمة	الأُمة
٥١٢	٤	١٥٨١	١٨٥١
٥١٣	١٧	ان واقعة محلات	ان محلات
٥٢٣	١١	الاشغال	الاشتغال
٥٢٥	١٧	ثاني ثلاثاء	ثاني ثلاثاء
٥٦٦	١٨	واشتغالة	واشتغالو
٥٦٧	١٤	على محطة	الى محطة
٥٧٤	١٣	بجراند أوتيل	بجراند أُوتيل
		٨٨٣	٥٨٣
٥٨٣	٤	ريدربرج	ريدبرج
٥٨٤	١	بخيط	بخط
٥٨٤	١٣	ريدت	زيدت
٥٩٧	١٨	ملابسو	ملابسة
٦٣٣	١٦	ومسرّاتة	ومسرّاتو
٦٣٨	٨	ليبريج	ليبزيج
٦٣٤	٩	ومناظرتة	ومناظرتو
٦٤٤	٨	متينة	مثبنة
٦٤٥	٣	واعالة	واعالو
٦٤٦	١١	وغير	غير
٦٤٨	٣	جلسانة	جلسانو
٦٥١	١٣	يترى	پتري
٦٦٣	٢٠	ابن درّج	ابن درّاج
٦٦٥	٤	والماء	والماه
٦٧٦	٣	عبارات	العبارات
٦٧٩	١٧	وكولاً	تناولاً
٦٧٩	١٨	تاذا كان	وكذا كان
٦٨٦	١٨	عاربة	رعاية
٦٨٦	١٨	واختصاصة	واختصاصو
٦٩١	١٣	غبرت	غيّرت
٧٣٧	٨	الادّخار	الادِّخار
٧٤١	١٤	محلات	محلاة
٧٣٤	١٤	وكانت	وكان
٧٤٣	٥	المكاتيب	المكاتب
٧٤٥	٦	العادية	بالعادية
٧٥٦	١	جوتنبورج	جوتنبورج
٧٦٤	١٧	المواضيع	المواضع
٧٦٧	٣	تبثولي	تيثولي
٧٨٦	١٨	أسپرن	أشپرن
٧٨٧	١٦	ورودلف	رودولف

﴿ تنبيه ﴾ — هذا ما اردنا ايرادهُ من بيان الخطإ والصواب وان كان اكثرهُ يدرك بأدنى تامل وربما تركنا التنبيه على بعض اشياء تعرف بالبداهة اتكالاً على ادراك القارىء اياها من غير احتياج الى تأمل .

